

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية: أصول الدين

قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

تخصص: مقارنة الأديان



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

—قسنطينة—

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

## العنف في مصادر الفكر اليهودي وتجلياته في الممارسات الصهيونية

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم

تخصص: مقارنة الأديان

إشراف الأستاذ الدكتور:

آسيا شكيرب

إعداد الطالبة:

مغنية حركات

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. طيبات لمير	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
أ. د آسيا شكيرب	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومناقشا
د. بوجمعة صالح	أستاذ محاضر—أ	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا
أ.د. عبد الوهاب العمري	أستاذ	جامعة العربي بن مهيدي—أم البواقي	عضوا
أ.د. موسى معيرش	أستاذ	جامعة عباس لغرور—خنشلة	عضوا
د. مسلم بابا عربي	أستاذ محاضر—أ	جامعة قاصدي مرباح—ورقلة	عضوا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020-2021م



﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُفْسِدِينَ ﴾

قرآن كريم، سورة المائدة، الآية: 64

"أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي. أفكارهم أفكار إثم.

في طرقهم اغتصاب وسحق. طريق السلام لم يعرفوه وليس في مسالكهم عدل.

جعلوا لأنفسهم سبلا معوجة. كل من يسير فيها لا يعرف سلاما."

إشعيا: 59/7-8

# إهداء

إلى أرواح الشهداء و إلى المرابطين في كل أنحاء فلسطين

إلى أبناء الشتات الفلسطيني في كل مكان

إلى كل المساندين والداعمين للقضية الفلسطينية

إلى كل محب لوطنه

أهدي هذا العمل

جامعة الأزهر  
إهداء  
إلى أرواح الشهداء و إلى المرابطين في كل أنحاء فلسطين  
إلى أبناء الشتات الفلسطيني في كل مكان  
إلى كل المساندين والداعمين للقضية الفلسطينية  
إلى كل محب لوطنه  
أهدي هذا العمل  
جامعة الأزهر  
إهداء  
إلى أرواح الشهداء و إلى المرابطين في كل أنحاء فلسطين  
إلى أبناء الشتات الفلسطيني في كل مكان  
إلى كل المساندين والداعمين للقضية الفلسطينية  
إلى كل محب لوطنه  
أهدي هذا العمل

# شكر وتقدير

أنحني لله حامدة وشاكرة فضله

فالحمد والشكر لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ثم اتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى السيدة المشرفة

الأستاذة الدكتورة آسيا شكيرب التي تكلفت عناء المتابعة وتفضلت

بمنحي كل الثقة لإتمام البحث

وأتوجه بالشكر والامتنان لمن أمداني بقدر كبير من الطاقة

الإيجابية

الدكتور مروان معزي والدكتورة نورة رجاتي.

ولا أنسى في هذا المقام أن أشكر شرفاء فلسطين المرابطين

لما أسدوه من مساعدة في جمع مادة البحث

وأخص بالذكر البروفيسور شريف كناعنة مدير مركز إنعاش

الأسرة برام الله، والدكتور طه حمدان وكيل وزارة السياحة والآثار

برام الله والدكتور عدنان عبد الرحمان أبو عامر المتخصص في

الشؤون الإسرائيلية بجامعة غزة

# مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يعد العنف البشري في العصر الحديث، ظاهرة سلوكية ملفتة للنظر حيث لم يعد يقتصر على الجماعات، وإنما أصبح صورة تعكس سياسة أنظمة ودول بعينها، وقد حظي العنف كظاهرة باهتمام واسع من قبل علماء النفس وعلماء الاجتماع، خاصة بعد ظهور أنماط و أشكال مختلفة من السلوكيات العدوانية، أين يندرج العنف ضمن الطبيعة العدوانية باعتباره نتيجة حتمية لتراكمات مسبقة كما هو الشأن في الممارسات الصهيونية.

نظرت الصهيونية إلى الوجود العربي والإسلامي في فلسطين على أنه احتلال لأرض الآباء والأجداد، وأن استردادها هو حق مشروع يستوجب استخدام القوة، فكان ذلك منطلقاً لتبرير الاحتلال منذ أولى الهجرات اليهودية إلى فلسطين، وكان العنف من أهم الأساليب التي انتهجتها الصهيونية لأجل ذلك، بل طبعت به الحياة اليومية في فلسطين قبل وبعد قيام إسرائيل.

لقد شكل التراث اليهودي بشقيه (الديني والتاريخي) أهم المرتكزات التي استندت عليها الصهيونية في تحقيق مشروعها الاحتلالي، حيث دأب زعماء الصهيونية منذ نشأتها على توجيه هذا التراث بما يتوافق وأيديولوجيتها، من هذا المنطلق تطفو على السطح فكرة الصهيونية في توظيفها التراث اليهودي في الصراع الإسرائيلي- العربي، ارتبطت الفكرة الدينية بها في العالم المعاصر، على الرغم من وجود طوائف يهودية أخرى ترفض مثل هذه الأفكار (الصهيونية والعنف).

### إشكالية البحث:

على اعتبار أن موضوع هذه الدراسة يعالج أحد مكونات الفكر الصهيوني، والمتعلق باستخدام العنف ما يحتاج إلى تحليل ومحاولة فهم عميق من خلال تصورات أصحاب العنف والغوص في النموذج الباعث على إبراز نماذج هذه السلوكيات الفردية والجماعية، قصد فهم طبيعة ومكونات الشخصية اليهودية.

فلزم ذلك البحث عن مصادره ومنابعه، كما كان من الضروري معرفة الحاضنة التي أسهمت في التخطيط له وتنفيذه، إذ أن الموضوع لا يتعلق بالبحث في العنف الصهيوني كظاهرة فحسب وإنما في

محاولة معرفة أصوله. ومن هنا جاءت إشكالية الأطروحة حاملة التساؤل الآتي:

هل العنف ظاهرة تاريخية لصيقة باليهود أم إنه كان نتيجة ظروف مرت بهم؟، و ما هي طبيعة حضور مصادر الفكر الديني اليهودي في العنف الصهيوني وما مدى تجلياته في الممارسات؟.

ترتبت عن هذا السؤال جملة من الأسئلة الجزئية نوجز منها:

1. هل يمكن اعتبار المصادر الدينية أداة رئيسة للعنف الصهيوني؟.

2. كيف تم توظيف التراث الديني لتبرير الممارسات الصهيونية؟.

3. هل الصهيونية مشروع سياسي يهودي؟.

4. ما مدى مساهمة الوسائط التلقينية المتمثلة في المنظومة الدينية و التربوية التعليمية في

تكريس وتفعيل العنف؟، وهل تنتج لنا نماذج التلقين بالضرورة عسكرة المجتمع اليهودي في ظل

صورة عدائية لكل ما ليس يهودي، وبالتالي السلوك الانطباعي: العنف ضد الآخر. ؟

في ضوء هذه التساؤلات تشكلت الصياغة المفتاحية لعنوان البحث على النحو الآتي:

"العنف في مصادر الفكر اليهودي وتجلياته في الممارسات الصهيونية".

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في محاولة الكشف عن مؤشرات بناء الشخصية العنيفة ودلالة بنائها في الفكر الديني اليهودي والصهيوني، من خلال محاولة الولوج إلى منظومة القيم الحاملة لفكرة العنف كمنطلق لتحقيق المشروع الصهيوني، وإبراز مدى علاقتها بالكتاب المقدس، بالإضافة إلى نصوص التلمود وفتاوى الحاخامات.

كما تكمن كذلك في معرفة نظرة اليهود إلى الآخر، ولاشك أنه لا يوجد أفضل من المناهج التعليمية في التعبير عن ذلك بالإضافة إلى أن مؤسسات الدولة في إسرائيل تستلهم النص الديني وفتاوى الحاخامات في كل ما يتعلق بشؤون الحياة، وهو ما تعكسه الأحداث اليومية في فلسطين فالمستوطن



اليهودي مدنيا كان أم سياسيا يقوم بتطبيق نداء التوراة، وتصريحات الأحرار حرفيا في التعامل مع الأممي، وبذلك فهو يقدم لنا النموذج الحريص على التزامه بالدين بغض النظر عن مدى صحة عقيدته أو فساده.

-ولأن العنف الصهيوني يختلف عن أي عنف آخر في العالم فهو عنف احتلالي استيطاني يهدف إلى خلق وطن لليهود على حساب شعب صاحب سيادة، فإن أهمية البحث تكمن في إعطاء القارئ المسلم (خاصة) ابتداءً والعالمي (عامة) صورة مقربة حول خطورة النصوص الدينية التي تدعوا إلى العنف وخطورة توظيفها في الصراعات السياسية، ومدى ارتباطها بالمرجعيات الدينية في مجملها.

- فأهمية موضوع البحث من هذه الوجهة تكمن في بيان تمركز أنماط سلوكية محددة هي بالأساس سمة لتيار معين وهو الصهيونية، و نقصد بالأنماط هي تلك الممارسات المتعمدة المنهجية- ما قبل و ما بعد 1948 على مستوى الأراضي الفلسطينية وغيرها تجاه الشعب الفلسطيني والأرض. بإعطاء سندات و أدلة قانونية موثقة مشروعة وفقا للقانون الجنائي الدولي لتجريم الحركة الصهيونية و من ورائها الكيان الصهيوني.

- إضافة إلى ذلك، فإن أهمية البحث تتمثل في تحديد مساقات أطروحة معاناة اليهود "معادات السامية" وأثرها في تغليب الرأي العام الدولي: السياسي و الثقافي والعسكري وحتى المجتمعي وذلك عن طريق إعادة قراءة ملف التعدي على حقوق الانسان الفلسطيني في سياقاته القانونية، وبذلك محاولة إعطاء صورة دقيقة لآثار المشروع الصهيوني باعتباره مشروع غير محدود بالشعب و الأرض الفلسطينية، ذلك لأن تداعياته مسّت الوطن العربي والإسلامي متجاوزة بذلك جغرافية فلسطين المحتلة.

### أهداف البحث:

هدف البحث الى بيان أن الصهيونية بالرغم من ظهورها في هيئة حركة سياسية إلا أنها كانت تمثل في حقيقة بناءها آمال وطموحات اليهود.

وهو ما يفسر سرعة احتوائها للحركات الدينية، التي أصبحت مع مرور الوقت تتبنى أيديولوجيتها، ما أدى إلى حدوث عملية صهر وتفاعل بين اليهودية والصهيونية تمخضت عنها في الوقت

الحاضر الدعوة الى يهودية الدولة، وهو ما يكشف لنا أن الصهيونية في الواقع لم تكن إلا حركة دينية في ثوب سياسي.

فإذا كان المفهوم السابق عن الصهيونية هو إقامة دولة يهودية(للشعب اليهودي) والارتباط بها فهذا يجعل من الثقافة الصهيونية مسوغا لها، ويكفي في هذه الحال أن يؤمن بدولة لليهود والتي ترتبط في الأساس بالأرض(جبل صهيون) حتى يكون صهيونيا.

ومن منطلق البحث عن جذور تكوين ونشأة إسرائيل فإن البحث يحاول الكشف عن:

- ماهية العنف الصهيوني وأهم مصادره. و محاولة الخروج بتصور حول مدى استيعاب الصهيونية للمقولات الدينية وتوظيفها في مشروعها الاستيطاني التوسعي.
- بيان مدى تأثير الطرح الحاخامي في القرارات السياسية.
- تحديد مؤشرات بناء الشخصية العنيفة ودلالة ذلك في مشروع الفكر الديني اليهودي والصهيوني، والتي تضم اعتبارا صورة النصوص المقدسة ومحاولة فرزها وإعادة صياغتها في نسقها العام. بما ينتج لنا صورة اليهودي العنيف، ومحاولة مطابقتها مع سلوكيات اليهودي وتطبيقاتها على أرض فلسطين.
- بيان أساليب العنف الصهيوني قبل وبعد قيام الدولة للسيطرة على الأرض وطردها أصحابها بدءا من المهجرات ثم المحازر فالترحيل المنهج بعد 1948.

### أسباب اختيار الموضوع:

من بين الأسباب التي دفعتني لاختيار الموضوع سببين رئيسيين هما:

- **السبب الذاتي:** تمثله الرغبة في دراسة الأديان والفرق الدينية، كما يمثلته تأثيري بما تمت معالجته في رسالة الماجستير فيما تعلق بطقوس الدم التطهيرية التي رأى فيها اليهودي قربة إلى الإله يهوه، وإيمانه بأنه جزء من روح الإله يسمو بسموها وهو مابعث فيه روح الاستعلاء والعدوانية، فهذا التصور فتح لي مجال البحث في طبيعة الشخصية اليهودية ومكوناتها الأساسية.

● إضافة إلى ذلك فإن العنف الصهيوني يستهدفنا، كونه يرتبط بقضيتنا الجوهرية "القضية الفلسطينية".

● السبب الموضوعي:

- محاولة فهم العلاقة المركزية للدم في العقيدة اليهودية والمسلك الصهيوني في إبادة الآخر في العصر الحديث والمعاصر، ويعد نموذج فلسطين أهم نموذج واقعي لذلك.

- إن التراث اليهودي، يرسم التصور الأول لليهود حول إثبات التفوق العنصري لهم، فهو مع ما يحتوي من غلو يشكل باستمرار موجة العنف في الفكر الصهيوني نحو الآخر، والذي أصبح جزءا لا يتجزأ من مقومات الشخصية اليهودية، وهو ما يسترعي انتباهنا حول خطورة الوضع في فلسطين، خاصة في ظل الصمت الدولي عما يحدث.

- إن معظم الدراسات الأكاديمية في تناولها للعنف الصهيوني، تركز على الممارسات على أنها ردة فعل سياسية -عسكرية، بعيدا عن النص الديني، وعن المؤسسات التربوية، وهو ما سعت نحو تحقيقه في هذا البحث.

منهج البحث:

1. المنهج العام:

تتم معالجة محاور الدراسة وفق عملية التكامل المنهجي، وبموجب ما تقتضيه طبيعة البحث ونظرا لأهمية موضوع البحث وتشعبه، فقد اعتمدت أكثر من منهج على أن الغالب هو المنهج التحليلي والاستقرائي، حيث تتبعت ظاهرة العنف في السلوك اليهودي بالعودة إلى مرجعيتها و ذلك بعرض النصوص الدينية المتعلقة بموضوع البحث فحاولت تفكيك مضامينها وبيان مدى تطابقها مع الفتاوى ثم السلوكات والممارسات الصهيونية، كما اعتمدت المنهج التحليلي في التعامل مع المعطيات التاريخية والتعليق عليها وإعادة بناءها وصياغتها وتوظيفها للوصول إلى النتائج المرجوة.

المنهجية:

من حيث المنهجية المستخدمة في التهميش، فالإشارة الى النصوص المقدسة برموزها الحرفيين الأوليين و مثاله التكوين : تك.

ثم نضع رقم الاصحاح فرقم الفقرة و مثاله : تك 1 / 14، و معناه سفر التكوين الإصحاح 1 الفقرة 14.

بالنسبة لذكر: المرجع السابق فإننا نقصد به المرجع الذي سبق ذكره من قبل في البحث، مثال :

مرجع 1.

مرجع 2

مرجع 3

المرجع السابق نقصد به المرجع رقم 1

أما قولنا المرجع نفسه فمعناه المرجع الذي قبله مباشرة و هو 2 .

الدراسات السابقة:

كثرت الأبحاث وتشعبت حول أهمية موضوع العنف والصراع العربي الصهيوني، ومع ذلك فإن وجود بحث مستقل بنفس العنوان، وبمفردات الخطة التي وضعناها في حدود ما أطلعت عليه غير موجود، على أن موضوعه موجود في أعطاف البحوث والكتب العديدة كجزئيات متفرقة متممة للعناوين الأصلية العامة، لكن لا ينفي ذلك وجود دراسات بحثية تناولته بوصفه ممارسة إسرائيلية، منها:

1. ما قدمه المدير الأكاديمي لمعهد غفغات حببية لدراسات السلام بجامعة حيفا، المؤرخ الإسرائيلي

إيلان بابيه في دراسته البحثية " التطهير العرقي في فلسطين". وقد استفدت منه مادة ومنهجها في دراسة تجليات العنف في المماسات الصهيونية.

على أن دراسة إيلان بابه بقدر ما كانت دراسة نقدية موثقة لمختلف الممارسات الصهيونية المرتكبة في فلسطين، إلا أن النقص اعترافاً من حيث عدم إنكار وجود إسرائيل كواقع لا يمكن إلغاؤه، فهو كغيره من المؤرخين الجدد لا ينكرون حقهم في الوطن القومي حتى ولو كان على حساب الشعوب الآمنة. وهو ما سعت إلى بيانه.

## 2. دراسة معنونة بـ الإرهاب والعنف في الفكر اليهودي، وهي رسالة ماجستير للباحثة: هنادي عيسى عبد المحمود، جامعة الخرطوم، كلية الآداب قسم الدراسات الإسلامية، سنة 2008، وهذه

الدراسة وإن شابهت ماقدمته من حيث التصور العام إلا أنها تختلف من حيث المضمون، حيث تناولت الباحثة مفهوم الألوهية ومكانة الأنبياء وعنصرية اليهود بشكل عام، في حين أغفلت الحديث عن نصوص العنف وفتاوى الحاخامات، كما أغفلت الحديث عن دور التربية اليهودية، التي تعتبر أهم منابع العنف بعد المصادر الكتابية، لكن لا يمنع ذلك من الاعتراف بأن هذه الدراسة كان لها الفضل في إحالي إلى مراجع علمية هامة أفادتني في البحث.

### أهم المصادر والمراجع:

اعتمدت في هذا البحث مصادر ومراجع باللغة العربية واللغة الأجنبية بما فيها المترجمة عن العبرية، وقد تنوعت مصادر البحث ومراجعته بحسب محتوى الفصول، ولعل من أهمها:

### بالعربية:

-أساس الدين للحر هلال فارحي، -الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية في إسرائيل لإيلي بوديه. -طهارة السلاح لدان ياهف. -شريعة الملك "شريعة قتل الأغيار" يتسحاق شايبيرا. -اختراع أرض إسرائيل واختراع الشعب اليهودي لشلومو ساند. -العنف والسلام لإبراهيم العابد. -في قبضة الحاخامات لصالح محمد النعامي. -الهويات والسياسة في إسرائيل لأسعد غانم.

إضافة الى دراسات باللغة الأجنبية: ومنها

- William L.Lyons, **Between History and Theology.**
- Alfred Lévy; **les doctrine d'Israel.**
- AmnonRaz-Krakotzkin, **Exil et Souveraineté.**
- Neubauer Adolphe, **La géographie du talmud.**
- Daniel Blanc, **Preparation Historique du Salut Au Sein du Peuple Juif.**
- Guigui Albert, **Le Judaïsme Toute une vie**

#### صعوبات البحث:

لا يخلو أي بحث من أي صعوبة، وموضوعنا هذا تخللته جملة من الصعوبات، انبعث أبرزها من طبيعة موضوع الدراسة نفسه، نذكر أهمها:

1. صعوبات معرفة مدى دلالة النصوص الدينية اليهودية على العنف خاصة في نصوص التناخ لعدم توفر التفاسير اليهودية لدينا، فغالبية المراجع التي تناولت مصدر نزعة العنف الصهيوني تعتمد على القراءات اللاهوتية المسيحية وأسلوب المقارنة والسرد التاريخي، على الرغم من وفرة الكتب التي تناولت الحديث عن الممارسات الصهيونية.

2. ندرة المنشورات الأكاديمية حول العنف اليهودي، خاصة أن جل ما كتب حول نقد النص الديني اليهودي وسياقاته، كان باللغات الأجنبية بما فيها اللغة العبرية، ما ترتب عنه صعوبة بيان علاقته بالممارسات الصهيونية.

#### خطة البحث:

قسمت البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول.

بالنسبة للتمهيد، كان هدفه تسليط الضوء على أهم المصطلحات: بتحديد مفهوم كلا من العنف و الصهيونية، مع بيان وجه العلاقة بينهما.

وقد قمنا بتحديد مفهوم العنف بالرجوع إلى الإطلاق الفلسفي والإجماعي والسياسي، مع بيان آلياته وأقسامه وأنماطه، بهدف الوصول إلى المعنى الذي يتوافق وموضوع البحث.

كما أشرت إلى أنواع العنف و مجالاته وبعض الاطلاقات اللصيقة به كالإرهاب والعنصرية وجرائم الحرب، وبعد تعريف الصهيونية، حاولت إبراز العلاقة بين العنف واليهودي والصهيونية.

**ثانياً: الفصل الأول: عنوانته بـ: مصادر الفكر الديني اليهودي ودلائلها على العنف.**

غرضه بيان أهم المصادر الدينية اليهودية المقدسة، مع تحديد المضامين الداعية إلى العنف، وقد ضم مبحثين:

**المبحث الأول:** مصادر الفكر الديني اليهودي، وتم عرض الكتاب المقدس العبري، والتلمود.

**المبحث الثاني:** فتحت الإشارة فيه إلى مضامين العنف من خلال النصوص المقدسة في كلا المصدرين، بتحليلها ونقدها، كما حاولت اسقاطها على الواقع الراهن ببيان وجه العلاقة بينها وبين الممارسات الصهيونية.

وختتمت المبحث بدراسة حول النص الديني والتسويغ الحاخامي للعنف، بينت فيه تاريخية الفتوى اليهودية وأصولها وكيف تم تطوير قراءة النص الديني، وما كان لها من أثر في تحديد نظرة اليهودي إلى الآخر، وانعكاساتها على الممارسات الصهيونية.

**ثالثاً: الفصل الثاني: عنوانته بـ: توظيف الصهيونية للدين والتاريخ اليهودي في تبرير الاحتلال.**

هدفه بيان مدى توظيف الفكر الصهيوني المعاصر للتاريخ اليهودي (والذي يدخل في حيز النصوص المقدسة) لاحتلال أرض فلسطين، مع التركيز على أهم النقاط الدينية التي بنى عليها مشروعه الاستيطاني، حيث قسمت الفصل إلى ثلاثة مباحث:

تضمن **الأول** الحديث عن فكرة الشعب المختار وقد قمت بتحديد مفهوم الاختيار من وجهة نظر يهودية من خلال نصوص التناخ والتلمود.

ثم قمت بقراءة الرؤية للصهيونية للاختيار وما تعلق بها من نتائج، وبينت على إثرها ما استولدته الصهيونية من مقولات، على غرار مقولة النقاء العرقي.

أما المبحث الثاني فقد تعلق بعقيدة الوعد الإلهي بالأرض وقد تناولت فيه مفهوم الوعد من خلال نصوص التناخ بالتحليل والنقد. كما بينت مفهومه في الأدب الرباني مع نقده، ثم بيان القراءة الصهيونية لأرض المعاد.

أما المبحث الثالث فقد تضمن الحديث عن مسألتين حقوقيتين، هما دعو الحق التاريخي ودعوى الحق الإنساني لليهود في الأرض.

فناقشت في الأولى تاريخية الوجود العربي واليهودي في فلسطين، بالاعتماد على مسيرتهم التاريخية، كذلك قمت بمناقشة مفهوم الحق الإنساني في الفكر الصهيوني ثم عرض أوضاع اليهود في الشتات، وأسباب اضطهادهم.

#### رابعا: الفصل الثالث: تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية.

وغايته بيان مسار العنف في الفكر الصهيوني وتجليات وتوظيفاته في المشروع الاستيطاني، مع توضيح أهم صور هذا المسار، وقد ضم ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** يبحث في تجليات العنف في الفكر الصهيوني من خلال خطابات الزعامات الصهيونية، وبيان مدى تبني التيار الديني لذلك.

أما **المبحث الثاني:** فتناولت فيه تجليات العنف في التربية الصهيونية، بالوقوف عند أهمية التربية وأهدافها ودور المنظمات الصهيونية في ذلك، مع اعتماد نماذج من المناهج التعليمية، موضحة دورها في تكريس الإيديولوجية الصهيونية.

وتضمن **المبحث الثالث:** تجليات العنف في الممارسات الصهيونية، وقد تناولت فيه الهجرة اليهودية كأول تجلٍ للعنف اليهودي، كذلك قمت بعرض تاريخي لبعض المحازر الصهيونية قبل وبعد قيام إسرائيل.

وقد ذيلت البحث **بخاتمة** ضمت أهم نتائجه، مع إيراد بعض التوصيات حول متعلقات البحث، وأهميته في الدراسات الدينية المقارنة والفكرية، التي من شأنها أن تفتح آفاقا جديدة للبحث .



تتميز:

# مقاربات مفاهيمية

جامعة الأمير  
عبد القادر  
العلوم الإسلامية

يتضمن موضوع البحث جملة من المفاهيم التي ينبغي الوقوف عندها بالتحليل لتعلقها بمختلف المجالات كما أنها تعد من صميم البحث لما لها من دور في تشكيل الوعي اليهودي، العنف، المصادر، الصهيونية، وسنقتصر في الحديث هنا عن مفهومي العنف والصهيونية، أما فيما تعلق بالمصادر فقد أفردنا لها فصلا كاملا للتعريف بها.

يعد العنف سلوكا قديما قدم الجنس البشري، ذلك أن الحضارة الإنسانية شيدت لبناتها عليه منذ أن وطئت أقدام الإنسان الأرض، وهذا ما جعل مسألة العنف تتجاوزها أطراف شتى، ذلك أنه يتكرر باستمرار في صور مختلفة، جعلت التعاطي معه بين الحضارات تحليلا ودراسة يختلف باختلاف الجهات والتخصصات، ففي العالم الغربي مثلا لم يتخذ له مفهوما محددًا، والحديث عنه يعتبر وليد العالم المعاصر، فأول من حاول التفكير في العنف والتنظير له هو: "جورج سوريل" في كتابه "تأملات حول العنف".

أما قبل ذلك فإن الفلاسفة الأقدمين لم ينظروا إلى العنف في ذاته ولذاته؛ بل كنتيجة لإفراط أو لحرق يتصلان بالآلهة، ولعل الأمر قد يفسر جانبا من المفارقة التي تظهرها اللغة اللاتينية التي لا تميز مثلا بين العنف والقوة<sup>(1)</sup>.

لكن بالرغم من ذلك يبقى التمييز نسبيا، أو أننا يمكننا أن نطلقه جُزافا، فإن كان يقصد به الحضارة الغربية فهم أدري بذلك، لكن أن يعمم على جميع الحضارات والأديان فهذا يختلف، ويحتاج إلى إعادة نظر، ففي الإسلام نجد القراءة النقدية للعنف جاءت بما نصوص محددة لارتباط المسلم بالدعوة إلى الدين، فوجب عليه اتباع سلوكات مرغوبة: كالموعظة والتغافل عن أخطاء الغير، وبث فكرة العفو والتسامح، وربطها بالعقيدة الآخروية، لكن في حالة المساس بكرامة الانسان وحرية ودينه فهنا يقف الإسلام مع الاعتدال في انتزاع الحق والعقوبة بالمثل دون تجاوز، وقد حددت ملامحها في تحريم الظلم وتحديد آليات الجهاد والقتل في الحروب، والملاحظ دائما يتدخل العفو عند المقدرة كصورة نبوية نابذة لفكرة الانتقام<sup>(2)</sup>.  
بناء على ما سبق يمكننا أن نقف على مفاهيم العنف، التي تم استقراؤها وفقا لما يلي:

(1) - عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، (د. ط)، ((د. م. ن)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د. ت)، مادة (ع ن ف)، مج 4، ص 255.

(2) - ويتجلى هذا في حديث النبي ﷺ: " اذهبوا انتم الطلقاء " أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، كتاب السير، باب فتح مكة، د ح 18276، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2010)، ج 2، ص 200.

أولاً: مفاهيم العنف:

1 \_ تعريف العنف:

أ\_ لغة:

يطلق العنف في اللغة:

أ-1- اللغة العربية على: "الخرقُ بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، عَنَّفَ به وعليه، يُعنف عنفاً وعنافة وأعنفه وعَنَّفَه تعنيفاً، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقاً في أمره، واعتنف الأمر أخذه بعنف، وفي الحديث: "إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله"<sup>(1)</sup>، والعنف والعنيف، المعتنف، أي غير رفيق، والاعنف كقولك الأكبر"، والعنيف الذي لا يحسن الركوب وليس له رفق بركوب الخيل، وأعنف الشيء أخذه بشدة، واعتنف الشيء أخذه بشدة، واعتنف الأرض كرهها... والتعنيف التعبير واللوم، والتوبيخ والتفريع... " <sup>(2)</sup>.

أ-2- اللغة العبرية على:

- אליים - أليم، بمعنى عنيف، متعسف، قاس، قوي، صارم.

- אלימות - أليموت، بمعنى عنف، بطش، عسف، قسوة، سطوة، وطأة، زور،

- כאלמות - كليموت، بمعنى عنف، عنوة بالقوة، بشدة قسراً - بالزور <sup>(3)</sup>

أ-3- اللغة والثقافة اليونانية على:

تأتي بلفظ Bia و Agros — αγρος — βια

فكلمة Agros لها عدة معاني مشتركة منها عنيف وحشي، كما تطلق على الأشياء والظروف القاسية<sup>(4)</sup>. على خلاف ذلك نجد الإشارة وكثرة الاستخدام لـ: Bia، وتعني القوة الجسمانية، يدفع قوة ونادراً ما يرد الفعل Biazo βιαζω في المعلوم، ولكن في المبني للمتوسط يعبر عن فكرة التصرف المتسم

(1) -أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب: فضل الرفق، حديث رقم: 2593. صحيح مسلم، المسند الصحيح، المختصر من

السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1374هـ، ص1203.

(2) -جمال الدين أبو الفضل بن منظور، لسان العرب، د ط، (بيروت: دار صادر، د ت)، مادة (ع ن ف)، المجلد 9، ص257، 258.

(3) - قاموس سيحيف، (د. م. ن) المجلد 1، ص 78.

(4) - فيرلين د فيربروج القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ط 1، (مكتبة دار الكلمة، 2007)، ص 15.

بالقوة في العمل والكلام، وأما الفعل المتعدي فيقصد منه الانتهاك، والاعتصاب، والفعل اللازم غير المتعدي فيستخدم لاستخدام القوة، وفرض الإرادة، وأما المبني للمجهول للمعاناة من العنف. أما الكلمة Biastes فتعني شخصا عنيفا، وتحمل معنى الازدراء، وقد استخدمتها الترجمة السبعينية Bia بشكل نادر لوصف قوة الله.

في حين اقترنت كلمة Niazو بفكرة الإكراه على العمل الشاق، واستعملت للحث والاعتصاب والاختراق، أما في العهد الجديد فتشير كلمة Bia إلى القوة والعنف<sup>(1)</sup>.

بالنسبة لمعاني الكلمة فهي متعددة غير أنها لا تخرج عن الاستخدام المفرط للقوة والشدة.

فالعنف سلوك يلحق الأذى بالآخر سواء أكان ظاهرا أم خفيا ماديا أم معنويا، وفي كل هذه الحالات، فالعنف اللغوي المشترك يمكن توجيهه إلى أن العنف ضد الرفق، وهو الشدة والحزم والقوة المفرطة.

## ب\_ الاصطلاح:

تعددت التعاريف الاصطلاحية للعنف، ومرد ذلك إلى طبيعة التعاريف وعلاقتها بالموضوع المعروف به أو المراد التوجه لبسطه، والتي يمكن أن نجملها فيما يلي:

ذهب جميل صليبا في معجم المصطلحات الفلسفية إلى أن العنف هو: "استخدام القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون"<sup>(2)</sup>

ففي شرحه لمفهوم العنف نحى صايبا إلى تصنيفه من حيث الترادف والتضاد باعتباره: "مضادا للرفق، ومرادفا للشدة والقسوة".

أما من حيث الفاعل فهو العنيف المتصف بالعنف، وأما من حيث فعل العنف، فهو: "كل فعل شديد يخالف طبيعة الشيء".

(1) - فيرلين د فيربروج، المصدر السابق، ص 109.

(2) - جميل صليبا: معجم المصطلحات الفلسفية، مادة (ع ن ف) المعجم الفلسفي، د. ط، (بيروت: الشركة العالمية للكتاب س م ل، 1994م)، ص 112.

كما أن العنيف كذلك من جهة أخرى هو: "القوي الذي تشتد سورتة بازدياد الموانع التي تعترض سبيله كالرياح العاصفة".

فالعنيف من الميول الهوى الشديد الذي تتقهقر أمامه الإرادة، وتزداد سورتة حتى تجعله مسيطرا على جميع جوانب النفس". والعنيف من الرجال هو: "الذي لا يعامل غيره بالرفق، ولا تعرف الرحمة سبيلا إلى قلبه".

بالنيية لمعنى العنف في علم الاجتماع، فيعرف بأنه: "سلوك يميل إلى إيقاع أذى جسدي بالأشخاص أو خسارة بأموالهم بغض النظر عن معرفة ما إذا كان هذا السلوك يبدي طابعا فرديا أو جماعيا"<sup>(1)</sup>.

أو هو: "أفعال التدمير والخراب وإلحاق الأضرار والخسائر التي توجه إلى أهداف أو ضحايا مختارة أو ظروف بيئية أو وسائل أو أدوات، والتي تكون آثارها ذات صفة سياسية من شأنها تعديل أو تقييد أو تحوير سلوك الآخرين في موقف المساواة، والتي لها نتائج على النظام الاجتماعي"<sup>(2)</sup>.

أما العنف وفقا للطرح السيكولوجي فهو: "الفعل الذي يقوم به نسق اجتماعي قائم بذاته في مجتمع ما خلال مجال زماني ومكاني معين مهما كان محدودا"<sup>(3)</sup>.

إجمالا يمكن تحديد مظان التعاريف بناءً على نظريتين<sup>(4)</sup> كل منهما تستند إلى خلفية بناء على ما يلي:

- **نظرية العنف المادي:** وتستند إلى القوة المادية وبالتحديد الطاقة الجسدية، ولا يلزم أن تكون القوة قد مست مباشرة جسم المعنى، بل يكفي أن تكون قد أعملت أثرها في داخله، وبذلك تترج النظرية بين النتائج المادية والمعنوية .

- **نظرية العنف المعنوي:** كل سلوك باستثناء التهديد يؤدي إلى الضغط على الإرادة ، وهنا نجد التفرقة

(1) - في آدم، رؤية نظرية حول العنف السياسي ، مجلة الباحث، عدد 01- 2002، ص 102-111، (نقلا عن: عبد الناصر حريري، الإرهاب السياسي، دراسة تحليلية، مكتبة مدبولي، ط1، طلعت حرب القاهرة، 1996 ص 44).

(2) - حيدر علي نوري الجريمة الارهابية دراسة في ضوء قانون مكافحة الإرهاب، ط1، (بيروت: منشورات زين الحقوقية، 2013)، ص319.

(3) - عبد الحق مجيطة، مفهوم العنف الاجتماعي في البحوث السوسولوجية بين الطرح العلمي والطرح الأيديولوجي، قراءة إبستمولوجية، المجلة العلمية لجامعة الجزائر 3، المجلد 6- العدد 11، جانفي 2018، ص 142.

(4) - حيدر علي نوري ، الجريمة الإرهابية، المرجع السابق، ص 222، 223.

بين العنف والتهديد، كما وسعت نطاق العنف وربطته بكل ما من شأنه التأثير على الإرادة.

أدى الاختلاف الواقع بين النظريتين السابقتين إلى ظهور اتجاه بينهما وهو ما يعرف.

-نظرية العنف بوصفه وسيلة لارتكاب السلوك الإجرامي: كل وسيلة غير مشروعة يلجأ إليها الجاني لارتكاب السلوك الإجرامي الذي اتجهت إليه إرادته في سبيل ارتكابه.

بناء على ما سبق يمكن أن نجمع تعريف العنف بأنه: اتحاد الإرادة مع الفعل والوسيلة قصد ترويع الضحية بفعل إلحاق الأضرار.

## 2\_ أقسام العنف:

مما سبق بيانه، يمكن تقسيم العنف باعتبارين؛ اعتبار الآليات التي تساهم في تحقيقه، أو من خلال النظر إلى مدى المشروعية من عدمه:

### أ\_ باعتبار آلياته:

يقصد بالآليات استخدام العنف تلك الوسائل المعتمدة في الفعل عنف، وقد امتازت بالتنوع، غير أن أهمها لا يخرج عما يلي:

**العنف اللفظي:** بالكلمات الجارحة، سواء العادية أم الخارجة عن الآداب.

**العنف المادي:** تجاوز اللفظ إلى المباشرة المادية باليد أو بألة وسلاح.

**العنف بالإيحاء أو الدلالات الرمزية:** الإشارة بما يفهم منه التهديد والوعيد.

### ب\_ العنف من حيث المشروعية من عدمها:

- **العنف المشروع:** هو كل عنف أو سلوك بأي نوع من الأنواع السابقة، والتي يقصد بها استرداد حق أو تثبيته بوسائل مشروعة، ويتجلى في أفعال المقاومة الذاتية أو الجماعية على حق مكتسب بطريقة شرعية.

- **العنف غير المشروع:** هو كل سلوك يستخدم الآليات السابقة، التي يقصد بها الاستلاء على حقوق الآخرين أو العمل على انتزاعها منهم دون وجه حق.

أفرز هذا النوع وضعيات حقوقية تفرض نفسها على مخالفة التعاريف السابقة أو الاستغناء عنها

وأمثلتها كثيرة، ونقصد بها التقادم التاريخي للقضية، والنماذج كثيرة، خاصة في ظل التاريخ الاستعماري للعالم الغربي، ومثاله حقوق الهنود الحمر، أو الجنوب أفريقيا، أو كالدونيا الجديدة وغيرها من الإفرازات الاستعمارية، أو الحدود الدولية الحديثة، والتي قسمت شعوبا أو دويلات صغيرة .

بمعنى هل يمكن أن يفرز لنا العنف غير الشرعي وضعيات حقوقية يمكن أن تفرز لنا وضعاً ينتقل فيه من الحق غير المشروع إلى الحق المشروع وفقا لمعطيات الواقع، التي لا يجب أن تتغير لإحداثها آثار جانبية لو تغير الواقع الفعلي؟

### 3- مجالات العنف:

من خلال القراءة الواقعية والتاريخية للممارسات العنيفة، نجد مجالات العنف تتمحور إما على العنف الديني، وهو الغالب في الاستخدام الإعلامي المعاصر، أو العنف السياسي، ثم العنف الأسري، والحاصل ارتباط العنف بنوعه الموضوعي المستخدم، وفي هذا المقام لا يسعنا التطرق لجميع مجالات العنف، لذا سنقصر حديثنا على نموذجين أساسيين، هما: العنف الديني والعنف السياسي، لارتباطهما الوثيق بموضوع دراستنا.

#### أ- العنف الديني:

ارتبط العنف في أغلب الأحيان في العالم المعاصر بالأديان، ويكاد يكون لصيقا به خاصة الإسلام، والغريب في الأمر أن العنف الديني بدأ لصيقا بالعنف الديني اليهودي، ثم تظافرت الجهود في محاولة مستمرة لإصاقه بالإسلام.

إن السؤال المطروح هنا، هل يمكن أن يكون الدين مصدرا من مصادر العنف؟

هنا يمكن القول؛ إن الرسالة في الغالب هي جواب عن هذا السؤال أساسا، باعتبار دورها عليه، لكن هل يرتبط الدين كدين بالعنف، فيؤسس له في جميع الأديان؟

يرتبط الجواب عن هذا السؤال بمعية مفهوم العنف، وأشكاله، ونوعية ممارساته، ولاتضح الرؤية وحب دراسة هذا الموضوع انطلاقا من تفريراته النصية؛ أي بالعودة إلى المصادر الدينية المعترف بها عند أصحابها، ثم تطبيقاته في التاريخ الديني المنصوص عليه، وذلك للوقوف على النموذج الرسالي للنص، وطبيعة الشخصية المنشودة.

بالعودة إلى دين الإسلام وحب التنويه إلى تداولية التوظيف الإعلامي في النصف الثاني من القرن العشرين حتى يومنا هذا، حيث نجد الإعلام بشكل عام يصنف الإسلام على أنه مصدر رئيس للعنف والإرهاب في العالم، وفقا للنماذج المختارة للعرض انطلاقا من أحداث دامية، سواء في العالم الإسلامي، ونموذج ذلك أحداث العشرية السوداء في الجزائر، أو أبرز الأحداث العالمية، ونموذج ذلك حدث 11 سبتمبر المشهور، ومهما كان من الأمر؛ فإن ما حدث ليس له علاقة بالإسلام ولا النصوص الدينية؛ بل ولا بالصورة الدينية المنشودة للفرد المسلم، سواء في سلمه أم حربه، وبذلك فالصورة السلبية والسيئة للإسلام والمسلمين، لا تخرج عن المثل القائل: "رمتني بدائها وانسلت"، وهو ما تروّج له المراكز الإعلامية التي تتبنى الأطروحات الاستشراقية حول دلالة الجهاد والقتال في الإسلام.

فالعودة إلى النماذج النصية من القرآن الكريم والسنة الشريفة، أو النماذج العملية في قتال النبي صلى الله عليه وسلم أو أصحابه تعد كافية للفصل في ذلك

أما بالعودة إلى الأديان (الرسالات السماوية) الأخرى، والنموذج هنا هو البناء النصي للكتاب المقدس العبراني ودلالة مفهوم الآخر، فهو فقط يعطينا حقيقة من العنيف وصاحب العنف، خاصة إذا ما ارتبط بالممارسات الصهيونية المعاصرة، "وحتى القديمة سواء بحسب رواية النص التوراتي نفسه، أو الممارسات المتقطعة في المجتمعات التي عاش فيها اليهود على مر الزمن ومثاله القرابين البشرية"<sup>(1)</sup>.

فالعنف إذن كان يطلق على الصهيونية كصورة من الصور التي قدمت نفسها للعالم عامة وللعالم العربي والإسلامي خاصة، وحتى "وإن حور إلى العالم الاسلامي إلا أنه يبقى لصيقا باليهودية والصهيونية).

وبتجاوز اليهودية والمسيحية (الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش)، نتجه شرقا أين نجد العنف البوذي مسلطا على المخالفين خاصة المسلمين وما حدث في الفلبين وبمسلمي الروهينغا ليس ببعيد، وقريب منه العنف الأيديولوجي الممارس على مسلمي الإيغور من قبل الصينيين، بل والأقرب منه العنف الذي مورس باسم البعد العرقي الممزوج بالتزعة الدينية المسيحية في أفريقيا الوسطى ورواندا، وباقي جنوب القارة الافريقية.

(1) - للتوسع ينظر: فتحي محمد الزغبي، القرابين البشرية والذبايح التلمودية عند الوثنيين واليهود، (د. ط)، ((د. م. ن)، دار الآفاق العربية، (د. ت)، و تيسر أبو شوشة وسيد عبد الحليم (مبحث وتحقيق)، الذبايح البشرية للكعبة التلمودية، ط1، (عمان: مؤسسة أمون للاستثمار والنشر، 2002)، ص137-140.



بذلك نجد أن الدين يعد مسوغا سهلا في التوظيف للمآرب الأيديولوجية— والسياسية مهما كانت نسبتها.

#### ب- العنف السياسي:

هو تلك الممارسات التي يكون مصدرها الإقصاء السياسي، سلبا وإيجابا، بمعنى تداولية الاستخدام العنفي بين السلطة والمعارضة في الغالب الأعم.

مما سبق يمكن القول إن نوع العنف يتعين بناء على مضمونه ومنطقاته وأهدافه، وقد تجتمع فيه كثيرا من الأنواع وقد ينفرد، وقد يوظف بعضها بعضا.

#### 4- مصطلحات ذات صلة:

تندرج تحت مسمى العنف أو تساويه جملة من المصطلحات التي لها صلة وثيقة به، وقد درجت في الاستخدام الأدبي أو السياسي أو الاعلامي، نذكر منها: التزمت، التطرف، جرائم الحرب، العنصرية، الإرهاب، وستقتصر على دلالة المصطلحات الأخيرة: جرائم الحرب، والعنصرية، والإرهاب، باعتبارهم لصيقيين بمفهوم العنف الصهيوني.

#### أ- جرائم الحرب:

هي جرائم وأعمال العنف التي ترتكب خلال الحرب أو ضد أسرى الحرب أو الجرحى أو السكان المدنيين أو القتلى.

لقد حاولت الحكومات والمنظمات الدولية عبر التاريخ تنظيم الحرب وتخفيف عنفها وأثرها المدمر، خاصة بالنسبة للمدنيين والجرحى وأسرى الحرب، بالإضافة إلى الحفاظ على الممتلكات الخاصة، والآثار الإنسانية الهامة، والمستشفيات، وأماكن العبادة، ولكن جميع المحاولات لم تستطع منع وقوع حوادث الاعتداء على المدنيين وممتلكاتهم، وقتل الجرحى والأسرى، أو تعذيبهم وتدمير الآثار الإنسانية وتدنيس أماكن العبادة، وكلها جرائم كبيرة لأنها تطبع الحرب بطابع وطني<sup>(1)</sup>.

(1) -فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، (د. ط)، (عمان: دار أسامة، 2003)، ص63.

## ب- العنصرية:

هي نظام متكامل وممارسة قائمة على فرضية تقول؛ إن العامل المقرر في خصائص وقدرات البشر هو الانتماء العرقي وبأن العناصر العرقية تتفاوت نوعيا لا من حيث الشكل فحسب، بل من حيث القدرة الفكرية، والاخلاقية، والاجتماعية"<sup>(1)</sup>.

إذ تعتبر النظرية العنصرية غطاء فكريا وتبريريا علميا كاذبا للهيمنة والاستغلال والاضطهاد، كما أنها كثيرا ما تكون وسيلة خداع، وهي تعارض مفاهيم المساواة والعدالة والكرامة الانسانية، وقد تعرض العلماء لقضية العنصرية ولما يسمى بالتفوق العنصري أو العرقي وأشبعوها درسا وتحليلا، وتبين لهم تهافت الإدعاءات القائلة بوجود فروقات بين البشر.

## ج- علاقة العنصرية باليهودية والصهيونية:

تدعو الصهيونية إلى الحفاظ على نقاء العنصر اليهودي، وتعتبر أن اليهود هم شعب الله المختار، وقد استمدت العنصرية الصهيونية أفكارها بناء على أن الرب فضل اليهود على سائر الشعوب، وكذلك الأفكار التلمودية التي تدعو إلى ضرورة ممارسة ضروب مختلفة من التمييز بين اليهودي وغير اليهودي، وهو ما وجد فيه الصهيوينيون معينا خصبا لأفكارهم، فتنبؤا منها ما يتناسب مع أيديولوجيتهم"<sup>(2)</sup>.

## د- الارهاب Terrorism:

الإرهاب ظاهرة أصبحت حديثا محور اهتمام المنظمات الدولية والدول والافراد، وحينما أشاعت القوى الاستعمارية، والعنصرية، والصهيونية، وقوى أخرى مصطلح الإرهاب الدولي، أو تحدثت عنه في سياساتها ومواقفها، خلطت فيه بين الإرهاب الإجرامي بنضال الشعوب في سبيل تقرير مصيرها، وكفاح الجماعات ضد الظلم الاجتماعي، وقد أحدث هذا الخلط المقصود تشويشا في منهجية معالجة شؤون الإرهاب الدولي بتعاريفه، ومفاهيمه ومنظّماته، وعملياته، والأسباب الكامنة وراء التدابير لمكافحته.

يبقى تعريف الإرهاب محل اختلاف، حتى أن بعض الدول كالولايات المتحدة تتبنى أكثر من تعريف واحد في الوقت نفسه، خدمة لأغراضها السياسية.

(1) -عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، مادة (ع ن ص ر)، مج 4، ص 249.

(2) - المرجع نفسه، مج 4، ص 253.

فقد عرفه البعض بأنه: "مجموعة من الأعمال التي تدينها جميع الدول، أيا كانت مشارعها اتجاه القضية التي يدعي مرتكبو هذه الأعمال أنهم يناصرونها"، فيما ذهب آخرون إلى أنه: أي عمل من الأعمال العنف يتهدد الأرواح البشرية البريئة بالخطر، لكن دوليا كما سبق القول لم يحدد الإجماع على تعريف واحد<sup>(1)</sup>.

كذلك عرف أنه: "ممارسة الأعمال العنيفة ضد مصالح الغير سواء أكانت فردية أو جماعية، أو التطرف يمينا أو يسارا عن مبدأ أساسي في حياة البشر، فالإرهاب يعلن مبدأ "أكل اللحوم وسفك الدماء سيان" Meat Is Murder، ويستثنى من مسمى الإرهاب كل مقاومة مشروعة لاستعادة حق مغضوب<sup>(2)</sup>.

#### والإرهاب بحسب فاعله يمكن أن نقسمه إلى :

**إرهاب الدولة:** هو الذي تقوده الدولة من خلال الأعمال والسياسات الحكومية، والتي تستهدف نشر الرعب بين المواطنين<sup>(3)</sup>.

قد تستعين الدول بنظرية القهر Coercion Theory التي تؤكد الحاجة إلى القوة والعنف لدعم النظام السياسي، وتحقيق الطاعة والامتثال<sup>(4)</sup>.

أو هو ذلك الذي يستخدمه كيان محتل لإرهاب وترويع السكان الأصليين، ويضاف إليهم من يساعده في تحقيق ذلك، ومثاله القضية الفلسطينية، وهنا نكون أمام إرهاب دولي جماعي .

**النوع الثاني هو الإرهاب الفردي،** وهو الذي يستخدمه أفراد محددون لتخطي الحقوق الفردية، وقد ينتقل إلى الإرهاب الفردي ذي الطابع الجماعي إذا شارك فيه مجموعة أفراد، فإن كانوا منظمين تحت مسمى ديني أو سياسي فهو إرهاب جماعي، لكنه دون الإرهاب الدولي الجماعي.

(1) - فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج 1، ص 13، 14.

(2) - اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، موسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي-انجليزي)، (د.ط)، (د.م.ن)، (د.ت)، ص 34.

(3) - المرجع نفسه، ص 35.

(4) - المرجع نفسه، ص 462.

ثانيا: الصهيونية:

### 1- التعريف اللغوي:

يرجع مصطلح الصهيونية في أصله اللغوي إلى "صها"، بمعنى ييس وجف، فيما يرجعه آخرون إلى كلمة "سوّى" بمعنى أقام، ويرجعها آخرون إلى "صان" بمعنى حمى، ويذهب آخرون إلى ربطها بالكلمة العربية "صهوة" التي تعني قمة الجبل أو القلعة، وهو ما يطابق معنى موقع المدينة، حيث كانت تدعى أصلا "حصن صهيون" (1).

### 2- التعريف الاصطلاحي:

يمكن تعريف الصهيونية بناء على مضمونها وفقا لما يلي:

- **التعريف الجغرافي:** ويقصد بالمصطلح؛ الجبل جنوب غربي القدس، يحج إليه اليهود، وقد تشير إلى القدس في الأدبيات اليهودية، وهي مدينة داوود، وهي جبل الهيكل، كما تسمى مدينة الله، كما يتم استخدامها على مدينة أورشليم مجازا.

- **التعريف الديني:** هو المكان الذي سيبعث ويولد الشعب اليهودي منه، وهي أم اسرائيل ويقصد بها مدينة القدس.

- **التعريف السياسي:** هي حركة عنصرية دينية استيطانية إجلائية مرتبطة نشأة وواقعا ومصبرا بالإمبريالية العالمية، تطالب بإعادة اليهود إلى أرض فلسطين.

### 3- النشأة:

يرجع نسبتها لاشتقاقها من صهيون لـ: **ناتان برنباوم** 1890، ليصف بها "تحول تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين من البعد الديني الماشيحاني القديم إلى برنامج سياسي استعماري إقليمي يستهدف "عودة الشعب اليهودي" إلى فلسطين". (2)

### 4- العلاقة بين العنف واليهودية والصهيونية :

يمكن توظيف نظرية الاستثارة Stimulating Theory لفهم مدلول العلاقة، فالنظرية تعني: "نظرية

(1) - دائرة المعارف الكتابية، مادة (ص ه ي ون)، ص 54.

(2) - اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، 659.

الحافز وتدرس مجال تأثير العنف الذي تقدمه وسائل الإعلام، ولذلك تسمى نظرية المزاج العدواني Aggressiv Cue، وتفترض النظرية أن التعرض لحافز أو مثير عدواني من شأنه أن يزيد من الإثارة السيكولوجية للفرد، وهذه الإثارة يمكن أن تزيد من احتمالات قيام الفرد بسلوك عدواني<sup>(1)</sup>.

بتطبيق هذه النظرية تُطعم بالدعاية الدينية والصورة المرسومة من خلال المخيال الديني لصورة اليهودي المضطهد عبر التاريخ، وبعث آمال إحياء التاريخ المقدس، ولا سلوك لهذا الأمر إلا بالعنف المادي.

في هذا الصدد نجد هرتزل في "مبحث النفسية والقومية"، يرى أن اليهود الذين هم شعب الله تواقون للإحساس بالشرف والكرامة، ومن هنا، فاذا استطاع شخص أن يعبتهم تحت هذا الشعار، فإنه يمكن له أن يقودهم"، وهكذا اقنع هرتزل اليهود أنه لا سبيل أمامهم سوى تبني الصهيونية كأيديولوجية سياسية، تؤدي مع الزمن إلى إنشاء دولة إسرائيل التي سيستشعرون تحت علمها بالشرف والكرامة<sup>(2)</sup>.

من هنا رأت الصهيونية أن الحل الوحيد لمأساة اليهودي هو الانسحاب العملي من الواقع الغربي والعمل على إيجاد حل إقليمي قومي لليهود.

ويربط المسيري بين مفهوم القداسة وتوظيفه في الممارسة الصهيونية، ويبين توزيعها على تصورات بين مختلف أطراف اليهود، فالقداسة هي الخالق بالنسبة للمتدين، وهي روح الشعب بالنسبة للملحد بل تتجاوزها إلى الممتلكات القومية للشعب، وفي ذات السياق يحدد ان الصهيونية استولت على العقيدة اليهودية تماما بحيث خلقت في ذهن الكثيرين ترادفا شبه كامل بين الصهيونية واليهودية رغم ان اباة الصهيونية الاوائل كانوا ملحدين<sup>(3)</sup>.

يمكننا أن نستنتج من خلال ما سبق ان العنف الصهيوني يمارس على نوعين:

#### – العنف ضد الآخر:

وهو غير اليهودي، ويتجلى بالأخص ضد الفلسطينيين (وهو موضوع رسالتنا).

(1) – عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، م3 ج، ص 459.

(2) – السيد يسين، الأسطورة الإسرائيلية والانتفاضة الفلسطينية، ط1، ((د. م. ن)، المطبعة الذهبية، 2001)، ص 23.

(3) – عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهود، م 5 ص 36، ص 3.

### – العنف ضد اليهودي:

يمتد هذا النوع إلى الممارسة الداخلية في الكيان الصهيوني ، وهو ما يعبر عنه بالضغط الديني والذي يصنف عند رافضيه تحت مسمى: "التعدي على الحريات الشخصية للفرد الإسرائيلي" .

من هنا نجد القانون الديني للأحوال الشخصية والذي أصرت دار المحاكمية على إدخاله في صلب مجموعة القوانين الإسرائيلية يعمل على تفريق " الأمة " (يقصد اليهود) وهو ما حدا بإنشاء " رابطة محاربة الإكراه الديني " سنة 1950 من طرف شخصيات تنتمي إلى أصول ألمانية وأوروبية وسطى، بل وحدا بهم إلى الدعوة إلى الفصل بين الدين والدولة لتحقيق هذا الهدف<sup>(1)</sup> .

ناهيك عن الممارسات ضد باقي اليهود خاصة السامريين ويهود الفلاشا.

بناءً على ما سبق بيانه ، يمكن إعطاء تعريف للمركب الإضافي: **العنف الصهيوني** بأنه:

" تلك الممارسات العنيفة الواقعة على كل من يقف ضد إقامة المشروع القومي الديني اليهودي على أرض فلسطين " ويكون بالباشرة على الأراضي الفلسطينية، وقد يمتد خارج الأراضي الفلسطينية ولا يشترط يهودية الدين لكي يكون الفرد صهيونياً بل يكفي أن يكون مناصراً للقضية الصهيونية.

(1) – اسعد رزوق ، الدين والدولة في إسرائيل ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث بيروت 1967، ص 140 الى 144.

الفصل الأول:

مصادر الفكر الديني اليهودي وولادتها  
على العنف

تمهيد:

انطلاقاً من الإيمان بقدسية النصوص الدينية يشكل الدين اليهودي بمصدره الكتاب المقدس والتلمود مصدراً أساسياً للتشريع والفلسفة التربوية اليهودية بالاعتماد عليه بشكل محوري في الحياة اليومية، وعلى أساس من هذا تم تفسير التاريخ، فالنص الدين يهدف إلى تشكيل أجيال متشعبة بتعاليم التوراة والتلمود، ويعمل على ترسيخ مفاهيم معينة فيهما، فضلاً عن تربيتهن جسدياً واجتماعياً وانفعالياً وعقلياً، بغض النظر عن مدى مصداقيته وما حوته من ملاحم، وهو ما يستدعي البحث في مضامينها وسياقها اللغوية.

فهل هناك علاقة للنصوص الدينية وما ترتب عنها من طروحات للفكر الحاخامي بما تعلق بالمارسات الصهيونية في فلسطين؟ أم أنها كانت نتيجة القراءة الانتقائية الموجهة للنص الديني؟ وهو ما سيكون محور دراساتنا في المباحث الموالية.



## المبحث الأول: مصادر الفكر الديني اليهودي

يستقي اليهود المبادئ الأساسية لدينهم وما يتعلق به من الفرائض والشرائع والأوامر والنواهي من كتابين أساسيين يغذيان الإيمان اليهودي، هما التناخ والمسمى بالتوراة الكتابية، والثاني التلمود أو التوراة الشفاهية<sup>(1)</sup>.

تتجلى أهمية بحثنا في هذين المصدرين كونهما يتجاوزان المفهوم الديني بما يجويانه من التراث التاريخي والثقافي والاجتماعي للشعب اليهودي، فدراستهما تعد أحد أهم العوامل المساعدة على فهم شخصية اليهود وسلوكياتهم، كما أنها تشكل مدخلاً أساسياً لفهم بدايات المشكلة اليهودية، وذلك من خلال قراءة النصوص المقدسة، باعتبارها الموجه الأساس لحياتهم والمحدد كذلك لعلاقتهم بالآخر.

### المطلب الأول: التناخ.

#### أولاً: تعريف التناخ

يعرّف اطلاق الكتاب المقدس أو الكتاب العبري في الاصطلاح اليهودي<sup>(2)</sup> مجموعة الأسفار التي أقرها أحبار المجمع الأكبر<sup>(3)</sup>، والمعروفة باسم "الأربعة والعشرين"<sup>(1)</sup> كما يطلق عليه اسم المسورت

(1)- في الاصطلاح المسيحي أطلق عليه اسم العهد القديم، تمييزاً له عن العهد الجديد، وخاصة منذ توسع الرسالة المسيحية أول من أطلق مصطلح العهد القديم على أسفار الشريعة والأنبياء وسائر الكتابات هو بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثس 14/3، بينما يعود أول استعمال له إلى ميليتو Melito أسقف سردينيا، حيث استعمل مصطلح العهد القديم في مقابل التسمية اليهودية "تناخ" نهاية القرن الثاني الميلادي، وهو تعبير ورد على لسان الأنبياء أمثال إرميا (ها أيام تأتي يقول الرب... إرميا 31/31-33). واطلاق العهد القديم يرفضه اليهود كونه يعبر عن المفهوم المسيحي الذي يرى أن العهد المعطى لبني إسرائيل هو عهد قديم حلت محله كتب رسولية تنص على عهد جديد معطى للأمم المسيحية الجديدة. (مراد كامل، الكتب التاريخية في العهد القديم، د. ط (معهد البحوث والدراسات العربية، 1968)، ص 6 وصموئيل يوسف، مدخل إلى العهد القديم (الكتب المقدسة)، ط 2، (القاهرة: دار الثقافة، 2005)، ص 31)

(2)- هلال فارحي، أساس الدين "تعاليم الديانة اليهودية وقواعد إيمانها"، سلسلة اليهودية بأقلام يهودية، د. ط، (لبنان: دار ومكتبة بيبليون، 2014)، ص 8.

(3)- هو المجمع العلمي والديني الأعلى عند اليهود، يرى اليهود أنه تأسس بعد الرجوع من الأسر البابلي على يد عزرا، وكان مؤلفاً حينها من 120 عضواً من الأحبار أنيطوا بالنظر في الشؤون التشريعية والسياسية للشعب اليهودي، فوضعوا الصلوات اليومية المعتمدة في الزمن الحالي عند اليهود، وكان من بين أعضائه عزرا ونحميا وزروبابل ودانيال وحجي وملاخي وزكرياء ومردخاي وشريا ورعليا. ويرى الباحثون أن سلطة المجمع استمرت حتى سنة 70م، بعد خراب أورشليم، ثم أعيد تأسيسه على يد الإمبراطور الروماني أنتونينس بيوس "138م-161م" وتوارث رئاسته نسل عائلة هاليل لما يزيد عن 300 سنة. (أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

MASSORETE<sup>(2)</sup><sup>(3)</sup>. وكذا المقرأ تمييزا له عن المشنا والمدراش التي كانت تدرس شفاهة<sup>(4)</sup>.

وتقدم نصوص الكتاب العبري من حيث المحتوى، مجموعة الوصايا والفرائض الإلهية "متسفوت מצוות"<sup>(5)</sup> داخل رواية سردية طويلة، تأخذ سياقات متباينة من: الروايات التاريخية، الخطب الشعرية،

تظهرها المكتشفات الأثرية، ط2، (دمشق: العربي للإعلان والطباعة والنشر، دت)، ص148 وأ. كوهين، التلمود "عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخاميين حول الأخلاق، الآداب، الدين، التقاليد، القضاء"، ترجمة جاك: مارتى، ط1، (بيروت: دار الخيال للطباعة والنشر، 2005)، ص18، وهلال فارحي، أساس الدين، ص8).

<sup>(1)</sup>-يسجل هنا اختلاف في عدد الأسفار فيميل اليهود الى القول بأنها 24 سفرا، فيحسب صموئيل والملوك والأخبار سفرا واحدا، وعزرا ونحميا، والأنبياء الصغار الإثني عشر، فيكون المجموع 24 سفرا في النسخة العبرية، ويذهب الحبر هلال فارحي إلى القول بوجود موافقتها لحروف الأبجدية العبرية فهي عندهم 22 سفرا، يضم روث إلى القضاة ومرثي إلى إرميا ويرى أن الأصل في ذلك اعتماد 39 سفرا، وهذا العدد هو الذي تم قبوله في النسخة البروتستانتية، في حين تشمل النسختين الأرثوذكسية والكاثوليكية 46 سفرا بإضافة الأسفار الخفية "الأبوكريفا"، ولم تكن مقدسة أو معتمدة إلا من قبل طائفة الأحبار. هلال فارحي، أساس الدين، ص8، وستيفن. م. ميلر وروبرت. ف. هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ عهد التكوين وحتى اليوم، ترجمة وليم وهبه، ط1، (القاهرة: دار الثقافة، 2008)، ص55).

<sup>(2)</sup>-من الفعل **מנ**- نقل، ومعناها التقليد والنقل، والمسورت هي التسمية الرسمية للتوراة العبرية في صورتها النهائية بعد جملة التعديلات والإضافات التي قام بها الماسوريون من القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن الحادي عشر، وهم جماعة من علماء اليهود أوكلوا إلى أنفسهم مهمة إعادة بناء وضبط النص وتصويبه وتحقيق كماله، ومن أجل ذلك أدخلوا على النصوص بعض التعديلات والتصحيحات بناء على مارأه خاطئا، وهي تتضمن ملاحظات كتابية في الهامش مع إحالات لضمان نقلها الدقيق مثل إضافة نقاط حروف العلة فوق الحروف الساكنة وإضافة نظام حركات رابطة وفاصلة لتمييز الترتيل... أطلقوا على هذه التعديلات اسم المسورت كإحاطة وقائية للنص، وهي قوام العهد القديم الحالي MM. Bacuez et Vigourox, Manuel Biblique ou cours d'écriture sainte, à L'usage des Séminaire, Ancien Testament, 6e éd, (Paris, Maison Jouby et Roger, 1888), T1, p153 وويليم. أي. فانجيميرن، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم (عبري-عربي)، ط1 (القاهرة: مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2009)، ج1، ص51-52، ورشاد عبد الله الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، (القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2002)، ص194.

<sup>(3)</sup>-هلال فارحي، المصدر السابق، ص8.

<sup>(4)</sup>-رشاد عبد الله الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص301.

<sup>(5)</sup>-يعرفها علماء اليهود بأنها مجموع الأوامر والنواهي التي تضمنتها التوراة، إضافة إلى أوامر الكتبة والحاخامات، وتنقسم إلى فرائض بين الإنسان والمكان وفرائض بين الإنسان ورفيقه، وعددها 613 وصية. بما فيها الوصايا العشر، وهي كما بينها موسى بن ميمون، منها 248 وصية إيجابية، و365 وصية سلبية، ويرى المفسرون اليهود أن عدد الوصايا الإيجابية بعدد أعضاء الجسم وأن القصد من هذا التقسيم أن كل عضو يطلب من الإنسان أن ينفذ وصية من الوصايا عن طريقه، وإن عدد الوصايا السلبية بعدد أيام السنة حيث يقول كل يوم للإنسان لا تفعل بي معصية، لكي لا يكونوا تحت غضب الله، ولا يقاصصهم في الدينونة الأخيرة. ويضاف إلى الوصايا السابقة، سبعة أحر تعرف بوصايا نوح، ويعتقد اليهود أن هذه الوصايا نزلت في خيمة العهد ثم في الهيكل، وقد جمعت هذه الوصايا في قصائد

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولائها على العنف

الملاحظات الأخلاقية، العناصر الرمزية، الحوارات، النصوص،<sup>(1)</sup> ويراد بهذه المجموعة النصوص الشرعية التي قبلها علماء اليهود قديما، وقد أطلق عليها اسم تناخ اختصارا لأسفار الشريعة والأنبياء والكتب، كمكونات أساسية للكتاب العبري<sup>(2)</sup>، وهو اطلاق نتيجة أن أسفار الكتاب العبري لم تكتسب قانونيتها<sup>(3)</sup>، دفعة واحدة، بل تم ذلك على مراحل<sup>(4)</sup> بحسب تدوين وتثبيت مادتها، حيث استمرت صياغتها التي شارك فيها مؤلفون كثر لأكثر من ألف سنة، خضعت في خلالها إلى الإضافة والتنقيح<sup>(5)</sup>.

منها قصيدة سليمان بن جبيرول، وأهمل بعضها لعدم مسابته لروح العصر. (شريعة موسى حسب بن ميمون والمشنا مع الوصايا العشر في ضوء الإنجيل، ط1، ستغرت، ألمانيا، 2008، ص6، ورشاد عبد الله الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص197)  
Philippe Haddad, Midrash Pensée Liberante D'Israel, Premier colloque International, D'études Midrashiques, (France, 20 et 21 Aout 2005), p10.<sup>(1)</sup>

<sup>(2)</sup> -هلال فارحي، أساس الدين، ص8.

<sup>(3)</sup> -ترجمة من الكلمة اليونانية "قانا" qaneh ذات الأصل البابلي وتعني عصا طويلة ومستقيمة للقياس، استخدمها آباء الكنيسة الأوائل أمثال كليمنت الاسكندري Clément d'alexendrie وتحديدا بمعنى "قياس الحقيقة"، كما استعملها بولكرات Polycrate بمعنى "قياس العقيدة" واستخدمها إثناسيوس أحد آباء الكنيسة في القرن الرابع للدلالة على قرارات مجمع أنطاكية الكنسي سنة 341م، وبالمعنى المجازي إستخدم اللفظ في سفر المكابيين بمعنى "قانون الحكمة" والأسفار القانونية هي المعتمدة رسميا من الأسفار المقدسة من العهد القديم كأساس للعقيدة والأخلاق، ويعتبر فيلون أول من أطلق مصطلح الأسفار القانونية، A. Loisy, Histoire du canon de L'ancien Testament, Leçons d'écritures saintes, l'écriture en théologie, (Paris, Letouzey et Ané éditeure, 1890), p4 وضموئيل يوسف، مرجع سابق، ص31-32

<sup>(4)</sup> -أدى إنتشار الكتابة غير القانونية (الأبوكريفا) في العهد المكابي إلى الإهتمام بالأسفار الشرعية ومقاومة تلك الكتابات إلى حد إنكار الترجمة اليونانية، وبقي الجدل قائما حولها بين اتباع الديانتين اليهودية والمسيحية، كما أورده الحاخام كوهين، ويجمل العلماء أمثال لوازى تاريخ قانونية أسفار العهد القديم في ثلاثة مراحل كبرى، اتسمت بما نهاية تضمين أسفار العهد القديم، وهي مرحلة التكوين والحيازة السلمية تبدأ وفقا للتقليد اليهودي منذ أن أوحى به رسميا إلى نهاية القرن الثالث الميلادي تم خلالها الاعتراف بقانونية التوراة في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم أسفار الأنبياء في القرن الثالث قبل الميلاد، ثم الإقرار بقانونية الكتب الأخرى في القرن الأول الميلادي فيما أطلق عليه مجمع جنينا سنة 90م، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التردد والشك في قانونيتها، وتبدأ من القرن الرابع الميلادي، وتستمر حتى منتصف القرن السادس عشر، تليها المرحلة الثالثة مباشرة، وهي مرحلة التأكيد والقطع بإعتقاد مجمع ترانت 1547 وتعريفه للأسفار على أساس عقائدي والإعتراف بقانونيتها. A. Loisy, Histoire du Canon de L'ancien Testamen, Ibid, p7.

ووليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج7، ص496.

<sup>(5)</sup> -فؤاد حسنين على، التوراة المبروغليفية، د. ط (القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر)، ص30.

### ثانيا: أسفار التناخ ومضامينها:

بصرف النظر عن مدى مصداقية نصوص التوراة، فإننا نعتمدها في دراستنا من منطلق إيمان اليهود بحرفيتها، وباعتبارها الموجه الأساس للسلوك اليومي، بما يطرح السؤال الآتي: كيف يستمد الفكر الديني اليهودي عموما والفكر الصهيوني خاصة، فلسفتهما؟.

نسعى في هذا الصدد إلى التعريف العام بمكونات الكتاب العبري، كما نحاول الاكتفاء قدر الإمكان بعرض موجز وبيان مجمل لمضامينه، دون التطرق المفصل إلى الدراسات النقدية لمصدريته إلا ما اقتضته الدراسة، وفي الوقت ذاته نهدف إلى الوقوف عند ماله علاقة بموضوع بحثنا، وهو سياقات النصوص ومدى دلالتها على العنف، وكيف كانت القراءة الصهيونية لتلك النصوص؟، وهل تم توظيفها كمسوغات للاحتلال وممارسة العدوان على أرض فلسطين.؟

تعد نصوص التناخ النواة الأساسية للعقيدة اليهودية، وكل ما يتعلق بالنظام العام للحياة العملية لليهود، تصف تاريخهم منذ الخليقة وحتى دخوله أرض فلسطين، ويعتقد اليهود أنها أساس وجود الشعب الإسرائيلي ونقطة الانطلاق لتراثه الشرائعي والتقليدي والروحي<sup>(1)</sup>، وتتوزع هذه الأسفار وفق النسق اليهودي على ثلاثة أقسام وفقا لدرجة قداستها؛ فالتوراة، أهم كتب الكتاب المقدس، ثم الكتب ملحقة بها هي؛ أسفار الأنبياء والكتب.

### I. التوراة:

لفظة "توراه" مشتقة من الفعل يروي 776. بمعنى يعلم ويرشد، ومنها جاء اسم المعلم، وفي حال إطلاقها يراد بها التعاليم والشريعة، وهي تتضمن القانون المدني والقصصي من الأسفار الخمسة<sup>(2)</sup>، وتترادف كلمة "توراه" في الأدبيات اليهودية مع الوصايا (خروج 12/49)، والأوامر والأحكام، وتشتمل على القوانين والطقوس وعلى 613 وصية التي أوصى بها الله اليهود، وتحتوي على الأخبار التاريخية عن بني إسرائيل حتى سنة 240 ق م، ثم استخدمت للدلالة على أسفار الشريعة، كما يتم إطلاقها على جملة التعاليم والأحكام والوصايا، ويراد بها أيضا التعليمات الدينية والأخلاقية والعملية، وفقا لما جاء التعبير

<sup>(1)</sup>-مصطلحات ومناسبات وتواريخ وشخص صهيونية، قسم الدراسات بدار الجليل، ط1، (الأردن: عمان، دار الجليل للنشر والتوزيع، 2008)، ص، 51

<sup>(2)</sup>-هلال فارحي، أساس الدين، ص9، ويليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج7، ص765.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الربني اليهودي وولادتها على العنف

عنه في سفر الأمثال (8/1).<sup>(1)</sup>

والتوراة وإن كانت في أصلها -بما يوافق رسالات الأنبياء- هي مجموع الوصايا التي تحمل معنى الهداية والإرشاد، حيث أخذت هذا الاسم صفة لها كما أوردها القرآن الكريم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة: 44]، فإن هذا الوصف كان قبل تحريفها، وبحسب التقليد اليهودي انتقلت أسفار الشريعة إلى شعب إسرائيل عبر الوسيط موسى، وكتب جزءا منها بعد نزوله من جبل سيناء (خر 3/24)، والباقي تمت كتابته في نهاية الأربعين سنة من عبور الصحراء في طريقهم إلى أرض الميعاد (تثنية 31/24-26)، وتعرف هذه الليفة بـ "سيفر هابيريث" שפר הברית - كتاب العهد"، لأنها تمثل الرابط بين الله وشعب إسرائيل (خر 7/24)، وفي كتاب (ملاخي 3/22 ونحميا 1/8) تعرف بـ "توراة موسى"، وقد ظلت مرجعا أساسيا للأنبياء في عظامهم للناس وتوبيخهم على خطاياهم وميلهم إلى الوثنية وأخطائهم الأخلاقية، ويعتقد أن هذه الليفة التي غالبا ما استعملت في الكتاب العبري بهذا المعنى، قد وضعت في تابوت العهد بالقرب من الوصايا العشر التي كان موسى قد نحتها على اللوح (خر 4/34)<sup>(2)</sup>.

كما يستخدم الاسم اليوناني "البننتايوك"<sup>(3)</sup>، الذي يعني الكتاب ذو الأسفار الخمسة، وقد أطلقه اليونان بعد الترجمة السبعينية<sup>(4)</sup> تحديدا للتعريف بالأسفار الخمسة الأولى من التوراة الحالية ترجمة للكلمة

<sup>(1)</sup>- هلال فارحي، المصدر نفسه، ص 9-10

<sup>(2)</sup>-Philippe Haddad, La Torah, (Groupe Eyrolles 2010), p26.

<sup>(3)</sup>-نسبة إلى "بنتا" باليونانية أي خمسة، وتوكس ليفة، ويرجع الحاخام كوهين مصدر هذه التسمية إلى شرح هذا العدد وهو ظهور الكلمة "نور" خمس مرات في فقرات الخلق الأولى من الإصحاح الأول من سفر التكوين، فكانت كل كلمة بحسب ورودها تشير إلى سفر بعينه. أ. كوهين، مصدر سابق، ص 203-204 وسهيل ديب، التوراة تاريخها وغايتها، ط6، (بيروت: دار النفائس، 1406هـ-1986م). ص 19.

<sup>(4)</sup>-من أقدم وأشهر الترجمات القديمة للتوراة إلى اليونانية وتعرف أيضا بالترجمة الإسكندرانية، تمت برعاية الحاكم اليوناني بطليموس فيلادلفيوس 285-274 ق. م، حيث قام 72 خبيرا من علماء يهود مصر بترجمة الأسفار الخمسة، باعتمادهم على النص العبري الذي جمعه عزرا والنص السامري، واستغرقت مدة الترجمة 72 يوما، حاول اليهود من خلالها الرفع من مستوى المصطلحات، بأقلمة

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

اليونانية "ناموس"، قانون<sup>(1)</sup>، بناء على التقسيم اليهودي لها إلى خمسة لفائف<sup>(2)</sup>، ولذلك عرفت الأسفار الخمسة أحيانا باسم توراة السبعينية<sup>(3)</sup>، وفي زمن لاحق توسع استعمال المصطلح ليشمل أسفار الأنبياء<sup>(4)</sup>، وقد تم تمديد المعنى في منتصف زمن الهيكل الثاني ليدل على جميع التفسيرات والشروح لمختلف المبادئ التي شكلت القانون الشفوي، أما بالمعنى الحصري المعتمد حاليا عند اليهود الارثوذكس، فإن لفظ التوراة تعرف به الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب العبري التي تعد عندهم بمثابة وثيقة حقوقهم الطبيعية والوراثية التي يجب نقلها وتسليمها للأجيال بالتتالي دون تعديل أو تغيير<sup>(5)</sup>. وهم يعتقدون أن موسى كتبها بيده وسلمها إلى يوشع<sup>(6)</sup> تم حفظها وصولا إلى المجمع الأكبر<sup>(1)</sup>.

النص العبري مع المصطلحات اليونانية، وقد زعم اليهود قديما أن الله أوحى إلى أولئك العلماء بكلمات ترجمتها، حيث إعتبرها فيلون وحيا من الله، كما إعتبر القائمين بها أنبياء، فلقيت قبول وإستحسان المجتمع اليهودي، كما حازت على إعتراف وقبول الأوساط الدينية والأدبية في مصر، وبأمر من فيلادلفيوس جمعت كل ترجماتها -اعتقادا بتطابقها- في ترجمة واحدة، ووضعت في هيكل الصنم سيرايون، ثم توالت ترجمة باقي الاسفار بحسب قيمتها الدينية بين الفترة 250-100 ق.م، وقد زادت هذه الترجمة سبعة أسفار أخرى على النص المعتمد عند يهود فلسطين، وقد ظهرت أول طبعة كاملة للترجمة السبعينية للعهد القديم سنة 1517م برعاية رئيس أساقفة طليطلة الكاردينال فرنسيسكو إكسيمينس Francisco Ximene، وتعتبر الترجمة السبعينية أساس مختلف ترجمات العهد القديم كترجمة أكويلا بإشراف الراي عاقيا سنة 130م، ومن أشهرها كذلك ترجمة القديس جيروم "الفولكاتا". M. L'abbé Constantin (Paris, La bible depuis ses origines Jusqu'à nos Jours, La bible chez les Juifs, Librairie Bloud et Barral, 1900), v1, p6 وبطرس عبد الملك، قاموس الكتب المقدس، ط11، القاهرة، دار الثقافة، 1997، ص771. Meyer Waxman Introduction a la vie Juive, traduit de l'anglais par Rabain (1971). Munk (Paris, édition Albin Michel, 1958), p23

(1)-ويليم أي فانجيميرين، قاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج4، ص221.  
(2)-يرجع مصدر التسمية إلى إستعمال القدماء الجلد والقماش وكذا أوراق الأشجار في التدوين، فكانوا بعد الكتابة يقومون بلفها على نفسها في شكل مطويات عند طرفيها قضيب خشبي أو معدني يلف عليه حتى تلتقي في الوسط، وكانت الكتابة على تلك اللفائف موصولة الكلمات، على عكس ما عهده العرب، وكان القارئ يلف من طرف واحد حتى يصل إلى الكلام المراد، ويجري الإعتقاد بأن قطعا من العهد القديم المعروفة باسم "ناش" التي ترقى إلى زمن المسوريين، قد نقلت فيما بعد بهذا الشكل. الأب ديلي، تاريخ شعب العهد القديم، تعريب جرجس مارديني، د ط (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1961)، ص26 وبطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ط11، (القاهرة: دار الثقافة، 2000)، ص761.

(3)-M. L'abbé Constantin Chauvin , La bible depuis ses origines Jusqu'à nos Jours, La bible chez les Juifs , p6

(4)-وليم وهبه بياوي، دائرة المعارف الكتابية، (القاهرة: دار الثقافة)، ج1، ص406.  
(5)-جوزف هرتس (الحاخام الأكبر)، تلمود اليهودية المعاصرة، ط2، (لبنان: دار ومكتبة بيبليون، 2016)، ص270.  
(6)-من النصوص التي يستشهدون بها على ذلك ما جاء في (خر17/14 و7/24، و4/27 و34/27)، و(عدد24/26)، و(تث:17/18-21 و9/31-12).



## الفصل الأول: ..... صاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

إن جوهر التوراة بالنسبة لليهود يجمع مدلول، أمر وعبادة وتعليم، فهي تصف الاستخدامات المختلفة لها، إضافة إلى ذلك أن التوراة بصرف النظر عن اشتغالها تعليميا قانونيا أو أخلاقيا فإنها تشمل استعراضا تاريخيا لماضي بني إسرائيل المتمثل في الجزء القصصي من الأسفار الخمسة<sup>(2)</sup>. وقد أدرجت مسمياتها طبقا لمضامينها وبحسب المواضيع والأفكار الرئيسية التي تناولها كل سفر منها كما يأتي:

### 1. سفر التكوين:

يعرف في العبرية بسفر الابتداء (نسبة إلى أول فعل يبدأ به وهو "ברישת בראשית" بمعنى في البدء،) إشارة إلى بدايات الخلق<sup>(3)</sup>. يوجه القسم الأول منه (الإصحاح 1-11) إلى بداية تاريخ عالمي ويدور الحديث فيه عن قصة الخليقة، وتأکید الربط بينها وبين السلالة المقدسة، ويجمع كثير من مفسري العهد القديم أن الموضوع اللاهوتي الذي يربط بين فقرات هذا القسم والذي كان محور حديث كاتب السفر، هو موضوع الوعد الإلهي للآباء<sup>(4)</sup>، ففي قسمه الثاني (من الإصحاح 36) يبدو الحديث عن عهد الله مع إبراهيم (عليه السلام) ونسله، وحياة الآباء واصطفاء شعب الله، حيث تتم عملية الانتقال المستمرة لنسل الآباء وصولا إلى نسل يعقوب، وهي العائلة المقدسة التي ستشكل نواة الشعب المختار<sup>(5)</sup>، كما يذكر السفر قصة يعقوب (عليه السلام) وبنيه، ومحنة يوسف ثم وصية يعقوب لأبنائه بدفنه في أرض فلسطين ويختتم الحديث فيه عن موت يوسف (عليه السلام)<sup>(6)</sup>. ويرى العلماء أن مادة السفر حوت مؤثرات بابلية وأخرى مصرية، مما يؤكد على تعدد مؤلفيه ونفي نسبته إلى موسى، وأنه لم يؤلف دفعة واحدة؛ بل جاء

(1)-Michel Nicolas, Études critiques sur la bible-Ancien testament, (Paris, Michel Lévy Frere, Librairie-éditeurs, 1862), p2

(2)-وليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج4، ص221.

(3)-هلال فارحي، أساس الدين، ص10

(4)-وليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج7، ص210-212

(5)- M. L'abbé Constantin Chauvin , La Bible depuis ses origine Jusqu'à nos Jours, La bible chez les Juifs, p9.

(6)-الأب ديلي، تاريخ شعب العهد القديم، ص13.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

نتيجة عمل أدبي استمر عدة أجيال متأخرة عن زمن موسى<sup>(1)</sup>.

إن الاعتقاد السائد هو وجود أكثر من مصدر<sup>(2)</sup> في تشكيل الصورة النهائية لمادة السفر في أزمنة متباينة، وأن كاتبه مجهول، ويرجح العلماء أن بداية تاريخ السفر هو القرن التاسع قبل الميلاد؛ أي متأخرة عن زمن موسى بنحو خمسة قرون<sup>(3)</sup>.

### 2. سفر الخروج:

يدعى بالعبرية "שמות" "أسماء"، ويعرف في السبعينية باسم الخروج لتناوله بقدر كبير قصة خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى (عليه السلام)<sup>(4)</sup>، أما محتوى السفر فهو يصور إقامة بني إسرائيل في مصر واضطهاد فرعون لهم، ثم خروجهم والتدخل الإلهي في منجاتهم، وكناية على ذلك يطلق

(1) بولس باسم، الكتاب المقدس أنا الألف والياء، ط3، (بيروت: دار المشرق ش م م، 1994)، ص64-66.

(2) - تمثل في اليهودي والإلهيمي والكهنوتي، يستعمل اليهودي اسم "يهوه" في التعريف بالإله، ألف اليهودي في مملكة الجنوب(850ق. م)، ، ويتميز باستعماله للمصطلحات المادية لتحقيق السمو الإلهي من خلال أشكاله وتجلياته وأعماله، ويركز على الربط بين الدين والقومية، في إبراز علاقة بني إسرائيل بيهوه كإله أب اختار ابنه البكر إسرائيل، كما يقرر أن الوعد الإلهي بالأرض متعلق ببني إسرائيل كعنصر خاص دون غيرهم، ويشدد أيضا على الأفكار المسيحانية ونبوءات الخلاص. أما الإلهيمي فقد ألف حوالي سنة 770 ق م في مملكة الشمال، يستعمل لفظ إلهيم كتعبير عن الألوهية ينفرد بتزييه لله، فيهتم بالمسائل الأخلاقية بشكل أكثر، كما يهتم بالنبوة والأنبياء، ويشير صراحة إلى أن الخلاص يكمن في علاقة الإنسان مباشرة مع الله دون وساطة الكهنة، ونظرا لمزاياه الإيجابية يرجح كثير من العلماء أن يكون هو الصورة الأصلية للديانة اليهودية، وقد أدمج مع المصدر اليهودي سنة 650 ق م اما المصدر الثالث فهو الكهنوتي، ترجع تسميته إلى كونه حصيلة عمل الكهنة الذين ألفوا المصدرين السابقين ، ثم قاموا باضافات مطولة ادعوا أنها كانت موجودة في الهيكل ، كان أول تاريخ لظهوره حوالي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، ويركز المصدر اليهودي على الحديث عن الأحكام والتشريعات الدينية والقانونية، كما يتميز بعرضه المتواصل لتاريخ الديانة اليهودية، أدمج مع المصدرين السابقين نهاية القرن نفسه، يركز على آمال العودة من المنفى. (محمد خليفة حسن أحمد: علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، د. ط، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، دت)، ص: 29 .

A. Robert et A. Feuillet: introduction à la bible, introduction général, ancien testament (copyright 1957). t1, p 348-368 et Denis Sourat, (sous la direction) histoire des religions, Paris, les éditions Denoël et Steel 1933), p198).

(3) - محمد علي البار، مدخل الى دراسة التوراة والعهد القديم، ط1، (بيروت: دار الشامية، ودمشق: دار القلم، 1410هـ - 1990م)، ص 181 وصموئيل يوسف، مرجع سابق، ص80-81.

(4) - هلال فارحي، أساس الدين، ص11.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

عليه المدراس<sup>(1)</sup> اسم كتاب الخلاص أو النجاة<sup>(2)</sup>، كما يوصف تبعاً للتقليد المسيحي بإنجيل البشارة؛ لأنه يتحدث عن تدخل إله التوراة في تاريخ بني إسرائيل ليجمعهم في شعب مقدس<sup>(3)</sup>.

كذلك يحتوى سفر الخروج على مجموعة من أحكام الشريعة في العبادات والمعاملات والعقوبات، كما يتضمن الحديث عن تجلي الرب لموسى في جبل سيناء وتسلمه للأوامر الإلهية وأمره له بكتابتها وتبليغها ووجوب الالتزام بها<sup>(4)</sup>، ويسرد السفر أحداث التيه وتحوال بني إسرائيل في الصحراء وردتهم، وينتهي الحديث فيه بذكر وفاة موسى (عليه السلام) على جبل نبو شرقي الأردن حوالي سنة 1300 ق.م، أما تاريخه فيرجح أنه ألف زمن تأليف السفر السابق "التكوين"<sup>(5)</sup>.

### 3. سفر اللاويين:

يطلق عليه في النسخة العبرية "ويقرا" "ויקרא" وهي أول لفظة من فقرته الأولى ومعناه "ودعا"<sup>(6)</sup>، وفي الترجمة السبعينية يعرف بـ "الفيتيكوس" أي لاويين، نسبة إلى سبط لاوي الذين اختارهم الله لخدمة المعبد كما هو مدون في سفر التثنية (8/10-9)، وفي الترجمة اليسوعية<sup>(7)</sup> يسمى "سفر الأحبار"، لأنه ينسب إلى الكهنة لذا يعرفه البعض باسم شريعة الكهنة "توراة كوهنيم-תורת

<sup>(1)</sup> - هو تفسير أو تعليق حاخامي على الكتاب المقدس يهدف إلى توضيح نقاط قانونية مختلفة بأسلوب توفيقى، أو لتوفير التعليم الأخلاقي باستخدام أنواع أدبية مختلفة كالقصص والأمثال والأساطير. (Albert Guigui Le Judaïsme Toute une vie, Bruxelles, Edition Racine, 2015), p14

<sup>(2)</sup> - إدريس عبيزة، مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها العربية لسعديا بن كؤون الفيومي، ط1 (الرباط: دار الأمان، 1431هـ-2010م)، ص15.

<sup>(3)</sup> - بولس باسيم، الكتاب المقدس أنا الألف والياء، ص149.

<sup>(4)</sup> - لاو/ 4، 5.

<sup>(5)</sup> - حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، (معهد البحوث والدراسات العربية، 1971)، ص14-15.

<sup>(6)</sup> - هلال فارحي، المصدر السابق، ص11.

<sup>(7)</sup> - وهي ترجمة حديثة للكتاب المقدس إلى اللغة العربية، إستناداً إلى النصين العبري واليوناني، أصدرتها المطبعة الكاثوليكية في بيروت عام 1880م، وفي سنة 1881م أتمت الرهبانية اليسوعية نصه في ترجمة عربية كاملة ترأسها الأب أغوستينوس روده اليسوعي Augustin Rodet بمشاركة الآباء اليسوعيين، فيليب كوش Philipe cuche وجوزيف روز Joseph Roze وجوزيف فان هام Josephe Van Ham، كما أسهم الشيخ إبراهيم اليازجي في صياغة نص الترجمة العربية. بولس باسيم، المرجع السابق، ص7 وبطرس عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص772.

כוהנים<sup>(1)</sup>.

وقد درج اليهود على تسميته بدليل الكاهن، لتناوله بداية كل ما يخص وظائف الكهنة وواجباتهم في خيمة الشهادة<sup>(2)</sup>، وما يشرفون عليه من الخدمات الكهنوتية، إضافة إلى تفصيل موضوع القرابين وطقوس الكفارات والنذر والحلال والحرام من المطعومات، وكذا أحكام النجاسة والطهارة والأعياد والنذر، ووجوب الالتزام بها<sup>(3)</sup>.

أهم ما يؤكد عليه السفر هو دور موسى (عليه السلام) كوسيط بين الله وبين بني إسرائيل<sup>(4)</sup>، كما يركز السفر على حضور الله المستمر في خيمة الاجتماع في وسط الشعب الإسرائيلي، ولهذا فإن البنية الأدبية واللاهوتية الداخلية للسفر، تعرض للموضوعات الرئيسية الثلاثة: الكفارة، وقداسة خيمة الاجتماع وطهارتها، والقداسة والطهارة القومية، فضلا عن تناوله المسائل الخاصة بالعلاقات الخارجية، والزوجية، والوصايا الأدبية، وتحريم السحر والعرافة، مع تشديده باستمرار على موضوع اختيار وقداسة الشعب اليهودي<sup>(5)</sup>.

أما فيما يتعلق بتاريخ السفر فهناك تضارب واختلاف بين وجهات نظر العلماء، بما يفيد أن ظهوره في حياة بني إسرائيل كان متأخرا.

(1)- الأب ديلي، تاريخ شعب العهد القديم، ص13.

(2)- تعرف باسم خيمة الاجتماع **משכן**، وتسمى أيضا أوهيل موعيد- **אהל מועד**، خيمة المועود لاحتوائها تابوت العهد مع لوحى الشريعة، يحدد الاطلاق في التفسير اليهودي تجمع العبادة الجماعية كمكان مكرس وخاص لتجلي للرب وسط الشعب خر33/7-11، وقد أقيمت في زمن موسى وحتى هيكل سليمان، كمكان للعبادة، أقيمت أول مرة في صحراء سيناء من تبرعات اليهود، كان اللاويون يحملونها في حلهم وترحالهم تحت إشراف كهنة هارون (عدد3-4، 11:10-21)، وتسمى "بيت الإله"، يشتمل الجزء الخارجي منها على مذبح المحرقة والمغسل، ثم الجزء الداخلي ويشتمل على المنورا ناحية اليسار ثم مذبح البخور الذهبي، ثم قلب خيمة الشهادة ويطلق عليه قدس الأقداس الذي يضم تابوت العهد. وليم أي. فانجيميري، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج4، ص389-390، ورشاد عبد الله الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص199-200.

(3)- لاو4/18-5. هلال فارحي، أساس الدين، ص11.

(4)- صموئيل يوسف، مدخل إلى العهد القديم، ص115.

(5)- وليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للعهد القديم، ج7، ص537.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولائها على العنف

فمنهم من يرجعه إلى زمن عزرا كاتب الشريعة<sup>(1)</sup>، بينما يرفض كثير من النقاد إدراجه ضمن لائحة الأسفار الخمسة التي تلقاها موسى في جبل سيناء، ويعدونه آخر الأسفار ظهوراً بعد العودة من السبي البابلي، ويرجح زمن تدوينه في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وهي الفترة التي تنامت فيها سلطة الكهنة، حيث قاموا بضم مختلف الشرائع والطقوس الدينية، وأضافوا إليها ما تطلبته حاجات الهيكل الثاني<sup>(2)</sup>.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار المعطيات السابقة؛ فإنه يمكن تصنيف سفر اللاويين ضمن سلسلة القوانين التشريعية الكهنوتية التي تنظم علاقة الفرد اليهودي بالله وبعتمعه اليهودي مع بيان محدودية التعامل مع الآخر، من خلال جملة الالتزامات التي يفرضها الكهنة عليه لذلك كانت نصوصه في مجملها متممة بالخصوصية والعنصرية معاً، وهو ما يرجح تأخره عن زمن موسى عليه السلام، كما ما ينفي نسبته إليه.

### 4. سفر العدد:

هو رابع أسفار التوراة، أخذ اسمه في العبرية "بمدبر دمدبر" من خامس كلمة في الفقرة الأولى من الإصحاح الأول ومعناه "في البرية" أو "الصحراء"<sup>(3)</sup>، (أما الإطلاق العربي فمأخوذ من ذكره لإحصاء وتعداد رؤساء الشعب الإسرائيلي وحملة السلاح، (العدد 1/2).

يرتبط سفر العدد بسفر التكوين عن طريق موضوع المواعيد واللعنات، ويلى سفر الكهنة، كما يورد السفر خبر تدميرهم ووفاة هارون، إلى جانب كثير من حوادثهم خلال مسيرتهم في الصحراء التي استغرقت أربعين عاماً، ثم دخولهم أرض كنعان<sup>(4)</sup>، كما يتحدث عن بعض أحكام العبادات والمعاملات، ويعرض لدقائق الشريعة وتفصيلها<sup>(5)</sup>، ونظراً لصيغ التكرار فيه إلى حد التناقض وفقدانه وحدة سياقه

(1) - ول إيريل ديورانت، قصة الحضارة، الشرق أدنى القديم، ترجمة محمد بدران، د. ط، (تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وبيروت دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، دت)، ج2، ص391.

(2) - بولس باسم، الكتاب المقدس انا الألف والياء، ص225، محمد علي البار، مدخل إلى التوراة والعهد القديم، ص195.

(3) - هلال فارحي، أساس الدين، ص11.

(4) - وليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج7، ص449.

(5) - الأب ديلي، تاريخ شعب العهد القديم، ص13.

## الفصل الأول: ..... مصادره الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

الأدبية اعتبره كثير من الباحثين من أعقد أسفار التوراة<sup>(1)</sup>، ويُرجع الباحثون تاريخ تدوين هذا السفر كباقي الأسفار إلى ما بعد السبي البابلي في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، ويرون أن مادته مكونة من إدماج السياقات نصية الثلاثة: اليهودي والإلهيمي والكهنوتي، متبينة في الأسلوب والفكر والثقافة<sup>(2)</sup>.

### 5. سفر التثنية:

أخذ اسمه بالعبرية من ثاني كلمة في أول فقرة من الإصحاح الأول "دباريم דברים" ومعناه "كلمات"، يقابلها بالعربية تثنية نظرا لتكرار وصايا الشريعة فيه<sup>(3)</sup>، وكتاب العهد كما يطلق عليه اسم "تثنية الاشتراع" ترجمة للكلمة اليونانية في السبعينية (دويتريونوموس)، التي تعني الشريعة الثانية، باعتباره ملخصا للأسفار الثلاثة السابقة، كما أنه يقدم شرحا ثانيا لها بأسلوب مغاير، ولأن الترجمة اليونانية ترجمت نسخة عن الكتاب الأصلي وليس شريعة ثانية، فهو كما يعتقد اليهود مجموعة فرائض وعظات ونصائح توطئها خطابات موسى<sup>(4)</sup>.

من حيث المحتوى يتضمن الحديث عن الأرض الجديدة، كما يغلب عليه الطابع التشريعي<sup>(5)</sup>، حيث جاءت فيه الأحكام متنوعة، ومادته توفيقية بين الفكر النبوي الذي يؤكد على ضرورة الالتزام بالتعاليم والوصايا، والتحلي بالفضائل والمثل، والابتعاد عن الآثام، وبين الفكر الكهنوتي الذي يرى أن نيل البركة الإلهية مرهونة بتقديم الهدايا والقرابين للمعبد باعتبارها واجبا مقدسا، كدليل على حب الله وطاعته<sup>(6)</sup>، مقارنة بسفر اللاويين والعدد يلاحظ أن سفر التثنية، وعلى الرغم من اعتباره مرجعا لأحكام الشريعة اليهودية، فإنه يمثل أهمية أقل منهما، حيث تتكرر فيه معظم القوانين التي تمت صياغتها في السفرين السابقين<sup>(7)</sup>.

(1) - بولس باسيم، الكتاب المقدس أنا الألف والياء، ص 278

(2) - محمد علي البار، المدخل لدراسة العهد القديم، ص 198.

(3) - هلال فارحي، المصدر السابق، ص 12، ويعرف كذلك بالشريعة (تث 5/1)، وكتاب الشريعة (تث 28/58).

(4) - M. L'abbé Constantin Chauvin, La bible depuis ses origines, p10

(5) - الأب ديلي، تاريخ شعب العهد القديم، ص 13.

(6) - محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، 2001)، ص 51.

(7) - ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة: حسن ميخائيل إسحق، (دون معلومات)، ص 200.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

أما بخصوص تاريخانية السفر فإن حديثه عن موسى عليه السلام بصيغة الغائب وتناول مسألة دفنه وموته، جعله محل نقد؛ حيث يرى بعض العلماء أن مجموعة نصوصه ترقى إلى بداية القرن 8 ق. م في مملكة الشمال إسرائيل، ولأن نصوصه تتحدث في مجملها عن لاهوت العهد بين الله والشعب، والامتلاك المشروط لأرض الميعاد، فإنه لم يكتمل إلا خلال إصلاح يوشيا وطيلة زمن المنفى<sup>(1)</sup>.

في حين اعتبر كثير من علماء النقد أمثال و. م. ل دي ويت أن التعبيرات البلاغية في السفر في مجملها تتناول هيكل أورشليم وتمركز العبادة فيه، بما يدل على سيطرة الكهنوت فضلا عن الملاحظات التي أثارها س. ر. درايفر حول التشابه في الأسلوب مع سفر إرميا، وكل ذلك عد دليلا على لاهوت مميز يثبت أن تاريخ السفر يعود إلى مرحلة السبي البابلي وتحديدًا إلى القرن 7 ق. م، وبحسب تحليل وينفيلد لأهم موضوعات السفر اللاهوتية، وهي ما تعلق بمحاربة الأوثان وجعل العبادة مركزية، وحديثه عن عقيدة التوحيد، والعهد، والاختيار، ووراثة الأرض، واختيار الأسرة الملكية، والثواب والعقاب، وتحقيق النبوة؛ فإن مؤلف السفر كان من المسيحيين<sup>(2)</sup>.

### II . أسفار الأنبياء: נב'אים

التسمية نسبة لمجموعة المنتبئين الذين ظهوروا زمن المملكة بدءًا من القرن الثامن وحتى القرن الثاني قبل الميلاد<sup>(3)</sup>، يطغى عليها الطابع الرؤيوي، وتتناول الأسفار الفترة الممتدة بين استيطان اليهود في الأراضي الفلسطينية وحتى مرحلة السبي البابلي وما بعدها، تقدم مادتها في شكل نصوص تاريخية قصصية تنطوي على المواعظ التوجيهات الأخلاقية والدينية التي حاول الأنبياء أمثال إرميا، أشعيا وحزقيال، غرسها في نفوس المسيحيين لربطهم بالدين، كما يغلب عليها الطابع التشريعي<sup>(4)</sup> ممثلة في قطع شعرية دينية وأخرى من أدب الحكمة<sup>(5)</sup>، ويميز التناخ بين فئتين من الأنبياء.

(1) - جوزيف أونو وآخرون، قراءة في العهد القديم، تعريب: الأب بيوس عفاص، د. ط، (العراق - الموصل، منشورات مركز الدراسات الكتابية، 2003)، ج 1، ص 102، وفؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية، ص 52.

(2) - ويليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج 7، ص 195-196.

(3) - محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص 161.

(4) - الإمام علاء الدين علي بن محمد الباجي (ت 714هـ)، كتاب على التوراة أو الرد على اليهود، تحقيق يوسف أحمد، ط 1 (بيروت:

دار الكتب العلمية، 2007) ص 6.

(5) - هلال فارحي، أساس الدين، ص 12.

## 1. أسفار الأنبياء الأولين: نبيאים ראשונים

يعود سبب هذه التسمية إلى أن هذه الأسفار دونها أنبياء وشهود عيان، منهم من عاش زمن الأحداث، ومنهم من أخذها من مصادر معاصريها، وهو يعكس وجهة نظر قديمة ترى أن الأسفار التاريخية المذكورة في لائحة الأسفار القانونية العبرية قد كتبها الأنبياء<sup>(1)</sup>، أو لأنها تتضمن تاريخ حياة بعض أنبياء بني إسرائيل في وقت مبكر، بعد وفاة موسى (عليه السلام) حتى سقوط القدس ونفيهم إلى بابل<sup>(2)</sup>، فهي بذلك تمثل حلقة الوصل بين التوراة وبين آليات تحقيقها في الأزمنة المتأخرة، وتشمل هذه الفئة:

### أ. سفر يشوع יהושע

يتميز السفر في تقديمه للملاحم بصيغة جديدة حيث يذكر فيه احتلال بني إسرائيل أرض كنعان "أرض الميعاد" بقيادة يوشع بن نون وتقسيم الأرض على الأسباط وموت يوشع بن نون<sup>(3)</sup>. نظرا لاستمرارية الحديث عن الوقائع التاريخية في سفر يشوع، فقد ظهر الحديث عن الكتب الستة الهكزاتوك Hexateuch، بدلا من "الكتب الخمسة" لوجود وحدة موضوعية بين الكتب الخمسة والكتاب السادس، في حين تحدث فريق آخر من العلماء عن الكتب الأربعة Tetrateuch وذلك باستثناء سفر التثنية من مجموعة الكتب الخمسة، للاعتقاد السائد أن ما ورد في سفر يشوع خاصة الإصحاحات الأولى هو عبارة عن مقدمة للأعمال التاريخية الممتدة من عصر موسى إلى عصر السبي البابلي، والذي يطلقون عليه أحيانا عبارة "التاريخ التثنوي"<sup>(4)</sup>، فهو يجمع مختلف المصادر التي اعتمدت عليها التوراة، ويرى فؤاد حسنين علي أنه على الرغم من احتواء السفر على نصوص ترقى إلى القرن التاسع قبل الميلاد<sup>(5)</sup>، فالراجح أنه ألف في القرن الخامس قبل الميلاد<sup>(1)</sup>.

(1) -وليم أي فابجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج7، ص398.

(2) -هلال فارحي، أساس الدين، 12.

(3) -المرجع نفسه، ص12.

(4) -محمد خليفة حسن أحمد، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، (القاهرة:1996)، ص18.

(5) -يشير مضمون السفر إلى أن المعلومات التاريخية الواردة فيه من تخيلات أمة تضيء على شخصية من شخصياتها بطولات لم يحلم هو بها، مقلدة في ذلك الشعوب التي عاشت بينها، فلم يكن لبني إسرائيل بعد فترة التيه الاستعداد النفسي ولا العناد الحربي لمحاربة مدن محصنة، كما لم يكن لديهم رماح ولا دروع ولا عربات حرب كما تقول أنشودة دبورة، قضاة 5:8، ولم يعرفوا فنون الحرب، قضاة 3:2، إذ إن المعلومات عن هذه الفترة سجلت من ذكريات القبائل بعد وقوع الحوادث بعدة قرون ماجاء مثلا في يشوع 24/31.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

ومع هذا يبقى الحديث عن مؤلفه عند علماء الكتاب المقدس متذبذب بين الجهولية، وبين عدم اليقين، والتشكك في نسبته إلى يشوع، فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس: "كاتب هذا السفر مجهول، ولكنه قد نسب إلى أشخاص متعددين، غير أن كثيرين يتمسكون بالاعتقاد المقبول عند اليهود والكتاب المسيحيين، وهو أن يشوع نفسه هو كاتب السفر، ما عدا الآيات الخمس الأخيرة وبعض آيات آخر...، وظن كالفن أن كاتبه هو اليعازر بن هارون، وزعم آخرون أنه فينحاس، أو صموئيل، أو إرميا"<sup>(2)</sup>.

من جهته أنكر الفيلسوف اليهودي سبينوزا أن يكون يشوع هو كاتب السفر، فيذكر العديد من الشواهد التي تبين أن حديث السفر يمتد إلى زمن متأخر عن يشوع، كاستعماله مثلا اصطلاح "إلى يومنا هذا" في مواضع كثيرة من السفر<sup>(3)</sup>، وكذا اطلاق أسماء مدن لم تعرف بها وقتها...، فضلا عن ذلك فإن تسلسل الأسفار كما يؤكد سبينوزا، يدل على وجود كاتب واحد أراد تدوين شيء سابق وهو سيرة يشوع وبني إسرائيل حتى زمن دخولهم وتخطيط المدينة، وقد تم ذلك بعد موت يشوع بعدة قرون<sup>(4)</sup>.

نلاحظ أن أهم ما يُطبع به هذا السفر هو الحروب الدامية في غزواته ضد العماليق، وهو ما سنحاول الوقوف عنده بشيء من التفصيل والنقد في الصفحات القادمة.

### ب. سفر القضاة שופטים

سمي بهذا الاسم لحديثه عن الفترة التالية بعد وفاة يشوع، ويورد أسماء القضاة الذين حكموا الشعب بعد وفاته، كما يذكر تاريخ بني إسرائيل وخلاصهم في عهدهم، ويغلب فيه الحديث بنوع من التفصيل عن تفكك بني إسرائيل واندماجهم في المجتمع الكنعاني (الإصحاحات 2 و3 و4)، ومحاولات القضاة الحثيثة في تكبيرهم وردهم إلى تعاليم يهوه، كما ذكرت فيه إنجازات بعض قضاةكم "صموئيل"

(محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، ص 86-87، ومنقذ بن محمود السقار، هل العهد القديم كلمة الله، ط1، (القاهرة: دار الإسلام للنشر والتوزيع، 1428هـ-2007م)، ص 53.)

(1)-فؤاد حسنين علي، التوراة المبروغليافية، ص 64.

(2)-بطرس عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص 1070.

(3)-يشوع 63/15 و 14/15 و 10/22 و 13/29.

(4)- باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم، حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، ط1، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2005)، ص 265-266.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

المتمثلة في تأسيس المملكة<sup>(1)</sup>، وإليه ينسب تأليفه بحسب التقليد اليهودي<sup>(2)</sup>.

### ت. سفر صموئيل الأول والثاني:

يُدرج السفر تاريخياً ضمن ما يعرف في المصطلح اليهودي بالتقليد القانوني بالأنبياء الأولين، ويطلق عليه في أوساط المفكرين حديثاً "التاريخ التنوي"<sup>(3)</sup>، كما ينظر إليه بشقيه على أنه من أسفار الحكم الملكي، حيث تبرز أهميته في تأسيس الملكية وامتدادها<sup>(4)</sup>. ويشتمل في مختلف إصداراته على تاريخ حياة صموئيل النبي ومحاولات توحيد صفوف قبائل بني إسرائيل وتحذيره لهم من خطورة ترك تعاليم الشريعة والاندماج بالمجتمع الكنعاني، كما تضمن ذكر تأسيس المملكة ومسح شاؤول أول ملك عليهم (صموئيل الأول 9/15) على غرار الأمم الأخرى بناء على طلبهم وإلحاحهم، وينتهي السفر بالحديث عن بطولات داود (عليه السلام) كملك وانتصاره على جليات، مبينا دوره في توحيد اليهود في مملكته<sup>(5)</sup>.

أما من الناحية اللاهوتية فيفيض السفر في وصف التدخل الإلهي في محاربة الفلسطينيين كرب للجنود، مستعرضاً في ذلك الأعمال الإجرامية التي تتم نسبتها إلى النبي داود (ما ورد مثلاً في صموئيل أول الإصحاح 27-20/18)، ولنا أن نتساءل هل سيؤخذ هذا كمسوغ تاريخي لما تقوم به السياسة الإسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني؟

بخصوص تسميته يرى العلماء أن ذلك لا يعني أنه صموئيل من كتبه، بل إشارة إلى اهتمام السفر بحياة صموئيل<sup>(6)</sup>، بدليل حديثه عن انتحاره بعد فشله مع الفلسطينيين (صموئيل الأول 1/25)، كما لا يوجد يقين عند علماء الكتاب المقدس عن مؤلف السفر، فبينما يقول مؤلفو التفسير التطبيقي في مقدمة السفر: "الكاتب: غير معروف، وقد رأى البعض أن زابود بن ناثان هو الكاتب، بناء على ما ورد في

(1) - هلال فارحي، أساس الدين، ص 13.

(2) - منقذ بن محمود السقار، هل العهد القديم كلمة الله، ص 55.

(3) - هلال فارحي، المصدر السابق، ص 12.

(4) - وليم. أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج 7، ص 398.

(5) - حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، ص 36.

(6) - فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية، ص 68-69.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولائها على العنف

(الملوك الأول 5/4)<sup>(1)</sup>، بينما يختلف آخرون حول هويته، هل هو صموئيل أو إرميا أو أحد تلامذة إرميا، حيث جاء في طبعة 1971م الإنجليزية للكتاب المقدس: "مؤلفه: صموئيل على الاحتمال"، ويقول آخرون الكاتب إرمياء، لكن مقدمة النسخة الكاثوليكية تعتبره "رأيا صبيانيا، وأنه من المحتمل أن يكون المؤلف مجرد أحد تلاميذ إرميا"<sup>(2)</sup>.

### ث. سفر الملوك الأول والثاني:

يعتبر السفر امتدادا لسفر صموئيل، فهو يتضمن الحديث عن موت داود (عليه السلام) وحكم سليمان (عليه السلام) قبل انقسام المملكة، وكذا ذكر بناء الهيكل في أورشليم العاصمة، ثم انقسام المملكة وتولي 20 ملكا على بني إسرائيل، وما تبع ذلك من صراعات داخلية بين مملكة إسرائيل في الشمال، ومملكة يهوذا في الجنوب، وسقوط مملكة الشمال بيد سرجون ملك آشور، وبدء السبي البابلي وخراب الهيكل على يد نبوخذ نصر عام 586 قبل الميلاد<sup>(3)</sup>. مع أن الراجح عند العلماء أن ما دون فيه سبق عصره، وأن مادته مستوحاة من أخبار سابقة جرى تأليفها بعد حدوثها بأزمة طويلة<sup>(4)</sup>. أما ما يستفاد من سرديات السفر، هو تسجيل بني إسرائيل لوجودهم السياسي لأول مرة في فلسطين بداية من تأسيس المملكة الموحدة واستمراره حتى سقوط مملكة الشمال<sup>(5)</sup>.

## 2. الأنبياء الآخريين: نبيائهم آخرون

تمثل أسفار الأنبياء الآخريين مجموعة نبوات ومواعض وأدبيات وقصص، تهدف في مجموعها الى حفظ وصايا الاله، هلال<sup>(6)</sup>، وهي تشمل الأسفار الآتية:

الفتة الأولى "إشعيا، إرميا، حزقيا، يطلق عليها الأنبياء الكبار لضخامة كتبهم<sup>(7)</sup>، بينما تعرف

(1) - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة: شركة ماستر ميديا، 2002، ص 632.

(2) - منقذ بن محمود السقار، هل العهد القديم كلمة الله، ص 35.

(3) \_ هلال فارحي، أساس الدين، ص 13.

(4) \_ مراد كامل، الكتب التاريخية في العهد القديم، ص 71.

(5) \_ حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي اطواره ومذاهبه، ص 49.

(6) \_ فارحي، أساس الدين، ص 14.

(7) - هلال فارحي، أساس الدين، ص 14، ولويس مونلوبو، أنبياء العهد القديم، ص 18.

## الفصل الأول: ..... صاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

الأسفار الاثني عشرة الباقية، بالأنبياء الصغار وهي "هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجّاي، زكريا، ملاخي" دلالة على إنجاز الأسفار، أي لقلة ما تركوه من الآثار، دونت رسائلهم في الفترة الكلاسيكية للنسوة من القرن الثامن إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وضمت فيما بعد إلى أسفار العهد القديم<sup>(1)</sup>.

يعتقد اليهود أن هؤلاء كلّهم أنبياء أرسلهم يهوه هدايتهم، وأمرهم بالابتعاد عن الاندماج والذوبان في المجتمع الكنعاني أو غيره، والتأكيد على استمرار النقاء العرقي والمحافظة على النسل المقدس ومجانبة الأعيار<sup>(2)</sup>.

### III. الكتب (الصحف) دتובים

يطلق عليها اليهود اسم "الصحف المقدسة"<sup>(3)</sup> و"كتب الحكمة" وعددها "اثني عشرة"<sup>(4)</sup>، كما تعرف أيضا بالكتب الشعرية<sup>(5)</sup>، يرجع الباحثون تأليفها إلى ما بعد السبي البابلي في الفترة الممتدة بين (480-1 ق. م)<sup>(6)</sup>، وأنها أضيفت إلى القائمة الرسمية للكتاب العبري في القرن الثاني قبل الميلاد<sup>(7)</sup>.

أما محتواها فهي عبارة عن تراث أدبي - قوامه الشعر والأمثال والقصص - يعد غذاء روحيا مستقلا، أما مضامينها فتتفرق إلى التجانس؛ حيث تتناول قصص تفلتهم وانحرافهم عن الشريعة وانكبابهم على الوثنية، كما تسجل تمجيد البطولات السياسية لليهود بعد استيظانهم لفلسطين، أو بعد العودة من

و. Michel Nicolas, Étude critiques sur la bible-Ancien testament, p4-(1)

أ. كوهين، التلمود، ص204.

(2)-علي خليل، اليهودية بين النظرية والتطبيق، مقتطفات من التوراة والتلمود-دراسة-د. ط، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1997)، ص23

(3)-ورد ذلك في سفر المكابيين الثاني، الاصحاح9/12

(4)-هلال فارحي، أساس الدين، ص14

(5)-علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط1، (القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر، 1384هـ-1964م)، ص15

(6)-كامل سعفان، اليهود تاريخا وعقيدة، د. ط (القاهرة: دار الاعتصام د. ت)، ص137 و

Jean LeDuc, Historique du texte Massorétique , p23

(7)-الأب ديلي، تاريخ شعب العهد القديم، ص21

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

الأسر البابلي تحت السلطة الفارسية<sup>(1)</sup>، ويندرج ضمن هذا القسم:

### 1. المزامير:

أخذ اسم السفر بالعبري القديمة من الكلمة **تهلا تهלה** بصيغة الجمع "تهليم تهלים" بمعنى تراتيل شكر<sup>(2)</sup>، وقصائد حمد ومدائح، ونظرا لتعدد موضوعاته أصبح يعرف بالمزامير مشتقا من الكلمة اليونانية "سالموس" التي تعني رنين الأوتار<sup>(3)</sup>، ويتضمن السفر نصائح وعظات، وتسايح وأغاني روحية، كان اليهود يرتلوها قديما على الآلات الموسيقية في الصلوات والحفلات الطقسية وهو تقليد متأصل في العهد القديم، ولا يزال الأمر كذلك إلى يومنا هذا<sup>(4)</sup>.

يرى مفسرو الكتاب أن ارتباط السفر باسم داود لا يشير بالضرورة إلى أن يكون هو كاتبه، كما يختلفون في نسبة باقي الأجزاء إليه، ويرون أنه على الرغم من حديث التلمود البابلي **Baba Bathra** 14b-15a عن داود باعتباره المحرر العام للسفر، فإن علاقته به تظل قابلة للنقاش<sup>(5)</sup>، كما تنفي الدراسة التاريخية للمزامير وجود أي دليل ملموس ومقنع يثبت بداية تدوينها وترتيلها على لسان النبي داود (عليه السلام) أو أتباعه، ويرجح الباحثون أن تأليفها وكتابتها هذه قام به مجموعة من الكتاب اليهود؛ إذ جمعوا ما ورثوه وسمعه من الرواة، وأن هذه المزامير لم ترتبط تاريخيا بعهد النبي داود أو ابنه سليمان (عليهما السلام) (فحسب)، بل يمتد تاريخ جمعها وتدوينها لمدة لا تقل عن الثمانية قرون أو أكثر<sup>(6)</sup>.

### 2. الأمثال:

يمثل السفر مجموعة من الحكم والنصائح والأمثال مشلي **משלי**، تتميز بخلوها من البحوث

(1) -حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي اطواره ومذاهبه، ص46

(2) -هلال فارحي، المصدر السابق، ص15

(3) \_ فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية، ص131 وستيفن. م. ميلر وروبرت. ف. هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ عهد التكوين وحتى اليوم، ص25.

(4) \_ هلال فارحي، مصدر سابق، ص15.

(5) \_ وليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج7، ص296-297

(6) \_ رافد كاظم كردي، دراسة في الجذور التاريخية لكتب الشعر والحكمة اليهودية: - سفر المزامير، (بغداد، مجلة القادسية في آداب والعلوم التربوية، العددان 1-2 مج7، 2007)، ص129

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

الدينية، وتتضمن الحديث عن خلاص الإنسان بعمله، وبيان أن علاقة الإنسان بالله تكون مباشرة دون وسيط أو شفيع أو ملاك، حيث يعتقد اليهود أن سليمان عليه السلام قد كتبها في أيام شبابه<sup>(1)</sup>، غير أن هذه الحُكم تفتقر إلى التناسق والانسجام، والراجح أن جمعها قد تم على الأرجح في القرن الثالث ق. م<sup>(2)</sup>، وينفي كثير من العلماء أمثال كل من K. A. Kitchen و P. Humbert نسبتها إلى النبي سليمان (عليه السلام)، ويرون وجود تشابهات بينها وبين التعاليم والنصائح المصرية، ويرجح Kitchen تأثر تركيبة بنية السفر بنصوص الشرق الأدنى القديم<sup>(3)</sup>.

### 3- أيوب: آيوب

يتميز السفر بوصفه لمعاناة أيوب بين تدمره واعتراضه على قضاء الله وصبره على الابتلاء، وينسبه اليهود إلى موسى، ويرون في شخصية أيوب تمثيل للشعب الإسرائيلي<sup>(4)</sup>. غير أن دراسو الكتاب المقدس يرجعون تاريخه إلى الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد<sup>(5)</sup>، فيما يعتبره آخرون دخيلاً على الكتاب المقدس<sup>(6)</sup> (7)، فأيوب من بني عيسو ولا علاقة له ببني إسرائيل، كما أنه لا يورد شيئاً بخصوص بني إسرائيل ويرجحون بالاستناد إلى لغته أن يكون عربي الأصل<sup>(8)</sup>.

(1) \_ هلال فارحي، مصدر سابق، ص16.

(2) \_ فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية، ص147.

(3) \_ وليم أي. فانجيميرن، المصدر السابق، ج7، ص116.

(4) \_ فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية، ص144.

(5) \_ ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ص537.

(6) - يرى العلماء أن فاتحة السفر وخاتمته تحاكيان قصة شعبية خارج إسرائيل ترقى إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وأن يهوديا استخدم هذه القصة في القرن الخامس قبل الميلاد، في حين تشير كثير من الدراسات النقدية إلى مدى تقارب أسلوب السفر ومادته، بما كان شائعاً من القصص بين حكماء الشرق الأدنى في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، وأنه تمت روايتها بالعبرية في عهد صموئيل وسليمان في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد، كما توازيها قصص أخرى يعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد بطلها أيوب السامري أو أيوب البابلي كما دلت على ذلك الوثائق المسمارية. (جوزيف أونو، مصدر سابق، ج2، ص131

(7) \_ وفاضل عبد الواحد وافي، من ألواح سومر إلى التوراة، ط1، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1989)، ص376.

(8) \_ أحمد شلبي، اليهودية (سلسلة مقارنة الأديان)، ط12، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1997م)، ص233، وفؤاد حسنين

علي، التوراة الهيروغليفية، ص14-145.

4-مجالات:

تعرف بأدراج الأعياد، وهي عند اليهود: نشيد الأناشيد والجامعة، أستير، راعوث، مراثي إرميا، دانيال، عزرا ونحميا، وهي تتميز باختلاف مادتها عما جاء في التوراة وأسفار الأنبياء إذ تغلب عليها موضوعات الحكمة مع قليل من التفلسف الراجع إلى التأثيرات الأجنبية.<sup>(1)</sup>

ينتهي هذا الجزء بكتابين تاريخيين هما: "أخبار الأيام الجزء الأول، وأخبار الأيام الجزء الثاني"، وهما ينطويان على الحديث عن تاريخ بني إسرائيل منذ بدء الخليقة حتى الحكم الفارسي<sup>(2)</sup>. ويكرسان لعقيدة الاختيار والدور الرسالي لبني إسرائيل، فهما يؤكدان على الفكرة القائلة بوجود حفظ شعب إسرائيل للعقيدة وأن الله اصطفاه على مدار أجيال ليكون صاحب رسالة دينية شاملة تدعو إلى الإخلاص في عبادة الله<sup>(3)</sup>.

لقد كانت هذه الأسفار بالنسبة لليهود، بوصفها الكتاب المقدس عموما والأسفار الخمسة بوجه خاص، أساس التشريع اليهودي، وأسلوب الحياة التي يستند إلى علاقة العهد بين الله وبين إسرائيل، والمركز الذي بنيت عليه الحياة في المجتمع اليهودي، وميزت اليهود قديما عن بقية الشعوب، وعلى أساسها يتم فهم وتفسير باقي الأسفار<sup>(4)</sup>. كما كانت الإحاطة بالأسفار الخمسة ثروة بني إسرائيل التي لا تقدر بثمن، فهي كما يصفها آرثر هيرتزبورغ **Arther Hertzberg** "تضمن لدارسها أسمى مكانة في المجتمع الإسرائيلي... ، لقد كانت وجودا ثانيا، كانت دولة شاحخة وروحانية رفيعة، وقد أصبحت خلال فترة السبي مركزا التف حوله بنو إسرائيل"<sup>(5)</sup>.

إن ما يمكن تسجيله مما سبق أن تاريخانية النصوص الدينية (الكتاب المقدس) كانت محل نقد كثير من العلماء، وهم في ذلك يتفقون على حقيقة واحدة أن فقرات الكتاب المقدس موضوعة بعد زمن موسى بأجيال، قد تم تأليفها في معظمها بعد السبي على يد العائدين من المنفى<sup>(6)</sup>، مما يفيد أن النصوص

(1) \_ محمد خليفة حسن أحمد، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، ص11.

(2) \_ هلال فارحي، أساس الدين، ص16.

(3) \_ الأب ديلي، تاريخ شعب العهد القديم، ص14.

(4) \_ محمد خليفة حسن أحمد، المرج السابق، ص18.

(5) \_ أحمد شلي، اليهودية، ص264-265

(6) \_ ففي هذه المرحلة عمد الأبحار إلى وضع الرسالة الإلهية في صورة كتاب يصور السنن الإلهية التي تبعث القوة في عقيدة الأمة وأخلاقها

كانت تعكس حياة وتجارب اليهود خلال تلك الفترات.

المطلب الثاني: التلمود (תלמוד):

أولاً: معنى التلمود:

التلمود كلمة عبرية، مشتقة من الجذر "لامد למד" تعلم، وتعني تعليم ودراسة ومعرفة<sup>(1)</sup>، وهو اسم جامع يطلق على مجموعة القواعد والوصايا، والشرائع الدينية والأدبية والمدنية، والشروح والتفاسير، والتعاليم والروايات، والقصص التراثية اليهودية، التي كانت تتناقل وتدرس شفهيًا من حين إلى آخر، لذا تعرف بالتوراة الشفهية، تمييزًا لها عن ألواح الشريعة "القانون المكتوب"<sup>(2)</sup>.

إن الشريعة في الاعتقاد اليهودي قسمان: قسم مكتوب؛ وهو الألواح التي بلغها موسى لقومه، وقسم شفهي؛ اهتم الأحرار بتسجيله نقلًا عنه، عرف في صورته الأولى بالمشنا<sup>(3)</sup>، ويعتقدون أن موسى حينما تلقى هذه الألواح "الشريعة المكتوبة" من الله تلقى معها تفاسيرها وشروحها، ويعللون ذلك بتأخره وبقائه مدة أطول على الجبل، لأن تلقيه الألواح كما يرون لم يكن ليأخذ منه أكثر من يوم<sup>(4)</sup>.<sup>(5)</sup>

ويستدل اليهود في ذلك بما نقل عن الحاخام سيمون بن لاكيش Lakish أنه فسّر ما ورد في

لمنع تدهور العقيدة، فأكملت الديانة عقيدة وشريعة، وقد ساعدت البيئة البابلية، بعد فقدانهم الصلة بالمعبد المركزي على بلورة الدين اليهودي وإنشائه نشأة جديدة، حيث قام الكاهن عزرا بن سريا الذي كانت له معرفة بتدوين النصوص، وتثبيت أصولها. نقلًا عن وثائق

متفرقة . Denis Sourat, Histoire des Religions, p212

(1) \_ هلال فارحي، أساس الدين، ص24

(2) \_ المصدر نفسه، ص22.

(3) \_ لا يشمل هذا الاعتقاد جميع الطوائف اليهودية، فمن الفرق اليهودية المنكرة للتلمود السامريين والصدوقيين والأسينيين قديما، وفي زمن متأخر في النص الأول من القرن التاسع الميلادي أنكرته طائفة القرائين، أما حديثا فقد أنكره الإصلاحيون، وإن كان أتباع هذه الفرق في عمومها لا يتورعون عن الأخذ بتعاليمه العنصرية في واقع حياتهم. س. ليفي، كنوز التلمود، ترجمة محمد خليفة التونسي، ط1 (الكويت، مكتبة دار البيان) 1409-1989م، ص13، وحسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، ص206، 216، 247، وجعفر هادي حسين، فرقة القرائين اليهود، دراسة في نشأة الفرقة وعقائدها وتاريخها إلى العصر الحاضر، ط1 (بيروت، مؤسسة الفجر) 1989، ص46.

(4) \_ س. ليفي، المصدر نفسه، ص13

(5) -J. B. Pranaitis, Le Talmud démasqué; Les enseignements rabbiniques secret concernant les Chrétiens(Saint Petersburg Imprimerie de l'Académie Impériale des Sciences ,1892 Traduction partielle Editions de l'AAARGH Internet 2005,p4

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولاليتها على العنف

سفر الخروج (24: 12): "وقال الرب لموسى اصعد إليّ إلى الجبل وكن هناك. فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم"، بقوله: "إنّ المراد بالألواح: الوصايا العشر، والقانون، المكتوب والوصية: هي المشنا. و"كتبتها" تعني؛ ما كتبه الأنبياء من كتابات مقدسة تناقلها اليهود شفاهة. و"لتعليمهم" معناه: الجمارا، فهذا يعلمنا أنّ جميعهم قد أُعطيَ لموسى في طور سيناء، ثم تناقلوه عن طريق التقليد الشفهي، وتم تأهيل أجهزة التلقي حتى زمن يهوذا هاناسي<sup>(1)</sup>.

وفي السياق ذاته تشير الكتابات الدينية والفلسفية اليهودية الى الضرورة التي اقتضت وجود نصوص التلمود، منها غموض التوراة، وأن التوراة الشفهية عملت على توضيح ذلك الغموض منذ البداية، ولهذا السبب فإن توراة الرب أصبحت في النهاية تعرف بتوراة الإنسان<sup>(2)</sup>.

فيوضح شتاينسالتر ذلك بأن التلمود يعني التعليم في ترجمته الحرفية "التعليم". فالتلمود هو تجسيد لـ "متسفات تلمود التوراة" أي الفرض الديني الإيجابي لدراسة التوراة<sup>(3)</sup>.

في حين يرجع بعضهم تاريخ ظهورها إلى فترة ما بعد موسى، ويرون أن اختلاف اليهود في الأخذ بأحكام الكتاب المقدس هو الذي أدى إلى سن مصادر أخرى تجلي الغموض الذي وقعوا فيه، وأن غموض الشريعة المكتوبة وحاجة الناس إلى فهمها هو ما اقتضى شرحها، فتمثل ذلك في اجتهادات علماءهم، وتفسيراتهم وتعليقاتهم على القانون المكتوب منذ زمن الجمع الأكبر (زمن عزرا في القرن الرابع قبل الميلاد) وحتى القرن السادس من العصر المسيحي، حيث قدمت تحت مسمى التلمود بشقيه المشنا والجمار<sup>(4)</sup>.

غير أن هذا التعليل يتناقض تماما مع ما جاء في سفر التثنية، (تثنية 2/4)، و(تثنية 11/30-14)، فهما من النصوص التي استدلت بها القراؤون على عدم وجود الغموض في وصايا الشريعة المكتوبة، وأن التوراة كاملة تفسر نفسها بنفسها ولا تحتاج إلى ما يجلو عنها الغموض<sup>(5)</sup>، كما استدلوها بما جاء في المزمور 7/19، بما يؤكد على عدم ضرورة الأخذ بالتوراة الشفهية.

(1) \_ ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ط2، (بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1972)، ص14

(2) -Charle Touati, Prophète talmudistes, philosophes (Paris, les éditions du cerf 1990), p11.

(3) \_ أدين شتاينسالتر، مدخل إلى التلمود، ترجمة: فنيئا الشيخ، ط1 (دمشق: دار الفرقد للنشر والتوزيع، 2006)، ص13.

(4) -Albert Guigui, Le Judaisme Toute une vie, p15.

(5) \_ جعفر هادي حسين، فرقة القرائين، ص46-47.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

أكده أيضا الباحث في الديانات العالمية جوزيف كاير في قراءته للنص السابق (تث/4/2)، حيث يقول: "إن العهد القديم يحتوي في الأساس على جميع الوصايا الموسوية الخلقية، ونجد فيه إنذارا بعدم إضافة أو حذف كلمة من الشريعة، لكنه في الوقت الذي كان يجري فيه جمع الكتاب المقدس العبري، وإكمال نواقصه وتقويمه، حدثت تغييرات عظيمة في حياة الموسويين استدعت تفاسير شفوية لكثير من نصوص الشرائع، ثم تلت ذلك فترة من الدراسة الشفهية على نطاق واسع، فنشر بعض المعلمين أحكاما جديدة مبنية على تضمين الشرائع القديمة... وأسفرت هذه التطورات التي استمرت بضعة قرون عن مجموعة من ستة مجلدات مقسمة موضوعيا إلى ثلاثة وستين قسما سميت بالمشناه، غير أنه في الوقت الذي دونت فيه المشناه وجد علماء الشريعة المدونة أحيانا ضرورة إيضاح هذه المؤلفات بشروح"<sup>(1)</sup>.

برغم الاختلاف حول تاريخ المرويات المتوارثة فإنها ظلت بالنسبة للسواد الأعظم من اليهود كما يصفها الباحث اليهودي هنري سلفاتي، وعاء لآلاف السنين من الحكمة اليهودية، والصيغة الثانية من التوراة المكتوبة المبنية على مبادئ التقليد والنقل الشفوي، والجانب الخفي لمجموعة من النصوص القانونية الأسطورية أو الفلسفية، ومزيج من المنطق الذي لا يضاهاه، والبراغماتية الذكية، والتاريخ، والعلوم، والحكايات، والفكاهة، ولم يكن لأي نص آخر أي تأثير مماثل نظريا وعمليا على الحياة اليهودية<sup>(2)</sup>.

ثانيا: مكونات التلمود:

I. المشناه (משנה)<sup>(3)</sup>:

1. أصل المشناه:

المنشا هي النسخة الأولى من التوراة الشفهية تمثل في مضمونها التشريع اليهودي الأول، عبارة عن مجموعة الشروح المفصلة لأسفار التناخ وأحكامه وتكرارا لبعض نصوصه، كما يصرح بذلك علماء اليهود، كما تتضمن قوانين وأحكام لم يرد ذكرها فيه، وإنما اجتهد الأحبار في استنباطها بما يتوافق

<sup>(1)</sup> - جوزيف كاير، حكمة الأديان الحية، ترجمة حسين الكيلاني، مراجعة محمود الملاح، د. ط، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة)، ص154.

<sup>(2)</sup> - Pierre-Henry Salfati, Talmud Un livre Un Peuple (France, ARTE/Edition, 2006), p2.

<sup>(3)</sup> - مشتق من الفعل العبري שנה بمعنى قرأ ودرس، كما تحمل معنى كرر وأعاد، ويذكر حانوخ البق أن معنى الفعل العبري اتسع ليراد به التعلم والدراسة تأثرا بمعنى الفعل تنا. بمعنى درس في اللغة الأرامية التي اجتاحت اللغة العبرية، فترجم حرفيا باسم "دراسة متكررة" أو التعليمات الشفوية، هلال فارحي، أساس الدين، ص24.



ومتغيرات الظروف ومتطلباتها<sup>(1)</sup>.

تعتبر المشنا بحسب التقليد اليهودي، ملخص للقانون اليهودي، تتضمن نقاشات الحاخامين المنقولة شفهيًا منذ زمن موسى (عليه السلام) استنادًا إلى القانون المكتوب وشرحه والتعليق عليه<sup>(2)</sup>، وتشكل في عمومها مجموعة قوانين اليهود السياسية، والمدنية، والدينية، المتفق عليها بين علماء اليهود في أزمنة متباينة، مشكلة بهذا الوصف النص الأساس للتلمود، الذي اعتمدته المدارس اليهودية وصدقت على ضوئه جميع القرارات الدينية<sup>(3)</sup> فهي بذلك خلاصة للشرعية الشفهية في بداياتها الأولى قبل تضمينها الإضافات.

بناء على ما سبق ذكره فإن تعريف المشنا وفقا لما جاء على السنة اليهود أنفسهم يبطل أقدميتها كما ينفي نسبتها إلى موسى (عليه السلام)، أو أنه قد استلمها بالتوازي مع التوراة، بصرف النظر عن إثارة مسألة ضياع التوراة وتحريفها كما أشرنا إليه، وهو ما يعضد القول باختلاق تفسيرها، فالمشنا إجمالًا هي اجتهاد شخصي للأخبار فيما تعلق بشؤون العقيدة، والشرعية، والتاريخ المقدس لليهود.

## 2. جمع المشنا:

تشير المصادر اليهودية إلى أن التدوين الفعلي للتراث الديني اليهودي بدأ على يد عزرا، المؤسس الأول لليهودية الحاخامية، بالاستناد على التوراة المكتوبة أو كما يطلق عليها توراة العهد "سفر هبريث" ثم اهتم بعده علماء اليهود العائدين من السبي وبقية من علماء فلسطين الذين يطلق عليهم **السوفيريم**<sup>(4)</sup> باعتبارهم خلفاء للأنبياء في حفظ الشريعة، فاهتموا بتدوين الأسفار وتفسيرها وربطها بالرواية الشفهية، بمساعدة المجمع الديني الأعلى خاصة بعد توسع سلطة الفريسيين، وقد امتد عملهم قرابة 300 سنة<sup>(5)</sup>.

(1) \_ ادين شتاينسالتر، مدخل إلى التلمود، ص121.

(2) -Avi Sion, le raisonnement Talmudique (Compte-rendu d'une conference), (Gnève, 1999), p3.

(3) \_ هلال فارحي، أساس الدين، ص24.

(4) -هم الكتبة وهم رجال أكفاء بثقافتهم يعرفون بالحكماء، أخذوا على عاتقهم العمل المقدس وتمثلت مهامهم في دراسة الشريعة والبحث فيها وتفسيرها للشعب، فكانوا بمثابة أمناء الكتابة. أ. كوهين، التلمود، ص16

(5) \_ أدين شتاينسالتر، مدخل إلى التلمود، ص23-25.

Sara E. Karesh and Mitchell M. Hurvitz, Encyclopaedia of Judaism, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data (J. Gordon Melton, Series Editor, 2005), p332

## الفصل الأول: ..... مصادر الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

يعلل علماء اليهود عدم تدوينهم لتلك الشروحات حتى زمن متأخر، أن قانون المعبد آنذاك حرم كتابتها بأمر من الأحرار، وأمر بالاكْتفاء بتدوين أسفار الكتاب المقدس، استناداً إلى ما ورد في تفسير سفر الخروج (مدرّاش شموت رابا 47/ 11): أمر القدوس تبارك موسى قائلاً: "دون أسفار التوراة والأنبياء والمكتوبات، أما التفاسير والمرويات والتلمود فتكون شفاهة"<sup>(1)</sup>، وبجحة "أن الأمور التي تروى شفاهة ليس لك الحق في إثباتها بالكتابة"<sup>(2)</sup>، كما أن النهي كان خوفاً من اختلاط الشروحات بالتوراة، غير أن ذلك لم يمنع بعضهم من تدوينها<sup>(3)</sup>.

كما تذكر المصادر اليهودية أن كتابة الشروحات لم تكن مشروعة في الفترة التي كان الهيكل لا يزال قائماً، لذا لم يشرع في عملية التدوين إلا بعد خراب الهيكل الثاني عام 70م<sup>(4)</sup>، وهي الفترة التي خضعت فيها أسفار التناخ إلى مراجعات كبيرة وبدء عملية جمع شاملة للتراث اليهودي<sup>(5)</sup>. كما يُعتقد أن علماء اليهود لم يلجأوا إلى تدوين المشنا إلا مع بداية القرن الثاني قبل الميلاد، بعد اتساع نطاق الدراسة والتعليم لصعوبة حفظها في الذاكرة، وأنه لأجل الاستمرارية في مطالعة الشروحات ومداولتها، وحفظاً للأقوال والنصوص من النسيان والضياع مع تقدم الزمن، بالأخص فترة الاضطهاد والاضطرابات، حيث عكف الأحرار "التنائيم תנאים"<sup>(6)</sup> على توثيقها بالكتابة سياجاً للتوراة، وتم قبولها كسنة عن

(1) \_ ليلي إبراهيم أبو المجد، مدخل إلى دراسة التلمود مع ترجمة فصول مختارة، ط1، (القاهرة: دار الثقافة للنشر، 1431هـ-2010م)، ص3.

(2) \_ حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، ص67.

(3) \_ س. ليفي، كنوز التلمود، ص17.

(4) \_ أدين شتاينسالتر، مدخل إلى التلمود، ص48.

(5) \_ توماس. ل. تومسن، أسفار العهد القديم في التاريخ (اختلاق الماضي)، ترجمة عبد الوهاب غلوب ومراجعة محمد خليفة التونسي، (المجلس الأعلى للثقافة، 2000) ص340.

(6) \_ مشتق من كلمة תנא. بمعنى ردد وقرأ أي نقل شفهيًا، ويشير الاسم إلى الأجيال الأربعة من علماء المشنا الذين أكملوا الجدالات وبحثوا في الخلافات القائمة بين مدرسة هليل وشمائي، وقاموا بعد رجال الجمع الكبر بتدوين القانون الشفهي "المشنا" الجزء الأول وأساس التلمود بعد تدمير الهيكل، سنة 70م، مدتهم من سنة 10 إلى 210م وكان معظمهم من فقهاء اليهود القاطنين بفلسطين وهم فرقتان الأولى من شمعون الصديق إلى هليل وشمائي ويعرفون بالشيوخ الأول، يلقبون بالريان وكان أولهم يوحنا بن زكاي، والفرقة الثانية تنتهي إلى الراي أرينجا ويلقبون بالراي، ومن أشهرهم الحاخام عقيبا والحاخام يهوذا هاناسي. هلال فارحي، أساس الدين، ص23، وأدين شتاينسالتر، مدخل إلى التلمود، ص27.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

موسى (عليه السلام) (1).

بحسب المدونات اليهودية إن الظروف المحيطة بفلسطين أسهمت في عملية التدوين، خاصة بعد خراب الهيكل الثاني الذي اعتبره اليهود مؤشرا على ضياع اليهودية بضياع سنداتها الشرعية، إضافة إلى ما كان من تدهور في الأحوال السياسية والاجتماعية فترة الاضطهاد الروماني، وتسببه في غلق وتدمير كثير من المدارس الدينية كما أصبح الاعتماد- في حفظ التأمّلات والشريعة المتراكمة- على الذاكرة أمرا غير ممكن، فرأى الأخبار بضرورة الالتفاف حول ما يوحد ويجمع كيان اليهود عقديا وأخلاقيا ويلم شتاتهم، وذلك بالرجوع إلى الثوابت والقوانين التي تركها- كما يعتقدون- موسى (عليه السلام)، خشية فقدانها (2).

كما يعتقد أن مرويات ومعارف الأخبار الأولية ظلت لأجيال متعاقبة عرضة للفوضى، وخلال القرنين الأول والثاني قبل الميلاد بالتزامن مع تطور الفكر الحاخامي، برزت في الساحة اليهودية اتجاهات فكرية جديدة حول الدراسة الشفهية للقانون المكتوب ومحاولة جمعها، فقد رأى هليل (3) بضرورة وجود تفسير للتعاليم المكتوبة، وجعل نصوصها مرنة متسايرة ومناسبة ومتغيرات الظروف ومستجدات الأحداث، ونتيجة ظهور الجدالات (4) بين مدرستي هليل وشماي (5) حول القانون الشفهي الذي عد من

(1) \_ هلال فارحي، المصدر نفسه، ص22.

(2) -Mose Schaweb (Traduit Par) Le Talmud de Jérusalem, (Paris- Maisonneuve-1890), p7-8.

(3) -من أشهر حاخامات اليهود في القرن الأول ماقبل الميلاد اختير رئيسا للمجمع الأكبر، وهو مؤسس أول مدرسة يهودية عرف بأحكامه الدينية المرنة. رشاد عبد الله الشامي، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية، ص422

(4) -يعود ذلك إلى القرن الأول الميلادي بظهور أكثر من مشنا وبروايات مختلفة الحجم والمحتوى في الساحة الدينية، وكان أول من تابع جمعها الراي يوحنا بن زكاي، في مدرسة بينة، ثم قام الراي عقيبا بن يوسف بدمجها وتبويبها، وجمع إلى جانبها مواد متميزة من المدراس والمجاد، كما كان له دور في تمحيصها وترتيبها، فبسطها وأضاف إليها شروحا تعتبر أساس التشريع، ثم عمل تلميذه مائير على إتمام الجمع وتهذيبه، وأضاف إليها مزيدا من الأحكام، منتجا مشناه جديدة، غير أن هذه الأعمال لاقت بعض المعارضة في بدايتها، ولأن اليهود يؤمنون بعصمة الأخبار وبقدسية كلامهم، اعتبروا ماصدر عنهم عملا مقدسا وأن الالتزام به واجب شرعا، وقد نهج كبار الأخبار نهج عقيبا كل بطريقته الخاصة، مما أدى إلى الاختلاف حول الخطاب الشفهي المدون، فكان دور هناسي هو الفصل في ذلك. أحمد أيش، التلمود كتاب اليهود المقدس (تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه)، تقدم سهيل زكار، (دمشق: دار قتيبة، 2006)، ص27.

(5) -أحد حاخامات اليهود في القرن الأول قبل الميلاد عرف بأرائه المتصلة بخلاف آراء هليل المعاصر له. عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية والصهيونية، رؤية نقدية، د. ط، (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 1975)، ص233.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

كلام الله الموحى به جنباً إلى جنب مع أسفار الشريعة المكتوبة، حدثت انقسامات في تفسيرها، مما أسفر عنه وجود نسختين مختلفتين من القانون المكتوب "المشنا"<sup>(1)</sup>.

تبعاً لذلك ودفعاً للاختلاف القائم وقضاء على التشويش بين المدرستين، عمل الراي يهوذا هناسي في عام 150م على جمع وترتيب تلك الشروحات في كتاب اسمه "المشنا"، الصورة الثانية للشريعة، بهدف بيان وإجلاء الغموض عن القانون المكتوب، وحفظاً لروح الشريعة من النسيان والضياع<sup>(2)</sup>، مقراً بذلك المجموعة التشريعية العامة للمشنا التي يضمها التلمود الحالي إتماماً لجهود من سبقه من العلماء<sup>(3)</sup>. فكانت أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة فيما بين 190-200 م، وذلك بعد تدمير الهيكل على يد تيطس الروماني بحوالي قرن تقريباً<sup>(4)</sup>.

كتب موسى بن ميمون<sup>(5)</sup> في كتابه "شرح المشنا" في هذا الصدد: "منذ أيام معلمنا موسى حتى حاخامنا المقدس "يهوذا هناسي" لم يتفق أحد من علماء اليهود على أية عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية باسم القانون الشفهي، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو بنيه يضع مذكرة عما سمعه عن سلفه وموجهيه لينقلها شفهيًا إلى شعبه، وهكذا ألف كل فرد من العلماء كتاباً مماثلاً يستفاد منه حسب درجة كفاءته إذا كان متمكناً من القوانين الشفهية، وما توصل إليه السابقون في تفسير التوراة، والقرارات التي أعلنت في مختلف الأجيال، وقررها مجلس العلماء "السنهدين"، وهكذا تقدم الزمن حتى جاء حاخامنا المقدس الذي جمع لأول مرة كل ما تعلق بالسنة والقرارات وشرح القانون المروي عن

(1)-M. L'abbé August Rohling, le Juif Talmudiste, Ibid, p16.

(2)-Ibid, p44.

(3) \_ أدين شتاينسالتر، مدخل إلى التلمود، ص48.

(4) \_ ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، مرجع سابق، ص11.

(5)-من أشهر فلاسفة ومفسري اليهود في القرون الوسطى، عرف باسم "الرميم" ولد بقرطبة (1135م-1204م)، كان أبوه من أكبر أبحار اليهود، تعلم على يديه الديانة اليهودية ومضامينها، كما درس التلمود والفلسفة وكتب أرسطو، واتيحت له فرصة الاطاعة بالفلسفة الإسلامية، ألف في الفلسفة والطب والتفسير اليهودي، من أشهر مقالاته في السموم والتحرز من الأدوية، ومقاتته في تحديد الصحة، كما ألف أقدم مجموعة للقانون التلمودي كتاب الفرائض، وتثنية التوراة في الفقه والتشريع الإسرائيلي، كما دون كتابه في العقيدة والشرائع اليهودية "دلالة الحائرين"، وهو أرقى ما وصل إليه التفكير اليهودي في القرون الوسطى، أشار باستمرار إلى فكرة الشعب المقدس وفكرة الشعب المختار، لا تزال أفكاره تحصب العقلية اليهودية إلى يومنا هذا: إسرائيل ويلفنسون، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط1، (مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936م)، ص141-142، وعبد المنعم حفي، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، د. ط، (مصر: مكتبة مدبولي، د. ت). ص39.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

موسى -معلمنا- المأمور به في كل جيل<sup>(1)</sup>.

من وجهة نظر علماء اليهود لم يكن تدمير الهيكل الثاني ليقضي على اليهودية، بقدر ما كان عاملاً في انبعائها بفضل النشاط الحاخامي، فبعد أن كانت مرتكزة على العبادة القربانية تحت سلطة الكهنة حل الأحرار محلهم كزعماء لليهود ولعب مجلس العلماء(السنهدرين) دور المجلس التشريعي والقضائي المركزي، وانتقلت اليهودية على أثر ذلك من اليهودية التوراتية الى اليهودية الحاخامية<sup>(2)</sup>، مما أدى إلى حدوث تغيرات بنوية على مستوى النظام الديني، مشكّلة أهم مرحلة من مراحل التاريخ اليهودي، حيث تأسس القانون الشفهي واكتسب روحانية الشعب اليهودي للقرون القادمة، وخضع فيها المجتمع اليهودي للنظام الديني الحاخامي<sup>(3)</sup>.

ومع ذلك بقي تحديد زمن تدوين المشنا غير واضح، فتذ الدراسات الحديثة إلى أن تدوين المرويات وشروحاتها لم يكن في القرن الثالث الميلادي، وأنه متأخر بكثير عما ذهب إليه علماء اليهود، وأن علماء اليهود لم يشرعوا في تدوينها إلا بعد ظهور الإسلام، بعد اهتداء كثير من أحرارهم ، وخشية اندثارها قاموا بتجميع ما كان لديهم من القانون الشفهي في مختلف مراكز تجمعهم ومدارسهم في بابل وفلسطين، ويفسر ذلك بوجود التشابه أو تكرار المرويات في كتب التفاسير، مما يدل على أنها دونت في أزمنة متقاربة، كما يؤكد الباحثون على صحة أن التدوين قد تم في العصر الاسلامي، استعمال العلماء اليهود للمصطلحات الإسلامية بما يدل على تأثرهم بالمنهج التفسيري الإسلامية، على غرار مصطلح المهجادة<sup>(4)</sup> (الذي جعلوه

(1) - ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص13.

(2) - روبن فايرستن وآخرون، ذرية إبراهيم (مقدمة عن اليهودية للمسلمين)، ترجمة عبد الغني بن إبراهيم، تحرير الترجمة العربية وتنقيحها: وصفي كيلاوي ود. إران ليرمان، د. ط، (معهد هاريت وروبرت للتفاهم الدولي بين الأديان اللجنة اليهودية الأمريكية، دت)، ص39.

(3) - أدين شتاينسالتر، مدخل إلى التلمود، ص26-38.

(4) - تشير الدراسة النقدية لموضوع المشناه إلى وجود مادتين رئيسيتين تشكلان، تتمثل الأولى في الهالاخا من الجذر (ه ل خ) بمعنى يمشي، ويترجم معناه بـ "المنهج الديني" الذي استعمل في المشنا للدلالة على التعاليم المنسوبة إلى موسى عليه السلام، والتي تناقلتها أجيال بعد أجيال بناء على الاعتقاد الفريسي القائل باستمرار الوحي السنائي، فهي المنظومة التشريعية اليهودية، ومصدرها فتاوى وأحكام أصدرتها مدارس الشريعة في بابل وفلسطين خلال الفترة الممتدة بين السبي والعودة إلى فلسطين، لتكون قواعد شرعية واجبة الإلتزام، واستخدم المصطلح لأول مرة على لسان هليل، لكن لم يسمح بكتابتها خشية اختلاطها بالتوراة وإن كان ذلك لم يمنع من كتابتها سرا، وأقدم مجموعة للهالاخا تعود إلى ما أصدرته مدرسة الحبر هليل في عصر المسيح، أما المادة الثانية المكونة للمشناه الهاجادا شروحات لقواعد الهالاخا والتوراة معاً، وهي عبارة عن فقرات قصصية عن الأحبار وشخصيات توراتية وملائكة وأعاجيب، وتتضمن الأجاده وجهات نظر حول الحياة الأبدية والحياة الدنيوية لليهود، وعن عظماء اليهود، تاريخهم وأعمالهم، ومنهجهم ومعاييرهم، وعن الإنسان والعالم، وأقوال عن

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الربني (اليهودي وولالته على العنف

يقابل الإسناد أو الروية في التفسير الإسلامي، فكانت دعوى أقدمية التدوين إنما هي من باب استبعاد للتأثير الإسلامي<sup>(1)</sup>، ويتوافق هذا الرأي مع ما يذهب إليه بعض المؤرخين من غير اليهود أمثال يوحنا مورينوس **jean morinus** في القول: أن إعادة تجميع المشنا قد تم نهاية القرن الخامس الميلادي<sup>(2)</sup>.

في الواقع تقدم المشنا في شموليتها تفسيراً جديداً وانبعثاً لليهودية التلمودية. بما يسمح بالحديث عن مرحلة حساسة من مراحل تطور اليهودية بفكر حاخامي يعد مصدراً للدين اليهودي بعد التوراة، ومنظماً لحقيقة الحياة اليهودية، وفضلاً عن كونه مفسراً للتوراة وباقي أسفار التناخ، فإنه يبرز التصور اليهودي عن كل شيء، ويحدد رسمياً علاقة اليهود بغيرهم، إذ يتضمن الكثير من النصوص التي تشير إلى أفضلية بني إسرائيل على النحو الذي سنبينه لاحقاً.

### 3) أقسام المشنا:

تتضمن المشنا ستة فصول أساسية أو تعاليم (سيداريم) أطلق عليها شاس **שש** اختصاراً للكلمة العبرية "شيشا سيداريم" إشارة إلى التلمود، عندما أصبح تحت الرقابة المسيحية<sup>(3)</sup>، وهي الأنظمة أو الأوامر الدينية الستة أو الأحكام الستة، التي وضعها الراي آشي، وهي مقسمة بدورها إلى مقالات (ماسيختوت) أي الكتب الموسعة، ومجموعها 63، تختلف من رسالة إلى أخرى، كل منها مقسم إلى فصول تشكل في مجموعها أولى أقسام التلمود وأساسه وبها تسمى، وقد كتبت بلغة متداخلة مع العبرية الآرامية، والكلدانية، والسريانية، والعربية، واليونانية، والكلمات اللاتينية<sup>(4)</sup>، وقد سميت بحسب مضامينها، ممثلة في<sup>(5)</sup>:

الأخلاق والسلوك وأقوال تشجيع وتعزية ونبوءة عن المستقبل وأساطير وأشعار. ولكونها ذات طابع فردي سمح بتدوينها باعتبارها كانت توضيحاً للقواعد الشرعية وأحكامها. L'abbé L. Chiarini, le talmud de Babylone, Ibid, p10 et, Philippe Haddad, Midrash, Pensee Libérante d'israel, Ibid, p10 وس. ليفي، كنوز التلمود، ص17.

<sup>(1)</sup> \_ ليلي إبراهيم أبو المجد، مدخل إلى دراسة التلمود مع ترجمة فصول مختارة، ط1 (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2010)، ص11.

<sup>(2)</sup> -L'abbé L. Chiarini, le talmud de Babylone, p14.

<sup>(3)</sup> \_ أدين شتاينسلتر، مدخل إلى التلمود، ص121.

<sup>(4)</sup> \_ س. ليفي، كنوز التلمود، ص20، الأب أي. بي. برنايتس، فضح التلمود (تعاليم الحاخامين السرية)، ط4، (بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1412هـ-1991م)، ص30.

<sup>(5)</sup> \_ أ. كوهين، التلمود، ص27-34، وأدين شتاينسلتر، المصدر السابق، ص122-124، س. ليفي، كنوز التلمود، ص17-21، والأب أي. بي. برنايتس، مصدر سابق، ص31-33.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

1. زراعيم (كتاب الزراعة أو نظام الحبوب) זרעים: يتضمن الحديث عن النظام الديني للزراعة وتشريعاتها في فلسطين، وملحق من الصدقات الخاصة بالكهنة تجاه الفقراء، إضافة إلى اشتماله على الصلوات والأدعية بأنواعها، ويشمل أحد عشر مبحثا.

2. موعيد (الأعياد/الاحتفالات) מועד، يعرض لأحكام إقامة الطقوس الاحتفالية التعبدية وما يرافقها من استعدادات المعبد، كما يهتم ببيان كيفية التقويم العبري، والأعياد الدينية، والقواعد الخاصة بها، وحدود إقامتها، ويشتمل الكتاب على اثني عشر مبحثا.

3. ناشيم (النساء) נשים، يتعلق بأحكام الأسرة من زواج، وطلاق، ونظام، الإرث والوصايا والندور، والإيمان، وما يترتب على المخالفات من عقوبات، إضافة إلى تناوله علاقة اليهود بغيرهم، ويضم سبعة مباحث.

4. نيزقيم (الأضرار) נזקים، ويعرف مجازا بكتاب الخلاص، كما يطلق عليه كتاب المعونة، لأنه يبحث في الملاجئ المقدمة للضحايا وأحكام القضاء في القوانين الدينية والمدنية والعقوبات والتعويضات، وأهم الأبواب فيه، يدور حول تشكيل السنهدرين، ونظامه، وسلطانه، وخصص فيه أيضا باب حكم العبادات الأجنبية، وبيان أحكام التعامل مع غير اليهود، ويشتمل على عشرة مباحث، ونظرا لطول مادته - حيث تشمل ثلاثين فصلا - فقد تم تصنيفه إلى ثلاثة أبواب: الباب الأول، Baba Kama، والباب الوسط Baba Metzia، والباب الأخير Baba Batra.

5. قوداشيم (كتاب المقدسات) קדשים، يطلق عليه مجازا كتاب الحكمة، ويتناول أحكام القرابين الاعتيادية، والدينية، وسائر الطقوس المعبدية وخدمة المعبد، ويشمل أحد عشر مبحثا.

6. توهروت (كتاب الطهارة) טהרות، يتحدث عن قوانين الطهارة بأنواعها الشخصية والتعبدية، وطرقها، ويعد من أصعب الكتب تناولاً، لذا لم يلحق هذا القسم بشروحات، ويتكون من اثني عشرة مبحثا.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

وإلى جانب هذه المشنا توجد مشنا خارجية مشنا هتصونا **מישנה היצוונה**، يقال لها برايتا **ברייתא**<sup>(1)</sup>، وتشمل سنن الأحبار التي لم ترد في المشنا الأصلية<sup>(2)</sup>.

### II. الجمار:

الجمارا كلمة معناها إتمام وتكميل مشتقة من الفعل العبري **גמר** بمعنى تم وأكمل<sup>(3)</sup>. وهي عبارة عن شروحات وتعليقات أضافها المفسرون **الأمورائم** **אמוראים**<sup>(4)</sup>، وضعت كحواشي محيطية بالمشناه تناولته بالشرح والتفسير، من أجل توضيح القواعد والأحكام، وقد صيغت في شكل مناظرات تفوق مادتها مادة المشناه<sup>(5)</sup>.

أما الأصل في ظهور الجمارا فيعزوه اليهود إلى صعوبة فهم المشناه بعد موت يهوذا هاناسي، وهو ما دفع العديد من الأحبار **الأمورائم** إلى تهذيب المشنا بإضافة الحواشي والزيادات لتيسير الفهم وإدراك أحكامها في الفترة الممتدة بين نهاية القرن الثاني الميلادي وحتى بداية القرن السادس الميلادي، وهي الفترة التي استمر نشاط المدارس الدينية اليهودية فيها بين فلسطين وبابل.

فمن وجهة نظر علماء اليهود أن ما جمعه هاناسي من المشناه كانت بحاجة إلى بيان وتفصيل أكثر، ولأنهم استصعبوا فهمها اعتبر تفسيرها وتفصيلها ضرورة تقتضيها ظروف الحياة اليهودية المتغيرة، فنشطت المدارس الدينية حتى أصبحت المظهر الأساس للحياة اليهودية خلال الفترة (220-500م)، حيث عكف **الأمورائم** على تحليل وتفسير وإضافة شروحات أو التحسين فيها، وتعليقات إلى متن المشناه،

(1) -برايتا مصطلح فقهي أرامي بمعنى الخارجة أو البرأنية، يطلق على مجموع التشريعات التي لم يتم ادراجها ضمن كتاب المشنا الذي رتبته يهوذا هاناسي، توجد كملاحق تفسيرية على صفحات التلمود البابلي والأورشليمي المتداولين. حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص87.

(2) - هلال فارحي، أساس الدين، ص24.

(3) - المرجع نفسه، ص25.

(4) -هم المفسرون **مפרשים** أو المتكلمون الذين ساهموا في صياغة شروح المشنا التي تشكلت مع الجمارا، وهم سبعة أجيال أتوا بعد التنايم، وهم فلسطينيون من مدارس قيصرية، وطبريا، وسفروس "صفورية"، وأوشا في فلسطين، ونهاديا، وسورا، ويومديتا في بابل، كانت مدتهم 280 سنة من 220 وحتى 500م، وتقريبا بعد وفاه هاناسي حوالي 219م إلى ختم التلمود، كان الفلسطيني منهم يلقب بالربي، وأما البابلي فيلقب راب أو مار. هلال فارحي، المصدر نفسه، ص23.

Albert Guigui, le Judaisme Toute une vie, Ibid, p16

(5) -M. L'abbé August Rohling, Le juif selon le Talmud, Ibid, p43.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

جاءت في صيغة مناظرات، وتعاليم تفوق مادتها مادة المشنا، عرفت بالجمارا<sup>(1)</sup>.

تبنى الجمارا بالنسبة لمضمونها على أحاديث وروايات ومسموعات عن الأخبار كما تحتوي على إيضاحات وشروح وتفسيرات عن المتن (المشنا)، وكذا مختصرات المباحث والمجادلات التي حصلت في المدارس الدينية لأجل هذه الشروح والتفسيرات، إضافة إلى ذلك فهي تشمل ما يراه الأخبار من الأمور الهامة؛ كأمثال، وأدبيات، وأسئلة، وردودها عن مواضيع مختلفة، واعتقادات، وأخبار، ومعلومات دينوية، وطبية وفلكية، فهو بمثابة "دائرة المعارف"<sup>(2)</sup>.

يعتبر اليهود الأرثوذكس الجمار تعبيراً واضحاً عن توسع مدارك الأخبار في فهم الشريعة الأولى من جهة، وتوثيق علاقة اليهودي نفسياً بالتلمود الذي طبع الذاكرة اليهودية عبر أجيال، أين درس مفاهيمه واستوعب عقائده من جهة أخرى، وهو ما جعل التلمود كتاب التعاليم، والعقائد، والأخلاق اليهودية بامتياز<sup>(3)</sup>، وبحسب التقليد اليهودي دونت هذه الشروحات في بادئ الأمر مفرقة، إلا أن فترة الاضطهاد الروماني التي مني بها اليهود في فلسطين في القرن الرابع، وفي بابل في القرن الخامس، وما لحق المدارس من هدم وإغلاق، ألجأت الأخبار إلى جمع مادتها كتتمة للمشناة مكونة كتاب التعاليم والعقائد والأخلاق اليهودية من مجموع المشنا والجمار، وكان ذلك في نهاية القرن الخامس الميلادي، أو بعده على الأرجح<sup>(4)</sup>.

### ثالثاً: التلمود الأورشليمي، والتلمود البابلي:

على مدار سنوات طويلة تطور رصيد الحكمة الشفهية "المشناه" للأخبار الفريسيين، خاصة فيما تعلق بالعقيدة والشريعة، وكذا التاريخ والحياة اليهودية العامة<sup>(5)</sup>، فبدأ حكم الجامع الدينية وأخبار الشريعة، ووقعت اليهودية على إثره تحت سلطان حرفية القانون الشفهي، وطبعت بطابع اليهودية الحاخامية التلمودية، وفي المقابل تم القضاء على الثقافة النبوية ذات النزعة الروحانية والتوجه الإنساني العالمي<sup>(6)</sup>، وبذلك اكتملت عناصر التلمود بصورته الحالية.

(1)-M. L'abbé, August Rohling, le juif selon le Talmud, Ibid, p43.

(2) \_ هلال فارحي، مصدر سابق، ص25.

(3)-Le Juif Talmudiste, M. L'abbé August Rohling, Ibid, p12.

(4)-L'abbé L. Chiarini, le Talmud de Babylone, Ibid, p10.

(5) \_ علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص22.

(6) \_ رشاد عبد الله الشامي، رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي، ط1، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر،

2007)، ص8-9.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الربني (اليهودي وولائها على العنف

نظرا لكون شروحات المشناه قد تمت في بيئتين مختلفتين على مستوى المدارس اليهودية في فلسطين وبابل فقد نتج بمقتضاها صيغتان للتلמוד شكلت المشنا في كل منهما صيغة واحدة، بينما تختلفان في شروحها (الجمار)، وهما التلمود البابلي والتلمود الأورشليمي.

### 1. التلمود الأورشليمي:

شكلت المشنا مع جمارا فلسطين ما يعرف بالتلمود الأورشليمي، الذي تم تأليفه في أشهر مدارس فلسطين قيسرية وطبرية واللد وبينه، خاصة في أيام أشهر علمائها من الأمورائيم، الرباب يوحنا بن زكاي<sup>(1)</sup>، تلميذ الرابي يهوذا هاناسي، وهو ممن وضعوا أسس التلمود الأورشليمي الذي استمر تأليفه بدءا من القرن الرابع وحتى القرن السادس الميلادي<sup>(2)</sup>.

هذا وتختلف الدراسات حول تسميته، فيعزو بعض العلماء مصدر تسميته بالتلمود الأورشليمي إلى قوة اللغة التي تمت بها دراسة الجمارا التي فرضت اسم أورشليم، وأن الأصل في تأليفه كان في مدينة السامرة بإقليم فلسطين، وذلك لعدم وجود المدارس الربانية بأورشليم بعد تدمير الهيكل<sup>(3)</sup>.

في حين يُرجع بعضهم الآخر تأليفه إلى علماء قيسرية وأن الاسم أطلق مجازا على سبيل إطلاق الكل على الجزء، كما أطلق عليه أهل العراق "تلمود الغرب" و"إرتس إسرائيل" تمييزا له عن تلمود بابل<sup>(4)</sup>.

يحتوي التلمود الأورشليمي على تسعة وثلاثين مبحثا بلغة عبرية<sup>(5)</sup> في مجلد واحد، اختلف العلماء حول محتواه بين ستة أحكام أو خمسة أحكام أو أربعة، وتلخص مواده في مجموعته المعتقدات والسلوكيات الخطيرة لليهود، وهو أقل اعتمادا لدى اليهود مقارنة بالتلمود البابلي بسبب اكتشافه بشرح بعض أجزاء

(1) - مؤسس المدرسة التلمودية والسنيديين في القرن الأول في بينة "جمنيا" بفلسطين، كان من معلمي الشريعة الذين أوجدوا لليهود وطنا روحيا، من خلال دعوته إلى ضرورة الالتفاف حول التوراة والتراث اليهودي، تحقيقا لاستمرار اليهودية بعد خراب الهيكل، حتى يمكنهم ذلك من استرجاعه مرة أخرى، ويعتبر بموقفه هذا بطل الصهيونية الثقافية، وصهيونية المنفى في الدفاع عن الأمة الروحية. عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية والصهيونية، ص459.

(2) - M. L'abbé August Rohling, Le juif Talmudiste, Ibid, p46, et L'abbé L. Chiarin, Le Talmud de Babylone, Ibid, p14.

(3) - Mose Schaweb (Traduit Par) Le Talmud de Jérusalem, Ibid, p9.

(4) - أدين شتاينسالتر، مدخل إلى التلمود، ص40، وظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص23.

(5) - هلال فارحي، أساس الدين، ص23.

المشنا مع مناقشات موجزة بين الأحبار والترجيح بينها<sup>(1)</sup>.

## 2. التلمود البابلي:

هو حصيلة المشنا مع شروحها الجمارا وتنسب بداية تأليفه إلى الرب آشي، رئيس مدرسة سورا بمساعدة أحبار بابل<sup>(2)</sup>، وكان ذلك سنة 327م واستمر في عمله مدة عامين ثم تابع العمل بعده الرابي ماريمار سنة 427م، حتى جاء الرابي أبينا وختم تجميعها في حوالي سنة 500م<sup>(3)</sup>، ومن العلماء من يرى أن عملية تفسير المشنا في مدارس بابل كانت أقدم بكثير مما كان في فلسطين، وأنها بدأت مع مطلع القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن السادس، مع استمرار الإضافات والشروح، حيث واكبت ظهور التفسير الرمزي على يد موسى بن ميمون، إضافة إلى نشاط التفسير الفلسفي للمعتقدات اليهودية، والذي تواصل تدفقه حتى نهاية القرن الثامن عشر للميلاد<sup>(4)</sup>، أما اللغة التي ألف بها التلمود البابلي فكانت اللغة الآرامية الجنوبية الشرقية<sup>(5)(6)</sup>.

يتكون التلمود البابلي من 36 مبحثا، نحو أربعة أضعاف التلمود الأورشليمي وأوسع نطاقا منه، ويختلف عنه حجما ومحتوى ولغة، فبحكم تأليفه في بيئة آمنة كانت مادته أكثر شمولية، وأفضل تنسيقا وتعمقا وكامالا من الفلسطيني<sup>(7)</sup>، ولأن الأحبار في بابل كانت لديهم فرصة الاطلاع خاصة على الأدب الفارسي، فقد ترك ذلك أثرا واضحا في تفسير المشنا وبناء مفاهيم نصوص التلمود والتبحر في الفكر اليهودي<sup>(8)</sup>، ما جعل التلمود البابلي أكثر تقديرا عند اليهود<sup>(9)</sup>.

(1)-M. L'abbé August Rohling, le juif talmudiste, Ibid, p12-13.

(2)-L'abbé L. Chiarini, Le talmud de babylone, Ibid, p9.

(3) \_ الأب أي. بي. برنايتس، فضح التلمود، ص25.

(4) \_ أحمد أييش، التلمود كتاب اليهود المقدس، ص33.

(5) -إحدى فروع الأرامية الشرقية بالعراق، وأقرب الفروع إلى اللهجة المندائية الصابئية جنوبي العراق. س. ليفي، كنوز التلمود، ص23.

(6) \_ علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص24.

(7) \_ هلال فارحي، أساس الدين، ص23.

(8) -وفي هذا الصدد يذكر إسرائيل ولفنسون في وصفه للتلمود البابلي، ويبيان مدى تشربه للتراثين البابلي والفارسي، أنه "إشتمل على نظريات كثيرة في الفلك والطبيعة وكل ماكان يشغل بال اليهود، ففيه إلى جانب الأحكام التشريعية مباحث في التاريخ والروايات والقصص والأراء الكثيرة التي وصلت إلى الأحبار من البابليين والفرس، وأدمجت كل هذه النظريات حتى تمثل - تمثيلا صحيحا حقيقيا- عقلية اليهود في جميع نواحي حياتهم مدة ثلاثة قرون". إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون، ص46.

(9) \_ ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، مرجع سابق، ص38.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه إذا ما أطلق اللفظ فعادة ما يراد به التلمود البابلي دون سواه، حيث يعتبر التلمود البابلي موسوعة المعارف اليهودية، ومصدرا أساسا للتشريعات اليهودية، وفي ذلك يقول إسرائيل شاحك: "يجب أن نفهم بوضوح وبدقة أن التلمود البابلي هو مصدر المرجعيات للممارسات اليهودية الكلاسيكية والأورثوذكسية الحالية والقاعدة لبنيتها الشرعية، في حين يعد التلمود الفلسطيني مرجعا إضافيا ومكملا... ، وابتداء من القرن الثامن الميلادي بات مرجعا معتمدا يُدرّس ويُطوّر في كامل المجتمعات اليهودية"<sup>(1)</sup>.

### رابعا: قدسية التلمود ومزلقته من التشريع اليهودي:

يعتقد علماء اليهود بتواتر هذه الشروحات إثباتا لأقدميتها، وحفظها جنبا إلى جنب مع القانون المكتوب، ويقولون أنه بعد تلقي موسى (عليه السلام)، هذه الشروحات لقنها لهارون (عليه السلام) وتلميذه يوشع بن نون، ثم تناقلها الآباء جيلا بعد جيل، وأخذها عنهم الأنبياء وصولا إلى المجمع الأكبر الذي حفظها، ثم قيام الراي يهوذا هالناسي بجمعها وترتيبها<sup>(2)</sup>، ويذكر ديورانت أن ذلك هو ما جعلها تكتسب قداسة، وأن ما فيها من الأوامر والنواهي واجبة الطاعة، تستوى في هذا مع ما جاء في الكتاب المقدس<sup>(3)</sup>.

يفسر اليهود قداسة الشروحات -فضلا عن صعوبة نصوص التوراة التي لا يمكن فهمها إلا تحت ضوء الفكر الحاخامي- بفقدان اليهود القدرة على تحديد نمط حياتهم بعيدا عن التعاليم الحاخامية، فالتوراة -كما يذكر أدين شتاينسالتر- نفسها تؤكد على وجود مسائل بحاجة إلى معرفة أكثر تخصص<sup>(4)</sup>، كما تتطلب فحصا أكثر، وهذه المهام -كما يرون- تولاهها مفسرو التوراة منذ زمن الهيكل الثاني<sup>(5)</sup>.

لقد اعتبر التلمود كما رأينا -فضلا عن كونه مكملا للتشريعة وموصلا لمفاهيمها إلى قلوب اليهود- عملا وافرا أوجد عالما حياتيا خاصا بهم، من خلال اجتهادات أحبارهم في إبراز الجانب المبهم

(1) \_ إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ترجمة رضى سلمان، تقلم إدوارد سعيد، ط4، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1997م)، ص74 و78.

(2) \_ أ. كوهين، التلمود، ص18 وأدين شتاينسالتر، مدخل على التلمود، ص14.

(3) \_ ويل وايريل ديورانت، قصة الحضارة (عصر الإيمان)، ترجمة محمد بدران، د. ط، (بيروت: دار الجيل للنشر والتوزيع، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة، د. ت)، ص14، ص18.

(4) -يستدلون في ذلك بما ورد في تثنية 8/9-9.

(5) \_ أدين شتاينسالتر، المصدر السابق، ص23.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الربني (اليهودي وولادتها على العنف

من الشريعة المكتوبة، كما عده اليهود القانون التشريعي والأخلاقي الذي يحميهم في كل مراحل حياتهم، من الولادة حتى الموت.

فهذه القيمة الروحية للتلמוד خولته ليكون المحرك الأساس لكل ما هو يهودي، ولم يكن لليهود الخيار أو مجرد التفكير في كون محتواه من وحي الله أم لا، ويشرح الراي مناحيم ذلك بقوله: "على الرغم من رفض بعض اليهود أن يكون محتوى التلمود إلهيا، إلا أنه يوجد مذهب يهودي رسمي يمنح الأحبار السلطة الإلهية، ما يجعل الإيمان به إلزاميا"<sup>(1)</sup>. ذلك لأن القانون الشفهي، كما يقول موسى بن ميمون: "له السلطة ذاتها كما للقانون المكتوب، لأنهما خرجا -أصلا- من فم الله"<sup>(2)</sup>، وعلى أساس من هذا ينظر إلى أقوال الأحبار على أنها أكثر قداسة مما جاء في الشريعة المكتوبة.

لقد رأى اليهود في التلمود على مر العصور كتابا إلهيا يفوق أسفار التناخ منزلة، باعتباره "كلمات الله الأزلية وصناعة للقوانين التي أوحى الله بها إلى موسى شفويا"<sup>(3)</sup>، مما حدا بالراي ميناحيم أن يقول: "إننا نتفق مع كثيرين بأن الله سبحانه وتعالى يستشير الحاخامات في الأرض، ويأخذ بمشوراهم إذا ما استعصى عليه أمر في السماء"<sup>(4)</sup>.

يمكننا استقراء هذه المعاني مما جاء في التعاليم الربانية التي تقر بصريح صريح: "أن مخالفة الحاخام أو المعلم إنما هي مخالفة للعزة الإلهية، وأن كلمات الحاخامات هي كلام الله الحي، وأن كلام الحاخام يفوق منزلة كلام الأنبياء، ... ولو أن أحدهم "الحاخام"، قال لك أن يدك اليمنى هي اليسرى، وأن اليسرى هي اليمنى فينبغي عليك أن تسلم بكلماته"<sup>(5)</sup>، بل يؤكد علماء التلمود أن الحاخام يملك حق القرار أكثر من السلطة الإلهية، يقول روهلنج: "إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها أو تغييرها، ولو بأمر الله، وقد وقع يوما الخلاف بين الباربي تعالى وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدل تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربانيين واضطر الله أن يعترف بغلظه بعد حكم الحاخام المذكور"<sup>(6)</sup>.

(1)-M. L'abbé August Rohling, Le Juif Talmudiste, Ibid, p15.

(2)-L'Abbé L. Chiarini, Le Talmud de Babylone, Ibid, p6.

(3) \_ ول ديورانت، قصة الحضارة، مج14، ص18.

(4)-M. L'abbé August Rohling, le juif selon le talmud, Ibid, p55

(5)-M. L'abbé August Rohling, Le Juif Talmudiste, Ibid, p15-16.

(6) \_ د. روهلنج - شارل لوران، الكثر المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: يوسف حنا نصر الله، دراسة وتقديم: أحمد حجازي السقا، ط1، (القاهرة: مكتبة النافذة، 2003)، ص113.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

بلغت قدسية التلمود لدى الأحبار أن ألزموا اليهود بوجوب دراسة الشريعة بشقيها المسطورة والشفوية، وأن يقول الدارس لنفسه في كل يوم: "كأنا في هذا اليوم قد تلقيناها من طور سيناء"<sup>(1)</sup>، كما يجب على كل يهودي تقسيم دراسته إلى ثلاث حصص، "يكرس فيها الثلث الأول لدراسة القانون المكتوب، والثلث الثاني لدراسة المشنا، والثلث الثالث لدراسة الجمارا"<sup>(2)</sup>، ومن هنا كان لمذاكرة التلمود فضل على اليهودي: "إن الذين يكرسون أنفسهم لقراءة الكتاب المقدس، يؤدون فضيلة لا ريب فيها، ولكن ليست كبيرة، وأولئك الذين يدرسون المشنا يؤدون فضيلة، سوف ينالون المكافأة عليها، لكن أولئك الذين يأخذون على عاتقهم دراسة الجمارة يؤدون فضيلة سامية جدا"<sup>(3)</sup>.

في المقابل يكفر الأحبار كل من يقرأ التوراة من دون المشنا والجمارا"<sup>(4)</sup>، قال الرابي هونا: "من يشغل نفسه بدراسة التوراة - الشريعة - فقط كمن لا رب له، كما ورد (ولإسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق، وبلا كاهن معلم، وبلا شريعة) 2 أخبار 3/15"<sup>(5)</sup>، بل عدت مخالفة أو احتقار أقوال الأحبار خطيئة تستوجب الموت، أما غير اليهودي فقراءته للتلمود تعد جريمة في حق هذه القداسة، تصل عقوبتها إلى قتله وقتل من ساعده على ذلك"<sup>(6)</sup>.

تبعاً لذلك أصبحت التعاليم التلمودية مع مرور الزمن، دستورا خضعت له جميع أنظمة الحياة اليهودية، ويبدو هذا المفهوم في تعبيرات الربانيين في حديثهم عن منزلته من أسفار التناخ، فإذا كانت التوراة بالنسبة إليهم "بمثابة الماء، فإن شروحات المشنا بمثابة النبيذ، والجمارا بمثابة عطر النبيذ، وكما أن العالم لا يمكنه الاستمرار في الوجود دون الماء والنبيذ، والنبيذ المعطر، كذلك لا يمكن تصور وجود التوراة من غير المشنا"<sup>(7)</sup>.

كانت هذه القداسة القاسم المشترك بين الشعب اليهودي وبين التلمود، حتى أضحى وجود كل

(1) \_ ول ديورانت، المصدر السابق، ج14، ص17.

(2) \_ ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص55.

(3) \_ الأب أي. بي. برنايتس، فضح التلمود، ص41.

(4) \_ د. روهنج، المصدر السابق، ص50.

(5) \_ شيماء محمد حسن (ترجمة)، الآخر في التلمود، (باب العبادات الأجنبية في التلمود - عفودا زاره)، مراجعة وتقديم ليلي إبراهيم أبو المجد، ط1، (القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 1428هـ - 2007م)، ص120.

(6) - M. L'abbé August Rohling, le juif selon le talmud, Ibid, p8-14.

(7) - M. L'abbé August Rohling, Le Juif Talmudiste, Ibid, p11.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

واحد منهما مرهون بوجود الآخر، يقول إسحق جيزنبرغ: " أعطى التلمود اليهودي جنة خالدة يلجأ إليها كيف شاء، هاربا من العالم الخارجي بكل ما فيه من ضغط ومظالم، إشباعا لأعمق أمانيه الدينية، وكذلك وجد اليهود في التلمود نافذتهم لأسمى استلها ماتهم الفكرية، ورغم أن العالم قد انقطع عن قرونيه الماضية، فإن التلمود لا يزال - بعد التوراة - القوة الروحية والأخلاقية المتميزة في الحياة اليهودية"<sup>(1)</sup>، بل إن تلقي بني إسرائيل للتوراة الشفهية ومدارسها جنبا إلى جنب مع التوراة يعد تمييزا لهم، ويشرح أ. كوهين: ذلك بقوله: "أعطى القدوس الواحد (المجدد) إسرائيل اثنتين من التوراة مكتوبة وشفهية، أعطاهم التوراة المكتوبة التي تتضمن ستمائة وثلاثة عشر وصية، لتزويدهم بمبادئ يتمكن الإسرائيليون بواسطتها من الحصول على الاستحقاقات، وأعطاهم التوراة الشفهية ليميزهم عن الأمم الأخرى"<sup>(2)</sup>.

يبدو هذا التمييز بوضوح، في كون الأبحار يعتبرون سر الإيمان اليهودي يكمن بهبة التلمود، كحجة إلهية وبرهان على تفضيل الشعب اليهودي وسر اختياره من بين سائر الشعوب: إن الله أعطى اليهود التوراة الشفهية تمييزا لهم عن الجويميم (غير اليهود)، وأن هذا العطاء لم يكن كتابة حتى لا يتمكن غير اليهود من سرقة وتغييره، كما فعلوا بالقانون المكتوب، وهكذا احتص الله اليهود دون غيرهم بالقانون الشفهي ليكون بمثابة الشاهد على تفضيلهم وتميزهم<sup>(3)</sup>. ولنا أن نتساءل كيف تكون هذه المعاني العنصرية من لدن الله سبحانه وتعالى عن ذلك؟

إن هذه المفاهيم شكلت صرح التوجه الديني والفكري لليهود الأرثوذكس، وهم الذين يمثل أتباعهم السواد الأعظم لليهود داخل وخارج إسرائيل وهم الذين يحكمون في إسرائيل اليوم، وذلك أمام تعاظم التوظيف الصهيوني للتراث الديني والتركيز على مشروع يهودية الدولة، حيث إن المعنى الحرفي في التلمود ملزم بشكل قطعي بخلاف التوراة<sup>(4)</sup>، كما تجلت سلطته في الواقع اليومي لدرجة رفعه مكانة تفوق التوراة ذاتها، وبذلك اعتبرت أحكامه إلهية تستحق التقديس أكثر من التوراة ذاتها، من حيث كونه يمثل القانون الأساسي للحياة اليهودية بشقيها الديني والديني، وبحكم أنه يحوي نتائج معارف وتقاليدهم

(1) \_ كامل سغان، اليهود تاريخا وعقيدة، ص 152.

(2) \_ أ. كوهين، التلمود، ص 210.

(3) -M. L'abbé August Rohling, Le Juif Talmudiste, Ibid , p14-15.

(4) \_ إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة: حسن خضر، ط1، (القاهرة: سينا للنشر، 1994)، ص 68.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

وتجارب اليهود، ولأنه المرجع الروحي للدخول إلى روح الوحي<sup>(1)</sup>، كما تعد أحكامه ملزمة خاصة فيما يتعلق بربط اليهودي بالأرض مثل أحكام الزراعة، وما يحدد علاقاتهم بالغير، وتلتزم المدارس والمعاهد الدينية بتعليمه، حتى أن جامعة بار إيلان ألزمت الطلبة بتحصيل معرفة أولية بتعاليم التلمود<sup>(2)</sup>.

في حين لا يقبل المحافظون والاصلاحيون بالسلطة الإلزامية التامة للتلمود، رغم اعترافهم بالدور الذي لعبه في تحديد وحسم العقائد اليهودية، فالذي "جعل اليهود يتشبثون بتعاليم التلمود هو الأختيار المفاجئ لشوكتهم، وإغلاق مدارسهم دفعة واحدة، الأمر الذي جعلهم يبحثون عن تعاليم جديدة للمرحلة القادمة، ووجدوها في التلمود الذي يعلمهم على مواصلة الحياة بالانغلاق والسيطرة على المجتمع تمهيداً لإقامة إمبراطورية عالمية"<sup>(3)</sup>.

لكن نلاحظ أن دعوى إلهية التلمود وأزليته، وأن موسى (عليه السلام) قد تلقاه جنبا إلى جنب مع التوراة المكتوبة يتناقض تماما مع ما جاء في التوراة على لسان موسى (عليه السلام) نفسه في قوله: "في ذلك الوقت قال لي الرب أنحت لك لوحين من حجر مثل الأولين أصعد إلي إلى الجبل واصنع لك تابوتا من خشب. فأكتب على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما وتضعهما في التابوت. فصنعت تابوتا من خشب السنط ونحت لوحين من حجر مثل الأولين وصعدت إلى الجبل واللوحان في يدي. فكتب على اللوحين مثل الكتابة الأولى الكلمات العشر التي كلمكم بها الرب في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع وأعطاني الرب إياها. ثم انصرفت ونزلت من الجبل ووضعت اللوحين في التابوت الذي صنعت فكانا هناك كما أمرني الرب"<sup>(4)</sup>.

هنا ينتهي كلام موسى كما تروي التوراة، دونما أقل إشارة في سياق النص إلى تلقيه للقانون الشفهي، وهذا الكلام أقرب إلى ما جاء ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ بِأَخْذِهَا بِحَسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ

(1) \_ أدين شتاينسالتر، مدخل إلى التلمود، ص5-6.

(2) \_ عبد الوهاب المسيري، اليد الخفية، دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، ط2، (القاهرة: دار الشروق، 1422هـ-2001م)، ص24.

(3) \_ ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص33.

(4) \_ تثنية 1/10-5



الْفَسِيْقَيْنِ ﴿﴾ [سورة الأعراف: 145].

والجدير بالملاحظة أن ما سبق إيراده يعد دليلا واضحا على أن التلمود من وضع الأخبار واجتهادهم الشخصي، كما يدل ذلك على مدى وسعة تحريفهم التوراة واختلاقهم لما يعتقدونه شرحا لنصوصها، ويتعزز ذلك باعتراف دعاة الصهيونية أنفسهم<sup>(1)</sup>، وليس في القرآن أو السنة ما يفيد أن التلمود كان مكملا أو مفسرا للتوراة أو أنه من وحي الله، أو أن موسى (عليه السلام) تركه سنة لبني إسرائيل، وكل ما جاءت الإشارة إليه في القرآن الكريم- كما ذكرنا سابقا- إنما يدل يقينا على تقديسهم لأخبارهم من دون الله وتحريفهم للتوراة وافتراءهم.

(1) \_ يعترف دعاة الصهيونية أن "التلمود" من وضعهم وإنشائهم، ومن هؤلاء إيلي ليفي أبو عسل في كتابه يقضة العالم اليهودي، حيث قال ما نصه: "وفي مهد الحوادث التي تخللت الحقب الستة الأولى، كان اليهود المستوطنون مصر على اتصال مطرد باخوانهم في بلاد الجليل التي استقر بهم المقام فيها بعدما طردهم الرومان... وفي وسط هذه العلاقات مد يهود مصر يد المساعدة والمؤازرة لإخوانهم للنهوض بالعمل الأثري الخالد في فلسطين، وعاونوهم في إنشاء كتاب التلمود، وتنميق عباراته. "إيلي ليفي أبو عسل، يقضة العالم اليهودي، د. ط (القاهرة: دار الفضيلة)، د. ت"، ص 36-37

المبحث الثاني: نصوص العنف في التناخ والتلمود:

المطلب الأول: اشكالية دلالة نصوص التناخ على العنف:

إن الحديث عن صيغ العنف في نصوص التناخ يستدعي الربط بين طبيعة الإله وطبيعة شعبه المختار الذي يشاركه بشكل كامل ومباشر وشخصي في رحلته التاريخية، إذ يصفه دو كيتز بقوله: "إله العهد القديم يمكن القول إنه ليس الإله الذي خلق الكون فقط، بل إنه إله يمتلك صفات إنسانية غليظة، فهو شخصية عنصرية متعاطشة للدماء وكرهية النساء، إله مهووس بقتل الأطفال، والإبادة الجماعية، وبالفتوة الخبيثة، وتفوقه على جميع الآلهة المنافسة له والمستوى تلك العشيرة الصحراوية التي اختارها"<sup>(1)</sup>.

اعتماد على هذه الخلفية سيكون تحليلنا للنصوص وفقا للسياق اللفظي وهذا بالاعتماد على منهج الأحرار الذين يرون أنه "لا يمكن لأي نص توراتي أن يفصل عن معناه الحرفي"<sup>(2)</sup>، مما يجعلنا نسعى - في حديثنا عن صيغ العنف في هذا الإطار- إلى ربط هذه النصوص بالشعارات والممارسات الصهيونية كسلوكات استعمارية عنصرية، تهدف إلى تحقيق المشروع الاستيطاني بانتهاجها أساليب العنف بأنواعه، بدءا من الاستيلاء على الأرض إلى الطرد والإبادة التراما بالشرعية.

تركز البحوث الأكاديمية بشكل خاص على حدوث صيغ الإبادة في سفر العدد والتثنية ويشوع، وهي من أغنى مصادر المعلومات حول العادات والمفاهيم العسكرية لإسرائيل القديمة<sup>(3)</sup>.

فيرى الباحثان رونالد جوتز **Ronald G. Goetz**، وويس موريستون **Wes Morrison** أن أقوى الشواهد النصية على العنف وارتباط إله العهد القديم بالإبادة الجماعية وتشريع قتل الأطفال الأبرياء تحديدا، هو ما ورد في (سفر العدد 31)، و(تثنية 16/20-17)، و(يشوع 6/20-21)، و(صموئيل الأول 8-3/15)، بل تعد في نظرهم من أقوى نصوص العنف والإرهاب في العهد القديم<sup>(4)</sup>.

(1) \_ دو كيتز، وهم الإله، ص 39-40.

(2) \_ ألبير تو دانزول، اليهودية والغيرية (غير اليهود في منظار اليهودية)، ترجمة: ماري شهرستان، ط1، (دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع، 2004)، ص 14.

(3)-William L. Lyons, Between History and Theology: The Problem of Herem in Modern Evangelical Biblical Scholarship, (the Florida State University Libraries, Degree Awarded: Spring Semester, 2003), p13.

(4)-Scott Shifferd JR, God Justice and Génocide, p4 عن موقع [www.academia.edu](http://www.academia.edu) 20 أبريل 2015، نشر بتاريخ 20 أبريل 2015، تاريخ الدخول 2019/3/1 الساعة 9:20

## الفصل الأول: ..... صاوير الفكر الديني (اليهودي) وولائها على العنف

وقد حاولنا الوقوف عند نصوص كثيرة تحتوي على صيغ التغيي بروح العنف - لا يمنع ذلك من الاعتراف بأنه توجد نصوص في التناخ تنبذ العنف وتحرم القتل، تك 6/9، وتدعو إلى التسامح- وتنبعث من مضامينها نزعة العنف والعدوانية المتأصلة في ثقافة أسفار التناخ<sup>(1)</sup>، كما هو في المزامير، واشعيا، وارميا، وغيرها، وإن عدت بالنسبة لهم يسيرة مقارنة بالنصوص السابقة.

### أولا: تشريع الإبادة بالقتل والحرق في أسفار الشريعة:

تُفرد الأسفار الخمسة التي تمثل مركز الكتاب المقدس العبري مع باقي الأسفار، حيزا واسعا للحديث عن ممارسة العنف بإجلاء الشُّعوب وطردها وإبادتها، ويتعدى العنف إلى الحيوان والطبيعة، وغالبا ما ترتبط تلك السياقات بحضور الإله وتجليه لشعبه، مؤكدة باستمرار أنه إله قومي معادي لغير اليهود ينتصر لليهود، يلازمهم ويثبت ولاءه لهم بأن يدفع بالأعداء إليهم.

### 1\_ سفر العدد:

ورد فيه: "فندّر إسرائيل نذرا للرب وقال: إن دفعت هؤلاء القوم إلى يدي أحرم مدّهم. فسمع الرب لقول إسرائيل، ودفع الكنعانيين، فحرموهم ومدّهم. فدعي اسم المكان حرمة"<sup>(2)</sup>.

كان يهوه متعطشا للدماء وتخريب المدن، ومن ذات المنطلق أمر موسى- تعبيرا عن انتقامه لبني إسرائيل من المديانيين- بسلبهم بعد عمليات القتل والإفناء، ودليل ذلك ما جاء فيه: "وكلم الرب موسى قائلا: انتقم نعمة لبني إسرائيل من المديانيين، ثم تضم إلى قومك. فكلم موسى الشعب قائلا: جردوا منكم رجالا للجنّد، فيكونوا على مديان ليجعلوا نعمة الرب على مديان.... ، فأرسلهم موسى ألفا من كل سبط إلى الحرب، هم وفينحاس بن أليازار الكاهن إلى الحرب، وأمتعة القدس وأبواق الهتاف في يده. فتجنّدوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم: أوي، وراقم، وصور، وهور، ورابع. خمسة ملوك مديان. وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف. وسبي بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، وهبوا جميع بهائمهم، وجميع مواشيتهم وكل

(1) \_ التساؤل عن إلغاء شخصيات بطولية كثيرة تناولتها أسفار الكتاب العبري، على غرار هارون، وداود، وسليمان، وغيرها والاكتفاء بالتركيز على النماذج العسكرية منها؟

(2) \_ العدد 2/21-3.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولاليتها على العنف

أملاكهم. وأحرقوا جميع مدتهم بمساكنهم، وجميع حصونهم بالنار. وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم...<sup>(1)</sup>.

نظرا لكون التحريم(القتل) هو إيديولوجية الحرب التي يتم فيها تدمير العدو كليا كذبيحة للإله الذي يجعل النصر ممكنا؛ فإن يهوه يجتهد أيضا في كيفية استئصال الوجود الكنعاني من الأرض لذا أمر بقتل الذكور وقتل النساء الحوامل أيضا، فمما جاء فيه: "فخرج موسى وألغاز الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة. فسخط موسى على وكلاء الجيش، رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب. وقال لهم موسى: هل أبقيتهم كل أنثى حية. إن هؤلاء كن لبني إسرائيل، حسب كلام بلعام، سبب خيانة للرب في أمر فغور، فكان الوبأ في جماعة الرب. فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلواها. لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات. وأما أنتم فانزلوا خارج المحلة سبعة أيام، وتطهروا كل من قتل نفسا، وكل من مس قتيلا"<sup>(2)</sup>.

### 2- سفر التثنية:

تبعاً لمنطق الإبادة تسير النصوص بخطى ثابتة ساعية إلى اجتثاث الوجود الكنعاني من أرض فلسطين، حيث يتم التركيز على استعمال لفظ التحريم في معظم النصوص، لا شيء يبرره إلا كونه استجابة لأمر الإله، حيث تظهر النصوص في عملية متواصلة تهدف إلى تطهير الأرض من ساكنيها، وكأنها تقدم إلى إبادة عرقية.

وما جاء فيه: "متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك: الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، سبع شعوب أكثر وأعظم منك. ودفعهم الرب إلهك أمامك، وضربتهم، فإنك تحرمهم. لا تقطع لهم عهدا، ولا تشفق عليهم. ولا تصاهرهم... ولكن هكذا تفعلون بهم: تدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون سواريتهم، وتحرقون تماثيلهم بالنار. لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد

(1) \_ العدد 11-1/31.

(2) \_ العدد 19-13/31.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الربني (اليهودي) وولادتها على العنف

اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض<sup>(1)</sup>.

إن الرغبة الشديدة في القتل واضحة في النص السابق، حيث أن الدعوة إلى انفصال بني إسرائيل كلية عن بقية الشعوب تجعل قراءة حدث ما بعد ذلك أمر واضح، وهو أنه يستدعي قتلهم للآخرين، ومن ذلك:

"الرَّبُّ إلهك يطرد هؤلاء الشُّعوب من أمامك، ويرفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السَّماء"<sup>(2)</sup>.

كذلك: "فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف... وتحرق بالنار المدينة، وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلا إلى الأبد لا تبنى بعد. ولا يلتصق بيدك شيء من المحرم، لكي يرجع الرب من هو غضبه، ويعطيك رحمة"<sup>(3)</sup>.

وأىضا " وحين تقرب مدينة لكي تحاربها استدعها للصِّلح، فإنَّ أجابتك للصِّلح، وفتحت لك، فكلُّ الشَّعب الموجود فيها يكن للتَّسخير ويُستَعْبَدُ لك، وإنَّ عَمِلتْ معك حربًا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا... ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريما: الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، كما أمرك الرب إلهك"<sup>(4)</sup>.

بحسب التفسير اليهودي لنصوص الإبادة الذي يبرر قتل أصحاب الأرض "لا تستبق منها نسمة ما"، فإنه يتعين قتل الشعوب السبعة<sup>(5)</sup> خشية انتقال عدوى الوثنية إلى شعب الله المختار، وهو ما ذهب

(1) \_ التثنية 6-1/7.

(2) \_ التثنية 22/7.

(3) \_ التثنية 17-15/13.

(4) \_ التثنية 17-10/20.

(5) \_ الشعوب السبعة من وجهة النظر اليهودية هي: الحثيين والجرشاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، كما هو في التثنية 1/7-2 وتعرف هذه الشعوب في سفر نحemia 31/10 بشعوب الأرض.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الربني (اليهودي وولائها على العنف

إليه موسى بن ميمون: "إن غاية هذه الوصية كما ورد نصها بوضوح، هي إبادة ذلك الاعتقاد الباطل (القضاء على الوثنية)، كي لا يفسد الناس الآخرون به بعد الآن" (1).

كانت تلك هي أخلاقيات الحرب لدى اليهود، فكان عليهم أن "يدمروا" كل شيء في المدينة التي تقع داخل الأرض الموعودة، لا يجوز السماح لأي شيء يتنفس بالعيش من هذه الشعوب، هذه المرحلة جاءت عندما بدأ سريان ما يسميه كرايجي Craigie "قانون الحريم" herem (الإبادة) الذي اعتبر ضروريا لحماية علاقة العهد بين الله وإسرائيل، فكان القصد من مثل هذه الأعمال العنيفة، التي لا رجعة فيها هو منع الإسرائيليين من تبني ممارسات كنعانية بغيضة، ويعد منع التأثير مسألة حياة أو موت بالنسبة لبني إسرائيل. حيث أن أمن الأمة يعتمد على الولاء الحصري للرب، وأن أي حل وسط للوائح العهد يمكن أن يكون له عواقب وخيم (2).

فكانت الاستراتيجية العسكرية لإسرائيل القديمة بسيطة بتوجيه من الرب، سيتم القضاء على سكان الأرض الموعودة، ولم يتم تقديم أي خيار لهم أو نوع من المعاهدات، كما هو الحال بالنسبة لأولئك الذين يعيشون خارج الأرض (3). وفقا لما تم ترتيبه في سفر (4) "متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض الذي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرده شعوبا كثيرة من أمامك..... ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم."

إن كل شيء يتنفس ضمن حدود البيت المستقبلي للإسرائيليين كان يجب تدميره. وقد تم تنفيذ مثل هذا الإجراء الصارم من أجل حماية علاقة العهد بين الله وإسرائيل، فأبي اختلاط كما يذكر كرايجي Craigie مع الآخر، أو خاصة الممارسات الدينية للكنعانيين قد يكون كارثيا، ويمكن أن يعرض الحياة المستمرة للأمة للخطر، وعلى الأقل، يؤدي إلى تآكل نسيج المجتمع الإسرائيلي القديم. ولما كان البقاء على قيد الحياة على المحك، تم الاحتجاج بـ "قانون الإبادة Herem لحماية (5).

(1) \_ موسى بن ميمون، شرح أحكام التوراة والتلمود، شريعة موسى يفسرها أشهر أئمة اليهود، دراسة وتقديم عباس زرياب، د ط، (لبنان: دار ومكتبة بيلون، 2014)، ص 225.

(2)-William L. Lyons, Ibid, p37.

(3)-William L. Lyons, Ibid, p72.

(4) \_ تننية 2/7

(5)-William L. Lyons, Ibid, p76.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولادتها على العنف)

هذا هو التبرير اليهودي لممارسة العنف، إذ تتناسب عملية تطهير الشعب اليهودي طرديا مع مدى التزامهم بالأمر الإلهي داخليا وهو أمر مألوف، لكن ينبغي أن تكون هناك طهارة خارجية بما يقتضي في كل الحالات التقرب إليه، وذلك بسفك الدماء والاستيلاء على ممتلكات الغير.

يقول رومير: إن استخدام المحرر مصطلح "إنك تحرمهم" هو إشارة عسكرية كان يتم بحسبها التضحية بالغنائم المادية والبشرية، حتى لا يغتني المرء من خلال انتصاره العسكري...، وعلة ذلك أن كتاب النص الذين عاشوا في القرن الخامس قبل الميلاد كانوا يخشون من فقدان إسرائيل لهويتها من خلال قبولها الاتصال بالآخرين، لذلك تبنا موقفا شديدا ولم يكن مستغربا أن تتم ترجمته في لغة متناهية العدوانية<sup>(1)</sup>.

لذلك تعتبر الإبادة أداة فعالة في يد بني إسرائيل من أجل تحقيق ذواتهم سواء أمام يهوه بأن يظلوا مميزين عن الأغيار، بما يقدمونه من القرابين، أو في إثبات تميزهم من خلال استمرارهم في الاعتقاد برعاية يهوه قوتهم العسكرية، فالحل هو تمسكهم بالقسوة مستنديين إلى النص الديني الذي يسوغ لهم ويلزمهم بإتباع العنف والقتل، وتقديم -القرابين الدموية- التي يعتبرها يهوه قرابين بديعة يجبها ويهاها، وهو ما يكفل لهم الحق في الاستيلاء على الأرض وتحقيق الوعد<sup>(2)</sup>.

لكن على الرغم من صراحة النص ودلالة المشاهد السابقة على استخدام العنف، يحاول الربيون استبعاد دلالة سياق النص على العدوانية.

بحسب التفسير الرباني تعد نسبة العنف للنص الديني غير مؤكدة دائما، وأنه لا يمكن حمل ذلك على أنه عنف بقدر ما كان إجراء اقتضاه الله مسaire للواقع، فمن وجهة نظر ريفون كرايجر **Rivon Krieger**، في سؤاله هل أمر الله بإبادة الكنعانيين؟ يقول أنه على الرغم من صعوبة قبولنا لإبادة شعوب بأكملها بناء على أمر من الله، فإنه ليس من الضروري أن يُنظر إلى العداء المنعكس في مثل هذه الأوامر على أنه عنصري جوهري، لأن مجموعة القيم نفسها طبقت على الإسرائيليين أنفسهم بعد مغادرة مصر، بعد عبادة العجل الذهبي، على سبيل المثال، يتعهد الله للقضاء على الأمة العبرية كذلك. في الواقع، لو لم

<sup>(1)</sup> \_ توماس رومير، الإله الغامض (العنف والجنس في قصص العهد القديم)، ترجمة يوسف سمير، ط1، (القاهرة، دار الثقافة، 2014)، ص100.

<sup>(2)</sup> \_ ساهر نافع، جذور العنف عند اليهود من التوراة والتلمود، نسخة الكترونية دون معلومات، ص220.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولاليتها على العنف

تكن شفاعة موسى ناجحة، فمن المؤكد أن العقاب لم يكن قد تم تخفيفه من خلال إجراءات تصفية وقت خروجهم من مصر<sup>(1)</sup>.

في حين يؤكد ويس موريستون **Wes Morrison** فيما كتبه حول "النقد الأخلاقي للكتاب المقدس" **"Ethical Criticism of the Bible"**، حالة الإبادة الجماعية المأذون بها إلهيا، على وجود نصوص متضاربة في العهد القديم يتم فيها تقديم إله إسرائيل (يهوه) على أنه إله إبادة جماعية، ومع ذلك يرى موريستون إنه بالرغم من وجود شبه إجماع بين دراسات الكتاب المقدس على عدم حدوث عمليات الإبادة الجماعية كما هو موصوف في النصوص التوراتية، فإن أوامر الله غير المبررة بتدمير العمالقة الذين لم يكونوا مذنبين إلى الحد الذي وصفوا به، قادت إلى الأمر بقتل الأطفال<sup>(2)</sup>.

ضمن هذا المعنى تبقى التفسيرات اللاهوتية لأوامر يهوه بالتطهير العرقي متضاربة، ففي تعليق كلا من بول كوبان **Paul Copan** ومات فلاناجان **Matt Flannagan** على أمر التدمير الكامل وعدم الإبقاء على أي شيء يتنفس في (تثنية 20: 16-17)، نجدهما يتفقان على إدانة إله التوراة، حيث يصرحان بأنه أمر بالإبادة الجماعية، غير أنهما لا يمتنعان عن تقديم تأويلات أخرى بخصوص الإبادة الجماعية تنفي وقوعها بذلك الوصف المهيّب، فهما يجعلان مفهومها على الإبعاد فقط، كما يتصور كل من كوبان وفلاناجان أن الأوامر المحددة من الله للتدمير "الحريم" لا تعني القتل الجماعي، وأن نطاق التعليمات الإلهية كانت الغاية منها مجرد الترهيب ودفع جميع الناس للخروج (طردها قسرا) من المدينة (كنعان) حتى لا يبقى شيء يتنفس في المدن.....

كان الطرد هو الطريقة التي لم يترك بها شيئا يتنفس في المدن<sup>(3)</sup>، لذلك فإن تدميرهم -يوضح كل من كوبان وفلاناجان- لكل رجل وامرأة وطفل لا يعني قتل النساء والأطفال الأبرياء<sup>(4)</sup>، وجعل الله مذنبا

(1)-Rivon Krieger, Did God command the extermination of the the Canaanites? The rabbis' Encounter with Genocide Between "Thou shalt first propose peace" (Deuteronomy 20:10) and "Thou shalt not let a soul remain alive" (Deuteronomy 20:16), the rabbinical interpretation of the command to annihilate the indigenous peoples of Canaan. [www.adathshalom.org](http://www.adathshalom.org).

تاريخ الدخول: 2019/3/5، الساعة 9:05 .

(2)-Scott Shifferd JR, Ibid, p6.

(3) \_ تثنية 3: 9-5.

(4) \_ تثنية 2: 34 - 3.

## الفصل الأول: ..... مصادور الفكر الديني (اليهودي وولادتها على العنف

بتفويضه الإبادة الجماعية، إذ يجب على المرء أن يفترض أن "التدمير الكامل" شمل عند الإسرائيليين قتل الأبرياء حين أمر الله بأن "لا تقتل الأبرياء والبارين" (1). ولذلك فإن التعليمات الموازية لقتل الأطفال والرضع هي زيادة في درجة دفع هذه الدول الفاسدة (سكان كنعان) إلى الإفناء (2).

بحسب تفسيرهما لنصوص الإبادة فإنه: يمكن للمرء أن يعزو إلى الله أوامر لقتل البشر الأبرياء في ظل ظروف معينة... ، ويمكن للمرء أن ينسب بشكل متماسك إلى أوامر الله التي تبدو غير أخلاقية... ، طالما أن الأمر بقتل البشر الأبرياء كان استثناء نادرا للقاعدة العادية ضد القتل... فمن الطبيعي تماماً أن ننسب هذا الأمر إلى الله، ومنه كان ضرورياً أن ينظر إلى أوامر الإبادة الجماعية في السياق التاريخي الشامل لخطة الله النهائية لإنقاذ العالم بأسره، فقد ارتبط أمر الله بقتل الكنعانيين بالوعد، بأن إبراهيم ونسله سوف يمتلكون أرض الميعاد. في نهاية المطاف كانت الأرض واحدة من الطرق الأساسية التي خطط بها الله لمباركة إسرائيل، ومن خلالها عمل الله على إتمام مقصده النهائي ليبارك الأمم لنفسه، من جهة أخرى وجب النظر إلى الإبادة الجماعية كعمل عقاب إلهي ضد الكنعانيين بسبب شرهم المفرط، لقد كان الكنعانيون مذنبين بعبادة الأصنام (3)، وتضحية الأطفال والسحر (4)، والهجمات غير المبررة على بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر... فجاء حكم الله على الكنعانيين بعد فترة طويلة من نعمته تجاههم (5).

نلاحظ أن **كوبان وفلانجان** - في إطار الدفاع عن الكتاب المقدس - يمنحان الإبادة تفسيرات أخرى تبرر وقوعها، هي وثنية الكنعانيين وحروبهم السابقة مع بني إسرائيل. وهذا مبلغ العنصرية التي توشحت بها أراؤهم والتي أصبحت تعرف اليوم في الكتابات الدينية بالمبررات الأخلاقية تحت شعار طهارة السلاح.

(1) \_ خروج 23 : 7.

(2) -Scott Shifferd JR, Ibid, p9.

(3) \_ خروج 23 : 32-33 ؛ سفر التثنية 12 : 29-31.

(4) \_ سفر التثنية 18 : 9-14.

(5) -Scott Shifferd JR, Ibid p4-5.

## ثانيا- تشريع الطرد والإبادة في أسفار الأنبياء:

تستمر مختلف نصوص الأسفار في جمع قوانين الحرب في العهد القديم، كما يتحدد فيها في كل مرة ميكانيزم الإغارة والاستيلاء على المدن، وكذا آليات التعامل مع سكان البلاد، وهو ما جعلها مرجعا وقانونا ومصدر إلهام روحي للقادة الصهيينة، ومنهجها متبعا في التعامل مع الفلسطينيين<sup>(1)</sup>.

فليس ثمة فارق بين صيغ العنف في أسفار الشريعة وبين ما هو مشار إليه في أسفار الأنبياء، والفارق الرئيس هو أن القائم بأعمال العنف في أسفار الشريعة هو الإله يهوه نفسه، بينما في أسفار الأنبياء يتولى أنبياء اليهود تنفيذه بأمر الإله.

### 1. حروب يشوع:

ينفرد سفر يشوع بذكر المجازر والإبادات الجماعية، وتحريم المدن بما فيها ما لم يرد مثلها في غيره من الأسفار، كما يعد يشوع أنموذجا متفردا لأبطال بني إسرائيل التاريخيين وقدوة للقيادات الصهيونية، بسبب ما سجله عنه العهد القديم فيما تعلق بسياسته الحربية، وما عرف عنه من وحشية في منهجية تعامله مع الشعوب التي كانت تسكن فلسطين، من غير اليهود، إضافة إلى ذلك ظهور الله جنبا إلى جنب معه كمحارب، بما اصطلح على تسميته الرب رجل حرب، ووصف باعتباره القائد لبني إسرائيل في كل المعارك، ويتم تقديم هذا الإله القائد لشعبه نحو الحرب في انتصارات متعددة بلغت حد التصفية أو طرد شعوب بأكملها، فمن النصوص التي توضح لنا تلك المشاهد التراجيدية على سبيل المثال لا الحصر:

"كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته"<sup>(2)</sup>.

"وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر، وإذا برجل واقف قبالته، وسيفه مسلول بيده. فسار يشوع إليه وقال له: هل لنا أنت أو لأعدائنا. فقال: كلا، بل أنا رئيس جند الرب. الآن أتيت. فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد"<sup>(3)</sup>.

(1) \_ عبد الغني عماد، ثقافة العنف في سوسيولوجيا السياسة الصهيونية، ط1، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2001)، ص27.

(2) \_ يشوع 3/1.

(3) \_ يشوع 13/5-14.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

بالنسبة لسوزان نيديتش Susan Niditch إن ما قام به يشوع كان مماثلاً للعادات الكنعانية القديمة، حيث كان قائد الجيش يعقد صفقة مع الإله بأن يسلمه الأرض، وهو يتعهد بنذره الغنائم لمعبده، كما يلتزم بتقديم كل سكان المدينة قرابين لهذا الإله<sup>(1)</sup>.

من وجهة نظر سوزان نيديتش من خلال قراءتها لنصوص الإبادة في سفر التثنية ويشوع وتحليله لآليات الحرب مع الشعوب، لا وجود لحجج مقنعة حول انخراط الإسرائيليين في التطهير العرقي الذي فرض إلهياً، ولا يمكن توقع أن تكون أعمالهم مقبولة أخلاقياً، فالكتاب المقدس يوافق على الإبادة الجماعية لتلك الشعوب مجرد أنهم وثنيون تحقيقاً للعدالة الإلهية، ومن وجهة نظرها تعتبره نيديتش مشكلة تورط إسرائيل في أعمال العنف بشكل مخيف لا يختلف عن سلوك المحاربين في الحروب الحديثة<sup>(2)</sup>.

كما ترى نيديتش أنه ليس فقط سفر التثنية أو يشوع، ولكن مجموعة واسعة ومثلة من النصوص التي تتناول الحرب في الأدب الإسرائيلي، ففي الواقع أن الحظر هو بحد ذاته ظاهرة أكثر تعقيداً مما يُسمح به كثيراً، وأن وجهات نظر إسرائيل في الحرب كثيرة. تعكس روح العنف في الحرب، والدور الذي يجب أن يلعبه المقاتلون، وأسباب القتال، ومعاملة الأعداء، العسكريين وغير العسكريين، ثقافة معقدة تتيح وجهات نظر مختلفة للقضايا المتعلقة بالحرب، وبعض وجهات النظر متداخلة، وبعضها متناقض، وهي مقياس لآراء إسرائيل في العالم في تنوعها في أي فترة وعبر تاريخ إسرائيل<sup>(3)</sup>.

ويقدم المفسرون صورة واضحة عن التعابير الواردة في سفر يشوع حول عمليات الغزو ومشاهد الاستيلاء والإبادة والتوسع المتواصل في أرض كنعان بتصدُّر الله المحارب لكل العمليات وإصداره التعليمات القيادية مثلما ورد في (يشوع 5/ 13-14)، حيث يشير السياق "رئيس جند الرب" وكذا "وإذا برجل واقف قبالتة وسيفه مسلول بيده"، و"أنا رئيس جند الرب" و"أنه هو الرب نفسه"<sup>(4)</sup>.

وفي الوقت الذي تصف فيه التوراة عملية الغزو التي حملت في ثنائها كل أنواع العنف والترهيب،

(1) - كارين أرمسترونغ، حقول الدم وتاريخ العنف، ترجمة: أسامة غاوجي، ط1، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016)، ص176.

(2) - Susan Niditch, War in the Hebrew Bible and Contemporary Parallels, Copyright ,by Word and Word, Luther Seminary, St. Paul, Volume 17, Number 4, fall 1995, p403.

(3) - Susan Niditch, Ibid, p404.

(4) - ويليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير عهد القديم، ج7، ص659.

## الفصل الأول: ..... صاور الفكر الديني اليهودي وولائها على العنف

ما يؤكد الوحشية التي طبقتها العبرانيون عند دخولهم المدينة أول مرة<sup>(1)</sup>، فإن النصوص ذاتها تصف سقوط أريحا على يد يشوع نتيجة لأمر خارق فوق الطبيعة (يشوع 4-1/6 و 12/10-13)، وأن ذلك لم يكن كنتيجة لحصار ومعارك بشرية<sup>(2)</sup>.

من هذا المنطلق يورد السفر وصفا في منتهى الوحشية في واقعة دخول "أريحا"، تترافق فيه سياسة الحرب النفسية مع التطبيق العملي للعنف، حيث يتبع يوشع بن نون أسلوب المناورات لبث الرعب في شعب أريحا<sup>(3)</sup>، ومن أمثلة ذلك:

"فهتف الشعب وضربوا بالأبواق. وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما، فسقط السور في مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه، وأخذوا المدينة. وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف<sup>(4)</sup>.

بصرف النظر عن أسطورة المشهد، يفسر بعضهم الإبادة في إيديولوجيا هذا النص وغيره بما يتوافق مع التفسير اليهودي السابق على أنها تحقيق للعدل الإلهي، وقصاص من المعادين لبني إسرائيل، وحماية لهم من دنس الغيرية، فيروا في تطبيق الإبادة الجماعية استجابة للخطة الإلهية التي سنّها إله العهد القديم.

ففي تعليقه على يشوع 6 يعتبر فريديريك غانغلوف **Frederic Gangloff** في كتابه الحرب المقدسة<sup>(5)</sup> أو الإبادة بالأمر الإلهي "الحريم" تجسيدا لفعل العدالة الإلهية وتنفيذه في حق الخطاة وهم يستحقون ذلك لعصيانهم، كما أن التحريم هو فعل يستهدف اقتلاع جذور الدنس لئلا يتلوث بنو

(1)-Richard lebeau ,Une histoire des hébreux de moïse à Jésus, Taillandier, Paris, 1998, P 62.

(2)-أبراهام مالامات وحييم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشفات الأثرية، ترجمة وتقديم: رشاد عبد الله الشامي، ط1، (القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001)، ص152.

(3) \_ حسن ظاظا، شريعة الحرب عند اليهود، ط1، (مصر: دار الإتحاد العربي للطباعة، 1976)، ص23.

(4) \_ يشوع 20/6-21.

(5) \_ يرفض بعض العلماء تصنيف ما قام به يشوع ضمن ما يمكن تسميته بالحرب المقدسة، بقدر ما يرون أنها كانت تمثل نزعة عداة وانتقام شديدين، كان الهدف منها هو تأسيس وتشريع العنف باسم الإله، ذلك لأن هذه المفاهيم تبدو غير مقنعة، فيرى رومر؛ "أن أحداث كتاب يشوع لا ينبغي أن تفسر على أنها الحرب المقدسة"، لأنها لا تحقق ذلك المفهوم. حيث إن المفهوم التقليدي للحرب المقدسة يقاوم الناس من أجل إلههم، على خلاف ما تقرره نصوص الكتاب المقدس -تاسيا بالنصوص الاشورية- أن الإله هو الذي يحارب من أجل شعبه.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولادتها على العنف

إسرائيل<sup>(1)</sup>، غير أن ذلك لم يمنح اللاهوتي هودجسون David Hodgson في دراسته "أخلاق الكتاب المقدس" من إدانة إله التوراة واعتباره مذنباً بارتكاب جريمة الإبادة الجماعية. فمن خلال بحوثه أدرك أن المنطق الأخلاقي لفتوحات يشوع "لا يبدو مختلفاً" عن التطهير العرقي الصربي، والقتل الجماعي النازي في الهولو كوست....

ثم يؤكد هودجسون أنه لا يوجد أي دليل يشير إلى أن أهل أريحا كانوا أسوأ من أي مجموعة أخرى من الناس في ذلك الوقت. فهو يرفض الموقف التوراتي القائل بأن سكان أريحا كانوا أشراراً، وفي تعليقه على التدمير الإسرائيلي لأريحا اعتبر أن التفاوض عن قتل الأطفال بالاحتفال بالفصح وإقرار عقوبة الحريم يعد أمراً مقبلاً أخلاقياً<sup>(2)</sup>.

لكن طبقاً لما دونه كاتب السفر، تستمر سلسلة المجازر تنفيذاً للأمر الإلهي، حيث يباشر يشوع في إبادة سكان عاي حرقاً وتنكيلاً، ولا يستبق منهم نسمة.

"فقال الرب ليشوع: مد المزارق الذي بيدك نحو عاي لأني بيدك أدفعها. فمد يشوع المزارق الذي بيده نحو المدينة... ودخلوا المدينة وأخذوها، وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار... ، انثنوا وضربوا رجال عاي... ، وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت... وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف حتى فنوا... ، فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً، جميع أهل عاي... وأحرق يشوع عاي... ، وملك عاي علقه على الخشبة إلى وقت المساء. وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة، وطرحوها عند مدخل باب المدينة"<sup>(3)</sup>.

وفقاً للدراسات التاريخية الوثائقية لمجازر العهد القديم، تشير سجلات النقوش التي تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد، والتي تم اكتشافها في الأردن إلى أنه بعد تمكن بني إسرائيل من مدينة عاي، أحرقوا

(1)-Fredric Gangloff, Joshua 6; Holy War or Extermination by Divine Command"Herem", Theological Review, Vol, 25, no,1 (April 2004), p, 20. نقلاً عن عصام سخيني، الجريمة المقدسة (الإبادة الجماعية من إيديولوجيا الكتاب العبري إلى المشروع الصهيوني)، ط1، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012)، ص38.

(2)-Scott Shifferd JR, Ibid, p6.

(3) \_ يشوع 10/8-29.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

المدينة، حتى أصبحت محرقة للقرايين البشرية وقتلوا كل من يحاول الهرب منها<sup>(1)</sup>

إن اللافت للانتباه، ووفقا للسياق السابق أن يشوع ورجاله ليغنموا باحتلال عاي وتدميرها لولا الخطة التقنية للكمين التي أشار بها يهوه على يشوع، والتي أدرك الإله-كرجل حرب- فائدتها ومدى فاعليتها كوسيلة قتالية ناجحة، وهو ماسيَّبَعُه في باقي حروبه ضد الفلسطينيين<sup>(2)</sup>. هذا وقد تجلّى الربط بين قوة يشوع وكون الحرب مقدسة بمباركة الإله، حينما أقدم يشوع على إهلاك أهل مقيدة، وإتمام مهمته الدموية في وصف للتدخل الإعجازي للإله يهوه بنفسه 28/10، وفي زعم إله التوراة نصرته لشعبه المقدس شجعهم على خوض الحرب المقدسة باسمه في الصراع على أرض الميعاد (انظر مثلا ميخا 12/4-13)، أين يبدو العنف المؤسس عملا من أعمال المقدس، وليس من أعمال البشر<sup>(3)</sup>.

كذلك الحال بالنسبة لحاصور: "ثم رجع يشوع... وضرب ملكها بالسيف... وضربوا كل نفس بما بجد السياف. حرموهم ولم تبق نسمة. وأحرق حاصور بالنار. فاخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك، وجميع ملوكها، وضربهم بجد السياف... وأما الرجال فضربوهم جميعا بجد السياف حتى أبادوهم. لم يبقوا نسمة. كما أمر الرب موسى عبده، هكذا أمر موسى يشوع، وهكذا فعل يشوع". 15-10/11.

يرى الباحثون أن الهدف من تركيز سفر يشوع في كل مرة على قتل الذكور، وفي نصوص أخرى قتل النساء الحوامل هو تطبيق لسياسة الاستئصال، ولأن في استحياء النساء وقتل الذكور للشعوب والأمم ما يسهل في خضوعها وتبعيتها<sup>(4)</sup>، وهي ذات السياسة التي انتهجها داود بحسب ما تورده النصوص<sup>(5)</sup>. لذلك ما كان يشوع ليترك ويجالف هذا المنهج المتأصل في التراث الديني الإسرائيلي، فكانت سياسة التطهير العرقي ملازمة له في كل حروبه.

(1) \_ كارين ارمسترونغ، حقول الدم وتاريخ العنف، ص177.

(2) \_ محمد جلاء إدريس، فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية (18)، د. ط، (جامعة القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، 1422هـ-2001م)، ص139.

(3) \_ الأسعد العياري، الدم في النصوص المقدسة، ط1، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2014)، ص132.

(4) \_ وهذا المنهج هو الغالب في نصوص الكتاب المقدس فقد قام به أبناء يعقوب، تك25/34 واتبعه بنو إسرائيل كتنفيذ للأمر الإلهي في مديان (عدد7/31)، وباشان (تثنية6/3)، وفي حبشون (تثنية34/2).

(5) \_ محمد جلاء إدريس، فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، ص198.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

ورغم تأكيد بعض الباحثين في نصوص العنف في الكتاب العبري على أن النص السابق<sup>(1)</sup>، هو نص دعائي لا يستند إلى حقائق تاريخية، وأنه يروج لقومية منتصرة بطريقة خيالية، فإنهم مع ذلك يعتبرون احتمالية عدم تاريخية تلك الأحداث لا تقلل بأي شكل من الأشكال من العنف المعرب عنه<sup>(2)</sup>. ذلك لأن التوصيف التوراتي لأحداث الغزو تم اتخاذه كمسوغ لأعمال مستقبلية وكتب كما تؤكد كارين أرمسترونغ ليرضي المؤرخين الحديثين، وكان ملحمة وطنية ساعدت بني إسرائيل على تشكل هوية ثقافية تميزهم عن القوام والأمم المجاورة<sup>(3)</sup>.

من جانب آخر يصنف إيريك فروم مثل هذه السلوكيات في إطار البحث عن أصول النزعة التدميرية في الإنسان ضمن ما يعرف بالسادية، وهي الشغف بالسيطرة شبه الإلهية، والقتل، والتعذيب، أين تتبدى الروح التدميرية غير المحدودة وغير الإنسانية في قصة فتح اليهود لأرض كنعان، بالوصف نفسه الذي عرفته حروب الإبادة الكلية لبابل، كما دلت عليها النقوش العائدة للملك الآشوري سنحاريب<sup>(4)</sup>.

على هذا الأساس كانت طبيعة الحملات العسكرية كما تم توصيفها، محل انتقاد كثير من العلماء، فهم يتفقون على اعتبارها "وحشية" و"بربرية"، وأنها لا تعدو عن كونها "مذابح إبادة جماعية"، بل ويعتبرون حدوثها من "أكثر اللحظات إشكالية في تاريخ إسرائيل القديمة، إضافة إلى اعتراف عدد متزايد من المترجمين الإنجيليين، أمثال دانييل غارد بارتكاب الإسرائيليين للإبادة الجماعية في حق الشعوب الكنعانية، وأن غزو كنعان تم بذلك الأسلوب، وهم في ذلك يؤكدون على أن النصوص التوراتية حول حروب الرب، "تتضمن سمات لا يمكن إنكارها من ممارسة العنف والإبادة الجماعية -غير المبررة- التوراتية" التي تمت بتفويض إلهي<sup>(5)</sup>.

كما تستوقف فظاعة المشاهد الدموية السابقة من "سفر يشوع" كثير من العلماء المعاصرين الذين يرفضون المنحى الإجرامي في احتلال الأرض والقائم على الإبادة الجماعية بإيعاز من يهوه نفسه

(1) \_ (يشوع 10/11-15)

(2) -Scott Shifferd JR, Ibid, p5.

(3) -كارين أرمسترونغ، حقول الدم الدين وتاريخ العنف، ص 167.

(4) \_ إيريك فروم، شريح التدميرية البشرية، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، د. ط، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2006)، ج 1، ص 268.

(5) -Kyle C. Dunham, Yahweh War and Herem the Role of Covenant, Land, and Purity in The Conquest of Canaan, p8, تاريخ الاسترجاع 2019/3/ 5 www. academia. edu 2016/7/30

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولاليتها على العنف

ومباركته، ومن ذلك فإن لويس دانيال هوك **Lewis Daniel Hawk**، أستاذ العهد القديم واللغة العبرية في المنتدى الدراسي للاهوت في أشلند في ولاية أهايو الأمريكية ، كانت له كلمة في مؤلفه "يشوع" جاء فيها: إن ما أورده سفر يشوع يصدم الأحاسيس المعاصرة، فقد يكون يشوع مؤسساً لهوية قومية، لكنه كان يفعل ذلك بمحاولة إبادة السكان الأصليين واحتلال أرضهم، وأكثر خطورة من ذلك أنه يورط الله في عملية الإبادة لسكان الأرض الأصليين، فالله يصطف إلى جانب الغزاة، ويحارب عنهم، وهم يستولون على الأرض، ويستأصلون أولئك الذين يقطنون فيها، وهذا المشروع يمكن التعبير عنه إن الله يعطي الإسرائيليين الأرض وفاء لوعده قد اعطاه لأسلافهم، بما يضمن لهم النجاح من خلال توجيههم في معاركهم، ومشاركته لهم فيها، كذلك فإن الله عازم على أن تحقق إسرائيل مصيرها من خلال إبادة غير الإسرائيليين من على الأرض وهكذا فإن التأسيس لهوية قومية على الوجه الذي أورده يوشع، مرتبط أساساً ببرنامج الاغتصاب العنيف الذي يستمد شرعيته من إرادة إلهية. (1)

أما روبرت. ب. كوت **Robert. B. Coote** أستاذ العهد القديم في المنتدى الدراسي للاهوت في سان فرانسيسكو، فقد وصف أحداث سفر يشوع بالهمجية، وبأنها مثيرة للاشمئزاز وأسوأ من ذلك أن توصف بأنها مقززة على حد قوله (2).

على خلفية تكرار العديد من مقاطع النصوص المحتفظة بلغة العنف والتي تحمل معاني "التدمير التام"، وأنه "لم يبق أي ناج"، و"لا تترك شيئاً حياً يتنفس"، وارتكاب الإبادة الجماعية - المتعمدة والممنهجة لجماعة عرقية أو وطنية- يرى **دوكيتز** في نقده لأخلاقية النصوص، أن التطهير العرقي الذي بدأ في زمن موسى قد تحققت ثماره الدموية في كتاب يشوع، وهو نص رائع للمذابح المتعطشة للدماء التي يسجلها، وقمة كراهية الأجنبي، وقصة الكتاب المقدس عن تدمير يوشع لأريحا، وغزو الأرض الموعودة عموماً، لا يمكن تمييزها أخلاقياً من غزو هتلر لبولندا... ، كما يتساءل **دوكيتز**: هل يمكن أن يأمر الله الإسرائيليين حقاً بذبح جميع الكنعانيين، رجالاً ونساءً وأطفالاً؟ وبجيب بقوله: قد يكون الكتاب المقدس عملاً اعتقاديًا وخياليًا، لكنه ليس من الكتب التي يجب أن تقدمها لأطفالك لتشكيل أخلاقهم (3).

(1)-Lewis Daniel Hawk Joshua, Berit Olam (Collegeville. Minn. Liturgical Press 2000), pXII.

نقلا: عن عصام سخيني، الجريمة المقدسة، ص. 44

(2) \_ عصام سخيني، الجريمة المقدسة، ص44.

(3) \_ رتشارد دوكيتز، وهم الإله، ترجمة: بسام البغدادي، ط2، (دون معلومات)، ص249.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

كذلك تصف هيلان. م. دالار H l ne M. Dallaire  له العهد القديم بالدموية وتدين بشدة صيغ الإبادة بأمره من أجل اغتصاب الأرض، وتصرح بأنه لا يمكن مماثلة  له هذه النصوص، الذي يقود إبادة مجتمعات بأكملها في كنعان، والمعارك العسكرية الشرسة، والذي يرشد المؤمنين به إلى إبادة الناس الذين يحملون نظرة عالمية مختلفة باستخدام العنف، لا يمكن مماثلته بـ "الإله الحقيقي"....

ثم تضيف هيلان: "إن فكرة وجود  له وحشي وغير إنساني يقود الإبادة العنيفة لشعب ما، هي صدمة للبشرية، ويبدو أن تصوير العنف في سفر يشوع تحت قيادة الرب، يدعم ما يمكن تسميته اليوم "جرائم حرب"، فقد تم ربط "الإبادة الجماعية" و"التطهير العرقي" -وهما مصطلحان يثيران المشاعر السلبية- بمحتوى كتاب يشوع لغير ضرورة"<sup>(1)</sup>.

أما بالنسبة لـ بيتكاين Pekka Pitk ne وجيفري شايد Jeffrey Shade فإن الإبادة الجماعية في نصوص الكتاب العبري تعتبر عملاً مستهجنًا أخلاقيًا، والترخيص بها أشبه تمامًا بما قامت به ألمانيا النازية، في القرن الماضي وحروب كمبوديا، وستالين، والإرهابيين والمتطرفين الدينيين والسياسيين، ويؤكد شايد على صبغة الحقد الدفين الذي تحمله النصوص، وبأن الكتاب المقدس العبري كان مليئًا بحسابات إسرائيل التي تجيز ذبح نساء وأطفال الكنعانيين بقيادة الله"<sup>(2)</sup>.

كذلك يدين الأب متى المسكين وحشية حروب يوشع ويصفها بالدموية وأنها كانت أقسى ما يمكن التعبير عنها، ولا يمكن تبريرها أو اعتبارها حرب دفاع، "إذ لا يمكن أن يجيزها الضمير ولا يمكن أن يبررها العقل بحسب موازين إيماننا؛ ولكننا نقول إن إسرائيل تصرفت أكثر مما أوصى به الله"<sup>(3)</sup>.

إن هذه النصوص ومثلها كانت تهدف إلى ادعاء الانتصارات الوهمية التي سعى الكاتب من خلالها إلى غرس العقيدة القتالية وفنون الحرب والإبادة في نفوس أتباعه، إذ حاول مؤلف السفر إضفاء طابع القداسة على تلك الممارسات، من خلال إيجاد علاقة ارتباط وثيقة بين حرب إسرائيل ورب إسرائيل، وبين مير ارتكاب تلك المجازر لكون الشعوب نجسة وفسادة عقديًا.

(1)-H l ne M. Dallaire, Ibid, p50.

(2)-Scott Shifferd JR, Ibid, p6.

(3) \_ الأب متى المسكين، تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين، ط1، (القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، 1997)، ص53.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

إن الملاحظ على النصوص السابقة أنها تفتقر الى العنصر الأخلاقي، ولأنها تشترك في سياقها حول تمجيد العرق اليهودي، فإنه يتم التركيز أولاً على مسألة الاستعلاء والانفصال عن الغير، كما تهدف الى تحقيق الوعد بامتلاك الأرض بتفويض رسمي من إله التوراة، ولأجل تحقيقها هذه الغاية كان على اليهود اتخاذ كل الوسائل وفعل ما بوسعهم.

ليس من المبالغة إن قلنا أن التفاني في إبادة مجتمعات بأكملها - الرجال والنساء والأطفال - كانت واحدة من الاهتمامات الرئيسية لسفر يشوع، وكان المصطلح الرئيسي المتعلق بهذه الممارسة , herem الذي يبدو بشكل متكرر في التثنية ويشوع، لكن ما قد قدمه كتاب يشوع كان الوصف الأكثر شمولاً لهذه الممارسة في الكتاب العبري.

وفي هذا السياق وفي إطار تحليل نصوص الأمر بإبادة الكنعانيين يذهب س. كاولز، C. S Cowles إلى حد القول بأن "موسى كان الأول في التاريخ المعروف الذي يوضح أيديولوجية "الحرب المقدسة" التي تملي الإبادة الجماعية للأعداء، وكان يشوع أول من شارك في حملات "التطهير العرقي - الحريم" باعتبارها "أعمال الإخلاص الديني"<sup>(1)</sup>، أي أن يشوع اتبع سياسة التطهير العرقي بصورة منتظمة<sup>(2)</sup>.

إن ما يمكن تسجيله على نصوص الإبادة هو تعداد السياقات النصية في التناخ التي تبلغ حدا من الطابع العدواني المتناقض في إبادة السكان، في سفر (العدد 3/21)، و(تثنية 1/7-2)، و(تثنية 10/2)، و(يشوع 21/11 و 6/12 و 10/14)، ففي كل مرة تتم إبادة الكنعانيين، ثم يتجدد الأمر وعلى التوالي في النصوص السابقة بإبادتهم، فهم يموتون ويحيون باستمرار في مخيلة الكاتب، بما يوحي استحضر مفهوم الاستعباد المستمر لمن بقي من تلك الشعوب على قيد الحياة.

يشرح ألبير تو دانزول ذلك مشيراً إلى أن عملية الإبادة كما رسمها وخطط لها يهوه كانت تتم بالتدرج، لأن الإبادة السريعة جدا تؤدي أبناء إسرائيل، فكان من الضروري أن تهيأ الظروف لميراثهم الأرض، فوجب أن يكون هناك عددا لا بأس به من الكنعانيين على قيد الحياة وخاضعين للعبودية يقومون بسد حاجيات الإسرائيليين. وهكذا يتحقق وعد يهوه لهم (اعطيتكم بلدا لم تتعبوا عليها ومدنا لم

(1)- Kyle C. Dunham, Ibid, p8.

(2) \_ روجيه غارودي، الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة: حافظ الجمالي وصباح الجهيم، ط3، (بيروت: دار الفراي، والجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، 2001)، ص67.

تبنوها... ) يوشع 13/24. (1)

لكن ذلك لا يمنع ذلك من استطراد النصوص في وصف عمليات التطهير العرقي بعد موت يشوع، حيث ستستمر سياسة القتل والطرده والافساد على أيدي القضاة كما تبين نصوص العهد القديم ذلك، وليس ثمة نص قد يشير إلى سياسة التوسع السلمي، فاليهود يرفضون مجاورة غيرهم، ويستمر الاجتثاث والتدمير بأمر الإله الذي يجدد فيهم كل مرة روح الانتقام لموسى من العماليق، وهذا هو الطابع الأساس لمختلف النصوص.

### 1\_ سفر صموئيل: جاء فيه:

"هكذا يقول رب الجنود: إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرّموا كل ما له، ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، جملا وحمارا... ، ثم جاء شاول إلى مدينة عماليق وكمن في الوادي. وقال شاول للقينيين: اذهبوا حيدوا انزلوا من وسط العمالقة لتلا أهلككم معهم، وأنتم قد فعلتم معروفا مع جميع بني إسرائيل عند صعودهم من مصر... وضرب شاول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التي مقابل مصر. وأمسك أجاج ملك عماليق حيا، وحرّم جميع الشعب بحد السيف" (2)، (3).

تبعاً للتصوير التوراتي فإن أعداء اليهود هم عماليق، أما بحسب الرؤيا الصهيونية فإن عماليق هم النموذج القديم للآخر المغاير في كل زمان، لذا تجب إبادتهم، ووفق ما يذكر جيرالد كرومر **Gerald Cromer** أستاذ علم الجريمة في جامعة بار إيلان الإسرائيلية فإنه؛ "على مدى أزمنة بعيدة ذهب علماء الدين اليهود إلى أبعد مدى في إظهار فسق عماليق وفسادهم، ونتيجة لذلك فقد عد عماليق ذروة الشر في التقاليد اليهودية، في موازاة ذلك استخدم الحاخامون، والناس العاديون على السواء مصطلح عماليق

(1) \_ ألبير تو دانزول، اليهودية والغيرية، ص 63.

(2) \_ 1 صمو 8-3/15

(3) \_ كذلك في 2 صمو 12: 29-31 "فجمع داوود كل الشعب وذهب إلى "رَبَّة" وحاربها وأخذها وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً، وأخرج الشعب الذي فيها، ووضعهم تحت مناشير ونوارح حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون الأجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون، ثم رجع داوود وجميع الشعب إلى أورشليم".

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولادتها على العنف

ليدلّوا به على الشعوب والمجموعات الأخرى التي يُزعم أنها تهدد وجود الشعب اليهودي، وهكذا فإن عماليق هو الآخر المغاير الرئيس"<sup>(1)</sup>.

أثارت هذه الأعمال الوحشية في سفر صموئيل أيضا استغراب الباحثين اللاهوتيين، حيث تساءل جوتز Ronald G. Goetz عن سبب هذه الإبادة غير المبررة، مع الإشارة إلى استعلاء بني إسرائيل ومساندة الإله يهوه لهم رغم خطاياهم، مع الجهل التام لذنب المديانيين"<sup>(2)</sup>.

أما غاريت جونز لويد Gareth Loyed Jones رئيس كلية الدراسات اللاهوتية والدينية في جامعة ويلز البريطانية، فجعلته تلك النصوص يصف الإله يهوه بأنه يبدو "مسكونا باكراهية والروح الحربية، ومتشبع بهما، وعنصري، وإقصائي، وهمجي"<sup>(3)</sup>.

### 3- سفر المزامير:

تتضمن نصوص سفر المزامير الدعوة إلى الانتقام والعنف في سياقات متباينة، فيه يتم توجيه دعوة لله لكي يعاقب أعداء المرئم بقسوة، ودليل ذلك ما يلي:

"اللهم، كسر أسنانهم في أفواههم. اهشم أضراس الأشبال يا رب. ليذوبوا كالماء، ليذهبوا. إذا فوق سهامه فلتذب. كما يذوب الحلزون ماشيا. مثل سقط المرأة لا يعاينوا الشمس. قبل أن تشعر قدوركم بالشوك، نينا أو محروقا، يجرفهم. يفرح الصديق إذا رأى النقمة. يغسل خطواته بدم الشرير"<sup>(4)</sup>.

وبينما ترتبط الدعوة في مزمور 137 عادة بالتوق للتواجد في القدس أو بالقرب من الإله، فإنه يجتتمها بالدعوة إلى العنف المبيت نحو الآخرين جزاء لما لحق بهم، ولم يجد هؤلاء المنكسرين غير لغة العنف والقسوة في التعبير، في مقابل ذلك يطوّب كل من يفعل هذا بأمر الرب، ومما جاء فيه:

"إن نسيتك يا أورشليم، تنسى يميني. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك، إن لم أفضل أورشليم

(1) \_ عصام سخيني، الجريمة المقدسة، ص58-59.

(2)-Scott Shifferd JR, Ibid, p4-5.

(3) \_ عصام سخيني، المرجع السابق، ص37.

(4) \_ مزمور 10-6/56.



## الفصل الأول: ..... صاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

على أعظم فرحي. اذكر يارب لبني أدوم يوم أورشليم، القائلين: هدوا، هدوا حتى إلى أساسها. يا بنت بابل المخربة، طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا. طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم<sup>(1)</sup>، ولا يكتفي محرر المزمور بسوق عبارات العدا والنعف الجماعي، لينتقل بعدها الى تشريع الانتقام الفردي، كما في مزمور 58/ 11، 10، 6.

لقد بدا اليهود أهل الدماء وقتلة الأنبياء من خلال ما جاء في الكتاب المقدس من النصوص الدالة على تبيينهم لهذه الصفات والتصاقهم بها، فهم "رجال الدماء والغش"<sup>(2)</sup>، كما وامتهنوا أساليب شتى من فنون القتل والابادة<sup>(3)</sup>.

### 4- أشعيا:

يقدم لنا سفر أشعيا صورة الإله القاسي عديم الشفقة يشترك في الدعوة إلى هذه التزعة معظم أنبياء السبي، مثل أرميا، وعاموس، وعويديا، وصفنيا، وميخا، وزكريا، وحجي، وحزقيال، فيتم التركيز على التمسك بالنعف تجاه الشعوب بالإشارة إلى حلول نقمة يهوه عليها باستمرار، والتأكيد على إفنائهم وإبادتهم بالقتل والحرق، ومنها إبادة الفلسطينيين، وأدوم، وصيدون، كما يثير فيهم شهوة الاغتصاب والاستلاء على الممتلكات<sup>(4)</sup>، وهو يأمر بالقتل دونما تمييز بين الأعمار، ودليل ذلك:

"كل من وجد يطعن وكل من أنحاش يسقط بالسيف، وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفصح نسائهم. ها أنذا أهيج عليهم الماديين الذين لا يعتدون بالفضة ولا يسرون بالذهب. فتحطم القسيّ الفتيان. ولا يرحمون ثمرة البطن. لا تشفق عيونهم على الأولاد<sup>(5)</sup>."<sup>(6)</sup>

في قراءته للنصوص السابقة يعتبر رومير نزعة العنف هذه نوعا من الربط بين مصالح البشر والإله،

(1) \_ مزمور 9-5/137.

(2) \_ مز 23/55.

(3) \_ مز 3/106.

(4) \_ انظر مثلا: ارميا ص 25 و 46 و 47 و 48 و 49 وحزقيال ص 1-5، ص 8-10، 15-17 وص 25 وسفر عاموس.

(4) \_ اشعيا 13/15-18.

(5) \_ اشعيا 13/15-18.

(6) \_ كما يصف اشعيا نقمة يهوه وحفده على الشعوب وتعطشه لإراقة الدماء والإبادة في الأصحاح 34.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولائها على العنف

أين يكمن الخطر، وبذلك سيكون التوحيد بينهما حتما مصدرا للتعصب ولأعمال عنف مروعة<sup>(1)</sup>.  
وبما أن الدم كان أحد الأنساق المقدسة في التعاليم الدينية التوراتية، فقد ظل العنف الشريعة الأقدس والأكثر إمعانا في سفك الدم البشري، فكانت روح العنف متأصلة في متون التوراة، وبقي ذلك يتكرر بصور، ومناهج، وأساليب متعددة.

إن أهم ما تميزت به سياقات النص التوراتي تشبعها بالتحريض على استخدام أساليب القمع، والدعوة إلى ممارسة العنف بذريعة الانصياع لأمر الرب وحفظ العقيدة، وقد نهجت تعاليم التوراة مختلف سبل العنف تجاه الأعداء، فبات شعب التوراة، ومختار الرب، ونخبة البشر من الإسرائيليين، يملكون زمام تنفيذ الأمر الإلهي في ممارسة العمل الإجرامي على الإنسان والحيوان والطبيعة، حتى صار ذلك فريضة أبدية من جوهر الدين، ومن أسس العقيدة، والتقاليد الثقافية للمجتمع اليهودي المنغلق<sup>(2)</sup>.

وتبعاً لذلك ارتبط دخول بني إسرائيل إلى الأرض الموعودة بتنفيذ الأمر الإلهي بلزوم، وهو ما يجعله في نظر معتقديه مهمة إلهية يترتب عليها الاستيلاء، والطرده، وممارسة العنف<sup>(3)</sup>.

لعل ذلك ما جعل بعض الباحثين مثل لونغمان يربط هذه النماذج من حروب الإبادة بما كان في العالم القديم، ويرى أن سياسة الإبادة الجماعية في العهد القديم قد تم استيرادها من جيران إسرائيل في العالم القديم، مشيراً إلى أن استخدام herem في الحرب التوراتية ليس فريداً في الشرق الأدنى القديم، وأن تدمير أعداء الإله لم تكن فكرة إسرائيلية حصرية، بل مارسه - على الأقل - بعض جيران إسرائيل القدامى في القرن التاسع قبل الميلاد، كطلب ملك مشع هوآب نقشاً لإحياء ذكرى إنسانيته ضد إسرائيل، ويستشهد لونغمان أنه بتوجيه الإله شيموش، أخذ ميشا بلدة نبو من بني إسرائيل، وقتل عدداً كبيراً من "سبعة آلاف من الرجال، والفتيان، والنساء، والفتيات، والخادمات" كانوا "مخلصين لتدمير عشتار شيموش"، لكن ما يُنبه إليه لونغمان هو كيفية استخدام الكتاب المقدس لـ herem كما يفيد أن إله إسرائيل قد "أعاد تشكيل شكل من أشكال الحرب المعاصرة لأغراضه التعويضية الخاصة"<sup>(4)</sup>. أي إن

(1) - توماس رومير، الإله الغامض، ص119.

(2) - منير الحافظ، مقامات العنف، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2016م، ص41-42.

(3) - حسن ظاظا، شريعة الحرب عند اليهود، ص29.

(4) - William L. Lyons, Ibid, P94.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولالتها على العنف

القضية قضية انتقام إلهي مستمر لشعبه المقدس.

لقد كانت الصورة الدموية اللصيقة بالشعب اليهودي، والمفعمة بتقديس العنف، مستمدة بشكل واضح من ملامح صورة الإله يهوه الدموي، وكان من الضروري أن يحدث هذا التماثل والتشابه ليتحقق الوعد الرباني بالأرض تحقيقاً للسلام. بمفهومه الصهيوني، وهو ما لخصه رونييه جيرار René Girard بقوله: "الديني ليس سوى هذا الجهد الهائل للحفاظ على السلام، والمقدس هو العنف، ولكن إذا كان الديني يعشق العنف، فهو باستمرار يجلب السلام"<sup>(1)</sup>.

فتكرار النصوص التي تحفل بعبارات الإفناء والقتل، رغم تحريم القتل وتجرمه بشكل صريح في العهد القديم<sup>(2)</sup>، ما ذلك إلا تأسيساً لروح العنف والتربية على العدوانيّة بما لا يدع مجالاً لتبرئة العهد القديم، فهو من دون شك سيؤسس لتبرير العنف المستقبلي.

ولم يكن لكتابة النصوص الدينية أي تبرير لتلك الصور الدموية العنيفة إلا بحجة "الاستجابة لأوامر يهوه بإبادة الكنعانيين، فقد جعلوا لعنة نوح تشمل نسل كنعان كله، وهي لعنة تعني الحرمان من حقه في الحياة"<sup>(3)</sup>، فكان عليهم الالتزام بهذه العقيدة الإيمانية المؤسسة على العنف من أجل تحقيق الوعد الإلهي بالأرض. إذ إن الدوافع الكامنة وراء إبادة تلك الشعوب واستئصالها متداخلة بين كونها دينية (الوثنية) وأخلاقية (فاسدة) فضلاً عن وجود دوافع خفية لم يُفصح عنها، وهي الحقيقة الوحيدة - كما يقول البيير تو دانزول - الأكثر دناءة ومادية، لكن لا يتم الاعتراف بها، فهي مُقنّعة بتبريرات كثيرة، وذات مستوى عال، إنها دوافع تُذكرّ بالدوافع الاعتيادية للغزو ونهب الأجنبي بالعنف... وطبقاً لأوامر يهوه ترتكب المذابح بدون رحمة<sup>(4)</sup>.

لقد كان للقتل في أسفار التناخ أسلوبه وطبيعته الشاذة عن كل ما هو بشري، فهو قتل لا يستثنى شيئاً، بل يشمل الإنسان والحيوان والجماد، هو بمجموعه عنف يتجاوز حدود التصور والادراك، أما تلك الانتصارات الدموية التي وثقها السرد التوراتي، بما يتنافى والقيم الانسانية، والتي تعلن الحرب على عقيدة

(1)-René Girard, Des choses cachées depuis les fondations du monde, Recherches avec Jean-Michel Oughourlion et Guy Lefort, Bernard Grasset, Paris, 1978, p41.

(2) \_ "سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه" تك9/6.

(3) \_ جورج كنعان، تاريخ يهوه، ص124، نقلاً عن الأسعد المعياري، الدم في النصوص المقدسة، مرجع سابق، ص127.

(4) \_ البيير تو دانزول، اليهودية والغيرية، ص63.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولائها على العنف

الأرض والسماء باسم الإله الداعم لشعبه، فهو يشرع لهم القتل والحرق والتدمير، بما يحول هذه التعاليم إلى طقوس وشعائر يتعبد بها اليهود ويمارسونها كفريضة دينية يُتقرب بها إلى هذا الإله الدموي<sup>(1)</sup>. وقد أصبحت تلك الممارسات عقيدة متبعة وتحولت مع الالتزام إلى ثقافة شكلت جزءا هاما من هويتهم.

وبهذا تكون نصوص التناخ قد عملت على تحديد المبادئ الأساسية الأولى للعنف والإرهاب الصهيوني ممثلة في: سياسة الاستيلاء على الأرض بالقوة، والطرده القسري والإبادة الجماعية، هذه السياسة القديمة والمستمرة امتدادا للتاريخ اليهودي، تجذرت في التكوين التاريخي والسايكولوجي والاجتماعي لليهود، كما تعد اليوم أبرز ركائز الصهيونية الحديثة<sup>(2)</sup>.

يعترف اليهودي **جلعاد عتسمون** -وهو من مناهضي السياسة الصهيونية- بمدى خطورة النصوص السابقة، وكيف كانت منطلقا مؤسسا للأعمال الصهيونية في الوقت المعاصر، ويرى في تلك السياسة تحقيقا لنبوءات الكتاب المقدس، ففي نقده لمحتوى النصوص السابقة، اعتبر التطهير العرقي للشعب الفلسطيني والإساءة المتواصلة له، يقول عتسمون:

"الأكثر من ستين عاما تم وضع الدعوة التوراتية للسرقة حيز التطبيق العملي القانوني، فالنهب الإسرائيلي للمدن، والبيوت، والحقول، والآبار، شق طريقه في النظام الإسرائيلي...، كان المشرعون الإسرائيليون قد أقروا فعليا (قانون أملاك الغائب)، وهو قانون عرقي التوجه يمنع الفلسطينيين من العودة إلى أراضيهم، ومدنهم، وقراهم، كما يسمح لبني إسرائيل الجدد بالعيش في بيوت ومدن لم ينوها"<sup>(3)</sup>.

مما سبق ذكره يمكننا القول: إذا كان الدين اليهودي قد أباح الإبادة الجماعية بهذه الكيفية، والتي تشمل غير المذنبين فإنه بعد ثلاثة آلاف سنة غرست هذه التعاليم الدموية، والتشريعات الظالمة في نفوس الشعوب الاستعمارية الغربية المهووسة بالقتل<sup>(4)</sup>، على غرار أوروبا، وأمريكا، وأفريقيا.

(1) \_ عبد الغني عماد، ثقافة العنف في سوسيولوجيا السياسة الصهيونية، ص28.

(2) \_ جمال عليوة، فلسفة الإرهاب في الفكر الصهيوني، ط1، (الجزائر: دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005)، ص138-141.

(3) \_ جلعاد عتسمون، من التائه، دراسة في سياسة الهوية اليهودية، ترجمة: حزامه حباب، ط1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2012)، ص180.

(4) \_ فقد تأثر مدونو العهد الجديد بمضامين نصوص التناخ، لتلتقي المسيحية مع اليهودية في مناصبة العداة لكل من يخالف شريعتها، حيث وافق بولس على ما قام به أول ملك يهودي شاؤول من حروب الإبادة، ولم يعترض على أمر عزله، لأنه ترك شخصا واحدا حيا وبعض الغنم دون إبادتهم، واعترف بولس في رسالته إلى العبرانيين بأن اليهود كانوا على حق في حروبهم الدموية التي خاضوها ضد

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

يقول رومير: علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن سفر يشوع تحديدا قد لعب دورا فعلا في تبرير افناء اليهود الحمر في أمريكا...، كما ساهم إلى حد كبير في تبرير تفوق المستعمرين البيض في جنوب أفريقيا<sup>(1)</sup>. وعلى هُج نصوص التناخ أيضا فرض الإنجليز والفرنسيون وغيرهم العقوبات على الأبرياء الذين يؤخذون بجريرة بعض المذنبين في نظرهم، ويذكر عبد الله التل كيف كان الإنجليز يهدمون البيت على أصحابه وفيه الأطفال، والنساء، لأن رب البيت أتهم بقطع سلك التلفون مثلا، مؤكدا أن مثل هذه الجرائم كانت مقتبسة من نصوص التوراة<sup>(2)</sup>.

ولأنه لا يمكن وجود عنف دون قاعدة ثقافية سابقة له، فإن تلك الثقافة المتجذرة في النصوص السابقة هي التي مهدت للعنف الذي دعت إليه.

يقول حسن أحمد: "إن أي عنف تسبقه فكرة تهدف إلى مصلحة، وقد ترتقي إلى عقيدة أو إيديولوجية، وكثير من العقائد قد تكون سياسية أو دينية، بمعنى امتزجت العقائد بالسياسات، وباتت خطابات أو نصوص معلنة وخير مثال على هذه الرؤية "التوراة" فالفكر أو الإيديولوجية، أو أي خطاب، يتصلب عندما تكون مرجعيته إلهية"<sup>(3)</sup>.

يتبين مما سبق أن الإله "يهوه" استمر يكرس العنصرية والاستعلاء والعداء ويثير في شعبه العصبية والكراهية والتطرف الذي هو سبيل من سبيل العنف، ليصل الأمر إلى ذروة التطرف والعنف متجليا في أمره استباحة دماء الشعوب وتدمير ممتلكاتهم. الأمر الذي يثير تساؤلنا: هل يمكن حمل هذه النصوص على غير هذا المعنى؟

وبات من المؤكد أن النصوص الملحمية عدت وثيقة سياسية لتبرير العنف، فقد جاءت ترجمة لمعاناة اليهود بعد خراب الهيكل، تصف كارين أرمسترونغ ذلك بقولها: "تمت الصياغة الأخيرة للتوراة في السبي، وليست الملحمة التوراتية نصا دينيا فحسب، وإنما هي أيضا مقالة في الفلسفة السياسية...،

---

البشر، معتبرا إياها حربا مقدسة. (عبرانيين 30/11-31)، كذلك حوى إنجيل (متى 34/10)، وكذا لوقا (15/12) الفكرة ذاتها. (الأسعد المعياري، الدم في النصوص المقدسة، ص 150-151).

(1) \_ توماس رومير، الإله الغامض، ص 91.

(2) \_ عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، د. ط، (مصر: دار القلم، 1964)، ص 20.

(3) \_ حسن إبراهيم أحمد، العنف من الطبيعة إلى الثقافة، ص 85-86، (نقلا عن منير الحافظ، مقامات العنف، ص 67).

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

فقد أصبح عدااء الإسرائيليين للكنعانيين دينيا بقدر ما هو سياسي<sup>(1)</sup>، وهذا تعبير واضح عن الميل إلى العنف كما أنه تأكيد على أن تلك النصوص باتت تؤسس لتوجه ديني يقوم على القتل، فقد جعلت العنف، ثقافة ومهنة احترفا إله اليهود، وأنبيأؤه، والملوك، والقضاة، والصالحون، فشكلت وبامتياز سجل تاريخي للإرهاب اليهودي بشتى صورته وأنواعه.

إن مثل هذه النصوص والنصوص المتشعبة بالعنف الدموي، والمتناهية في الإجرام بشكله الصريح، هي التي طبعت الشخصية اليهودية - الإسرائيلية بطابع العنف والعدوانية، فتجدرت فيها وتركت آثارها في نظرتها إلى الآخر، إذ أن التوراة وصفت اليهودي بأنه شخصية عدوانية دموية، وأنه لا يجد في تلك الشخصية شيئا إيجابيا على الإطلاق، فهي تعبر في مضمونها عن حقيقة العقلية الإسرائيلية الحاقدة على الآخر<sup>(2)</sup>، وهي عقلية لا ترى إلا الدم، والحرق، والتدمير، والاستعباد، والسيطرة<sup>(3)</sup>، ومن أجل تبرير العنف، تحولت صورة الشعب إلى سيف ملطخ بالدماء محرضة على العنف<sup>(4)</sup>، ولا تزال فاعلة في السياسة الحالية.

ظلت هذه الصفات تتحكم في اليهود عبر التاريخ ، كما يؤكد ذلك لوبون في وصفه لوحشيتهم بقوله: "لا أثر للرحمة في وحشية اليهود... ؛ فكان الذبح المنظم يعقب كل فتح مهما قل، وكان الأهالي الأصليون يوقفون فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة، من غير نظر إلى الجنس، ولا إلى السنن، وكان التحريق والسلب يلازمان سفك الدماء... ، إنه ظل قريبا جدا من حال أشد الوحوش ابتدائية على الدوام، فقد كان اليهود عنّدا مندفعين... جفاة كالوحوش"<sup>(5)</sup>.

كما يعترف اليهود المناهضين للسياسة الصهيونية بعنف النص الديني اليهودي، ومن ذلك يدين **جلعاد عتسمون** الكتاب المقدس العبري بشدة بقوله: "لا يوجد ثمة شك بين الباحثين التوراتيين بأن

(1) \_ كارين أرمسترانغ، حقول الدم الدين وتاريخ العنف، ص169.

(2) \_ شريف كنعانة (محررا)، العنف والعدوانية الصهيونية - الإسرائيلية مظاهرها أسبابها وجذورها، بحوث المؤتمر السنوي الخامس الذي عقده مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني في جمعية إنعاش الأسرة 23-25 أبريل 2010، د. ط، (فلسطين/ البيرة، مركز التراث والمجتمع الفلسطيني، 2010)، ص484.

(3) \_ جمال عليوة، فلسفة الإرهاب في الفكر الصهيوني، ص142.

(4) \_ الأسعد العياري، الدم في النصوص المقدسة، ص132.

(5) \_ جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتير، دراسة وتقديم وتعليق: محمود النجيري، ط1، (مصر: مكتبة الناظفة، 2009)، ص15.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي) وولائها على العنف

الكتاب المقدس العبري يحتوي على بعض الاقتراحات المشحونة وغير الأخلاقية، وبعضها يصل إلى ارتكاب إبادة جماعية، وكان العالم اللاهوتي السويسري ريموند شواغر(1935-2004) قد عثر في العهد القديم على ستمائة فقرة تضم عنفا صريحا، إلى جانب ألف آية تصويرية للجزاءات العقابية العنيفة للرب نفسه، علاوة على مائة فقرة يعطي فيها الرب أوامر صريحة للآخرين بالقتل. فالعنف، يقول عتسمون: أحد أكثر الأنشطة التي يشار إليها مرارا وتكرارا في الكتاب المقدس العبري" (1).

إن نصوص العهد القديم تقدم نماذج فريدة من نوعها للعنف، ارتبطت في تنوعها بالوعد بامتلاك الأرض كموسوغ لارتكابه، وهي ترقى في استعمال العنف إلى مستوى العقيدة، حول تمكين القيادات من إلحاق أكبر الضرر وسفك أكبر للدماء، دون تمييز في ذلك بين الأطفال والشيوخ والمدنيين العزل، حتى الأنعام والطبيعة كانت تأخذ حظها من العنف، فلم تختلف النصوص فيما بينها حول إلحاق أكبر قدر ممكن من الدمار، والافساد في الحرث والنسل، كما لو أننا نقرأ جريدة من الجرائد اليومية حول أحداث فلسطين في الوقت الراهن.

### المطلب الثاني: العنف في نصوص التلمود:

تتميز نصوص التلمود بنظرتها الضيقة لغير اليهود، وهي نظرة غالبا ما تنبع عن الاعتقاد الراسخ بالتفضيل الإلهي لليهود وبسموهم فوق كل البشر، وقد بينا ذلك في مبحث فكرة الاختيار.

لكن نتيجة لفساد مفهوم الاختيار الديني عند الأحبار، وذلك بصرفه عن معناه الخالص الذي يقوم على اعتبار بني إسرائيل هم حملة لرسالة السماء؛ ليكونوا هداة أصبح المراد به وضع إسرائيل في نقطة السيادة على العالم (2)، "فسر اليهود هذا السمو تفسيراً عنصرياً، يجعل حياة اليهود غاية الغايات وأفضل من حياة الآخر، ونتيجة هذا الاعتقاد أصبح اليهود يعتقدون بأنهم وحدهم يمثلون العالم البشري، فهم يلعبون دور البطولة على مسرح التاريخ، وهو ما جعلهم ينظرون إلى باقي البشر نظرة احتقار.

لذا نجد نصوص التلمود تنضح بروح العنصرية وتسودها عموماً النظرة السلبية والعداوية تجاه غير اليهود، بما يحول احتقارهم واستعبادهم وسلبهم والاستيلاء على ممتلكاتهم، كما تصدر في حقهم أحكام بالغة العنصرية أقصاها القتل.

(1) \_ جلعاد عتسمون، المصدر السابق، ص181.

(2) \_ منى ناظم، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، سلسلة "نحن وهم"، (القاهرة: دار الهلال)، ص100.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

يشير التلمود إلى غير اليهود بالآخر "الجويم" التي يرادفها في العبرية لفظ الوثني<sup>(1)</sup>، وهي كلمة عادة ما تكتسب صفة الذم والتمييز، ومع مرور الوقت أصبحت بمفهومها الديني اليهودي، "الأغيار"، و"الغرباء"<sup>(2)</sup>، التي تستخدم غالبا في النصوص اليهودية ذات اللغة اليونانية<sup>(3)</sup>. كما يصنفهم إلى من هم في أدنى الدرجات وهم عباد الوثن وأعلاها من تركوا الوثن كالمسيحيين والمسلمين، وهم الأغيار المؤمنين بالله، إلى جانب الساكنين بالحوار جبر توشاف גר תושב<sup>(4)</sup> مثل العرب الفلسطينيين مواطني إسرائيل<sup>(5)</sup>، ويشمل المصطلح شتم من يعدهم اليهود مهرطقة وهم السامريين، إلى جانب نعوت أخرى كالقذر والنجس<sup>(6)</sup>.

هذه النظرة العنصرية للآخر يلخصها الكاتب اليهودي يهودا نورييل من منظمة تساف بيوس اليهودية التي تدعو إلى الحوار والديمقراطية، في مقاله "شعب أبيض وآخر أسود" مصرحا بقوله:

"إننا عنصريون بالسليقة بالميلاد، أو بما نتعلمه منذ الصغر، لأننا ننتمي للمجتمع الإنساني الذي يستند بحكم كونه مجتمعا، أو جماعة، أو قبيلة...، أو فئة محددة من الأشخاص يجمع بينهم قاسم مشترك، إلى أسس التمييز العنصري الذي تفرق بيننا وبين الآخرين...، إن الديانة اليهودية -بالطبع- هي عقيدة عميقة كالبحر، وتتسم بالترعة الإنسانية وتققدس قيمة حياة الإنسان... هراء...، ولكن الديانة اليهودية عنصرية أيضا، بل وعنصرية جدا، فكما أن لدى سكان الاسكيمو مائة كلمة مختلفة لوصف الثلج، ولدى المسلمين 99 اسما مختلفا لله، انظروا إلى عدد الكلمات التي لدينا نحن اليهود في وصف الآخر: أجنبي، ومن الأغيار، غريب، نجس، مسيحي من الأغيار، أغلف، عدو إسرائيل، غير محتون،

(1) \_ اعتقاد اليهود أن كل من هو ليس يهوديا فهو وثني، ولو كان يعبد إلها واحدا وفقا لما تشير إليه الكتابات اليهودية، كوهين التلمود، ص117، وما بعدها، وأدين شتيرلتس، مصدر سابق، ص115.

(2) \_ إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ص33.

(3) \_ البير تو دانزول، اليهودية والغيرية، ص19.

(4) \_ يطلق مصطلح جبر توشاف גר תושב في المعجم التلمودي على الغريب الساكن وسط إسرائيل، ويعلق بقاؤه في أرض إسرائيل- فلسطين بقبول وصايا معينة. ادين شتاينسلتر، معجم المصطلحات التلمودية، ترجمة وتعليق مصطفى عبد المعبود سيد، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن، (القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، مطبعة العمرانية للأوفست، 2006م)، ص53.

(5) \_ عمر أمين مصالحة، التلمود المرجعية اليهودية للتشريعات الدينية والاجتماعية، ط1، (عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 2006)، ص99.

(6) \_ ألبير تو دانزول، المصدر السابق، ص20.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولادتها على العنف

ولدينا جميعا علامات منقوشة على جباهنا منذ المهد، لأننا أبناء الشعب المختار، وبقية البشر ليسوا كذلك، شيء رهيب" (1).

بحسب ما صرح به إسرائيل شاحك، فإن مثل هذه التعبيرات التي كانت تظهر في المخطوطات والمطبوعات الأولى للتلמוד وجميع النسخ المطبوعة في البلدان الإسلامية تم استبدالها بعبارات تهذيوية للعبارات القديمة وبمصطلحات مثل وثني، همجي، وحتى كنعاني، أو سامري، لكن بعد إنشاء دولة إسرائيل - يؤكد شاحك- وبمجرد أن شعر الأحرار بالأمان أعيد استعمال تلك التعبيرات العدوانية في طبعات جديدة في إسرائيل، ويتم تعليم الأطفال مقاطع منها مثل تلك التي تأمر اليهودي بلعن أمهات الموتى وهو مار بمقبرة الغيرية (2). وهي صيغ يرجعها المسيحي إلى الظروف التي أحاطت باليهود، والتي فرضت عليهم حياة العزلة والانفصال عن غيرهم، فجعلت من التلمود متنفسا للتعبير عن عدائهم للشعوب، وبذلك تحول التلمود إلى جيتو لفظي يمارس فيه اليهود حريتهم الوهمية (3)،

يعد هذا الشعور العدائي والرفض اليهودي للآخر، أو كما يسميه ألبير تو دانزول "الموقف الغيري المرضي"، ظاهرة تاريخية قديمة، حددت بشكل كبير حياة اليهود وعلاقتهم مع الآخرين وأكدتها المصادر اليهودية وغير اليهودية، وينقل لنا ألبير تو دانزول توصيف ذلك من خلال ما كتبه أبولونيوس دي يتان: "هذا الشعب -اليهود- قد انتفضوا منذ مدة طويلة، ليس فقط ضد الرومان، إنما ضد البشرية بأكملها، أشخاص تصوروا الحياة وحدهم في عزلة لا يشاركون أمثالهم... " (4).

ولبيان ذلك سنحاول التركيز على بعض النماذج الدالة على العنف في السياق التلمودي، والتي رسخت النظرة العدوانية إزاء غير اليهود، وكان لها الأثر الكبير في بعث وتوجيه السلوك اليهودي والصهيوني تجاه غير اليهود.

(1) \_ عبد الوهاب منصور، فتاوى الحاخامات، (رؤية موضوعية لجذور التطرف في المجتمع الإسرائيلي)، د. طه، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010)، ص14-15.

(2) \_ إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ص33.

(3) \_ عبد الوهاب محمد المسيري، اليد الخفية، (دراسة ف الحركات اليهودية الهدامة السرية، ط2، القاهرة، دار الشروق 1422هـ-2001م، ص36-37.

(4) \_ ألبير تو دانزول، اليهودية والغيرية، ص31-33.

أولاً: الجويم نُجس ودون اليهود منزلة:

على القدر الذي غالى فيه الأحرار في وصفهم لعلو النفس اليهودية، تقدم نصوص التلمود ما يلقي بتهمة النجاسة على غير اليهود، إلى حد اعتبار التعامل اليومي أو الزواج منهم ممنوعاً شرعياً.

ومثاله تصنيف التلمود للأغيار في مصاف البهيمية، وبأنهم يختلفون عن البهائم شكلاً فقط، يقول مدراش تالبوث Midrasch Talbioth: "خلقهم الله في أشكال آدمية لتمجيد إسرائيل، إن الأكرم (غير اليهود) خلقوا لغاية وحيدة هي خدمة بني إسرائيل ليل نهار، وهم لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة، ومن اللائق أن يقوم على خدمة ابن ملك (إسرائيلي) حيوانات بأشكال طبيعية، فالحيوانات الكائنة بأشكال إنسانية عليها أن تخدمه"<sup>(1)</sup>.

تحدد نجاسة الجويم، في التلمود باقحامهم بالرديلة.

يقول التلمود: "لا يجوز لأحد أن يضع ماشيته في خان الوثنيين، لأنه يشك في تصرفاتهم اللاأخلاقية مع تلك الحيوانات، لا يجوز للمرأة أن تمكث لوحدها معهم، لأنهم معروفين بالفاحشة"<sup>(2)</sup>. "ويعلل فقهاؤهم ذلك بقولهم: مخافة أنها قد تُستخدم لأغراض فاحشة، ولأن الوثنيين يرغبون في ماشية الإسرائيلي أكثر من رغبتهم في زوجاتهم"<sup>(3)</sup>.

تبعاً للاعتقاد بنجاسة غير اليهود، والتي تمت مماثلتها بنجاسة البهائم، يعتبر بن ميمون الزواج من غير اليهود معصية كبرى تصل عقوبتها إلى القتل (قتل اليهودي)؛ حيث جاء في بيان الوصية السلبية رقم 52 لا تتزوج وثنية: "إذا ساكن رجل امرأة وثنية يعاقب من قبل الزيلوت"<sup>(4)</sup>.

تبعاً للحكم الوارد في هذه الوصية يقضي الحاخامات بأنه: "إذا كان هناك أحدهم في إسرائيل يريد أن يعطي ابنته لأي رجل من جنس الأغيار، فليُحكَم عليه بالموت، ولنرحمه، لأنه ارتكب فعلاً معيباً في إسرائيل، ولتُحرق المرأة، لأنها دنست اسم عائلتها، ولتقتلع من إسرائيل، يجب ألا نجد في إسرائيل لا

(1) \_ الأب أي. بي. برينايتمس، فضح التلمود، ص 92، و 112.

(2) \_ التلمود البابلي، مج 13، ط 1 (الأردن، مركز دراسات الشرق الأوسط، 2001م)، ص 307.

(3) \_ المصدر نفسه، ص 307.

(4) \_ موسى بن ميمون، شرح أحكام التوراة والتلمود، ص 227.

## الفصل الأول: ..... مصادره الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

زنى، ولا دنس طالما استمرت الأجيال الأرضية، لأن إسرائيل هي طاهرة الرب" (1).

وعن نجاسة مقتنياتهم جاء في التلمود: "من يشتري أدوات من الجوي: فالأدوات التي من المعتاد أن تغمس في المياه فليغمسها، والتي من المعتاد أن تغمس في الماء المغلي، فليغسلها بالماء المغلي، والتي من المعتاد أن تبيض بالنار، فليبيضها بالنار، السفود وشبكة الشواء يبيضان بالنار، أما السكين فإنها تشحذ وتصبح طاهرة" (2).

لقد عملت هذه العقائد التلمودية على تحديد نظرة المتدينين اليهود إزاء الآخر، فينقل إسرائيل شاحك في سياق نقده للأصولية اليهودية، ما نشره سيفي راكلفسكي في كتابه الشهير "حمار المسيح" بأن الحاخام كوك الأب (3) الروحي للترعة المسيانية في الأصولية اليهودية، قال: إن الفرق بين روح اليهود— وأرواح غير اليهود على مختلف المستويات أكبر وأدق من الفرق بين روح الإنسان وأرواح البهائم، وأشار راكلفسكي أن مجمل تعاليم كوك كانت مستوحاة من الفكر القبالي اللورياني، إحدى مدارس التصوف اليهودي التي سادت اليهودية أواخر القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، وكان مؤسسها الحاخام إسحاق لوريا، وكان من أبرز عقائدها السمو بالروح اليهودية والجسد اليهودي على الروح والجسد غير اليهودي، وأن العالم خلق من أجل اليهود فقط (4).

(1) \_ ألبير تو دانزول، اليهودية والغيرية، ص 21.

(2) \_ مصطفى عبد المعبود (ترجمة وتعليق)، تقديم محمد خليفة حسن، سلسلة ترجمة متن التلمود المشنا (القسم الرابع) الأضرار، ط 1، (مصر-الجزيرة: دار طيبة للطباعة، 2008)، ص 297.

(3) \_ الحاخام أبراهام إسحاق كوك Rabbi Abraham Isaac Kook زعيم روحي ومن أهم مفكري الصهيونية الدينية - 1865-1935 ولد في لاتفية بشمال روسيا، تلقى تعليمه في أكاديمية تلمودية على يد الحاخام هيرش ليف برلين. وحين بلغ الثالثة والعشرين عين حاخاما لبلدة زمبل ثم بويسك في ليتوانيا في الفترة 1888-1904 ثم حاخاما يافا في الفترة 1904-1914، وفي عام 1914 سافر إلى أوروبا وعمل حاخامًا في مدينة سانت غالين بسويسرا 1914-1916 ثم عمل حاخامًا مؤقتًا في لندن (1916-1919) وفي عام 1919 وصل إلى القدس، ليتولى منصب أول حاخام أكبر للأشكناز في القدس. حاول كوك التقريب بين الاتجاهات السياسية والدينية فدعا إلى التساهل في الأحكام حفظًا للوحدة، وقد نشر بحوثًا في جوانب المعرفة الحاخامية والتصوف اليهودي والفلسفة والشعر، ونشرت رسائله في عدة مجلدات، كما كان له العديد من الفتاوى. أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، سلسلة كتب فلسطيني(21)، ترجمة لطفي العابد وموسى عتر، مراجعة هلدا شعبان صايغ وإبراهيم العابد، د ط، بيروت: مركز البحوث الفلسطيني، د ت، ص 293-294.

(4) \_ إسرائيل شاحك ونورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، د. ط، (القاهرة: مؤسسة روز اليوسف، 2001)، ص 119-120.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

وبرزت هذه الرؤية الضيقة بشكل سافر في تصريحات حاخامات القرن العشرين، من أجل تبرير الاعتداء على الآخر، أمثال الحاخام مناحيم مندل شنيورسن<sup>(1)</sup>. الذي أمر بإعادة النظر في القانون المتعلق بيهودية اليهودي، وكان من جملة ما صرح به: إن الفرق بين اليهودي وغير اليهودي هو من النوع الذي ينطبق عليه التعبير السائد: (لا وجه للتشبيه)، باستناده الى ما ورد في كتاب الجمارا بأن اليهودي يتشابه مع الاممي ظاهريا فقط، و"أن الجسد اليهودي لا يمت بأية صلة كانت إلى صنف بقية الأجساد لأبناء الأمم الأخرى. وأن ما يصح على الجسم (المادة) يصح أيضا على النفس (الروح)، إذ إن أصل أرواح الاممين، هو من طبقات النجاسة الثلاث، بينما أصل أرواح اليهود هو من الروح القدس ذاتها، وكذلك الأمر بالنسبة للجنين الذي يسمى إنسانا، لأنه يتكون من جسد وروح، والاختلاف بين جنين إسرائيل وأجنة بقية الشعوب كبير جدا، لأنه لا وجه للتشبيه بين جسدين من مرتبتين متناقضتين؛ لأن روح الجنين اليهودي، هي النقيض والضد تماما للجنين التابع لأي شعب آخر"<sup>(2)</sup>.

ضمن هذا المفهوم أصدر الحاخام إسحق جتبرغ، الذي جمع بين الفكر الحسيدي والفكر الصهيوني، كتابه "باروخ البطل" امتدح فيه مرتكب جريمة الحرم الإبراهيمي في الخليل "باروخ غولدشتاين"، وصرح فيه بجواز الاعتداء على الأعداء في سبيل تأمين حياة اليهود، وذكر فيه أن الدم العربي يختلف عن الدم اليهودي<sup>(3)</sup>، وقد نشر ذلك في مقال بجريدة الأسبوع اليهودي بتاريخ 26 أفريل 1996م: "إذا كانت كل خلية في الجسد اليهودي تنطوي على ألوهية، وبذلك فإنها تكون جزءا من الله، فإن كل حمض نووي أميني DNA هو جزء من الله...، وعلى ذلك فهناك شيء ما مميز خاص

(1) \_ الإدمور السابع لحركة حيد المتطرفة، ولد عام 1902 في الاتحاد السوفياتي، من أسرة حسيديّة، مكان إقامته بروكلين في نيويورك، ويعد مناحيم مندل أكبر شخصي دينية يهودية خارج إسرائيل كان الزعماء السياسيون والمفكرون اليهود يحجون إليه، وكان لتوجيهاته وأفكاره تأثيرا واسعا على القرارات السياسية الداخلية في إسرائيل. توفي عام 1994 وترك كما هائلا من الآثار الأدبية، وتعتبر أعماله امتداد للفكر الحسيدي، ركز فيها على القدرة الإلهية و، وعلى ان التوراة خلقت قبل العالم، كما ركز على حب أرض إسرائيل صلاح الزرون المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ط1، (الخليل: رابطة الجامعيين، 199)، ص256-257.

(2) \_ رشاد عبد الله الشامي، القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، د. ط، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة 186، جوان/جويلية 1994م)، ص226.

(3) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ترجمة عن الإنجليزية: عزت غزاوي، ترجمة عن العبرية: سعيد عياش، د. ط، (فلسطين- رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار، 2003) ص115-130.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الربني (اليهودي وولالتها على العنف

بالحمض النووي الأميني اليهودي... ثم يستنج جيتزبرغ: "إذا شاهدت شخصين يشرفان على الغرق أحدهما يهودي، والآخر غير يهودي، فإن التوراة تقول عليك أن تنقذ اليهودي أولاً... ، ويضيف متسائلاً: إذا كان هناك يهودي يحتاج إلى كبد، فهل يمكن أن نأخذ كبد شخص غير يهودي بريء يمر بالصدفة من أجل إنقاذه؟ إن التوراة تميز ذلك فالحياة اليهودية لا تقدر بثمن... ، ثم يشرح ذلك: إن هناك شيئاً أكثر قداسة وتفرداً بشأن الحياة اليهودية أكثر من الحياة غير اليهودية"<sup>(1)</sup>.

على هذا الأساس أيضاً تشكلت النظرة العنصرية لدى الحاخامات بجواز استعباد غير اليهود، وهو ما سيتحقق كما يرون بشكل رسمي في العصر المسياني، قال الحاخام ناان: "شعوب العالم ستكون في المستقبل (المسيحاني) عبداً لليهود"<sup>(2)</sup>، تطبيقاً لما ورد في سفر إشعيا: ويقف الأجنبي يرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حرّاً ثيكم وكرّاميكم، أما أنتم فتدعون كهنة الرب تُسمّون خدام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمرون". أشعيا 61/5-6.

ثانياً: جواز الاستيلاء على ممتلكات الجويم وأمواهم:

يحرم التلمود إعادة الأشياء المفقودة إلى غير اليهود أو الاستعارة منهم، يقول التلمود: "ويحرم إعادتهم الأشياء أو استعارة أي شيء منهم"<sup>(3)</sup>، ويقول التلمود: "إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأمي ماله المفقود ، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب"<sup>(4)</sup>.

جاء في تفسيره: "يحرم إعادة دفع المال لهم أو تقبل إعادة المال منهم، إن تحريم إعادة دفع المال لهم هو صحيح جداً، طالما أن ذلك يعود بالفائدة لهم، ولكن استعادة المال منهم يؤدي إلى تجريدهم من الفائدة. فلماذا التحريم؟ يقول عباي: إن تحريم أخذ المال المدفوع هو حكم سيتبادلون الشكر فيما بينهم عند الدفع"<sup>(5)</sup>.

(1) \_ إسرائيل شاحك ونورتون متسفيسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 126.

(2) \_ زياد مني، تلفيق صورة الآخر في التلمود يسوع المسيح والعرب والمسيحيين والأمة، ط3، (بيروت: قدمس للنشر والتوزيع، 2004)، ص 223.

(3) \_ التلمود البابلي، مج 13، ص 287.

(4) \_ د. روهلنج، الكثر المرصود في قواعد التلمود، ص 147.

(5) \_ التلمود البابلي، مج 13، ص 287.

## الفصل الأول: ..... صاوير الفكر الديني اليهودي وولاليتها على العنف

يقدم التفسير اليهودي لعدم إعادة ديون الأميين من منطلق عدم مساواة اليهودي لغيره لأقصى حد ممكن حتى في إثارة مشاعر المحبة ، ومن هنا تكون علة التحريم أن يحرم الأممي من الفرحة ومن الارتقاء إلى منزلة اليهودي، فهو أفضل منه، يوضح الحاخام رشي ذلك بقوله: من يرد شيئاً مفقود لأجنبي فقد اعتبر الأجنبي في درجة الإسرائيلي، أما بن ميمون فيعتبر ذلك من أكبر الآثام، لأنه بعمله هذا يقوى الكفار ويظهر اليهودي بذلك يحب الوثنيين، ومن أحبهم فقد أبغض الله<sup>(1)</sup>.

تبعاً لذلك يجوز الاستيلاء على أموال الجويم، وتحرم إعادة مسروقاتهم إليهم، فيقول الحاخام بباي بن جدييل: قال الحاخام شمعون التقي: المسروق من الأممي محذور، والمفقود مسموح لليهودي الذي عشر عليه الاحتفاظ به واستهلاكه أو الاستفادة منه<sup>(2)</sup>، كما تعتبر ممتلكات الأغيار من دون مالك، ويجوز لليهودي أن يستولي عليها، يقول العالم بفافركورن **Pfefferkorn**: "إن ممتلكات المسيحي بالنظر إلى اليهودي هي ممتلكات لا مالك لها مثل رمال البحار، وأول يهودي يستولي عليها عنوة يكون مالكها الأصيل، وذلك تطبيقاً لوصايا التلمود"<sup>(3)</sup>.

من جهة أخرى تدعو نصوص التلمود إلى فرض سلطة اليهود بالقوة على الشعوب، فسعيًا لأخلاء الأرض من العرب يحرم منحهم فرصة البقاء في إسرائيل ولو مؤقتاً خوفاً من الاستقرار فيها، بل ينبغي دفعهم إلى الإقامة خارجها في دول الجوار، جاء في التلمود وفق ما حدده الحبر مئير: "لا يجوز لأحد أن يهبي لهم منزلاً (داراً) في إسرائيل، ولا حاجة أن نذكر الحقول. في سوريا يجوز تأجير الدور لهم وليس الحقول، وفي الخارج يجوز بيع الدور لهم وتأجير الحقول"<sup>(4)</sup>.

يعلل علماء اليهود عدم ذكر حرمة امتلاك الحقول، بحجة استفادة الأممي من الأرض وبقائه مدة أطول، بقولهم: لماذا كان غير الضروري ذكر الحقول؟ هل نقول لأنها تقدم اعتراضين: أولهما، أن الوثنيين سيستقرون في الأرض وثانيهما، أنهم سيعفون محصولهم من الأعشار؟ لو كان الأمر كذلك؟ فإن البيوت أيضاً تقدم اعتراضين: أولهما، أن الوثنيين سيستقرون في الأرض، وثانيهما أنهم سيعفون من

(1) \_ د. روهنج، الكتر المرصود في قواعد التلمود، ص148.

(2) \_ زياد مئير، تليفق صورة الآخر في التلمود يسوع المسيح والعرب والمسيحيين والأميين، ص155.

(3) \_ بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، ط2، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1403هـ-1983م)، ص81.

(4) \_ التلمود البابلي، مج13، ص303.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

وضع مزوزا **מזוזות** " (1) (2).

أورد ابن ميمون هذا المفهوم في شرحه مشنا تورا للوصية السلبية رقم 51 "لا تسكنهم في أرضك"، فقال: "لا يسمح للوثني بالإقامة في أرضنا حتى إقامة مؤقتة<sup>(3)</sup>، أو حتى بصفته مسافرا يتجول ببضاعته من مكان إلى آخر ما لم يتعهد بقسم أن يترك وثنيته"<sup>(4)</sup>.

إن هذا الاتجاه العنصري الذي يشكل عمق اليهودية التلمودية، تبنته الصهيونية في تعاملها مع العرب والفلسطينيين، وقد ترتب عنه أن الفلسطيني لا يستحق إلا الطرد أو الإبادة، ذلك لأن شعب الله لا ينبغي أن يجاوره آخر ولا يسكن معه في أرضه المقدسة.

**ثالثا: تحريم الشفقة على غير اليهود والأمر بقتلهم:**

تنضح تعاليم التلمود بروح القسوة، والعنف، والدمار بشكل سافر، فهي تنهى عن الشفقة بالآخر، بل ويعتبر قتله قربة إلى الله.

في التلمود: "الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني (غير اليهودي). فإذا رأيته واقعا في نهر، أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أن تنقذه منه، لأن الشعوب السبعة الذين كانوا في أرض كنعان، وكان مطلوب ابادتهم، لم يقتلوا عن آخرهم، إنما هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض". لذلك (يقول ميمانود): "فإنه يلزم قتل الأجنبي، إذ من المحتمل أن يكون من نسل الشعوب السبعة. فعلى اليهودي أن يقتل

(1) \_ من وصايا افعل في التوراة، وهي عبارة عن قطعة جلد مكتوب عليها فقرات الشماع، : "اسمع يا إسرائيل توضع في الحقيبة للتبرك، وتثب مزوزا البيت في الجانب الأيمن للباب من وجهة البيت ومن أصل الحكم، فإن كل حجرة يتواجد فيها الناس، وينامون فيها تجب عليها المزوزا، كما يلزمون بوضعها في أبواب الساحات وأبواب المدينة. إدين شتاينسلتر، معجم المصطلحات التلمودية، ص130.

(2) \_ التلمود البابلي، المصدر السابق، مج13، ص303-304.

(3) \_ تعتبر هذه التعاليم إحدى القواعد الأساسية والهامة للصندوق القومي اليهودي الذي حرص تمام الحرص على استملاك الأرض لليهود دون غيرهم فحينما عجز اليهود عن إخلاء الأرض من العرب اكتفوا بمبدأ التضيق عليهم في العمل (تعرف العملية بتهويد العمل)، الذي تم إقراره منذ بداية الاستعمار الصهيوني، وبمقتضى هذا المبدأ لا يجوز استخدام أيدي عاملة غير اليهودية، وقد عملت الوكالة اليهودية والصندوق القومي بالسهر على حمايته، تطبيقا للعقيدة الصهيونية المؤسسة على الاستثناء العنصري. فايز صايغ، الاستعمار الصهيوني في فلسطين، د. ط، (القاهرة: منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية، دت)، ص33.

(4) \_ موسى بن ميمون، شرح احكام التوراة والمشنا، 226.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولادتها على العنف)

من تمكن من قتله، فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشريعة، وإذا وقع غير اليهودي في حفرة، وكان يوجد في الحفرة سلم، فليته يسدها بحجر، أو يترع السلم حتى لا يخرج الأجنبي منها"<sup>(1)</sup>.

يقول التلمود: إن رأيت مهرطقا، لا يؤمن بالتوراة، ساقطا في قاع البئر، وقربه سلم سارع إلى هذا السلم وأبعده وقل للمهرطق: علي أن أذهب به إلى ابني لأساعده على التزول من سطح البيت وسأعود بالسلم إليك بسرعة، أو تخلص منه بطريقة أخرى، ومع ذلك فإن الكوثانيين الذين يدعون الخراف الإسرائيلية، ليس من الضروري قتلهم في الحال، لكنهم يجب أن لا ينقذوا من الموت"<sup>(2)</sup>.

كما يحرم الربانيون تقديم أي مساعدة لغير اليهودي، فلا يجوز لليهودي أن يُقبل على عمل إنساني ينفع الجويم، فلا يرحمه ولا يعينه، يقول التلمود "لا يجوز للمرأة الإسرائيلية أن تكون قابلة (مولدة) لامرأة وثنية... ، ولا يجوز للمرأة الإسرائيلية أن ترضع طفل الوثنية"<sup>(3)</sup>. "ويحلل الراي مثير ذلك، خشية أن تساعد الإسرائيلية في ترعرع من يعبد الأوثان والكواكب.

اما بخصوص القتل يرى الربانيون بحسب المنظومة التشريعية اليهودية "الهلاخا"، أن قتل غير اليهودي لا يمكن تصنيفه ضمن باب الجريمة، يقول ابن ميمون: إن وصية "لا تقتل" هي خاصة فقط بقتل اليهود<sup>(4)</sup>، ذلك لأن قتل اليهودي هو بمثابة قتل جميع البشر، وفقا لما ورد في المشنا: من يهلك نفسا واحدة يعتبره الناموس كأنه قد أهلك عالما بأسره"<sup>(5)</sup>، فقتل اليهودي يعتبر جريمة كبرى تستوجب العقوبة مدنيا ودينيا، أما قتل اليهودي لغير اليهودي فلا يعد جريمة، بل يعد القاتل اليهودي مذنبا فقط بخطيئة ضد شرائع السماء التي لا تعاقب عليها المحكمة، أما المتسبب في موت غير اليهودي فلا يعد ذلك خطيئة أبدا"<sup>(6)</sup>.

(1) \_ روهلنج، الكتر المرصود في قواعد التلمود، ص39.

(2) \_ الأب. أي. بي. برنايتس، فضح التلمود، ص137-138.

(3) \_ التلمود البابلي، المصدر السابق، مج13، ص311.

(4) \_ روهلنج، الكتر المرصود في قواعد التلمود، ص39.

(5) \_ موسى بن ميمون، شرح أحكام التوراة والتلمود، ص342.

(6) \_ إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وموقفها من الغير، ص133.

لذلك يأمر التلمود بقتل الآخر: "حتى أفضل الغويم يجب قتله" (1).

ويؤمن الربانيون بوجوب قتل الآخر إذا ما سحقت الفرصة وتمكنوا منه، أو يتسببون في هلاكه، كما يعتبر قتل الآخر بحسب التلمود قرينة الى الله يحضى بها صاحبها بالرضى، يقول إيالكوت سيموني **Ialkut Simoni**: "كل من يسفك دم شخص غير تقي (غير يهودي) عمله مقبول عند الله كمن يقرب قربانا إليه، على اليهود أن لا يكفوا عن إبادة الغويم وأن لا يدعوهم في أمان، ولا يخضعوا لهم. (2)"، ويقول الحاخام أباربانيل: "إن شعب الله المختار فقط يستحق الحياة الأبدية، أما الشعوب الباقية فمماثلة للحمير (3)".

علاوة عن ذلك يُشرع لليهود الدعوة على غيرهم في صلواتهم تلهفاً لجيء المسيا خاصة في ليلة الفصح:

"صبوا جام غضبكم على الشعوب التي لا تميزكم، وعلى الممالك التي لا تتوسل باسمكم، وصبوا عظيم سخطكم عليها، ودعوا حنقكم الغاضب يستولي عليها، اضطهدوها بغضب، وحطموها من تحت سموات الرب (4)".

إن الاعتقاد بسمو العرق اليهودي هو الذي جعل الربانيين يؤمنون بأن الحياة حكرا على اليهود، بل وحق ثابت لهم لأنهم هم وحدهم بشر، أما الآخر فهو لا يستحق الحياة، كما يصرح التلمود بذلك: إن مدافن غير اليهود تتلج صدور أبناء إسرائيل، لأن اليهود وحدهم بشر، أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع من الحيوانات (5). "

بحسب الرؤيا اليهودية، فإن هذه الدعوة التي تخلو من الحس الإنساني أمرا لا يعني اليهود، فبحكم اختيارهم فإن ذلك يلغي القوانين الأخلاقية التي تقيد سلوك الآخر فلا يخضعون له، فهم ليسوا ملزمين به،

(1) \_ الأب. أي. بي. برنايتس، فضح التلمود، ص 146

(2) \_ روهلنج، الكثر المرصود في قواعد التلمود، ص 147

(3) \_ المصدر نفسه، ص 140.

(4) \_ الأب. أي. بي. برنايتس، فضح التلمود، ص 149-150.

(5) \_ بولس حنا مسعد، همجية التعاليم الصهيونية، ص 67.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي) وولادتها على العنف

ولا يتقيدون به، خلال تعاملهم مع غيرهم، فالأوامر الإلهية كما يرى الحاخام شلومو أفينر التي تلزم اليهود "تتجاوز المفاهيم الإنسانية للحقول القومية وتتعالى عليها، وأن ما ألزم به الله الأمم السوية من طاعة القوانين "كالعدل والاستقامة"، فإنها لا تُلزم اليهود"<sup>(1)</sup>.

يتأكد لنا مما سبق أن نصوص التلمود التي تحطم القيم الإنسانية، بل وتلغي إنسانية الآخر، تشجع على العنصرية فهي تفرق بين الخلق بترسيخها فكرة أن العالم يتكون من الشعب المقدس الذي يباح له فعل كل شيء، حتى إذا خالف الأخلاق، وصنف ثان هم الجويم خلقوا لخدمتهم، لا يستحقون أدنى احترام أو صون لحقوقهم، كما أنها تركز للاحتقار، والوحشية، والهمجية، والحقد، والكراهية، على جميع البشر غير اليهود، وهي بذلك تدعو إلى العنف بشكل واضح وصريح.

يتبين لنا أن ما أوردته النصوص والتعليقات السابقة أكد من دون شك عنصرية اليهود وحقدهم الدفين، ونظرتهم الشيئية والضيقة للشعوب، وهي في مضمونها تنطوي على تعصب عرقي، تُعدّم فيها إنسانية غير اليهود، وبذلك تزول -بموجبها- المطالبة بحقوقهم، وهو ما يجعلها تشكل معيناً خصبا للفتوى المتطرفة ولقادة الفكر الصهيوني باختلاف مواقعهم السياسية والدينية والاجتماعية في تعاملهم مع الآخر.

### المطلب الثالث: النص الديني والتسوية الحاخامي للعنف:

#### أولاً: صناعة الفتوى:

تعد النصوص الدينية اليهودية التي ظلت تشكل مرجعية إيديولوجية لليهود الأرثوذكس في توجيه سلوكياتهم، وفي علاقاتهم بغير اليهود، هي في مجملها كما يذكر رومير في نقده للمسار التاريخي للممارسات الصهيونية، الأساس الذي استخدمته الأصولية اليهودية المعارضة للسلام باستمرار في نظرتها العنصرية إلى الفلسطيني، وإصرارها على اجتثاث وجوده من أرضه<sup>(2)</sup>، علاوة على ذلك، تعد كتابات أبحار العصر الوسيط مرجعية دينية هامة لصناعة الفتوى في الوقت الحالي في إسرائيل، بعد نصوص

(1) \_ إيان لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، ترجمة: حسني زينة، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1991)، ص89.

(2) \_ توماس رومير، الإله الغامض، ص91.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولائها على العنف

التناخ، والتلمود، والمشنا، والجمارا، ويعد كلا من ابن ميمون ويوسف كاروا<sup>(1)</sup>، من أبرز مرجعيات الإفتاء اليهودي<sup>(3)</sup>، حيث ظل الاعتقاد بسرمان مفعول فتاواهما، إضافة الى فتاوى أصدرها كبار الحاخامات المعاصرين أثناء تواجدهم في أوروبا الشرقية منذ القرن الثامن عشر، وحتى إعلان قيام إسرائيل، وبالرغم من الرفض الحريدي لتجديد الفتوى، وتركيزه على التقيد بالمرجعيات القديمة وميله الى الجمود الفقهي<sup>(4)</sup>، غير أن ذلك لم يثني قضاة المحاكم الإسرائيلية اليوم من الاعتماد على الفتاوى المعاصرة على النحو الذي سنبيته.

فيما يتعلق بفتاوى التسوية السياسية للصراع العربي الإسرائيلي، وبالرغم من اكتساب الفتوى الدينية أهمية لدى الأحزاب الدينية باعتبارها المصدر الأساسي في تحديد مواقفها السياسية والأيدولوجية من هذا الصراع، فيوجد من الأحزاب العلمانية، على منوال حزب الليكود من أعار اهتماما بفتاوى الحاخامات بما ينسجم والتطورات الراهنة، ومتطلبات الحزب، فبعد أن كان مصدر الفتاوى منذ 1948م، وحتى أواخر السبعينات قاصرا على مجلس الحاخامين<sup>(5)</sup>، وعددا معينا من كبار المرجعيات

(1) 1488 - 1575 ولد في إسبانيا، وأقام في إسطنبول بعد عملية الجلاء الأكبر من إسبانيا عام 1492، ثم استقر في فلسطين عام 1525، وقد اهتم بالفكر القبالي، ويعد من كبار حكماء اليهود على مر العصور في عام 1565، ألف كتابه الشولحان عاروخ حول القواعد التقليدية للسلوك، وقد لقي معارضة حاخامية شديدة، لكن أصبح فيما بعد معتمدا لدى اليهود الأرثوذكس. عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص 306.

(2) \_ شيماء مجدي حسن، الآخر في التلمود (ترجمة باب العبادات الأجنبية عبودا زارا، مراجعة وتقديم: ليلي إبراهيم أبو الجند، ط 1، القاهرة، دار العلوم للنشر والتوزيع 1428هـ-2008م)، ص 161.

(3) \_ منصور عبد الوهاب، فتاوى الحاخامات، رؤية موضوعية لجذور التطرف في المجتمع الإسرائيلي، ص 17.

(4) \_ صالح محمد النعماني، في قبضة الحاخامات، تعاضم التيار الديني الصهيوني في إسرائيل وآثاره الداخلية والإقليمية، د. ط، (الرياض: مركز البحوث والدراسات "البيان"، 1435هـ)، ص 257-258.

(5) \_ تعرف بالحاخامية الرئيسية، يتكون المجلس من عشرة أشخاص مناصفة بين اليهود الغربيين، واليهود الشرقيين، بقيادة حاخامين أحدهما اشكنازي والآخر سفاردي، ويطلق على رئيس المجلس الحاخام الأكبر، ووفقا لتاريخية الحاخامية الكبرى في إسرائيل، يعد أبراهام يسحق كوك أول حاخام اشكنازي، شغل منصب الحاخام الأكبر لفلسطين في ظل الانتداب البريطاني (1921-1935)، والحاخام السفاردي المعروف بـ: هريشون لتسيون، أول من جاء لصهيون، وتم الانتخابات فيه كل خمس سنوات من ناحية دستورية، وهو بمثابة "الحكمة العليا لاستئناف"، استمر عمل الحاخامية الرئيسية إلى ما بعد قيام إسرائيل وخضعت إلى تعديلات مستمرة بين عام 1963 و1983، ونظرا لأهمية منصب الحاخام الأكبر، يخول للأحزاب السياسية التدخل في انتخاب الشخصية. نظام محمود بركات، النخبة الحاكمة في إسرائيل، ط 1، (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1402هـ-1982م)، ص 205، ورشاد عبد الله الشامي، الحروب والدين في الواقع السياسي الإسرائيلي (1967-2000)، ط 1، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 1426هـ-2005م)، ص 299.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

الدينية للتيار الأرثوذكسي، فإن أتباع التيار الديني الموالي للصهيونية اكتسب أهمية كبرى لسعة نفوذه، بسبب اختراقه للجيش، وسلك الأمن، وهو ما أدى إلى توسع دائرة الإفتاء التي باتت تنذر بالخطر، خاصة وأن وظيفة الحاخامية وإصدار الفتوى، لم تعد مقيّدة بشروط غير الانتماء إلى مدرسة دينية، وتكمن خطورة الفتوى، كون أتباع هذه المرجعيات غالبا ما ينتمون إلى الجيش ويتبوؤون مراكز قيادية<sup>(1)</sup>، وقد باتت هذه المرجعيات مصدر للفتوى بقتل الفلسطينيين<sup>(2)</sup>.

فقد أسفر الالتزام التام بالمنظومة التشريعية اليهودية<sup>(3)</sup> التي تم تطويرها وإعادة صياغتها على أيدي أجيال متتالية من الأحرار- عن وضع وتحديد قواعد موجّهة لتلك العلاقات من موقع الاختيار والتعالي عليهم، وتعد مرجعا دينيا ثابتا حتى يومنا هذا، وتجلت تلك المفاهيم في بروز فتاوى تحريضية، وتصريحات كثير من الحاخامات المواليين للفكر الصهيوني، بدعوتهم إلى التماس العنف كأفضل الوسائل للقضاء على الفلسطينيين.

يُعزز ذلك ما نقله إبراهيم العابد عن ناتان هوفشي في مقاله "الحاخامون والجيش" الذي نشره في الصحيفة الإسرائيلية "نير" في ديسمبر 1956، حول عنف الحاخامات، ودور الفتوى في تنمية الروح العدوانية والتعصب، واصفا التطور الغريب بين رجال الدين، الذين عرفوا فيما مضى بالمعارضة الشديدة لكل صور القوة، بقوله: "أما الآن، فإن رجال الدين قد أداروا ظهورهم لكل تحذيرات الأنبياء والحكماء ضد القوة، وأصبحوا أكثر حماسا وإعجابا بالجيش والروح العسكرية، وبالأساليب العسكرية المسلحة

(1) \_ أكد ذلك موشي إيشون أحد المنظرين للأصولية اليهودية، موضحا أن الفكرة الصهيونية الدينية نجحت بزيادة النفوذ السياسي للأصوليين، فهم متواجدون في الجيش ضباط، وجنرالات، وعلى كل مستوى في أجهزة المخابرات، وسلاح الجو، كذلك أطباء، ومحامين، وفي كل مرافق الحياة، والعشرات منهم على هيئة تنمية وأبحاث الأسلحة. ديفيد لانداو، الأصولية اليهودية العقيدة والقوة، ترجمة: مجدي عبد الكريم، ط1، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1414هـ-1994م)، ص176.

(2) \_ صالح النعامي، على خطى سدوم، إسرائيل بين الدين والعسكرة والفساد، ط1، (العين: دار الكتاب الجامعي، 1431هـ-2011م)، ص22-23.

(3) \_ يشير إسرائيل شاحاك إلى مدى خطورة الفتاوى المستمدة من المنظومة التشريعية اليهودية، حيث قدمت الحريديّة طلب جعل الهلاخا قانونا لإسرائيل، وقد حظي الطلب بدعم ومباركة من التيار الديني القومي، ومما تميز به الطلب: إن الحاخامات الرسميون الذين هم وكلاء لله، يجب أن يكونوا أصحاب القرار. - يجب على الحاخامات أن يشرفوا على المؤسسات الاجتماعية وأن يفصلوا في كل القضايا، إسرائيل شاحاك ونورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص92.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

العنيفة، وأنهم بهذا يعطون الجيش شهادة اثبات بأنه ينفذ تعاليم الدين اليهودي"<sup>(1)</sup>.

نسعى في هذا الساق إلى معرفة مدى تأصيل الفتاوى، بالرجوع إلى نصوص الحرب التي خاضها بنو إسرائيل ضد سكان فلسطين (العماليق) خاصة بقيادة يشوع، الذي أمر باحتلال الأرض وإبادة جميع قاطنيها دونما تمييز بين نساء، وأطفال، وحتى البهائم، وكيف تتم مقارنة سكان فلسطين اليوم بالعماليق، وهو ما يوجب معاملتهم بالمثل، وبيان كيف تستند المحاكمات في فتاواهم إلى نصوص التي تشرع قتل الأغيار، وكذا التفاسير اليهودية القديمة المعضدة لذلك على غرار تفسير موسى ابن ميمون وراشي وغيرهما.

ولبيان ذلك قمنا بتصنيفها بحسب موضوعاتها الى ثلاثة أصناف، كما سنقتصر على أهمها على سبيل المثال لا الحصر.

ثانيا: نماذج من الفتاوى الدينية:

### 1- فتاوى الاستلاء على الممتلكات والطرود القسري من الأرض:

في عام 1799م دعا الحاخام الأكبر أرون ليفي يهود العالم لحمل السلاح "لإعادة بناء المدينة اليتيمة - القدس - وبناء معبد الرب، كما حثهم على التجمع في فلسطين قائلا: ليجتمع كل رجال الشعب اليهودي القادرون على حمل السلاح وليأتوا إلى فلسطين"<sup>(2)</sup>، وتعبيرا عن الرغبة في تجميع اليهود في فلسطين بكل الوسائل، فإن الحاخام ميمل المدعو إسحاق ريليف<sup>(3)</sup>، وهو من أبرز مؤسسي الحركة الصهيونية، ألف في مطلع عام 1883م كتاب "لثم جراح شعبي" يقول فيه: "من الواضح أن إنكلترا للإنكليز، ومصر للمصريين ويهودا لليهود. فهناك متسع في بلادنا. وسوف نقول للعرب: ارحلوا. أما إذا رفضوا واعترضوا بقوة فسوف نستخدم القوة لترحيلهم. وسوف نضربهم على رؤوسهم ونجبرهم على الرحيل"<sup>(4)</sup>.

(1) \_ إبراهيم العابد، العنف والسلام - دراسة في الاستراتيجية الصهيونية-، د. ط، (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، 1967، ص31.

(2) \_ إبراهيم العابد، العنف والسلام، ص7.

(3) \_ لم أقف على ترجمته فيما بحثت.

(4) \_ توفيق المدني، القضية الفلسطينية امام خطر التصفية دراسة تاريخية سياسية، ط1، (دمشق: دار الفكر، 1429هـ-2008م)، ص79.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

ولم تقف هذه النزعة العنصرية عند التصريح برفض العربي، بل انعكست بجلاء في الفتوى التي تعتبر امرا تشريعيا ملزما، حيث نجدتها تنصدر أقوال الخاخامات المعاصرين في التأكيد على وجوب تحرير الأرض التوراتية، وطرد غير اليهود.

نجد الخاخام "شلومو أفينر"<sup>(1)</sup> - وهو واحد من أعزر منظري غوش إيمونيم الذين تبنا أفكار الخاخام تسيقي يهوذا كوك، وأشدهم نفوذا-<sup>(2)</sup> قد ربط حق وجود اليهود فعليا في فلسطين بالعنف، وباستخدام السلاح بعيدا عن كل الأخلاق والقيم الإنسانية. فيقول "علينا أن نعيش في هذه الأرض بأي طريقة، حتى ولو استدعى ذلك الحرب والقتل"<sup>(3)</sup>. كما دعا أفينر إلى ضرورة التمسك بكل الأرض كحق ثابت بالنص، مصرحا بقوله: "إن ثمة خطرا توراتيا مطلقا لتحويل أية قطعة من أرضنا المقدسة إلى أي حكم أجنبي"، وأضاف قائلا: "علينا أن نستوطن في أرض إسرائيل كلها، ونبسط حكمنا عليها، قال (بن نحمان): "لا تتركوا الأرض لأية أمة أخرى"، فإذا تيسر ذلك بالسبل السلمية، كان به وإلا فنحن مأمورون بالحرب لتحقيق ذلك." <sup>(4)</sup>، كما طالب بزيادة التوسع الإقليمي بتعدي الحدود الحالية للأراضي المحتلة على حساب أصحاب الأرض، مؤكدا، "وحتى لو كان هناك سلام علينا أن نشعل حروب التحرير لغزو أجزاء أخرى من أرض إسرائيل"<sup>(5)</sup>.

وعن تبرير دعوته التحريضية من أجل التوسع واسترجاع باقي الأراضي التي ليست في يد اليهود، صرح أفينر أنها كانت بأمر إله إسرائيل من أجل تحرير الأرض المقدسة من الوجود الفلسطيني، فيقول: لقد أمرنا إله إسرائيل وخالق العالم بتملك (كامل) لهذه الأرض، في حدودها المقدسة، وللقيام بحروب دفاعية وحتى بحروب تحريرية<sup>(6)</sup>.

(1) \_ حاخام أسبق لمستوطنة بيت إيل في الضفة الغربية، وحاليا حاخام مستوطنة عطريت كوهانيم التابعة لجماعة متطرفة تدعو إلى بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى في الحرم الشريف. أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص 131.

(2) \_ إيان لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 86.

(3) \_ نهاد علي، الأصولية الدينية اليهودية وإسقاطها المحلية والإقليمية، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مجلة قضايا إسرائيلية، العدد 25، 2007 / 3 / 27، ص 14.

(4) \_ إيان لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 109.

(5) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص 131.

(6) \_ إيان لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 121.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولائها على العنف

كما تلقى فتوى إبعاد العرب عن الأرض، باستمرار تأييد معظم المرجعيات الدينية المدنية والعسكرية في إسرائيل، بل ظلت تطرح كمسلمة دينية واجبة التنفيذ، ويتمثل ذلك في الفتوى الصريحة والفضة للحاخام يسرائيل أريئيل، بتأكيده على الأمر بطرد الفلسطينيين عملا بالوصايا الدينية اليهودية لتحرير الأرض وفتحها، بقوله:

"من ناحية هناك وصية باستيطان أرض إسرائيل، محددة من قبل حكمانا المباركة ذكراهم، وكذلك وصية "الميراث والمواطنة" - وصية وردت مرارا في التوراة. وكل تلميذ شاب عليه أن يدرك أن "الإرث والتوطين" يعينان فتح الأرض واستيطانها. إن التوراة تكرر الوصية "عليكم أن تأخذوا أملاك كل المقيمين" عشرات المرات، ويشرح راشي<sup>(1)</sup> ذلك بقوله: "عليكم نزع أملاكهم - أي طردهم". إن التوراة نفسها تستخدم عبارة "الطرد" عددا من المرات مثل: "بما أنكم ستطردون سكان البلد بمساعدتي". وجوهر هذه الوصية هو طرد سكان الأرض مهما كانوا... وهذا هو رأي راشي في تحديد الوصية. ويفسر راشي أيضا من المقطع التلمودي نفسه الذي يذكر الوصية المتعلقة بالأرض: "بسبب وصية استيطان أرض إسرائيل، وذلك بطرد المفسدين، وتوطين شعب إسرائيل مكانهم". وهكذا طبقا لراشي تهدف وصية استيطان الأرض إلى طرد غير اليهود من أرض إسرائيل وتوطينها باليهود<sup>(2)</sup>.

لقد مثلت فتاوى ضرورة الفصل بين اليهود والعرب للحاخام مردخاي الياهو، جانبا من الامتثال للشريع اليهودي، وطرد جميع غير اليهود من مدينة القدس وباقي المدن الفلسطينية، تحقيقا لوجود الأكثرية اليهودية، كما تضمنت أن يعامل الفلسطيني معاملة الغرباء، وتطبيق الهالاخا المتعلق بتحريم سكن غير اليهود في القدس، وكذا جواز الاستيلاء على منازل الفلسطينيين وطردهم منها قسرا، فضلا عن

(1) \_ هو الحاخام الاشكنازي شلومو يتسحاقي، عاش في الفترة الواقعة بين 1040 - 1105م بفرنسا من أشهر مفسري التوراة والتلمود البابلي، اعتمد في تفسيره على معان الكلمات وطبيعة القضايا المتداولة، وقد حاول خلق توازن بين التفسير الحرفي للنص والمواظ الخلاقية التقليدية للحاخامات، وهو ما ساهم في فهم التلمود، تعزى شعبيته إلى ووضوح فتاواه ودقتها، ما ساعد على نشر كتاباته، نظم الشعر وكتب الصلوات، . عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية، د. ط، (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 1975)، ص196.

(2) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص136 - 137 ونور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون سياسة التوسع (1967-2000)، ترجمة: خليل نصار، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2001)، ص165.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولائها على العنف

مباركتهم لفتاوى كثيرة أباحت للجيش الإسرائيلي إطلاق النار على التجمعات السكنية<sup>(1)</sup>.

كذلك تتجلى الدعوة إلى طرد الفلسطينيين في معظم ما نظرت له مرجعيات الإفتاء في العصر الحديث، أمثال، **الحاخام عوفاديا يوسف**<sup>(2)</sup>، عضو المجلس الحاخامي الأعلى الإسرائيلي في مقال تحت عنوان: "الأراضي التي تم تحريرها" في النشرة السنوية التي يصدرها المجلس حول القضايا الدينية عام 1968م، يقول فيه: "... لقد أعطت الشريعة حكماً واضحاً وكاملاً في هذا المقام بقولها "لا ترحمهم" كما أن معلمينا رحمهم الله أوضحوا "لا تعطيمهم الأمان في الأرض"، لا ترحمهم حتي في تلك الأوقات التي تكون فيها تحت رحمة سلطانهم... ، وفقاً لرأي المتواضع إن غضب وعدوانية جميع ملوك العرب وأتباعهم يشبه ما جاء في الكتاب المقدس"، تقبض أرواحهم فيموتون وإلى تراهم يعودون<sup>(3)</sup> (4).

فضلاً عن فتوى الطرد المباشر، وبدافع الحقد والعنصرية، يلجأ الحاخامات إلى إصدار فتاوى تتناقض حتى مع أحكام التوراة، خاصة إذا تعلق الأمر بخلق المسوغ الفقهي لإبعاد الفلسطيني عن أرضه والاستيلاء عليها، إيماناً منهم بأنهم يحملون رسالة دينية تمنحهم الحق في طرده.

أخذاً بمبدأ الأولويات في الشريعة اليهودية أصدر الحاخام **أبي جيسر** الأمر لشركات البناء بالعمل والبناء في المستوطنة، أيام السبت والأعياد من أجل تكريس حقائق على الأرض من استعادة الأراضي التي

(1) \_ صالح النعامي، على خطى سدوم، ص31، ونور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، ص166. ونور الدين مصالحة، أرض أكثر وعرب أقل، (سياسة الترتنسفير الإسرائيلية في التطبيق 1949-1996)، ط2، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2002م)، ص226.

(2) \_ ولد عام 1920 في بغداد، هاجر إلى فلسطين سنة 1924م، قاضي المحكمة الحاخامية (التوراتية) اليهودية في القاهرة بين 1947-1950م، وحاخاماً كبيراً عن السفارديين في إسرائيل بين 1973-1983م، مؤسس الحزب اليميني الديني شاس، كان له دور سياسي بارز في مجريات السياسة الإسرائيلية من خلال تأثيره المباشر على أعضاء الكنيست من حزب شاس في كيفية التصويت في كثير من القضايا السياسية والاقتصادية، أصدر فتوى دينية تحلل إرجاع الأراضي مقابل السلام قبيل توقيع اتفاقية السلام مع مصر، وعارض خطة الانسحاب الأحادي الجانب في العام 2005، عُرف بمواقفه المتشددة والعنصرية تجاه العرب عامة، والفلسطينيين خاصة. جوني منصور، معجم الإعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ط1، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار، 2009)، ص527.

(3) \_ (مز103/29) في طبعة جمعيات الكتاب المقدس المتحدة 1962م التي اعتمدها وردت في مز29/104 بالصيغة التالية "ترع أرواحها فتموت وإلى تراها تعود".

(4) \_ من الأرشيف الصهيوني، وثائق ونصوص جمعها إسرائيل شاحك، سلسلة كتب فلسطينية(66)د. ط، (بيروت: مركز الأبحاث. منظمة التحرير الفلسطينية، 1975)، ص87-88.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولائها على العنف

استولى عليها المستوطنون بالقوة من الفلسطينيين لإقامة حي سكني جديد، ورغم أن فتواه كانت مثار جدل إلا أنها طبقت فعلا، وما كان من الحاخام إلا التصريح بالمسوغات التي دفعته لإصدار تلك الفتوى، بأن "فريضة استيطان الأرض تسمح بتجاوز أي فريضة"، ضمنها فريضة عدم العمل في السبت، استنادا إلى فتوى بن ميمون التي تقول: "إن فريضة استيطان الأرض تعدل كل فرائض التوراة" (1).

كما اتخذت عملية اخلاء الأرض من أصحابها منحى جديدا، فبالرغم من تشدد المرجعيات الدينية في رفض استيراد لحوم الخنازير، فإن مجلس كبار حاخامات المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية أفتى للمستوطنين بجواز استخدام الخنازير في التنغيس على حياة المزارعين العرب، الذين يسكنون القرى التي أقيمت هذه المستوطنات على أراضيها، بهدف التضييق عليهم وإجبارهم على ترك الأرض والفرار منها... ، وعلى أثر ذلك تم نقل الخنازير وإنزالها في وسط حقول الفلسطينيين لتعيث فيها فسادا. وقد بررت "مريام فايس"-رئيسة مجلس مستوطنة قرنيه شمرون-(2) الواقعة وسط الضفة الغربية، استخدام الخنازير في التضييق على القرويين الفلسطينيين بالقول: إن مجرد أن يرى الفلسطيني الخنازير وهي تتحرك على أرضه، فإن هذا سيقطع من دافعيته لمواصلة فلاحه هذه الأرض، ويزيد من فرص رحيله عنها(3).

### 2- فتاوى القتل المستوحاة من التاريخ اليهودي:

عبر الحاخام شراجا دافني عن النزعة العنصرية الانتقامية، في النشرة الرسمية للحاخامية الإسرائيلية لجيش الدفاع الإسرائيلي عام 1969م، بقوله: "ستكون الشريعة التي تنطبق على العرب-العنصر الغريب على هذا البلد وعلى مصيره- هي الشريعة ذاتها التي انطبقت على العناصر العربية في الزمن القديم... ، ولا تشكل المقارنة بين الاستيطان في الحقبة التوراتية والاستيطان في يومنا هذا موضوعا للفضول الأكاديمي فقط، إذ ينبغي أن تشكل أعمال أجدادنا خطوطا مرشدة لنا كما يجب أن تلهم أعمالنا الحاضرة. الكتاب المقدس هو التعبير الحقيقي الفريد، والوحيد عن طبيعة هذا البلد وعن حاجاته ومهمته، ومن واجبنا أن نخطط وفقا لحرفية هذا الكتاب على اعتبار أننا جئنا إلى هنا لإتمام هذه المهمة. وكما أننا

(1) \_ صالح محمد النعامي، على خطى سدوم، ص34-35.

(2) \_ أقيمت في عام 1978 على أراضي القرى الفلسطينية: كفر لاقف، وحينصافوط ودير استيا في منطقة وادي قانا، بدأت كنواة استيطانية على نقطة عسكرية، استعملها الجيش الأردني في أراضي كفر لاقف، وسكنها بعض الجنود وعائلاتهم في البداية، وأخذت شكلها الاستيطاني المدني في عام 1980. مركز المعلومات الفلسطيني وafa، <http://info.wafa.ps>.

(3) \_ صالح محمد النعامي، في قبضة الحاخامات، ص262.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي) وولائها على العنف

أقمنا معادلة بين عرب اليوم، والسكان القدامى لأرض كنعان علينا بالطريقة ذاتها إقامة معادلة بين أعمالنا الحاضرة وأعمال أجدادنا" (1).

يتم التحريض على القمع والعنف بالاستناد إلى نصوص التناخ وخاصة سفر يشوع، سفر المذابح - كما ينعتة رجاء جارودي- لإعداد الجنود الإسرائيليين نفسياً، فأثناء الاجتياح الإسرائيلي الأخير للبنان أعلنت هيئة التبشير الدينية العسكرية (الحرب المقدسة)، وكان الموضوع الرئيسي الذي طرحه الحاخام العسكري برتبة نقيب ما يلي: "يجب أن لا ننسى الأصول التوراتية التي تبرر هذه الحرب ووجودنا هنا بسببها. إننا نؤدي ونحن هنا واجبنا الديني كيهود، إن الواجب الديني كما في تقاليدنا المقدسة، هو احتلال الأرض من العدو" (2).

لما كان الهدف من هذه الحروب هو تطهير الأرض المقدسة وحدودها من دنس الأغيار بما يمنح إسرائيل الفرصة للتخلص من الفلسطينيين، تطبيقاً لسياسة التوسع، فإن الفتاوى ستدور في فلك واحد تهدف إلى استئصال الوجود العربي، فقد اعتبر حاخامات "غوش إيمونيم" الغزو الإسرائيلي للبنان سنة 1982م، بمثابة مرحلة التحرير والخلاص من قبضة الشيطان بأي ثمن، فتبعاً للاعتقاد السائد لدى المتدينين اليهود بأن مساحات من لبنان هي أرض توراتية تعود للقبائل الإسرائيلية، اقترح الحاخام ديفيد بلايخ أن نصا توراتيا في نشيد الانشاد(4:8) يدعم الاستيلاء على الجنوب اللبناني كخطوة أخرى للخلاص النهائي<sup>(3)</sup>، كما حث الحاخامات العسكريون الجنود -تأثراً بأفكار كوك الأب- على إتباع خطى يشوع وإعادة احتلال فلسطين، الذي يتضمن في العادة اقتلاع السكان غير اليهود<sup>(4)</sup>.

ويلتزم اليهود المتدينين باستحضار الماضي في قراءتهم للحروب الإسرائيلية، وتسيطر النظرية العمالية على تفكيرهم، فالفلسطينيين من وجهة نظرهم هم عماليق وكنعانيو العصر، لذلك يفضل استعمال سياسة يشوع في تدميره للكنعانيين، وإخضاعهم لتحديد السياسة الإسرائيلية تجاه المشكلة العربية المعاصرة لإسرائيل الكبرى.

(1) \_ إسرائيل شاحك، من الأرشيف الصهيوني، ص 84-85.

(2) \_ روجيه جارودي، فلسطين أرض الرسالات، د. ط، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1991)، ص. 155.

(3) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص 122.

(4) \_ إسرائيل شاحك ونورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 128.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

حيث ينظر حاخامات غوش إيمونيم إلى العرب باعتبارهم كنعانيين أو بني إسماعيل، فالحاخام تسيقي يهوذا كوك يستشهد بما ذكره ابن ميمون بأن الكنعانيين خيروا بين ثلاثة: الفرار، أو القبول بالحكم اليهودي، أو القتال، لذلك فإن اختيارهم القتال ومقاومة الحكم اليهودي برر إبادتهم جميعا، وهو مصير من يحاول الوقوف في وجه السيادة اليهودية على الأرض كلها<sup>(1)</sup>.

الجدير بالملاحظة هنا أنه بالرغم من أن القصص التوراتية تبين بجلاء أن العماليق كأعداء للإسرائيليين قد أبيدوا نهائيا في حكم حزقيال، كما أشرنا إلى ذلك في حروب الانبياء، فإن الأدب الرباني لا يزال مصرا على بقاء هذا العداة وعلى دور العماليق في التنغيص على بني إسرائيل، ويصر الأصوليون على إحياء الوصايا التوراتية

إن تأصيل العنف في الفتوى اليهودية واضحا وجليا، فقد عبر الحاخام يسرائيل هس الحاخام السابق لحرم جامعة بار إيلان الإسرائيلية عن أفكاره التحريضية، حينما صرح أن الغاية من قيام الصهيونية إنما كانت من أجل أن يصبح اليهودي يهوديا خالصا بعد أن يذبح أعدائه، بقوله: "الآن سوف تأتي إسرائيل وتبيد كل مدتهم بما في ذلك تلك التي في الضفة الشرقية". وهو بذلك يستعيد قراءة نصوص التناخ التي تحدثت عن سياسة الإبادة التامة للمدن بمن فيها كما هو موضح في سفر العدد (ص33/52 و17/31)<sup>(2)</sup>، مؤكدا على وجوب إبادة الفلسطينيين بالاستناد إلى نصوص القتل التوراتية، بنشره مقالا في صحيفة طلاب الجامعة "بات كول - Bat Kol" الصادرة بتاريخ 26 فيفري 1980م، يحمل معاني الحض على العنف بذكره فريضة القتل في التوراة بعنوان: "وصية الإبادة الجماعية في التوراة"، شرح فيه لماذا تأمر التوراة اليهود بتنفيذ مذبحه ضد عمالقة العصر (الشعب العربي الفلسطيني)، ومما جاء فيها: "ليس بعيدا ذلك اليوم الذي سوف ندعى فيه إلى هذه الحرب المقدسة، لتنفيذ وصية إهلاك العمالقة"، مستشهدا في ذلك بتعاليم التوراة (1صمو3/15) ويضيف يسرائيل هس: "على خلفية هذه الحرب المقدسة، يعلن الله جهادا مضادا... وللتوكيد على أن هذه هي الخلفية لإهلاكنا للعماليق، وأن الحرب تكون من أجلها، وأنها ليست نزاعا بين شعبين... إن الله غير راض على إهلاكنا للعماليق وحسب، بل

(1) - إيان لوستيك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص91-92، ونور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، ص167.

(2) - سلوى ناظم وآخرون الآخر في الفكر اليهودي "الآخر من المنظور الديني والفلسفي"، د. ط، (القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 1426هـ-2006م)، ص71.

## الفصل الأول: ..... صاوير الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

إنه يصير بشكل شخصي على هذه الحرب، لأنه له اهتمام شخصي بهذه القضية، وهذا هو الهدف الجوهرى<sup>(1)</sup>.

لقد تجاوزت الفتاوى اليهودية حدود المعقول وأخذت منحى أشد تطرفا، يقضي بقتل الفلسطيني البرئ بتهمة مستقبلية لم يرتكبها بعد، بتجريمه قبل فعله الجريمة.

من أمثلة ذلك ما نشرته صحيفه معاريف يوم 2004/12/7م فتوى المحام شلومو أفنير بما تعلق بمحادثة مقتل أحد النشطاء الفلسطينيين المصايين على أيدي الجيش الإسرائيلي-الوحدة البحرية-بقوله: إن جنود الوحدة كان يجب عليهم قتل هذا الناشط حتى بعد أن تم القبض عليه، وقد طبق أفنير في فتواه (حكم الجائر) الذي يهدر دمه، مبررا ذلك بأن هذا الناشط لا تزال لديه رغبة في قتل اليهود، ومن المحتمل أن يواصل اعتدائه ذلك بعد شفائه وخروجه من السجن<sup>(2)</sup>.

هذه التدابير الاحترازية تطبق ووفقا لما تملبه سياسة الأيديولوجية الصهيونية، وهو ما صرح به المحام مردخاي إياهو بشكل أكثر تفصيلا بقوله: "إن القتل هو القتل، إنه لا ينبغي التعامل بالأخلاق المسيحية وفقا للقاعدة "أدر له خدك الأيسر"...، فنحن نقول: "إذا جاء ليقتلك فأسبغه واقتله"، وإذا كان الطفل المسكين ذو العينين الزرقاوين الذي يرقد ضاحكا في مهده سوف يكبر ليصبح هتلر، فالشريعة اليهودية تأمر بقتله، حيث ورد فيها: "وحطم رأس أكثر الأفاعي صلاحا. وكذلك إذا كان من الواضح لك أن الطفل الذي يأكل ويشرب، سوف يكبر ليصير لصا ينهب الناس، ويقتل منهم العشرات أو المئات، أو إنسانا واحدا فاقض عليه الآن"<sup>(3)</sup>.

إن هذه التزعة العدوانية تذكرنا بأحداث الحروب القديمة التي ركزت على قتل الذكور باسم الرب كجانب احترازي لما سيحدث في المستقبل، فكان قتلهم إفناء للعرق من جهة، وغلقا مسبقا لباب الاعتداء على اليهودي من جهة أخرى.

(1) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص139. ونور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، ص168.

(2) \_ يوسف عيدين، لعتون. معاريب، 7-12-2004، نقلا عن سلوى ناظم وآخرون، الآخر في الفكر اليهودي، ص73.

(3) \_ منصور عبد الوهاب، فتاوى المحامات، ص113.



### 3- فتاوى الإعتداء على المدنيين من النساء والأطفال.

في هذا الصنف تجد نظرية العماليق التي توشحت بها معظم التصريحات المتطرفة - وهو ما لا يمكن عرضه كاملا- أصداء لها في فتوى الحاخامات سواء المدنيين منهم أم من ينتمون للقيادة المركزية للجيش الإسرائيلي.

يؤكد إسرائيل شاحاك أن الأحكام والتشريعات الدينية اليهودية المتعلقة بمعاملة الأغيار، لها صلة وثيقة بما يحدث في إسرائيل، وأن هذا التمييز يقيمه الحاخامات الأرثوذكس بتوجيه أتباعهم للالتزام بالهالاخا في سياق النصائح المقدمة للجنود المتدينين خاصة، وبمقتضاه يتم استخلاص جواز قتل جميع غير اليهود المنتمين إلى شعب واحد، أو حتى ضرورة قتلهم، ويجري الترويج لهذه الأفكار العنصرية منذ سنة 1972م لتوجيه الجنود المتدينين، حيث جاء في الكراسة التي نشرتها قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي على لسان الحاخام العقيد أ. أفيدان زيميل، الذي أعطى التبرير الهالاخي لقتل العرب بمن فيهم الأطفال والنساء<sup>(1)</sup>.

وتضمنت الفتوى ما يأتي: " في حالة احتكاك قواتنا بمدنيين خلال الحرب، أو خلال مطاردة حامية، أو غارة، إذا لم يتوفر دليل بعدم إلحاقهم الأذى بقواتنا، هناك إمكانية لقتلهم. أو حتى ضرورة للقيام بذلك حسب الهالاخاه... ، بل تأمر الهالاخا بقتل حتى المدنيين الطيبين؛ أي الذين يتظاهرون بذلك"<sup>(2)</sup>.

والتزاما بالنص الديني فإن العقيدة القتالية تفرض على اليهود إبادة الآخر، إذ الحرب عندهم ليست لها قوانين تحكمها، بل هي تطبيق لما تنص عليه التوراة على غرار: "التمح ذكر العماليق من تحت السماء"<sup>(3)</sup>.

وحول هذا الموضوع يسوق إسرائيل شاحاك إجابة الحاخام شمعون وايزر- بالاستناد إلى ما ورد في التلمود من أحكام قتل غير اليهودي- على رسالة بعث بها أحد الجنود يستفسر فيها عن حكم قتل المدنيين، وجاء في رده:

(1) \_ نور الدين مصالحة، أرض أكثر وعرب أقل، ص231.

(2) \_ إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ص134-135.

(3) \_ تنبية 19/25.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

"الحرب لدى غير اليهود ذات قوانين خاصة مثل قوانين اللعب، كرة القدم، أو السلة، لكن الحرب كما يقول حكماؤنا طيب الله ذكراهم، لا تعني بالنسبة لنا لعبة بل ضرورة حيوية، واستنادا إلى هذه المقاييس فقط ينبغي التفكير بالقيام بها (... )، ويبدو أن نتعلم أن اليهودي الذي يقتل غير اليهودي يعتبر قاتلا. وباستثناء حقيقة عدم وجود محكمة تملك حق عقابه، فإن وطأة الفعل تقع على كاهله مثل أي جريمة قتل أخرى. لكننا نجد في نفس المراجع في مكان آخر (... ) أن الحاخام شمعون تعود القول: "أفضل غير اليهودي-أقتلوه-، أفضل الأفاعي هشموا رأسه". وقد يقال أن التعبير "أقتلوا" في قول الحاخام شمعون مجازي فقط لا يؤخذ بحرفيته، لكن المعنى يؤكد نفسه... ، وقد يحاج البعض أن هذا القول مع أخذه بحرفيته، يعبر فقط عن الرأي الشخصي للحاخام شمعون... ، لكننا نعثر على التفسير الحقيقي في توسافوت.... في "توسافوت" ما يلي: "إذا كان ثمة شك (لأنه) قيل في موضع آخر أفضل اليهود -أقتلوه-، عندئذ فالإجابة أن هذا القول يعني زمن الحرب". وكما ذكر معلقو توسافوت يجب التمييز بين زمن الحرب والسلم، لذا إذا كان من غير الجائز قتل غير اليهود في زمن السلم، فإن قتلهم في زمن الحرب يعتبر ميتسيفا "الواجب الديني"، وهذا هو الفرق بين اليهودي وغير اليهودي: رغم أن القاعدة العامة" من يأتي لقتلك اقتله أولا" تنطبق على اليهودي أيضا في السنهدين (في التلمود)، فإنها تنطبق عليه فقط إذا كان هناك مبرر فعلي للخوف بأنه جاء لقتلك، ولكن ينبغي الافتراض، عادة، أن غير اليهودي يأتي لقتلك في زمن الحرب، مالم يتضح بأنه لا يبطن نوايا شريرة، هذه قاعدة طهارة السلاح"<sup>(1)</sup>. واستنتج الجندي من رد الحاخام: "أنه في أثناء الحرب مسموح لي، بل ملزم علي، أن أقتل كل ذكر وأنتى من العرب صودف وجودهما في طريقي... ، يجب أن أقتلها حتى لو اقتضى ذلك تعقيدات مع القانون"<sup>(2)</sup>.

نلاحظ باستمرار استلهاام الفتاوى من النصوص الدينية وشروحها، ما يعطيني انطبعا كافيا عن مصدر الممارسات الصهيونية

بالنسبة للمتشددين اليهود، إن الواجب المقدس يلغي التمييز بين من يقعون تحت يد الجلاذ اليهودي، فلا اعتبار في هذه الحال لوجود المدنيين، إذ إن الضرورة تستدعي ذلك تحت طائل الحرب

(1) \_ إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ص 137-138.

(2) \_ نور الدين مصالحة، أرض أكثر وعرب أقل، ص 231.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولادتها على العنف

ومكافحة الإرهاب، ولا حاجة لأن يكونوا دقيقين خلال العمليات الحربية، بحيث لا يلحق الأذى الأبرياء الذين يشتركون في الحرب فقط؛ لأنه من طبيعة الحرب أن يقتل فيها الأشرار والطيون دون تمييز؛ بل سيكون المجال مفتوحا لأعمال الاقتصاص والانتقام من أعداء إسرائيل. فهذه الأعمال تشكل جزءا من واجب الحرب" (1).

فيرى الحاخام إسرائيل أريئيل باستناده إلى أقوال بن ميمون، بوجوب قتل العرب تطبيقا للشريعة اليهودية، بل ويؤكد على عدم تجريم من يقوم بذلك، بقوله: "إن كل من يبحث في شيفرة الميمونيين وهي عمود الهلاخا في العالم اليهودي، ويبحث عن مفهوم "لا يحق لك أن تقتل" أو عن مفهوم "الدم المقدس" فيما يتعلق بقتل غير اليهود، سوف يبحث دون جدوى، لأنه لن يجد ذلك... ، ويتبع ذلك بكلمات بن ميمون، بأن اليهودي الذي يقتل من هو غير يهودي فهو محرر من الحرمان الذي يقول "لا يحق لك أن تقتل"، وهكذا يكتب ابن ميمون في هالاخا القتل: أن الإسرائيلي الذي يقتل مواطنا غريبا لا يحكم عليه بالموت في محكمة القانون" (2). إذ لا مانع في هذه الحال وللمبرر ذاته من توسع دائرة الفكر الإبادي الناطق بلغة النص الديني، أين يفسر تحقيق السلام باتباع ما جاء في الكتاب العبري عن وجوب قتل الآخر.

كما تلقى فتاوى الحاخام مانيس فريدمان رئيس معهد "بيت حنا" للدراسات اليهودية في ولاية مينسوتا الأمريكية في بروكلين، صدى واسعا في إسرائيل، حيث صرح بعدم الاكتفاء بقتل الأطفال والنساء فحسب، بل بوجوب قتل الانعام أيضا، داعيا الى التنصل من كل القيم الأخلاقية، ففي إجابته عن سؤال قد كتب في إحدى المجلات اليهودية ضمن عنوان "اسأل الحاخام" الموجه لعدد من الحاخامين من مختلف الاتجاهات الدينية: "كيف يجب أن يعامل اليهود جيرانهم العرب؟"، قال فريدمان صراحة: إنني لا أومن بالأخلاقيات الغربية، بمعنى أن عليك أن لا تقتل المدنيين أو الأطفال، وألا تدمر الأماكن المقدسة... ، لأن كل ذلك عمل غير أخلاقي. إن الطريقة الوحيدة لخوض حرب أخلاقية هي الطريقة اليهودية: دمر أماكنهم المقدسة، واقتل رجالهم ونساءهم وأطفالهم ومواشيهم. إن رئيس الحكومة الإسرائيلية الأول الذي يعلن أنه سوف يتبع العهد القديم (الكتاب العبراني) هو من سيأتي بالسلام إلى الشرق الأوسط. فالعرب

(1) \_ إسرائيل شاحك، من الأرشيف الصهيوني، ص 91.

(2) \_ أسعد غاتم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص 141

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

بذلك سوف يتوقفون، أولاً؛ عن استخدام الأطفال دروعاً (بشرية)، وهم، ثانياً؛ يتوقفون عن احتجاز رهائن عندما يعرفون أنهم بذلك لن يرهبونا، وهم ثالثاً؛ عندما تدمر أماكنهم المقدسة سوف يتوقفون عن الاعتقاد أن الله يقف إلى جانبهم... ، فالحياة بموجب قيم التوراة سوف تجعلنا النور الذي يشع على الأمم التي تعاني الهزيمة بسبب هذه الخلاقيات المدمرة التي اخترعها الإنسان<sup>(1)</sup>.

كذلك دعا الحاخام يتسحاق شابيراً إلى استخدام العنف أجل تطهير الأرض من العرب، في رسالة بعث بها إلى مؤتمر الشباب اليهودي في بروكلين بالولايات المتحدة الأميركية كتب فيها: "نريد شباباً يهودياً قوياً وشديداً، نريد شباباً يهودياً يدرك أن رسالته الوحيدة هي تطهير الأرض من المسلمين الذين يريدون منازعتنا في أرض الميعاد، يجب أن تثبتوا لهم أنكم قادرون على اجتثاثهم من الأرض، يجب أن نتخلص منهم كما يتم التخلص من الميكروبات والجراثيم"<sup>(2)</sup>.

كما تضمنت فتاواه الحديثة ضرورة الحفاظ على حياة اليهودي، وبالاستناد إلى أقوال الراي شلومو بن يتسحاق فإنه: (عندما نكون أمام أحد خيارين إما حياة الجارتوشاف أو حياة اليهودي، فإن إجازة قتل الجارتوشاف للحفاظ على حياة اليهودي هي أمر مفروغ... ) — ويفسر شابيراً ذلك بالحببة التي يكنها الله لليهودي دون غيره، مستشهداً بمقولة الحاخام شاول يسرايلي: "ها هو الراي شلومو بن يتسحاق يؤكد على أن الحديث يتعلق بنفس اليهودي وحب الرب له، لكن فيما يخص الشخص الأجنبي فلم نجد تلك المحبة، وعلى هذا فإنها "لا تقتل" كسائر الوصايا التي يبطل مفعولها في حال وجود خطر على حياة اليهودي"<sup>(3)</sup>.

وفقاً لهذه المفاهيم العنصرية يعتبر انقاذ حياة اليهودي أمراً ضرورياً حتى لو كان على حساب حياة إنسان آخر (غير يهودي)، ومن هنا يستند الفكر الحاخامي إلى الشريعة اليهودية، كما يعمل على إحياء الفتاوى القديمة التي تقضي بأولوية الحفاظ على حياة اليهودي بأي ثمن.

(1)-Manis Friedmen,"How Should Jews Treat Their Arab Neighbors? Moment (May-June 2009) ص 64-65

(2) \_ غازي حسين، العنصرية والابادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية-دراسة-، د. ط، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2002)، ص 30-31.

(3) \_ يتسحاق شابيراً ويوسيف اليتسور، شريعة الملك (شريعة قتل الأغيار)، ترجمة واعداد: خالد سعيد ومحمود مندور، ط1، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1432هـ-2011م)، ص 216.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

في أواسط الثمانينات لم يتورع الحاخام شابيرا من إصدار فتوى أن التجنيد في الوحدات المقاتلة قريبة للرب، وأن الخدمة العسكرية مهمة جماعية يفرضها الرب بهدف قيادة المشروع الصهيوني<sup>(1)</sup>، كما أفتى بعدها بسنوات بشكل صريح بجواز قتل المدنيين وفقا لما تنص عليه الشريعة اليهودية في حالة الحرب، مؤكداً أن ما هو مباح للإسرائيلي محظور على غير اليهودي، ولذلك يباح لليهودي قتل غيره، وقد نبه شابيرا إلى أن جواز قتل الأغيار يفرضه عدة احتمالات منها: الأول كونه مطارداً، حيث توجب الشريعة انقاذ المطارّد بقتل المطارّد، ويسري حكم المطارّد على الاحتمال الثاني، وهو مساعدة الجيش، فكل من يساعد جيش العدو يعد مطارداً ويجب قتله، والثالث في حالة تقديم الدعم، ويوضح شابيرا رأيه من خلال شرح الحاخام شاؤول يسرائيلي: "كما بلغ إلى علمنا، أن سكان القرى الحدودية من العرب يمنحون حماية للعصابات المقاتلة حتى يتمكنوا من القيام بمهامهم دون الخوف من تلقي عقاب، لأنه من الواضح أن أفراد هذه العصابات، بسبب أفعالهم، ليسوا قتلة فحسب، وإنما يعدون كذلك مطاردين بسبب أهدافهم المستقبلية، فالسكان الذين يساعدونهم ويدعمونهم بكافة الأشكال يعدون بمثابة من ساعد المطارّد لارتكاب جرائم القتل...، ومن الواضح أن منح مثل هذه المساعدات يشكل بنية تحتية لأفعالهم المستقبلي، بحيث تزداد عدد عملياتهم بفضل هذا التأييد الممنوح من قبل السكان لأنه وفقاً للتقدير الشائع، يقوم السكان بدعم جميع أنواع عمليات هذه العصابات، وهذا بالتأكيد يساعد على زيادة وتوسيع عملياتهم في المستقبل، وسنجد أن جميع السكان هم بمثابة مطاردين... " (2).

كما يضيف شابيرا مسوغاً آخر لقتل الأغيار وهي تهمة سرقة واحتلال الأرض فيقول: هاهم الأغيار المشاركون في حرب ضدنا، يستحقون القتل؛ لأنهم سافكوا دماء. حتى هؤلاء الذين لا يقتلون بأنفسهم يستحقون القتل، أي أن الأغيار يستحقون القتل حتى عن القتل غير المباشر، ولذلك فهم يحاكمون أيضاً بعد الحرب عندما يكونون قد توقفوا عن المطاردة...، وهناك سبب إضافي لضرورة قتل الأغيار الذين يحاربوننا، هو أنهم تعدوا على وصية السرقة "فهم في الحرب يحتلون الأرض، ويحصلون على غنائم من العدو، ويلحقون به الأذى، ويتسببون له في خسائر مادية، في حالة الحرب على أرض إسرائيل هذا السبب يكون أكثر وجاهة، فالأغيار الذين يرغبون في أرض إسرائيل لأنفسهم، يسرقون منا الأرض،

(1) \_ صالح محمد النعماني، في قبضة الحاخامات، مرجع سابق ص 281

(2) \_ يتسحاق شابيرا ويوسيف اليتسور، مصدر سابق، ص 245-247.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي) وولائها على العنف

التي ورثناها عن آباءنا" (1).

أما الحاخام عوفاديا يوسف، فقد عبر عن عنصريته وكراهيته للعرب، في أحد دروسه سنة 2001م، فدعا إلى إبادة جميعاً التزاماً بالهلاخا<sup>(2)</sup>، ومن وجهة نظره التلمودية، يعد قتل غير اليهود أمراً مشروعاً، وليس ذلك بالدعوة الجديدة للفكر الديني والسياسي الذي ينطلق منه الحاخام (عوفاديا)، فقد صرح عن ذلك عشية عيد الفصح اليهودي عندما تحدث في خطبته التقليدية عن العرب الذين يناصبون العداء لإسرائيل منذ مائة عام ويحاولون تدميرها، وأرشد اليهود أن أكثرنا من ذكر هذه الآية في التوراة بقوله: "صب غضبك على الأغيار"، ودعا الله أن ينتقم من العرب، ويبيد ذريتهم، ويسحقهم، ويخضعهم، ويمحوهم عن وجه البسيطة، وأوصى اليهود بالشدّة معهم". وأضاف ممنوع الإشفاق عليهم، يجب قصفهم بالصواريخ بكثافة وإبادةهم، إنهم لشريرون"، وهو بتلك التعبيرات يقترب بشكل مباشر من روايات الثأر والانتقام والاعتداء والقتل التي تغطي على كل ما يرد في النصوص التوراتية والتلمودية المتداولة حالياً<sup>(3)</sup>.

ويمكننا القول أن الفتاوى التحريضية اكتسبت قوتها من خلال الفتوى الجماعية الصادرة بتاريخ 2004/6/15 تحت عنوان "حياتنا أولى"، حيث قدّم مجموعة من الحاخامات عريضة لفتوى جماعية تضمنت لزوم اتباع نهج الآباء والقادة القدماء في كيفية التعامل مع الفلسطينيين، دونما اعتبار للمدنيين والأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، وجاء فيها: "نحن -الموقعين أدناه-<sup>(4)</sup> ندعو الحكومة الإسرائيلية وجيشها العمل وفقاً لمبدأ "القادم لقتلك أسبق بقتله"، لقد تعلمنا نحن والعالم أجمع من الاستقامة والعدل اللذان يكتنفان التقاليد اليهودية على مر الأجيال، هذا المبدأ المهم والضروري لبقاء البشرية، وهو سلوك

(1) \_ يتسحاق شايبيرا ويوسيف اليتسور، مصدر سابق، ص254.

(2) \_ عباس إسماعيل، عنصرية إسرائيل، سلسلة أولست إنسان(1)، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 1429هـ-2008م)، ص29.

(3) \_ جهاد المحيسن، جدلية الديني والسياسي في إسرائيل. عوفاديا يوسف نموذجاً، 3 سبتمبر 2010، ص2 موقع نت:

بتاريخ <http://www.alegt.com/2010/9.3.article12019/8/29>

(4) \_ كان من بين الموقعين على الفتوى، الحاخام دوف ليثور رئيس لجنة رجال الدين في الضفة الغربية وقطاع غزة وحاخام كريات أربع، والحاخام إلياكيم لفانون حاخام مستعمرة إيلون موريه، والحاخام اليعيزر ميلاميد حاخام مستعمرة هاربراخان، والحاخام أمنون شوجرمان رئيس الدراسة الدينية في جسيبن بالجلولان، والحاخام دافيد دودكوفيتش حاخام مستعمرة يتسهان وأخرون. سلوى ناظم وآخرون، الأخر في الفكر اليهودي، ص85.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني اليهودي وولادتها على العنف

شعب إسرائيل منذ عهد سيدنا موسى الذي حارب المدنيين " ضايقوا المدنيين واضربوهم لأنهم ضايقوكم" العدد 16/25-17، وهو سلوك يفتاح الجلعادي وشاؤول وداود وكل قادة وجيوش بني إسرائيل على مر الأجيال، وهو أيضا سلوك دولة إسرائيل في حرب 1967م، ..... فلا حاجة ولا معنى للانتظار حتى يبدأ المعتدي عدوانه... ، والسؤال المطروح أماننا هو: هل نحارب العدو بحيث يسقط مدنيون من صفوفه يوجد بينهم مقاتلون؟ أو الامتناع عن الهجوم من أجل المدنيين ومعرضين حياة مواطنينا للخطر؟ للحاخام عقيبا إجابة بسيطة عن هذا السؤال وهي أن حياتنا أولى، وهو الحاخام الذي قال: إن مبدأ "أحب لأخيك ما تحب لنفسك" يعد مبدأ عظيما في التوراة، علمنا أيضا أن هناك أولويات، حتى بين صديقين فما بالناس بمن جاء ليقتلنا" (1).

كما تعد فتاوى الحاخام **دوف لئيور** الحاخام الأكبر في مستوطنة كريات أربع، ذات تأثير بارز على القادة العسكريين والسياسيين على حد سواء، والتي تتضمن وجوب التعامل مع المدنيين بذات الأسلوب الذي تم تطبيقه على المسلحين.

فتطبيقا للقاعدة "من جاء لقتلك فبادر بقتله"، أرسل لئيور بتاريخ 2004/9/7 إلى وزير الدفاع **شاؤول موفاز** ورئيس الأركان **موشيه يعالون**، ورئيس الوزراء **شارون** بفتواه التي جاء فيها: "ليس هناك حرب في العالم، يمكن التمييز فيها تماما بين المدنيين والجيش في الحروب العالمية أو في حرب الولايات المتحدة الأمريكية، وفي حرب روسيا في الشيشان، أو في حرب إسرائيل ضد أعدائها أيضا، فعندما تتقاتل جماعتان قوميتان، لا بد أن تنتصر إحداهما" (2).

وبعد تصريحه "بجواز اطلاق النار على الأبرياء بتاريخ 2005/10/23م، وبأنه لا مجال للشعور بالذنب كما يفعل الأجانب وبمعنى آخر كما نقل عنه: على هؤلاء الطبيعيين أن يتوقفوا عن إرباك تفكيرنا، فإذا أطلقوا قذيفة دبابة أو دفعة طلقات من مروحية على جمع من المدنيين الأبرياء فلا بأس مادام أنهم عرب" (3)، فإنه عقب الجدل الذي كان بين المؤسسات العسكرية والسياسية حول كيفية الرد على قذائف صواريخ المقاومة الفلسطينية كانت الفتوى الصادرة بتاريخ 6 مارس 2008م والتي صادق عليها كبار

(1) \_ منصور عبد الوهاب، فتاوى الحاخامات، 170-171.

(2) \_ المرجع نفسه، ص 181.

(3) \_ المرجع نفسه، ص 121.



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي) وولائها على العنف

حاحامات "رابطة حاحامات أرض إسرائيل" برئاسة الحاحام **دوف ليئور** وبمشاركة كل من الحاحامين **يعقوب يوسف** **نجل عوفاديا يوسف**، والاحام الأكبر لمدينة **حيفا جداليا اكسلرود**، من أخطر الفتاوى التي أجازت للجيش الإسرائيلي استهداف التجمعات السكنية في حالة كانت منطلقا لهجمات على تجمعات مدنية يهودية- وهو ما استحسنته الحكومة الإسرائيلية، في الحرب على غزة وقصفها دونما سابق إنذار للسكان، ومما تضمنته الفتوى: إن الشريعة اليهودية تبيح قصف التجمعات السكانية المدنية الفلسطينية، وتجزير التوراة اطلاق قذائف على مصدر النيران حتى لو كان يتواجد فيه سكان مدنيون، كما شددت على أنه في حالة حرص الفلسطينيين على حياتهم فعليهم منع مطلقي النار من القيام بذلك<sup>(1)</sup>.

كانت مثل هذه الأفكار التحريضية، التي لا تخفي نواياها الحقيقية إزاء الفلسطينيين، محل نقد في الأوساط الدينية المعتدلة.

فقد استنكر أعضاء حزب "ميماد" الديني مثل هذه الفتاوى، مما حمل زعيم الحزب **ميكائيل ملكيور** على التصريح والتعقيب على التطرف الحاحامي في صحيفة معاريف بتاريخ 2004/9/7، بقوله: إننا نشعر بالأسف الشديد لمحاولة تجنيد التوراة واستغلالها بصورة رخيصة: ومخالفة للحقيقة لاحتياجات سياسية لأقلية متطرفة. إن التوراة والأخلاق اليهودية كانا يعارضان دائما وبشدة المساس بالأبرياء. كما أن الصراع لا يبرر العقاب الجماعي<sup>(2)</sup>. كذلك عقببت حركة السلام اليسارية على ذات الفتوى، وأصدرت بيانا تجرم فيه الحاحامات، جاء فيه: إن هؤلاء الحاحامات يريدون أن تصبح الدولة كلها سدوم وعمورة باعتقادهم أن مفهوم طهارة السلاح عفا عليه الزمن، وأن المساس بالأبرياء أمر مشروع ومبرر<sup>(3)</sup>.

كما اعتبرت **شولاميت آلوني**<sup>(4)</sup>، أن الحاحامات تعمدوا التفاف النصوص الأكثر دموية والمحرضة

(1) \_ صالح محمد النعامي، على خطى سدوم، ص29.

(2) \_ **ענתון מעריב** 2004/9/7 نقلا عن: سلوى ناظم، الآخر في الفكر اليهودي، ص75.

(3) \_ المرجع نفسه، ص75.

(4) \_ ولدت في تل أبيب 1929م حقوقية وسياسية، وعضو في الكنيست الإسرائيلي، اشتهرت خلال عملها البرلماني في طرح قضايا حقوق المواطن، واعتراضها المتواصل دون انقطاع على كل أشكال الضغط الديني، لها مواقف ثابتة من القضية الفلسطينية، وأولها دعوتها المستمرة إلى ضرورة الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، نادت بحل القضية الفلسطينية وإقامة دولة للفلسطيني، من مؤلفاتها "المواطن ودولته"، و"حقوق الطفل في إسرائيل"، و"نساء كالآدميات". (حوي منصور، معجم الاعلام والمصطلحات الصهيونية والسياسية، ص55).



## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

على العنف والقتل في إصدار فتاواهم، فهم يلتقطون فقط النصوص الدينية المتبورة<sup>(1)</sup>، متجاهلين في ذلك الجانب الإنساني الذي تحظى به نصوص أخرى بتحريمها القتل (تك6/9).

كذلك ساهم أورئيل طال Uriel Tal أستاذ الدراسات الكتابية بجامعة تل أبيب في فضح مفاهيم الإبادة التي تبشر بها التزعة المسيحانية المتطرفة والمرعبة - كما يصفها-، وخلص في بحثه إلى أن مثل هذه الأفكار تشبه إلى حد واضح الأفكار النازية التي سادت ألمانيا<sup>(2)</sup>.

وما يمكن قوله: إن خطورة الإيمان بقديسية النصوص الدينية التي اعتبرت صيغ الإبادة عملاً مقدساً ومشروعاً يكمن في كونها سنداً ومرجعية أيديولوجية للفتاوى الحاخامية التي باتت تحكم حياة اليهود، وتحدد طبيعة علاقتهم بالآخر، وتعاملهم معهم، وتنسجم تماماً مع الممارسات والسياسات التي تنتهجها الحركة الصهيونية الدينية.

رغم تلك الانتقادات إلا أنا لم تكن لم تكن لتشتي الحاخامات عن إصدار الفتاوى بشكل مستمر، بل أصبحت بشكل متزايد قريبة من مراكز التفكير السياسي الإسرائيلي بالتركيز على وجوب تطبيق قوانين التوراة بشأن من ينظر إليهم كمقيمين غرباء، بهدف القضاء على الوجود الفلسطيني (المسيحيين والمسلمين) في الأرض.

إذ لا غرابة أن نجد معظم مرتكبي الأعمال الإجرامية في حق الفلسطينيين كانوا ينتمون إلى التيارات الدينية المتطرفة، وجميعهم كان تحت تأثير الأفكار والمعتقدات الدينية اليهودية التي تؤمن بأفضلية

<sup>(1)</sup> \_ علقت آلوني على مثل هذه الفتاوى الدموية باسم الدين في مقال تم نشره في صحيفة الأرض، ص4 بقولها: يبدو أن التعسف جعل رجال الدين حاخامات المدارس الدينية ذات الصبغة العسكرية يتجاوزون حدود العقل. فجيوش الاحتلال والجشع واستعراض القوة، والسهولة، التي يمكن بها طرد الفلسطينيين من أرضهم وتحويل مدغم على سجون. وردم آبارهم وإغلاق كهوف الدعاة في جبل الخليل، بما يعني في الواقع تدمير أساس وجودهم، كل ذلك زاد من العجرفة والتكبر، إلى أن أسفر عن صدور رأي -هو بمثابة فتوى شرعية- يسمح أثناء أي عملية انتقامية ضد الفلسطينيين بقتل النساء والأطفال وكبار السن والمواطنين العاديين، رغم أنهم آدميون خلقوا على صورة الرب، ولهم الحق في الحياة طبقاً لأي قانون". "שולמית אלוני، לעיתון הארץ، 4، (نقلاً عن: سلوى ناظم وآخرون، الآخر في الفكر اليهودي، ص73-74.)

<sup>(2)</sup> \_ صرح طال بذلك في محاضرة له في مارس 1984، مبيناً أن هذه الأفكار المروجة لكيفية التعامل مع الفلسطينيين، تحدد ثلاث مراحل: الأولى، إخضاع الفلسطينيين في القدس والضفة الغربية لأحكام الشريعة اليهودية، فيعاملون كمقيمين أجنب، والثانية: دفعهم نحو الترحيل أي الطرد، والثالثة، تنفيذ أمر الإبادة كما أشار إليه الحاخام هس"وصية الإبادة الجماعية في التوراة"، وبكلمات أخرى، استئصال العرب والفلسطينيين. أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص140.

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

اليهودي وبحقه في الأرض، وأن الوجود الفلسطيني زائد عن الحاجة، لذا لم ينظر هؤلاء إلى أعمال العنف تلك على أنها جرائم. وفضلا عن ذلك فقد تعودت النخبة الإسرائيلية والسياسية والثقافية على المذابح وتعامل معها بجيادية وبدقة تامة<sup>(1)</sup>، وهي تترنح بين الشجب والتحقيق لكن تنتهي في آخر المطاف بالإفراج عنهم<sup>(2)</sup> والتعاطف معهم والعتو عنهم كسجناء<sup>(3)</sup>، أو تغريمهم بمبلغ يثير السخرية<sup>(4)</sup>.

فدولة الكيان الصهيوني مسؤولة بشكل مباشر عن فتاوى القتل التي يصدرها الحاخامات، فجميعهم يلقون التأييد من الحكومة الإسرائيلية، كما تحظى مؤسستهم الدينية بالدعم السياسي والاقتصادي، وهم يتقاضون أعلى الرواتب كموظفين ساميين لدى الدولة، فقد امتدح رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو" الحاخام دوف ليتور، ووصفه بأنه: "الكتيبة التي تقود شعب إسرائيل"، ووافق على القاء كلمة في مؤتمر نظمه الحاخام إسحق جيزنبرغ<sup>(5)</sup>.

(1) \_ أحمد رفيق عوض، دعامة عرش الرب- عن الدين والسياسة في إسرائيل-، ط1، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2001)، ص208.

(2) \_ في مقال نشر بجريدة هآرتس بتاريخ 1 مارس 1983م يقتبس البروفيسور إمنون روبنشتاين من كتابه: "عودة الحلم الصهيوني" مقتطفات من أقوال مرشدين روحيين لغوش إيمونيم عن العرب، والإشارة إليهم على أنهم عمالقة، وبشكل نقدي يقول: "نحن نتعامل مع أيديولوجيا سياسة تدعو إلى العنف، ليس من الضرورة إظهار كيف أن هذه الأيديولوجيا يتم التعبير عنها في طريقة التعامل مع العرب، إن حاخامات غوش إيمونيم ما عدا القلة التي تتمتع بالشجاعة... يدعون علنا لقتل العرب، وأولئك الذين يقتلون المدنيين ويلقى عليهم القبض ويقدمون للقضاء يتم الإفراج عنهم من قبل قائد الأركان "رفائيل إيتان" الذي يؤمن باستخدام لغة العنف التي يفهمها العرب". أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص142.

(3) \_ في سنة 1984 تم اعتقال أعضاء الخلية السرية اليهودية بتهمة زرع المتفجرات في الضفة الغربية، والهجوم على الكلية الإسلامية في الخليل، إلا أن حصلوا على تعاطف الضباط والسجنائين، ومنع التلفزيون الإسرائيلي من نعتهم بالجرمين، كما أعطت الحكومة تعليمات بإطلاق لقب السجناء، علاوة على ذلك قدمت الأحزاب الدينية إقتراحا بمنحهم -كسجناء- العفو التام، وعلى أثر ذلك عبر كبير الحاخامات شلومو غورين عن تعاطفه معهم، كما دافع عنهم عضو الكنيست يوفال نتمان، وزير حكومة شارون، الذي كان مدعما لعمليات الترحيل القسري للعرب، كأنه يدافع عن نفسه. أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص155-156.

(4) \_ فقد حكم على قاتل الطفل أبو شوشة من مخيم الدهمشية بدفع أقل من دولار، بينما لم يقدم قاتلوا الثلاثة عشر فلسطيني عام 2000م للمحكمة أصلا، علاوة على ذلك صرح القاضي اليهودي ريتشارد غولد ستون قاضي لجنة التحقيق الدولية في جرائم غزة بتاريخ 2009/11/15، إن التهرب من العقاب سبب لعدم الاستقرار في المنطقة، وهو ما دفع رئيس إسرائيل شمعون بيريز بالمطالبة بمحاكمته على هذه التهمة. أحمد رفيق عوض، دعامة عرش الرب، ص208، وانظر مثلا محاكمة منفي مجزرة دير ياسين ومجزرة صبرا وشاتيلا في فصل الممارسات مطلب المجازر الصهيونية.

(5) \_ صالح محمد النعامي، الحاخامات و"فقه التوحش" المسكوت عنه، موقع الباحث صالح النعامي، 2016/1/2، <http://naamy.net/view>

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

إن طبع نصوص العهد القديم بطابع العنصرية الموجه ضد غير اليهود، بصرف النظر عن تاريخية الأحداث، وتميزها وفقا لسياقاتها بصيغة العداء والعنف في صورته الكثيرة بين القتل الجماعي والطرده والإفناء- دون تمييز بين المذنب والبريء- والذي ينمحي أمام هيبة الإله العالمي الرحيم المتسامح في سياقات نصوص أخرى من العهد القديم، يسقط قدسيتها وينفي اعتبارها من الوحي، لتعارضها مع النظم الأخلاقي للوحي.

أظهرت لنا سياقات نصوص الكتاب المقدس والتلمود السابقة الطبيعة العدوانية المتميزة بالهجومية، الأمر الذي أضفى عليها الطابع العسكري، ومنطق القوة لدى بني "إسرائيل"، ذلك أنها نصوص تنضح بالتحريض على العدوان، والعنف، وتشجع الاحتلال، كما تبيح -بقوة- اغتصاب أرض الغير، والاستيلاء عليها دون وجه حق، كما أبدت سياقات تلك النصوص أن بني "إسرائيل" كانوا باستمرار معتدين على غيرهم، بقتلهم الشعوب التي تقف حائلا دون تحقيق أطماعهم السياسية العدوانية، وبوصاية من الرب الذي ميزهم وعهد إليهم بامتلاك الأرض.

لقد ظلت ثقافة العنف المتوارث بأشكاله ميزة متجذرة في النفسية اليهودية، فشرية يهوه في القديم، كانت تأمر بتنظيف الأرض من سكانها، وقد بقيت تفعل في نفوس الصهاينة اليوم ما كانت تفعله خلال القرن العاشر قبل الميلاد، كما لم تبد لنا التفاسير ولا الأدبيات اليهودية رغبة في قبول الآخر أو التعايش معه.

دعت النصوص الدينية السابقة بوضوح تام إلى تكريس العنف وتشريع ممارسته، إذ لم تكن مضامينها بحاجة إلى تأويل، فهي واضحة وجلية، ولم تكن الغاية من تلك النصوص مجرد التذكير بالأحداث التاريخية فحسب، بل كانت لها دلالة عسكرية لليهود، تهدف في جوهرها إلى إعادة صياغة الثقافة العدوانية وتشكيلها، وتكوين أساس عناصر العقيدة الصهيونية، حيث سيكون فيه التعامل الصهيوني مع الشعب الفلسطيني نابعا من مسلمة أن استخدام القوة ونقض حقوق العرب جزءا من الإيمان إلى اعتبار عدم قتله جريمة.

بينت تصريحات الحاخامات أنهم انطلقوا في فتاويهم التحريضية من منطلق الاعتقاد بإلهية النص وقدسية، وبأنه ملزم، وهو ما يبررون به عنصريتهم وعنفيهم، أضف إليه ما كان لفتاواهم من تأثير واضح وشديد في توجيه السياسة الإسرائيلية التي يغذونها من جهة، ويجعلونها طريقة حياتهم من جهة أخرى،

## الفصل الأول: ..... مصاور الفكر الديني (اليهودي وولائها على العنف

وهكذا باتت فتاواهم وتصريحاتهم نموذجاً يسترشد به في السياسة الإسرائيلية.

لقد الفتاوى السابقة بوضوح لا يعتره شك أن السلطة الدينية اليهودية بتوجهاتها تقود روح الكراهية والتعصب وتعلن-من خلال تلك الفتاوى- شن الحرب المقدسة ضد العرب، كما أن التسوية الحاخامي للعنف لم يعد اجتهاداً فردياً بعد أن تمت المصادقة على طلب الحريدية يجعل الهلأخا قانوناً ملزماً للدولة حالياً، بما يجعل الحاخامات مصدراً للقرار ومشرفين على مؤسسات الدولة بشكل رسمي، فلا سلطة بعد سلطتهم.

إن التصريحات الحاخامية، والتي كانت مادتها من دون شك مستوحاة من لغة النصوص الدينية، تدور مضامينها في فلك واحد هو العنف الموجه نحو الشعب والممتلكات، واجتثاث الشعب الفلسطيني - بتركيزها على الطرد أو القتل- والسيطرة على الأرض وحرمانه من أبسط حقوقه. وهو ما يفسر تقاطعها حول فكرة رفض الوجود العربي، وضرورة تطهير الأرض المقدسة منه، في مقابل ذلك يعد الإيمان بتغلب العنصر اليهودي ضرورة حتمية، حيث يتم التركيز في كل مرة على أن يواجه الفلسطينيون ذات المصير الذي لقيه الكنعانيون بعدهم أعداء لليهود، وهو ما يبرر لهم ممارسة العنف تحقيقاً للمد والتوسع في كل الأحوال.

ولنا أن نتساءل هل سيكون اقتفاء أثر أنبياء الكتاب المقدس ونصوص التلمود مصدراً لتشكيل بنية الفكر الصهيوني الحديث، وتربية المجتمع الإسرائيلي على العنف، وتبرير ممارسته؟ وهل سيكون ذلك معياراً أخلاقياً يتبع ويُمدد بعيداً عن أي وازع ديني سليم؟

جامعة الأمير  
الإسلامية  
العلوم  
الفصل الثاني:  
توظيف الصهيونية للدين والتاريخ  
في تبرير الاحتلال

### تمهيد

أدى ظهور الصهيونية بوصفها حركة سياسية في وسط علماني إلى رفضها في الوسط الديني اليهودي، لما فيها من مخالفة لأسباب استعجال قدوم المسيا الذي سيجمع شتات اليهود في أرض الميعاد، دفعا للاصطدام مع المتدينين، وأقلمة لمساعدتها مع الدين اليهودي، عملت على إيجاد قراءة جديدة لظهورها في الوسط العلماني، فاستخدمت المقولات الدينية (مقولة الشعب المختار، وأرض الميعاد) لكسب تعاطف المتدينين، ما كان عاملا فاعلا في إنجاح مشاريعها.

فضلا عن ذلك رأت الصهيونية أن خصوصية الحالة اليهودية وأوضاعهم في العالم ستساعد على تنفيذ سياستها، فقامت بخلق مقولة العدا للسامية، وربطها بحالة المنفى عن أرض الإباء والأجداد التي ظلوا يتوقون إلى العودة إليها، وبذلك تمكنت من إيجاد مبررات خاصة بين يهود العالم لإنجاح مشروعها الاستعماري، وهو ما سنحاول بيانه في مباحث هذا الفصل.

المبحث الأول: توظيف فكرة الشعب المختار في تبرير الاحتلال:

المطلب الأول: مفهوم الاختيار الإلهي في الفكر اليهودي:

أولاً: الاختيار في العهد القديم:

يشرح القاموس الموسوعي للعهد القديم الكلمة ويرجع مصدرها في التقليد اليهودي إلى الجذر الثلاثي "بهار"، בהר. بمعنى الاختيار والانتخاب، وهو لا يرد إلا مرة واحدة في سفر التكوين، وهناك يصف عمل الإنسان: تك2/6، في حين يرد استعمالها في باقي الأسفار بشكل كثير في سياقات مختلفة تتضمن اختيار الله لشعوب ولأفراد<sup>(1)</sup>.

يمثل الاختيار وفقاً للرؤية اليهودية عقيدة جوهرية، وتعريفها خاصاً بالشعب اليهودي الذي اختاره الله لتكون له منزلة خاصة بين الأمم<sup>(2)</sup>، وهو اختيار يترتب عليه كذلك الإيمان بالوجود القبلي للشعب<sup>(3)</sup>، ذلك لأن حقيقة الاختيار الإلهي جزء لا يتجزأ عن تاريخ إسرائيل منذ الآباء فصاعداً، وقد ارتبطت فكرة الاختيار، بالعهد<sup>(4)</sup> (المبرم بين الإله والآباء، بدءاً من إبراهيم بأن يصطفيه على العالمين، وأن يورثه ونسله أرض كنعان، بشكل متجدد عبر التاريخ، وهذا العهد يعد بمثابة المبادرة الإلهية التي تكفل حماية الشعب اليهودي بشكل مستمر، مما يجعله شعباً للإله، وقد تجلت عملية الاختيار في المشاركة الدائمة لله في توجيه قدر الشعب اليهودي في إطار العناية الإلهية<sup>(5)</sup>، وبموجب هذا العهد تثبت قداسته،

<sup>(1)</sup> \_ ويليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم، ج7، ص216.

<sup>(2)</sup> \_ Geoffrey Wigoder (Sous la direction) Dictionnaire encyclopédique du Judaïsme (Paris, les éditions du cerf 1993), p875

<sup>(3)</sup> \_ J. bonsirvon, s. J, Le Judaïsme palestinien au temps de Jésus-christ, sa theologie, la theologie dogmatique (Paris 1934), p75

<sup>(4)</sup> \_ العهد: ترجمة للكلمة العبرية: برית "ברית"، وتعني الميثاق، وهناك ثلاث محاولات أساسيات لشرح الكلمة بالإشارة للأكادية. الأولى، تتعلق بברית للاسم بيريتو biritu، بمعنى الرباط والثانية، استعملت في نصوص مملكة ماري إلى الكادية حرف الجر "بين" birit، والثالثة، يرى فيها E. Kutch تأثر الجذر بالفعل برا בהר وإرتباطه بالفعل الأكدي بارو בהר، ويرى أنه إمتد في الاستعمال العبري. بمعنى "اختار لمهمة ما"، كما هو مستعمل في صموئيل الأول 8/17، لكن يبقى مصدر الاشتقاق مثار جدل بين علماء اللغة، وهو ما يبين مدى علاقة الاشتقاقات بالتفسير اللاهوتي الذي اختص بمحاولة فهم العهد في الكتاب المقدس. ويليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم ج2، ص252

<sup>(5)</sup> \_ George Vajda, Introduction a la pensée juive du moyen age, (etude philosophique médiévale), 1947 Paris, librairie philosophique J. vrin, p115



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

كما يتحقق له الامتياز عن باقي الشعوب<sup>(1)</sup>. أما حدوث الاختيار زمانيا تبعا لما يعتقد اليهود، فيمكن تقسيمه إلى مرحلتين:

تتمثل الأولى في توثيق الرب عهده مع إبراهيم عليه السلام ونسله<sup>(2)</sup>، حيث يبدو الاختيار رسما تخطيطيا للأمة اليهودية، يعده بكثرة نسله وأن يجعل منه أمة عظيمة، تك 19/18، من جانبه يتقيد إبراهيم بحفظ العهد بإنجاز الختان كعلامة للعهد، وكذا امعانا في الإخلاص في الأوامر الإلهية، في الوقت ذاته يتم تقرير أبدية العهد.

وبالعهد مع إبراهيم أثبت يهوه وجود شعبه، مركزا في ذلك على العرق كظاهرة طبيعية وبشكل مؤكد، بل يصور التقليد اليهودي القديم - منه لأجل إبراهيم خلق الله العالم، كما تجلت رحمته في تسامحه مع البشرية، وحتى في إنزال المطر<sup>(3)</sup>، لتصل عملية الاختيار إلى ذروتها باختيار إسحاق على إسماعيل، ثم يعقوب على عيسو<sup>(4)</sup>.

أما الصيغة النهائية للعهد فقد اكتملت وتأكدت بشكل أكبر مع هذا الشعب، بعده شعبا مختارا من الكهنة في سيناء عبر الوسيط "موسى" زمن الخروج، يقول راوي **Rawly** "إن شعب الله كان مختارا بأبرام (Abram) وأنه تم اختياره واكتمل بتلقي الإعلان الإلهي (التوراة) بواسطة موسى، كشعب لله<sup>(5)</sup>، وبصفته وسيط العهد الذي قطعه الله مع شعبه - وهو أداة نقل بها شريعته إليه - يحمل موسى في التقوى، وفي الوعي اليهودي رتبة فريدة من نوعها، كما يتم تكريم الآباء كأول متلقين للوعود والعهد الإلهي، مثل القديسين الذين تحمي صلاتهم شعب إسرائيل<sup>(6)</sup>.

بالنسبة للنصوص الدينية التي يستمد منها اليهود سمة الاختيار كامتياز إلهي لهم كثيرة، نذكر منها:

(1) \_ p van Imshoot, Théologie de l'ancien testament (VI dexlée et C<sup>ie</sup> éditeurs copyright 1954),t1, p259-260

(2) \_ (وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهد أبديا"، تك 17، 7 وكذلك تك 19-18/17)

(3) \_J. bonsirvon, s. j, le judaisme palestinien au temps de Jésus-christ, p76.

(4) \_ وليم أي. فانجيميرين، المصدر السابق، ج7، ص216.

(5) \_ Edmond. J, Théologie de l'ancien testament (édité en Suisse delachaux et Niest S. A. 1955). p167.

(6) \_J. bonsirvon. s. j, le judaisme palestinien au temps de Jésus-christ , p81.

1. " وأتخذكم لي شعبا وأكون لكم إلهًا" <sup>(1)</sup>.
2. " تكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي" <sup>(2)</sup>
3. "إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض." <sup>(3)</sup>.
4. " لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" <sup>(4)</sup>.
5. " فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين الشعوب، وتكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة" <sup>(5)</sup>.

#### 1- التفسير اليهودي للاختيار:

أ. اختيار مشروط بخدمة الرب:

يحمل التفسير اليهودي لما ورد في (تثنية 6/7 و 2/14) على معنى العلاقة الحميمة المطلقة، دون اعتبار لشرطية تحققه، وذكر شلومو زلمان أريئيل في تفسيره لمعنى "الشعب المقدس" أن يكون بنو إسرائيل "شعبا مختارا، وحبيب الرب" <sup>(6)</sup>.

قال الحاخام شلومو زلمان في تفسير الفقرة الواردة في خر 6/19: "أي كونوا لي مجموعة عزيزة ومحبوبة أكثر من بقية الشعوب، وكونوا "مملكة كهنة"، أي كونوا مملكة جميع أفرادها كهنة يخدمون الرب، فالكهنة هم معلمو الشعب وأنتم "بنو إسرائيل" تكونون معلمين لجميع الشعوب" <sup>(7)</sup>.

<sup>(1)</sup> \_ خر 7/6 كما ورد ذلك في لاو 12/26 و تثنية 2/14.

<sup>(2)</sup> \_ لاو 26/20 ويتكرر في لاو 32/22. 33

<sup>(3)</sup> \_ تثنية 6/7

<sup>(4)</sup> \_ تثنية 2/14

<sup>(5)</sup> \_ خر 5/19-6.

<sup>(6)</sup> \_ شلومو زلمان أريئيل، تورا وأنبياء وكتب وتفسير 1965، طبعة يدعوت احرونوت، مطبعة روبين، ص 295 و 309 شلومو زلمان أريئيل، تورا نبيאים وכתובים، מפורשים، מהדורת ידיעות אחרונות 1965، הוצאת רובין، עמ 295، 309.

<sup>(7)</sup> \_ "شلومو زلمان أريئيل، المصدر نفسه، ص 120.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

وفسر الحاخام نيسان جملة " كونوا لي مملكة كهنة". بمعناها الوظيفي المتمثل في تقرب الرب من العالم والعالم من الرب، لذلك يجب على كل يهودي أن يقوم بوظيفة الكاهن، ويرى نيسان في وضع مملكة كهنة وأمة مقدسة في نص الخروج 6/19 إشارة إلى أن نجاح اليهود في أن يكونوا رسلا إلى العالم الخارجي مرتبط بإخلاصهم بأحكام التوراة، فيقول: "يرتبط تأثيرنا على العالم الخارجي بشكل داخلي وعميق بإخلاصنا للتوراة والوصايا"<sup>(1)</sup>.

### ب. تميزهم بالتوراة:

يسعى الفكر اليهودي إلى الجمع بين مفهومين: أن الله أعطى التوراة لإسرائيل نعمة أي دون مبرر، فقط بسبب حبه له؛ إما كمكافأة بسبب استحقاقاته، أو كتكليف لم يرغب غيرهم في قبولها.

هذا التناقض جعل علماء اليهود يقدمون تفسيراً ( والأحرى تبريراً) للعلاقة بين الاختيار وبين محبة الإله، والمعنى الأول يقدمه الرب عقيبا، كدليل على المحبة الفائقة المخصصة لهم، والهبة التي صنعت إلى بني إسرائيل لأداة الخلق، شهادة الحب، الذي أعطاه الله ليعقوب، كما يقال: إن التوراة خلقت لأجل إسرائيل<sup>(2)</sup>، ثم يسهب الرب عقيبا في شرح أصل الاختيار بقوله: "إن الله أحب بني إسرائيل، لذلك منحهم كترا ثمينا هو قانون الشريعة، أكبر دليل على حبه، ليعلمهم بهذه القيمة... ، وهذه الفكرة مسبوقه بكونهم أبحاؤه، لأنه هو نفسه دعاهم بأبنائه فقال: أنتم أبناء الرب الأزلي"<sup>(3)</sup>، وكذلك بمنحهم التوراة التي تعتبر تجسيدا للإله، يحصل لهم الكمال الفكري والأخلاقي، ويتجلى ذلك في دورهم في خلاص العالم وتحقيق الخلود<sup>(4)</sup>، لذلك حينما يتم اختيار أحد المصلين لقراءة التوراة يجب عليه أن يحمده الإله ويشكره، لأنه اختار هذا الشعب دون الشعوب الأخرى، ولمنحه التوراة كعلامة على تميزه<sup>(5)</sup>.

<sup>(1)</sup> \_ هويدا عبد الحميد مصطفى، الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية في إسرائيل، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1431هـ-2010م، ص84

<sup>(2)</sup> \_ J. bonsirven, s. j, Le judaisme palestinien, p90.

<sup>(3)</sup> \_ Alfred. Lévy Grand rabbin de Lyon, les doctrine d'Israel, Lyon, imprimreie shneider frere, 1896, p29

<sup>(4)</sup> \_ Daniel, Blanc, de L'ombes(Tarn), Preparation Historique du Salut Au Sein du Peuple Juif, These publiquement Soulenue de la Faculté de Theologie Protestante de Montouban, Juillet 1856, (Toulouse, imprimerie de A. Chauvin 1856), p14-15.

<sup>(5)</sup> \_ عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، ط1 القاهرة، دار الشروق، 1999، ج5،

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

وأضاف الرب حنانيا بن عقشيا تفسيراً آخر مفاده أن اختيار بني إسرائيل وسموهم، كان بما فرض عليهم من الوصايا أكثر مما فرض على الأمم الأخرى، فبحسب الشريعة الشفوية: "إن الوصايا التي تلقاها موسى تعد وصايا خاصة بالبشرية جمعاء، في حين أن لليهود دون غيرهم من سائر الشعوب عدداً أكبر من الوصايا تتمحور حول ضرورة الإعلاء من شأن المحامات ورؤاهم للنص، كما أن هذه الوصايا تحض على ضرورة خضوع الفرد لسلطتهم، وتعمل على تكثيف إحساس المرء بيهوديته وتفردته وإنغلاقه على ذاته، فضلاً عن أنها تحول دون تفاعل اليهودي مع سائر البشر"<sup>(1)</sup>.

ت. اختيار عرقي مبني على مجانية المحبة.

يتأكد سبب اختيارهم بنوع من المحاباة والتحيز، دون وجود أي مبرر له في الوقت ذاته، فقط إنه معلل بمحبة الله له، وإثباتاً لوفائه في عهده مع الآباء، حيث يحمل التفسير اليهودي لما ورد في تثنية 6/7 و2/14 على معنى العلاقة الحميمية المطلقة، دون اعتبار لشرطية تحققه، يقول شلومو زمان أريئيل في تفسيره لمعنى "الشعب المقدس" أن يكون بنو إسرائيل "شعباً مختاراً، وحبیب الرب"<sup>(2)</sup>، ويلاحظ ضمن هذا المعنى أن سمة الاختيار تزداد عنصرية بأن يكون محور الاختيار هو العرق الإسرائيلي، كما تكون المحبة دليلاً على تفرد وأزلية الشعب اليهودي، فيقول الحاخام الفريد ليفي معقبا على شرح عقيبيا: "إن كوننا أبناء الله، فهذا يعني أن الله هو إله عناية وإله رحمة وإله محبة، والبشرية جميعاً تشكل عائلة واحدة، وهذا يعني إنه بإمكاننا أن نكون مشاركين له بنسبة معينة في صفاته، فنحن إذن خالدون...، وفي مفهوم هذا الخلود يقول ليفي: هو تمييز لنا، وهو ما أردنا بيانه من خلال الحقائق الثلاثة السابقة"<sup>(3)</sup>.

إن مسألة احتكار ألوهية يهوه، واعتبار بني إسرائيل شعب الله الخاص ومملكته من الكهنة، أهم ما ركزت عليها الأدبيات اليهودية، لذلك لاحظ للآخرين في ألوهيته، فهو لا يأمر اليهود بنشر دينهم بين الأمم، بل ويرفضهم (لاو 25/22) كما تنعدم ألوهيته مع غير اليهود. كما أن الرحمة الإلهية ستخص بني إسرائيل دون غيرهم من الشعوب، لأنهم أبناؤه وشعبه الخاص، بحسب الاعتقاد اليهودي،<sup>(4)</sup> بينما لن

(1) \_ لويس جيتيرغ، قصص اليهود، ترجمة: جمال الرفاعي، تقديم محمد خليفة حسن، ط1، (القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، 2002م)، ص15-16

(2) \_ شلومو زمان أريئيل، تورا وأنبياء وكتب وتفسير 1965 ص 295، 309.

(3) \_ Alfred Levy, les doctrines d'Israel -Sermons, Ibid, p30.

(4) \_ يحيى أبو صبيح الإلياسي، المكس في الكتاب المقدس، المانيا 2012، ص156، و

p van Imschoot, Théologie de l'ancien testament, t1, p246.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ينال الشعوب الأخرى إلا الانتقام والحساب"<sup>(1)</sup>، وهذه السمة الاحتكارية التي تحددت معالمها سابقا في موضوع العهد المبرم في سيناء، حينما دخل الإله يهوه -وفقا للتقليد اليهودي- في علاقة مع شعبه وخلق رابطة اتحاد، يصفها إدمون يعقوب، بأنها أشبه تماما بما كان شائعا في الشرق الأدنى القديم حوالي 2400 ق م، بالميثاق المبرم بين الآلهة والشعب في صيغة طقسية تتم بإرافة الدم كإشارة إلى الاتحاد بالإله في اختياره لشعبه<sup>(2)</sup>.

ثم تتطور العلاقة بين الإله والشعب في شكلها آخذة منحى عنصريا، حيث "تدخل في خصوصية شديدة تتبلور في صورة وعود متبادلة"<sup>(3)</sup>، لأن ما يحدد العلاقة بين الله وإسرائيل، يتم التعبير عنه في صيغتين مترابطتين تم العثور عليهما في الأسفار القانونية: "الرب إله إسرائيل"، و"إسرائيل، شعب الرب"<sup>(4)</sup>، ولأن الفكر اليهودي يميل إلى القول بفكرة الاختيار التبادلية، لذلك ينتقدها العلماء بشدة لما فيها من حلولية وتشويه للمفهوم التوراتي للاختيار، يقول الرب اليعازر بن عزريا في شرحه لما ورد في سفر التثنية 6/7: "إننا لا نعلم إذا بإمكاننا القول أن يهوه قد اختار إسرائيل لحيازته، أم أن إسرائيل هو من تختار الرب يهوه"<sup>(5)</sup>.

كما إن النص السابق (تث 6/7) يقدم الاختيار بوصفه مجانيا، مبررا بحب يهوه لشعبه بعيدا عن الحافز البشري، وذلك يعد بحسب الرؤية اليهودية سرا من أسرار يهوه نحو إسرائيل، فيدمج هذا الحب مع الإخلاص الذي تشهد به الكلمات الممنوحة للآباء، كما يؤكد على ديمومة وثبات الرابطة بين يهوه وشعب إسرائيل، وهذه الرابطة ستتجلى فاعليتها في أحداث التاريخ، بدءا من خروجهم من مصر لتستمر باستقرارهم في كنعان، حيث يصبح الاختيار أمرا وتقديرا إلهيا، بمعنى أنه يكون ملزما للإله وليس ملزما للشعب<sup>(6)</sup>، كما تغدو سمة الاختيار ثابتة ومستمرة لا تسقط عن الشعب، مهما كانت معاصيه، لأن حبه

(1) \_ اشعيا 21/61.

(2) \_ Edmond j, Théologie de l'ancien testament, p172- 175.

(3) \_ هويدا عبد الحميد مصطفى، الجماعات الدينية اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية في إسرائيل، ص38.

(4) \_ J. Bonsirvon. s. j, le judaïsme palestinien, p83.

(5) \_ J. Bonsirven, s. j, le judaïsme palestinien, p48-49.

(6) \_ وهذا بخلاف ما يقره الإسلام، أن أساس الاختيار أخلاقي، الآية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: 110

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

غلب على عدالته<sup>(1)</sup>.

ان صفة الاختيار على النحو الذي تم تحديده في النصوص ارتبطت بشروط تُحققها وتحفظ استمرارها على خلاف ما ركز عليه التفسير اليهودي الذي ركز على معنى الانحياز وتزكية اليهود دون غيرهم، بما يطرح التساؤل فيما إذا كانت تلك العلاقة تفرض على بني إسرائيل قبول كونهم شعبا مختارا بشكل ملموس من خلال الالتزام بالشروط الاخلاقية للاختيار؟

ث. اختيار أبدي:

إن المتبع لسياقات نصوص الاختيار في العهد القديم يجده يحتشد بشعارات تهدف بوضوح إلى ترسيخ فكرة الاختيار بجعله أبدياً: "و الآن قد ارتضيت بأن تبارك عبدك ليكون إلى الأبد أمامك لأنك أنت يا رب قد باركت وهو مبارك إلى الأبد"<sup>(2)</sup>.

فبمقتضى عهد الاختيار مع الآباء، يعتقد اليهود باستمرارية علاقتهم بالله، دون اعتبار لمبدأ الطاعة عندهم كشرط لنفاذ الاختيار، وهو ما يفسره اعتقادهم بالتدخل الإلهي في التاريخ اليهودي<sup>(3)</sup>، الذي أكسبه قداسة أيضاً، ليصبح هو نفسه - أي التاريخ - اختياراً إلهياً، لذلك يربط أنبياء العهد القديم تدخل يهوه في تاريخ الشعب المقدس بحركة الخروج من مصر - خاصة - كحادث نوعي، حيث جمع الإله يهوه بشعبه من خلال توثيق الرابطة بتجلي حقيقتها، وبهذا المعنى يأخذ العهد صيغة عقد التزام أحادي الجانب، يفرض على الإله حماية شعبه والتدخل في مسار تاريخهم، وفي الوقت ذاته تنشأ بموجبه علاقة الاصطفاء المعكوس، يكون الإله وفقها إلها للشعب مقابل أن يكون الشعب خاصاً بالإله<sup>(4)</sup>، بمعنى أن يفتخر اليهود كونهم مختاري الله، وأنهم بموجب اختيارهم أصبحوا مميزين ومتميزين عن سائر الشعوب،

<sup>(1)</sup> Robert. Martin la, permanence de, L'ancien Testament, recherche d'exégèse et de theologie philosophie, cahier de la revue, ed 1984, Genève, Lausanne, Neuchatel, p83-84.

<sup>(2)</sup> \_ أخبار الأول 27/17 ، كما وردت ذات الفكرة في أشعيا 7/44.

<sup>(3)</sup> \_ يؤمن السواد الأعظم من اليهود بقدسية التاريخ اليهودي الذي تسيره المشيئة الإلهية، فالجزء الأول منه متعلق بالتوراة، والثاني سجل ألفي سنة لحياة الشعب اليهودي، وهو يكون قصة حماسية ستظل خالدة في الفكر البشري، فالإله بحسب هذا الاعتقاد تدخل في إنشاء الأمة اليهودية منذ عهد إبراهيم، وحتى شتاتهم وعودتهم إلى أرض الميعاد، والتاريخ اليهودي بهذه الصفة يمثل خطة ربانية وضعت قبل بدء التاريخ نفسه، وهو في هذه الصورة يصبح تحقيقاً للزمن المسيحاني الذي يشكل نهاية التاريخ، بظهور المسيح الذي يجمع يهود الشتات في أرض الميعاد، بهدف تأسيس مملكتهم العالمية. جوزف هيرتس، تلمود اليهودية المعاصر، ص90.

<sup>(4)</sup> \_ Edmond Jacob theologie de l'ancien testament, p164.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

وهكذا يتم تكريس مبدأ الاستعلاء في نفس اليهودي.

ولا يتوقف تذكير الله للأنبياء باختياره لنسل إبراهيم، حيث تبدو العلاقة بين الله وبين اليهود كما لو أنها علاقة إنسانية، ومثاله: "وقل لهم: هكذا، قال: السيد الرب في يوم اخترت إسرائيل ورفعت يدي لنسل يعقوب، وعرفتهم نفسي في أرض مصر، ورفعت لهم يدي قائلاً أنا الرب إلهكم، في ذلك اليوم رفعت لهم يدي لأخرجهم من أرض مصر إلى الأرض التي تجسستها لهم..." (1).

إن مفهوم الاختيار في النصوص السابقة، هو مفهوم أريد من به اختصاص اليهود بالأفضلية، بما يحمل في ثناياه من التحيز والعنصرية للعرق، وليس بالمفهوم الديني الذي سعت النصوص إلى تحقيقه.

وما يلفت الانتباه أنه بينما تجمع النصوص السابقة بين قداسة الشعب، كصفة تميزه عن غيره، وبين كونه مختاراً، كمكافأة عن الالتزام بالوصايا، فإن القداسة في الوقت ذاته تصبح صفة متوارثة، مع تحقق الالتزام أو دونه، فيرى الرب مثير، أن بني إسرائيل يطلق عليهم دائماً أبناء الله، حتى لو كانوا يضايقونه، وحتى لو كانوا مدنسين ومتمردين (2)، ذلك لأن الاختيار هو تعبير عن الإرادة الإلهية، ولا يعتمد على خلاص الفرد أو علاقته مع الله، كما أن المختارين قد اختيروا من أجل غيرهم ليكونوا بركة لجميع قبائل الأرض، وليكونوا نورا للأمم (3).

بينما يقول ر. س. زينو: "إن اليهود أدركوا حقيقة التوحيد بعد المعاناة والنفي وتعلموا درسهم في الوقت المحدد على أنهم شعب الله المختار، لقد دخلوا معه في علاقة -تبادلية اجتماعية- تعاهدية ملزمة سارية المفعول إلى الابد، شبيهة بعهد الله مع الطبيعة، ولا مفر من هذا الولاء المطلوب ولا تأخير له، حتى الكفر لا يحل من هذا العهد" (4).

هذا الاتجاه الشاذ لمفهوم الاختيار جعل علماء اليهود يفسرون تركيز الانبياء على تدخل الاله في

(1) \_ حزقيال 5/20-6 يتكرر ذلك في ميخا 4/6.

(2) \_ J. bonsirvon. s. j, le judaïsme palestinien ,p85.

(3) \_ وليم أي. فانجيميرين، مصدر سابق، ج 7، ص 216.

(4) \_ ز. س. زينو، موسوعة الأديان الحية، أديان النبوات، الأديان السماوية، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط 1 القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010م، ج 1، ص 51.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

التاريخ، كتعبير عن مظهر عناية يهوه الأبوية بأبنائه المختارين رغم تمردهم عليه<sup>(1)</sup>. وبتقديمهم العهد الذي بينه وبينهم في صيغة زواج مبرم زمن الخروج، وكذا بتجليه لنيه وتقديسه إياهم، من خلال التزامه بتدخلاته اللامشروطة في تاريخهم الطويل، وهو التزام بعهد قديم كان كافيا ليجعل منهم شعب يهوه الخاص<sup>(2)</sup>، بل إن في نصوص المشنا يتم توصيف هذه الرابطة الأبوية بأنها تحاكي علاقة الرجل بزوجه العاهرة، على الرغم من فجورها وعهرها السافر، فإنه لا يمكنه -أي الرب- التخلي عنها لأنها أم أولاده<sup>(3)</sup>.

فإسرائيل بحسب الشرح المجازي لزينر كما أن زوجة الله المختارة -مجازا- فالزوجة لا يمكن أن تترمل، ولا يمكن أن تصبح مطلقة، وإنما يتم تقويمها وتصحيح مسارها لتعود الى حب الله<sup>(4)</sup>، وهكذا فاليهود بحسب هذا المعنى مهما انحرفوا ومهما كانوا على أقصى حد من الفساد هم مختاري الرب التوراتي المتعصب لهم والمتحيز لعرقهم.

يعتقد اليهود بأن الله حينما اختارهم حباهم بالنعم، وتراءى ذلك أثناء انخراطهم، إذ لم يتخلى عنهم بل تجلت حقيقة اختياره، ويقول يهودا هاليفي في "مشاركة الله الدائمة لشعبه في مسار تاريخه، بتوجيه قدره بطريقة خارقة، في الوقت الذي تخضع بقية الشعوب لقانون الطبيعة، بينما يسير الشعب المختار بعناية خاصة، وفائقة تظهر في الجزاء والعقاب، دون إنكار تقديم اليهود كمختارين للبشرية، لأن المسألة والإذلال كما يرى هاليفي من الشروط الدائمة لاختيار إسرائيل، كما الحال بالنسبة للمسيحية والإسلام ليكونوا مميزين عن البشر"<sup>(5)</sup>.

بناء على هذا المعنى أصبح الاعتقاد السائد لدى علماء اليهود، أن العهد المبرم مع إبراهيم، هو عهد أبدي غير قابل للنقض، وتحقيقا للالتزام به كان يهوه يعاقبهم في كل مرة بقدر معاصيهم<sup>(6)</sup>، ثم يتقبلهم ويتوب عليهم، لكن يبقى اختيارهم ثابتا ومستمر، وهو ما عبر عنه شختر بقوله: "عندما وجدت إسرائيل نفسها وجدت إلهها، وعندما أضاعت إسرائيل نفسها، أو عندما بدأت تعمل لمحو نفسها كان

(1) \_ورد ذلك في إشعيا 2/1، 7-1/5، وهوشع 16/2.

(2) \_ P van Imshoot, theologie de l'ancien testament, t1 p265.

(3) \_ عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص 273.

(4) \_ ر. س. زينر، موسوعة الأديان الحية، ج 1، ص 53.

(5) \_ Georges Vajda, Introduction a la pensée juive du moyen age, p115.

(6) -لاو 26.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

من المؤكد أنها سوف تنكر إلهها، إن اختيار إسرائيل وعهد الله مع إسرائيل لا يفنى وخلود إسرائيل كأمة"<sup>(1)</sup>.

ضمن هذا السياق، يؤكد علماء اليهود على أبدية الاختيار، لأنه: "كما أن التناخ يصف بني إسرائيل باختيار الله لهم بإعطائهم التوراة، فإنه أيضا يجب على بني إسرائيل أن يكونوا إلى الأبد "الشعب الذي اختار"، بإخلاصهم للأوامر الإلهية، رغم الإغراءات الكثيرة التي تمثلها الحضارات الإنسانية المحيطة، لكن اليهود مثل بقية البشر، ضعفاء فيقعون فريسة الإغراء، ويصف التناخ الأمر الذي تسبب دائما في عقابهم... ، لكن كون بنو إسرائيل بشر فإنهم يعصون الله مرة أخرى، وهذه فكرة رئيسية في التاريخ الديني اليهودي، ومع ذلك فإن تحقيق الغاية الإلهية لم يكن في محل شك أبدا، إن شعب إسرائيل لن يهلك. إنه سيعود إلى إيمانه الكامل بحسب اللاهوت اليهودي، وسيأتي بالنجاة إلى كل الأرض بقيادة كل واحد إلى الله في الخلاص النهائي في آخر الساعة، لكن إلى أن يأتي ذلك، فإن شعب إسرائيل سيظل شاهد الله، ويستمر في العذاب عندما يعصي"<sup>(2)</sup>.

### ج. اختيار متعلق بوراثة الأرض وطرد اصحابها:

وهنا نجد أن صفة الاختيار بمفهومها السابق ارتبطت بالاستيلاء على الأرض، وهو ما سترتب عنها سلوكيات أو ما يمكن اعتباره جزاء، مقابل حفظ الوصايا والأحكام، والوعد بكثرة نسله، ومباركته، ووعد به بأن يرث أرض فلسطين (تك19/18).<sup>(3)</sup>

ويكون ذلك بطرد الشعوب الأخرى، وامتلاك أرضهم: "يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوبًا أكبر وأعظم منكم. كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تحمكم"<sup>(4)</sup>.

ويفهم من ذلك أن الاختيار سيكون حتما محققا للاستعلاء والعدوان، بما يجعل الخطاب التوراتي - في سعيه إلى التمحوّر حول الذات اليهودية، وتضخيمه لفكرة "شعب الله المختار" و"الخصوصية

(1) - أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص378، وجوزف هرتس، تلمود اليهودية المعاصرة، ص152.

(2) - روبن فايرستن وآخرون، ذرية ابراهيم، ص77.

(3) - J. bonsirvon, s.j, le judaisme palestinien, p86.

(4) - الثنية 24-23/11 (وتتكرر الفكرة ذاتها في عدة مواضع، تث19-18/6، 16-12/7، 6/15، 15-14/11).

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

اليهودية" - يقوم بنفي الآخر واستبعاده تمامًا من الصورة، وهذا في حد ذاته يعد شكلا من أشكال التحيز" (1).

إنطلاقا من المعنى السابق، تقرر تحيز الإله التوراتي إلى شعبه بتثبيت أزلية العهد وأبديته بشكل انتقائي متناقض بين الشرطية والاطلاق وما فيه من وصف للشعب اليهودي بالخصوصية والقداسة، بما يحمل ذلك من عنصرية واستعلاء.

لذلك يحاول بعض علماء اليهود رفض المسحة العنصرية لتفسير الاختيار، ويعتبرون ذلك ناتجا عن قلة فهم حقيقة الاختيار، فيقدمون تبريرات كثيرة لاختيار إسرائيل، أهمها ما هو مبني على أساس عقدي، باعتبار أن اليهود كانوا يمثلون الأمة الوحيدة الموحدة لله آنذاك.

في هذا الصدد يقول الحاخام روبنسون: "تمثل دائما عبارات التناخ حول ماهية الله الحقيقة التاريخية للعالم القديم، حين كان بنو إسرائيل الشعب الوحيد الذي اعترف فيه بالتوحيد والوحدانية الإلهية<sup>(2)</sup>، ولربما يعتبر بنو إسرائيل الوحيدين الذي اعترفوا بالتوحيد الإلهي الحقيقي في كل الفترة التوراتية الممتدة أكثر من ألف سنة... ، فلا يوجد شعب آخر على الأرض قد توصل إلى حقيقة وحدانية الله، وظل مخلصا لتلك الحقيقة، ولهذا السبب وجه التناخ رسالته تقريبا لبني إسرائيل على الخصوص، لعدم وجود شعب آخر يستطيع فهمها، والاستجابة لها بشكل فاعل، وينظر إلى هذا أحيانا كأنه يعني الخصوصية، حيث ورد في التناخ أن الله قد عين بني إسرائيل كشعبه المميز... ، ولا يجب الاستغراب من هذا التوجه إذا أخذ تاريخ الفترة بعين الاعتبار وبسبب الإطار التاريخي، فإن الوثنية لا تعتبر بالضرورة قضية لغير بني إسرائيل، لكن نذر بنو إسرائيل أن لا يقعوا فريسة لإغرائها"<sup>(3)</sup>.

بناء على النص السابق، كان اختيارهم دينيا على أساس أنهم أول من عرف التوحيد والتزم بأحكام التوراة، لكن ما نلاحظه هنا، أن ربط الاختيار بالتوحيد كان بخلاف ما تنطوي عليه نصوص التوراة من ذكر صريح للفساد الديني والأخلاقي للشخصيات الدينية اليهودية، (نقصد بذلك الآباء الذين هم قلوبهم... النص)، كما تصرح في مواضع عدة بجنوح اليهود إلى الكفر والمعاصي وتمردهم على

(1) هويدا عبد الحميد مصطفى، الجماعات الدينية اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية في إسرائيل، ص 39-40.

(2) (خر 6/19 و 5 وخر 28/22-31 و 2/23 و لاو 12/22-17).

(3) - روبن فايرستن وآخرون، ذرية إبراهيم، ص 76.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الأنبياء، وهو ما يدل على تناقض التوراة ذاتها حول تركيزها على أبدية العهد، وتوعدهم بالإبادة والإفناء حال تركهم الشريعة<sup>(1)</sup>، ولعل سفر القضاة خير دليل على توصيف استمرارهم في ذلك<sup>(2)</sup>.

والجددير بالذكر بناء على النصوص السابقة عن اليهود لم يكونوا موحدين بالمفهوم الصحيح للوحدانية التي يحاول أحبارهم إضفاءها على تبريراتهم، بل كانت وحدانيتهم للإله "كخيار من بين الالهة"، فهو الإله الوحيد لشعبه الذي يسعى لإثبات ألوهيته من خلال تذكيرهم في كل مرة بوفائه لقسمه مع آبائهم وليس لها لجميع البشر، وأما ما يحاول اليهود إثباته حول نسبتهم للأنبياء إنما هو محض ادعاء يتنافى وواقعهم، ذلك لأن عملية الاختيار تقوم على أساس التزام التعاليم الإلهية؛ وبنو إسرائيل خرجوا من هذه الدائرة، بتحولهم إلى دائرة الغضب الإلهي ونصوص التوراة السابقة التي تحدثت عن لعنتهم وعن تقريرات الأنبياء لهم خير شاهد على ذلك.

وفي هذا السياق يؤكد إدمون يعقوب عدم استمرار صفة الاختيار بسبب جنوحهم إلى الوثنية حيث ضعفت عقيدتهم، خاصة بعد دخولهم كنعان وخضوعهم لحماية آلهة الخصب، رغم تذكير أنبياء القرن الثامن قبل الميلاد بأساسيات الدين وشروط العهد المبرم الذي أخذ عليهم، وهو ما ترتب عليه انتهاء فاعلية مصطلح العهد للتعريف بالشعب والديانة اليهودية، حيث أصبغت الديانة اليهودية بطابع عنصري، فكان يهوه إلها قوميا لإسرائيل، وكان إسرائيل شعبا ليهوه<sup>(3)</sup>.

إن هذا المفهوم الذي كان نتيجة للقراءة الاصطفائية للتوراة من قبل الصهاينة<sup>(4)</sup>، وهو مفهوم ضيق للاختيار يبطل دعوى كون اليهود حافظوا على عقيدة التوحيد، إذ لا يمكن التوفيق بين الوحدانية، وبين مقولة الشعب المختار ذات المنحى العنصري.

### ج. اختيار بالدور الرسال:

لما كانت مسألة التبرير بالتوحيد غير مؤسسة، عمد علماء اليهود إلى ربطها بالعهد المبرم مع الآباء،

(1) \_ ( انظر ما جاء في تثنية 23/4 و 27 )

(2) \_ (القضاة الاصحاح الثاني).

(3) \_ Idmond j, theologie de l'ancien testament, p174-175.

(4) \_ روجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة: قصي أناسي وميشيل واكيم، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1991، ص 159-160

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

يقولهم أن الجنوح إلى الوثنية، لا يتعارض مع الاختيار والقداسة، بل يجمعون على عدم تناقضهما مع معاصيهم ومرددهم لكونهم مختارين من أجل إتمام القصد الإلهي وهو تحقيق خلاص البشرية.

يرى الأحرار في تفسيرهم للتيه مثلا أنه لا يمكن تسمية التيه بالوعيد كما لا يمكن عده عقابا، بل إن تأخر بني إسرائيل في الدخول إلى الأرض، إنما كان بدافع توحيد صفوفهم، مما يمكنهم من تكوين أمة موحدة في الأرض المقدسة، بمعنى أن العقاب كان لازما رغم خصوصية الشعب، لكن في الوقت ذاته لم يكن بدافع الحرمان من الأرض الموعودة<sup>(1)</sup>، حيث ينظر إلى الشتات في حد ذاته تمييزا لليهود، وتمهيدا للخلاص اليهودي بظهور المسيح الذي سيجمعهم في الأرض المقدسة، يقول هرمان كوهين: "فيصبح المنفى عقوبة على الذنوب، وعلاقة من علاقات التمييز في الوقت ذاته، وحينما يحل اليوم الموعود سيأتي المسيح ويقود شعبه إلى الأرض المقدسة في آخر الأيام"<sup>(2)</sup>، أي أن التيه بهذا المفهوم لم يبلغ قداسة الشعب، وبالتالي لم يسقط حقهم في الأرض.

ثم انصبت محاولات علماء اليهود حول تبرير الاختيار بربطه بالدور الرسالي العالمي للشعب اليهودي أو ما يعبر عنه في الفكر الفلسفي اليهودي بـ "الرسالة الإلهية المقدسة"<sup>(3)</sup>، وهو تعبير منبثق من فكرة الشعب المقدس الذي اختاره الله باعتباره أمة إلهية، لها ما يميزها عن باقي الأمم، ومن هنا تم

(1) \_ الكاهن حسني واصف السامري، التيه الإسرائيلي في شبه جزيرة سيناء، ط1، القدس، دار نشر جامعة القدس، 2012م، ص181-182.

(2) \_ عبد الستار الراوي، الفكر الفلسفي اليهودي، ص18.

(3) \_ هي إحدى الادعاءات التي يلتقي حولها معظم فلاسفة ومفكري الصهيونية، بصرف النظر عن توجهاتهم الأيديولوجية أو الدينية، وتمثل في إدعائهم أن اليهود يملكون القدرة على النهوض بعبء الرسالة الحضارية المتمثلة في تمدين فلسطين، وقد صرح موسى هس بأن رسالة اليهود في فلسطين هي حماية نقط التقاطع والالتقاء بين القارات الثلاث، وهذه الفكرة تشترك تماما مع سياسة الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر في دعواه إلى فكرة الإعداء والتمدن، التي صاغها لكي تكون تبريرا ثقافيا للاحتلال واستغلال الشعوب وتدميرها، ولا يزال صداها في خطابات أذبال الفساد من ساسة أوروبا التي تمجد الاستعمار حديثا، ومن ذلك صرح الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي خلال حملته الانتخابية للرئاسيات، يوم 5/5/2007م بقوله: إن الوجود الفرنسي بمصر والجزائر والمغرب كان حلما حضاريا. ( أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص29، وعبد الستار الراوي، الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر، دراسة نقدية، بغداد، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، 1423هـ-2002م، ص21، وكميل ريسلير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر، أهدافها وحدودها 1830-1962، (سلسلة دراسات وكتابات ثقافية)29، ترجمة وتعليق: نذير طيار، ط1، الجزائر دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني، 1437هـ-2016م، ص14)

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

اختيارهم لحمل رسالة مجيدة إلى العالم أجمع<sup>(1)</sup>

وهو ما أشار اليه شلومو زلمان في تفسيره السابق لمعنى مملكة كهنة في خر(6/19) كأداة للتقويم والاصلاح بحكم أفضليتهم على البشرية، وقد تمثل ذلك في فكر اليهودية الاصلاحية خاصة، حيث يقول هرمان أدلر (1895): "لقد سار إسرائيل من أقصى العالم إلى أقصاه، حاملا شريعة الله بين ذراعيه، وقد نقشت كلماتها على صفحات قلبه، معلنا إيمانه بالكائن الأوحى الأسمى"<sup>(2)</sup>، ويتحدث سولومون شختر، عن العلاقة بين الاختيار ورسالة اليهود العالمية أرض الميعاد، يقول فيها: (لقد اصطفى الله تعالى شعب إسرائيل، وأبرم معه عهدا لا يمحي. فإسرائيل خالد باعتباره أمة، ولا مندوحة من عودته إلى فلسطين، حتى تعيش الأمة حياة مقدسة في الأرض المقدسة، حيث يتسع لها تحقيق أمانيتها، ورفع شأن الإنسانية، والسير بها في طريق الهدى، وإقامة مملكة الله على الأرض. تلك هي الأمثلة العليا والأفكار السامية التي نفذت من ثنايا الأدب اليهودي والمؤلفات اليهودية طوال مدة أربعة آلاف سنة)<sup>(3)</sup>.

إنه المنحى العنصري الذي يدين به اليهود اليوم، فأين الحياة المقدسة التي تعيشها اليوم إسرائيل وأبنائها في الأرض المقدسة، وأين إسرائيل من مملكة الرب على الأرض؟ وقد غدت مملكة للقتل والتقاتل.

من هنا رفضت اليهودية الاصلاحية الاختيار بمفهومه العنصري، ودعت الى اندماج اليهود في المجتمعات، ونادت بإلغاء سمات التمييز العرقي التي قد تفصلهم عن غيرهم مع إحتفاظهم بفكرة الاختيار الإلهي لليهود، وبأن الله خصهم بدور رسالي لذا حكم عليهم بالشتات من أجل تبليغ العالم<sup>(4)</sup>.

وقد نادى جايجر بحذف جميع الإشارات التي تشير إلى خصوصية الشعب اليهودي، من كل طقوس وأخلاق الدين، كما دعا إلى التخلي عن الفكرة الحلولية الخاصة بالشعب المختار، مع الاحتفاظ بفكرة الاختيار ذات الدلالة الأخلاقية العالمية، وضرورة الإيمان بالدور الرسالي للشعب اليهودي، وفي ذات

(1) \_ عبد الستار الراوي، الفكر الفلسفي اليهودي، ص20

(2) \_ جوزف هرتس، تلمود اليهودية المعاصرة، ص29-30

(3) \_ المصدر نفسه، ص 152

(4) \_ رقية علواني وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير منى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى، ط1، (دمشق، دار الفكر، 2008م)، ص54.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

السياق حاول الفكر الاصلاحى التأكيد على أن شتات اليهود لم يكن بهدف عزلهم عن المجتمعات، بقدر ما كان وسيلة لتقريبهم من البشر بهدف تحقيق رسالتهم بين البشر<sup>(1)</sup>.

نلاحظ أيضا أن الاختيار في بعض اتجاهات الفكر الدينى اليهودى المعاصر -رغم أنه يحمل معنى المغايرة- قد فسر بمعنى المسؤولية والاختصاص بالتوراة تحديداً، باعتبار اليهود حملة للأمر الإلهي، بما يجعلهم جديرين به دون غيرهم كما يترتب على ذلك حرمان غيرهم من تعلم التوراة.

فقد كتب الرب **حاييم حاربون haim harboun** على موقعه: "لفهم معنى اختيار إسرائيل، يجب علينا العودة إلى نص التوراة، لأن ترجمة مصطلح "ba'har" إلى مختار، هي ترجمة غير دقيقة تماماً في مصطلح "مختار"، بمعنى هناك نخبة جديرة باختيارها لصفاتها في الواقع، فإختيار الله يعني أن هذا الشعب لديه واجبات معينة، وواجباته لا يفرضها على الشعوب الأخرى، أما الفرق الوحيد بينه وبين الشعوب الأخرى فيمكن في تميز الشعب بوصايا التوراة "ميتزفيت" فهي خاصة باليهود فقط، ولا يجوز تعليمها لغير اليهود. وممارست الميتزفيت العيش وفقها تميز الشعب اليهودي كمستودع لتوراة الله، لذلك تم اختياره، لأنه قبل التوراة حينما رفضها الآخرون، وحقيقة العهد أعطته أسلوباً للحياة، ومهارات حياتية تميزه عن الأمم، فهو خادم التوراة التي هي الرسالة الإلهية"<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: مفهوم الاختيار في التلمود:

لم يختلف التلمود عن التوراة في استخدامه العبارات الدالة على قداسة واختيار الشعب اليهودي، كما حوت نصوصه مفاهيم تربط بين التفوق السلالي وحول كون اليهود يكوّنون شعباً بلا أرض، مما يخوّل لهم حق العودة إلى أرض الآباء والأجداد.

فقد عبر الحاخام **جوزيف جاكوبس** عن تفرد تاريخ الشعب اليهودي، وبأنه كان "دليلاً حياً على أثر العناية الإلهية في شؤون الدنيا، وأن شعب إسرائيل وحده، بين جميع الأمم، قد ساهم في كل الحركات الكبرى منذ أن أصبحت الإنسانية مدركة لمصيرها، فإن لم يكن المقصد الإلهي هو الذي وجه خطى بني إسرائيل في عملهم الطويل، فمن العبث أن نبحت عن المقصد الإلهي في حياة بني الإنسان"<sup>(3)</sup>.

(1) \_ عبد الوهاب محمد المسيري، من هو اليهودي، ط3، (القاهرة، دار الشروق، 2002م)، ص91.

(2) \_ <http://haim.harboun.free.fr/election.htm>

(3) \_ جوزف هرتس، تلمود اليهودية المعاصرة، ص3.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

انطلاقاً من هذا المفهوم لم يختلف التلمود عن التوراة في ترسيخه لفكرة الاختيار، فهو يحفل بالكثير من العبارات الدالة على مبدأ تميز الشعب اليهودي، ومدى سموه وقداسته، وبمفاهيم متعددة منها:

### 1. أزلية الشعب اليهودي:

يرى الأحرار أن الرابطة بين الله واليهود هي رابطة أبوية أزلية، "ما أحب بني إسرائيل الذين تلقبوا بأبناء الرب، وقد ظهر فضلهم لأنهم تلقبوا بأبناء الرب"<sup>(1)</sup>، وبهذه النسبة يرتقي الجنس اليهودي في التلمود إلى مصاف الإلهية، ذلك لأن "اليهودي جزء من الله، كما أن الإبن جزء من أبيه"<sup>(2)</sup>، كما إن كمال اليهود وسموهم على البشر، في كونهم من روح الله يقول الرب ميناخيم: "أيها اليهود إنكم من بني البشر، لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة"<sup>(3)</sup>.

ويذكر الراي عقيبا في المشنا وصايا الآباء 18/3 "بنو إسرائيل أحباء الله، لأنهم يدعون أبناءه، بل هناك برهان أعظم على هذا الحب وهو أن الله نفسه قد سماهم بهذا الاسم في قوله في التوراة: "أنتم أولاد للرب إلهكم"، مشيراً إلى ما ورد في سفر التثنية 1/14"<sup>(4)</sup>، لذلك منحهم التوراة "تجسيدا للاسم الإلهي" الكثر الثمين، يقول الراي عقيبا، كدليل على حبه، مما يدل على سمو العقيدة اليهودية، وأزلية الشعب اليهودي"<sup>(5)</sup>.

تبعاً لهذا الاعتقاد يذهب الأحرار إلى القول بأزلية الشعب اليهودي، وأن وجوده يسبق وجود التوراة التي حققت لهم الكمال الأخلاقي، يقول يهودا هاليفي: "لولا وجود اليهود، لما وجدت التوراة، ليست أسبقية شعب إسرائيل ناتجة من وجود موسى، بل أسبقية موسى هي الناتجة من وجود شعب إسرائيل، لقد أتجه الحب الإلهي نحو ذرية آباءنا العديدة، سبط يعقوب، أما موسى فلم يكن إلا الوسيلة التي اختارها عز وجل ليمنحنا بركته الإلهية، لذا لا ندعى شعب موسى بل شعب الله"<sup>(6)</sup>، وكان منشأ

(1)-Alfred Levy, les doctrines d'Israel, Ibid, p30

(2) \_ د. روهلنج، الكثر المرصود في قواعد التلمود، ص139.

(3) \_ المصدر نفسه، ص140.

(4) \_ حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، ص111.

(5) \_Alfred L'evy ;les doctrines d'Israel,Ibid, p29.

(6) \_ جوزف هرتس، تلمود اليهودية المعاصرة، ص75.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

هذه الأزلية العهد والحب الإلهيين للشعب اليهودي<sup>(1)</sup>.

### 2. قبول اليهود للتوراة دون غيرهم:

إن الروح اليهودية حريصة على عقيدة الاستحقاق، لذا يفضل باستمرار تفسير الاختيار كتميز وامتنياز لبني إسرائيل، فالله لم يجد أمة غيرهم "بإمكانها قبول التوراة"، يقول الرب سمعون بن يوحاي: وعلى هذا الأساس تتأكد فرادة اليهود بجوازهم التوراة يقول أ. كوهين: "لم يكن اختيار إسرائيل اعتباريا، وحتى لا توجد إمكانية لوصف الله بالمحاباة، يروي التقليد أن التوراة كانت قد أعطيت لجميع الأمم، وإسرائيل وحدها قبلت بها، لماذا اختار الرب القدوس الواحد المجدد إسرائيل؟ لأن جميع الشعوب رفضت التوراة، ورفضت استقبالها، بينما قبلت إسرائيل بها واختارت الرب القدوس المجدد والتوراة"<sup>(2)</sup>.

بحسب التقليد الرايبي، تطور مفهوم التفضيل الإلهي لبني إسرائيل إلى حد اعتبارهم مركزا للتاريخ، حيث لم يقتصر التفضيل على مجرد اعتبارهم غاية التاريخ، وأنه تم تفضيلهم على سائر الأمم، بل تجاوز استعمال المفهوم ليطم تطبيقه على الزمان ذاته بحيث أصبح السبت مثلا، أفضل الأزمنة على وجه الإطلاق<sup>(3)</sup>، كما أصبحت القداسة سارية في مختلف المؤسسات اليهودية، حتى الأرض تكتسب هذه الصفة، لأن الشعب وعد بها<sup>(4)</sup>.

يبدو الاختيار بهذا المفهوم اختيار تكليف في الظاهر، غير أنه ينطوي على مفهوم عرقي يتجلى في انتقاله الى حيثما يكون اليهودي، بمعنى ان كمختار من الله هو بدوره يضيف معاني القداسة على الحياة، الزمان والمكان وغير ذلك وهذا تعبير صريح عن كونه اختيار مبني على العرق والعنصرية وهو ماسيبدو جليا في حديثنا عن قدسية الأرض .

<sup>(1)</sup> \_ Alfred Levy, Ibid, p30

<sup>(2)</sup> \_ أ. كوهين، التلمود، ص115.

<sup>(3)</sup> \_ يحي زكرياء، مفهوم العهد في التصوف اليهودي، (سفر هازوهار، كتاب الضياء أنموذجا)، تقدم محمد النشار، ط1، (الروابط للنشر وتقنية المعلومات، 2017م)، ص137.

<sup>(4)</sup> \_ عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية من مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 1975، ص292.

### 3. اليهود مصدر السم والبركة:

إن دليل سمو اليهودي على أن الله خلق الكون وسخره لأجله: "فلو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش"<sup>(1)</sup>، وإن الأرواح غير اليهودية هي شيطانية، فإن الله: "خلق طبيعتين، أحدهما طيبة، والأخرى شريرة، وطبيعة ذات شقين، أحدها طاهر، والآخر نجس، وعلى صعيد الشق النجس المسمى keliphah أي أديم الأرض الوضيع، منه تحدرت ارواح المسيحيين ومنذ وجودهم، والناس الوثنيين يوسخون العالم لأن أرواحهم تحدرت من الشق الأيسر." <sup>(2)</sup> ذلك لأن "أرواح اليهود عزيزة عند الله مقارنة بأرواح غيرهم من البشر"<sup>(3)</sup>.

ولا غرابة أن يترتب على الاعتقاد بسمو اليهودي بروز النظرة الدونية لغيره، فالأممي أوضع منزلة من الحيوان، كما ورد في تلمود أورشليم: إن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان"<sup>(4)</sup>.

ومن خلال هذا التراث الديني استلهم الأحرار في بعث روح العنصرية والاستعلاء في تصريحاتهم، يقول أحد أحرارهم على دليل دونية الأممي: عندما أمر الله إبراهيم أن يأخذ ابنه ليقربه على الجبل (تك5/22)، قام فأخذ إسحاق واثنين من غلمانه، ومضى بهم إلى الموضع الذي عينه الرب، ولما توسط الجبل نظر إلى الله متجليا هناك فقال لغلاميه: انظروا، فما نظروا إلى الله، فعلم إبراهيم أنهما من الحيوانات فتركها عند الأتان... ، قال الحاخام: فعلم أن كل من هو خارج عن بني إسرائيل، حيوان"<sup>(5)</sup>.

كما نجد المغالاة في التفاخر بالجنس اليهودي من أهم ما تميزت به حناجر الأحرار، فيصف دونيوف الشعب اليهودي بأنه عميد الشعوب بقوله: "فمزية الانتساب لشعب حائر على أشرف لقب، لقب عميد شعوب التاريخ، من شأنها أن تضع على عاتقك أخطر المسؤوليات"<sup>(6)</sup>، وهو بالنسبة ليهودا

(1) \_ د. روهلنج، الكثر المرصود في قواعد التلمود، ص139.

(2) \_ الأب أي. بي برناتس، فضح التلمود، ص27.

(3) \_ محمد عبد الله الشرفاوي، الكثر المرصود في فضائح التلمود، ط1، بيروت، دار عمران، 1414هـ-1993م، ص190.

(4) \_ د. روهلنج، الكثر المرصود في قواعد التلمود، ص139.

(5) \_ عبد الوهاب عبد السلام طويلة، مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، دمشق، دار القلم، ص22

(6) \_ جوزف هرتس، تلمود اليهودية المعاصرة، ص37

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

هاليفي " قلب الجنس البشري" (1).

هذه العقيدة جعلت اليهود يصنفون البشر إلى فئتين: فئة إنسانية تشمل اليهود فقط، وفئة دونهم لا ترقى إلى مستوى الإنسان قيمة وتكويننا، وهي تشمل كل البشر من غير اليهود، لذلك لا يخلو التلمود من عبارات الإشادة وتمجيد الشعب اليهودي، باعتباره الشعب المختار الذي يستحق سيادة الكون.

إن البشر تبعاً للاعتقاد اليهودي خلقوا لخدمتهم، جاء في المدياش\*: "خلقهم الله في أشكال آدمية لتمجيد إسرائيل، إلا أن الأكرم "الأممي" خلقوا لغاية وحيدة هي لخدمتهم "خدمة بني إسرائيل" ليل نهار، وهم لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة، ومن اللائق أن يقوم على خدمة ابن الملك "الإسرائيلي" حيوانات على أشكال طبيعية، فالحيوانات الكائنة بأشكال إنسانية عليها أن تخدمه" (2).

ويعود الفضل للأحبار في إعادة تفسير نصوص التوراة بما يكرس لتلك التزعة ويفرضها على مختلف الطوائف اليهودية، وبذلك كان لشروحاتهم أكبر دور في ترسيخ أولى النصوص العرقية التي استمدت منه الصهيونية مادتها، وصياغة أيديولوجية الاستعلاء والتفوق، التي شكلت بدورها النظرة الدونية للأمم والشعوب، كما أباحت الاعتداء على كل ما هو غير يهودي (3).

إن صرفه الاختيار عن المعنى الديني، يجعله لا يختلف عن التزعة الشوفينية من مماثلات الادعاء بتفوق العرق الآري الذي تأسست عليه النازية، حينما رأت بأفضلية الجنس الآري وتميزه، بما يرخص إبادة الشعوب أو استعبادها (4).

إن الاختيار بهذا المعنى وهو اختياراً عرقياً محصوراً بجنسهم، يؤكد المغايرة والتعارض بين اليهود وغيرهم، ما سيجعله كافياً لإذكاء الشعور بالاستعلاء ونبذ الآخر

حيث إن هذه المفاهيم الضيقة سيكون لها أثر بين في حياة اليهود وعلاقتهم بغيرهم، مما جعلهم يقفون على قمة الدعاوى العنصرية التي تعلق بالمطالبة بالأرض باعتبارها برنامجاً إلهياً أزلياً، موثقاً لا يمكن الحياد عنه إلى درجة أن الإله نفسه سيدافع عن هذا الحق يجعلهم وسيلة لمعاقبة تلك الشعوب، لأنهم

(1) جوزف هرتس، تلمود اليهودية المعاصرة، ص 89.

(2) مدياش تالبيوث. Fol 225d ;Midrasch Talpioth نقلاً عن: براناييس، فضح التلمود، ص 92.

(3) عبد الستار عز الدين الراوي، الأيديولوجيا والأساطير، دراسة تحليلية مقارنة، ص 37.

(4) \_ Victor, Kuperminc, les Juifs, ed 2001(le cavalier bleu), p3.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

شعبه المختار وهم وحدهم لهم حق البقاء والسلطة، حيث يعتقدون أنهم مثل الله لا أول ولا آخر لهم<sup>(1)</sup>. وفي الواقع لا يمكن حمل جميع نصوص التوراة على هذا المعنى العنصري للاختيار، إذ أن هناك من نصوص التوراة السابقة التي علقت الاختيار بالالتزام بالأمر الإلهي، بما يفصح عن الاختيار بمفهومه السليم الذي لا يلتبس فيه الأمر حول تكليف اليهود بالدعوة إلى رسالة الله التي بعث بها موسى عليه السلام، وأن تمييزهم عن الأمم السابقة كان بصفة التوحيد، كما تضمنت النصوص شروط تحقق واستمرار هذا الاختيار، وهو حفظهم لهذه الرسالة، حفظ العهد، وعدم الإفساد، كما اشترط لاستمرار الاختيار الالتزام بأوامر الله تعالى.

وهي مفاهيم تلتقي تماما مع المفهوم الصحيح للاختيار الذي صرح به القرآن الكريم، وما بينه الحول ما جعل بني إسرائيل في السابق أمة مفضلة.

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ

بِعَهْدِكُمْ وَرَأَىٰ فَأَرْهَبُونِ ﴿<sup>(2)</sup>، إن التفضيل كان خاصا بالآباء والأسلاف على من كانوا من زمانهم، بما منحوا من الرسالة، والملك، والكتب، وبما كانوا عليه من طاعة الله وإتباع أمره واحتساب معاصيه<sup>(3)</sup>، وأن التفضيل كان بما من الله على بني إسرائيل من النعم المشار إليها، وأن ذلك كان قبل تغييرهم في زمانهم، بحيث لا يمكن حمل التفضيل على محمل الاطلاق، إذ لا يمكن تفضيلهم على أمة محمد ﷺ<sup>(4)</sup>.

كما أن تذكيرهم بالنعم المسبغة على أسلافهم، كان يقتضي منهم شكر الله والانقياد له بالوفاء بعهده، بما يستدعي منهم الإيمان بالرسول ﷺ، ولم يدل ذلك على أن نعمة الله المطلقة حاصلة لهم حتى في حال كفرهم، والإسلام هو امتداد لرسالة الله الواحدة، وهو يوحد بين التوراة والانجيل، غير أن بني

(1) \_رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة (102)، الكويت، د ط، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1406هـ-1986م)، ص29.

(2) \_ سورة البقرة، الآية:40.

(3) \_ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه وعلق على حواشيه: محمود محمد شاكر، وراجع وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، ط2، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ج 2)، ص24.

(4) \_ أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، د. ط، (مصر، لطباعة المنيرية، د. ت)، ج1، ص252.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

إسرائيل كانوا أول من كفر به<sup>(1)</sup>، ذلك لأن الرسائل السماوية تتميز بالوحدة غاية وموضوعا. من جانب آخر يتفق المفسرون على أن التفضيل كان لاعتبار مهم وهو كونهم الأمة المؤمنة الوحيدة زمانهم، وكان تفضيلهم على الكفار والوثنيين القدماء، وبحملهم صفة الأمة الهادية إلى الحق، وهذا يقتضي منهم الالتزام بشرع الله ليكونوا قادة وقدوة لغيرهم، وهو ما جاء بيانه في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(2)</sup>، والأمة الهادية ملزمة بأن تتحمل مسؤولية التفضيل وتقوم بها، من خلال دعوة الآخر الى الله، فيحتذى بها، فهي الداعية إلى الحق والعاملة به والساعية الى نشره<sup>(3)</sup>.

إن هذه الخصوصية التي عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾<sup>(4)</sup>، متمثلة في "هداية الناس بالحق الذي جاء به موسى من الله سبحانه وتعالى، ويعدلون به دون غيره إذا حكموا ولا يتبعون أهواءهم"<sup>(5)</sup>.

إن الأمة المختارة من شأنها أن تكون داعية إلى الله، كما تم بيان ذلك في الآيات السابقة، وليس الدعوة إلى الاستعلاء والفساد، فكان الاختيار إختيار تكليف بالدعوة إلى الله ومشروط بالالتزام بأوامره، وهو ما تميزت به دعوات الأنبياء والرسل، وقد تأسست دعواتهم على التوحيد قبل أن يكون لليهود وجود بعد، في حين تناقض مفهوم الاختيار في النصوص المقدسة بين الشرطية والاطلاق وبين التكليف والاستعباد.

(1) \_ ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير، جمعه وخرّج أحاديثه: يسري السيد محمد، راجعه ونسق مادته ورتبها: صالح أحمد الشامي، ط1، المملكة العربية السعودية، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع، 1427هـ-2005م، مج1، ص124.

(2) \_ سورة السجدة:24

(3) \_ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984، ج20، ص71.

(4) \_ سورة الأعراف:159

(5) \_ أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، د ط (مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1365هـ-1946م، ج5)، ص47.



### المطلب الثاني: القراءة الصهيونية للاختيار:

ظهرت نتيجة للتشبع بنصوص الإختيار السابقة- في الوسط اليهودي دعاة برؤية جديدة لفكرة الامتياز اليهودي عن باقي الشعوب، في صورة قواعد أساسية إلزامية اصطبغت بها السياسة الصهيونية على مدار الأزمنة والعصور، وتم توظيفها وفق طابع جديد لتثبت أن اختيار الشعب اليهودي كان لأجل حمل رسالة إلهية لتنظيم الحياة الإنسانية، منادية بذلك إلى امتياز العرق اليهودي كدليل لهذا الإختيار، وقد ظهرت هذه النبرة في خطابات المفكرين والفلاسفة اليهود، وكرستها الصهيونية في أدبياتها وممارساتها.

كانت المبادئ السابقة هي أهم ما شكل بناء "مؤتمر فيلاديلفيا" الصهيوني سنة 1865، الذي سبق كل المؤتمرات في التأسيس للأفضلية العرقية، حيث جاء فيه "إن اختيار بني إسرائيل باعتبارهم شعب الدين وحملة أسمى فكرة لدى الإنسانية، سوف يبقى كما كان دائما موضع تشييد قوي"<sup>(1)</sup>.

وانطلاقا من ذات الفكرة، نادى الصهيونية بتفوق الشعب اليهودي برفعها شعار شعب الله المختار<sup>(2)</sup>، فكان لظهور كتاب "أصل الأنواع" ل: تشارلز دارون دور في ولادة تاريخ الشعب اليهودي، وفي ظهور الاتجاه الصهيوني الذي يؤمن بأنه ثمة عرقا يهوديا مستقلا، وأن أساس الحرية والشخصية اليهودية هو الانتماء العرقي، حيث أدى إلى تنامي إشكال التعريف القومي على أساس عرقي وإلى تأجيج إرهابات جديدة بين مجموعة من المثقفين اليهود الألمان حول آمال العودة<sup>(3)</sup>.

فقد واصلت الصهيونية نداءاتها الأيديولوجية العرقية، بصيغ متفاوتة تتفق في اعتماداتها الفكرية ومضامينها السياسية، حول ترسخ فكرة "أن اليهود هم الصفوة المقدسة والطرز الممتاز"<sup>(4)</sup>، معبرة عن مفهوم الإختيار بصيغة جديدة بعيدة عن المفهوم العقائدي له، تحت مسمى نقاء العرق اليهودي وتفوقه واستمراريته عبر التاريخ كدليل على اختياره، وأن يهود العالم في تباينهم ينحدرون من عرق واحد أصوله ضاربة في القدم، كما اعتبر ذلك من الأسس التي تحقق لليهود مطلبهم كشعب متجانس في إقامة

(1) \_ أسعد رزوق، الدولة والدين في إسرائيل، بيروت، مركز الأبحاث م. ت. ف، سبتمبر 1968، ص 22.

(2) \_ عبر سهام مهدي، التعصب في الفكر الصهيوني، ص 66.

(3) \_ شلومو ساند، اختراع الشعب اليهودي، ترجمة: سعيد عياش، تدقيق الترجمة: أسعد زعي، ط1، (الملكة الهاشمية الأردنية، الأهلية للنشر والتوزيع، 2011)، ص 110.

(4) \_ عصام موسى قنبي، الصراع على الديار المقدسة، معلومات النشر غير موجودة، ص 33.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

وطنهم القومي في فلسطين.

فقد اعتبر الفكر الصهيوني اليهود من النخبة الصالحة (أساس الفكرة هو ما ورد في اشعيا6/11-13)، التي أسهمت في إنشاء الوطن القومي، بما يحفظهم من الاندماج، وتأكيدا على بقاء القومية اليهودية وتأسيس دولة إسرائيل.

### أولا: نقاء العرق اليهودي في الأدبيات الصهيونية:

يعد الإيمان بسمو العرق اليهودي وتفوقه وبالذور الرسالي للشعب المختار من أبرز الأساطير اليهودية الصهيونية التي لا يختلف جل المفكرين والفلاسفة اليهود حول محوريتها في التاريخ اليهودي، بصرف النظر عن توجهاتهم الأيديولوجية، حيث نجد مثلا أف رواد الصهيونية أمثل موسى هس، ورنر فايچ، ومارتن بوبر، وهرتزل.. ، قد تركزت أفكارهم حول تفرد اليهود عرقيا، وحول رسالتهم المقدسة للعالم.

في سنة 1862 نشر موسى هس كتابه "روما وأورشليم" الذي كان بمثابة بيان قومي تميز بطابع علماني، قدر فيه أن التاريخ هو في الأصل تاريخ صراع الأقسام، وأن اليهود اختلفوا دوما عن غيرهم، وأن الأمة اليهودية حافظت على استمراريتها بفضل الدين، مع ذلك انطوت على تاريخ قومي<sup>(1)</sup>.

وكان موسى هس أول من صاغ تعريفا للسمو اليهودي على أساس بيولوجي معتبرا العرق اليهودي من الأعراق الأصيلة، داعيا في ذلك إلى وجوب الإيمان بتميز اليهود عن باقي البشر كونهم يشكلون أمة عرقية راقية حافظت على استمراريتها رغم ما ألم بها من تغيرات.

فالعرق اليهودي كما يرى هس، "من العروق الرئيسية في الجنس البشري مازال على طبيعته، حافظ على وحدته رغم التأثيرات المناخية عليه، وأن السمة اليهودية لم يطرا عليها أي تغيير، بل ظلت صورة اليهودي محافظة على نقائها عبر العصور"<sup>(2)</sup>، وفي هذا السياق دعا هس إلى وجوب الاعتراف بأفضلية اليهود، لأنه بفضل ابداعهم الصناعي والتجاري كانوا فعلا مهمين للأمم المتحضرة، بحيث لا يمكن الاستغناء عنهم... ، ولأنه لا يوجد شعب غير اليهود له دين يجمع بين عناصر القومية، والعالمية،

(1) \_ شلومو ساند، اختراع الشعب اليهودي، ص112.

(2) \_ أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص23.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

والتاريخية معا، فإن اليهود هم وحدهم شعب الله<sup>(1)</sup>، وقد أطلق عليهم هس اسم الشعب الممتاز كما اعتبرهم الشعب الوحيد الذي يملك القدرة على السمو بنفسه دون بقية الشعوب، أما اليهودية فهي منبع الأديان والحضارات...، ذلك لأن اليهود يمتلكون بوحى من روح الله، موهبة مميزة في الرؤى الاجتماعية<sup>(2)</sup>.

أما رونز فايج فعبر عن فلسفته الدينية عن وحدة الجنس اليهودي، وتميزه عرقيا من خلال ربطه بين الدور الرسالي المتفرد له كشعب مقدس دخل مملكة الله، بما يقضي تفوقه على سائر الشعوب وانفصاله عنها، حيث أن غير اليهود لا يملكون الوعي الكافي لإدراك الحقيقة، في حين حظي اليهود بذلك، وبهذا الوعي نال اليهود سبق، "فأصبحوا أمة مقدسة منذ اللحظة الأولى للخطاب والتجلي الإلهي، فانفتحت مملكة الرب على رحابها أمام الشعب المقدس، الذي عرف الحقيقة قبل الأمم الأخرى، ومثل هذا الامتياز الروحي الخاص باليهود، رتب لهم حقوقا إضافية وامتيازات فوق البشرية، تجعلهم في السلم الأعلى للأجناس والجماعات"<sup>(3)</sup>.

كذلك أكد هارتن بوبر على وحدة الجنس اليهودي منذ خروجهم من مصر، وأن اليهود حافظوا على تجانسهم عبر التاريخ، مفسرا تلك الوحدة بحلول روح الله في الشعب اليهودي، حيث يتفق بوبر مع الصهيونية الدينية القائمة على الاعتقاد بأن مصدر وحدة الشعب اليهودي وتميزه عن بقية الشعوب، إنما هو حلول الروح الإلهية فيه، وهي بذلك تحولهم إلى شعب من الكهنة والقديسين<sup>(4)</sup>.

وهذه الوحدة كما يرى بوبر هي التي مكنت اليهود من العيش في المنفى رغم المعاناة التي لم يعانها غيرهم من الشعوب، لذا يرفض بوبر التفسير اللاهوتي للتمييز اليهودي، معتبرا تميزهم تاريخيا كشعب مختار حقيقة تاريخية أساسية، وهو تفرد له علاقة وثيقة أيضا بدورهم الفريد من نوعه، لذلك فإن طبيعة اختيارهم-كما يرى بوبر- لا يمكن مماثلتها بطبيعة اختيار بقية الشعوب، وأن مبدأ اختيارهم يختلف تماما عن كل نظريات الاختيار، لأنه طلب واقعي-وليس شكلا ميتولوجيا- يتوقف وجود

(1) \_ أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص 31-32.

(2) \_ بيان نويهض الحوت، فلسطين القضية الشعب الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (1917)،

ط1، (بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991)، ص 319.

(3) \_ عبد الستار الراوي، الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر، ص 52.

(4) \_ المرجع نفسه، ص 87.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الشعب في المستقبل على تحقيقه، أي أن إسرائيل اختيرت للترفع بتفكيرها عن القوة البيولوجية التي تمجدها الشعوب، وهو ما جعلها تستحق لقب شعب الله<sup>(1)</sup>.

فكانت هذه المفاهيم هي الأساس الذي انطلق من خلاله منظرو الفكر الصهيوني في الترويج لأفكارهم، إذ داعبت فكرة الهوية العرقية هرتزل فترة من الزمن مستخدماً في كتابه (الدولة اليهودية) عبارات مثل "الجنس اليهودي" أو "النهوض بالجنس اليهودي"، الداعية إلى تمييزهم عن غيرهم على أساس بيولوجي<sup>(2)</sup>.

كما دأب دعاة الفكر الصهيوني في الدفاع المستميت عن فكرة الشعب المتميز تحت شعار تركية العرق اليهودي في مجال الحياة وتفوقه على غيره، فيقول **غولدمان ناحوم** مؤسس المؤتمر الصهيوني العالمي: "من النادر أن تجد شعباً من الشعوب في أحوال مماثلة تمكن من إغناء الفكر البشري في المجالات الدينية، والاجتماعية، والأخلاقية، والفنية كما فعل الشعب اليهودي"<sup>(3)</sup>.

وكان لنصوص النخبة اليهودية الممثلة في البروتوكولات دور في ترسيخ الوعي بسمة التفوق العرقي اليهودي، الذي تتجلى حقيقته فيما وصلت إليه العنصرية اليهودية باعتبارهم الصفوة المتمكنة من التفكير الصائب، لذلك لا يمكن للأغيار أن يصلوا إلى سدة الحكم أو القيادة لأن العبقورية اليهودية هي من اخترعت فنونه، ومن هذه النصوص نختار:

"ما الفرق بالنسبة للعالم بين أن يصير سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية أو أن يكون طاغية من دم صهيون؟ ولكن لا يمكن أن يكون الأمران سواء بالنسبة إلينا نحن الشعب المختار، قد يتمكن الأمميون فترة من أن يسوسونا، ولكننا مع ذلك لسنا في حاجة إلى الخوف من أي خطر، ما دمنا في أمان بفضل البدور العمياء لكراهيتهم بعضهم بعضاً، هي كراهية متأصلة لا يمكن انتزاعها"<sup>(4)</sup>.

(1) \_ أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص 237-238.

(2) \_ عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج 2، ص 11.

(3) \_ عبير سهام مهدي، التعصب في الفكر اليهودي، ص 65.

(4) \_ وسكار ليفي، بروتوكولات حكماء صهيون النص الكامل للمخطوطات الصهيونية للسيطرة على العالم، د ط، (اليمن: دار الحياة للنشر والتوزيع، د ت)، ص 120.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

حتى الشتات أعطي له تفسيراً لاهوتياً، على أنه نعمة إلهية، كان القصد منها تحقيق السيادة، والسلطان على العالم، وأن ذلك كان تمييزاً ربانياً لهم يحمل في جوهره مطلق قوتهم، ومن ذلك أيضاً قولهم: "ومن رحمة الله بنا أن شعبه المختار مشنت، وهذا التشتت الذي يبدو ضعفاً فينا أمام العالم، قد ثبت أنه قوتنا التي وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية"<sup>(1)</sup>.

أبدت النصوص بوضوح سمة التحقير والإستعلاء من خلال وصفها اليهودي بالتفوق وقدرته على التحكم في مجريات الأمور. بمنهج يسطو فيها اليهود على مقدرات الأمم، لأنها خلقت لأجل خدمة الشعب المختار والخضوع إلى سلطانه، وهذا التوجه العنصري يتفق مع ما نصت عليه نصوص التوراة والتلمود، وهو توجه يبيح لليهودي التسلط والاعتداء على غيره.

فقد تركت هذه الفكرة صدى في خطابات الزعامات الصهيونيين، ومن ذلك فإن بن غوريون<sup>(2)</sup> الذي مثل التجسيد الفعلي للوجدان الصهيوني، يعتبر اليهود في نظره من أرقى البشر، وأكثرهم بطولة، حيث يقول: "لا يوجد في التاريخ أي أمة ما يوازي مصير اليهود الفريد من نوعه...، هذا الشعب أعطى للعالم حقائق ووصايا أزلية عظيمة"<sup>(3)</sup>.

وليس غريباً أن يرى ننتياهو أن العرق اليهودي يتفرد حتى في السلوك العدواني، بل يعتبر ذلك قمة التمييز عن غيره كذلك، ولعل ذلك ما جعله يتغنى خلال العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، صيف 2014 أمام الأمم المتحدة بمدى تميز الشعب اليهودي في قهر أعدائه ودمويته بقوله: "لا توجد دولة أو جيش آخر في التاريخ بذل مثل هذه الجهود الكبيرة للامتناع عن وقوع ضحايا مدنيين لدى عدوهما"<sup>(4)</sup>.

(1) \_ أوسكار ليفي، البرتوكول 11، ص 140.

(2) \_ (1886-1973) سياسي - يهودي، من رؤساء الحركة الصهيونية، ومن المخططين لإقامة دولة إسرائيل، كان من مؤسسي حزب العمل الصهيوني في عام 1919، ركز جهوده خلال الثلاثينيات على توحيد التيارات الصهيونية... كان له دور بارز في إصدار قانون التقسيم في الأمم المتحدة عام 1947، وهو أول رئيس للحكومة المؤقتة لإسرائيل عام 1948، ارتبط اسمه بجميع الأحداث في فلسطين منذ عام 1935 وحتى 1963. أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، ص 473.

(3) \_ عبد الوهاب محمد المسيري، اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص 156.

(4) \_ من تصريحات ننتياهو أمام الهيئة العامة للأمم المتحدة، 2014/09/29، نقلًا عن: الإنسان في الأرض المحتلة، مقال مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان، عن موقع بتسليم جانفي 2015 <http://betselem.org/Arabic>

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ويحمل كثير من الحاخامات والمفكرين اليهود، مفهوم الاختيار والتميز العرقي على معنى الانفصال والانعزال، ودونية الآخر، وأن اليهود لم يندمجوا مع الشعوب الأخرى، بل حافظوا على الدم اليهودي، مما أهلهم ليكونوا أمة مختارة<sup>(1)</sup>.

فالملاحظ هنا أنه تم الربط بين الأفكار والنظريات العرقية ومقولة الرغبة الالهية المسبقة لإختيار الشعب اليهودي، لكون مختارا، وأنه ثمة إختيار إلهي تحاول الصهيونية ربطه برسالة هذا الشعب وتوظيف ذلك المفهوم في شرعنة خططها وتبرير ممارساتها، وهذه الإشكالية بدورها أدت إلى طرح تساؤلات حول حقيقة وجود جنس يهودي خالص أما تعدد اليهود وتباين صفاتهم وأوائهم.

### ثانيا: فريدة العرق اليهودي بميزان النقد:

من الوجهة التاريخية تناول عدد من المؤرخين التواجد اليهودي في العالم، وهم في تنوعهم الفكري يتفقون على إبطال دعوى نقاء العرق اليهودي، أو وجود سلالة يهودية تعود بأصولها إلى الأزمنة القديمة، وذلك لاعتبارين: الزواج المختلط، والتهود.

### 1. الاختلاط عن طريق الزواج:

رغم أن الزواج المختلط اعتبر في الديانة اليهودية فجورا وزنى، فقد حدث التزاوج بين اليهود وبين غيرهم وللاستدلال على ذلك نرجع إلى ما صرحت به نصوص التوراة بخصوص حدوث المصاهرة مع الأجانب زمن الآباء<sup>(2)</sup>، وقد استمرت عملية المصاهرة مع الشعوب المجاورة من الحثيين والمؤابيين والعمونيين بعد موسى عليه السلام، حيث يشير فيليب حتي إلى مدى زيادة المصاهرة بين الوافدين إلى كنعان من بني إسرائيل، وغيرهم في أواخر القرن الثالث عشر بقيادة يوشع بن نون، حيث كان الكنعانيون يشكلون معظم السكان عندما أتى الرواد أسلاف الشعب العبراني، وكانوا يسكنون المرتفعات، وتزوج السكان الجدد مع جميع هؤلاء، وكانت النتيجة هي الشعب العبراني الذي اتصف

(1) \_ عمر أمين مصالحة، ديانة توحيدية، ام شعيب مختار، ط1، (عمان: دار الجليل، 2006)، ص134.

(2) \_ فقد تزوج إسحاق برفقة وهي آرامية الأصل، " وكان اسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة رقيقة بنت بتوئيل الأرامي" تك 20/25، وتزوج يعقوب بابنتي خاله الأراميتين ليئة وراحيل: " وأحب يعقوب راحيل... فقال لابان أنا أعطيك إياها... وفي المساء أخذ ليئة ابنته وأتى بها فدخل بها". تك 18/29، 19، 22، كما اتخذ يوسف من مصر زوجة له: ودعا فرعون اسم يوسف... ، وأعطاه أسنات بنت فوطي فارغ كاهن أون زوجة"، تك 45/41.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

بأصول عرقية متنوعة، تضم عناصر سامية، وعمونية، وحيثية، وغير ذلك من العناصر السامية<sup>(1)</sup>. وعمليا تعد قصة شمشون اليهودي ودليلة الفلسطينية مثلا واضحا على حدوث المصاهرة واختلاط النسب بشكل صريح، وهو من أقوى الأدلة، خاصة إذا علمنا أن الزواج من غير اليهود في اليهودية الأولى لم يكن ممنوعا<sup>(2)</sup>، وبهذا الاختلاط فقد اليهود مقومات هويتهم كجنس راق، فقد ورثوا المظاهر الأساسية للحضارة الكنعانية من لغة ودين وعبادات<sup>(3)</sup>، وذلك ديدهم أينما حلوا، فقد بقي امتزاج الدم اليهودي بغيره عن طريق الزواج مستمرا خاصة زمن السبي، مما حدا بالكثبة أمثال عزرا ونحميا إلى سن قوانين تقضي بتحريم الزواج وتفرض على اليهود الانغلاق<sup>(4)</sup>، وعدم الاختلاط بغيرهم حفاظا على هويتهم<sup>(5)</sup>.

مع ذلك ودفاعا عن نقاء العرق اليهودي، يرى علماء الاجتماع اليهود أنه رغم الإذلال حافظ اليهود على جنسهم، ولم يكن هناك من سبيل للحفاظ على الهوية العرقية والدينية لليهود، إلا فرض ذلك الانغلاق.

فيصف إغناز زولشتان اليهود بأنهم أمة من الدم الخالص، لا تشوبها أمراض التطرف والانحلال الخلقي الناجمة عن عدم النقاء، مؤكدا أن حظر الزواج المختلط في اليهودية قد أدى إلى عدم اختلاط اليهود بأجناس لم تحافظ على نقائها بالدرجة نفسها<sup>(6)</sup>.

وهو ذات المفهوم الذي اعتمده عالم الاجتماع الصهيوني آرثر روبين ممثل المنظمة الصهيونية العالمية، في تعريفه لليهود السبي على أساس عرقي، وأهم حافظوا على وحدة جنسهم وتميزهم رغم التأثير

(1) \_ فليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم وافق، مراجعة: جبرائيل جبور، د ط، (بيروت،

دار الثقافة، ج1، د. ت)، ص 190-191

(2) \_ جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، تقديم: عبد الوهاب محمد المسيري، سلسلة شهرية، القاهرة، دار الهلال، العدد 542، فبراير 1996، ص 150.

(3) \_ آرثر كيسلر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، د ط، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991)، ص 174.

(4) \_ روجيه غارودي، إسرائيل بين اليهودية والصهيونية، ترجمة: حسين حيدر، ط1، (بيروت، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، 1990)، ص 53

(5) \_ ورد ذلك في عزرا 1/9-2، ونحميا 13/23-24.

(6) \_ عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج2 ص 86.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الأجنبي، يقول: "وكان من الحيوي في تلك الأيام خلال فترة السبي أن تصان عقيدة اليهود من ضغط العقائد الغربية، نظرا لقلّة عدد اليهود النسبية، لكن زعماء القبائل قد اعتقدوا - وكانوا على حق في ذلك - يقول آرثر - أنه باستطاعتهم تصحيح ذلك الوضع باتخاذ إجراءات استثنائية تقضي بالتفريق الكامل بين اليهود، وغيرهم والمنع المطلق لكل تأثير بالدم والثقافة غير اليهودية، وهكذا نشأ مبدأ منع الزواج والمشاركة بالأكل بين اليهود وغير اليهود...، وفرض على القبائل الصغيرة الاعتقاد بأنهما عرق نشأ وترعرع خلف الجدران المحصنة، عليه أن يكون دوماً على أهبة الاستعداد، بحيث أصبح انعزال اليهود واقعا كاملا وأزليا"<sup>(1)</sup>.

في حين يعترف كستلر أن حياة الجيتو لم تحم اليهود من الاختلاط والتمازج إلا مدة مؤقتة، وأنه قبل القرن السادس عشر أي قبل فرض الحياة الجيتوية الصارمة على اليهود. ظلت عملية التمازج بين الأجناس قائمة ومستمرة، ودلت على ذلك أحكام الكنيسة المتكررة حول تحريم الزواج المختلط، وهو ما يتضح من تقرير رفعه كبير الأساقفة المجري - روبرت فون جيون - إلى البابا سنة 1929 يشكو فيه كثرة الزواج بين يهود ومسيحيات ترتب عنه فقدان الكنيسة لآلاف من المسيحيات<sup>(2)</sup>..

كما لوحظ أن أعضاء الجماعات اليهودية الذين يتزوجون في سن متقدمة كانوا أكثر استعداد للزواج المختلط، خاصة - يقول المسيري -، الذين يتخلون على دور الجماعة الوظيفية التي تتحكم في جوانب حياتهم الدينية محترقين بذلك الحاجز الديني<sup>(3)</sup>. الأمر الذي يدل على مدى امتصاص الدم اليهودي للدم المسيحي على فترات

### ب. الاختلاط عن طريق التهود:

فضلا عن دور عامل الزواج في اختلاط اليهود وغيرهم وتمازجهم، فهناك جانبا آخر من الدراسة التي تمثل عمق استيعاب اليهود لدماء أجنبية، ويتمثل ذلك فيما شهدته اليهودية كديانة من تحول نحوها، حيث لم تقتصر على أصحابها، "وإنما انضوى تحت لوائها كثير من الشعوب، وقد ظلت اليهودية فاتحة

(1) - آرثر روين - اليهود في العصر الحاضر دراسة اجتماعية علمية، برلين 1904، نقلا عن التوراة تاريخيها وغايتها، ترجمة سهيل ديب، ص 17-18.

(2) - آرثر كستلر، القبيلة الثالثة عشر، ص 186.

(3) - عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج 2، ص 116.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ذراعيها ولمدة طويلة مرحبة بهم<sup>(1)</sup>، ويعتبر السامريون نموذجاً لجماعات الآشوريين الذين حلوا محل اليهود في فلسطين زمن السبي الأول، حيث اعتنقوا اليهودية كما اندمج بعضهم باليهود<sup>(2)</sup>. فكان للعامل الديني دور في تشرب المجتمع اليهودي القديم لعناصر جينية جديدة، ويتمثل ذلك في التهود الذي شهدته قبائل كثيرة من غير اليهود.

أما بعد الشتات النهائي، كان اليهود أمام خيارين إما الردة إلى الوثنية، وإما الحفاظ على هويتهم الدينية المهتدة بالنقصان نتيجة الحياة المنغلقة من جهة، وتحول بعضهم إلى المسيحية تحت وطأة الاضطهاد من جهة أخرى<sup>(3)</sup>، وفي حال التحول إلى الوثنية، كان اليهود يشكلون جزءاً من الأمة التي يقيمون بينها، "و بموجب ذلك يفقدون كيانهم الجنسي إلى جانب كيانهم الديني...، كما كان يفرض عليهم عدم الزواج إلا بالتحول إلى الوثنية، مما أدى إلى ظهور حركة التبشير باليهودية ولمدة طويلة، وهو ما يفسر تنوعهم وتباينهم"<sup>(4)</sup>، وقد ترتب عن شتات اليهود انتشارهم في جميع أرجاء الأرض، حاملين على عاتقهم عبئ التعريف باليهودية، حيث اشتدت جهود الدعاية الدينية -خاصة خلال القرن الثاني- ومقابل يهود الشتات وجد هناك المتهودين الذين اطلق عليهم الدخلاء<sup>(5)</sup>، ثم استمر ذلك إلى فترة العصور الوسطى، ولم يكن معتنقي الدين اليهودي آنذاك من سكان فلسطين<sup>(6)</sup>.

لم تختلف الدراسات اليهودية حول بيان حقيقة تهود اليهود، جماعات أو أفراداً، فقد تهود كثير من نبلأ إيطاليا وأنطاليا، وهو ما وصف المؤرخ اليهودي (ت. ريناك) شدته بقوله: إن الحماس التبشيري<sup>(7)</sup>،

(1) \_ ه. ج. ويلز، معالم تاريخ الانسانية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، د ط، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج2، د. ت)، ص256.

(2) \_ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص339.

(3) \_ محمد أحمد محمود حسن، اليهودية التبشيرية في الكتب المقدسة، د ط، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د. ت)، ص32.

(4) \_ جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، ص160-161.

(5) \_ تواجد أتباع الديانة اليهودية عشية خراب الهيكل في سائر أنحاء الامبراطورية الرومانية، وكذلك في شرق بلاد الرافدين، والاسكندرية، وقد كان عددهم فيها، كما يذكر شلومو ساند يفوق بكثير عدد سكان يهوذا، فمن شمال إفريقيا وحتى أرمينيا، ومن فارس وحتى روما، نمت وازدهرت جاليات يهودية. شلومو ساند، اختراع الشعب اليهودي، ص196

(6) \_ أنور الجندي، المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية في غزو الفكر الإسلامي، ط2، (دار الاعتصام، 1397هـ-1977م)، ص39.

(7) \_ ( مصطلح التبشير مسيحي الأصل، وقد استعملناه هنا للأمانة العلمية بحسب وروده).

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

كان من أبرز سمات اليهودية في العصر اليوناني والروماني، وهي سمة لم تحزها قط بالدرجة نفسها قبل ذلك العصر أو بعده، وليس هناك شك في أن اليهودية كسبت بهذا الأسلوب عددا وفيرا ممن تحولوا إليها خلال قرنين أو ثلاثة قرون... ، ولا يمكن تفسير النمو الكبير في عدد اليهود من مصر وقبرص وبرقة، دون أن نفترض أن ذلك استلزم تدفق دم كثير غير يهودي، فقد شمل التبشير باليهودية الطبقات العليا والدنيا على حد سواء<sup>(1)</sup>.

تبعاً للمعطيات التاريخية التي لم يختلف حول حقيقتها اليهود أنفسهم، فإن الدعوة إلى اليهودية قد بلغت أوجها زمن الحكم الروماني، وظهرت المسيحية، وتقلص اليهود عدداً، نتيجة ما لحق بهم من اضطهاد وردة إلى المسيحية،<sup>(2)</sup> ومن بين الذين وجدت فيهم الكنيسة اتباعاً لها من اليهود المعتنقين للمسيحية الحاخام سلومون لاوي الذي أصبح يعرف بـ "سانتا ماريا"، اعتنق المسيحية بعد مذابح سنة 1351، ثم درس اللاهوت بباريس، وأصدر كتاباً حول الكتاب المقدس، "حوار بين الكافر شأؤول والمهتدي بول"، وقد تحول إلى أكبر مناوئين لليهود بإسبانيا ومضطهدهم بشدة، كما عرف بملاحقته للكنيس اليهودي، وقد تجلت معظم أعماله في المحاربة الكتابية "اللاهوتية"<sup>(3)</sup>.

ويذكر شلومو ساند\* أن حركة التهود بلغت أوجها في تلك الآونة، وعلى مستوى عال رغم تسلل محاولة تثبيت العلاقة الهرمية بين اليهودي (بالولادة)، واليهودي المتهود، غير أن وزن الملزمين بالتهويد والمشجعين للتهويد كانوا دائماً أكبر نسبياً من عدد الراضين لذلك، مما أدى إلى فتح الطريق إلى خارج أرض يهودا.... ويضيف: "ويجب أن لا ننسى أن قسماً من الحاخامات كانوا هم أنفسهم متهودين أو أبناء متهودين... ، وقد كان شماعية وأبطليون من بين الأزواج المحترمة في تكوين الدولة اليهودية في عهد الهيكل الثاني، والذان سيكونان المعلمان الروحيان لهليل وشمائي وعلى رأس سلم

(1) \_ آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر، ص 185-186.

(2) \_ أنظر بخصوص ذلك: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط5، (دمشق، دار الفكر، 1393هـ-1973م) ج1، ص137 وما بعدها، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، (مصر، دار المعارف، ج1)، ص595، وآرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر، ص182 وما بعدها، ود. م. دانلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة وتقديم: سهيل زكار، ط2، (دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، د. ت)، ص135-175، مع الرجوع إلى مبحث الحق الإنساني من دراستنا.

(3) \_ برنار لازار مناهضة السامية، ص115.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

المتهودين في مملكة يهودا<sup>(1)</sup>.

امتد انتشار اليهودية في القرن الخامس الميلادي إلى اليمن بتهود أحد ملوكها ( تبان أسعد) ملك حمير، وقد تبعه قومه، وأصبحت الديانة اليهودية دينا رسميا، كما غدا اليمن وطنا قوميا لليهود، كما قام (ذو نواس) أحد ملوك حمير، في القرن السادس ميلادي بإكراه النصارى على اعتناق اليهودية<sup>(2)</sup>.

يعتبر كل من كستلر ودانلوب أن الخزر الأتراك- وهم من بقية قبائل ولد يافث بن نوح<sup>(3)</sup>، من أكبر الكتل المتهودة، حيث ثبت الدين اليهود فيهم وملكهم ملوك يهود من القرن الثامن إلى القرن العاشر<sup>(4)</sup>، فكان تهودهم كما تذكر المصادر اليهودية حدثا تاريخيا، وبأنهم قبل تحولهم إلى اليهودية كانوا على معرفة بالدين اليهودي وطقوسه، ولمدة تزيد عن قرن سابق لتحولهم<sup>(5)</sup>، كما دانت لهم دول الجوار بالولاء والطاعة<sup>(6)</sup>.

يتضح لنا مما سبق ان العرق اليهودي لم يحافظ على نقاوته، بل ذاب في مجتمعات كثيرة، ونتج عنه هجيناً متعدد الأصول، كونه دماء متباينة، مما يبطل نظرية النقاء العرقي اليهودي أو القول باستمراره كما ينفي أن يكون يهود اليوم يشكلون جنسا واحدا أو امتداد لبني إسرائيل القدامى.

### ثالثا: وحدة الجنس اليهودي بميزان علم الأثنربولوجيا:

بناء على تصنيف السلالات البشرية، التي يمكن أخذها بعين الاعتبار- كمعيار- للتمييز بين مختلف السلالات، وهي السمات الظاهرة كشكل الرأس، والطول، والقامة، وسمات الوجه، ولون الشعر وشكله، ولون العين، وشكل الأنف، فإن ما أثاره علماء الأثنربولوجيا من إبطال استمرار الجنس اليهود

(1) \_ شلومو ساند، اختراع الشعب اليهودي، ص228-229.

(2) \_ وهب بن منبه (رواية عنه)، التيجان في ملوك حمير، مراجعة: مكتب التحقيق والنشر في مجموعة جيل جديد، ط3، (صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، 1429هـ-2008م)، ص343. وأحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص334.

(3) \_ وهب بن منبه (رواية عنه)، التيجان في ملوك حمير، ص69.

(4) \_ ذكر المسعودي أن تهود الخزر كان زمن الخليفة هارون الرشيد، عقب تهود ملكهم "بولان" واتباع قومه له، وأنه كان لليهود الفارين من الاضطهاد الروماني زمن ملكهم أرمنس - حينما أكرههم على المسيحية - دور في تهود الخزر. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص138.

(5) \_ آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر، ص61.

(6) \_ د. م. دانلوب، تاريخ يهود الخزر، ص164.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

علميا، قد أيدهم فيه علماء اليهود أيضا.

وفقا للتصنيف العلمي للأجناس، فإن الجنس البشري ينقسم إلى أولي، وآخر مركب، ويرجع ذلك إلى عامل الوراثة بالدرجة الأولى<sup>(1)</sup>.

وتعد هذه القاعدة أساس البحث الأنثروبولوجي عند مختلف العلماء، وهي المعتمدة في بحوثهم حول رد دعوى أصل العرق اليهودي، ومدى تجانسه ونقاؤه.

ضمن دراسته للصفات الجسمانية لليهود في عالم اليوم لاحظ جمال حمدان في كتابه "اليهود أنثروبولوجيا" وجود اختلاف جذري وواضح بين يهود أوروبا وروسيا، واليهود المقيمين في الداخل، مشيرا إلى وجود تشابه بين مختلف السلالات البشرية في العالم أكثر مما هو بين اليهود أنفسهم<sup>(2)</sup>.

كما أكد على فقدان الصلة الجنسية والجينية بين يهود اليوم ويهود التوراة تماما من الناحية العلمية، فهم - كما يصفهم جمال حمدان - في الغالب أوروبيون سلاف أو أوروبيون أكثر منهم ساميين، معتبرا صدق هذا الوصف على الإشكناز في أوروبا وأمريكا، وهم السواد الأعظم من يهود العالم، مما يؤكد أن اليهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل<sup>(3)</sup>.

ويذكر العالم الأنثروبولوجي في جامعة جنيف "يوجين بينارد"، في كتابه "الجنس والتاريخ" أن اليهود يتكونون من عناصر مختلفة تماما، "وأن اليهودية اكتسبت عناصر من أجناس متعددة ومن كل السلالات، وبذلك لا يمكن أن يتحقق في شأنهم الانتماء إلى الجنس اليهودي القديم"<sup>(4)</sup>.

كما ينفي يوجين بينارد (كذلك لامبروزو) ما يمكن تسميته بالجنس اليهودي، معتبرا كون اليهودية في عمقها تشكل عقيدة دينية لها أتباع ذو أصول متعددة الصفات ألصقتها اليهود بأنفسهم، من الحبشة، والألمان، والثاميل، واليهود، والخزر، ولذلك من المستحيل - كما يرى يوجين - أن يتصور أن اليهود ذو الشعر الأشقر أو الكستنائي والعيون الصافية اللون، الذين نلقاهم في أوروبا كثيرا، تربطهم

(1) \_ عبد العليم عبد الرحمن خضر، أصل الأجناس بين العلم والقرآن الكريم، ط1، المملكة العربية السعودية، تهامة للنشر 1407هـ - 1987م، ص 87-88.

(2) \_ جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجيا، ص 170-175.

(3) \_ جمال حمدان، المرجع نفسه، ص 180.

(4) \_ جودت السعد، أوام التاريخ اليهودي، ط1، (المملكة الأردنية الهاشمية، الأهلية للنشر والتوزيع، 1998)، ص 261.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

قراءة دم بالقدماء الإسرائيليين الذين كانوا يعيشون بجوار الأردن<sup>(1)</sup>.

ولم يخالفه في ذلك العالم اليهودي فريديخ فرتس في كتابه "الجنس والحضارة"، عندما أقر باختلاط اليهود مع غيرهم ونفى دعوى نقاء العرق اليهودي بشكل تام، بقوله: "لم يعد بالإمكان أن يتمسك الإنسان بذلك الرأي الذي يمثل الآرايين من جهة، واليهود من جهة أخرى، كجنسين مختلفين أشد الاختلاف، فقد أثبت البحث الأنثروبولوجي صورة لا تحتل الجدل، ما بين الاثنين من القرابة الشديدة، وبأن اليهود استطاعوا خلال تاريخهم الطويل أن يمتصوا الدماء الأجنبية، وهذه الحقيقة تفسر ما نراه فيهم من اختلاف في الصور، والأشكال، ومشابھتهم للشعوب التي كانوا يعيشون فيها، وكان اعتناق اليونان، والرومان لليهودية، والشعوب الأخرى أمرا كثيرا الجدل على الأخص في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد"<sup>(2)</sup>.

إضافة إلى ما سبق يرجع علماء التاريخ التباين الجذري بين يهود اليوم إلى عامل التحول الديني (التهود) بشكل أكبر، خاصة قبائل الخزر التي يعدونها أصلا لليهود، وهو ما صرح به (أ. ن بولياك) أستاذ التاريخ اليهودي في جامعة تل أبيب في كتابه "خزاليا" الذي أصدره عام 1944، فذكر في مقدمته: "أن الحقائق العلمية تتطلب منهجا جديا لتناول مسألة العلاقات بين اليهود الخزر، وغيرهم من الجماعات اليهودية، ومسألة المدى الذي يمكن أن نصل إليه في اعتبارنا أن يهود الخزر يمثلون نواة التجمع اليهودي الكبير في أوروبا الشرقية، وأن أبناء هذا التجمع سواء الذين بقوا حيث هم، أم الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الأقطار، أو الذين ذهبوا إلى إسرائيل يمثلون الآن الغالبية العظمى من يهود العالم"<sup>(3)</sup>.

كذلك أثار الأديب اليهودي البريطاني كيستلر، في دراسته حول أصل اليهود، التي مثلت وجها آخر لما قدمه جمال حمدان سابقا في دراسته "اليهود أنثروبولوجيا" مسألة إنكاره دعوى نقاء العرق اليهودي، معتمدا على الدراسات التاريخية التي تناولت تصنيف اليهود وحال الجماعات اليهودية في العالم.

(1) \_ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص 340.

(2) \_ عماد علي عبد السمیع، الإسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1425هـ-2004م)، ص569.

(3) \_ جودت السعد، أوام التاريخ اليهودي، ص259.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

من خلال دراسته لحركة اليهود وتدفق هجراتهم إلى أوروبا قديما خلص كيستلر إلى القول: "سوف يكون من الحماقة أن ننكر أن يهودا من أصل مختلف ساهموا في المجتمع اليهودي الكائن في عالم اليوم، ومن المستحيل أن نحدد النسبة العددية لمساهمة الخزر إلى نسب الساميين وغيرهم، ولكن ما نجمع عليه من البراهين يجعل المرء ميالا إلى الاتفاق مع إجماع العلماء المؤرخين على أنه في الأزمنة المبكرة نشأت الكتلة الأساسية من اليهود أصلا من بلاد الخزر، ومن ثم فلا بد أن تكون مساهمة الخزر في التركيب الوراثي لليهود مساهمة جوهرية، بل ومهينة وفي كل الاحتمالات" (1).

وتبعاً لما توصل إليه، أكد كيستلر على وجود تنوع عرقي بين اليهود، وذلك بمقارنة مؤشرات السمات الجسمانية بين اليهود والأمميين، والتي أظهرت بوضوح وجود تباين جذري بين يهود العالم يشمل الاشكنازي ذوي الأصول الخزرية أو السفارديم (2)، وهو ما يجعل تصنيف اليهود كجنس واحد أمراً متناقضاً علمياً.

وإلى هذا الرأي ذهب المفكر الفرنسي رجاء غارودي في وصفه دعوى نقاء العرق اليهودي بالنسب الوهمي، مؤكداً نفيه لوجود الجنس اليهودي الواحد، ومعللاً ذلك بأنهم، "كانوا نتاجاً لتمازج شعوب كثيرة، وأهم كانوا في جميع مراحل تاريخهم جزءاً من عناصر السلالات البشرية الكبيرة التي لم تشكل عرقاً أبداً" (3).

إلى جانب ذلك فإن ما قدمته الأبحاث الجينية على أيدي باحثين يهود أيضاً يعد من أعظم الدراسات التي أثبتت مدى وجود التباين والاختلاف بين اليهود في العالم من جهة، وضعف انتسابهم جميعاً إلى العرق القديم من جهة أخرى.

فقد توصل العالم البيولوجي اليهودي **جورفيتش** بعد إجراءه تجارب بيولوجية على اليهود داخل إسرائيل إلى نتيجة دقيقة مفادها أن "اليهود ليسوا بالشعب الواحد - جينيا-، بل هم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس اعتنقوا ديناً واحداً، ونسبة ضئيلة من اليهود في الأقطار العربية هم من نسل يعقوب وإسحاق، أما يهود أوروبا الشرقية فينتسبون إلى قبائل الخزر، وأما يهود أوروبا فهم من أصل أوربي

(1) - آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشر، ص 177.

(2) - المصدر نفسه، ص 182-184.

(3) - روجيه غارودي، إسرائيل بين اليهودية والصهيونية، ص 58.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

اعتنقوا الدين اليهودي بعد القرن الثالث الميلادي على يد مبشرين يهود<sup>(1)</sup>، وهو ما قطع به المؤرخ اليهودي (إريئيل راببوت) في أطروحة الدكتوراه عام 1965، كما عزا أيضا تعاضم اليهود في العالم القديم إلى حركة التهود، ونفى أن يفسر ذلك النمو الهائل لليهود بواسطة النمو السكاني الطبيعي<sup>(2)</sup>.

في سنة 2007 قام الأستاذ روفائيل فالك، المتخصص في علم الوراثة، وفلسفة علم الوراثة والبيولوجيا، وهو محاضر بالجامعة العبرية، بتحليل مخططات الصهيونية، مبينا الهدف من دعوى الاختيار بتفصيلها كمسلك للاستيطان وطرد غير اليهود من فلسطين، من خلال محاضرة بعنوان: "الصهيونية وبيولوجيا اليهود"، فند فيها ادعاءات الصهيونية بشأن وجود خصوصية جينية تميز اليهود عن غيرهم، كما أكد على عدم وجود إمكانية إثبات هذه الخصوصية، وبأنه لا يوجد دليل علمي يفيد أن ما يجري في عروق اليهود من دماء يختلف عن دماء الشعوب الأخرى، ومسقطا في تحليله دعوى وجود شجرة أنساب لجميع اليهود<sup>(3)</sup>.

بناء على النتائج السابقة اعتبر فالك الإجابة البيولوجية عن السؤال "من هو اليهودي؟" أمرا مستحيلا، كما نفى أن تكون هناك إمكانية لتشخيص فرد على أنه يهودي<sup>(4)</sup>، كما أثار فالك في دراسته مدى تأثير نظرية النشوء والارتقاء الداروينية في الفكر الصهيوني خلال القرن الثامن عشر، وهي الفترة التي تأسست فيها الحجج حول الحقوق القومية لليهود وارهاسات البحث عن الوطن، التي كانت تستند إلى مبدأ الدم والأرض، وتقضي بوجود شراكة بين الأصل البيولوجي والموطن<sup>(5)</sup>.

و بموضوعية نبّه فالك إلى مساعي الصهيونية اليوم - من خلال الأبحاث العلمية على سبيل الاختراع - نحو وضع كيان سياسي منفصل لليهود، من أجل تغيير البيولوجية اليهودية وفق ما يعرف بمشروع إنتاج يهودي جديد معافى بروحه وجسده، باتباع سياسة وقائية - علمية - تمنع من تدهور

(1) \_ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص 340.

(2) \_ شلومو ساند، اختراع الشعب اليهودي، ص 205.

(3) \_ رفاييل فالك، الصهيونية وبيولوجيا اليهود، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، قضايا اسرائيلية، العدد 52، فبراير 2014، ص 61.

(4) \_ المصدر نفسه، ص 62.

(5) \_ المصدر نفسه، ص 63.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

بيولوجي مستقبلي للجنس اليهودي، وبذلك خلق وإنشاء تاريخ لليهود بواسطة البحث البيولوجي<sup>(1)</sup>، كذريعة للاستيطان.

كما قدم "شلومو ساند" دراسة مستفيضة عن الظاهرة اليهودية منتقدا وناقيا كل الادعاءات الصهيونية حول وجود وحدة الجنس، والمنفى، والتفوق العرقي، مورردا الغاية من هذه الدعاوى، معتمدا في دراسته على البحوث التاريخية والعلمية القديمة والحديثة، وبتقصيه للحركة التاريخية لليهود وظهور مختلف الجماعات اليهودية، استنتج أن ذلك مرده للتهود، والزواج المختلط الذي عرفته الجماعات اليهودية عبر مسار تاريخها خاصة في القرون الستة الأولى بعد الميلاد<sup>(2)</sup>.

ما أكد عليه ساند هو عجز الحكومة الإسرائيلية عن تحديد مفهوم الدولة، وكذا عجزها عن تحديد من هو اليهودي بيولوجيا مبينا أن: "كل المحاولات الإسرائيلية والصهيونية التي أجريت في خمسينيات القرن الماضي، من أجل تحديد العرق اليهودي - اثباتا للتمييز - من خلال البصمة الوراثية، والاختبارات الحديثة العهد التي تهدف إلى تمييز الحمض النووي اليهودي كلها قد باءت بالفشل، وعبثا حاول علماء الصهيونية داخل وخارج إسرائيل الإعلان عن نقاوة "وراثية" حافظ عليها اليهود على مر الاجيال، بيد أنهم لم ينجحوا حتى الآن في تمييز اليهودي استنادا الى نموذج من DNA"<sup>(3)</sup>، وأضاف ساند: إن اليهود في العالم لا تربطهم رابطة اللغة ولا الثقافة العلمانية، ولم يبق في تعريف اليهود إلا من ولد من يهودية أو اعتقد بالدين اليهودي وفقا للقانون الذي أصدرته الحكومة سنة 1948م<sup>(4)</sup>.

يتضح لنا مما تم عرضه أن حديث التوراة عن اختيار اليهود كان دينيا ولا علاقة له بعرقهم، لأن صفة الاختيار كما أشارت اليها بعض النصوص لم تكن مطلقة بل ارتبطت بشروط تحققها وتؤدي الى استمرارها، مما يطرح باستمرار التساؤل فيما إذا كانت تلك العلاقة تفرض على بني إسرائيل تقبل كونهم شعبا مختارا بشكل ملموس من خلال تنفيذ الشروط الأخلاقية له؟

(1) \_ رفائيل فالك، الصهيونية وبيولوجيا اليهود، ص 65-67.

(2) \_ شلومو ساند، اختراع الشعب اليهودي، ص 256-257.

(3) \_ شلومو ساند، كيف لم أعد يهوديا (وجهة نظر إسرائيلية)، ترجمة: أنطوان شلحت، ط 1، (المملكة الأردنية الهاشمية، الأهلية للنشر والتوزيع، 2014)، ص 93.

(4) \_ المصدر نفسه، ص 93-94.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

كذلك يمكن القول؛ إن المقولات العرقية التي تقولت بها الصهيونية بداية كدليل على وحدة الشعب اليهودي وتميزه تماوت تاريخيا، ولم تعد مقبولة في ظل غياب أدنى تفسير موضوعي ومنطقي لها، فالعرق اليهودي لم يحافظ على جوهره، بل ذاب في مجتمعات كثيرة، ونتج عنه هجينا متعدد الأصول، كونته دماء متباينة ليصل إلى ما هو عليه، مما يبطل نظرية النقاء العرقي أو القول باستمراره، مما ينفي أن يكون يهود اليوم يشكلون جنسا واحدا، أو امتداد لبني إسرائيل القدامى.

المبحث الثاني: توظيف فكرة الوعد الإلهي بالأرض في تبرير الاحتلال:

المطلب الأول: نصوص الوعد الإلهي بالأرض:

أولاً: الوعد في التوراة:

لاستقراء الهبة الإلهية للآباء بحسب ورودها وبناء على ما صرح به أحبارهم<sup>(1)</sup>، يرجع اليهود إلى نصوص كتابهم المقدس، وقد رأينا أنه يمكن اعتمادها على أربعة مراحل، وذلك من أجل الوقوف على مدى تطور فكرة الوعد:

1. المرحلة الأولى: عهد التبريك:

هي المرحلة الأقدم، وتتمثل في العهد المبرم مع نوح ومن نجوا معه من المؤمنين، ويعرف بعهد التبريك، والتكثير ببيان علامته وديمومته.

أ - النص الأول:

"وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض... وكلم الله نوحا وبنيه قائلا: وها أنذا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم... ها أنا ذا أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضا بمياه الطوفان، ولا يكون طوفانا ليخرب الأرض، وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم، وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال الدهرن وضعت قوسي في السحاب"<sup>(2)</sup>.

وفقا للنص السابق اتخذ العهد مظهرا كونيا عاما، لم يرد فيه الوعد بشيء مادي، كما لم يخصص فيه أي نسل وإنما وعد الله بحفظ نسل نوح الذي آمن به إلى الأبد، كما أنه عهد ووعد في آن واحد، تضمن عدم حدوث طوفانا مدمرا مرة أخرى، وظهور قوس قزح كعلامة للميثاق عندما تمطر السماء كدليل على حفظ الله للوعد<sup>(3)</sup>.

(1) \_ الحبر ولش، أصداء التوراة، ترجمة: أسعد الشدودي، د ط، (بيروت، المطبعة المريكية، 1890)، ص 60.

(2) \_ تك 1/9 ... 8-9، 11.

(3) \_ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، د ط، (القاهرة، شركة ماستر ميديا، 2002)، ص 29.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

لكن ما يعنينا هنا هو ما تلى هذا الوعد من لعنة نوح لأحد أحفاده كنعان بن حام، وهي لعنة ستكون مستقبلا نقطة فاصلة بين اليهود، وبين باقي الشعوب.

### ب - النص الثاني:

"وابتداً نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الورا وستر عورة أبيهما ووجههما إلى الورا... فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل ابنه الصغير، فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك إله سام وليكن كنعان عبد لهم... " (1).

بحسب التفسير الرباني، إن كنعان وافق أباه في تصرفه الرذيل مع نوح الذي كان العلة الوحيدة في النطق القاسي الموحى به ضد نسله، أما إخوة كنعان كانوا مرة أقوياء جدا حازوا تمدنا وتجارة... لأن العبودية بمقتضى نبوءة نوح كانت من نصيب أولاد كنعان... ، وأما كيف صار كنعان وفقاً للنبوءة عبداً لسام، فذلك محرر في إخضاع بني إسرائيل لفلسطين (2).

ويرى جيزنبرغ أن حام لم يلعن، لأن الله بارك أبناء نوح الثلاثة، وإنما لعن في شخص أصغر أولاده "كنعان"، لأنه - أي حام - رفض سابقاً أن يكون لأبيه ولد أصغر منهم (3).

غير أن ما يحكم ببطلان هذا الرأي أن التوراة "في عرضها الحوادث التاريخية لم تحدد التسلسل الزمني، أو التنسيق بين الحوادث بحسب أزمانها وأدوارها، وذلك لكي يلتبس على القارئ ويعجز عن تحديد مراحل الأحداث التاريخية، والراجح أن مدوني التوراة تعمدوا ذلك لتترك المجال لإرجاع تاريخهم إلى أزمنة قديمة"، حيث أن اللعنة وقعت قبل مولد كنعان هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن كانت اللعنة قد وقعت على كنعان بعد ولادته، فهذا يعني أن هجرته إلى كنعان وتكاثره، كان في حياة نوح،

(1) \_ تك 9 / 20-27

(2) \_ الحبر ولش، أصداء التوراة، ص 60-61.

(3) \_ لويس جيزنبرغ، أساطير اليهود، أحداث وشخصيات العهد القديم من بدء الخليقة إلى يعقوب، ط1، (دمشق- القاهرة، دار الكتاب العربي، ج1، 2007)، ص 162.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

مما يؤكد أسبقية الوجود الكنعاني في فلسطين، بأكثر من ألفي عام من ظهور أول عبراني<sup>(1)</sup>.

وتعتبر الدراسات النقدية النص السابق من نقط الارتكاز التي تستمد منه الصهيونية شرعنة اغتصاب أرض فلسطين (كنعان التوراتية)، فالتوراة تقرر عبودية شعب كنعان لبني إسرائيل، وهو بذلك مخطط رسمه محرر السفر كتوطئة لاقتلاع شعب من أرضه ومنحها لشعب لا أرض له، فهو تبرير لوضع اجتماعي سياسي ظالم سينتهجه بنو إسرائيل عبر مراحل تاريخهم<sup>(2)</sup>.

إن المعتمد في الفكر اليهودي قديماً، وحديثاً مع مطلع الحركة الصهيونية، هو مجموعة فقرات سفر التكوين التي تروي سلسلة الوعود بوراثة الأرض وتملكها بناء على وعد إلهي للأباء، كما تعد قصة اللعنة ونظمها السابق أهم منطلق للدراسات اللاهوتية باعتبارها عقيدة يحملها الإسرائيلي في قلبه وعقله وفي كيانه عبر مراحل حياته<sup>(3)</sup>، وهي لعنة كما يصفها شفيق مقار "ظالمة أخلاقياً وإلهياً ولكنها لازمة كهنوتياً وسياسياً وإقليمياً، وهي لعنة تلحق بكنعان وأجياله المتتالية، ويتحاشاها اليهود ولا يروجون لها إلا أحياناً ضمن نصوص الوعد لعدم عقلانيتها، فهي تهدف إلى تخصيص وقصر البركة الإلهية في سام دون غيره من أبناء نوح"<sup>(4)</sup>.

من الواضح أن اليهود لم يجدوا مبرراً للحرب سوى تليق قصة اللعنة في نصوص كتبت بعد موسى عليه السلام بمئات السنين؛ لأن أبناء كنعان هم أصحاب الأرض، وقد بلغ الصراع أقصاه بين الغزاة اليهود، وبين سكان فلسطين من العرب الكنعانيين، وهم أبناء كنعان بن حام، وهم أول من سكن فلسطين على أرجح الآراء<sup>(5)</sup>.

فهذه اللعنة التي خص بها كنعان بن حام كانت لها تبعاتها مستقبلاً، لأنها تتعلق بنسل الذي سيناله جانب من الجور الاستيطاني، أم أن اختيار أرض فلسطين كان صدفة؟

(1) \_ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص181.

(2) \_ عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود ( بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي)، ط؟؟؟، (القاهرة: الفجالة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د. ت)، ص 54.

(3) \_ عبده الراجحي، الشخصية الإسرائيلية، د ط، (القاهرة، دار المعارف، 1968)، ص100.

(4) \_ شفيق مقار، قراءة سياسية للتوراة، ط1، (لندن، رياض الريس للكتب والنشر، 1987)، ص 105.

(5) \_ جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجياً، ص55.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

### 2. المرحلة الثانية: وعود الآباء:

من أساسيات الدين اليهودي، كما جاء ذلك في كتب العقيدة اليهودية، أنه مثلما عاهد الله نوحا بأن لا يفني البشرية بطوفان آخر، فإنه كذلك تعاهد مع الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أن يعطي نسلهم أرض الميعاد وفقا لما جاء في التوراة (التكوين واللاويين)، وأن تلك المعاهدات هي من جملة عقائد الدين الإسرائيلي، ولذا يدعون (بنو إسرائيل) بني العهد<sup>(1)</sup>.

#### أ. الوعد للنبي إبراهيم عليه السلام:

تمثل سلسلة الوعود المتباينة لإبراهيم (عليه السلام)، أصلا غيايبا مقدسا عند اليهود<sup>(2)</sup>، يثبت لهم حق امتلاك فلسطين-أرض كنعان- وهي كذلك أساس الوعود الممنوحة لمن بعده.

أ- النص الأول: "وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك<sup>(3)</sup> ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فاجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة...، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض. وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض"<sup>(4)</sup>..

يدور موضوع نص سفر التكوين (12/ 1-7) حول أول وعد في سلسلة الوعود لإبراهيم عليه السلام وأهمها، ولم يكن له نسل بعد، فقد خرج إبراهيم من أرضه وهي أور الكلدانيين<sup>(5)</sup>، متوجها إلى فلسطين، موطن الكنعانيين، وبعد أن كان الوعد بقطعة من الأرض (إلى الأرض إلى أريك) تم إقحام مشهد فجائي يتفق مع سياق الرواية، وهو تجلى الله لإبراهيم مرة أخرى، بعد أن عرفه بأنها مأهولة بالكنعانيين ليقول: (ولنسلك أعطي هذه الأرض) بصيغة الإطلاق، تأكيدا على هبة كل الأرض، ليتم بذلك إقصاء من

(1) \_ هلال فارحي، أساس الدين، ص36.

(2) \_ عبد الغني عماد، ثقافة العنف في سوسولوجيا السياسة الصهيونية، ط1، (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2001)، ص20.

(3) \_ انتقد الباجي في "كتاب على التوراة" صياغة النص وعددها خاطئة من حيث استخدام اللفظ (عشيرتك) أهلك...، لأن إبراهيم عليه السلام لم يخرج لوحده وإنما خرج معه لوط، وكذا زوجه سارة، والصحيح أنه خرج بأهله لا من أهله، لما فيه أيضا من تناقض مع النص الآخر الذي ورد فيه: وأخذ أبرام ساراي امرأته.. تك 5/12. علاء الدين علي بن محمد الباجي الشافعي (ت 714)، كتاب على التوراة "الرد على اليهود"، تحقيق يوسف أحمد، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1428هـ-2007م)، ص 82.

(4) \_ تك 7-1/12

(5) \_ علاء الدين علي بن محمد الباجي، على التوراة "الرد على اليهود"، ص82

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

فيها<sup>(1)</sup>، فلم يقل إلى أرضك مرة ثانية، مما يقتضي المغايرة، ولا يمكن تداخل الاثنتين معا.

كل ما ركز عليه النص أن الله بارك إبراهيم وعظم نسله، كما عهد إليه باجتياز أرض غير أرضه، ولم يكن ذلك من الناحية اللاهوتية إلا لشخص إبراهيم<sup>(2)</sup>، وتبدو صيغة الوعد لإبراهيم ( عليه السلام) - كشخصية محورية في عصر الإباء - مطلقة، حيث لم تورد التوراة أنه نبي الله، بما يسوغ له تلك العلاقة<sup>(3)</sup>.

أما بالنسبة لتبرير حرمان وإقصاء أصحاب الأرض فلم تأت التوراة على ذكره، فكل ما هدف إليه محرر النص هو إضفاء البعد الإلهي والسلطة الإلهية للاستيلاء على الأرض<sup>(4)</sup>، حيث أن المحرر تعمد قطع العلاقة بين الأرض وأصحابها، لإثبات أحقية نسل إبراهيم في الأرض أحقية توراتية<sup>(5)</sup>. قبل أن تكون تاريخية، وهو ما تم بناؤه مسبقا من خلال قصة اللعنة كما ذكرنا سابقا، فهل الكنعانيون هم المقصودون، لأنهم أصحاب الأرض التي لبث الإسرائيليون دهورا يملمون بها ويتوقون إليها؟

يرى سبينوزا في نقده لمصدر الفقرة "والكنعانيون حينئذ في الأرض" أن الحدث كان بعد موسى بزمن، بعد طرد الكنعانيين من الأرض، أي إن النص في الأساس كتب بعد موته، ويذكر سبينوزا أثناء نقده، ما أشار إليه عزرا حول هذا المعنى في شرحه لهذا لنص، بأن المراد "أن كنعان حفيد نوح استولى

(1) \_ حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، دراسة علمية للوعد الإلهي لبني إسرائيل بأرض الميعاد على ضوء الكتب السماوية، د ط، (القاهرة، دار المعارف، د. ت)، ص 60.

(2) P. Van Imshoot, Theologie de l'ancien testament, Ibid, t1 p247

(3) \_ لم تورد التوراة أية إشارة عن معتقد إبراهيم عليه السلام، كما لم تورد التوراة أي فرق بين معتقد إبراهيم عليه السلام ومعتقد أبيه، وكذلك لم تورد سبب خروجه من أرضه، ولم تبين إلا الوجهة المادية، وهي البحث عن المراعي والمكاسب، كما ركزت على الوجهة الجغرافية وهي أرض كنعان، ويذهب المؤرخون اليهود إلى اعتبار الهجرة استجابة لأمر الله فحسب، بناء على ما ورد في سفر أشعيا 2/51، أما حقيقة هجرته عليه السلام في القرآن الكريم مع أنه لم يشر إلى زمن وقوعها لا من قريب ولا من بعيد، لكن تحدث عنها ببعدها العقدي وسياقها الديني، وبيان الصراع بين التوحيد والشرك، كما بينها القرآن الكريم في ( العنكبوت 26 والأنبياء 71) دون أن يترتب عليها شيء مما روته متناقضات التوراة، ( مجير الدين الحنبلي العلمي (860-927هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، إعداد وتحقيق ومراجعة: عدنان يونس عبد المجيد أبو تيانة، إشراف: محمود علي عطا الله، ط1، (المملكة الأردنية الهاشمية، مكتبة دنديس، 1420هـ-1999م، مج1)، ص100، وأحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص251، وروبن فايرستون، ذرية إبراهيم مقدمة عن اليهودية للمسلمين، ص21 وماكس مارغوليز وألكسندر ماركس، تاريخ الشعب اليهودي أو كيف يروي اليهود تاريخهم، سلسلة اليهودية بأقلام يهودية، د ط، (بيروت، دار ومكتبة بيبليون، 2005)، ص24.

(4) \_ شفيق مقار، قراءة سياسية للتوراة، ص 105.

(5) \_ عصام قنبي، الصراع على الديار المقدسة، د ط، دمشق: دار الطليعة الجديدة، د ت، ص 18.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

على هذه الأرض التي كان يحتلها من قبل شخص آخر، فإن لم يكن الأمر كذلك، فهناك سر على من يعرفه أن لا ييوح به.... ويضيف سبينوزا: "إذن فالراوي لم يكن موسى، لأن الكنعانيين في زمان موسى كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض، وهذا هو السر الذي يوحى ابن عزرا الى كتمانته". مما يفيد أن كتابة النصوص تمت بعد موسى بزمن بعيد<sup>(1)</sup>.

أ-ب. النص الثاني: "وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه: ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا. لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها، ولنسلك أبدا واجعل نسلك كتراب الأرض." <sup>(2)</sup>.

نلاحظ أن استعمال الفعلين "أنظر" و"التي ترى"، فيه تحديد واضح لمجال الرؤيا، ولا يمكن حملها على مساحة أوسع من ذلك، بل تفيد مجالا معينا لا يتجاوز حد النظر العادي، بمعنى أن ذلك لا يمكن شموله لمنطقة مأهولة بالسكان في تلك الحقبة الزمنية<sup>(3)</sup>، فالنص يتحدث عن الأرض التي أقام فيها وفي حدود "التي ترى"، وليس أكثر من ذلك، وهو أمر يتناقض مع ما ورد قبله، بأن لوط وإبراهيم "لم تحتلها الأرض أن يسكننا معا"<sup>(4)</sup>.

هذا التناقض علق عليه الباجي ، مستبعدا إمكانية أن تتسع الأرض المحددة بفلسطين، من النيل إلى الفرات لهذا العدد الهائل من نسل إبراهيم الموعود بورثة الأرض بقوله: "فإنه إذ جعل نسله بهذه الكثرة، فكيف تسعهم الأرض التي يراها جميعا من مكانه، وهي أرض كنعان، فأين هذا من قوله إنها ضاقت عن اثنين-إبراهيم ولوط- فكيف يستعظمها ويجعلها بهذه الكثرة؟"<sup>(5)</sup>.

فالوعد وفقا للساق النصي كان قبل أن يرزق إبراهيم الذرية، فلم يولد له بعد إسماعيل أو إسحاق، فهو يشمل كل نسل إبراهيم، وليس مقصورا على اليهود كما يدعون ذلك، كما أن جغرافية الأرض فيقف الوعد بها عند حدود رؤية إبراهيم لها.

(1) \_ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 259.

(2) \_ تك 14/13-15-16.

(3) \_ حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، ص 61.

(4) \_ تك 6/13.

(5) \_ علاء الدين علي بن محمد الباجي، كتاب على التوراة "الرد على اليهود"، ص 87.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

أ - ج. النص الثالث: "في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. القينيين، والقترين، والقدمونيين، والحشيين، والفرزيين، والرفائيين، والأموريين، والكنعانيين، والجرجاشيين، واليبوسيين"<sup>(1)</sup>.

رغم أننا لاحظنا في النصين الأول والثاني كيف أن الرب منح إبراهيم الأرض، إلا أننا نجد مكرر بصيغة توحى إلى اعتباره النص الثالث أنه الأول، وذلك لارتباطه بأرض مأهولة بأصحابها، مما يوحي أن المحرر اعتبر الأرض خالية من وجهة اعتقاده هو، لا من حيث ماهي عليه.

نلاحظ إن الحدود في حالة توسع بما تقتضيه أحلام المحرر، والهدف هو التطلع إلى السيادة على جميع الأراضي الممتدة بين النيل والفرات، لتكون ملكا خاصا وأبديا، ولتكون أرض كنعان بديلا عن أرض الأجداد بحسب إرادة الرب، وهو يقتضي طرد ساكنيها من القبائل التي أوردتها السفر<sup>(2)</sup>.

لكن في ضوء الحركة الأبوية، كمنطلق أساسي للاستيلاء على الأرض سيكون الوعد السابق مرتكزا للزعة الاستعمارية الإحلالية، كما ستتأصل نزعة الاستملاك في العرق نفسه، لتتوارثها-مع مرور الزمن- الأجيال مستقبلا، حيث سيغدو الرب (القبلي) نفسه ملكا لشعبه المقدس، وسيكون هذا الإطلاق في صيغة الوعد، مبررا شرعيا لاستملاك ما عند غيرهم وبكل الوسائل، وهو ما يجعل النص السابق من أخطر النصوص التي اصطبغت بها أحلام الصهيونية، وأكثرها اعتمادا عبر الزمن إلى حد توثيقها على واجهة جدار الكنيست الإسرائيلي كما ذكر الراجحي<sup>(3)</sup>.

إن الوعد بحدوده هذه شكل أساس مشروع استعماري، فهو المستند الديني في دعوى استملاك تلك الأراضي، ومن ناحية أخرى فقد أخذ هذا النص منحى جغرافيا آخر، حيث تم تحديد مساحة الأرض بأوسع حدودها أكثر مما وردت عليه في النصين الأول والثاني، كما تناقض محتواه مع ما ورد في النص الأول (تك12)

أ - د. النص الرابع: "وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا. لأكون إلهك ولنسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان

(1)-تك 15/18-20.

(2) - عصام قنبي، الصراع على الديار المقدسة، ص37.

(3) - عبده الراجحي، الشخصية الإسرائيلية، ص 102.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ملكاً أبدياً وأكون إلههم... ، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يحن منكم كل ذكر... " (1).

لم يكن الوعد في هذا النص بالأرض فقط وإنما تضمن العهد كذلك أربعة بنود: سوف أعطيك (الأرض)، سوف أكثرك (النسل)، سأجعل العهد أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك، وأبارك مباركك، ولاعنك ألعنه.

من هذا المنطلق يعتبر اليهود أن وعد الله لإبراهيم بالأرض اكتمل -وفقاً لسلسلة الوعود السابقة- بصيغته الواردة في النص السابق في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين بما يتفق والحافز على التملك، وهو عهد الختان الذي يجعلهم متفردين في عين الرب من جهة، وكرمز لأبدية الوعد بالأرض واستمراريته مستقبلاً من جهة أخرى (2)، إذ أن الوعود الإلهية بالبركة، والأرض موجهة إلى إبراهيم، ومن خلاله إلى نسله كعطية إلهية غير مرتبطة بالتزام مسبق من هذا النسل، ولا يوجد في النص أية إشارة إلى شروط مسبقة مفروضة من الله على إبراهيم ونسله سوى الختان بكونه علامة لقبول العهد والانتماء لأبنائه (3). بمعنى أن العهد مع إبراهيم ونسله عهداً مؤبداً مرتبطاً بالوعد الإلهي وضمائنه له، فهو إذاً عهد غير مشروط، ولكنه في الوقت عينه مشروط وقابل للنقض إذ يقتضي أولاً تحقق الختان كعلامة، هي تناقضات مستمرة نجدها في جل النصوص .

الجدير بالملاحظة أيضاً أن صيغ الوعود تتباين وتتناقض فيما بينها حول حدود الأرض بين الضيق والتوسع، حيث لم تتجاوز حد البصر بداية، ثم اتسعت لتشمل حدود النيل والفرات ثم ما لبثت أن ضاقت مرة أخرى لتخص أرض كنعان فقط في النص الأخير، مما يدل على أن مادة السفر خليط من تقاليد أدبية مختلفة، كما يوحي تباينها أنها لم تحرر في عصر واحد، وكان كل كاتب يأتي بما يراه محققاً لفكرة يسعى إلى تأكيدها ويجعلها ديناً، فهو يترنح بين تقليص الوعد وشموله، وهو ما سيتبع كذلك في تعامله مع حصر الوعد في نسل دون آخر. (4)

(1) - تك 7/17-10.

(2) - إيان لوستك، الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، ترجمة: حسني زينه، ط1، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1991)، ص88، و:

P. Van Imshoot, theologie de l'ancien testament, Ibid, t1, p 248.

(3) - (تك 17: 10-11، 14)

(4) - موسى مطلق إبراهيم، وعد التوراة من أبرام إلى هرتزل، ط2، (بيروت، بيسان، 1994)، ص39-40.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

النص الرابع تك 8/17 من أكثر النصوص التي تتذرع بها الصهيونية لاحتلال أرض فلسطين، إذ يمثل الأساس الذي قام عليه المفهوم الجغرافي للرؤيا الصهيونية، حول أرض إسرائيل، فقد أكد بن جوريون أن ملكية أرض فلسطين تعود إلى نصوص الكتاب المقدس، معبرا عن أسطورة الأرض التي تمثل قلب الصهيونية، بمملكة إسرائيل اليهودية القديمة، أو مملكة داود وسليمان، التي بسطت نفوذها من الفرات إلى الشام، وحتى شمال سيناء، بما يتطابق وصيغة الوعد الذي منحه الرب لإبراهيم كما هو في الفقرة السابقة، تك 8/17<sup>(1)</sup>.

ومع ذلك تبقى الوعود بالنسبة لإبراهيم في عمومها مجرد فكرة لم يتحقق منها شيء، فرغم تمحور تلك النصوص حول قصة الوعد بالأرض، غير أن التوراة ذاتها تصف إبراهيم في حالة حل وترحال من حين إلى آخر، وأنه لم يملك إلا مغارة المكفيلة التي اشتراها من عفرون، حيث اعترف إبراهيم بعد هجرته إلى أرض كنعان بأنه غريب ونزير، "أنا غريب ونزير عندكم، أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي". (تك4/23)، فضلا عن ذلك وبشهادة اليهود أنفسهم، ظلت مغارة الكفيلة وما يحيط بها فقط، الملك الوحيد لإبراهيم إلى حين دخول نسله الأرض بقيادة يشوع بن نون، أي بعد نحو 671 سنة من هجرته<sup>(2)</sup>.

ينتقد القس إكرام لمعي حديث التوراة عن الملكية معتبرا تلك الصيغ من الأمور التي لا يستسيغها العقل، فكيف يخصص إصحاحا كاملا من سفر التكوين، ليروي مفاوضات إبراهيم من أجل امتلاك مكان لدفن زوجته في مغارة المكفيلة، مما يوحي أن صيغته الوعد تلك لم يفهم منها إبراهيم أن ما تحصل عليه هو تصريح إلهي بسرقة الأرض من مالكةها، وبذلك اعتبار الأرض حقا له، كما لم يتحمس في قبول الهبة، بل أصر على إثبات ملكيتها بعقد قانوني بشروطه<sup>(3)</sup>.

ب. الوعود الممنوحة لإسحق ويعقوب (عليهما السلام).

ارتأينا الجمع بينهما في الوعود، وذلك لخصوصية الحدث المتعلق بانتقال البركة من إسحق إلى يعقوب (عليهما السلام)، كما سنرى وعلاقتها بالوعد بالأرض في إطارها الضيق وفقا لنصوص التوراة.

(1) جون روز، أساطير الصهيونية، ترجمة قاسم عبده قاسم، ط1، (القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 1426هـ-2006م)، ص 21-22.

(2) الحبر ولش، أصداء التوراة، ص74.

(3) القس إكرام لمعي، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ط2، (القاهرة، دار الشروق، 1413هـ-1993م)، ص161.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

حاولت التوراة إفراده إسحق (عليه السلام) بالتبريك الإلهي، وذلك قبل أن يولد: "وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحق. وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً... — ولكن عهدي أقيم مع إسحق الذي تلده سارة في هذا الوقت في السنة الآتية".<sup>(1)</sup>

يعتبر هذا النص تك17/18-21 أول نص في التوراة يصرح بأن وارث إبراهيم سيكون ابنه من سارة<sup>(2)</sup>، بهدف حصر البركة في نسله فيما بعد، حيث يأخذ الوعد في الانحسار والضييق.

وبخصوص الوعد المباشر لإسحق (عليه السلام) بالأرض، فكل ما أوردته التوراة أن الله تجلى له بعد سنين من وفاة إبراهيم، ومنحه الأرض وفاء لعهد مع أبيه إبراهيم: وظهر له وقال لا تنزل إلى مصر. اسكن في الأرض التي أقول لك. تغرب في هذه الأرض. فأكون معك وأباركك. لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك. وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي من أوامري وفرائضي وشرائعي. فأقام إسحاق في جرار.<sup>(3)</sup>

تتضح من صيغة هذا الوعد عدة أمور هي: خروج مصر من حدود أرض الميعاد، بمنع إسحق من نزولها، وانتقال الوعد من مرحلة الوعد إلى الميثاق من خلال التذكير بالتزام إبراهيم بالشرعية وحفظه للوصايا، وكذلك تخصيص الوعد في نسل إسحق (عليه السلام).

وتستمر نصوص التوراة في التقاطع مع بعضها لتثبت الوعد بالأرض، وتؤكد صيغته وتجديده، في مواضع عديدة ومتكررة من العهد القديم، وهذه المرة ليعقوب (عليه السلام)، أين ستصطبغ الوعود بصبغة خاصة وفق منهج الاقصاء المتواصل والدقيق بين الأب وبين الاخوة الاشقاء، ومن تسكون له الاثرة في الاستحواذ على البركة والملك في أن واحد، ولأجل ذلك تهيء التوراة المناخ الملائم لتحويل الوعد إلى يعقوب.

(1) \_ تك17/18-21. ويتكرر ذلك في تك 24/26.

(2) \_ وليم مارش، السنن القويم في تفسير العهد القديم شرح سفر التكوين، د ط، (بيروت، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، 1973)،

ص94

(3) \_ تك2/26-4.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

"وصلى إسحق إلى الرب لأجل امراته، لأنها كانت عاقرا... ، فقال لها الرب في بطنك أمتان. ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب. وكبير يستعبد لصغير" (1).

هنا يشير النص إلى الفرقة التي ستكون بين الأخوين ، تتكفل التوراة بالفصل فيه، حيث سيأخذ يعقوب بركة أبيه بالحيلة وبتواطؤ مع أمه رفقة: "وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر... وألبستها يعقوب ابنها الأصغر... ، فدخل إلى أبيه وقال يا أبي... ، فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو برك. قد فعلت كما كلمتني، قم اجلس وكل من صيدي لتباركني نفسك... ، فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه. فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه لأن اليدين كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه فباركه. (2)

يبدوا جليا من خلال هذا النص كيف وثقت التوراة أول قصة للحقد بين أخوين شقيقين ، بدلا من أن تبني دعوتها إلى الحب والمودة والألفة بين الأحوة ناهيك بين الأمم والشعوب. فكان ذلك كما وصفه شفيق مقار " أقدم تمييز عنصري عرفة التاريخ الإنساني (3).

كانت الغاية من مبدأ الحيلة أن يحصل يعقوب على بركة إسحق، وبذلك سيختصه بالوعد بتملك الأرض على حساب، وما كان من يعقوب وفقا للنص إلا أن يتقن الخدعة لينال البركة، فالقصة من هذا الوجه تشجع على الوصولية والانتهازية حتى بين أقرب الأقربين، وتحمل على استغلال حاجة الغير إلى القليل لاغتصاب حقهم في الكثير، كما أنها تصف لنا علاقة أبوية تقوم على جانب من الالتواء والأناية المتوارثين في النفس اليهودية، بما يعطي تصورا كاملا عن فنية التدين الهزيل الذي تفصح عنه سلوكيات اليهود اليوم (4)، والتي لم تكن في حقيقتها كما يقول شفيق مقار، إلا تليفقا واختلاقا للمسائل الإلهية (5)، ذلك لأن "الصلاح وولاية الله والنبوة، لا تنال بالاحتيال" (6)

(1) \_ تك 21/25، 23.

(2) \_ تك 15/27-23.

(3) \_ شفيق مقار، قراءة سياسية للتوراة، ص 46-47.

(4) \_ صابر طعيمة، التراث الإسرائيلي في العهد القديم، ص 424.

(5) \_ شفيق مقار، قراءة سياسية للتوراة، ص 49.

(6) \_ علاء الدين بن علي الباجي، كتاب على التوراة، ص 105.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

إن اختصاص يعقوب بالنبوة بالاحتفال فيها تجاوز على الله تعالى، ووفقا للسياق التوراتي كان بإمكان إسحق سحب بركته ممن اغتصبها غدرا ومنحها لصاحب الحق فيها، أو كان منحها الاثنين معا، فرصيد البركة لن ينفذ، وإلا فالإبقاء على بركة يعقوب من هذا الوجه، اعتراف صريح بمشروعية العدوان والاحتلال على الآخرين، وهو مال يمكن نسبته إلى الأنبياء، إنما يدل ذلك على أن محرر السفر عمد الى حصر البركة في يعقوب أب الاسرائيلين، فهو بصدد التحضير للسلالة المقدسة، لأجل ذلك سيظل تاريخ الآباء حافلا بإقصاء الأبناء على طريقة الانحياز

يتجدد الوعد بعد بركة يعقوب مرة أخرى في صيغة منحة الأرض، "... والله القدير يباركك ويجعلك مثمرا ويكثرك فتكون جهورا من الشعوب. ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك. لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم"<sup>(1)</sup>.

ثم تتضح معالم الأرض الموعودة أيضاً في حلم "يعقوب" الذي رأى فيه سلماً يصل بين الأرض والسماء والرب على رأسه، والملائكة يتحركون عليه صعوداً ونزولاً، والرب يؤكد في هذا المقام أنه يورث هذه الأرض التي يرقد عليها يعقوب له ولنسله من بعده<sup>(2)</sup>، ويشير به بكثرة الذرية حتى تبلغ في كثرتها مثل تراب الأرض: "ورأى حلما وإذا سلم منصوبة على الأرض... ، وهو ذا الرب واقف عليها، فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض..."<sup>(3)</sup>.

نلاحظ أن هذا النص يتقاطع مع نص الوعد لإبراهيم<sup>(4)</sup> من حيث حدود الأرض، وفي الوقت ذاته يتناقض مع صفة الوارث الذي سيكون مثل تراب الأرض، كما نلاحظ أيضا أن مرويات سفر التكوين تولى اهتماما أكبر ببيعقوب، فيركز السفر على الوعد بالأرض واختصاص يعقوب بملكيتها، خاصة بعد تلك المصارعة الأسطورية المتبوعة بالبركة وتغيير اسمه إلى إسرائيل<sup>(5)</sup>.

(1) تك 4/28-5.

(2) ولیم مارش، السنن القويم في تفسير العهد القديم شرح سفر التكوين ، ص 136.

(3) تك 12/28-15.

(4) تك 15/13.

(5) تك 32/22-29.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ولأجل ذلك ستستمر عملية الانتخاب التوراتي الدقيقة لتوريث الوعد، حيث تطالعنا النصوص بأن يعقوب نفسه حينما حضرته الوفاة لم يعدل بين أبنائه في نوال البركة<sup>(1)</sup>، وجعل لكل منهم من بركته على قدر ما رأى منهم من المعاملة، فخص يهوذا بإرث الوعود الإلهية، وبأن المخلص سيولد من نسله<sup>(2)</sup>، وحرّم بعضهم لما اقترفوه من الجرائم، بل يأخذ محرر السفر على عاتقه توثيق الصلة بين يعقوب — بعد سلسلة الاقصاءات التي تمت بين بنيه، لتحقيق البركة في نسله—، وبين حالة السلطان التي لن تكون إلا في ذرية من اختاره منهم وهو يهوذا<sup>(3)</sup>، الذي قام بعد ذلك بإرساء قواعد المملكة اليهودية في الجنوب، مؤكداً على وعد الآباء، ليغرس في نفوسهم عقيدة العودة من جديد<sup>(4)</sup>.

إن ما يمكن تسجيله على النصوص السابقة، هو تلك المسائل الشائكة، المتكررة والمفتنة، التي تخص أرض الميعاد في قصص الآباء، أولها طبيعة الوعود، فبينما تنتفي الشرطية في سفر التكوين ويأتي الوعد بصيغة الأمر، يلفت انتباهنا وجودها في سفر الخروج.

أما الثانية تتعلق بشراء إبراهيم (عليه السلام) مغارة المكفيلة من عفرون الحثي لدفن سارة، وقد تم دفنه بها أيضاً<sup>(5)</sup>، كذا شراء يعقوب قطعة أرض قريبة من نابلس<sup>(6)</sup>، وفي كلتا المسألتين تثبت الملكية بالبيع بشكل رسمي وصريح.

كل ذلك يستدعي طرح مجموعة من التساؤلات لعل أهمها؛ لماذا يلجأ إبراهيم (عليه السلام) إلى شراء الأرض، بل والإلحاح عليها؟ وهل هناك ضرورة دفعت الآباء لشراء أراضٍ بعقد موثق، مع أن هذه الأرض كانت موعودة من الله، ولماذا تم التركيز على تفصيل معاملة الشراء في النصوص؟ ولماذا ركز المحرر على مسألة توثيق عقد الملكية؟ هل كانت لديه قراءة مستقبلية للأحداث؟

(1) \_ تك 1/49-6.

(2) \_ يوسف الدبس، تاريخ سورية" مقالة في العبرانيين"، د ط، (بيروت، المطبعة العمومية الكاثوليكية، 1895)، ص 83.

(3) \_ (تك 21/48).

(4) \_ حسين فوزي النجار، أرض الميعاد، ص 67، وأبكار السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ط 3، (القاهرة، مكتبة مدبولين،

1998)، ص 108.

(5) \_ تك 7/25-11.

(6) \_ تك 18/33-20.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

يبدو أن فهم الأمر لا يستعصى على الأحبار الذين يبررون ملكية الأرض وفقا لهذه المعاملة، كعربون وكقراءة مسبقة للملكية المستقبلية للأرض، نجد مثلا الحبر ولش في كتابه: "أصداء التوراة" يقدم تفسيراً خاصاً لهذه المعاملة فيقول: "إن إيمان إبراهيم ألجأه إلى أن لا يرتضي بالاشتراك في مدافن أمية وقدر في صميم قلبه الموعد الإلهي أن نفس الأرض التي وقف عليها لا بد أن تكون لنسله، فكان له قبر في كنعان... ، وهو أول قبر اختص بأحد شعب الله القديم في أرض الموعد، ولا شك أن إبراهيم نظر إليه كعربون لهبة أرض كنعان في الوقت المعين له ولنسله"<sup>(1)</sup>.

فهذا العقد عبارة عن وثيقة تمليك مسبق ودائم بحسب الحبر ولش، حيث سيكون الحق الأزلي في الأرض مدفوع الثمن، وسيكون أولى الخطوات ذات القصد التوظيفي<sup>(2)</sup>، لتتبلور وفقه إشكالية أرض الميعاد المحددة على نطاق أرض كنعان، مما سيكرس التمسك والمطالبة بها.

ولكن بما أن إبراهيم على حد قول الحبر ولش رفض دفن سارة في مقبرة الوثنيين، لماذا لم يقبل بهبة الأرض؟<sup>(3)</sup>، أم أن ذلك كان من هندسة وتخطيط المحرر ليجعل الأرض ملكاً خالصاً بحجة، وبسند قانوني، بما يبرر المطالبة بها وإحلالها من سكانها غصبا، أم أن الذهنية الصهيونية تهدف -من خلال تزوير التاريخ- إلى توثيق ملكية الأرض للشعب اليهودي مما يفوت الفرص على أصحاب الأرض في المطالبة بها يوماً ما. أما فيما تعلق بشراء يعقوب قطعة الأرض بنابلس، فإن الحاخام يهودا القلعي<sup>(4)</sup> يقدم الحكمة (الصهيونية)، منها فيقول: "لما أتى يعقوب سالماً إلى مدينة نابلس... ، وابتاع قطعة الحقل التي نصبت فيها خيمته (تك18/33-19). يجب أن نسأل: لماذا اشترى يعقوب قطعة الأرض هذه طاملاً، كان في طريقه إلى والده إسحق، ولم يكن في نيته السكن هناك؟ ثم يجيب: إنه قام بهذا العمل كي يعلم نسله أنه يجب شراء تربة الأرض المقدسة من مالكيها غير اليهود"<sup>(5)</sup>.

(1) \_ الحبر ولش، أصداء التوراة، ص75.

(2) \_ الحبر ولش، أصداء التوراة، ص76.

(3) \_ تك /23.

(4) \_ (1798-1878) ولد في سرايفو، وكان أبوه من الزعماء الروحيين بين يهود الصرب ، كانت أولى كتاباته بالعبرية "منهجة يهوداً"، من دعاة الاستيطان عبر في كتاباته عن ضرورة القيام بمجهود إنساني خاص لتحقيق خلاص اليهود من خلال مؤلفه "اسمعي يا إسرائيل" واقترح فيه إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين، لكي تكون بدورها مقدمة ضرورية "للخلاص المنتظر". أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص9-10.

(5) \_ أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص10.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

لكن يبقى التناقض يلف نصوص الوعد، وما يلفت انتباهنا في صيغته المتكررة، هي الإشارة الواضحة بأنهم سيكونون غرباء، التي تعتبر بمثابة القاسم المشترك بينهم، وهي صفة لازمت الآباء الثلاث، كما يحددها التأريخ اليهودي من خلال فقرات سفر التكوين 26/3، و38/3-4، و33/4-5، وسمّة التغرب كما نص عليها، ابتدأت منذ دخول سيدنا إبراهيم إلى كنعان، واستمرت حتى زمن خروج بني إسرائيل من مصر. (1).

لكن هذا التأكيد النصي على غربة الآباء لا يمكن تجاوزه، أو اعتباره أمراً طبيعياً اقتضته ظروف التنقل والترحال، بل فسره العلماء، أمثال ماك كارتور، "بأنه تمييز يهدف-تدريجياً- إلى إعطاء الجماعة هوية واضحة، وأنه نوع من التمييز العرقي للجماعات المكونة للشعب الإسرائيلي، كان الهدف منه تأسيس لاهوتي وسياسي لهذا الشعب (2).

وفي اعتقادنا أن أمر الغربة يتناقض مع منحة الأرض التي تفيد التمليك، ذلك لأن اعتبارهم غرباء في الأرض يتناقض وحقيقة لوعد والشراء، بما لا يمنحهم أي حق فيها. ونساءل، هل هناك تفسير أيضاً، لكل ما هو عالق بنصوص التوراة. ؟

### 3. المرحلة الثالثة: الوعود الإلهية لموسى (عليه السلام) وتلميذه يوشع بن نون:

#### أ. الوعد لموسى (عليه السلام):

تعد هذه المرحلة من أهم مراحل الوعود، رغم بعد الهوة بين موسى ويوشع وبين الآباء، حيث ينقل محرر التوراة الوعود الممنوحة للآباء، لتتأكد وتصبح مدونة في شكل تكليف يحمله موسى (عليه السلام) إلى الشعب المختار، خر32/15، وبذلك تمت بلورة عقيدة العهد ذات الإمتداد بعهد الآباء، فالألواح ستكون بمثابة تدشين للعهد بما يوحي إلى تحول لاهوتي في العهد والوعد الإلهي وفقاً للقراءة الكتابية، ويعد الخروج مع موسى (عليه السلام)، في حد ذاته تحقيقاً للوعد الإلهي للآباء، وهو كذلك رمز للخلاص، حيث تم تطور مفهوم الوعد بالأرض وبذلك الخلاص، بعده من أهم أسس الديانة اليهودية، مكوناً مع الخروج إحساساً بالانتماء القومي الإسرائيلي الذي اكتملت أبعاده الدينية، في

(1) \_ الكاهن حسني واصف السامري، التيه الإسرائيلي، ص 9.

(2) \_ فراس السواح، آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط1، (دمشق، منشورات دار علاء، 1995)، ص52.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

إطارها العملي بتلقي موسى للوصايا العشر، ووفقا لذلك سيفسر كل التاريخ الإسرائيلي<sup>(1)</sup>، حيث أصبح الإله معرفاً بإله العهد، كما عرفت جماعته بجماعة العهد<sup>(2)</sup>.

وبطبيعة الحال كان من الضروري، أن يتم كل ذلك بانسجام تام مع ما ينبغي أن يكون عليه الأمر مستقبلاً.

فالمثير هنا أن موسى نفسه - بحكم نسبه - وفقاً لما تنص عليه التوراة، لا تشمله البركة إذ ينتهي نسبه إلى لاوي الذي حرمه أبوه يعقوب من البركة، كما ذكرنا سابقاً في سلسلة الاقصاءات<sup>(3)</sup>، لكن مع ذلك تتراءى أصداء الوعد لموسى في سفر الخروج بشكل خاص، وتثبيتاً لهذا الادعاء تضع التوراة المبرر الذي اقتضى تجديده العهد.

النص الأول: "وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات وتهدد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا. فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية. فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب.<sup>(4)</sup>"

النص الثاني: "وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم واسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها"<sup>(5)</sup>.

أما معالم الأرض وحدودها فتتضح في سفر العدد والتثنية:

"وكلم الرب موسى قائلاً: أوص بني إسرائيل وقل لهم. إنكم داخلون إلى أرض كنعان. هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيباً. أرض كنعان بتخومها. تكون لكم ناحية الجنوب من برية صين على جانب أدوم. ويكون لكم تخم الجنوب من طرف بحر الملح إلى الشرق.<sup>(6)</sup>"

(1) \_ أحمد محمد خليفة حسن، دراسة في تاريخ الحضارات والشعوب القديمة، د. ط، (القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1985م)، ص57.

(2) \_ Jean Bright. A History of Israel. Philadelphia. 1972 ;p 144-152.

(3) \_ في تك 1/49-6+ يشوع 14/13.

(4) \_ حر 23/2-24.

(5) \_ حر 1/33.

(6) \_ العدد 13-1/34.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

هنا رسمت حدود الأرض الموعودة بدقة، ولكن مع تعديل واضح لحدود أرض كنعان، فبعد أن اقتصر في سفر الخروج (23/ 31) على برية سيناء، والأرض الواقعة بين بحر فلسطين ونهر الأردن، إذ بها تتخلى عن سيناء إلى خط جنوبي البحر الميت، ولكنها تمتد إلى الشمال مع الساحل حتى اللاذقية، ثم تتجه شرقا وحتى حماة، وتتحد منها إلى الجنوب شاملة منطقة حمص من نهر الأردن وبحيرة طبريا حتى البحر الميت. (1).

سيتم الربط بين الاختيار وبين الوعد بالأرض وطردها أصحابها مع التذكير بحفظ الشريعة، في سفر التثنية: "ولأجل أنه أحب آباءك واختار نسلهم من بعدهم أخرجك بحضرتك بقوته العظيمة من مصر، لكي يطرد من أمامك شعوبا أكبر وأعظم منك، ويأتي بك ويعطيك أرضهم نصيبا كما في هذا اليوم. فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه. وأحفظ وصاياها التي أنا أوصيك بها اليوم لكي يحسن إليك وإلى أولادك من بعدك، ولكي تطيل أيامك على الأرض التي الرب إلهك يعطيك إلى الأبد." (2).

كما يتم تفصيل معالم الأرض وحدودها، كما أراها الله لنبيه موسى (عليه السلام) من فوق جبل "نور": "وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نور إلى رأس الفسجة الذي قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان. وجميع نفتالي وأرض أفرايم منسى وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي... وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها. قد أريتك إياها بعينك لكنك إلى هناك لا تعبر" (3).

نلاحظ إن ما تميزت به الوعود مع موسى، هو ورودها بالصيغة ذاتها كما هو الحال بالنسبة للآباء الثلاثة، كما أنها ارتبطت بالشروط أكثر مع توسع حدودها، فاشتملت على فلسطين وماجاورها، واللافت للنظر أن مناطق الأرض الموعودة سميت بالأسماء التي صارت لها فيما بعد، بالنسبة للقبائل التي سكنتها من قبل أن يدخلوها ويقتسموها، دون أي تفسير أو مسوغ، أو أن الأمر تم تركه للزعيمات الصهيونية ليتم ربط الحاضر بالماضي.

(1) -موسى مطلق إبراهيم، وعد التوراة من أبرام إلى هرتزل، ص17.

(2) -تثنية4/38-40

(3) -تثنية 1/34 - 4.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ب. الوعود الممنوحة ليوشع بن نون (يشوع )

بعد موت موسى (عليه السلام) خلفه يوشع بن نون في قيادة بني إسرائيل متوجها بهم إلى الأرض الموعود بها، وقد جاءت صيغة الوعود بحسب التوراة منطوية على سياسة التوسع وابتلاع مساحات أكثر كالاتي:

النص الأول: "موسى عبدي قد مات، فالآن قم هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم، لكم أعطيته كما كلمت موسى...".<sup>(1)</sup>

النص الثاني: "قال الرب ليشوع: "أنت قد شخت، تقدمت في الأيام. وقد بقيت أرض كثيرة جدا للامتلاك. وهذه هي الأرض الباقية: كل دائرة للفلسطينيين...، من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين، وأرض الجبلين، وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة. هذه الأراضي كلها تقسمها بالقرعة لبني إسرائيل ميراثاً كما أمرتك... جميع الصيدونيين أنا أطردهم أمام بني إسرائيل"<sup>(2)</sup>.

يفهم من النصين السابقين حقيقة مفادها أن مرض الاستيطان الذي تميزت به الشخصية اليهودية عبر التاريخ يقول: "قد بقيت أرض كثيرة جدا للامتلاك"، لذلك فإنه بعد دخول بني إسرائيل أرض كنعان، أصبح الوعد محددًا جغرافيًا من نهر مصر إلى الفرات، فجاءت الوعود مع يشوع كتنفيذ لمشروع أرض الميعاد.

لذا تميزت الوعود مع موسى ويوشع بارتباط الاستيلاء بطرد السكان بأمر إلهي، والذي وصفه مايكل بريوا بأنه استيلاء ملحمي-خاصة مع يوشع- تم وفقا لأحكام الحرب المقدسة<sup>(3)</sup>، فكانت الوعود بهذا المنحى بمثابة بداية التطبيق العملي للمراحل الثلاث السابقة، وكتمهيد للأجيال القادمة لتنفيذ المشروع الصهيوني الاستيطاني بشكل تام.

<sup>(1)</sup>- يشوع 1/4-4.

<sup>(2)</sup> \_ يشوع 13/6-6.

<sup>(3)</sup>- مايكل بريوا، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، " أمريكا اللاتينية، جنوب أفريقية، فلسطين"، ترجمة: أحمد الجمل وزباد مني، ط2، (سورية، قدمس للنشر والتوزيع، 2004)، ص53.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

إن هذا التبرير اليهودي للاستيطان المبني على وعد الله لهم بالأرض، والذي تحدده التوراة في الألف الثاني قبل الميلاد، وكما يذكر غارودي، لم يرد مكتوبا على أبعد حد إلا بعد ألف سنة من تاريخه، أي عهد سليمان عليه السلام<sup>(1)</sup>، يفرض علينا مناقشة مدى استحقاق بني إسرائيل له، فإذا سلمنا جدلا أن الله وعد بني إسرائيل بالأرض، وأن يهود اليوم يطالبون بذلك بناء على ما ورد في كتابهم، فإن ذلك يستوقفنا أمام عدة ملاحظات:

● أن وعد الله للأتبياء مرتبط بنسل الأبرار، وهذا بشهادة ما يؤمنون به من النصوص، منها: "الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد، فم الصديق يلهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه في قلبه"<sup>(2)</sup>.

● أن استمرار الوعد الإلهي لنسل إبراهيم عليه السلام بالأرض، وكذا مباركته، مشروط بطاعته وبالالتزام بوصاياهم، ومن ذلك:

قال الله لإسحق: "وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد... من أجل أن إبراهيم سمع لقولي، وحفظ ما يحفظ لي وأوامري وفرائضي وشرايعي"<sup>(3)</sup>.

وكانت وصية موسى (عليه السلام) لقومه: "يباركك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك. يقيمك الرب لنفسه شعبا مقدسا كما حلف لك، إذا حفظت وصايا الرب إلهك وسلكت في طريقه"<sup>(4)</sup>.

كما ذكرهم بالالتزام بالوصايا وتبليغها لأبنائهم ليتم لهم التمكين والبقاء في الأرض: "قال لهم وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم، لكي توصوا بها أولادكم ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة... وبهذا الأمر تطيلون الأيام على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها"<sup>(5)</sup>.

● التحذير من أن عاقبة من ينقضه هو اللعنة والهلاك والإبادة والطرده، فقد حذرهم:

(1) - روجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ص 10.

(2) - مزمو 31-92/37.

(3) - تك 4/26-5.

(4) - تثنية 8/28-9.

(5) - تثنية 32/46-48.





## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

فكل أمة تتوفر فيها تلك الصفات وتتميز بتلك الخصائص، يتحقق في شأنها الوعد بما تقتضيه سنن الله، وهي السنن الشرطية للتمكين بما يقتضي أن تكون الأمة مهيئة لتحصيل أسباب وراثته الأرض، مع وجود ضمان التوفيق بذلك لهم إن هم أخذوا بتلك الأسباب، والتي أهمها وأوثقها طاعة الله<sup>(1)</sup>، وهو ما لا ينطبق على بني إسرائيل لأنهم لم يأخذوا بأوامر الله والتوراة التي كانوا يؤمنون بها تشهد عليهم بذلك.

ثانيا: أرض الوعد في التعليم الرباني:

### 1. هي أرض إسرائيل:

رغم الإشارات الكثيرة في التلمود إلى الأرض، لكن لا وجود لمصطلح أرض الميعاد، أو الأرض المقدسة، فمن الأسماء الأكثر استعمالا في التلمود، والتلمود البابلي تحديدا في التعريف بها، هو إطلاق "أرض إسرائيل" للتعريف بفلسطين، باعتبارها الأرض الأكثر قداسة<sup>(2)</sup> كما يطلق عليها "أرض" فقط كتعبير عن الأرض المميزة والامتازة، في مقابل ما يعرف باصطلاح "خارج إسرائيل"، ولا يمتنع التلموديون من إطلاق اسم كنعان تحديدا على "أرض فلسطين"، لكن يقدر التلمود أهمية أرض إسرائيل، كونها كما جاء في المدرش، تحوز أعلى قمة على مستوى الأرض فهي مركز الكون، مقارنة بباقي أراضي العالم، كما أن مصدر قداسة أرض إسرائيل، كونها المكان الذي دفن به الآباء<sup>(3)</sup>.

لكن لم يختلف علماء الفكر التلمودي في اعتبار "فلسطين" هي أرض الميعاد التي ستجمع شتات يهود العالم، تمهيدا لحجيء المسيا، أين يكون التطلع إلى الأرض والأمل المسيحي متلازمين، وإلى هذا أشار الحبر يوحانان بقوله: "إن الواحد القدوس تبارك اسمه قال: لن أدخل القدس السماوية حتى يتسنى لي دخول القدس الأرضية" — وحين سئل هل يوجد شيء اسمه القدس السماوية؟ أجاب: "تقف أرجلنا في أبوابك يا أورشاليم" المزمور 3/122<sup>(4)</sup>.

إذا كانت الديانة اليهودية تقوم على الاعتقاد بوجود ميثاق بين الله وشعبه اليهودي "إسرائيل"، كما بينا ذلك سابقا، فإن الحجة على ذلك هي التوراة وأرض إسرائيل الموعود بها إلى الآباء، وإن

(1) \_ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص21.

(2)-Adolphe Neubauer, La geographie du talmud, Mischna, kelim, 1 ; 6(1868, Paris, Michel levy Frere, La Librairie Nouvelle); p7.

(3)-Adolphe Neubauer, La geographie du talmud, medrash. ekha 1 ; 5, p2-3

(4) \_عبد المجيد همو، مفاهيم تلمودية! نظرة اليهود إلى العالم، ط1، دمشق: دار الأوتل للنشر والتوزيع، 2003، ص 171.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الشعب "المختار" بإمكانه أن يخلق مجتمعا مخلصا للتوراة، بشرط أن يتم ذلك على الأرض المختارة، المقدسة، التي تمثل الوسيط الضروري لتحقيق معرفة الله<sup>(1)</sup>.

إذن، فأرض إسرائيل تمثل نقطة ارتكاز في علاقة العهد، وتعمل كوسيط في تلك العلاقة، بحيث يصبح وصف الأرض كميراث إسرائيل يحدد حالة إسرائيل كالابن البكر ليهوه (خر4/22).<sup>(2)</sup> وهذه العقيدة تجعل اليهودي يتوق إلى العودة والعيش بها، بل يعتبر الدفن فيها ميزة خاصة وهدفا لتعجيل الفوز بالآخرة، وتبعاً لهذا الاعتقاد، فقد تم دفن رؤساء المدارس الدينية والشخصيات المرموقة التي سمحت لنفسها بالنفقات المالية وفق ذلك في بيت شعاريم، ولاحقاً في طبريا والجليل، كما تطورت خلال ذلك عقيدة "حلجول همحيلوت"، والتي تحدد بأنه خلال إحياء الموتى ستأتي عظام الصديقين إلى أرض إسرائيل<sup>(3)</sup>.

في أرض إسرائيل المقدسة فقط، يكون الشعب قريباً من الله، أين يكون التجلي الإلهي في مركز هيكل أورشليم، فضلاً عن ذلك فإن معظم قوانين الزراعة، والسوسيوإقتصادية للتوراة، يفرض إتمامها في أرض إسرائيل<sup>(4)</sup>، كما فسر الأحرار تعلق بني إسرائيل بالأرض بما يستلهم التقوى وطاعة الشريعة، وبأن الامتثال للوصايا لا يكتمل إلا على الأرض المقدسة، حيث لا يمكن لبني إسرائيل أن يحققوا كما لهم الروحي الذي كانوا مدعويين لتحقيقه، إلا على الأرض المقدسة<sup>(5)</sup>، لذلك كانت العودة إليها، ذات بعد لاهوتي، فهي تحقق الإتحاد مرة أخرى بين يهوه وشعبه إسرائيل، الذي يسكن الأرض الموعودة.<sup>(6)</sup>

نتيجة تلك العلاقة الكامنة، شكل إضفاء القداسة على الأرض والشعب أساس وجوهر الفكر اليهودي، المؤسس على ارتباط شعب الرب بأرض الرب، "الذي يعتبر الوجود اليهودي خارج الأرض في حالة منفى مستمر، في حين تعد الوطنية الإسرائيلية قمة التدين"<sup>(7)</sup>، والمطالبة بها من هذا الوجه تعد

(1)-jean chevalier (sous la direction) Les religions: les dictionnaires du savoir moderne, (Paris, centre d'étude et de promotion de la lecture, 1972), p ; 523

(2)- ويليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للعهد القديم، ج 2 ص 91.

(3)-شلومو ساند، اختراع أرض إسرائيل، ترجمة: أنطوان شلحت وأسعد الزغبي، د ط، (المملكة الأردنية الهاشمية، الأهلية للنشر والتوزيع، 2014)، ص 125.

(4)-jean chevalier, Ibid, p523.

(5)-من الفكر الصهيوني المعاصر، سلسلة كتب فلسطينية(11)، بيروت، مركز الأبحاث م. ت ف، فبراير 1967، ص 14.

(6)-P. van. Imschoot, theologie de l'ancien testament, t1 p258.

(7)-عبد الوهاب محمد المسيري، اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص 12.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

من الواجبات التي يقوم عليها الإيمان اليهودي.

واستنادا لهذه العقيدة استغرق الحديث عن الأرض معظم علوم الدين اليهودي، حتى نشأ ما يعرف بلاهوت الأرض المقدسة، فليس التاريخ اليهودي بحسب التصور الديني اليهودي، إلا تعبيرا عن "الارتباط بالأرض، وهو تاريخ يلغي الوجود التاريخي لليهود خارج أرض فلسطين، إلا ما كان حينها إليها"<sup>(1)</sup>، فالأرض وفقا لهذا التصور تعد منحة إلهية وميراث أبدي تفضل به الله على شعبه المختار وسيظهر ذلك كحدث تاريخي يتذكره الشعب جيلا بعد جيل، وسيتم اعتبارها في التصور اليهودي بمرتلة الترتيب الإلهي للعالم والكون. حيث "تشكل إحدى البؤر الأخلاقية واللاهوتية لإيمان الشعب"<sup>(2)</sup>.

كما يتميز الشعب اليهودي باسم إسرائيل فقط حينما يتواجد في أرضه، يقول الحاخام يهوذا القلعي: "نحن كشعب، يليق بنا أن نلقب بإسرائيل فقط إذا كنا في أرض إسرائيل"<sup>(3)</sup>، لذلك كانت العودة إليها، ذات بعد لاهوتي، فهي تحقق الاتحاد مرة أخرى بين يهوه وشعبه إسرائيل، الذي يسكن الأرض الموعودة<sup>(4)</sup>، وعلى أساسا ذلك سيكون الاستيطان فيها فريضة دينية، كما يقرر ذلك الحاخام موسى بن نحمان: "إن العيش على أرض إسرائيل يوازي جميع الفرائض في التوراة، فهي عطية الرب لإبراهيم بنص التوراة، تك 6/12، 7"<sup>(5)</sup>.

إن هذا الفضاء المكاني لا يمكن مماثلته بغيره، إذ تتحقق عليه امتيازات خاصة تليق بالشعب المقدس كذلك، وقد جاء في القاموس الموسوعي لليهودية بيان تلك الخصوصية، فأرض إسرائيل هي: "أرض تفيض لبنا وعسلا، ومن أجل شراء بيت على أرض إسرائيل يجوز كتابة العقد حتى ولو كان يوم السبت، وإنه في أرض إسرائيل المقدسة فقط، يمكن للروح اليهودية أن تزدهر وتصبح النور الذي يضيء الكون، إن هواء أرض إسرائيل يجلب الحكمة للإنسان...، أموات أرض إسرائيل هم أول من سيبعث في آخر

(1) - هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية-الإسرائيلية (1948-1988)، ط1، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية) نوفمبر 1991، ص27

(2) - وليم. أي. فانجيميرن، مصدر سابق، ج2 ص90

(3) - أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص10.

(4) - P. van. Imschoot, theologie de l'ancien testament, Ibid, t1, p258

(5) - سمير أحمد معتوق، الأساس الجغرافي للاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية (1967م-1985م)، ط1، (الأردن، عمان، دار البشير، 1413هـ-1992)، ص44.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الزمان، إن جميع دور العبادة في المنفى سيتم نقلها إلى أرض إسرائيل في آخر الزمان"<sup>(1)</sup>. وفي وقت قريب أقرت لجنة علماء اليهود الأمريكية أن: "نصوص الكتاب المقدس التوراة، وخصوصا أسفار الأنبياء"<sup>(2)</sup>، قد بشرت بأن الله سيعيد بني إسرائيل من الشتات إلى القدس إلى أرض إسرائيل، فيحكمون العالم بالعدل والمساواة، بقيادة الحاكم الذي سيكون من نسل داود، الذي وحد إسرائيل قديما، فيحقق الخلاص في نهاية الزمن"<sup>(3)</sup>.

### 2. جغرافية أرض إسرائيل:

بقي التحديد الجغرافي للأرض صعبا نتيجة تغير الحدود وعدم وضوحها، فتحدث المشنا عن الحدود الدينية للأرض وهي حدود الوعود التوراتية، رغم أنها لا تمثل حدود الأرض التي دخلها اليهود، وهي وفقا للترجموم targum: تمتد من القدس شمالا إلى نهر الفرات شرقا، وعن حدود البلد الذي احتله اليهود زمن (المملكة) المعبد الأول، والتي تمتد نحو جبل أمنا - هار ههار<sup>(4)</sup> (جبل الشيخ) كأقصى حد لأرض إسرائيل من الناحية الشمالية إلى الفرات شرقا<sup>(5)</sup>، في حين تعطي التعاليم الربانية وصفا لحدود أوسع مما سبق ذكره، فكل (ما يوجد على تخوم إسرائيل، - يقول الراي يهودا - هو من أرض إسرائيل، فلو وضعنا خط أيمن من كابالاريا (على قمة جبل أمنا) نحو البحر المتوسط، وآخر من نهر مصر (واد العريش)، نحو البحر المتوسط، فكل الجزر الواقعة أيضا ما بين الخطين هي من أرض إسرائيل بما في ذلك جزر المياه)<sup>(6)</sup>.

لذلك يحاول بعض الأحبار تبرير هذا التناقض بقولهم: "إن النصوص التي حددت ملك إسرائيل بفلسطين فقط تعد منحة مخفضة من الله لبني إسرائيل، لكن هذا لا يعني أن هذه الأرض فقط هي حق

(1)-Geoffrey Wigoder, Ibid, p562.

(2) \_ أشعيا 11/11-12 وعاموس 9/14-15.

(3) - روبن فايرستن، ذرية إبراهيم، ص36.

(4) \_ وفي التلمود الأورشليمي في الوثيقة: shebiith,vi,2 يعرف جبل أمنا بأمانوس، وأشار كل من المؤرخ اليهودي استوري فرحي istori farhi في القرن الخامس عشر، وم. بورتير M. porter في كتابه "خمسة سنوات في دمشق" إلى كونه جبل عكار بلبنان. وحدود مهاجري بابل التي أختلف في تحديدها. (موشيه برافر، حدود "أرض إسرائيل" بين الماضي والحاضر: الجوانب السياسية والجغرافية، ترجمة: بدر عقيلي، ط1، (عمان: دار الجليل للدراسات والبحث الفلسطينية، 1990)، ص54.

(5) - Adolphe Neubouer, La geographie du talmude, Ibid, p6-9

(6) - Ibid, p7.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

إسرائيل، فحقهم في الأرض هو أوسع من ذلك بكثير، فالله وعد اليهود وعدا مشروطا، ووعود الله المشروطة لا تلغى أبدا، بل يحتفظ بها لكي تتحقق في المستقبل" (1)، فالأيدولوجية اليهودية توصي بأن الأرض التي كانت في قديم الزمان، إما محكومة من حاكم يهودي كائنا من كان، أو موعودة لليهود من الله في التوراة، أو بحسب تفسير حاخامي للتوراة والتلمود- وهو الأهم سياسيا في الواقع- فإن هذه الأرض يجب أن تعود لإسرائيل بما أنها دولة يهودية (2).

كما يتم تفسير الحدود بمرونة خاصة، حيث يتم الربط بين مساحة الأرض وبين كثافة القوى البشرية لإسرائيل، حيث يحددها مع مراعاة إضفاء مرونة كبيرة على المطالب الإقليمية اليهودية: (أرض إسرائيل لا تسمى جميلة كالغزال دون سبب، بل لأنها حين تسكن تمتد كجلد الغزال، وإذا هجرت فإنها تنكمش... (3))، فالتصور التلمودي لحدود الأرض يتفق تماما مع الرؤيا الصهيونية الداعية إلى إمكانية تجميع اليهود من منافعهم، دون حساب لضيق الأرض أو وسعها بربط التلمود موضوع حجم الرقعة المطلوب الاستيلاء عليها، وبين حجم القوى البشرية لإسرائيل، مع الإشارة إلى ضرورة إجراء التوسع الإقليمي بشكل تدريجي بما يتمشى وتزايد السكان اليهود، حتى أنه قد شبه حدود إسرائيل بجلد الغزال الذي لديه المرونة للاتساع بحيث يمكنه أن يستوعب لحمه وعظامه. (4)

انطلاقا من هذا المفهوم، كان الحد الأقصى لحدود أرض إسرائيل كما يراه الأحبار يشمل في جهات فلسطين الأربعة المشار إليها في نصوص المقرء، كحدود حقيقة، في حين تضيف بعض القراءات التلمودية الجزر التي تنتمي إلى حدود فلسطين (5).

وعموما فإن حدود أرض إسرائيل على ما يبدو لنا لن تتوقف عند هذا الحد، فلأرض الميعاد بحسب التصور الصهيوني حدودها المستقبلية.

(1)-وثائق القضية الفلسطينية، ج1، ص 290 نقلا عن (سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ط2، القاهرة، دار الصفا، 1410هـ-1990)، ص300

(2)-إسرائيل شاحك، تاريخ الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ترجمة: رضى سلمان، تقديم: إدوارد سعيد، ط4، بيروت، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 1997)، ص 28-29.

(3)-س ليفي، كنوز التلمود، ص102-103.

(4)-عادل محمود رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، د ط، (بيروت، دار النهضة العربية، 1989)، ص21.

(5)-Adolphe Neubouer, La geographie du Talmud, Ibid, p 7.



المطلب الثاني: أرض الميعاد في الأدبيات الصهيونية:

أولاً: مفهوم أرض الميعاد في الفكر الصهيوني:

1. لاهوت وقداسة الأرض:

إنطلاقاً من مفهوم الميثاق القائم بين الإله وشعبه تأسست النظرة الصهيونية للأرض، ذلك لأن أسفار التوراة كما يعتقد المفكرون الصهاينة، تعكس الصلة بين الشعب والأرض، وتتجلى هذه الصورة في نصوص الوعد، حيث اعتبر اختيار إبراهيم - كجد للشعب اليهودي - مسبقاً من الناحية اللاهوتية باختيار الأرض، وهو ما سيميز به الوجدان اليهودي التاريخي خلال كل العصور<sup>(1)</sup>. أي أن الوعود الممنوحة لإبراهيم تشكل مصدراً لباقي الوعود بعده.

ويربط الصهاينة بين اختيار الشعب واختيار الأرض، حيث يتأكد أنه إذا كان هنالك من شعب مختار، فثمة أرض مختارة (أو أرض معاد)، ومما يعتقده اليهود، أنه إذا لم يكن اليهود مجرد فئة من الأفراد يشتركون في معتقداتهم، بل شعباً له وجدانه التاريخي، فإن الصلة بالأرض المختارة كما يقول ر. ج. زفي فيربلوفسكي -؛ هي جزء من معطيات وجدانهم التاريخي المباشرة ومن هويتهم الدينية القومية<sup>(2)</sup>.

في هذا السياق تعرف أرض الميعاد في الاصطلاح الصهيوني باسم "إرتس يسرائيل ארץ ישראל" - ذات المدلول الديني، مقابل "إرتس هعميم"، "أرض الشعوب الأخرى" التي يقرر الحاخامات نجاستها ونجاسة هوائها وشعوبها، وهو مصطلح يستخدم للإشارة إلى أرض فلسطين وماحولها، قبل وبعد الهجرة الصهيونية، بل يمنع لغويًا ودينيًا استخدام مصطلح فلسطين، وهو إطلاق يتفق والتصوير اليهودي الذي يرى أنه لا وجود لهذه الأرض، إلا بالإشارة لليهود والتاريخ اليهودي<sup>(3)</sup> كما توصف أرض الميعاد بصفات دينية، كونها أرض الرب ومقامه وسكناه<sup>(4)</sup>، "وهي الأرض المقدسة"<sup>(5)</sup>.

(1) - من الفكر الصهيوني المعاصر، سلسلة كتب فلسطينية (11)، بيروت، مركز الأبحاث م. ت ف، فبراير 1967، ص 17.

(2) - الرجوع نفسه، ص 14.

(3) - عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص 64.

(4) - يوشع 3/9.

(5) - زك 12/2.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

بالنسبة لمفهوم قدسية أرض الميعاد فيجعلها أندري شورافي اليهودي الفرنسي في كتابه "تاريخ اليهودية"، من خلال وصفه العلاقة بين الإله والشعب والأرض في إطار زواج مقدس، فيقول: "وتتميز اليهودية بالزواج بين الإله هو إله سيناء، وشعب إسرائيل، وأرض هي الأرض المقدسة، إن تاريخ اليهودية هو تاريخ ثلوث، والرسالة هنا، لا يمكن فصلها عن الشعب الذي يتسلمها، وهذا الشعب لا يمكن تصوره، إلا بالعلاقة بأرضه، هذا التحالف الثلاثي قهري وإجباري، بقدر ما هو غير قابل للانفصام"<sup>(1)</sup>.

إن اكتمال مفهوم هذه القداسة مرهون بعودة الشعب اليهودي إليها، فالفلسطينيون لا يملكون من القداسة ما يؤهلهم للبقاء في الأرض، لذلك ليس من حقهم البقاء، وهو ما أمكن منحهم أن يتحدث عن عدم التنازل عن أي جزء من الأرض، كذلك أمكن الصهيونية أن تصر على استقطاع سكان الأرض وإبعادهم، وفي المقابل يتم تبرير الاحتلال على أنه استقلال لإسرائيل<sup>(2)</sup>.

### 2. أرض إسرائيل بدلا عن أرض فلسطين؟

استخدمت الدراسات الأكاديمية الإسرائيلية والغربية في العصر الحديث، على خطى الفكر الصهيوني، التعبيرات التوراتية لمنطقة فلسطين، وما يحيط بها - طمسا لتاريخها وهوية شعبها - كما كان للدراسات التوراتية دور في تكريس حق العودة إلى أرض الرب، من خلال إطلاق تعبيرات كثيرة للدلالة على أرض الميعاد كمصطلح إريئتس إسرائيل، أرض إسرائيل التوراتية، إسرائيل الكبرى، أرض إسرائيل الكاملة، أرض الميعاد، أرض الرب، أرض التوراة، الأرض المقدسة<sup>(3)</sup>.

كما يتم أحيانا إطلاق اسم فلسطين مع تجريدتها من ماضيها، إذ ليس لها أي معنى جوهري، بل تستعمل للتعبير عن الخلفية الأساسية لفهم التطور الديني للأرض المقدسة، حيث يؤخذ تاريخها على أنه تاريخ إسرائيل<sup>(4)</sup>. إذ لم تجد الدوائر الصهيونية مانعا من ممارسة التهديد والضغط للوقوف ضد أي محاولة موضوعية في كتابة التاريخ الفلسطيني، من خلال سيطرتها على أقسام التاريخ في الجامعات الغربية،

(1) -محمد هلال، الإسرائييل، ط1، (عمان، دار البشير - بيروت، مؤسسة الرسالة، 1417هـ-1997)، ص 105.

(2) -عبد الستار الراوي، الفكر الفلسفي اليهودي، ص 87.

(3) -عمر أمين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون وسياسة التوسع، ص 4.

(4) - كيت وايتلام، اختلاق إسرائيل القديمة "إسكات التاريخ الفلسطيني"، ترجمة: سحر الهندي، مراجعة: فؤاد زكرياء، عالم المعرفة (249)، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سبتمبر 1999، ص 75-76).

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

وتوجيهها بما يتوافق وأهداف الرؤية الصهيونية في كتابة تاريخ فلسطين، مما أدى إلى أسرلة التاريخ، وإعادة كتابة التاريخ الفلسطيني<sup>(1)</sup>.

فضلا عن ذلك شكلت الدراسات الأثرية ركيزة البحث في مسألة تثبيت المزاعم الصهيونية بأرض فلسطين، ففي الوقت الذي ربطت الدول الغربية أطماعها السياسية والاقتصادية في المنطقة بغاية دينية تتمثل في إثبات ما جاء في التوراة، وظفتها الصهيونية بناء على حلم اليهود في العودة إلى أرض الميعاد لتحقيق مكسب سياسي يتمثل في إقامة دولة يهودية/صهيونية في فلسطين<sup>(2)</sup>، فكان منهج البحث في الآثار والتاريخ، موجهها لكل من يؤرخ لأرض فلسطين أو بلاد الشام، وانصب اهتمام الأثرين الصهاينة -ومن يدور في فلكتهم- في تقديم وثائق من التنقيبات الأثرية التي أصبحت تأخذا حيزا هاما من الثقافة الصهيونية، وخلق الوعي بقومية الشعب وصلته الدينية بأرضه<sup>(3)</sup>.

كان الهدف من ذلك هو إثبات أمرين: فلسطين هي أرض الميعاد التي وعد الله بها الشعب اليهودي، ووجود كيان يهودي قديم يحق للحاضر أن يوصله، في مقابل طمس التاريخ الفلسطيني واعتباره فرعا صغيرا من الدراسات التي هيمنت عليها الدراسات التاريخية المستوحاة من التوراة، وكذا البحوث الأثرية المتعلقة بإسرائيل القديمة، ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي لم يؤخذ التاريخ الفلسطيني عمليا، إلا كخلفية لتواريخ إسرائيل ويهوذا<sup>(4)</sup>.

ويؤكد الباحث اليهودي شلومو ساند في نقده لتاريخية مصطلح "أرض إسرائيل" أنه تم استخدامه كأداة توجيه للمتخيل الجغرافي الاستيطاني الصهيوني، على مستوى الوثائق التعليمية، ككتب التدريس والأطروحات الجامعية، وكذا المدونات الأدبية، والسياسية، وكشفرة خطابية تتضمن فضاءات الإنتاج الثقافي، وسائر الحساسيات السياسية الصهيونية، حيث استُخدم مصطلح أرض إسرائيل في اللغة العبرية المعاصرة كصفة لكيثونة الأرض الإسرائيلية، شعر الأرض الإسرائيلية، مناظر الطبيعة للأرض الإسرائيلية،

(1)-Amnon Raz-Krakotzkin, Exil et Souveraineté (Judaïsme, sionisme et pensée binationale) Préface de Carlo Ginzburg, Traduit de L'hebreu par Catherine Neuve-Eglise, Paris, la fabrique edition, 2007, p103

(2)- سهيلة سليمان الشلي، وشادية حسن العدوان، المسوحات والتنقيبات الأثرية في فلسطين والوعي لأبعادها منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى، مقال منشور بالجلد الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 5، العدد 4، السنة 2011، ص 19.

(3)-Amnon Raz-Krakotzkin, ibid, p104.

(4)- كيث وايتلام، اختلاق إسرائيل القديمة، ص 25.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

واستعمال أرض إسرائيل ما قبل التاريخ، وأرض إسرائيل، كما تم بشكل ممنهج تغيير اسم فلسطين "بلسطينا" بـ "أرض إسرائيل" — وحتى في الكتابات الصهيونية السابقة مثل هرتزل ونوردو، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤرخين الأركولوجيين المؤيدين للصهيونية مثل ألبرايت<sup>(1)</sup>.

خلال دراسته لنصوص التناخ، أكد على عدم تاريخية المصطلح، كما أكد على أن الاسم الذي ظل مستخدماً في جميع أسفار التناخ، هو الاسم الفرعوني "أرض كنعان"، مشيراً إلى أن استعمال "أرض إسرائيل" في التقاليد اليهودية للتعبير عن "أرض مقدسة" و"أرض كنعان" و"أرض صهيون" أو "أرض بهية"، كان من الناحية اللاهوتية اختراعاً مسيحياً ربانياً في وقت متأخر — وليس بأي حال سياسي — لأول مرة قبل نهاية القرن الأول الميلادي، ولم تعتبر حينئذ المنطقة كأرض إسرائيل لا من حيث اللغة، ولا في نظر جيرانها<sup>(2)</sup>، مستدلاً بما ورد في العهد الجديد، الذي يفضل في معظم فقراته استخدام "أرض يهودا"<sup>(3)</sup>.

ويرجح ساند استعمال أرض فلسطين أو الأرض المقدسة، لأن استعمال عبارة "أرض إسرائيل" من وجهة نظره يعطي على نحو كامل طبيعة الصلة وسمتها بين الشعب اليهودي والأرض، وهو ما لا واقع له في النصوص التوراتية "الأرض التي أعطاكها" أو "الأرض التي وعد الله بها آباءك" بل وجدت في النتاج المحامي القديم... ويضيف جازماً بأن أول ظهور لاستخدام المصطلح "أرض إسرائيل"، في أدبيات "الأخبار" في المشنا والتلمود، يرجع إلى ما بعد خراب الهيكل، حيث تم التركيز عليه خاصة مع بداية القرن الثاني الميلادي وتحديدًا بعد إطلاق الرومان اسم فلسطين على الأرض<sup>(4)</sup>.

مما سبق بيانه يتبين أن الاستخدام الصهيوني للإطلاق "أرض إسرائيل" على فلسطين كان بهدف توظيفه كاسم ملكية خاصة للمكان وكاصطلاح قومي، وكان جزءاً من شروع من عبرة أسماء مناطق البلاد وهذه المفاهيم مثلت أمام الوعي اليهودي منبعاً للارتباط بالأرض والتمسك.

### 3. التلازم بين الأرض والشعب اليهودي:

إن الارتباط بالأرض في نظر زعماء الفكر الصهيوني، هو ارتباط جوهري وعميق، لم تنقطع

(1) - شلومو ساند، إختراع أرض إسرائيل، ص 41-42.

(2) - المرجع نفسه، ص 45.

(3) - مرقس 5/1، يوحنا 22/3، و 1/7، اعمال الرسل 20/26، رسالة بولس الى اهل رومية 31/15.

(4) - شلومو ساند، إختراع أرض إسرائيل، ص 46.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

أواصره عبر التاريخ، بل هو من المسلمات التي لا تقبل أي جدل حول واقعيتها، كما أن الشعب اليهودي وعى وجوده كشعب طيلة العهد - كما يشير إلى ذلك المفكر الصهيوني ر. ج. ز. فيرلوفسكي\* - كواقعة ثابتة من وقائع الحضارة اليهودية، وهذا الوجدان التاريخي احتوى عنصرا جوهريا هو الصلة ببلد معين... ، ومهما كانت العلاقة بين مصير هذا الشعب وأمانته لمبدئه الديني، فإن اليهود ظلوا، دونما شك، يعون خصوصيتهم وأصالتهم... وكانت المرحلة الحديثة من التعبير الحالي عن الوجدان التاريخي التقليدي، لا تختلف عن مثلتها في القرنين التاسع عشر والعشرين، إلا بالمعنى الذي تختلف القومية الحديثة فيه عن سائر أشكال الوجدان الوطني السابقة<sup>(1)</sup>.

لذلك يتفادى اليهود استعمال اسم فلسطين، لاعتقادهم أنه يلغي الوجود والتاريخ اليهوديين، في حين يعد استعمال "إرتس إسرائيل"، تأكيدا على الوجود السابق لهم في الأرض، فهترزل مثلا فضل إطلاق اسم "أرض إسرائيل" بدل "فلسطين" في كتاب دعوته لانعقاد "مؤتمر بال"، "حرصا منه على تأكيد انتماء الأرض إلى ما يعتبرونهم أجدادهم من أبناء يعقوب أو بنو إسرائيل"<sup>(2)</sup>.

هذا ويتجلى توظيف الفكرة الدينية ذاتها في فكر بن غوريون حيث مزج بين الدين والسياسة والقومية، في وصفه لخصوصية وحدة الشعب اليهودي، وربط تلك الخصوصية بالعلاقة الأبدية بأرضه.

يقول بن غوريون: "إننا أمة صغيرة لها روح عظيمة، وشعبنا كان يؤمن بأن عليه أن يؤدي رسالته الرائدة للعالم أجمع، تلك الرسالة التي بشر بها جميع أنبياء بني إسرائيل. أعطى هذا الشعب للعالم حقائق ووصايا أزلية أخلاقية عظيمة... هذه الأرض الصغيرة، فريدة كذلك، .. ، لقد استطاع الشعب اليهودي أن يحفظ قيمه وآماله المتنبأ له بها، ... ، لقد تطلب حفظ استقلالنا السياسي والقومي والثقافي والأخلاقي جهودا بطولية"<sup>(3)</sup>، ويؤكد بن غوريون أن هذه العلاقة "الأسطورة" التي وصلت الشعب اليهودي بأرضه، تمتد جذورها نحو المستقبل، .. رغم الانفصال الطويل للشعب عن الأرض في المنفى، فقد احتفظت فكرة الوعد، منذ الولادة وحتى بعد ألف عام من المنفى، بما يكفي من الحيوية، بما يتيح لها

(1)-من الفكر الصهيوني المعاصر، ص 12-13.

(2)-أبراهام مالمات وحييم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشفات الأثرية، ص 20.

(3)-أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص 474-475.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

أن تكون عاملا تاريخيا ديناميكيا<sup>(1)</sup>.

كما يقرر ذلك الفيلسوف اليهودي يهوذا بن غالب: " لما كانت الشريعة اليهودية تنص على أن أرض فلسطين لا يمكن أن تصبح ملكا للغرباء، فإن وجود العرب منذ الفتح الإسلامي، لا يمنحهم حق السيادة عليها، لأن اليهود هم فقط المالك الشرعي لها بحكم الوعد الإلهي"<sup>(2)</sup>، أما الفلسطينيون ليسوا إلا مستأجرين غير شرعيين لها في غيبة أصحابها، بل هم مصدر تهديد لعملية الانبعاث والخلاص اليهودي<sup>(3)</sup>. أي أن المسألة، وفقا للرؤيا الصهيونية، هو مسألة تلازم بين الأرض والشعب، تلازما يلغي وجود الآخر. انطلاقا من هذا الاعتقاد يؤسس الفكر الصهيوني لعلاقة اليهود بالأرض، كظاهرة فريدة من نوعها، فهي كما يؤكد شموئيل اتينغر، واحدة من أغرب الظواهر في تاريخ الشعب اليهودي الطويل، وهي فريدة من نوعها فحساسيته التاريخية الحادة ومحافظة الأمانة على تراث الأقدمين، أتاحت أن يكون وجدانا قوميا عميقا، عبرت عنه التوراة قبل سواها... ، وأما أرض إسرائيل فهي محور من محاوره، زادت أهميته مع تجمع اليهود في المنفى، مذ ذلك لم يفك التعلق بهذا البلد."<sup>(4)</sup>

القول إنما سبق يمكن إن مشروع بناء الوطن اليهودي والتوسع الاستيطاني كان يسير يدا بيد مع الاستعمال الصهيوني لاسطورة الحق الديني والتوق إلى الأرض انطلاقا من الإيمان اليهودي بوجود علاقة تلازم بين الشعب اليهودي والأرض.

### 4. العودة ونفي المنفى:

يراد بالعودة في الفكر الصهيوني العودة الجماعية، كما يسميها يهودا القلعي: "إن إسرائيل كلها يجب أن تعود إلى الأرض التي هي إرث آبائنا، لاستلام الأمر الإلهي ولقبول نير السماء. وقد تنبأ بهذه العودة الجماعية كل الأنبياء، وبالرغم من عدم استحقاقنا، فالسماء ستساعدنا من أجل أسلافنا المقدسين"<sup>(5)</sup>.

(1)-من الفكر الصهيوني المعاصر، ص 20.

(2)-محمد إسماعيل علي السيد، مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين، ص 64

(3)-مايكل برياء، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، ص 238.

(4)-من الفكر الصهيوني المعاصر ص 33.

(5)-أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية ص 11.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ووفقا للعلاقة التلازمية بين كينونة الشعب المقدس واستمراره وقدسيتها الأرض، ربطت الصهيونية بين الأرض والدين، بما يقتضي إقامة دولة لليهود كحق ثابت بتفويض إلهي، بما يحقق النهضة الدينية للشعب اليهودي.

فقد أشار وزير للشؤون الدينية في إسرائيل، **الحاخام هاكوهين فيشمان ميمون\*** في كتاب أصدره سنة 1937 إلى أن إن الرباط بين إسرائيل وأراضيها هو رباط قائم بين الشعب اليهودي وبلاده، يشدهما رباط سمواي أبدي، إنه رباط أزلي. <sup>(1)</sup>، وبهذا المفهوم أضحت العودة إلى الأرض الموعودة، عودة إلى التاريخ اليهودي، باعتبار أن المنفى خارج الأرض نهاية للتاريخ الذي أقصوا منه، وانبعثا للاهوته من جديد <sup>(2)</sup>. فاليهودي خارج أرض إسرائيل يكون في حالة من المنفى بل خارج التاريخ زمانيا، في مقابل ذلك يتم تصور الأرض خالية وخرابة من غير وجوده.

اعتبر **أمنون كراز كروتسكين** هذه المفاهيم من أبرز محركات المشروع الصهيوني "كتعبير -بحسب الفهم الصهيوني السائد الذي أنكر أي قيمة لتواريخ اليهود خلال الحقبة المنفوية- عن العودة إلى الأصل وهي تحديدا العودة إلى ما تم تصوره، كجذر للوجود القومي والثقافي اليهودي الأصيل، والتي تهدف إلى تحويل اليهود من حالة الشتات إلى حالة يكونون فيها حاملا قوميا ذا سيادة"<sup>(3)</sup>، وهي سيادة كما يبدو ترتبط بعقيدة الاختيار وبالذور الرسالي للشعب المختار حيث يمكن إنجازها إلا في الأرض المقدسة، بناء على الوعد الإلهي.

يطرح تساؤلنا: هل العلاقة بالأرض، بغض النظر عن طبيعتها أو مدى صحتها، تعتبر فعلا سندا للصهيونية في تبرير مشروعها الاستعماري وإقامة الوطن القومي في فلسطين.

### ثانيا: حدود أرض الميعاد في الفكر الصهيوني

سبق وأن وضعنا أن نصوص الوعود لم ترسم حدودا معينة لما يعرف بـ "أرض إسرائيل"، ففي الوقت الذي عينت حدودها في سفر التكوين (لنسلك اعطي هذه الأرض من همر مصر إلى النهر الكبير

(1) - أسعد رزوق، الدولة والدين في إسرائيل، دراسات فلسطينية (37)، بيروت، مركز الأبحاث م. ت. ف، سبتمبر 1968، ص 37-38  
(2) - Amnon Raz-Krakotzkin, Ibid, p41.

(3) - أمنون راز كروتسكين، المنفى والتاريخ، و"قومنة الذاكرة اليهودية"، تأملات في العودة إلى التاريخ كفكرة صهيونية، مجلة قضايا إسرائيلية، 20، أوت 2014 العدد 54، ص 75.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

نهر الفرات) تك18/15، اختلفت هذه الحدود مع ما ورد في السفر نفسه لتصير (كل أرض كنعان ملكا أبديا)18/17، كما لم تقدم الحركة الصهيونية أيضا، حدودا ثابتة لهذه الأرض<sup>(1)</sup>.

إن الحدود الفعلية لأرض إسرائيل في نصوص الوعود بمراحلها الثلاث لم تكن ثابتة، فقد توسعت خريطة أرض الميعاد الى أبعد الحدود -بعد أن كانت مقتصرة على أرض الكنعانيين، لتشمل لبنان، وقسما من سورية، ومصر، والعراق، بل تغيرت، وتوسعت، وتقلصت في فترات مختلفة، كما افتقرت النصوص السابقة تماما إلى التحديد الدقيق، ولو في وصية واحدة تتصل بحدود أرض إسرائيل، وليس فيها حكم واحد يفرض حدودا محددة خاصة، وحدودا معينة أخرى، لكنها إجمالا، تتجاوز إلى مصر، وفلسطين، وشرقي الأردن، والعراق، وسوريا، ولبنان، وأما الشعوب التي تقطنها فلا حق لها في البقاء، إذ تنبغي إبادة ذلك بتفويض إلهي لشعبه.

هذا التناقض الذي وقعت فيه نصوص الوعد السابقة أدى إلى كثيرا من الجدل بين اليهود حول الصيغ التي أوردتها النصوص فيما يتعلق بـ "أرض الميعاد" وحدودها، كما أدى ذلك إلى الاختلاف فيما بينهم حول أرض الميعاد، بين أن تكون فلسطين فحسب أو أنها تمتد من النيل إلى الفرات.

فيرى باحثون اليهود من أمثال "حاييم بار دروما" أن حدود الأرض الموعودة في التوراة هي حدود واحدة، لكن الاختلاف يتأتى من حيث استخدام مسميات الحدود الجغرافية الطبيعية، ويظهر هذا جليا في تلك الحدود، التي وردت بسفر حزقيال الإصحاح 47 الفقرات 13 - 20 الذي يعد متأخرا بعد تلك النصوص الأولى بحوالي 1000 سنة. لمرور زمن كبير بينها وبين الوصف الأول الذي كان في زمن إبراهيم<sup>(2)</sup>، ويذكر حزقيال حدود تلك الأرض بقوله: "من نهر مصر وحتى نهر الفرات، من البحر وحتى نهر الأردن"<sup>(3)</sup>.

(1)-هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية-الإسرائيلية، ص27.

(2)-حزقيال قويمان تاريخ العقيدة الإسرائيلية، إصدار مؤسسة بيبليق بواسطة دبير، اورشليم. تل ابيب 1965، المجلد الرابع، ص92(يخزقال كويمان، تولדות האמונה הישראלית מימי קדם עד טוף בית שני הוצאד מוטד ביאליك על-ידי دبיר. يروشليم. 1965، كרך ربيع، عم 92

(3)-حزقيال قويمان، المصدر السابق، ص92.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

في شرحه لسياسة التوسع الاستعمارية، التي تنتهجها إسرائيل في فلسطين، انطلاقاً من الأيديولوجية اليهودية، يقول شاحك" فالإيديولوجية اليهودية توصي بأن الأرض التي كانت في قديم الزمان، أما حكومة من حاكم يهودي كائناً من كان، أو موعودة لليهود من الله في التوراة، أو بحسب تفسير حاخامي للتوراة والتلمود- وهو الأهم سياسياً في الواقع- فإن هذه الأرض يجب أن تعود لإسرائيل بما أنها دولة يهودية... ويضيف" أي انه يجري إقناع الحكام العرب او الشعوب العربية، بالتنازل عن الأرض موضوع البحث، لقاء منافع تنعم بها عليهم الدولة اليهودية حينذاك."<sup>(1)</sup>.

لذلك يؤكد اليهود على كون الحدود الدينية لإسرائيل تتمثل في الحدود التوراتية، وهي نهر النيل والفرات، وتمتد إلى طول الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، متجهة حتى صحراء سوريا شرقاً، ومن نهر الفرات شمالاً حتى حوض النيل في الجنوب الغربي<sup>(2)</sup>.

وفي حديث هرتزل، ليس للدولة اليهودية حدوداً واضحة ومحددة من الناحية الجغرافية، فهي ظاهرياً "أرض إسرائيل الكبرى"، بموجب الوعد الإلهي، ولكن لم تجر الإشارة إلى حدود معينة، كما هو الحال بالنسبة لأي كيان سياسي فهي في حالة توسع بحسب الاستراتيجية الإسرائيلية، يقول هرتزل: "نحن لا نتصرف كدولة سيادية فخورة، لها حدود آمنة ومعترف بها، وإنما نسعى طوال الوقت إلى توسيع هذه الحدود عبر صراعات وحروب لا نهاية لها"<sup>(3)</sup>.

وفي سنة 1941 بعد إعلان وايزمن عن إمكانية قيام كمنولث يهودي، جنباً إلى جنب مع اتحاد عربي يضم البلدان العربية، في الوقت نفسه صرح ناحوم غولدمان، رئيس اللجنة الإدارية للمؤتمر اليهودي العالمي، معرفاً بالحدود المقترحة للدولة أو الكومنولث اليهودي، بأنها تشمل فلسطين بأكملها، مع المطالبة بتمدد النشاط إلى شرق الأردن، حتى ولو كان وضع الأردن مختلفاً عن وضع فلسطين<sup>(4)</sup>.

(1)- إسرائيل شاحك، تاريخ الديانة اليهودي وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ص 28-29.

(2)- موشيه برافر، حدود "أرض إسرائيل" بين الماضي والحاضر: الجوانب السياسية والجغرافية، ص 51-52.

(3)- دان ياهف، الأرض القديمة الجديدة، قضايا إسرائيلية، العدد 13، شتاء 2004، ص 35.

(4)- حسن صبري الخولي، فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والاستعمار، الجمهورية العربية المتحدة، د ط، (مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، 1968)، ص 23-24.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

وهكذا، نجد أن للمبررات السياسية أيضا جانب من تفسير عدم الاتفاق على حدود معينة لإسرائيل، فلأن الصراع مستمر بين العرب من أجل الأرض، فليس هناك اتفاق على حدود الدولة (حد أقصى، أو أدنى). لذا فإن الحدود الأولى من وجهة نظر قادة الصهيونية، إنما هي مرحلة انتقالية.

إن طبيعة الحدود كما تراها الصهيونية، تتغير على مر التاريخ، تبعا لتغير للمنظومة السياسية، وهذا يعني أنها لا تزال في حال تمدد وتوسع، ولعل هذه السياسة التوسعية أكدتها مقولة بن غورين في مقدمة الكتاب السنوي لإسرائيل سنة 1952، والتي جاء فيها: "إن دولة إسرائيل قامت فوق جزء من أرض إسرائيل"<sup>(1)</sup>، وهو ما تقوم السياسة الصهيونية بالترويج له باستمرار على مستوى غير محدود، يذكر إسرائيل شاحك: "إنه يجري التداول اليوم بعدد من الصيغ المتباينة لحدود أرض إسرائيل القديمة التوراتية، التي تفسرها مراجع حاخامية، كحدود تعود في الوضع المثالي للدولة اليهودية، والصيغة الأبعد أثرا، تشمل ضمن هذه الحدود، كامل سيناء، وجزءا من شمال مصر، حتى ضواحي القاهرة في الجنوب، كامل الأردن، وجزءا كبيرا من السعودية، كامل الكويت، وجزءا من العراق جنوب الفرات في الشرق، كامل لبنان وسوريا، مع جزء كبير من تركيا حتى بحيرة فان في الشمال، وقبرص في الغرب، وتنتشر في إسرائيل، وغالبا بمعونات مالية من الدولة، أو بأشكال أخرى من الدعم، كمية كبيرة من الأبحاث والمناقشات الثقافية، القائمة على أساس هذه الحدود المشمولة في الأطالس والكتب والمقالات، وفي أشكال أكثر من أشكال الدعاية"<sup>(2)</sup>.

وتظل حدود إسرائيل في حالة تغير مستمر، فرغم أن الحدود الممنوحة بحسب الوعود السابقة - مع تضاربها - تبدو شبه ثابتة، فإن إسرائيل استغلت التغيرات السياسية، بل توسعت تدريجيا بحجة حفظ الأمن الاقتصادي والديمقراطي الإسرائيليين، فقد صرح بن غوريون قائلا: "ستنشأ في المستقبل ظروف، وعلينا أن نستغل الظروف لتوسيع حدود الدولة، وإذا لم تنشأ هذه الظروف تلقائيا، فعلينا أن نصنعها بأنفسنا."<sup>(3)</sup>

يبدو لنا أن رؤيا بن غوريون تتوافق تماما مع ما صرح به رعانان فايتس رئيس قسم الاستيطان في

(1)- عبد الوهاب مسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج7، ص317.

(2)- إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ص29.

(3)- عبير سهام مهدي، أرض المعاد في الفكر الإسرائيلي المعاصر، ص201.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الوكالة اليهودية حينما قال: "إن مخططي الاستيطان الصهيوني عملوا على أساس أن حدود المستقبل للدولة اليهودية يجب أن تعين من خلال أنظمة من المستوطنات السكانية، تبدأ كنقاط استيطانية وتأخذ بالتوسع لأكثر مساحة من الأرض وجمع أكبر عدد من يهود العالم وتركيزهم على "إسرائيل" من خلال عملية انقلاب ديموجرافي يحل محل خلاها اليهود محل المواطنين العرب"<sup>(1)</sup>.

بمعنى أن إسرائيل وفق نظرية الحدود الإسرائيلية الآمنة، تعتمد هذا التوسع التدريجي بالحجج السابقة، تحت ستار العودة إلى أرض الميعاد، من خلال خلق رابطة متينة بين الوجود السياسي لما يعرف بـ "دولة إسرائيل"، وبين العقيدة الدينية، بشكل عنصري لم ترق إليه أية نظرية عنصرية في التاريخ البشري، وهو ما يفسر رفضها لإعلان حدود رسمية لها، بما يتعارض مع كل القواعد الدولية المعاصرة<sup>(2)</sup>.

بإمكاننا القول؛ أن الوضع المتناقض للنصوص أفاد كثيرا السياسية الصهيونية، وكان سببا في عدم تحديد جغرافية أرض الميعاد، بل وابتلاع حدود أوسع، وهذا التمدد في التوسع اللامشروع باحتلال الأرض بذرائع دينية وتاريخية مزعومة يجعل إسرائيل بمثابة كيان متحرك.

### المطلب الثالث: نقد ادعاء التوق إلى الأرض:

#### أولا: الصهيونية والرفض اليهودي للهجرة:

لقد نجحت الصهيونية في جمع الزعامات الدينية حولها، وتمكنت من تحويل الفكرة الدينية إلى واقع سياسي يرتبط بالتاريخ اليهودي، حيث قامت بتوظيف قيم اليهودية ورموزها بغرض توحيد الجماعات اليهودية عبر إيجاد مجموعة من القيم والمعتقدات المشتركة، وحتى بالنسبة لأولئك الذين لم يعلنوا تمردا صريحا ضد التوراة، كان هدف شعار الهوية القومية، يرمي إلى طرح بديل عن نموذج الانتماء المعتمد، روتينيا، منذ خراب الهيكل الثاني، انتماء يتحقق من خلال الالتزام التام بنمط الحياة الديني<sup>(3)</sup>.

بالنسبة للاعتبار المتمثل في دعوى الحنين والارتباط بالأرض، فزعماء الصهيونية ولدوا وتربوا هم

(1) -عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج7، ص317.

(2) -عدنان السيد حسين، التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية، ط1، (بيروت: دار النفائس، 1410هـ-1989م)، ص27.

(3) -هليل بن ساسون، الصهيونية الدين والمسيانية التي بينهما، جبل الهيكل الحرم القدسي كحالة قصوى، مجلة قضايا إسرائيلية، العدد، 63 نوفمبر 2016، ص52.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

وأجدادهم في أوروبا الشرقية، ولم يربطهم بفلسطين شيئا ولم يعرفوها يوما<sup>(1)</sup>، أما العلاقة التي ربطت اليهود بالأرض روحيا، ولم تغب عنهم منذ السبي البابلي، ظلت مستمرة، ثم ازادت حدتها خاصة بعد الشتات النهائي، أي بعد أن فقد اليهود صلتهم بالمعبد، كما هو في المزمور 5/137.

والجدير بالذكر، أن اليهود قديما قبل وبعد أن وعد يعقوب بالأرض بحسب النص التوراتي، تركوا كنعان وهاجروا إلى مصر، ومكثوا هناك ما يزيد على أربعة أجيال، وحتى بعد قيام المملكة، وقبل السبي البابلي، عادوا إلى الهجرة خارجها<sup>(2)</sup>، وقد ظل اليهودي -مثلما كان الآباء الأوائل- كما يذكر يهوشوع يحمل في داخله صفة الهجرة والتروح<sup>(3)</sup>، وفي بابل فضل غالبية المسيبين الاستقرار -خاصة بعد أن أصبحوا من الأثرياء- مع من وجدوهم من اليهود القدماء، حينما سمح لهم بالعودة إلى أرض فلسطين، وعدم المجازفة بمغامرة مجهولة المصير<sup>(4)</sup>.

كما ذكر ناتان أوسيل، في "كتاب المعرفة اليهودية": "إن الأسرى الذين أسرههم نبوخذنصر عام 586 قبل الميلاد"، وجدوا في أرض سبيهم طوائف يهودية كبيرة وعميقة الجذور، نشأت في القرن الثامن قبل الميلاد، ويمكن أن نفترض أن القادمين الجدد زادوا عدد هذه الطوائف، وحين عاد المنفيون من بابل إلى القدس، بعد قرن من الزمن، كان مدهشا أن نرى حسب أقوال عزرا ونحميا، لا أكثر من ستين ألف، يعودون فقط، بديهي أن أكثرية المنفيين اختارت أن تبقى في بابل"<sup>(5)</sup>.

فالعزوف عن الهجرة إلى فلسطين كان متوطنا في نفوسهم منذ القدم، حيث يلخص المؤرخ اليهودي نورمان بنتويتش عدم رغبة يهود الشتات في العودة إلى فلسطين، خاصة بعد ثرائهم وتفوقهم اقتصاديا، إذ تكونت لديهم القناعة بالعيش خارجها، فيقول: "لم تكن فلسطين في أيام الكارثة -سقوط القدس- تحتوي أكثر من نتفة من الجنس اليهودي. فقبل ذلك بزمن طويل، كانت هناك طوائف يهودية مزدهرة في مصر، وفي كايرونيك، وفي سورية، وفي بلاد ما بين النهرين، وفي اليونان. والواقع هو أنه كان في فلسطين في بداية العهد المسيحي سبعمائة ألف من اليهود فقط، من بين نحو أربعة ملايين كانوا في

(1)-أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص48.

(2)-إميل توما، جذور القضية الفلسطينية، حيفا: مطبعة الاتحاد التعاونية، ص26.

(3)-أبراهام مالمات وحييم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والإكتشافات الأثرية، ص34.

(4)-أحمد سوسة، اليهود والعرب في التاريخ، ص324.

(5)-إميل توما، جذور القضية الفلسطينية، ص27.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الإمبراطورية الرومانية وحدها"<sup>(1)</sup>.

ووفقا لما دونه الرحالة اليهودي بنيامين التيطلي الأندلسي الذي زار فلسطين خلال القرن الثاني عشر(1168م) فإن نسبة اليهود في الدولة الرومانية، باستثناء يهود نابلس الذين لم يعتبرهم التيطلي من اليهود وهم السامريين، كان أكثر من نسبة وجودهم في سواحل المتوسط الشرقية وفلسطين<sup>(2)</sup>،

فلم تكن أرض فلسطين مركزية بالنسبة لأبناء الشتات، ولم تتطرق إليها كتابات التنايم، بعكس انشغالهم بالفرائض المتعلقة بأرض إسرائيل، بل لم ير أبناء الشتات ضرورة للهجرة إليها رغم المسافة القصيرة بين البلدين، بل فضلت الديانة اليهودية تصميم هوية مؤمنيتها على أساس الوعي الذاتي لشعب مختار، لا يملك أية قبضة وملكية في مكان ملموس ومحدد، ولذلك كان التوق الروحاني إلى الأرض المقدسة يزيد كلما صارت أقل واقعية، ورفضت اليهودية أن تكون مرتبطة بأي أرض<sup>(3)</sup>.

وما تؤكد الدراسات التاريخية عن حركة اليهود في العصور الوسطى، أنه بقدر كرههم للشتات، وتوقهم للأرض لم يكن لديهم الاستعداد، حتى لترك المجتمعات التي عاشوا بين ظهرانيها، بل كان ميلهم للبقاء فيها أكثر من تفكيرهم في هجرتها.

فقد ظلت ذكرياتهم وعواطفهم تجاه الأرض متجددة زما في عيد الفصح، من خلال ترديدهم مقولة؛ "العام القادم في أورشليم"، لكن لم يكن الدين عاملا أساسيا في دفعهم نحو الاستقرار في فلسطين، حيث أن قليلا جدا منهم فقط ذهبوا إلى هناك للحج أو الاستيطان، ولم يرحل إليها عبر الأجيال إلا القليل جدا من اليهود، رغم عدم وجود أي عقبات سياسية تمنعهم من الهجرة، فقد سمح المسلمون لليهود القادمين من البلدان الأجنبية بالدخول والاستيطان في فلسطين، ولكن لم تكن فلسطين من ضمن انشغالهم، وحتى مع ذلك الهيام والتوق إلى الأرض، والمتزامن مع ظهور المسحاء (ما بين 1096 و1665) لم يجتث اليهود من أماكن عيشهم أو يدفعهم نحو فلسطين، بل لم يحدث ذلك عبر العصور<sup>(4)</sup>.

(1) -ج. م. ن. جفرير، فلسطين اليكم الحقيقة، ترجمة: خليل الحاج، مراجعة: محمد احمد أنيس، د ط، (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971)، ص72-73.

(2) -رحلة بنيامين التيطلي السندلسي، ترجمة عن العبرية: عزرا حداد، ص50-51.

(3) -شلومو ساند، اختراع أرض إسرائيل، ص123-127.

(4) -ج. ه. جانسن، الصهيونية وإسرائيل وآسيا، سلسلة كتب فلسطينية(39)، بيروت، مركز الأبحاث م. ت. ف، سبتمبر 1972، ص23.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

أما بعد نشأة الحركة الصهيونية، فكان أحد أهم الأسباب في عزوفهم ورفضهم للهجرة، هو الخوف من واقعهم في فلسطين أيضا، حيث لم يقبل بالحركة الصهيونية في بدايتها إلا قلة قليلة، كما لم يكن في فلسطين بعد وعد بلفور ومنح إيطاليا حمايتها لإمكانية إقامة الوطن القومي لليهود بين 1917-1921م سوى 30 ألف يهوديا مقابل 15 مليون يهودي في الشتات<sup>(1)</sup>.

ينفي شلومو ساند وجود أي ميل للهجرة -عدا التوق الروحي- وإقامة كيان سياسي في فلسطين عبر المسار التاريخي لحياة الشتات، رغم بكائية الوعد الإلهي، وهو في ذلك يتساءل: "إذا كانت أرض فلسطين (كنعان قديماً) هي الأرض الموعودة للإسرائيليين، أين كانوا منها منذ طردهم الحاكم الروماني "هادريان" سنة 136م، وكانوا يترددون على فلسطين والقدس كزائرين فقط عبر مئات السنين؟ في تلك الحقبة الزمنية المحصورة بين سنة 136م و1948 سنة الاحتلال، وهي مدة زمنية تربو على 1800 سنة؟! مؤكداً على أن السفر إلى أرض إسرائيل كان من الممارسات الهامشية في حياة الطوائف اليهودية، فضلاً عن قلة رحلات الحجاج إليها، وأنه باستثناء الحالات الفردية، لم تشجع الطوائف اليهودية على تلك الرحلات<sup>(2)</sup>.

كذلك ينتقد الباحث اليهودي في الشؤون الصهيونية شموئيل أمير، فكرة الحنين إلى الأرض ويطلقها أساساً، معتبراً إياها جانباً من التزوير التاريخي الذي يعد جزءاً من تكوين دولة إسرائيل، فيقول: "إن البحث الموضوعي في عملية الهجرة اليهودية، إلى أرض إسرائيل، منذ تأسيس الحركة الصهيونية، يشير إلى عدم رغبة اليهود في ذلك، فقد فضل أغلبيتهم الهجرة نحو الولايات المتحدة الأمريكية، ودول غربية نامية، وعلى عكس ما جاء في بيان استقلال دولة إسرائيل، حيث قيل أن اليهود توجهوا إلى أرض إسرائيل فقط حينما لم يكن أمامهم خيار آخر"<sup>(3)</sup>.

تاريخياً ظل اليهود أقلية في فلسطين إلى أن بدأت موجات الهجرة إليها، وهي هجرات لم يتدخل فيها العامل الديني، بقدر ما كانت نتيجة لعوامل تاريخية وأخرى اجتماعية، فمعظم يهود الشتات لم يرغبوا في

(1)-أبراهام مالمت وحبيم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ص 41-42

(2)-شلومو ساند، اختراع أرض إسرائيل ص 153-154.

(3)-شموئيل أمير، الإيديولوجية الصهيونية بين الإستعمار الأوروبي ومابعد الصهيونية، قضايا إسرائيلية، رام الله، العدد 13 يناير 2004



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الهجرة لولا تعرضهم للاضطهاد، ومع ذلك لم يصل عدد الوافدين منهم إلى أرض فلسطين إلا 13% من مجموع اليهود في العالم، بينما بقي حوالي 88% خارج إسرائيل، كما انعدمت الهجرة من المناطق التي لم تمتعوا فيها بالحرية كأمریکا، وأوروبا الغربية والشمالية<sup>(1)</sup>.

وحتى بعد الإعلان الصهيوني للحكومة سنة 1948م لم تشكل العودة إلى فلسطين هاجسا لهم، حيث إن 80% من اليهود كانوا يفضلون الاستيطان في الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يرغبوا اطلاقا في الذهاب إلى الأرض المقدسة، لك مع ذلك ضاعت أصواتهم في ضجيج الدعاية الصهيونية<sup>(2)</sup>، وبعد أن ألزمتهم الحركة الصهيونية بالعودة كحق ديني مشروع، عشية قيام الكيان الإسرائيلي، ، إلام يتقبلوا إطلاقا أن تكون أرض فلسطين موطننا لهم أو لأبنائهم، وفضلوا التبرع من أجل المساعدة لا أكثر، بل آثروا الهجرة إلى غير فلسطين، مما دفع بالحاخام كلوزنر إلى التشاور مع كبار اليهود، وتقديم تقرير مفصل عما اعتبره تحديا لإسرائيل إلى المؤتمر اليهودي الأمريكي عام 1948، يقرر فيه لجبارهم على الهجرة، جاء فيه: " إنني مقتنع بأنه يجب إرغام الشعب اليهودي على التوجه إلى فلسطين." <sup>(3)</sup>.

كما يؤكد ألفريد ليلينثال على أن طائفة كبيرة من يهود العالم من أصحاب النفوذ -بعد قيام إسرائيل- لم يعتبروا فلسطين موطننا طبيعيا يتوقف عليه مصيرهم، رغم المحاولات الحثيثة التي بذلها قادة الصهيونية في استدراجهم نحو الهجرة، وذلك بتقديم الإغراءات المادية لهم، ويذكر ليلينثال أن ذلك تسبب في بروز مشكلة المهاجرين على مستوى البرلمان التي أثارها بن غوريون سنة 1951م، اتهم فيها زعماء الصهيونية بالتقصير في توجيه يهود العالم نحو فلسطين قائلا: "... حتى الآن لم يتقدم خمسة من هؤلاء الزعماء دفعة واحدة ليعلنوا رغبتهم الصادقة في الانتقال إلى إسرائيل بعد قيامها... ، ومع أنني لا أجزم بأن جماعات كبيرة من اليهود ستقتدي بهم" <sup>(4)</sup>.

وحتى النخب اليهودية لم يكن هناك ما يشدهم إلى الذهاب أو البقاء في فلسطين، فقد كتب اليهودي ميندل مويخر سيفوريم معبرا عن مزاج الملايين من اليهود: "وطننا هو البلد الذي ولدت فيه

(1) -محمد إسماعيل علي السيد، مدى مشروعية اسانيد السيادة الإسرائيلية، 75-76، مجموعة مؤلفين، الجوهر الرجعي للصهيونية، د ط، (موسكو: دار التقدم، 1975)، ص 38-39.

(2) - ألفريد ليلينثال، ثمن إسرائيل، ط3، (بيروت، 1954)، ص 78.

(3) - نعمان عبد الرزاق السامرائي، اليهود والتحالف مع الأقوياء (كتاب الأمة)، ط1، قطر: 1413هـ-1992م، ص 74.

(4) - ألفريد ليلينثال، ثمن إسرائيل، ص 162-163.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

وماتت أجيال عديدة من أسلافنا، والذي ولدنا نحن ونعمل وسوف نموت فيه"<sup>(1)</sup>.

ليس هناك أبلغ مما جاء على لسان المفكر اليهودي باسيل هنريكس، حينما قال: "مع أن فلسطين كانت موطن أجدادي، تماما مثلما هي البرتغال بالنسبة لأجدادي الأقرين، فلم أشعر أبدا بأنها بلدي الذي طردت منه أو أحن له وأصلي للعودة إليه، ولا شعرت مطلقا بالحاجة للذهاب هناك كي أمارس ديانتي على أكمل وجه. إن انجلترا هي بلدي وبلد آبائي منذ أجيال عديدة، فقد أمكنني هنا أن أكون يهوديا بكل معنى الكلمة، وان أعيش طريقة الحياة اليهودية على أتم وجه. واليهودية بالنسبة لي كانت ديانة جامعة تصح ممارستها في كل مكان وأي مكان، وليست ديانة وقفا على مكان واحد أو شعب واحد، ولا هي قبل كل شيء وقفا على أمة واحدة"<sup>(2)</sup>.

### ثانيا: الهجرة المعاكسة:

مقابل العزوف عن الهجرة نحو الداخل، برزت أيضا "الهجرة المعاكسة"، كنقيض وجودي لأحد أهم أسس الصهيونية الثلاثة ومبرر وجودها، (الأرض والهجرة والدولة اليهودية)، حيث ستهدم الهجرة العكسية أهم أسسها، وذلك بتعميق التشكيك اليهودي بجدوى استمرار المشروع الصهيوني المتجسد بالكيان الصهيوني الذي تشكل "الهجرة" اليهودية إليه عمودها الفقري. وتشمل "الهجرة المعاكسة" العديد من اليهود الذين لم يمكنوا في فلسطين، بعد "هجرتهم" إليها، واستيطانهم فيها سوى بضع سنوات.

تشير مختلف التقارير الإسرائيلية الرسمية وغير الرسمية إلى اتجاه حاد للهجرة المعاكسة، فأكثر من نصف اليهود الذين هجروا الكيان الصهيوني توجهوا إلى الولايات المتحدة الأميركية، وكندا، بينما توجه الباقون إلى بلدان أخرى<sup>(3)</sup>، وبالتالي تناقص مستمر للعنصر البشري في الكيان الصهيوني.

تفيد آخر الدراسات الاجتماعية أن "الإسرائيليين" باتوا يهربون ويعودون إلى بلدانهم الأصلية، ومنه توصلت الدراسة إلى استنتاج استراتيجي جوهري مفاده أن تحول اليهود إلى أقلية (في فلسطين

(1) - مجموعة مؤلفين، الجوهر الرجعي للصهيونية، ص40.

(2) - الفكر اليهودي التقدمي، ص 115-116، نقلا: عن إبراهيم العابد، دليل القضية الفلسطينية أسئلة واجوبة، سلسلة الكتب الفلسطينية(17)، بيرة: مركز الأبحاث الفلسطينية، فيفري1969، ص44.

(3) - عيسى القدومي، الهجرة اليهودية والعودة إلى الجهل، عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية. <http://www.aqsaonline.org>

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

التاريخية)، سوف يعني اقتراب "إسرائيل" من الحد الديمغرافي الحرج (demographic threshold) الناتج عن "الهجرة" اليهودية المعاكسة<sup>(1)</sup>.

إضافة إلى ما سبق من المعطيات التي أثبتت زيف مقولة التوق إلى أرض فلسطين أو الرغبة في الهجرة إليها، فإن فلسطين كانت خياراً في مشروع الحركة الصهيونية الاستعمارية، من بين خيارات أخرى لمناطق أخرى من العالم، فقد فكر هيرتزل في إقامة دولة يهودية في أوغندا، أو الأرجنتين، أو كندا، لكن المسيحية الصهيونية حولت توجهاته نحو فلسطين<sup>(2)</sup>. وحينما عرضت عليه السلطات البريطانية مشروع أوغندا لتوطين يهود الشتات المضطهدين، لم يرفض ذلك، بل تباحث فيه مع القيادات الصهيونية، ورغم رفض اليهود الروس للفكرة، فإنه أعاد طرحها من جديد، فلقى معارضة شديد مرة أخرى، وتحت شعار "لا صهيونية من دون صهيون" اعتبر خائناً للمشروع الصهيوني بتخليه عن إقامة دولة يهودية بفلسطين، مما اضطره إلى التراجع عن ذلك<sup>(3)</sup>.

إن ترسيخ مثل هذه المفاهيم، والمتمثلة في ادعاء العلاقة الدينية بين اليهود وبين "أرض إسرائيل"، أصبح جزءاً لا يتجزأ من الوعي الصهيوني -الذي تبني الفاعلية التي كانت متوطنة في تطلعات التراث اليهودي المسياني- ونقطة الانطلاق المحورية في المفاهيم الصهيونية التي لا تقبل المناقشة<sup>(4)</sup>.

ولأن العلاقة بين اليهودية والصهيونية علاقة عضوية. فإن اليهودي أو الصهيوني كلاهما يعتنقان اليهودية، ويعتمدان التراث الديني، ويحرصان على تطبيق تعاليمه في واقع الحياة، كما أن الاهتمام الصهيوني الإسرائيلي باليهودية، لا يعني البحث الحقيقي عن مثل أو قيم روحية أخلاقية قد توجد في هذا التراث؛ وإنما يعني الاهتمام بمدى تعبير اليهودية عن "الذات القومية"، التي يريدون لها "الانبعاث" في "أرض الميعاد"<sup>(5)</sup>.

(1)-جورج كرزوم، الهجرة اليهودية المعاكسة ومستقبل الوجود الكولونيالي في فلسطين، حيفا: مدى الكرمل، المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، أكتوبر 2015، ص18.

(2)-محمد عادل شريح، علاقة الدين بالسياسة ومركزية الصراع على فلسطين، ط1، سورية: مركز فلسطين للدراسات والبحوث، جوان 2007، ص19.

(3)-ميشال إده، الشتات اليهودي والصراع العربي، دط، مصر: دار النهار للنشر. ش. ل. م، سبتمبر 1990، ص9.

(4)-هليل بن ساسون، الصهيونية الدين والمسيانية التي بينهما، ص60.

(5)-محمد خلف الجراد، الأبعاد الفكرية والعلمية-التقنية للصراع العربي الصهيوني "دراسة"، د ط، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص18.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ومما سبق يتبين لنا أن الصهيونية قرأت النص الديني قراءة علمانية، واستخدمته لإنجاح مشروعها الاستعماري "إسرائيل الكبرى" على "أرض فلسطين"، فقامت بتفسير الوعد الإلهي تفسيراً سياسياً، باعتبار أن اليهودية تقوم على أساس الوحدة بين الشعب والأرض، وأن فكرة الحق الأبدي في أرض إسرائيل غير قابلة للطعن، وعلى هذا الأساس شكلت الأرض أبرز ركائز المشروع الصهيوني.

إن قداسة الأرض لم تكن لها علاقة بحضور الشعب اليهودي إليها، وهو ما يفسره غيابهم عنها قرابة ألفي سنة وتفضيلهم البقاء في الشتات، فضلاً عن الرفض الديني لقيام إسرائيل قبلاً، كما أن حدة الهجرة المعاكسة هدمت أهم أسس الصهيونية، وهي مقولة التوق إلى أرض الميعاد، حيث لم تكن فلسطين قبلة لكثير من اليهود حتى بعد الاستيطان، رغم كل هذا فإن الإيمان بوجود تلك العلاقة شكل المنبع الرئيس لمكونات الوجدان الصهيوني المعاصر، كما تم توظيفه ليصبّ في أهداف المشروع الصهيوني.

المبحث الثالث: توظيف الحقوق التاريخية والإنسانية في تبرير الاحتلال:

المطلب الأول: توظيف الحقوق التاريخية في تبرير الاحتلال:

أولاً: مفهوم الحق التاريخي:

يستعمل تعبير الحق التاريخي للدلالة على الحقوق التي تكتسب مخالفة لأحكام القانون الدولي العام، عن طريق ممارسة تاريخية تؤكد بها دولة ما اختصاصها هو في الأصل غير مشروع، لتؤكد حقها في اكتساب السيادة وفقاً له، إذا لم يحدث اعتراض على هذه الممارسة<sup>(1)</sup>.

أما الحقوق التاريخية كما يشرحها الفقيه الإسرائيلي بلوم، كوسيلة من وسائل السيادة، تركز على فكرة التثبيت التاريخي المتواصل، فهي ليست إلا محصلة لتفاعل طويل المدى يتم تدريجياً خلال مجموعة من الأعمال الإيجابية والسلبية، المتمثلة في استمرارية ممارسة السلطة الفعالة على الإقليم بشكل علني مقبول ومعترف به من قبل الدول الأخرى، مشكلة في مجموعها ومن خلال تراكمها هذا الحق، الذي يعتبره القانون الدولي حقاً مشروعاً<sup>(2)</sup>.

وهذا المفهوم يفرض علينا التساؤل: هل مارس اليهود تاريخياً سلطة مستقلة فعالة على فلسطين بغرض فرض سياستهم؟ وهل استمرت هذه الممارسة؟ وهل قبل سكان فلسطين واعترفوا بسيادتها عليهم يوماً؟

فإذا كان قيام الدولة من الناحية القانونية وفقاً للمفاهيم السابقة يستلزم ديمومة السكان المواطنين واستقرارهم، فهل استمر وجود اليهود في فلسطين تحت سيادة ذاتية واحدة؟

فهذا الادعاء يلزمنا بالبحث في أصول الإنسان الذي سكن فلسطين على الأقل قبل الألفية الرابعة قبل الميلاد التي شهدت حركة بشرية وحضارية نوعية، إذ لا إمكانية لدراسة من هذا النوع أن تكون مجدية، ما لم نسعى للإضاءة على مدى صلة الكنعانيين بالأرض، ومعرفة تاريخ ومسميات المدن، كما يلزمنا من الناحية الموضوعية الوقوف عند المسيرة التاريخية لبني إسرائيل.

(1) - محمد إسماعيل علي السيد، مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين، ص 44.

(2) - المرجع نفسه، ص 52-54.

ثانيا: الامتداد التاريخي لسكان فلسطين:

### 1. فجر الهجرات نحو فلسطين:

شكلت موجة الهجرات السامية العربية نحو الشمال الشرقي في أواخر الألف الرابع، وأوائل الألف الثالث قبل الميلاد، بما يعرف بإقليم الهلال الخصيب، الذي يضم حاليا العراق، ولبنان، وسورية، والأردن، وفلسطين، وكانت القبائل القاطنة فيه تنقل من بلاد إلى أخرى دون حدود أو هويات، تكون بلاد كنعان (فلسطين الحالية) عند نهاية جزئه الغربي، وبلاد بابل في جزئه الشرقي<sup>(1)</sup>.

عرفت أولى هذه الموجات باسم "الأمورية- الكنعانية"، التي تزايدت حدتها قبل 2500 سنة ق. م، فتل الأموريون داخل بلاد الشام وجنوبها الشرقي، وبهم عرفت مدينة ماري بالمملكة الأمورية، في حين أن الكنعانيين وهم مجموعة القبائل، منهم البيوسيون العمالقة وينتهي نسبهم إلى كنعان بن حام بن نوح (عليه السلام)، وكانوا يقيمون على ساحل الخليج العربي، وتبعاً لتقديرات تاريخية من خلال تتبع الآثار في مدنها القديمة التي يعتقد أنها مدينة أريحا الحالية، التي تعتبر أقدم مدينة في العالم، أين استقروا بساحلها وجنوبها الغربي، فإن الهجرة العمورية-الكنعانية من الجزيرة العربية، قد حدثت خلال الألف السابع قبل الميلاد<sup>(2)</sup>.

ولم تتوقف الهجرات العربية التي صاغت تراث فلسطين الحضاري ووطدت عروبتها، منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد إلى الفتح الإسلامي؛ كالثموديون، والضخاعمة، وبنو حذام، ولخم، وبنو ذبيان، وغيرها من القبائل<sup>(3)</sup>، وإن اختلفت تقديرات البداية الزمنية لوجود الكنعانيين، فإنه لا خلاف من الوجهة التاريخية، على أنهم كانوا أول من سكن المنطقة من الشعوب المعروفة، وأول من بنى على أرض فلسطين حضارة، فكان سكان كنعان عبارة عن تمازج عرقي من تلك الجماعات العربية التي يعتقد أن موطنها الأم هو الجزيرة العربية<sup>(4)</sup>.

(1) - مصطفى مراد الدباغ، موسوعة بلادنا فلسطين، دط، فلسطين، دار الهدى، 1991، ج1، ص387.

(2) - المرجع نفسه، ص 387-388.

(3) - شوقي شعث، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، ج1 ص203.

(4) - إلياس شوفاني الموجز في تاريخ فلسطين منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949، ط1، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ديسمبر 1996، ص 47-49.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

2: مدن أرض فلسطين: ونذكر منها:

أ. ييوس (القدس).

أسسها اليوسيون وهم أحد بطون العرب الكنعانية، و"يوس" هو الاسم الكنعاني العربي للقدس<sup>(1)</sup>، وأنشأوا قدسيته قبل 3000 سنة ق. م، ثم خط بناءها أحد ملوكها وهو ملك يصادق، الذي عرف بتقواه وحبه للسلام، فسميت أولا بـ "سالم" أي مدينة السلام، ثم زاد في بناءها أحد ملوكها وهو "سالم اليبوسي"، وأصبحت تعرف باسمها الكنعاني "أورو-سالم"<sup>(2)</sup>، وسميت في ألواح تل العمارنة (القرن 14 ق. م) التي وجدت بمصر عام 1887م باسم أوريساليمو *urusalimu*<sup>(3)</sup>، في حين يرى بعض الباحثين إن أول اسم كان للقدس هو "منورتا" *minurta* وهي كلمة سامية آرامية تعني الشمعة أو الضوء<sup>(4)</sup>، وهو ذات المعنى لكلمة "سالم" في اللغة الكنعانية القديمة، التي تطورت إلى آرامية فيما بعد وقد ظلت مدينة القدس مستقلة، إلى أن تأسست ملكة داود<sup>(5)</sup>.

من الغرابة أن يحاول أحبار اليهود ربط تسمية القدس بتاريخهم، فيقولون أن سام بن نوح سماها "شلم"، أي السلام، وأن إبراهيم عليه السلام، قد سماها "يرأه" التي تعني في اللغة العبرية الخوف، فقرر الله أن يسميها بالسلمين معا وهو "يرأه-شلم" أي "أورشليم"، بمعنى الخوف والسلام<sup>(6)</sup>، فأني يكون ذلك وتأسيس القدس مدينة واسما عرف قبل مجيء إبراهيم عليه السلام إليها بألفي سنة كما بيناه آنفا؟

(1) \_ أقيمت مدينة ييوس على أربعة جبال، الجبل الجنوبي الغربي من القدس الحالية الذي يطلق عليه اليوم اسم جبل صهيون\* أو جبل النبي داود، وجبل موريا، وجبل أكرأ بالقرب من كنيسة القيامة، والجبل الرابع جبل زيتا الممتد من باب الساهرة (باب هيرودوس)، حتى باب العمود (باب دمشق)، وقد عارف باشا العارف، تاريخ القدس، دط، مصر: دار المعارف، دت، ص 11 ونيل خالد الأغا، مدائن فلسطين "دراسات ومشاهدات"، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993، ص 51

(2) - مصطفى مراد الدباغ، موسوعة بلادنا فلسطين، ج1، ص 396.

(3) - ميخائيل مكسي إسكندر، القدس عبر التاريخ "دراسة جغرافية تاريخية أثرية للمدينة المقدسة"، مراجعة: الأنبا غريغوريوس، دط، القاهرة، ص 5.

(4) - جريس حوري وآخرون، القدس دراسات فلسطينية إسلامية ومسيحية، ط1، القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية للمدينة المقدسة، 1996، ص 185.

(5) - هايل خليفة الدهيسات، القدس تاريخ وحضارة من الكنعانية إلى الرعاية الهاشمية، ط1، عمان: دار الكنوز، 1433هـ-2012م، ص 23.

(6) - المدراس-الشرح الكبير على سفر التكوين، بريشيت ربا-57، نقلا عن: حسن ظاظا، القدس مدينة الله؟.. أم مدينة داود؟ دط، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1970، ص 9.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

فتاريخ القدس وكذا أسماؤها، كل ذلك يدل على أصالتها العربية، بما يكفي للرد على الزعم الصهيوني القائل بأنها تأسست على أيدي اليهود، حيث جاء ذلك في تصريح يغال آلون نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي لوكالة الأنباء سنة 1967م بقوله: "إن على العالم أن يكيف نفسه على حقيقة عودة المدينة أخيرا إلى الأمة التي أسستها وحولتها إلى مدينة مقدسة"<sup>(1)</sup>.

### ب. شكيم<sup>(2)</sup>

هي مدينة نابلس الحالية أسسها اليبوسيون، كانت عاصمة الكنعانيين قديما، وقد سكنتها قبيلة عرب الحويون الكنعانية، واستمر فيها السكن منذ تسعة آلاف سنة وحتى الوقت الحاضر<sup>(3)</sup>. كانت كما يصفها المؤرخون نقطة عبور لجميع الحضارات، بين آسيا وأفريقيا، وامتزجت فيها مختلف مدنات الشرق الأدنى القديم، فكانت كما وصفها ظفر الإسلام خان، "صانعة التاريخ وفيها صنع التاريخ"<sup>(4)</sup>.

تشير الأبحاث التاريخية والآثرية، إلى أنه في نهاية الألف الثالث وبداية الثاني قبل الميلاد، شهدت أرض "كنعان" تحولات كبيرة سياسيا واجتماعيا، وكانت الزراعة أهم ما تميزت الحياة اليومية ومن أبرز العوامل التي ساهمت في نشأة وتطور الحياة الاجتماعية، التي أثرت بدورها في تطور اللغة والعقيدة، كشفت الحفريات الأثرية على وجود مجموعة من الألواح الطينية المكتوبة بالخط الأكدي المسماري تعود إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، في كل من "تل الجزر" و"تل المتسلم" و"أريحا". ما ساعد على ظهور الملكية الفردية، دلت عليها البقايا الجنائزية المكتشفة في بيسامون، وأريحا، وعين غزال، في فلسطين وشرق الأردن، ضمن علاقة المكان بالمساكن، أين لعبت الطقوس باعتبارها تشكل نظرة

(1) - هنري كتن، القدس، ترجمة: إبراهيم الراهب، ط1، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، 1997، ص16.

(2) - من أقدم مدن فلسطين ذكرت في النصوص المصرية القديمة باسم "سكمم" sakmem، كما وردت في رسائل تل العمارنة باسم "شاكمي" shakmi، وقيل إنها سميت كذلك بالاسم "مورتا" Momortha، وقيل إن الإسمين السابقين هما تحريف للكلمة "مباركتا" Mbarkhta الأرامية التي تعني "مدينة البركات"، ودلت أعمال التنقيب التي قام بها G. F Albright و G. walter على أن المدينة تعرضت للهدم، وأعيد بناؤها أكثر من مرة، وأعاد الرومان بناءها بعد خراب حل بها إثر التمرد اليهودي، ثم عرفت باسم "إينابوليس فيلافوس". بمعنى مدينة فيلافوس الجديدة، ويرجح أن الاسم نابلس مشتق منها، مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس سلسلة المدن الفلسطينية<sup>(3)</sup>، دط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الاعلام. بمنظمة التحرير الفلسطينية، دت، ص32.

(3) - نبيل خالد الأغا، مدائن فلسطين، ص296.

(4) - ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم 1220ق.م - 1359م منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط3، 1981،



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

موحدة نحو العالم، دورا هاما بين الجماعات الزراعية الأولى كآلية للضبط الاجتماعي، كما كان لها دور في التماسك الداخلي للمجتمع المتعاون، بما يفسر وجود مستوطنات بشرية<sup>(1)</sup>، وهو ما دفع بالوافدين إلى الاستقرار في مكان واحد وترك الترحال<sup>(2)</sup>.

عرف الكنعانيون فن العمارة خلال تلك الفترات، إضافة إلى تدجين الحيوانات والصناعة والفنون، وهو ما وثقته بقايا الخزف إلى جانب أشكال للحيوانات، كالطيور والأسماك، وزخارف للزهور، تم اكتشافها على يد العالم غارستينغ **garsting**، ما بين 1930-1936م في أريحا، وقد أكد غارستينغ أن اختراع صناعة الخزف يعود إلى ما قبل الألف الخامس قبل الميلاد، بإحدى مدن فلسطين القديمة أريحا، ثم انتشرت في أرجاء فلسطين وسورية ما قبل الألف الخامس قبل الميلاد<sup>(3)</sup>.

### ت. مجيدو:

هي من المدن الفلسطينية التي يعود تاريخها إلى الألف الرابع قبل الميلاد، والتي لا تزال محافظة على انتمائها التاريخي إلى يومنا هذا، مدينة "مجيدو"، التي عثر فيها على رسوم بشرية، وأنواع من الفخار المزين يعود إلى تلك الحقبة، أما في "بيسان" في مكان يعرف بـ "تل الحصن" أسفرت أعمال التنقيب (1921م-1933م) على اكتشاف سلسلة من خرائب المدينة القديمة، يعود تاريخها إلى الألف الرابع قبل الميلاد، وفي "تل العجول" جنوبي غربي غزة وجدت أدوات حديدية ونحاسية يعتقد أنها استعملت في فلسطين ما بين 3200-1200ق.م<sup>(4)</sup>.

فضلا عن ذلك ورغم عدم توفر الوثائق المكتوبة الكافية، فضلا عن الانحياز إلى التاريخ التوراتي، فإن الدراسات الأركولوجية الحديثة وفقا لأقدم وثيقة تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد 2000 ق.م، عصر سلالات المملكة الوسطى في مصر التي امتد سلطانها على كنعان، بينت أن أهم مدن كنعان

(1) - شوقي شعث، دراسة في تاريخ وآثار فلسطين، ج1 ص193 وحمدان طه، البقايا الجنائزية والتمايزات الاجتماعية في فلسطين "دراسات"، رام الله: مجلة الكرمل، العدد63، ربيع2000، ص199-200.

(2) - مصطفى مراد الدباغ، موسوعة بلادنا فلسطين، ج1، ص359.

(3) - مصطفى مراد الدباغ، موسوعة بلادنا فلسطين، ج1، ص363، وحمدان طه، التاريخ الحضاري لفلسطين منذ العصر الحجري وحتى الفتح الإسلامي، القدس: شؤون تنمية، العدد2، أبريل1992، ص46.

(4) - مصطفى مراد الدباغ، موسوعة بلادنا فلسطين، ج1، ص367-368.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

التاريخية التي تعود إلى العصر البرونزي، أي إلى الألف الثالث قبل الميلاد، كانت مدنا عربية حافظت على أسمائها<sup>(1)</sup>.

### 3. أسماء أرض فلسطين:

أطلقت على أرض فلسطين خلال الحكم المصري أسماء كثيرة<sup>(2)</sup>، كان أقدمهما ما أطلقه قدماء المصريين "خارو" "Kharu" للجزء الجنوبي و"رتينو" "Retinu" للجزء الشمالي<sup>(3)</sup>.

أما اسم فلسطين الذي عرفت به كنعان فقد اختلف المؤرخون حول أصله، ومرد ذلك أن تاريخ فلسطين القديم ظل حكراً على الباحثين الغربيين الذين اهتموا بدراسة تاريخ فلسطين بفعل وهم ديني، إذ اعتمدوا على نصوص التوراة كمرجع للأبحاث<sup>(4)</sup>، من جميع النواحي الأثرية، والاجتماعية، والتاريخية، واللغوية وغيرها.

تشير بعض الدراسات إلى أن إسم فلسطين-مع أقدميته- لم يلحق بأرض كنعان، إلا بعد غزو الفلستا، حيث يرى العلماء أن اسم فلسطين كان نسبة إلى قبيلة "فليستا" من جزيرة كريت اليونانية، التي غزت الساحل بين يافا وغزة حوالي 1200ق. م، وهم من نسل يافث الذين قدموا إلى جنوب سورية بعد أبناء سام، ويفترض أن بعضاً منهم دخلوا أيام إسحاق، وأقاموا نواحي غزة وعسقلان<sup>(5)</sup> و دلت عليها مكتشفات تل العمارنة، أهم هم من أسس "أسدود، عسقلان، غزة، عاقد"، واندمجوا مع "الكنعانيين" السكان القدماء للأرض خلال 150 سنة، كما أنهم طبعوا البلاد بطابعهم وعرفت باسمهم،

(1) - إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين، ص48.

(2) - وفقاً لما دلت عليه حفريات تل العمارنة التي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أن أقدم اسم علم جغرافي عرفت به أرض فلسطين والساحل الغربي هو "كنعان"، أو "أرض كنعان"، وقد جاء ذكره على الصيغة " كيناهي" kinahi أو "كيناهنا" kinahna، وأصله "كنعان" kana'an، كما أشارت هذه الحفريات إلى أن إطلاق اسم كنعان خصت به البلاد الواقعة غربي نهر الأردن بما فيها سوريا، ثم أصبح فيما بعد الاسم الجغرافي لفلسطين، وقسم كبير من سورية، في حين عدت باقي الأسماء أقل أهمية، واستمرت سلطة الكنعانيين نحو ألف وخمسمائة عام "2500ق. م-1000ق. م. فليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج1، ص87، وظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص16.

(3) - ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص15

(4) - روجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ص33

(5) - هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1411هـ-1991م، ص110.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

إلا أنهم لم يدخلوا القدس<sup>(1)</sup>، وهذه الحقائق بينتها الآثار المصرية في طيبة في قصر مدينة "أبو" التي تحدثت عن رعمسيس الثالث حاكم الأسرة التاسعة عشر، حيث دلت الصور على حدوث معاهدة بين الكريتيين وبين العشائر، فغزوا سورية ومصر زمن يوشع بن نون<sup>(2)</sup>.

بينما يرى عالم الآثار حمدان طه أنه يوجد استعمالين، فلسطينيا وبليست، وأن أول من ربط الاسم فلسطين بالبليست هو شامبليون سنة 1832م، وفي سنة 1857 عرف بروكش بليست بالفلسطينيين، ومنذ ذلك الوقت أصبح الربط بين فلسطين الروايات التوراتية وبليست التي جاء ذكرها في الكتابات التاريخية المصرية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، باسم بيليست وهم من فصائل الشعوب التي استقرت بالساحل الفلسطيني، وورد ذكرهم ضمن مجموعات شعوب البحر المسجلة على جدران المعبد الكبير بمدينة هابو<sup>(3)</sup>. أما عن إطلاق اسم فلسطين على أرض كنعان بصفة رسمية، فقد أطلقه الإمبراطور فسباسيان **vespasian** حين صك نقوده التي أصدرها عقب قهر الثورة اليهودية سنة 70م.<sup>(4)</sup>

في حين يرجح آخرون أن تكون قبائل الفلستا، كنعانية الأصل هاجرت إلى كريت، ثم عادت إلى أرض الأجداد للدفاع عنها ضد هجوم الفراعنة، وما لبثت أن استقرت فيها، ولم تكن عودتهم كغزاة كما ورد ذكرهم في كتب اليهود وبعض مؤرخي الغرب؛ إذ لو كان الفلسطينيون غزاة غرباء عن الأرض لجلوا عنها تحت ضغط انتصارات الفراعنة، بل صمدوا مع إخوانهم الكنعانيين، وكانت مدتهم حصينة، وذات هيبة خاصة، وهذه المدن الحصينة بقيت بعيدة عن اليهود، ولم يستطيعوا دخولها أثناء مجيئهم إلى أرض كنعان<sup>(5)</sup>.

كذلك يرجع كل من الآثاريين، معاوية إبراهيم وحمدان طه صعوبة تحديد أصل الإطلاق إلى عدم توفر المدونات التي يمكن من خلالها بيان اسم فلسطين قبل الألف الثاني قبل الميلاد، غير ما أشارت إليه

(1) - محمد أديب العامري، القدس العربية الحقائق التاريخية تجاه المزاعم الصهيونية، دط، عمان: دار الطباعة والنشر، 1971، ص 38.

(2) - يوسف الدبس، تاريخ سورية، دط، بيروت: المطابع العمومية الكاثوليكية، 1895، ص 245.

(3) - حمدان طه، من هم الفلسطينيون، رام الله: الكرمل، العدد 58، شتاء 1999، ص 190.

(4) - ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص 18.

(5) - علي نصوح الطاهر، تاريخ الأردن وفلسطين، ص 127، نقلا عن: محمد أحمد حسين، قاضي القضاة ومفتي القدس والديار

الفلسطينية، القدس قدما وحديثا، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر العالمي لأئمة المساجد الجمهورية الأندونيسية، 28 محرم - صفر 1435هـ/2-

6 كانون الأول 2013م، ص 7.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الكتابات المصرية والآشورين، أن فلسطين عرفت منذ القرن الثامن عشر ق. م، باسم (أرض كنعان)، وأن أصل كلمة فلسطين هو (فلسطينا)، الذي غطى الاسم الجنوبي من الأرض، وسكنه الفلسطينيون في البداية، كما ذكرته السجلات الآشورية، أيام الملك الآشوري (أدد نيراري الثالث)، في القرن الثامن قبل الميلاد، باسم أرض فلسطينيا، أو فلسطينو-palastu أو الفلسطينيين، الخاضعة للحكم الآشوري، بناء على مادونه على مسلته؛ إنه في السنة الخامسة من حكمه أخضعت قواته فلسطين، التي تشمل كامل الأرض الفلسطينية الممتدة بين سبئ وغور الأردن شرقاً، وكانت عاصمتها حيثئذ مدينة أسدود، وأجبرت أهلها على دفع الضريبة<sup>(1)</sup>.

كما يؤكد الحموي على عروبة مصدر الاسم "فلسطين"، بالرجوع إلى ذكر أقوال العلماء في ذلك، بأنها: سميت بفلسطين ابن سام بن إرم بن سام بن نوح، وقال الزجاجي: سميت بفلسطين بن كلثوم من ولد فلان بن نوح، وقال هشام: إنما سميت بفلسطين بن كسلوخيم من بني يافث بن نوح، قيل بن صدقيا بن عيفا بن حام بن نوح<sup>(2)</sup>.

ضمن السياق ذاته أكد جورج بوست أصالة الاسم العربي لأرض فلسطين كما لم ينكر عنها قداستها، مشيراً إلى أن اسم فلسطين اختص أولاً بأرض الفلسطينيين، التي أطلق عليها في الأصل اسم كنعان، ثم أطلق بعدئذ على أرض الإسرائيليين غربي الأردن، فكانت فلسطين تعرف بالأرض المقدسة وأرض إسرائيل، وأرض الموعد، واليهودية<sup>(3)</sup>.

يمكننا القول، إنه إذا أخذنا بعين الاعتبار ما سجله التاريخ حول حركة الإنسان القديم قبل 5000 سنة ق. م، بين شمال أفريقيا وجنوب أوروبا وآسيا الوسطى<sup>(4)</sup>، فلا يمكن استبعاد مصدر الاسم الذي يعود إلى أحد أبناء نوح عليه السلام، وبهذا تتأكد الهوية العربية لسكان فلسطين منذ أقدم العصور.

بناء على المعطيات السابقة يتأكد لنا أن العرب هم سكان فلسطين الأصليين، وهم الذين عرفوا

(1) - معاوية إبراهيم، فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد في الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، القسم الثاني، ط1، بيروت، 1990، ص 4-5 وحمدان طه، من هم الفلسطينيون، ص194.

(2) - شهاب الدين الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دط، بيروت: دار صادر، 1397هـ-1997م، مج4، ص274.

(3) - بطرس عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص685.

(4) - مصطفى مراد الدباغ، موسوعة بلادنا فلسطين، ج1، ص396.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

بسكناهم للبلد بأسماء: "العموريون" و"الكنعانيون" و"اليبوسيون" منذ ما لا يقل عن خمسة آلاف سنة أو ستة آلاف. وما لشعب فلسطين الحالي إلا سلائل الكنعانيين الذين لم يرحوا أرضهم يوما. إضافة الى ما سبق بإمكاننا معرفة الوصف المتكامل للأرض وللحضارة الكنعانية المتأصلة فيها بكل مقوماتها، من خلال ما أسس له علماء التاريخ والآثار.

في أواخر الستينات قدم ب. فرونزولي **P. Franzaroli** دراسته البالغة الأهمية، التي تضمنت تاريخا دقيقا للسلمات اللغوية المشتركة حول سكان فلسطين، وقد أكد في دراسته، استنادا إلى أركولوجيا ما قبل التاريخ، أن مواطن الساميين، هي الأراضي الزراعية في سوريا وفلسطين، وانطلاقا من دراسته وافقه تايلوك **Tyloch** حول تصوره لأصل الساميين بأنهم شعب مستقر<sup>(1)</sup>، ووصف هنري كتن حضارة الكنعانيين، مؤكدا على أسبقية وجودهم في فلسطين بقوله: "إن الكنعانيين هم أقدم السكان المعروفين لفلسطين، ولقد سكنوا البلاد حوالي 3000 ق.م، لقد عاش الكنعانيون في مدن كسكان مقيمين، وملكوا اقتصادا قائما على التجارة والزراعة، كانت كل مدينة تحكم من قبل ملك كان يقوم بواجب الكاهن العلي، ... لقد حكم الكنعانيون القدس حتى عشية الألف الأول قبل الميلاد، عندما احتلت من قبل الإسرائيليين"<sup>(2)</sup>.

كذلك أكد عالم الآثار البريطاني جوناثان. ن. تب في كتابه، "علم الآثار والتوراة" الصادر عام 1990م، على استمرارية التاريخ الحضاري الفلسطيني بطابعه الكنعاني، وعدم انقطاعه عن أرض فلسطين منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وحتى الفترة الهلينية<sup>(3)</sup>. كما يشيد بذلك جيمس فرينزر: "إن من رأي الفقهاء الأكفاء أهل الخبرة والمعرفة، أن فلاحي فلسطين الناطقين بالعربية، خلافا للقبائل الوثنية التي كانت تعيش هناك قبل الغزو الإسرائيلي ظلت أقدامهم ثابتة في التربة منذ ذلك التاريخ، وتوالت عليهم

<sup>(1)</sup>-طوماس ل. طومسن، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح علي سوداح، ط1، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، 1995، ص122.

<sup>(2)</sup>-هنري كتن، القدس، ص17.

<sup>(3)</sup>-Jonathan. N. Tubb and Rupere L. Chapman. Archaeology and the Bible, British, Museum, London 1990 ص82-83 "نموذج إسرائيل"، ص82-83

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

موجات الفتح المتعاقبة التي طغت على البلاد دون أن تحطمهم"<sup>(1)</sup>.

ظلت أرض كنعان مسرحاً للأحداث التاريخية وتفاعل الحضارات بين السلم والحرب، ومع ذلك بقي حكم الكنعانيين متواصلاً في فلسطين حتى زمن الملكية اليهودية بمراحلها، - وإن ضعف نوعاً ما في زمن داود كما سنرى- ثم كانت السيطرة الآشورية والبابلية، ثم الحكمين اليوناني، والروماني الطارئ، وعاشت فلسطين خلال ذلك فترات من الصراع، تدافع عن هويتها وامتد ذلك حتى زمن الفتح الإسلامي، حيث ثبت لفلسطين هويتها الحضارية العربية العريقة<sup>(2)</sup>. وكان ذلك في السنة السادسة عشر من الهجرة النبوية الشريفة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وتم فتحها على يد عمر الفاروق رضي الله عنه<sup>(3)</sup>،

مما سبق يتبين لنا أن العرب الكنعانيين لم ينقطع وجودهم عن فلسطين منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، كما أن هذه الشعوب لم تغادر يوماً أرضها، بل تركت ميراثاً حضارياً تشهد الدراسات الأثرية على مدى أصالته الكنعانية، كما دلت عليه أسماء المدن الفلسطينية العربية، التي لم تتغير معالمها رغم الصراعات المتتالية ورغم قدمها، بل ظلت صامدة أمام الأحداث التاريخية، كما نلاحظ أن قدسية القدس، كانت عربية في الأصل وهي لا تزال كذلك، قبل غزو بني إسرائيل لها وبعده، فليس هناك من دليل ينفي أقدمية الوجود العربي واستمراره في فلسطين حتى الوقت الحاضر وباعتراف علماء الغرب أنفسهم.

### ثالثاً: الوجود اليهودي بفلسطين:

#### 1. بدايات التاريخ اليهودي.

يعد الحديث عن بداية تاريخ بني إسرائيل وتحديد تاريخ إبراهيم والآباء من المسائل الجدلية في المقام الأول، فربط تاريخهم بتاريخ فلسطين يستدعي البحث الحثيث من أجل تحديد الزمن التاريخي لظهورهم.

برغم أن التاريخ اليهودي الفعلي باعتراف علماء التاريخ اليهود، يبدأ ما بعد زمن الخروج مع

<sup>(1)</sup> - ج. م. ن جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ترجمة: أحمد خليل الحاج، مراجعة: محمد أحمد انيس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971، ص 36.

<sup>(2)</sup> - شوقي شعث، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، ج 4، ص 204.

<sup>(3)</sup> - ابن أبي الكرم أبو الحسن، الكامل في التاريخ، مراجعة وتعليق: لجنة من العلماء، ط 5، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1405هـ - 1985م). ج 2، ص 347.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

موسى عليه السلام، وما أعقبه من سنوات التيه التي قدرت وفقا للنصوص الدينية بأربعين سنة، ثم عهد يوشع بن نون، ثم زمن القضاة، فزمن أول ملك يهودي شاؤول، وكل ذلك قدر بأربعمائة عام، ثم عهد ملوك معبد داود، حيث تم تأسيس ملك داود سنة 1000 ق. م. وهو ما أكد عليه كلا من أحمد سوسة ويوسف الدبس<sup>(1)</sup>.

رغم كل ذلك فإن الوقائع التاريخية للدعوات الصهيونية تستمد مادتها مما جاء في التوراة التي أرجعت التاريخ الإسرائيلي إلى عهد الآباء ثم استمراره حتى السيادة الرومانية وخراب القدس، وتشتتهم في أنحاء العالم، إضافة إلى مدونات المؤرخين الذين اعتمدوا التوراة في تسجيل الأحداث التاريخية، لذلك نجد أن البحث التاريخي لا يتفق على زمن معين لتاريخ مسيرة الآباء، بحكم أن العهد القديم الذي وصفه وزير الخارجية الصهيوني يغال آلون بأنه؛ "سجل تاريخي يشهد بأن اليهود كانوا في قدم الزمان"<sup>(2)</sup>، هو المصدر الوحيد الذي يعول عليه في معظم الكتابات التاريخية والبحوث الأثرية.

إن ما يؤمن به اليهود أن تاريخهم يبدأ بإبراهيم عليه السلام، فيعتبرون خروجه من أور الكلدانيين، الذي يسبق زمن موسى عليه السلام بأجيال، أول هجرة لهم<sup>(3)</sup>، تمثل بداية التاريخ اليهودي الذي ينحدر من سلالة إبراهيم<sup>(4)</sup>.

كما يسعى المؤيدون للقراءات التوراتية وأقوال اليهود، إلى ربط تاريخ الآباء ببقايا الآثار التي تم اكتشافها في فلسطين -جنوب شرق الأردن- والتي يرجعوها إلى عصر البرونز الأوسط الذي أرخ له (2100-1900 ق. م)، حيث اعتبر البرايت أن هذه الفترة تتناسب مع هجرتهم من أور الكلدان نحو كنعان، غير أن الفكرة تم رفضها من قبل كثير من المؤرخين وعلماء التوراة الذين أرجعوا زمن الآباء إلى ما بين الألف الثاني والقرن السادس عشر قبل الميلاد، التي مثلت فترة اضطراب في مصر وفلسطين<sup>(5)</sup>، فاقترح رائد الفرع الإسرائيلي لعلم الآثار "بنيامين مازار"، أن يتم تشخيص الخلفية التاريخية لعهد الآباء

(1) - أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ ص 268 ويوسف الدبس، تاريخ سورية، ص 19.

(2) - فوزي محمد حميد، حقائق وابطال في تاريخ بني إسرائيل، ط 1، دمشق: دار الصفدي، 1414هـ-1994م، ص 13.

(3) - حسن واصف السامري، التيه الإسرائيلي، ص 4.

(4) - روبن فايرستن، ذرية إبراهيم، ص 20.

(5) - مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ط 1، دمشق: دار القلم-بيروت: دار الشامية، 1416هـ-

1995م، ص 43-45.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

إلى ما بعد ذلك بنحو ألف سنة، وهي الفترة المتزامنة مع فترة الاستيطان الأول لفلسطين<sup>(1)</sup>. وحدد مازار ظهور تاريخ إسرائيل بربطه بعدد المستوطنات التي بدأت في جبال فلسطين الوسطى في العصر الحديدي الأول<sup>(2)</sup>.

يذهب البرايت، إلى أن أرض كنعان قبل الآباء اعتبرت خارج الزمان، فلا وجود لها تاريخيا إلا في ظل وجودهم، وأن تاريخها قبلهم هو تاريخ غامض، وسكانها لا هوية لهم، بل هم مجرد نزلاء ينتظرون عودة من كتبت باسمهم الأرض في سجلات إلهية، وما المحطات التي ستروي تاريخ الآباء إلا خطوات لا بد منها، لإثبات تاريخية الأرض<sup>(3)</sup>، ولأجل تحقيق ذلك كان من الضروري أن ترسم لنا التوراة تلك الوصلات الزمنية بدءا بالهجرة الأولى، ثم الثانية التي نحن بصدد الحديث عنها، فالثالثة التي ستكون المحطة التوجيهية لسابقتها، بالدخول الى كنعان.

إذا أخذنا بعين الاعتبار أن خروج إبراهيم عليه السلام من العراق حوالي سنة 1917 ق. م الميلاد، كان زمن زاميس بن نينوس الأشوري كما دلت عليه الآثار القديمة<sup>(4)</sup>، وأن مدة بقائه في حران كما ذكر السامري هي 14 سنة، فإن دخوله أرض كنعان سيكون تقريبا سنة 1903 ق. م، وذلك يتوافق مع ما ذهب إليه غالبية العلماء في أن وصول إبراهيم الخليل إلى مصر كان سنة 1892 ق. م زمن رابع ملوك الأسرة الثانية عشرة سنوسرت الثاني (1898-1879 ق. م)<sup>(5)</sup>، وهذا يفيد أن وصوله (عليه السلام) كان بعد استقرار الهجرات العربية في كنعان.

وعليه فإن ربط تاريخ الآباء بالآثار المكتشفة في فلسطين، كما أرخ له البرايت يعد من التزوير الذي وقعت في الكتابات اليهودية، ويقول أحمد سوسة: "ولا شك في أن كل جماعة تكتب تاريخها كما تهوى، لا كما تريد الحقيقة المجردة من كل غرض، فهي تجتهد في إظهار أصلها مقترنا بأسمى الشخصيات من الأجداد التي تتمتع بماض عريق وشهرة واسعة...، وهو ما قبلته الأجيال من غير تمحيص للتسلسل

(1) - إبراهيم مالمات وحييم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية اليهود، ص9.

(2) - طوماس ل. طومسن، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ص61.

(3) - إسماعيل الصمادي، نقد النص التوراتي، ج1، ص111.

(4) - أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الآثار الباقية، دون معلومات، ص85.

(5) - غطاس عبد الملك الخشبة، رحلة بني إسرائيل الى مصر الفرعونية والخروج، دط، مصر: دار الهلال، 1990، ص109.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الزميني، وملاحظة العصور بحسب تواريخها"<sup>(1)</sup>.

تمثل هجرة إبراهيم وفقا لتقسيم أدوار التاريخ اليهودي، الهجرة الأولى المتمثلة في "القبيلة الإبراهيمية"، ويتفق العلماء حول تزامنها مع فترة السيطرة الكنعانية، حوالي 1900 ق. م<sup>(2)</sup>، حيث ذكر فليب حتي، أنه أثناء هجرة أجداد العبرانيين من بلاد الرافدين كان الكنعانيون يمثلون غالبية السكان، وأن الأموريين كانوا يسكنون المرتفعات التي لم يتم احتلالها بشكل مستقر، وهوما فسح المجال للقادمين بالسكن<sup>(3)</sup>.

إن الهدف من عملية الربط، إنما هو من أجل ترسيخ أقدمية الوجود اليهودي في أرض كنعان، إذ ليس هناك أدنى علاقة بين هجرة إبراهيم (عليه السلام)، التي يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وبين هجرة موسى (عليه السلام) التي يتفق معظم المؤرخين على حدوثها في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فضلا عما تنسبه زورا إلى موسى، وبأن الله أمره باحتلال أرض وإبادة أهلها، ليحل بنو إسرائيل محلهم<sup>(4)</sup>.

في اعتقادنا، بما أن اليهود يجعلون من تاريخ إبراهيم (عليه السلام) حلقة من حلقات تاريخهم الديني والسياسي، محاولة منهم لربطه بما جاء في التوراة حول الوعد، ودخول إبراهيم إلى كنعان، بهدف التأسيس لمزاعمهم حول الحق التاريخي في الأرض من منطلق أن إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، كانوا قد أقاموا فيها، وبحكم دفن إبراهيم وسارة، وإن كان الادعاء بنسبتهم إلى إبراهيم قد استوقفنا سابقا أمام السؤال؛ هل يهود اليوم ينتسبون إلى إبراهيم دينا أو عرقا؟ وهو ما قمنا بمناقشته والرد عليه، وإننا نحاول مسaire ذلك من أجل بيان الحقائق التاريخية، وكشف ما فيها من لبس.

لكن ليس من الضروري هنا، أن نتناول تفاصيل كل التاريخ اليهودي، بل ستكون دراستنا لدعوى الحق التاريخي لهم متضمنة لعرض موجز لبعض المحطات التاريخية، كما أوردتها التوراة، لإثارة بعض الملاحظات، بدءا من وفودهم إلى مصر، ثم خروجهم مع موسى (عليه السلام)، نحو الأرض

(1) -أحمد سوسة، اليهود والعرب في التاريخ، ص 279.

(2) -عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 13.

(3) -فليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج 1، ص 190.

(4) -أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص 268-269.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ودخولهم بقيادة يوشع بن نون ثم قيام المملكة، وتتبع أحداثهم التاريخية إلى زمن الشتات النهائي، محاولين في ذلك، الوقوف عند ما يخدم الموضوع بعيدا عن التفاصيل التاريخية لحياهم في ظل الاستعباد والنكبات.

### 2. بنو إسرائيل في مصر.

- قدومهم إلى مصر:

إن ما يسجل على المسيرة التاريخية لبني إسرائيل في مصر، كرونولوجيا، أنها غير دقيقة كما أنها غير واضحة من حيث أسباب حدوثها ومدتها، وهو ما أدى إلى اختلاف الباحثين حولها، فالمصدر الذي تم اعتماده في معظم الكتابات التاريخية - كما سنبينه - هو العهد القديم، والحال كذلك بالنسبة لمرحلة الخروج، ثم دخولهم أرض كنعان.

كانت هجرة يعقوب وبنيه إلى مصر بالمهجرة الثانية بدعوة يوسف لهم بعد أن من الله عليه بالنبوة، وبالمتلة الرفيعة، كما أخبرنا القرآن الكريم بذلك: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(1)</sup>، وبحسب النص التوراتي، فقد اختار يوسف أن تكون إقامة بني إسرائيل، بعد موافقة الملك على طلبه، في شمال شرق سيناء في أرض جاسان كما في التوراة<sup>(2)</sup>، أو جوشن وفقا للقراءة المصرية القديمة<sup>(3)</sup>، بعيدا عن المصريين الذين لم يكونوا ليسمحوا لهم بينهم، وتعلل التوراة ذلك لأن: "الرجال رعاة غنم، فإنهم كانوا أهل مواش، وقد جاءوا بغنمهم وبقرهم وكل ما لهم، فيكون إذا دعاكم فرعون وقال: ما صناعتكم. أن تقولوا: عبيدك أهل مواش منذ صبا إلى الآن، نحن وآباؤنا جميعا. لكي تسكنوا في أرض جاسان. لأن كل راعي غنم رجس للمصريين"<sup>(4)</sup>.

أثناء إقامتهم في مصر، عاش بنو إسرائيل أعزة في ظل حكم الهكسوس، ثم ما لبث أن تغير حالهم بعد موت يوسف حوالي عام 1635 ق. م، حيث استعبدتهم رعمسيس الثاني، ويعتقد أن من أسباب استعباده لهم، أنهم كانوا سندا للهكسوس قبل طردهم، وأنهم ناصبوا العداء للمصريين، فلما تفتن لهم

(1) - سورة يوسف: 93.

(2) - تك 9/45-10 وتك 47/.

(3) - محمد بيومي مهران، مصر من قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة، سلسلة مصر والشرق الدن القديم (2)، د ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993، ج 2، ص 513.

(4) - تك 46/32-34.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

المصريون، أرادوا التخلص منهم فأذلوهم واستعبدوهم، فأمر رعمسيس الثاني بقتل الذكور منهم، لخوفه من انضمامهم إلى أعدائه حين الحرب بعدما لاحظ زيادة عددهم وكثرتهم<sup>(1)</sup>، لكن العالم التلمودي لويس جيتزبرج أن معاناتهم بدأت بعد موت يعقوب (عليه السلام)، مشيراً إلى أن أحد أسباب الاستعباد كذلك، هي حسد المصريين للإسرائيليين الذين أبدوا براعتهم في مناسبات عديدة<sup>(2)</sup>.

وتتحدث التوراة عن إخبار الله لإبراهيم بتغرب نسله واستعباده في مصر، "قال الرب لأبرام: لعلم يقينا لأن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربع مئة سنة، ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأمالك جزيلة"<sup>(3)</sup>، كما تشرح التوراة سبب الاذلال والاستعباد بطريقة مبالغ فيها، دون ذكر اسم الفرعون الذي تم في زمنه الاستعباد، بل اكتفت بالإشارة فقط إلى أنه لا يعرف يوسف<sup>(4)</sup>.

### \*الخروج مع موسى (عليه السلام).

يرمز الخروج -الذي يعتبر كأحد الأفعال الإلهية العظمى المعبرة عن الرحمة- في الفكر اليهودي، إلى إمكان الخلاص البشري الكامل، لأنه يمكن إثبات أن الله الذي أنقذ إسرائيل والذين عانوا من العبودية المصرية، فإنه كذلك، سيأتي بالخلاص النهائي للعالم بأسره في آخر الدهر<sup>(5)</sup>، وقد تحول حدثه وزمنه في الكتابات الصهيونية، إلى الأنموذج المعياري الأسمى والمثال الأعلى لمعنى الخلاص الإلهي والبشري على السواء، فيبدو أن حدث التحرر من عبودية مصر ترك أثراً بالغاً، ليس لأهميته عقائدياً فحسب، بل لاشتماله على عناصر أخرى بالغة الأهمية في الوعي اليهودي أيضاً، "إذ ظهرت فئة اليهود خلاله بوصفها مجموعة إثنية مميزة، وتجلّى الرب وملائكته عليهم جماعة وفرادى، وظهرت أمامهم معجزات الرب، ونزلت عليهم التوراة"<sup>(6)</sup>.

(1)- يوسف الدبس، تاريخ سورية، ص90، وهارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ص117.

(2)- لويس جيتزبرج، أساطير اليهود "احداث وشخصيات العهد القديم من بدء الخليقة إلى يعقوب، ترجمة حسن حمدي السماحي، ط1، دمشق: دار الكتاب العربي، 2007، ج1، ص219.

(3)- تك13/15-14.

(4)- خر1/8-15. خر2/1-4.

(5)- روين فايرستون، ذرية إبراهيم، ص25.

(6)- نبيه بشير، الخلاص اليهودي في التراث اليهودي المقدس، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، قضايا إسرائيلية، العدد63، نوفمبر2016، ص25.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

أما زمن الخروج، فيجمع غالبية اليهود أن بينه وبين زمن الاسكندر المقدوني ألف سنة<sup>(1)</sup>، في حين يذكر السامري أن الخروج وفقا للتقويم السامري تم في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وتحديدا 1679 ق. م الموافق لسنة 2794 بعد الخليفة بحسب التوراة العبرية القديمة<sup>(2)</sup>،

إذا ما أخذنا بعين الاعتبار زمن الاسكندر المقدوني الذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع قبل الميلاد<sup>(3)</sup>، وما ذكره البيروني عن آراء اليهود حول الخروج، فإن زمنه سيكون تاريخيا، أقرب إلى ما حددته نصوص التوراة، أي نحو عام 1447 ق. م.

في كلتا الحالتين نعتبر زمن الخروج مخالف لتاريخية الآباء في كنعان، حتى وإن أخذنا بعين الاعتبار اختلاف العلماء حول مدة بقائهم في مصر، وهي بحسب التوراة العبرية جاءت مرة أربعمئة (تلك/15/13)، ومرة أربعمئة وثلاثين سنة (خر/20/12)، أما في السامرية، والسبعينية فهناك اختلاف واضح، فمدة بقائهم هي 430 عاما، مضاف إليها إقامة الآباء في كنعان، والمقدرة بنصف هذه المدة أي مائتين وخمسة عشر<sup>(4)</sup>، حيث سيكون دخولهم -بحسب التوراة- مصر نحو 1877 ق. م، وهذا يعني أنه سيؤرخ لدخول الآباء فلسطين قبل الألف الثاني قبل الميلاد، في رأينا أن ذلك يعد محاولة منهم لجعل وجود الآباء في كنعان قبل هذه المدة بمائتي عام، وهنا يبدو التناقض بشكل صريح لاثبات أسبقية وجودهم في أرض كنعان، ليتوافق ذلك مع ما ذهب إليه البرايت سابقا حول وجود آثار تعود إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، بسعيه لإيجاد مكان للحوادث التوراتية في سياق التاريخ القديم، وإحلال تاريخ إسرائيل في مجاله.

لكن للمؤرخ اليهودي يوسيفوس بن متى، الذي عاش في القرن الأول الميلادي، مذهب آخر في ذلك، فيما نقله عن المؤرخ مانيتو، بأن العابيرو - أوالخابيرو - هم أنفسهم العبرانيون، وهم بنو إسرائيل، وهم أيضاً الهكسوس الذين حكموا مصر، وأنهم طردوا زمن حكم أحمس الأول [1570-1546 ق. م]،

(1)- البيروني، الآثار الباقية، ص18.

(2)- حسني واصف السامري، التيه الإسرائيلي، ص38.

(3)- ويل ديورانت، قصة الحضارة، مج2، ج2، ص516.

(4)- F. Lemaitre, dissertation sur la dureé du séjour d'Israélites en egypte, Genève, 1826, p4-5.

وحسني واصف السامري، التيه الإسرائيلي، ص10.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

وهو نفسه خروج بني إسرائيل من مصر، وقد تبني هذا الرأي عدد من المؤرخين غالبيتهم من اليهود أو المؤيدين لهم<sup>(1)</sup>.

الملاحظ أن الهدف من اعتبار أحمرس الأول هو فرعون الخروج، كان سياسيا بحت، حاولوا من خلاله تأسيس وإثبات الحق التاريخي لبني إسرائيل في مصر، إذ يهدف إلى القول بأن (الهكسوس) الذين حكموا مصر مدة مائتي عام في مصر، هم بنو إسرائيل، ومن ثم يحق لليهود المطالبة بأن لهم حقوقاً تاريخية في أجزاء من أرض مصر.

هو ما انتقده برستيد، مؤكداً أن الهكسوس من الشعوب السامية التي دخلت مصر عبر الوجه البحري، ووطنوا فيه نفوذهم، وكان ذلك أثناء ضعف سلطان مصر في أواخر الأسرة الثالثة عشر، ولا تربطهم أية علاقة ببني إسرائيل، ويعلل برستيد ذلك، بأن الهكسوس بعد طردهم من مصر ذهبوا إلى آسيا ثم أقاموا في فلسطين - التابعة للنفوذ المصري - نحو ست سنوات، وبعد هزيمتهم أمام المدد المصري، انتقلوا شمالاً إلى سوريا، ذلك لأن حكم المصريين كان ممتداً إلى سوريا وفلسطين<sup>(2)</sup>، غير أنه كما يشير برستيد، تعذر تاريخياً معرفة موطنهم الأصلي ومدة حكمهم، لقلة المراجع الأثرية، معتبراً أن ما ذهب إليه مانيتو في روايته السابقة، التي حفظها عنه المؤرخ اليهودي يوسيفوس، من الحكايات المسلية التي لا يمكن اعتبارها مجال من الحقائق التاريخية، وبأنها لا ترقى لأن تكون مصدراً للمعرفة التاريخية، لاحتوائها كثيراً من الخرافات<sup>(3)</sup>.

فالراجح عند علماء التاريخ، أن يكون الهكسوس الذين حكموا مصر في القرن السابع عشر، هم بدو من أصول كنعانية، يعودون إلى واحدة من تلك الهجرات السامية التي اجتاحت فلسطين نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد، ولا يوجد دليل ثابت يفيد أنهم من أقرباء اليهود<sup>(4)</sup>، دلت على

(1) -رشدي البدرابي، قصص الأنبياء والتاريخ، موسى وهارون عليهما السلام، من هو فرعون موسى، ط3، القاهرة: مكتبة ومطبعة المجلد العربي، 2010 ج4، ص660.

(2) -جيمس هنري برستيد، تاريخ مصر من اقدم العصور إلى الفتح الفارسي ترجمة: حسن كمال، راجعه وصححه: محمد حسنين الغمراوي، ط2، القاهرة: مكتبة المدبولي، 1416هـ-1996م، ص143.

(3) - المصدر نفسه، ص139.

(4) -محمد بيومي مهران، مصر من الملكية حتى الدولة الحديثة، ص457. مصطفى مراد الدباغ، موسوعة بلادنا فلسطين، ج1، ص380.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ذلك الاكتشافات الأثرية في قطنا وأريحا على عدم وجود عنصر غير عربي، وأفادت أن الكنعانيين الأموريين هم أنفسهم الهكسوس الذين خرجوا من سوريا، وفلسطين، باتجاه مصر زمن ضعف المملكة الوسطى، كما يتضح ذلك من خلال الأسماء الأمورية التي كان يحملها حكامهم الأوائل، كما أن ملوك الأسرة الخامسة للهكسوس حكموا مصر، وسوريا، وفلسطين، بطابع ارستقراطي عسكري<sup>(1)</sup>.

في اعتقادنا أن ما ذهب إليه يوسيفوس من اعتبار أن الهكسوس وبني إسرائيل يشكلون شعبا واحدا غير صحيح تاريخيا، فقد أشرنا إلى أن مجيء الهكسوس إلى مصر كان في كثرة كغزاة، بينما دخل بنو إسرائيل إليها في قلة مسالين استجداء للحاجة كما ذكرنا، كما أن الهكسوس خرجوا منها مطرودين في حين بني إسرائيل هربوا خوفا من بطش فرعون.

إذن فالقول بأن الهكسوس الذين حكموا مصر، هم بنو إسرائيل، لا يتوافق تاريخيا وزمن دخول يعقوب عليه السلام مع بنيه، كما إنه يتناقى والوضع الاجتماعي الذي آل اليه بنو إسرائيل بعد موت يوسف كما اشارت اليه التوراة سابقا، وحقيقة مذلتهم واستعبادهم مما اوجب عليهم الخروج، فكيف يستعبدون وهم الحكام.

ثم إن بني إسرائيل رغم طول إقامتهم بمصر، لم يشكلوا نظاما سياسيا قائما بذاته، بل كانوا خاضعين للملك مصر، وحينما حكم الهكسوس أصبحوا تحت سلطتهم، ثم خضعوا مرة أخرى إلى الفراعين، إلى أن بعث الله بموسى ليخرجهم من أرض مصر، وعليه فإنهم كانوا مثل آباءهم غرباء كما وصفتهم التوراة.

أما عن حادثة الخروج التي شملت كذلك غير بني إسرائيل من المضطهدين<sup>(2)</sup>، وكذا الذين آمنوا بدعوة موسى (عليه السلام)، فتصورها نصوص التوراة كنهاية حتمية لمرحلة طويلة من الاستبداد والاذلال، مع ملاحظة تعدد أساليب أسفار التوراة حول عرض سيرتهم وخروجهم، وهي في تنوعها تدور حول أمر الله لموسى بإخراجهم، وحوار موسى (عليه السلام) مع فرعون، لكن يتم التركيز فيها على دخوا ارض الموعد: "وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة... ، وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب... ثم كلم الرب موسى قائلا. أدخل قل لفرعون

(1) - حمدان طه، الوحد الحضارية للوطن العربي، ص212-213. وجودت السعد، أوهام التاريخ اليهودي، ص45.

(2) - شوقي شعث، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، ص189.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ملك مصر أن يطلق بني إسرائيل من أرضه"<sup>(1)</sup>، كما تأتي التوراة على ذكر التوعد بالعقاب الذي سيحل بفرعون وجنده لامتناعه عن اطلاق سراحهم<sup>(2)</sup>

تبدو محطات الخروج بحسب السرد التوراتي شائكة، وقد جاءت مفصلة، ولأنها كما يذكر سليم حسن كانت أمرا ثانويا بالنسبة للمصريين، فلم توجد آثار أو نقوش تدل عليها، فقد دونت تفاصيلها على حسب عقل وتفكير التقاليد الإسرائيلية، وربما كان في تسجيل حادثة الخروج ما يشين المصريين، فتنفادوا كتابتها<sup>(3)</sup>، فرما هم لا يكتبون إلا ما يرفع من شأنهم مستقبلا.

بالنسبة لحال بني إسرائيل وهم في طريقهم إلى الأرض المقدسة فقد امتد زمن التيه بهم نحو جيل كامل في برية العرب، اخضعوا في تلك المدة لعملية صارمة من الانتخاب الطبيعي، مات فيها المتمردون والمتردون، ومما جاء في سفر العدد: "إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية، وجربوني الآن عشر مرات، ولم يسمعوا لقولي، لن يروا الأرض التي حلفت لأبائهم. وجميع الذين أهانوني لا يرونه... في هذا القفر تسقط جثثكم، جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تدمروا علي"<sup>(4)</sup>.

الملاحظ مما تقدم بيانه أن المؤرخين، سواء الذين أبدوا موافقتهم لطروحات التوراة أم الذين خالفوها، لم ينظروا في كل الأحوال من خلال أبحاثهم إلى بني إسرائيل كأمة أو كشعب، رغم المكانة التي ارتقى إليها يوسف (عليه السلام)، إنما تم التعامل معهم عبر تاريخ وجودهم بمصر على أساس أنهم قبائل من البدو الرحل، كما اعتبروا من الناحية الاجتماعية دون أصحاب الأرض منزلة، وأثناء خروجهم لم يشكلوا عرقا واحدا، وهو ماي سقط دعوى الامتداد إلى إبراهيم عليه السلام، فضلا عن تمردهم.

### 3. بنو إسرائيل في فلسطين:

ليس تحديد أمر دخول بني إسرائيل فلسطين بأقل غموض وتضارب عما كان عليه الحال بالنسبة

(1)-خروج 6/6، 8، 10-11، ورد أيضا في خر16/7.

(2)-خر 9/13-26.

(3)- سليم حسن، موسوعة مصر القديمة"عصر مرنتاح ورعمسيس الثالث ولحات في تاريخ لوبية، دط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، ج7، ص120.

(4)-سفر العدد22/14-29.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

لزمين وفودهم مصر وخروجهم منه.

فلما خاف بنو إسرائيل بأس الكنعانيين اتجه بهم موسى (عليه السلام) شرق الأردن، وحين قاومهم العموريون والأدوميون العرب، اضطروا إلى سلوك طريق آخر إلى خليج العقبة، متبعين طريق الصحراء، ومنها إلى مادبا، التي يعتقد أن موسى توفي بها<sup>(1)</sup>، وتشير التوراة إلى أن موسى (عليه السلام) مات على مشارف الأرض المقدسة في جبل نيبو بعد أن أراه الله الأرض وأخبره بأنه لن يدخلها<sup>(2)</sup>..

بحسب المعطيات التاريخية، فإنه بعد تولى يوشع بن نون قيادتهم دخل بهم فلسطين من جهة غرب الأردن في حوالي 1260 ق.م<sup>(3)</sup>، وكان بها الجبابرة من ملوك العماليق، وغيرهم من ملوك الشام، فتمكن من دخول أريحا، وكان ذلك أول عهد بني إسرائيل في فلسطين، واستمر حكمه سبعا وعشرين عاما<sup>(4)</sup><sup>(5)</sup>. متخذًا من مدينة "بيت حورون العليا" عاصمة له<sup>(6)</sup>.

تعطينا قراءة سفر يشوع انطباعًا عن حدة بني إسرائيل التي أصبحت أمرًا مفروغًا منه، وأنه لم يبق إلا الحصول على أرض الميعاد، وأن الاستيلاء عليها تم بغزوات متعاقبة ومدمرة، قضى فيها المنتصرين بقيادة يوشع بن نون على المغلوبين تمامًا، وتقاسموا أموالهم وحلوا محلهم، كما تذكر التوراة أن يشوع أتى على من فيها ولم يبق منهم أحدًا. يشوع 21/6-25، وهو ما يتناقض تمامًا مع ما ورد سفر القضاة، الذي يؤكد أنهم كانوا يعيشون جنبًا إلى جنب مع الكنعانيين 3/5-6.

كذلك الحال بالنسبة لباقي مدن كنعان، باستثناء بيوس (القدس)، التي لم يتمكن من الوصول إليها، لأنها كانت محصنة، تؤكد ذلك شهادة بيرون Biron، في مقاله عن تاريخ أورشليم في دائرة المعارف البريطانية، وهو يصف مقاومة اليوسيين فيقول: "من الواضح أن أورشليم كانت قبل مجيء

(1)-محمد أديب العامري، القدس العربية، ص41.

(2) \_ تننية 1/34-7.

(3)-أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط5، دمشق: دار الفكر، 1393هـ-1973م، ج1 ص41.

(4)-وذكر المسعودي: أن يوشع بن نون تولى أمر بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام، مدة تسع وعشرين سنة، المصدر نفسه، ج1، ص41.

(5)- غريغوريوس الملطي ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، ص21.

(6)-جريس خوري، القدس دراسات فلسطينية إسلامية ومسيحية، ص187.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الإسرائيليين-الموسويين- بقيادة يشوع مدينة كنعانية خالصة، على جانب كبير من الأهمية والمناعة<sup>(1)</sup>، ولم يجرؤ كذلك على محاربة المتحصنين في مدتهم الساحلية بين غزة، ويافا لتفوقهم الحربي، ولا متلاكهم المعدات حربية مصنوعة من الحديد<sup>(2)</sup>.

حتى بعد موت يوشع بن نون حاول بنو إسرائيل احتلال القدس، فتمكنوا منها وأضرموا فيها النيران وقتلوا عشرة آلاف رجل من أهلها، إلا أنهم سرعان ما أحلوا تحت سيطرة اليوسيين<sup>(3)</sup>. إذ لم يكن اليوسيون الشعب الوحيد الذي صمد في القدس وما حولها، كما تخبرنا التوراة، بل إن الكنعانيين والفلسطينيين معهم، قاوموا الغزو الإسرائيلي، وضلوا مقيمين في مختلف أنحاء كنعان<sup>(4)</sup>، ويتأكد ذكر مقاومة أهل القدس للغزو في نصوص التوراة، بل وتصف كيف كان إصرارهم على البقاء في بلدتهم، وأن سكان أورشليم "اليوسيون" ظلوا في فيها، وقد سكن معهم بنو يهوذا<sup>(5)</sup>.

كما يتحدث سفر يشوع: أنه في آخر عمره لم يتم الاستيلاء على كل الأرض (يوشع 1/13)، كما أنه عاتب أتباعه على التفريط في ابتلاع المزيد من الحدود. يوشع 3/18، وهو ما يتناقض مع دعوى الإبادة التي ورد ذكرها في النصوص السابقة.

لكن لم يمنع ذلك من نجاحه في غزو بعض المدن الفلسطينية، التي كانت تعاني تفككا سياسيا بينها، بسبب حكمها الإقطاعي الذي ثبتت دعائمه منذ حكم الهكسوس، فضلا عن ضعف سيطرة مصر وتغاضيها عن دعم نفوذها في فلسطين، ما منح بني إسرائيل فرص النجاح على مراحل، في احتلال بعض أجزاء أرض فلسطين<sup>(6)</sup>، وتسلسل القبائل الإسرائيلية تدريجيا بإبادة السكان الأصليين، وأحيانا باستقرارهم في المناطق الخالية إلى جوار الكنعانيين، محافظين على نظامهم القبلي الرعوي في أولى مراحل إقامتهم<sup>(7)</sup>.

(1)-أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص292.

(2)- عارف باشا العارف، تاريخ القدس، ص14-15، محمد أديب العامري، القدس العربية، ص46.

(3)- عارف باشا العارف، تاريخ القدس، ص15.

(4)-قضاة 1/27-35.

(5)- يشوع 15/63.

(6)-أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص292، وأبراهام مالمت وحييم تدمر، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة، ص92.

(7)-ف. دياكوف وس. كوفاليف، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط1، دمشق: دار علاء، 2000، ج1، ص171.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

فالنظر عن المفارقات حول حقيقة غزو أريحا وسقوط أسوارها وحرقتها وقتل من فيها، وغير ذلك من الوقائع التي كانت محل جدل، فإن بني إسرائيل في هذه المرحلة لم يشكلوا بعد أي كيان سياسي يحفظ وحدتهم، بل استقروا على بعض التحوم الفلسطينية في شكل قبائل يحكمها الصراع فيما بينها.

### 4. الغزو الإسرائيلي لفلسطين رؤيا أركولوجية:

مثلت أعمال الباحث التوراتي أرنست سيلين في أريحا، خلال الفترة ما بين 1907-1909م بما توصل إليه من نتائج ضمنها في مجلد بالصور والرسومات تفوق معظم الأبحاث الميدانية التي سبقته<sup>(1)</sup>، نقطة تحول في تاريخ البحث عن الآثار الفلسطينية.

في عام 1913 نشر العالم سيلين نتائجه عن تنقيبات في أريحا، وسجل في تقريره أنه قد وجد أسوارا مهدامة، وأشار من خلال كتابته؛ بما يفيد أن الأسوار انهارت بفعل أصوات الأبواق التي نفخ فيها يشوع بن نون، غير أنه أثبت لاحقا كما ذكر الأب ديفو أن الإسرائيليين لدى وصولهم في نهاية القرن الثالث عشر 13 ق. م، لم يستولوا على أريحا، لأن هذه المدينة كانت قد هجرت، وكذا الأمر نفسه بالنسبة لمدينة عاي، وأشار الأب ديفو أن الدراسات الأثرية كذبت ذلك الاستلاء... ، لأن الإسرائيليين عندما وصلوا الي كنعان - كما يقول الأب ديفو- لم يكن هناك مدينة باسم أريحا، وإنما كانت هناك انقاض مدينة عمرها 1200 عاما<sup>(2)</sup>.

غير أن ما توصلت إليه عالمة الآثار البريطانية كاثلين كينون من خلال الأبحاث التي قامت بها في مدينة الخليل سنة 1957م أدى إلى تنفيذ احتلال أريحا، ونفي الصورة التي رسمتها التوراة عن كيفية سقوط أريحا في يد يوشع، حيث أثبتت بأن مدينة أريحا الفلسطينية في الزمن الذي يفترض فيه أنها وقعت تحت الغزو العسكري الإسرائيلي، لم تكن محاطة بأسور، لأن أسوارها قد دمرت قبل هذا الزمن بقرون طويلة، وأن المدينة في حد ذاتها كانت مهجورة، واستنتجت كينون استحالة الجمع بين خراب المدينة وبين غزو بني إسرائيل<sup>(3)</sup>. فالمدينة وفقا للنتائج السابقة كانت خالية وما ورد في التوراة عن انهيار وحرق أسوارها كان مجرد مبالغة وتهويل توراتي.

(1) - شوقي شعث، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، ص 23-24.

(2) - روجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات، ص 35-36.

(3) - روجيه غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ص 69.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

فقد دلت التنقيبات الأثرية على أن الدمار لحق بالمدينة سابقا، وحدث حوالي نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر قبل الميلاد، كما بينت المستويات النهائية للعصر البرونزي الوسيط أن الأسوار المدمرة مغطاة بطبقة من الأنقاض المحترقة تبلغ سماكتها متراً واحداً، وأكدت كينيون أن علماء الآثار لم يعثروا على أسوار مدينة أريحا في زمن غزوة يوشع، مشيرين إلى التعارض بين الروايات التوراتية والدلائل الأثرية، حيث لا يمكن لعلم الآثار أن يقدم دليلاً أثرياً على التدمير الوارد في سفر يوشع، وأظهرت كينيون دلائل بسيطة من العصر البرونزي المتأخر بين الأعوام 1400-1325 قبل الميلاد، من دون أي إشارة إلى سور المدينة<sup>(1)</sup>.

ثم أشارت كينيون إلى أن مدينة أريحا، التي يعود بناؤها إلى المرحلة الثانية من العهد البرونزي المبكر، قد بنيت أسوارها من الطين للحماية، وأن تلك المنطقة كانت معرضة للزلازل، كما كانت عرضة للتدمير في مناسبات كثيرة جراء الحروب، وليس بالضرورة أن تكون آثار النيران من فعل الأعداء، وإنما كان يتم إشعالها بمحاذاة الأسوار لتقويتها<sup>(2)</sup>، كما كان معمولاً به قديماً في صناعة الطوب، فقد عرف الحثيون (في كنعان)، والسوريون قديماً، بناء الأسوار التي تعلوها الأبراج من الطوب المحروق<sup>(3)</sup>.

الجدير بالذكر إنه ليس ثمة اختلاف بين الدراسات التاريخية والأثرية حول نفي وقوع غزو عسكري، حيث تفيد الدراسات التاريخية أن المناطق المنخفضة التي يفترض -وفقاً للنص التوراتي- أنه قد تم احتلالها زمن يوشع بن نون، قد تم إخلاؤها منذ أزمنة، بسبب الجفاف الذي رافق حلول العصر البرونزي الأخير (1600-1200)، الذي بلغ ذروته نحو عام 1200 ق. م، مما دفع بالسكان إلى التوجه نحو المرتفعات، وتحول الأهالي إلى رعاة متنقلين حتى نهاية البرونز الأخير، ومثاله الهضاب المركزية في فلسطين، التي شهدت استيطاناً جديداً مع بداية العصر الحديدي الأول، يرجحه كثير من العلماء الأثريين أنه تمثل في القبائل الإسرائيلية<sup>(4)</sup>.

(1) - حمدان طه، أريحا تاريخ حي، عشرة آلاف سنة من الحضارة، د ط، (مؤسسة الناشر رام الله، فلسطين، 2010)، ص 39.

(2) - خير نمر ياسين: جنوبي بلاد الشام، تاريخه وآثاره في العصور البرونزية، د ط، عمان: لجنة تاريخ الأردن، 1991، ص 51-52.

(3) - جيمس هنري برستيد، انتصار الحضارة، ترجمة: أحمد فخري، تقديم: ممدوح محمد الدماطي، د ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011، ص 221.

(4) - طوماس ل. طومسن، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ص 132 وفراس السواح، أرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط 1، دمشق: دار علاء، 1995، ص 79.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

من وجهة نظر كثير من الباحثين في العهد القديم، أمثال أ. ألت وم نوث، يعد حديث العهد القديم عن الاحتلال العسكري أمرا مرفوضا، إذ يفترض أنه تم وفقا للتسلل السلمي المتواصل للأسباب داخل ارض كنعان<sup>(1)</sup>.

أما عمليا فإن ما أشارت الأدلة الأثرية ينفي مقولة الغزو التام، لأن بني إسرائيل لما قدموا إلى فلسطين، لم تكن البلاد خالية، بل كانت على درجة عالية من الحضارة، وكانت مدن الدويلات الكنعانية يحكمها أمراء تابعون لمصر، وكانوا يتمتعون بحكمهم الذاتي طالما استمروا على ولائهم للمصريين، كما كانت لهم من القوة العسكرية ما يمنع بني إسرائيل من احتلالها، مما اضطرهم (بنو إسرائيل) للبقاء في حالة ترحال كقبائل مستقرين على التلال والأراضي الفقيرة الداخلية الخالية من السكان على جانبي نهر الأردن، بينما ظلت السهول الفتية الخصبة في أيدي الكنعانيين السكان الأصليين، واستمروا كذلك حتى نهاية القرن الحادي عشر وأوائل القرن العاشر قبل الميلاد<sup>(2)</sup>.

إن هذا يجعلنا نميل الى القول بانهم كبدو رحل دخلوا بشكل سلمي، ولم يتمكنوا من الاستلاء إلا على مواقع إقامتهم بما يكفي لنصب خيامهم، ولأن الأرض لم تكن ارضهم فقد تفاعلوا الحرب حفظا لوجودهم وبقائهم.

لعل ما ذهبنا اليه يتعزز بما حمل موسكاتي على وصف حالهم، حينما ذكر، "ليس من الضروري أن تكون حركة التغلغل العبري، حركة فتح لا غير، فرمما تم جانب منها بالتغلغل السلمي، وقد لاءم القادمون الجدد، وهم من البدو، بين انفسهم وبين بيئتهم الجديدة شيئا فشيئا، وانتقلوا من حياتهم القديمة الى الحياة الزراعية المستقرة، وقد استوطنوا مدنا معينة ولكنهم كانوا يقيمون خاصة في المناطق الريفية وكانت تضم أراضي كثيرة لم يفتحوها بعد<sup>(3)</sup>.

كذلك يؤكد جفريز على حقيقة أن الأرض كانت ما هولة باصحابها وأن دخولهم في بدايته كان سلميا، ثم اصبح مسلحا، أي أشبه تماما بما حدث في القرن العشرين حينما اخذت المهجرات اليهودية

(1) -أبراهام مالام وحييم تدمر، العبرانيون وبنو اسرائيل في العصور القديمة، ص132.

(2) - شوقي شعث، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، ج4 ص190-191.

(3) -سيبتيو موسكاتي، تاريخ الحضارات السامية القديمة، ترجمة: يعقوب بكر، مراجعة: محمد القصاص، د. ط، (القاهرة، دار الكتاب العربي، د. ت). ص140.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

طريقها الى فلسطين تدريجيا، فيقول:

"إن تاريخ المدن الفلسطينية في السهل الساحلي في ذلك الحين يعود الى قرن أو قرن ونصف وحينما دخل الإسرائيليون في اول الأمر دخلوا مسالين وبأعداد صغيرة، ثم حملوا السلاح وبدأت الغارات المدونة في كتاب العهد القديم"<sup>(1)</sup>.

إن هذه الدراسات تؤكد الاتفاق بين المؤرخين حول كون توطن بني إسرائيل في أرض كنعان ابتداء كان جزئيا، وأن يوشع كما ذكر بيللوك في كتابه ارض المعركة" عين رقعة للقبائل لم تستطع ان تملأها"<sup>(2)</sup>. مما يجزم عدم خضوع كل البلاد ليشوع ومن جاء بعده، فقد بقي الساحل كله، عكا وبيسان وشمال يافا وغيرها وبخاصة الأماكن الخصبة، في أيدي الفلسطينيين<sup>(3)</sup>.

خالف هذه الحقائق المؤرخ الماسوني مكاريوس، في وصفه لدخول يوشع بن نون، واستيلاء القبائل الإسرائيلية على كل أراضي فلسطين، بعد إبادتهم، فيقول: توفي موسى وعهد بالقيادة الى يوشع بن نون غلامه فدخل هذا بالإسرائيليين إلى ارض فلسطين من الجهة الشرقية، وحارب الأمم المقيمة فيها فغلبهم على ملكهم، واستباحهم قتلا ونهبا، وقسم أرضه بين جزء من شعبه ثم عبر الأردن، وحارب من بقي من شعوب كنعان السبعة فغلبهم أيضا وهكذا حتى انتشر الإسرائيليون في أكثر الأرض واستعبدوا أهلها"<sup>(4)</sup>.

لكن ذلك لم يسقط حجج الدراسات النقدية لنصوص التوراة، وتفنيدها هذا الإدعاء، وكذا نفيها وجود أي أثر بالنسبة للقبائل الاثني عشر التي يفترض أنها دخلت مع يوشع بن نون، وأنه تم تهويل الغزو، وهو ما يؤكده روينسون بقوله:

توجد في الاصحاح الخامس من سفر القضاء (من المؤكد أنه يقصد القضاء) محذوفات لها دلالتها، فمن بين القبائل الأربعة الكبرى التي تنتسب إلى ليئة ذكرت قبيلة رؤيين فقط. وإن الدلائل المتوفرة لدينا

(1) - جفريز، فلسطين اليكم الحقيقة، ص38.

(2) - ج. م. ن جفريز، فلسطين اليكم الحقيقة، ص40.

(3) - القدس العربية، ص47.

(4) - شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين اليهود قديما وحديثا مع تراجم مشاهيرهم شرقا وغربا، سلسلة اليهودية بأقلام يهودي(10)، د ط، بيروت: دار وكتبة بيلون، 2007، ص18.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

لتذهب إلى القول بأن قبيلتي شمعون وليفي قد احتفتا في زمن أسبق... وأما قبيلة يهوذا فلم تدرج ضمن القبائل المنتصرة المذكورة في نشيد دبورة في آخر الإصحاح الخامس من سفر القضاة، ... وليس لنا إلا أن نفترض أنها لم تكن قد اعترف بها اعترافا كاملا على أنها قبيلة إسرائيلية... ، أما باقي القبائل التي ذكرت أنها كانت تسكن الشاطئ -يقول روبنسون- فقد كانت تابعة... وكانت الوصاية على بني إسرائيل في بعض الأحيان فعالة وصارمة مما يمنعهم من لاستخدام الطرق الرئيسية كلية<sup>(1)</sup>. كما أن التوراة ذاتها تتناقض حينما تؤكد على عدم امتلاكهم إلا مساحات قليلة من الأراضي التي طلب منهم قادتهم احتلالها<sup>(2)</sup>.

إذ لم تكن هناك وحدة بين القبائل ولم يكن هناك احتلال، بخلاف ما ذكره ماكريوس حول وحدة القبائل الإسرائيلية، فقد بينت الدراسة التاريخية، أن قبائل بني إسرائيل بقيت أجيالا في مناطق التلال في صراع مستمر مع الفلسطينيين، وباقي القبائل المؤابية والمديانية، فبعد موت يوشع لم تشكل القبائل الاسرائيلية فيما بينها وحدة سياسية، أو دينية، رغم محاولة القضاة التوحيد بينها، ولم يتمكنوا من تثبيت أقدامهم في المناطق التي ادعوا احتلالها، كما كانوا مهتدين بالفناء نتيجة مقاومة السكان الأصليين خاصة في الجبال الوسطى، مما دفعهم إلى إخلاء بعض المدن التي استولوا عليها زمن يشوع، واستمر الوضع كذلك نحو قرن من الزمن<sup>(3)</sup>.

### 5. خلافات بنو إسرائيل وإرهاصات الملكية.

يسجل على وضع بني إسرائيل خلال زمن القضاة (1130-1020 ق. م) القائم على أساس عشائري -والذي عد دور بطولة بني إسرائيل التاريخي، تميزه بالصراع الداخلي بين جماعات صغيرة- تدافع كل واحدة بمشقة عما استولت عليه من قطعة الأرض، فلم يحرزوا خلاله بعد على مقومات الأمة، إذ لم يشكلوا شعبا إلا في مرحلة متأخرة على أرض كنعان، وبالطبع ليس في القرن الثاني عشر قبل الميلاد<sup>(4)</sup>.

فضلا عن ذلك فقد توالى على قبائل بني إسرائيل خلال هذه الفترة النكبات، فكانوا بين الحين

(1)- ج. م. ن حفريز، فلسطين اليكم الحقيقة، ص 40-41.

(2)- يشوع 1/13-5.

(3)- أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ ص 292.

(4)- ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص 35. وأبراهام مالمت وحيم تدمر، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة، ص 105.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

والأخرى في خضوع مستمر للآراميين (قضاة 8/3)، والكنعانيين (قضاة 3/4)، واستلاء العماليق على أريحا (قضاة 13/3)، والمديانيين، ثم هزيمة الفلسطينيين لهم واخضاعهم لحكمهم بعد أن استولوا على تابوت العهد (1صمو 5/1)، كما ساد الانحلال الخلقي والديني بينهم، وجاوزوا حد العصيان، وانتهى إثره زمن القضاة في حالة من الصراع والفوضى<sup>(1)</sup>، فكان هذا الوضع مدعاة للاتلاف فيما بين القبائل الإسرائيلية في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد، بقيام الملكية الموحدة، بهدف رد الاعتداءات الأجنبية، قام آخر قضاتهم صموئيل بتنصيب شاؤول بن قيس من سبط بنيامين أول ملك عليهم<sup>(2)</sup>.

كما تطلعنا التوراة في هذه الفترة، على بداية مرحلة جديدة من الصراع تراجع فيها الفلسطينيون نوعاً ما عن بعض المناطق، لكن مالبثوا أن عادوا فسيطروا عليها من جديد بعد موته<sup>(3)</sup>، والملاحظ خلال هذه الفترة أن بني إسرائيل لم يؤسسوا بعد كيانا سياسياً يحفظ وحدتهم، ولذلك رغم تمكن شاؤول من التصدي للعمونيين والفلسطينيين، فإنهم سرعان ما أحكموا سيطرتهم من جديد على المراكز الأساسية في الساحل، كما أنه لم ينجح في توحيد كل القبائل الإسرائيلية، ولم يتمكن من تحقيق وحدة اندماجية فيما بينها، ولم تكن حدود ملكه واضحة، كما لم تلتزم القبائل بملكه، إذ عادت إلى الصراع فيما بينها بشأن الأرض التي وقعت في أيديها<sup>(4)</sup>.

وقد أدى عدم توافق شاؤول مع رجال الدين، خاصة بعد قتله لكهنة نوب (1صمو 22/16-20)، إلى تمردهم عليه، ومناصرة داود (عليه السلام) على تولى الحكم (2صمو 5/1-4)، كما هموا بقتله، غير أنه فوجئ بهجوم الفلسطينيين، وغيرهم من القبائل العربية الكنعانية، فكانت نهايته على أيديهم في موقعة جبل جلبوع، ثم تولى الملك من بعده داود (عليه السلام) نحو 1004-1001 ق. م، فهزم الفلسطينيين، وجعل مدينة الخليل (حبرون) في الجنوب، عاصمة في بداية ملكه، لمدة سبع سنوات ونصف وكل ذلك وفقاً لما جاء في التأريخ اليهودي<sup>(5)</sup>، المعتمد على العهد القديم<sup>(6)</sup>.

(1)-قضاة 34/21-35.

(2)-ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ص 28.

(3)-1صمو 7/31.

(4)-عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، 14، وإلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، ص 93.

(5)-شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، ص 22.

(6)-2صمو 5/5.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

بعد صراع مع الفلسطينيين<sup>(1)</sup>، تمكن داود (عليه السلام)، من بلوغه حصن صهيون، وفتح ييوس (القدس)، فأسس مملكة إسرائيل الموحدة حوالي ( 996ق.م أو 980 ق.م )<sup>(2)</sup>، وقد أبقى على اسمها الكنعاني القديم "أور-سالم" إلى جانب ذلك أطلق عليها اسم "مدينة داود"<sup>(3)</sup>، وقد ابتاع من إرنان اليبوسي قطعة ارضه الواقعة على تل "موريا" بخمسين شاقلا من الفضة وشرع في بناء الهيكل لكنه مات قبل إتمامه<sup>(4)</sup>، وبحسب ما ورد في التوراة فإنه اكتفى بترميم القدس ولم يوسعها<sup>(5)</sup>.

في الواقع رغم أن نفوذ الفلسطينيين بدأ في الانحسار تدريجيا خلال هذه المرحلة، غير أنه لم تخضع لداود (عليه السلام) كل الأراضي الفلسطينية والمراكز الأساسية، بدءا من السهول والسواحل ووصولاً إلى خليج العقبة، ناهيك أن فلسطين كانت آنذاك تحت النفوذ المصري، أخذاً بالوثائق المصرية والبابلية، وما توصلت إليه الحفريات في فلسطين التي تفيد بأن مدة السيطرة المصرية استمرت 1200 سنة، لم تنقطع يوماً عن دول الشام، منذ طرد الهكسوس وحتى السبي البابلي<sup>(6)</sup>، والمسجل تاريخياً أيضاً، أنه حينما فتحت القدس لم تصادر ممتلكات الكنعانيين السكان الأصليين، كما لم يتم طردهم، بل سمح لهم بالبقاء في مدينتهم، لكن ليس داخل القلعة، وإنما في شرق المدينة على جبل موريا، وكان استمرار بقائهم أمراً مؤكداً في المملكة اليهودية الجديدة<sup>(7)</sup>، كما تصرح التوراة بأن بني إسرائيل في تلك الأثناء سكنوا وسط الكنعانيين والعموريين، وغيرهم من السكان وليس العكس، بل واختلطوا بهم<sup>(8)</sup>:

لذلك فإن ما أوردته نصوص العهد القديم يؤكد على أن الوجود الكنعاني، سكننا وحضارة لم ينقطع، كما أن سكنى بني إسرائيل وسط الكنعانيين يفيد أنهم كانوا طارئين على المجتمع الأصلي، وهو امر يتناقض مع ما ذكر حول إبادة جميع الكنعانيين في أول دخول ليشوع، وفي الوقت ذاته يتناقض مع

(1) من إدعاءات اليهود، يذكر التلمودي حزيرغ أن البوسيين لم يقاوموا داود، بل استسلموا له حقناً للدماء وباعوه كل المدينة، وقبلوا

المال وأعطوه صكاً مقابل ذلك. أساطير اليهود ج4، ص104

(2) -محمد أديب العامري، القدس العربية، ص48.

(3) -عارف باشا العارف، تاريخ القدس، ص15-16.

(4) \_ كما ورد ذلك في 2صمو24/24-25.

(5) \_ (2صمو9/5)

(6) -محمد أديب العامري، القدس العربية، ص. 48 .

(7) -هنري كتن، القدس الشريف، ص19.

(8) \_ قضاة (3/5-7، و2صمو18/24).

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

دعوى امتداد سلطاهم.

كانت مدة ملك داود (عليه السلام) في القدس ثلاثا وثلاثين عاما، استطاع خلالها تنويع كل تطلعات بني إسرائيل، لذلك اعتبر ملكه من الوجهة التاريخية أول كيان سياسي إسرائيلي مستقر، ومثلت الملكية العصر الذهبي لبني إسرائيل، حتى أصبح ينظر إليه في زمن لاحق- الحكم الروماني - كرمز للمسيا الذي سيأتي لتأسيس المملكة اليهودية من جديد<sup>(1)</sup>.

هذا وقد تمثلت المرحلة الثانية من عهد الملكية في تولى سليمان ( عليه السلام) الملك بعد موت داود (عليه السلام)، وكان حكمه امتدادا لحكم أبيه، حيث بدأ بعمارة بيت المقدس، فمد الأسوار شمال قلعة داود (عليه السلام) وبنى حصنا للحماية، كما شيد قصره على تل أوفيل ophel، شرق مدينة القدس حاليا<sup>(2)</sup>، وأتم بناء المعبد وفقا لوصية أبيه، على أنقاض معبد اليوسيين، الذي عرف بعد ذلك بهيكل سليمان، ومنذ ذلك الحين أصبحت القدس عاصمة ملكه ومدينة مقدسة لليهود<sup>(3)</sup>. بالغ وقد اليهود في وصفهم للمملكة إلى حد اعتبارها إمبراطورية مترامية الحدود، تحاكي الامبراطوريات القائمة آنذاك من حيث جغرافيتها، ومن حيث امتداد نفوذها، فيقول روبن فايرستون: "وحد داود القبائل في مملكة واحدة، وأسس إمبراطورية إسرائيلية كبرى امتدت من الحدود المصرية إلى بلاد ما بين النهرين"<sup>(4)</sup>.

كان ذلك أحد أسباب ظهور دراسات نقدية عديدة لجغرافيتها، تناول فيها معظم الناقدين طبوغرافية فلسطين ونظامها السياسي القديم القائم على الدويلات المدن، وتوصلت دراساتهم إلى التأكيد على أن المملكة لم تكن لتمتد أكثر من حدود السامرة ويهوذا داخل الأراضي الفلسطينية التي لم تخضع كلها للنبي داود بشهادة التوراة كما بيناه آنفا.

يقول وايد في كتابه تاريخ العهد القديم: "أغلب الظن أن إمبراطورية داود لم تلامس البحر إلا في مكان قريب من يوبا (يافا)، وقد تركت مدينتنا صور وصيدا الفينيقيتان الواقعتان في الشمال من هذه المدينة دون أن يتحرش بها أحد، في حين احتفظ الفلسطينيون في الجنوب الشرقي من هذه البلاد (فينيقية)

<sup>(1)</sup>-Richard lebeau, Une histoire des hébreux de moise à Jésus ,p84.

<sup>(2)</sup>-مikhail مكسي إسكندر، القدس عبر التاريخ، ص25.

<sup>(3)</sup>-هنري كتن القدس الشريف، ص10.

<sup>(4)</sup>- روبن فايرستن، ذرية إبراهيم، ص29.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

باستقلالهم، بالرغم من أنهم كانوا متضعفين<sup>(1)</sup>، وهي حدود لم يكن ليحققها وبسط سيادته عليها، لولا ضعف النفوذ المصري والآشوري على فلسطين<sup>(2)</sup>. كما لا يمكن إغفال أن داود كان يحكم في أول أمره بصفته تابعاً للفلسطينيين، قبل أن يستقل بشؤون مملكته، وحتى بعد حيازته للاستقلال تحالف مع حيرام ملك صور لأجل حمايته، وهو ما ثبت ملكه<sup>(3)</sup>.

كما يتفق الباحثون على أن مملكة سليمان (عليه السلام) التي دامت أربعين سنة<sup>(4)</sup>، رغم تباين أوصافها واختلاف المصادر حول خريطتها الجغرافية- أخذاً بأبحاث النقات المحايدين، لا يمكن أن تمتد وتتسع أكثر من حديها من دان إلى بئر السبع، كما هو في سفر الملوك الأول 35/4 مع تأكيدهم على أن القبائل اليهودية كانت تنتشر بين فئات السكان الكنعانيين، وأن كل جهات فلسطين لم تتبع لسليمان تبعية نظامية، كما لم يشكل اليهود أكثرية فيها، فضلاً عن ذلك لم يقيم بنو إسرائيل بتعميرها، ولم يؤسسوا في مملكة القدس وقسميها (إسرائيل، ويهوذا) أية مدينة جديدة، باستثناء السامرة في رأي بعض المؤرخين<sup>(5)</sup>.

رغم أن فترة الملكية- التي استمرت لجيلين- كانت هي الفترة الوحيدة التي تمكن فيها بنو إسرائيل من تكوين قوة سياسية لها وزنها في المنطقة، فإن كثيراً من العلماء يرفضون التوصيف اليهودي لها هلى انها كانت ممتدة الطراف ، فيرى شاحاك أنه لا يوجد أي فرق بين تلك الملكية منذ تأسيسها وحتى دمارها سنة 578 ق. م، وبين الممالك القديمة المجاورة لها في فلسطين وسوريا<sup>(6)</sup>، كما اعتبر ولز كل ذلك مرحلة ثانوية عابرة على هامش تاريخ حضارة شعوب الشمال والجنوب، لم تترك إرثاً بما يدل على إمكانية اعتبارها من ضمن تلك الحضارات، فهي كما ذكر؛ "لم يتوفر لها من سعة الرقعة، ولا من القدرة الزراعية، ولا الثروة المعدنية ما يكفل لها الأهمية... ، وقصة الشعب اليهودي التي حفظتها لنا تلك

(1)- ج. م. ن حفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ص 42.

(2)- أحمد شلبي، اليهودية، ص 78.

(3)- ه. ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاوود، دط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ت، ج 2، ص 17.

(4)- أبو الحسن ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج 1، ص 187، وأبو الفدا ابن كثير، البداية والنهاية، ج 2، ص 355.

(5)- محمد أديب العامري، القدس العربية، ص 53.

(6)- شاحاك، التاريخ اليهودي، ص 81.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الأسفار المقدسة، تجري كأنها تعليق مسطر على هامش التاريخ الأعظم شأنًا"<sup>(1)</sup>.

وهو ما يؤكد أدولف لودز من خلال مقارنته لمملكة داود (عليه السلام) بالإمبراطوريات؛ البابلية، والآشورية، والمصرية، ، بأنها لم تكن أكثر من إمارة متواضعة صغيرة، لم تشمل إلا حدودا معينة في فلسطين، دون السواحل وباقي المدن التي ظلت تابعة للفلسطينيين<sup>(2)</sup>.

أما وفقا للدراسة الأثرية، فيرجح أن "مدينة داود العظيمة " التي اعتبرت عاصمة لإمبراطورية ضخمة، ما هي في حقيقة الأمر إلا قرية أقل تطوراً من كثير من المدن الواقعة بين بيت لحم ورام الله، وبالتالي ما عاد الربط بتاريخ اليهود شرطاً لربط الموقع بمسوغات سياسية، بل انتقل إلى دور مكشوف في عملية الاستيطان، وفي تبرير حق اليهود في الاستيطان في أي مكان في عاصمة داود وسليمان (عليهما السلام)، وفي المنطقة التي تم صوغ التاريخ اليهودي فيها"<sup>(3)</sup>.

وبينما تقول رواية سيفر صموئيل الثاني، وسيفر الملوك الأول، بأن الملك داود (عليه السلام) أقام إمبراطورية، تمتد بين النيل والفرات، أورثها لسليمان (عليه السلام) بعد وفاته، إلا أن علم الآثار لم يتمكن من العثور على أجزاء منها فيما قبل القرن السابع قبل الميلاد، كما أوضحت الحفائر في الوقت الحاضر أن الجزء الجنوبي للمدينة الأصلية ( القديمة)، أصبح محجراً بنيت من آثاره مدينة إيليا كابولينا<sup>(4)</sup>.

هذا وقد صرح إسرائيل فنكلشتاين بعدم وجود أي دليل أثري يثبت قيام مملكة عظيمة دانت لها أقاليم ضخمة، ويعتبر "الكشف عن آثار تعود إلى العصر البرونزي، والعصور المتأخرة عن العصر الحديدي، وعدم العثور على دليل يعود إلى القرن العاشر، إنما هو دليل على أن المملكة لم تكن أكثر من مجرد قرية مرتفعات... وأنه ليس من الممكن أن تصبح تلك المنطقة ذات الكثافة السكانية المتناثرة المحدودة بين يهوذا والقدس، إمبراطورية عظيمة تمتد من البحر الأحمر جنوباً إلى سوريا شمالاً"<sup>(5)</sup>.

أما عالم الآثار الإسرائيلي زئيف هيرتزوغ، فقد قدم دراسة يفند فيها المزاعم الصهيونية المعتمدة

(1)- معالم تاريخ الإنسانية، ص 10.

(2)- Adolphe lods, Israel dés origines Au milieu du VIII Siecle, p422.

(3)-نضمي الجعبة، القدس بين الاستيطان والحفريات، ورقة بحثية منشورة بمجلة الدراسات الفلسطينية العدد 8 شتاء-ربيع 2009-2010، ص 7.

(4)- عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، تقديم: عبد العظيم ومضان، د ط، القاهرة: الهية المصرية العامة للكتاب، 2000، ص 56.

(5)- التوراة مكشوفة على حقيقتها، ص 178-179.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

على أساطير التوراة كمصدر للشرعية، معترفا فيها بعدم الدخول العسكري إلى فلسطين، كما بين أن مملكة داود وسليمان عليهما السلام) التي تصفها التوراة بأنها دولة عظيمة كانت في أفضل أحوالها مملكة قبيلة صغيرة<sup>(1)</sup>.

للاهمية بمكان، فنحن كمسلمين لا ننفي الوجود الزمكاني لمملكة النبيين داود وسليمان (عليهما السلام)، لثبوت ذلك بخبر القرآن، حيث حباهما الله بالملك والنبوة، ولكن لا يمكن التصديق بالوصف الذي تم تقريره في نصوص العهد القديم، ولكون أن الحكم كان دينيا أكثر منه سياسيا، فهو كاف لإسقاط الحق التاريخي لبني إسرائيل في فلسطين، أما إذا كان الأمر يتعلق بالجانب السياسي، فإن ما آل إليه بنو إسرائيل بعد سليمان (عليه السلام) سيكون الفيصل في ذلك.

### 6. زوال ملك بني إسرائيل:

يتفق تاريخيا على حقيقة عدم استمرارية حكم بني إسرائيل في فلسطين بعد انقسام الملك بين الأسباط، وهو ما تشير إليه كذلك نصوص العهد القديم في وصفها لحال بني إسرائيل والصراعات التي استمرت بينهم بسبب التطلع إلى الحكم. لكن الغريب في النصوص أنها تضيف أن الإنذار الإلهي بتمزيق المملكة حدث في حياة سليمان (عليه السلام) نتيجة معاصيه، وتركه لفرائض الله، وإكراما لدواد تم تأجيل ذلك إلى ما بعد موته: "من أجل أن ذلك (العصيان) عندك، ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها. فإني أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك. إلا إني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك، بل من يد ابنك أمزقها... وأعطي سبطا واحدا لابنك."<sup>(2)</sup>، وبعد موت سليمان (عليه السلام) خلفه ابنه رحبعام في الحكم مدة سبع عشرة سنة<sup>(3)</sup>، ووفقا للسياق الكتابي فإن يربعام آثار القبائل من سبط يهوذا ضده، ونتيجة لاستمرار الخلافات الداخلية بين الأسباط، ناهيك عن زيادة النفوذ المصري في البلاد، واحتلال شيشنق القدس مباشرة بعد وفاته سليمان، فضلا عن مقاومة البيوسيين التي لم يعرف لها أفول، واستردادهم الحكم على القدس، أدى كل ذلك إلى انقسام المملكة إلى مقاطعات محدودة، مشكلة مملكتين متعاديتين، شمالية وعاصمتها "السامرة" وجنوبية وعاصمتها "أورشليم"، ولم

(1)-تاريخ فلسطين من خلال علم الآثار، ص123.

(2)-1مل 11/11 و13.

(3)-تاريخ الطبري، ج1، ص517.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

يكن لكل من المملكتين أي سلطان على باقي أراضي فلسطين<sup>(1)</sup>.

أدى التنافس والعداء المستمر بين المملكتين إلى إضعافهما، فضلا عن التصدع الداخلي نتيجة الاشتباك مع مصر، كما تعرضتا للضغط الآشوري الذي كان في أوج عظيمته العسكرية، فزال حكم مملكة الشمال على يد الآشوريين عام 733 ق. م، وبعد حصارها عام 725 ق. م انتهى وجودها على يد سرجون الثاني سنة 721 ق. م، فدمرها وأجلى سكانها إلى العراق وفارس، وأحل مكانهم جماعات من الآراميين، وهم عرب ثمود، بالإضافة إلى ذلك أتى ملك آشور بعناصر بابلية وأخرى من حمّاه، وكوت، وأسكنهم السامرة<sup>(2)</sup>، ولم يبق بعد السبي الأول أثر لأسباط بني إسرائيل العشرة الذين شكلوا هذه الدولة، أما المملكة الجنوبية فقد تحولت إلى دويلة تابعة للحكم الآشوري الذي أخضع لسلطانه مصر، ولم تنعم باستقلالها إلا فترات بعد ضعف الآشوريين، حيث اعترتها عوامل الضعف والوقوع تحت النفوذ الخارجي، لذلك فقد بقي تاريخها السياسي تاريخ شعب صغير لا أهمية له نحو قرن من الزمن<sup>(3)</sup>. وما لبثت أن سقطت على يد البابليين بقيادة نبوخذ نصر سنة 587 ق. م، فدمر الهيكل، وخرّب القدس، وما حولها من المدن وأحرق التوراة، وقتل وجهاء اليهود وسبى ما بقي من بني إسرائيل إلى بابل<sup>(4)</sup>، وتم استيعابهم وامتصاصهم اجتماعيا ودينيا في البيئة البابلية، فكانت تلك هي نهاية مملكة يهوذا، واستمر حالهم في السبي إلى سنة 538 ق. م، ولم يتمكنوا بعدها من استعادة كيانهم السياسي، نتيجة تغير البنية الاجتماعية والسياسية، بل عاشوا كطائفة دينية تحت إمرة الكاهن، واستمر الوضع كذلك إلى زمن المكابيين<sup>(5)</sup>.

بعد انهيار بابل أمام القوة الأخمينية بقيادة مؤسسها قورش في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، (559-539 ق. م)، أبدى تسامحه مع اليهود، كمكافأة لهم<sup>(6)</sup>، على مساعدته في إسقاط الحكم البابلي

(1) -مراد كامل، الكتب التاريخية في العهد القديم (معهد البحوث والدراسات الإسلامية)، د. ط، (المطبعة الفنية الحديثة، 1964م)، ص 98-99.

(2) -أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص 327. وهنري كتن، القدس الشريف، ص 20.

(3) -جان بوتيرو، ولادة الإله التوراة والمؤرخ، ط 1، دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، 1999، ص 84.

(4) -المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبد القدر عطا، ط 2، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1995م)، ج 1، ص 407.

(5) -عارف باشا العارف، تاريخ القدس، ص 18 وشاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، ص 26.

(6) \_ ورد ذلك في أسطوانة تم إكتشافها في بابل سنة 1879م على يد الثري هرمزد رسام، حوت بين أسطرها قرار قورش سنة 538 ق. م بالسماح للمسيبين بالعودة إلى بلادهم بما فيهم اليهود. يوسف الدبس، تاريخ سورية، ص 498.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

سنة 539ق.م، ففتحت أمامهم آفاق العودة إلى فلسطين<sup>(1)</sup>، ونتيجة معاملته الحسنة، اعتبره المسييون بمثابة المخلص "المسيح المنتظر"<sup>(2)</sup>، فكان ذلك بمثابة الخروج الجديد، كما رأيناه في تحررهم من عبودية فرعون، وهو ما أعادت الصهيونية قراءته في احتلالها لفلسطين.

يقول المسيري: "وقد أصبح السبي أو النفي إلى بابل، ثم الخروج منها والعودة إلى فلسطين، مثله مثل العبودية في مصر ثم الخروج منها والتسلل إلى كنعان والاستيلاء عليها، نمطاً متكرراً يعيد نفسه في التاريخ المقدس، ويحاول الصهاينة أن يطبقوا ذلك على التاريخ غير الديني. وداخل هذا النمط، يرى الصهاينة أن النفي من القدس، بعد تخطيط الهيكل في عام 70 م، شكل من أشكال العبودية يتبعه خروج من الشتات ثم دخول إلى فلسطين، أي أن الاستيطان الصهيوني الذي يشار إليه بأنه الهيكل الثالث جزء من نمط متكرر"<sup>(3)</sup>.

لكن في الواقع لم تكن عودة المسييين خارج إطار السلطة الفارسية التي استمرت حتى سنة 333ق.م، فقد عادوا إثرها كجماعة دينية، ثم ما لبثوا أن خضعوا للسيطرة اليونانية، بعد انتصار الاسكندر المقدوني على ملوك الفرس وعاشوا في فلسطين في شكل مستعمرات يونانية<sup>(4)</sup>، كما توجه بعضهم إلى ساحل البحر الأسود، وبعد قرن ونصف من الحكم اليوناني للقدس قامت الثورة المكابية سنة 167ق.م، من أجل إعادة البنية الكهنوتية بعد تصدعها، بسبب منع اليونان للعبادات اليهودية وتجاوزهم على حرمة المعبد اليهودي، وبعد انتصار لم يدم بسبب الصراع الداخلي بين القادة وحكام اليهود<sup>(5)</sup>، خضعت فلسطين للحكم الروماني عام 63 ق.م، وقد رحب به اليهود في أول الأمر، وقام هيرودوس تحت الولاية الرومانية ببناء المعبد الثالث، فلما ثار السامريون على الاحتلال الروماني حاصرتهم القوات الرومانية في جبل جرزيم، وقتلت 11000 منهم وهدمت مدينة شكيم، وفي سنة 70م

(1)- الأب ديلي، تاريخ شعب العهد القديم، ص345.

(2)-ورد ذلك في أشعيا28/44 و1/45.

(3)-المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج4، ص314.

(4)-أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص327.

(5) \_ ترسخ لدى الأبحار أن الهدف من الثورة هو تخليص اليهود من القيود الفكرية والدينية اليونانية، وتمكينهم من ممارسة شعائرهم وطقوسهم في المعبد، غير أنهم لم يلقوا ذلك، حيث تسلط القادة المكابيون عليهم، وخالفوا مبادئ الدين اليهودي التي طالما نادوا بنصرتها، مما جعل الحكماء يفضلون الحكم الأجنبي عليهم، ما دام ذلك يحافظ على هويتهم الدينية. رشاد الشامي، اليهود واليهودية في العصور القديمة، ص10-11.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

أمر فسباسيان بنقل حجارتهما وتحديد بنائهما في غرب المدينة القديمة وسماها نيابولس (Neapolis أي المدينة الجديدة) ، نابلس الحالية<sup>(1)</sup>، وبعد تمرد اليهود وقتلهم لجنود الرومان عهد فسباسيان إلى ابنه الامبراطور تيطس سنة 70 بتأديبهم والقضاء على مدينة القدس، فأحرق الهيكل، ونكل باليهود انتقاما مما لاقاه منهم، ثم قام بضم فلسطين إلى الشام وأسماها فلسطين السورية، ولم يعد لهم بعد ذلك حكم ولا رئاسة، وبخراب القدس انتهى تاريخهم كأمة، وكان تاريخهم فيما تلى ذلك ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها أو حلوا بها<sup>(2)</sup>.

في سنة 132م أمر أيلوس هادريانوس رابع حكام الروم بتدمير القدس تماما، ثم أعاد بناءها مرة أخرى، وألغى اسم أورشليم، وأطلق عليها اسم إيليا كاييتولينا تمجيدا لاسمه وحولها إلى مستعمرة رومانية، ولما ثار أحبار اليهود بزعامة باركوخبا سنة 135م من أجل استردادها، كمحاولة منهم لإقامة دولة يهودية، حاصرهم هادريانوس مرة أخرى، واحتل المنطقة اليهودية ودمرها، وحرّم على اليهود دخولها وأحل بدلهم جالية رومانية، وعلى إثر ذلك تشتتوا في العام ولم يبق لهم أثر في فلسطين، فكان ذلك آخر عهد لهم بفلسطين<sup>(3)</sup>.

منذ القرن الثاني الميلادي انقطع الوجود اليهودي في فلسطين، ولم يسكن فلسطين بعدئذ يهودي واحد، كما لم يكن فيها في القرون الخمسة التالية لشتاتهم أكثر من خمسين يهوديا، إلى أن كان الفتح الإسلامي بداية القرن السابع الميلادي، فظلوا ينعمون بالعدالة والحرية، حتى زمن حملة الصليبيين لبيت المقدس 1090م، وكانوا يأتون من أنحاء العالم للزيارة، وكانوا يسكنون حارة أطلق عليها حارة اليهود، فما لبثوا أن تركوا كل فلسطين بسبب التعسف الصليبي، ثم تلتها هجمة المغول بقيادة هولكو سنة 1260م، فقتل منهم وشرّد البقية<sup>(4)</sup>، وعلى إثر ذلك لم يبق للشعب اليهودي وجود منذ سنة 72

(1) -فورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله، ط1، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1997، ص24.

(2) -الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص279. شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، ص77.

(3) -مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج1، ص658-659.

(4) -شوقي شعث. دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، ج1، ص164-165.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ميلادية<sup>(1)</sup>، وانقطعت صلتهم بأرض فلسطين بما يزيد عن ثمانية عشر قرناً متواصلة، عاشوا خلالها مشتتين في بقاع العالم.

تساءل في هذا المقام كيف يأتي يهود العصر بعد هذه المدة الزمنية ليطالبوا بحقهم في فلسطين بدعوى إقامة أباؤهم؟ محاولين إثبات ذلك من خلال الاستحضار التاريخي للملكة اليهودية، وبناء أحداث التوراة ضمن تاريخ الشرق الأدنى القديم، تاريخ لم يمثل إلا فترات زمنية قصيرة، وعابرة من تاريخ فلسطين، التي تعاقبت عليها أمم وشعوب، وحلت بها مدة أطول بكثير من إقامة بني إسرائيل، ولم يثبت تاريخياً أنها ادعت أن لها حقاً فيها.

بمقتضى هذا الادعاء نشطت الأبحاث الأركولوجية الغربية والإسرائيلية على حد سواء، بغية الوصول إلى ما يمكن اعتباره دليل إثبات يتوافق والرواية الكتابية، كما ركزت السياسة الإسرائيلية على عملية التنقيب في المدينة القديمة، بما يطلق عليه اسم "الحوض المقدسة"<sup>(2)</sup>. بهدف التحري عن آثار وطيوغرافية وجيولوجيا وتقاليد الأرض المقدسة، وتوضيح مسائل الكتاب المقدس<sup>(3)</sup>.

ورغم توسع عمليات التنقيب (1863م حتى 1958م)، واستنفاذ العلماء التوراتيون كل إمكاناتهم اعتقاداً منهم أن الهيكل شيد في موقع المسجد الأقصى، اعترف كثير منهم بعدم جدواها، وبأن ما تم التوصل إليه لا يعكس الرواية الكتابية إطلاقاً<sup>(4)</sup>، حيث لم يتم العثور على أي دليل أثري يشير إلى موقع الهيكل الأول أو الثاني، كما صرح عالم الآثار الأمريكي غوردن فرانز<sup>(5)</sup>.

هذا وقد أدى فشل إثبات دعوى الحق التاريخي، من خلال محاولة الربط بين نصوص التوراة ونتائج الحفريات إلى رفض كثير من علماء الآثار اعتماد تاريخية التوراة، لأنها تمثل وجهة رأي الإسرائيليين فقط، وقد صرح بذلك عالم الآثار الهولندي هنريكوس فرانكن بقوله:

(1) - ألفريد ليلينثال، ثمن إسرائيل، ترجمة: حبيب نحوي وياسر هواري، ط3، بيروت: مطابع دار الكشف، 1954، ص142.

(2) - نظمي الجعبة، القدس بين الاستيطان والحفريات. ص1-2.

(3) - فراس السواح، تاريخ أورشليم البحث عن مملكة اليهود، ط3، دمشق: دار علاء الدين، 2003، ص25.

(4) - جودت السعد، أوهم التاريخ اليهودي، ص119.

(5) - جريس هالسل، النبوءة والسياسة الإنجليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية، ط2، القاهرة: دار الشروق، 2003، ص83.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

" إن مفهوم العبرانيين ( الإسرائيليين ) الخاطئ للقضايا العربية، وحقوق شعب فلسطين في عصرنا الحاضر، لا يختلف عنه في العصر القديم... إن أساس العلة في إقدام علماء الآثار التوراتية على تحريف التاريخ، هو أن الدراسات الأثرية التي تعالج الفترات التاريخية السابقة للعصر المسيحي تركز على الإيمان بأسطورة ابتدعها كتبة التوراة عن تحركات القبائل العبرانية عبر البلدان المعادية، وما تخلل ذلك من حكايات عن حروبهم مع سكانها... لذلك فإن ما تصفه التوراة أنه من المعجزات، ينظر إليه على أنه حقيقة رغم استحالة إثبات صحته علميا وتاريخيا، ولأجل فهم ذلك ينبغي على علماء الآثار تفسير الأدلة الأثرية خارج الإطار الديني والعقائدي"<sup>(1)</sup>.

هذه الصورة البانورامية للتاريخ الإسرائيلي، يقدمها المؤرخ الفرنسي جان بوتيرو بعد كشف علم الآثار تزييف التاريخ، بقوله: "إنه تم التعرف على شعوب الألف الثالث قبل الميلاد، وأهمها شعوب ما بين النهرين والمصريين والحثيين، كما تم التعرف على أهمية تاريخهم... ، قد تظل إسرائيل في نظر المؤمنين حاملة رسالة إلهية، ولكن في نظر التاريخ لا تعدو أن تكون أحد الشعوب القديمة... ، إن التوراة في نظر التاريخ والحقيقة المجردة هي مجرد ديوان تم جمع أديباته الدينية خلال ألف سنة... ، إن تاريخهم يبدأ من غزو البلاد... فهم ليسوا في الأصل من سكان فلسطين، إنما كانوا غزاة منذ 1200 تقريبا قبل الميلاد، وبعد قرنين من الزمن اعتبروا أنفسهم أنهم من جد واحد"<sup>(2)</sup>.

فعلاقة اليهود بأرض فلسطين انفكت عراها منذ ثمانية عشر قرنا، ثم إن هذه العلاقة كما أشرنا لم تكن متواصلة، كما لم يكن اليهود السكان الوحيدين بفلسطين في أي فترة من فترات تاريخهم المنقطع، وإقامة دولة الكيان من هذا المنطلق تعد مخالفة قانونية، إذ لا يمكن قيام دولة على حساب تشريد شعب من أرضه.

لقد كان لنتائج التنقيبات دور في تحديد نظرة العلماء نحو التاريخ الإسرائيلي، كحدث طارئ على تاريخ أرض فلسطين، يقول وايتلام: "وإذا نظرنا من منظور أوسع وأطول زمنا، فإن تاريخ إسرائيل القديمة. يبدو ك لحظة قصيرة في التاريخ الفلسطيني الطويل"<sup>(3)</sup>، ويذهب الباحث في التاريخ الإسرائيلي

(1) - شوقي شعث، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين. ج 4، ص 191-192

(2) - جان بوتيرو، ولادة الإله التوراة والمؤرخ، ص 141-142.

(3) - كيت وايتلام، إحتلاق إسرائيل القديمة، ترجمة: سحر الهنيدين مراجعة فؤاد زكريا، عالم المعرفة (249)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سبتمبر 1999، ص 29.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

شلومو ساند إلى رد وإبطال فكرة المطالبة بالأرض، وعدم قبول اعتمادها على حساب أصالة وديمومة الوجود العربي في فلسطين، رافضا بذلك تبرير مشروع الاستيطان، بمقتضى الحق التاريخي في فلسطين، الذي يعتبره بكل المعايير غير مؤسس ولا وجود لما يدل على صحته، قانونيا وعرقيا، حيث يقول في هذا الصدد: "لم أتصور بأن شعوب المنفى لها حق في ملكية قومية على إقليم لم تسكن فيه لمدة ألفي عام، في حين أن السكان المقيمين فيه بشكل متواصل منذ مئات الأعوام محرومون من هذه الصلاحية... ، ولا أعتقد بأن أصل اليهود هو من أرض يهودا القديمة"<sup>(1)</sup>.

كما يشهد التاريخ أن اليهود لم تكن لهم حضارة ولم يقدموا لفلسطين بقدر ما أخذوا عنها، ولم يمتلكوا يوما مقومات الأمة، ولم يكن لهم أي مظهر من مظاهر الفن العمراني أو الحضارة، يقول غوستاف لوبون: لم يجاوز قدماء اليهود أطوار الحضارة السفلى التي لا تكاد تميز من أطوار الوحشية، وعندما خرجوا من باديتهم ليستقروا في فلسطين، وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل، ولم يقتبسوا من تلك الأمم سوى أحسن ما في حضارتها"<sup>(2)</sup>.

مما تقدم بيانه نخلص إلى القول بأنه لم يكن لليهود أسبقية في فلسطين، فبدءا من فتح القدس على يد داود عليه السلام، ثم قيام المملكة، وما كان من انقسامها والسبي الآشوري، ثم البابلي، ثم خضوعهم للسيطرة الأجنبية واستمرار ذلك حتى خراب القدس والشتات، وبناء على ما أشارنا إليه سابقا حول تاريخية مدن وسكان فلسطين، يكون قد مر على إنشاء القدس اليوسية قبل كل ذلك نحو 3000 سنة، كما يكون قد مر على الوجود العربي في فلسطين أكثر من 4000 سنة، وعلى ظهور الكنعانيين وباقي القبائل العربية التي هاجرت من جزيرة العرب ما يزيد عن 5000 سنة، وقد بينا هذه الحقائق التاريخية آنفا، فأين محل تاريخ الوجود اليهودي من ذلك؟

إن كان من حق اليهود المطالبة بفلسطين من منطلق الحق التاريخي المبني على إقامة ملك داوود وسليمان عليهما السلام، على جزء من أرضها والذي لم يستمر أكثر من سبعين سنة، فهل يحق لفرنسا أن تطالب بالجزائر التي احتلتها مائة وثلاثين عاما؟ وهذا في اعتقادنا من منطلق العتب الصهيوني.

لا يمكن إنكار أنه كان لليهود وجود ديني وسياسي في فلسطين مثلته مملكة النبيين، داود وسليمان

(1) - شلوم ساند، اختراع أرض إسرائيل، ص33.

(2) - غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص31.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

(عليهما السلام)، لثبوت ذلك بنص القرآن الكريم في وصف حكمهما عليهما السلام، دونما بيان لجغرافية الحكم وامتداده، غير أن هذا الوجود انتهى وزال بعد موت سليمان، بانقسام المملكة وما رافقه من الردة الدينية المتكررة، والتصددع الداخلي بين القبائل الإسرائيلية، فكانوا عرضة للتفكك من حين لآخر، بسبب خضوعهم لنفوذ وهيمنة الدول القوية المجاورة، ثم ما لبث أن زال نهائياً ولم يعد هناك ما يربطهم بفلسطين بشكل متواصل، حيث انتهى هذا الرابط بتشتتهم كما سبق وأن أشرنا، لذلك فإن وصف العهد القديم لجغرافية المملكة في كلتا الحقتين فيه من المبالغة والشطط.

فإذا كان اليهود يبنون أمالهم في العودة إلى فلسطين على أساس الحق التاريخي، فإن ذلك لا يمكن قبوله واعتباره، ذلك أن الوقائع السابقة تبطله، إذ لم يكن لهم ملك مستمر، ولم تثبت لهم سلطة فاعلة، ولم يحصل اليهود عبر مسارهم التاريخي على الحق في ممارسة السيادة على الأرض إلى أن تم إجلاؤهم، ثم شتاتهم في بقاع العالم، لقد كان وجودهم في فلسطين طارئاً، ولم تستمر سلطة السياسية (مثلة في المملكة) في فلسطين أكثر من ثلاثة قرون، كما لم يتجاوز حكمهم فيها حدود مدينة من مدن فلسطين، وكان في غالب الوقت ضعيفاً مفككاً على فترات، وفي الوقت ذاته لم يرح أبناء فلسطين من الكنعانيين وغيرهم أرضهم، ولم يهجروها أو يرحلوا عنها يوماً.

إن الوجود الفلسطيني يعود إلى عمق التاريخ، لذلك لا يمكن اغتيال التاريخ بتلك السهولة التي يتخيلها الصهاينة، بينما عاش بنو إسرائيل في فلسطين كأقلية بين سكانها الأصليين، ولم ينشئوا دولة مدينة تضم كل فلسطين، بل اقتصر حكمهم على دويلتين من مدن فلسطين، " السامرة، والقدس"، لعدم وجود دولة مركزية، وهو النظام الذي كان معمولاً به في مدن كنعان قديماً كما أوضحناه في البداية.

على ضوء ما بيناه، فإنه مقارنة بعمر القدس الطويل، لم يكن لليهود حكم بمعنى الكلمة في القدس وفلسطين، سوى الفترة الوجيزة من المملكة، ولهذا الحكم الوجيز هول اليهود العالم بأن لهم إرثاً في القدس، ووضفوا كل الطاقات من أجل إبراز الحضور الإسرائيلي، وتغييب سكان فلسطين تاريخياً، وهو ما أبطلته الدراسات الأثرية الغربية، وكذلك التوراتية.

وما يمكن استخلاصه كذلك أن نفي الحق التاريخي لبني إسرائيل في فلسطين لا يعني انكار وجود مكون يهودي في التاريخ الفلسطيني، مثله مثل أي بلد عربي، أو في أي مكان آخر في العالم، لكن المشكلة تكمن في توظيف الحركة الصهيونية للتوراة، ونتائج علم الآثار لتبرير المشروع الاستيطاني الكولونيالي على أرض فلسطين، تحت مقولة الحق التاريخي الزائفة.



المطلب الثاني: توظيف الحق الإنساني في تبرير الاحتلال:

أولاً: مفهوم الحق الإنساني في الفكر الصهيوني:

سبقت الإشارة إلى حقيقة كون الدين اليهودي يربط التاريخ بمسيرة الشعب المختار، من خلال تقسيم التاريخ إلى مراحل مرتبطة بالوجود اليهودي بين التجمع والشتات، حيث إن التاريخ كله كما بينا، وفقاً للرؤية اليهودية، يرتبط بثنائية شتات الشعب المختار ووجوب العودة إلى الأرض المقدسة، وكما هو معلوم، فإن ذلك تم وفقاً للمعتقدات اليهودية التي مرت بمراحل أدت إلى إعادة صياغتها، ثم بلورتها بما يتناسب والرؤيا الصهيونية.

لقد أثارت الحركة الصهيونية دعواها بحق السيادة على فلسطين بالتركيز أساساً على أن مركز اليهود "كشعب وجنس وجماعة لا مأوى لها"، لم يبدأ منذ الاضطهاد النازي، وإنما بدأ قبل ذلك بعشرات السنين، وأن اليهود مروا بمراحل تاريخية عصبية اضطهدوا فيها، وتعرضوا للتعذيب والتمييز، ومن وجهة النظر الصهيونية التي طبعت برامجها وأنشطتها بطابع تاريخي تراثي ديني يهودي، من أجل خلق الدافعية لتبني مشروعها الاستيطاني، وبذلك تحفيز اليهود على الهجرة لإقامة الدولة اليهودية، فإن حق اليهود في فلسطين -فضلاً عن المرتكزات الدينية والتاريخية- يستند إلى حاجة إنسانية، من منطلق معاناتهم في الشتات<sup>(1)</sup>.

ضمن هذا السياق تم ترسيخ تفرد التاريخ اليهودي كإثبات لتفرد الشعب اليهودي، ومن ذلك سيتم أيضاً تقديم مشكلة اليهود في الشتات على أنها إحدى المسوغات الأساسية لتبرير قيام الدولة اليهودية.

ثانياً: التحليل الصهيوني لمفهوم الحق الإنساني:

### 1. تيودور هرتزل:

عبر هرتزل عن فكرة إقامة الدولة اليهودية من منطلق الحق الإنساني، من خلال تحليله الفلسفي لظاهرة العداة للسامية، فبينما يعتبرها ظاهرة نافعة تمكن من تثقيف اليهود وتطور الخلق اليهودي، أكد في الوقت ذاته على أنها ميراث القرون الوسطى، ارتبطت بالوجود اليهودي: "فأينما وجد اليهود بأعداد

(1) - محمد إسماعيل علي السيد، مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية، ص 83.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

كبيرة، تنتقل (اللاسامية) إلى المكان مع هجرة اليهود إليه، ذلك أننا ننقاد دوماً إلى الأمكنة التي لا اضطهاد فيها، لكن حالما نجتمع هناك يبدأ اضطهادنا"<sup>(1)</sup>.

من ناحية أخرى، كان هرتزل يرى في اضطهاد اليهود - بما يتناقض مع الطرح السابق - صيرورة لفشل اليهود في تحقيق مواظنتهم وانصهارهم في المجتمعات، لعدم قدرتهم أو رفضهم الاندماج فيها، وبهذا المفهوم أصبح العدا "اللاسامية" في تصور هرتزل مشكلة سياسية، أكثر من كونها اجتماعية أو دينية ينبغي تدويلها، فهي في تحليله قضية قومية لا يمكن الحسم فيها، إلا إذا أصبحت سياسية عالمية"<sup>(2)</sup>. وهو في رأيه يفرض على الدول أخذها بعين الاعتبار، ومناقشتها، وإيجاد حل لها، وذلك بالاعتراف بها في إطار قانوني<sup>(3)</sup>، وبهذا المفهوم سعت الصهيونية إلى إثبات ما يعرف بشرعية مطلبها، والمتمثل في تأسيس وطن قومي لليهود من منطلق الحق إنساني كحل لمشكلة الشتات اليهودي.

تبعاً للرؤيا الصهيونية يعلل الاضطهاد بالوجود اليهودي، كدليل على تميزه عرقياً، وأنه رغم ذلك حافظ اليهود على هويتهم لإيمانهم بالخلاص الإلهي، غير أنه لا يمكن حل مشكلتهم باندماجهم في الشعوب التي يعيشون بينها، لاستحالة مطلقاً بين اليهودي والآخر.

يصف هرتزل ذلك بقوله: "لقد حاولنا بإخلاص أن نختلط مع المجتمعات التي عشنا فيها، وكان همنا أن نحافظ على إيمان آبائنا... وعبثاً نقدم التضحيات بالأرواح والأموال... مازلنا نعامل كغرباء في الوطن الذي عشنا فيه قروناً، ويعاملنا كغرباء حتى هؤلاء الذين جاء آباؤهم إلى هذا البلد بعد مجيء اليهود بوقت طويل... لا يستطيع الاضطهاد والظلم أن يحونا من الوجود، لم يكن هناك أمة على وجه الأرض تحملت مثل ما تحملنا من الاضطهاد والعذاب"<sup>(4)</sup>. فجريمة الأغيار في نظر هرتزل هو جهلهم بحقيقة التاريخ الذي جعل اليهودي يهودياً<sup>(5)</sup>.

لذلك فإن أنسب الحلول لمشكلة العدا، أن يكون لليهود وطن يأويهم، حيث أن "العودة" كانت

(1) - أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص104.

(2) - التيودور هرتزل، الدولة اليهودية، ترجمة: محمد فاضل، ط1، القاهرة: دار الشروق الدولية، 1428هـ-2007م، ص47.

(3) - عبد الوهاب المسيري، اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص123.

(4) - أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص106.

(5) - عبد الوهاب المسيري، اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص122.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

من أهم نبوءات الدين اليهودي منذ الشتات على أيدي الرومان عام 70م<sup>(1)</sup>، وفي مقابل إصراره على استمرارية العدا لليهود وربطه بوجودهم، يقدم هرتزل المعيار الأخلاقي، والتاريخي، والقانوني لقيام الدولة اليهودية، التي من شأنها أن تضع حدا لمعاداة السامية، يقول هرتزل: "أريد أن أقدم لهؤلاء المنبوذين بلدا سيكون ملكهم الخاص، حيث -بفضل حريتهم الكاملة- تنمو قدراتهم وتضعف في الوقت نفسه الشرور، والأخطار التي ولدتها فيهم قرون الإضطهاد والنفي، وأريد أن لأحررهم من تلك الأمراض الخلقية"<sup>(2)</sup>، وذلك من منطلق الإيمان بفكرة ظلت متجذرة في الوعي اليهودي - كما يرى - رددتها الألسنة، "العام المقبل في القدس"، وأن ذلك سيتم بمباركة الحكومات، وعلى مرأى ومسمع الرأي العام العالمي"<sup>(3)</sup>.

هدف هرتزل في معظم خطاباته إلى غرس فكرة استمرارية عدا الشعوب لليهود في أي مكان، كمنطلق أساسي للدعوة من أجل إقامة الدولة اليهودية، لذلك اعتبر كلا من الاندماج أو هجرة اليهود من بلد إلى آخر من وجهة نظره، محاولة ناقصة لا تغير من وضعهم السيء بقدر ما ستكون ضارة، لأنها على حد قول هرتزل: "تعمل على تأجيل الحل إن لم نقل أنها تعمل على منعه"<sup>(4)</sup>، فالدعوة إلى إنشاء الوطن القومي، كما يرى كانت بديلا عن الاضطهاد والاندماج الذين كثيرا ما هدا الوجود اليهودي في الشتات، وهو ما عبر عنه بقوله: "ثمة قوتان جعلتا من وجود دولة لليهود حاجة ملحة وليست فكرة مثالية، وهما معاناة اليهود نتيجة الاضطهاد والخوف من الاندماج"<sup>(5)</sup>

تبقى فكرة إنشاء فضاء مكاني يجمع شتات اليهود، ويحفظهم من الإبادة، كما يبقى على هويتهم وقوميتهم، أهم هاجس يسيطر على فكر الزعامات الصهيونية الراضية للاندماج، أمثال أحد هاجم<sup>(6)</sup>، وكالاتزكين<sup>(7)</sup> باعتبار أن الاندماج مرض معد يضعف الجماعات اليهودية، ويهدم بناء القومية اليهودية، بل إنه جريمة خطيرة تقضي على إنسانية وكرامة اليهودي.

(1)-فليب لومارشان ولما راضي، إسرائيل فلسطين غدا، تعريب: يوسف ضومط، ط1، بيروت: دار الجليل، 1419هـ-1998م، ص9.

(2)-أنيس صايغ (إعداد)، يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، جانفي 1968، ص99.

(3)- تيودور هرتزل، الدولة اليهودية، ص53.

(4)- أنيس صايغ، لفكرة الصهيونية، ص114.

(5)-ديزموند ستيوارت، تيودور هرتزل، ج1، ص255. نقلا عن: عبر سهام مهدي، التعصب في الفكر الصهيوني، ص115.

(6)- أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص141.

(7)- المصدر نفسه، ص201.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

على هذا الأساس ركزت الحركة الصهيونية على أن قيام دولة إسرائيل كان استجابة لضرورتين، إحداهما: الحاجة الملحة لحماية الروح اليهودية، وثانيتها: جبر الآلام التي يعاني منها ملايين اليهود في الشتات.

### 2 ليلنبوم، موشي ليب **moshih. 1. Lilinblom**<sup>(1)</sup>

أكد ليلينبلوم على تجذر فكرة اللاسامية في الشعوب، وقد أعرب قبل ذلك عن مدى قلقه على وضع اليهود في العالم -خاصة مع ظهور دعاة الاندماج-، فكان يدعو إلى حفظ الهوية القومية وضرورة تحقيق الحياة الآمنة الطبيعية لليهود، مؤكداً على أن الحل الأوحيد للمسألة اليهودية هو تبنيهم القومية اليهودية، وتقرير مبدأ الانعزال، كما أكد على لزوم العودة إلى أرض الأجداد، وضمن هذا السياق جاء في مذكراته: "يجب علي أن أحذر إخواننا من حركة التحرر Maskilim، والمفكرين الأحرار، بأن لا يعملوا على تقسيم اليهود إلى معسكرين...، فلنجمع شعبنا في أوروبا ونذهب إلى وطننا بفرح"<sup>(2)</sup>.

يشترك ليلينبلوم مع سمولنسكين حول أن اليهود قد اضطهدوا، وأنه من حقهم أن يحيوا حياة طبيعية منظمة شأنهم شأن باقي الشعوب، وهو أمر يتطلب بعث الروح اليهودية في إطار القومية اليهودية، باستيطان أرض إسرائيل التاريخية، كعلاج وحل للاضطهاد والإبادة الواقعين<sup>(3)</sup>.

لذلك تركزت خطب ليلينبلوم حول ضرورة العودة إلى فلسطين تحديداً، كحل نهائي لغربة اليهود التي رأى أنها ستبقى مستمرة ما لم يتم تجميعهم في وطنهم القومي، مصرحاً: "إننا بحاجة إلى ركن خاص بنا، إننا بحاجة إلى فلسطين"<sup>(4)</sup>.

(1) \_ (1843-1910) من رؤساء جمعيات 'أحباء صهيون' ومن المبادرين إلى تأسيسها. وأعلن أن كل عمل من أجل تحقيق الاستيطان في فلسطين، وقف وراء انضمام قيادة جمعيات 'أحباء صهيون' (إلى الحركة الصهيونية التي أسسها هرتسل. ودعا من خلال عمله إلى إحداث إصلاحات في الديانة اليهودية، جمع آراءه في كتيب باسم 'أحباء إسرائيل على أرض أجدادنا تحدث فيه عن غربة اليهود الأزلية وضروة الاستيطان في فلسطين، تقوم أفكاره على الحق التاريخي لليهود في الأرض. جوني منصور، معجم العلام والمصطلحات الصهيونية، ص393.

(2)-المصدر نفسه، ص73.

(3)- صبري جريس، تاريخ الصهيونية(1862-1948)، ط2، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1981، ج1، ص88.

(4)- مايكل بريار، الكتاب المقدس والإستعمار الاستيطاني، ص178.

### 3. بن غوريون<sup>(1)</sup> David Be-Gurion

يرى بن غوريون أن مدى صبر اليهود على الاضطهاد ومعاناة الشتات لا يمكن تقديره أو مقارنته، فيقول: "لقد عرف الشعب اليهودي في بلاد المنفى شجاعة عدم الاستسلام في وجه جميع المكائد، وفي وجه المحاكم التي كانت تنتهي بعقوبات حرقهم ودفن العشرات والألوف منهم أحياء... ، لا يوجد في التاريخ ما يمكن مقارنته بقوة مقاومة شعبنا وبصلابته التي لم تهتز طيلة قرون، إن كثيرا من الأمم بما في ذلك اليهود قد واجهت مصير الاقتلاع والنفي... أما اليهود هم المثل الوحيد على شعب عاش منغيا ومكروها"<sup>(2)</sup>.

إن حياة الشتات في تصور بن غوريون وغيره من زعماء الصهيونية هي حالة مرضية يمر بها اليهود، فهم يعيشون كأقلية خاضعة لسلطة الأغلبية، وهم بسبب ذلك عاجزون عن اتخاذ أي قرار، ناهيك عن هميشهم اقتصاديا، لذلك فإن ما يقع على عاتق اليهود الذين يسعون للحفاظ على هويتهم، عيشهم في صراع بين الولاء للحضارة الغربية، والولاء لهويتهم وحضارتهم اليهودية الضاربة في القدم، ما يجعلهم يعيشون في ازدواجية دائمة، كما يخلص بن غوريون في تحليله، إلى اعتبار حياة اليهود في الشتات أمرا مستحيلا، إذ لا يمكنهم أن يحققوا حياة بمعناها الصحيح، إلا في ظل دولة مستقلة، بما يمكنهم من صياغة حياتهم بحسب حاجياتهم وقيمهم، ويكونون فيها مخلصين لقيمها وتراثها ولرؤيتها للمستقبل<sup>(3)</sup>.

إن بن غوريون، مثل هرتزل، يعتبر الاضطهاد كتحصيل لعملية الحرمان والاقتلاع من الأرض، التي مني بها اليهود في حياة الشتات، مما أدى إلى خلق إنسان يهودي عاجز وسلي بكل المعايير وتابعا

<sup>(1)</sup> \_ 1886-1973 سياسي -يهودي، من رؤساء الحركة الصهيونية، ومن المخططين لإقامة دولة إسرائيل، ولد في مدينة بلونسك ببولندا، التحق بالحركة الصهيونية منذ صغره، رئيس صاحب وجهة نظر اشتراكية ماركسية، عمل في تنظيم ودعاية الأفكار الصهيونية، سافر إلى فلسطين عام 1906، كان من مؤسسي حزب العمل الصهيوني في عام 1919، انتخب أمينا عاما لاتحاد العمال اليهود "المستدروت" عام 1921، ركز جهوده خلال الثلاثينيات على توحيد التيارات الصهيونية، وعلى أثر ذلك أقيمت الماباي 1930، كان له دور بارز في إصدار قانون التقسيم في الأمم المتحدة عام 1947، عين أول رئيس للحكومة المؤقتة لإسرائيل عام 1948، حمل عدة حقائب وزارية في الفترة 1949-1963، أقدم بعد إقامة إسرائيل على حل كل المنظمات العسكرية الصهيونية، وحولها إلى جيش الدفاع الإسرائيلي، ارتبط اسمه بجميع الأحداث في فلسطين منذ عام 1935 وحتى 1963، . أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، ص 473، ويغال عيلام، ألف يهودي في التاريخ، ص 39.

<sup>(2)</sup> - أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، 476.

<sup>(3)</sup> - عبد الوهاب المسيري، اليهودي والصهيونية وإسرائيل، ص 150.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

لغيره، وهو ما جعل بن غوريون من خصوم دعاة الاندماج والمنفى، داعيا إلى ضرورة الاستقلال. ذلك لأن المنفى كما يراه يعني: "الاتكال السياسي، والمادي، والثقافي، والفكري، وذلك لأننا غرباء وأقلية محرومة من الوطن، ومقتلعة، ومبعثرة عن الأرض، وعن العمل والصناعة السياسية، واجبنا هو الانفصال كليا عن هذا الاتكال، وأن نصبح أسياد قدرنا، علينا أن نستقل"<sup>(1)</sup>. ولهذا السبب آمنت الحركة الصهيونية أن حل مشكلة اللاسامية يكمن في إنشاء دولة يهودية، لأن حماية حقوق اليهود لا يمكن أن يتوفر لها ضمان قومي إلا إذا كانت هناك سلطة ملزمة من المجتمع الدولي، ولهذا فاليهود لا يطمنون إلى الحماية الدولية"<sup>(2)</sup>.

هكذا حظيت فكرة أن اليهود عنفوا وتضطهدوا، بتدعيم من الفكر الصهيوني منذ نشأته، وكذا الفكر الغربي الاستعماري ما لم تلقه فكرة أخرى، حيث إن المفكرين الصهاينة على اختلاف توجهاتهم الفكرية وتباين اهتماماتهم، قد يختلفون حول كون اليهود يشكلون جنسا أو قومية، أو جماعة دينية، غير أنهم يتفقون على فكرة واحدة مفادها، أن جميع اليهود منذ زمن قديم تعرضوا إلى موجة من المضايقات والاضطهادات، وأن آثارها لا تزال باقية حتى الآن، كما تحرص الصهيونية على الاحتفاظ بقوة على فكرة أن اليهود هم سبب كل شرور العالم، بما يرسخ لفكرة "الاضطهاد الأبدي"، وكل ذلك من أجل إبراز أنهم كانوا باستمرار الضحية الوحيدة"<sup>(3)</sup>.

وهو ما عبر عنه **شمعون بيريس** بقوله: "إن الشعوب التي ذاقت الأمرين كالشعب اليهودي قليلة... وقد أظهرت المسيحية الشيعوية، كما أظهر الإسلام نوعا من الفظاظة والقسوة تجاه اليهود، سواء بصفتهم أرادا أم شعبا، إن مختلف السلطات من مصرية، إلى آشورية، إلى بابلية، إلى رومانية، إلى يونانية، اضطهدت الشعب اليهودي، لكن البربرية بلغت أوجها مع جنون النازية الهتلرية... ولكن الدولة اليهودية ما إن خرجت إلى حيز الوجود حتى هوجمت، مع أن ولادتها كانت تحمل كل صفات الشرعية... ولم يكن ثمة مجال للشك في هوية المعتدين"<sup>(4)</sup>، وهكذا تصبح مقولة إن العالم مدين لليهود من الأركان التي

(1) - أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص 476-477.

(2) - محمد إسماعيل علي السيد، مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية، ص 86.

(3) - قدرى حفي، تجسيد الوهم "دراسة سيكولوجية للشخصية الاسرائيلية، ص 97.

(4) - من الفكر الصهيوني المعاصر، ص 139.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

بنت عليها الصهيونية، توجب تقديم المساعدة للكيان الإسرائيلي اليوم.

ولأنه ليس لليهود وجوداً حقيقياً في أرض الشتات، كما يذكر الصهيوني الأمريكي موريس لازارون: "لقد عشنا بين الأمم ولكننا لم نكون منها"<sup>(1)</sup>، فإن الصهيونية، على حد تعبير لويس ديميتز برانديس، تعمل لأجل إقامة الوطن القومي في فلسطين، تحقيقاً لحياة يهودية آمنة في ظل حكم ذاتي لأغلبية يهودية، وفي فلسطين فقط تحمي تلك الحياة من الانحلال، ويكتمل نموها الطبيعي، وذلك هو حل المسألة اليهودية التي حيرت العالم<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: اليهود بين الاندماج ورفض المنفى:

من أهم ما ركز عليه زعماء الصهيونية في الحديث عن مأساة اليهود قبل تحفيزهم ودفعهم إلى الهجرة إلى فلسطين، هو الربط باستمرار بين الشعب المختار والأرض المختارة، لذلك تم فرض العزلة عليهم، وتلقينهم أن الاندماج مخالف للتعاليم الدينية، فضلاً عن كونه يقضي على هويتهم.

نتيجة رفضهم الاندماج، تجلت غربة اليهود وتميزهم عن مجتمعات الشتات، في التخندق حول ذواتهم، محاولين باستمرار التكتل فيما بينهم وانحصارهم في مناطق محددة من العالم، وكان تحيزهم لعقيدتهم القومية، كما أورد برنار لازار، هو ما جعلهم "يرفضون الخضوع لقوانين الأمم الأخرى، التي رأوا فيها قوانين بشرية عاجزة وآيلة للزوال والإلغاء، في حين رأوا في قوانينهم رغم فقدانهم مبرر وجودها، أنها لا تزال واجبات مقدسة تستحق الالتزام والحفظ، وهو ما تسبب في نبذهم أولاً وإثارة الغيرة والأحقاد تجاههم، خاصة وأنهم تفاخروا بأفضليتهم على غيرهم، وهو ذات الاعتقاد الذي ذكروا لديهم الكبر، واحتقار الآخر وكرهه"<sup>(3)</sup>.

إذا كانت سياسة الأحرار لقت اليهود أنهم شعب الله المختار، وشجذت نفوسهم بالحقد والظماً إلى الانتقام من المجتمعات، أدى تراكمها إلى صيرورته عقيدة سلبية قائمة على الطغيان والتدمير<sup>(4)</sup>، فإنها هي ذات السياسة التي ألزمتهم بالتشريعات قسراً، وجعلتهم غير اجتماعيين، فأصبحت صفة الاستعلاء

(1) - محمد إسماعيل السيد، المرجع السابق، ص 86.

(2) - أنيس صايغ، لفكرة الصهيونية، ص 386.

(3) - برنار لازار، مناهضة السامية، تاريخها وأسبابها، ترجمة: ماري شهبستان، دط، دمشق: دار الأوتال، 2004، ص 18.

(4) - وليام غاي كار، أحجار على رقع الشطرنج، ترجمة: سعيد جزائري، ط 1، بيروت: دار النفائس، 1970، ص 66.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

من أبرز ما انطبعت به نفوسهم، وإن لم يملكوها ما يجعلهم أفضل من غيرهم<sup>(1)</sup>، فهم كما وصفهم سبينوزا، عاشوا بعد تشتتهم منعزلين عن كل الأمم، وكان ذلك سببا في كراهية الشعوب لهم، ولم يكن ذلك بالتزامهم بالطقوس المعارضة لطقوس الشعوب ومراعاتهم لها فحسب<sup>(2)</sup>، فقد تم ترسيخ فكرة أبدية الصراع، التزاما بسلطة الأحبار، وانطلاقا من الإيمان اليهودي بتمايزه عن الآخر الذي يرفض وجوده، ولذلك فلا وجود لإمكانية التعايش مع غير اليهود، فهم يحملون في جوهرهم، وبشكل متوارث ذلك التمايز، وليس هناك من حل سوى الانعزال وتجنب المجتمعات وتفادي الوقوع في تلك الصراعات<sup>(3)</sup>.

ترتب عن ذلك امتناعهم عن الاندماج ورفضهم الخضوع لمختلف التقاليد التي تؤسس العلاقات الاجتماعية مع سكان البلد، مما جعلهم كما يذكر برنار لازار، يشكلون "طائفة متوحشة متمردة على كل القوانين، عداوية لكل أخوة، ومغلقة على كل فكرة جميلة أو نبيلة أو كريمة... لقد جعلوا منها أمة بائسة، وصغيرة، وقاسية، وساخطة، بفعل الانعزال... إضافة إلى ذلك التعلق المفرط بالأرض، ورفضهم أن يكونوا وطنيين لغيرها"<sup>(4)</sup>.

لقد كانت حياة الانعزال من الأسباب الداعية إلى نبذ المجتمعات لليهود، ولم تكن لتجنبهم في كثير من الأحيان الكراهية واللاسامية بقدر ما كانت سببا في إيقاظها وتحفيزها، فهي من أورثتهم الإحساس بالعربة في المجتمعات التي عاشوا فيها، ناهيك عن العداء الديني المسيحي لهم، والذي كان له دور في تحديد العلاقات بين يهود الشتات في كل العالم، وبين بقية المواطنين، مما أدى إلى بلورت الجانب القومي من التراث اليهودي، الذي اصطبغت فيه العقيدة الدينية بالقومية المتطرفة، وتحولت الآمال المسيحانية إلى دعوة سياسية<sup>(5)</sup>.

(1) \_ كانت النظرة الاستعمارية للآخر من بين الأسباب النفسية الرئيسة في الميل إلى العزلة والتخندق في الحياة اليهودية منذ القدم، وهي عزلة يستمد منها اليهود وجودهم وسلطتهم، فالشعب اليهودي كما يصفه برنار لازار، " كان يعد نفسه أعلى من بقية الأمم، وعنده ميل غريزي إلى السيطرة، وذلك بسبب أصوله، ودينه، ونوعية العرق المصطفى، التي ينسبها دوما لنفسه في جميع العصور، فكان يعتقد نفسه فوق الجميع. " برنار لازار، مناهضة السامية، ص 80.

(2) \_ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 181.

(3) \_ أحمد أشقر، سمو إسرائيل (اليهود وقضية الشتات)، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، قضايا إسرائيلية، العدد 25، مارس 2007، ص 112-113.

(4) \_ برنار لازار، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، ص 20-21.

(5) \_ طاهر شاش، التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده، ط 1، القاهرة: دار الشروق، 1417هـ-1997م، ص 27.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الجدير بالذكر هنا، إن ما أسهم في عزلتهم - بصرف النظر عن العامل الديني والعرقى -، بقدر كبير هو تعاملهم بالتجارة واقراضهم المال بالربا.

فيعزى النبذ والاضطهاد المجتمعي لليهود إلى أخلاقياتهم في التعامل الاقتصادي أكثر من غيره، حيث برزت أساسا في تحديد وضع اليهود في المجتمعات، وكذا في تشكيل علاقاتهم بالأغلبية غير اليهودية وبين أسباب الاضطهاد، ففي إطار الحديث عن العلاقة بين حياة العزلة والعوامل الاقتصادية، يقول إسحاق دويتشر: "إن الذي مكن اليهود من البقاء كطائفة منفصلة هو أنهم مثلوا نظام اقتصاد السوق بين ظهري شعب يعيش في اقتصاد طبيعي، وأعتقد أن هذه الحقيقة، بذكرياتها لدى الشعب، كانت مسؤولة ولو جزئيا عن عدم المبالاة التي أبدتها سكان أوروبا نحو إبادة اليهود"<sup>(1)</sup>.

مما سبق يمكننا القول إن اليهودي ذاته كان هو أول ممارس للاضطهاد على نفسه. كما تبين لنا بوضوح مضمون العمق التاريخي للشتات اليهودي، بأن اليهود رفضوا قبول الآخر، باعتبارهم شعبا مختارا، في الوقت الذي لم يكن لهم أدنى حل غير الاندماج، وكل ذلك صاحبه ثورة في الوعي اليهودي بين الرفض والبقاء، فأصبح اليهودي يخاف المنفى ويرفضه بواقعه، وفي الوقت ذاته يخاف الرجعة إلى أرض الميعاد لما فيها من التجاوز على الدين، فتاريخه هو تاريخ المنفى، لكن عمق التاريخ بالنسبة له هو معاناته بعيدا عن الأرض لذلك عاش اليهودي رافضا لواقعه ورافضا للآخر أيضا.

شكل الشعور بالاضطهاد في عالم الشتات أحد مكونات شخصية اليهودي، ووقفه كان يتم تفسير الأحداث، وفي إطار هذا الشعور كذلك، كان يتم تحديد علاقة اليهودي بالمجتمع، فكراهيته ونبذته، إنما هي نتيجة لكونه يهودي، وهي صفة أضحت - كما يعتقد اليهود - على الدوام ملازمة له<sup>(2)</sup>، ولعل ما ورد في المزامير، ييوح بهذه المكونات التي ضاقت بها النفس اليهودية: "إلى متى يرتفع عدوي عليا. نظر واستجب يا رب إلهي"<sup>(3)</sup>، "وأما أعدائي فأحياء عظموا. والذين يبغضوني ظلما كثروا"<sup>(4)</sup>.

كما أن حفظ الهوية اليهودية من وجهة النظر الصهيونية كان مرتبطا بحياة الانعزال، لذلك رفضت

(1) - إسحاق دويتشر، اليهودي اللايهودي، ترجمة: ماهر الكيالي، ط3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986، ص22.

(2) - عبر مهدي، التعصب في الفكر الصهيوني، ط1، دمشق، صفحات للدراسات والنشر، 2012، ص100.

(3) - مز3/13.

(4) - مز19/38.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

اندماج اليهود في المجتمعات ودعت إلى إنشاء دولة الجيتو، وكانت تسعى إلى استغلال وضعهم لتحقيق أهدافها، منتهجة في ذلك مسلك الترهيب، بتخويف اليهود من الحياة في ظل المجتمعات التي قبلت وجودهم كمواطنين، والعمل على إقناعهم أن عداة تلك المجتمعات سيبقى يلاحقهم، كما أغرتهم بوعود من أجل تحفيزهم على الهجرة إلى فلسطين، وهو ما جعل اليهود يخضعون إلى قراراتها، ومن ناحية أخرى أوهمت العالم الغربي بمدى مسؤوليته عما آل إليه اليهود من قتل وتشريد<sup>(1)</sup>، وبحسب تعبير ماكس نوردو فإن الصهيونية ستقلهم إلى وطن خاص، وستمنحهم هوية جماعية بعيدا عن الأوهام الدينية لأن منبع معاداتهم هي مجتمعات الحضارة الغربية<sup>(2)</sup>.

لقد أضحت العودة إلى أرض إسرائيل، "حجر الزاوية في الخلاص اليهودي بهدف التحرر من معاناة المنفى ومن حياة الشتات والجيتو. كما مثلت فلسفة الرجعة اليهودية لإقامة المملكة الإسرائيلية جوهر الصهيونية السياسية، كحق وكتعبير عن الحلم اليهودي المسياني الخاص بالعودة إلى أرض الميعاد، أو باعتبارها حركة إنقاذ يهود العالم من هجوم الأغيار<sup>(3)</sup>"، وكان نجاح الحركة الصهيونية في استعطاف الرأي الغربي مرهونا فعلا بحمل فكرة الاضطهاد كمسوغ إنساني لإنشاء دولة لليهود، بالاستناد إلى مبدأ حماية الأقليات.

لقد تمحورت الرؤيا الصهيونية للتاريخ حول بكائية استمرار ملاحقة واضطهاد الجماعات اليهودية في الشتات منذ خراب الهيكل الثاني، وأن مأساتهم ومعاناتهم التي استمرت ثمانية عشر قرنا لن تنتهي كما يرى منظرو الصهيونية من أمثال هرتزل وغيره إلا "بنقلهم إلى وطننا التاريخي الذي نذكره دوما" فلسطين<sup>(4)</sup>، وذلك ما حدث بالفعل، حينما كتب وايزمن رسالته الخاصة في 13 ماي 1948م إلى ترومان يطلب فيها، "أن تعترف الولايات المتحدة الأمريكية حالا بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة"<sup>(5)</sup>، وقد أبدت الولايات المتحدة الأمريكية تأييدها من خلال تصريح رئيسها ترومان حول حق

(1) - عبد الوهاب محمد الجبوري، اللاسامية في الفكر الصهيوني الجذور التاريخية والهدف، دط، بغداد: دار المحاظ، 1982، ص4-5.

(2) - عبد الكريم الحسني، الصهيونية الغرب والمقدس والسياسة، ط1، القاهرة: شمس للنشر والتوزيع، 2010، ص274.

(3) - غنيم أحمد وآخرون: اليهود والحركة الصهيونية في مصر 1879-1947، (القاهرة: 1969، ص93. وعبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج6. ص102.

(4) - جون روز، أساطير الصهيونية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط1، القاهرة: دار الشروق الدولية، 1426هـ-2006م، ص67.

(5) - الفريد ليلينثال، فمن اسرائيل، ص، 79.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

اليهود في إقامة دولة يهودية تجمع شتات المضطهدين، جاء فيه: "أن هذه الحكومة سعيدة أن تخفف من سوء مركز اليهود الأوروبيين الذين لا يجدون مأوى"<sup>(1)</sup>.

والجدير بالملاحظة أن ذلك كان مجرد ذريعة لإقامة الوطن القومي ذلك أنه برغم الإدعاء القائم على أن هدف الحركة الصهيونية هو خدمة اليهود وانقاذهم، وهو ما لم يعكسه واقع اليهود في المجتمع الأوروبي، إلا أنها لم تنجح لا في حل المسألة اليهودية ولا في إنقاذ اليهود من المنفى فكثير منهم يفضلون البقاء والعيش خارج إسرائيل وهو ما أشرنا إليه سابقا حول نفي التوق إلى الأرض وكذا تزايد تيار الهجرة المعاكسة وكيف أصبح يشكل تهديدا لبقاء إسرائيل.

في ضوء ذلك نقول إن الحرص الصهيوني على أن اليهود تعرضوا للاضطهاد والازدراء والنبد مراحل متعاقبة تتراوح ما بين الغلو والقصد، بما لا يتناقض مع الواقع، فذلك ليس غريب من الناحية التاريخية في شيء، لعموم الظاهرة وشمولها غير اليهود، ولكن ما يناقضه هو الإصرار الصهيوني على تفرد فكرة اضطهاد اليهود، وجعلها مبررا لإقامة دولة على حساب أمن الشعوب. فهل يمكن خلق استثناءات للشعوب التي شردت -عبر التاريخ- واستعبدت أكثر مما وقع لليهود أنفسهم، ليكون لها الحق أيضا في المطالبة باختلاق أوطان لها؟

### رابعا: الواقع التاريخي لاضطهاد اليهود:

#### 1. بدايات الاضطهاد:

قبل الحديث عن دعوى تعرض اليهود إلى العنف خلال تاريخهم، وهو ما أخذته الصهيونية على عاتقها من أجل تسويق الاستيطان، ما يجعل معاناة اليهود باعثة على المطالبة بالتعويض، نورد تحليل "مارك. ر. كوهين" لمسألة اضطهاد اليهود، والذي يقدم فيه الاعتبارات التي ينبغي علينا الاحتفاظ بها أثناء دراسة تاريخ اضطهاد اليهود.

من بين تلك الاعتبارات كما يوردها كوهين، هو فحص التاريخ اليهودي والذاكرة الجماعية في علاقتها بتجربة الاضطهاد، مما يعني "معرفة ما إذا كان المضطهد يفعل ذلك خارج الإطار القانوني، أو ضد الضوابط الأخلاقية الشائعة. ففي القرون الوسطى قلما اعتبر المضطهد والاعتداء بالعنف على المنتمين

(1) -محمد إسماعيل علي السيد، مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية، ص86.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

إلى ديانة أخرى اضطرهادا، لقد إعتقد المضطهد أنه كان يطبق القانون، أو أنه كان يستجيب لإرادة إلهية غير معلنة<sup>(1)</sup>.

فهل ما يفهم من مقولة كوهين، أن معاناة اليهود استدعتها عوامل وأسباب؟ وهل كان لليهود يد في ذلك؟ وفي هذه الحالة لا يمكن اعتبار الاضطهاد خرقا للقانون بقدر، ما هو محاسبة على مخالفته. وماذا عما قدمته الحركة الصهيونية للدول الحاضنة لليهود في سبيل تهجيرهم.

لم ينكر المؤرخ اليهودي بارنار لازار في وصفه الوضع العام لليهود في الشتات، واعتبارهم في كل الحالات طرفا في الاضطهاد الممارس عليهم، رغما استنكاه لمعاداة السامية، مينا تلازم الباعثين الديني والاجتماعي، ومؤكدا كيف كان لعزلتهم وشعائرهم التعبدية ولسلوكاتهم الغامضة دخل في رفض المجتمعات ونبذها لهم ومناصبتهم العداء، فيقول: "كانوا يعتبرون أرض الشعوب الغربية أرضا غير طاهرة، وكانوا يسعون في كل مدينة إلى تشكيل نوع من الأراضي المقدسة، كانوا يسكنون وحدهم في حارات خاصة، مغلقين على أنفسهم، منعزلين، يديرون أنفسهم بالامتيازات التي كانت تثير حسد من حولهم، كانوا يتزاوجون فيما بينهم، ولم يكونوا يستقبلون أحدا عندهم خوفا من النجاسة والتلوث... ، كان ذلك يثير فضول الآخرين وغضبهم في الوقت نفسه، كانت طقوسهم تبدو غريبة، وكانوا موضع سخرية وبما أنهم كانوا مجهولهم كانوا يحاربونهم ويشوهونهم"<sup>(2)</sup>.

وإذا كان تاريخ اليهود مسرحا للاضطرابات، فإن نصوص العهد القديم لم تنف أن مرد ما حل بهم من النكبات هو نقضهم الميثاق الإلهي، ونكوصهم عن الحق، وتركهم دعوات الأنبياء، ووفقا لذلك سيكون الشتات والاضطهاد عقوبة تفتضها مشيئة الله<sup>(3)</sup>.

لقد كان للصهيونية قراءتها الخاصة للشتات والعقوبات التي لحقت باليهود كشعب مقدس، أين يكون التاريخ اليهودي من وجهة نظر الصهيونية - في تحليلها للنكبات - هو "تاريخ مميز لشعب مميز

(1) -مارك. ر. كوهين، بين الملل والصليب وضع اليهود في القرون الوسطى، ترجمة: إسلام ديه ومعز خلفاوي، تقدم: صادق جلال العظم، ط1، بغداد: دار الجمل، 2007، ص366.

(2) -برنار لازار، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، ص28.

(3) - أنظر ما جاء في "تث 20/30، تث 40/32، أشعيا 5/24-6، أرميا 3/11، و 40/23، هوشع 15/9-17، دانيال 10/9-11، ملاحي 2/2-6 و 9/3.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

رغم ما بذل من أجل إبادته، ودليل ذلك هو استمرارية وجوده ومحافظة على وحدته وقوميته، فقد نفي وشتت، لقد أهين واضطهد لقد عذب واعتسف، ومع هذا فقد ظل الشعب اليهودي باقيا بفضل الله، ولأغراض عظيمة يريد الخالق عزو جل تحقيقها على يديه"<sup>(1)</sup>، فهل يعني أن وقوع الاضطهاد كان أمرا لازما لإثبات قدسية اليهود؟

فلم يتوانى اليهود يوما عن اضعاف الخصومية والاستثناء على أحداث التاريخ اليهودي، ولم يتوقفوا عن تصدير بكائية الاضطهاد، لتحميل العالم وزر مالحق بهم استجداء للشفقة، وبذلك الحصول على الاعتراف الدولي بأنهم هم فقط كانوا ضحية تلك الأحداث دون غيرهم، إذ لم يخل التاريخ من ذكر نكبات الشعوب.

ويشير الواقع التاريخي إلى استمرار معاناة اليهود مع احتفاظهم بنوع من الحرية من حين لأخرى، حتى كان زمن أنطيوخوس أبيفانوس (175-164 ق.م) الذي حاول طمس الدين اليهودي، بنشره الثقافة الهلنيلية وإجبار اليهود على اتباع السنن اليونانية<sup>(2)</sup>، وحينما ثار اليهود انتقم منهم، فحرم عليهم تقديس السبت، ومنع الختان والاحتفال بأعيادهم كما حرم حيازة التوراة، وأمرهم بتقديم القرابين للآلهة اليونانية، ثم جعل المعبد دارا لعبادة زيوس، وكانت مخالفته تلقى عقوبة الإعدام<sup>(3)</sup>.

فضلا عن ذلك عُد التعريف باليهودية عائقا أمام انتشار الفلسفة الوثنية، فاتخذت الاجراءات لمنع الامتداد اليهودي، ثم استمر الوضع بين الشدة واللين إلى أن خضع اليهود لحكم الروم، فقد شدد عليهم كاليغولا في مصر، ونزع عنهم كل الامتيازات<sup>(4)</sup>، كما يضيف المؤرخ اليهودي ماكس مارجوليس، أن أحد أسباب الاضطهاد في سنة 19 ق.م تعلق بالسلوك الإجرامي لليهود ومخالفتهم النظام العام، بأن الإمبراطور تيبيريوس وبإيعاز من الإمبراطور سيجانوس، قام بطرد اليهود من روما ومن إيطاليا بسبب عملية احتيال قام بها بعض اليهود، أرسل على إثرها أربعة آلاف يهودي إلى سردينيا لمطاردة العصاة، ولما كان ذلك موافقا ليوم راحتهم (السبت) ترتب على مخالفتهم للأمر أن تعرضوا لأشد العقوبات<sup>(5)</sup>.

(1)-الحاخام جوزيف هيرتس، تلمود اليهودية المعاصرة، ص238.

(2)- فيصل بن علي الكاملي، بيت المقدس وأطماع الروم من التدمير إلى التدويل، الرياض: مركز البيان، 1436هـ، ص29.

(3)- كامل سغفان، اليهود تاريخا وعقيدة، د ط، القاهرة: دار الاعتصام/1988، ص23.

(4)- بارنار لازار، مناهضة السامية تاريخا وأسبابها، ص36.

(5)- ماكس مارجوليز، تاريخ الشعب اليهودي، ص38.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

وبعد التصدع المستمر الذي أصاب مجتمع اليهود منذ القرن الثامن قبل الميلاد، لم تعد لديهم قابلية لواقعهم، وخاصة مع فجر المسيحية وبالتزامن مع حادثة حريق روما، فقد نبذ اليهود المسيحيين، الذين كانوا في أول عهدهم خاضعين للتقاليد اليهودية، كما قرروا عدم التسامح مع باقي التيارات، فأدى ذلك إلى انفصال المسيحية عن الدين اليهودي<sup>(1)</sup>، وهو ما عده الرومان تمردا وعصيانا يهدد مصالح الإمبراطورية وأسسها، لذلك أصبح اعتناق اليهودية في نظرهم جريمة، فألزم اليهود-عقابا لهم- بتقديم القرابين باسم الحاكم الروماني، كما تعرض بعضهم للقتل وبعضهم الآخر بيع في المناطق البعيدة من الإمبراطورية الرومانية، وكردة فعل من اليهود فرضوا على أنفسهم العزلة<sup>(2)</sup>.

أسفر ذلك عن تفرق اليهود في أنحاء العالم، مشكلين فئتين يهود الشرق ويهود الغرب، وكانت الفتن أهم ما عمد اليهود إلى تفجيرها في المجتمعات، فلم يكن حالهم في العالم الغربي، إلا كما وصفهم المفكر الاجتماعي إيريك فروم، "أقلية تعيش في حالة من الاحتقار، كان لديها الميل والتزوع إلى إلحاق الهزيمة بقوى الظلام واللاعقلانية، التي حالت دون تحقيق التحرر والتقدم"<sup>(3)</sup>.

فاليهود بطبيعتهم هذه أقصوا أنفسهم من المجتمع، ومما لا شك فيه أنه إذا كانت أصول موجة العداة المسيحية لليهود تعود إلى القرون الميلادية الأولى، فإنما كان ذلك بسبب موقفهم السليبي من دعوته، مما أدى إلى التصادم مع المسيحية، ثم حينما اهتمت الكنيسة الكاثوليكية بصلبه واضطهاد تلاميذته، كذلك بعد الموقف الحيادي للمسيحيين من المعارك التي جرت بين الرومان واليهود، فإنه بقدر ما أضمر اليهود من العداة لأتباع المسيح (عليه السلام) بادلهم المسيحيون بذلك أيضا، بتدبير الدسائس والوشاية بهم إلى السلطة الرومانية، بتحريض من المجلس الكهنوتي، فاستمرت المعارك بينهم، ولما فشلت الكنيسة في كسب مهادنتهم فرضت عليهم العزلة، إضافة إلى ذلك تم القضاء على معابدهم في الأحياء المسيحية<sup>(4)</sup>.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن العداة المسيحية اليهودي قد بدأ في شكل جدالات الكلامية الدفاعية، فإنه في المقابل، كانت نظرة اليهود إلى الدين المسيحي أنه جاء ليقضي على تعاليم الأبحار المتضمنة في

<sup>(1)</sup>- Bonsirven , le Judaisme Palestinien, p144.

<sup>(2)</sup>-هنري كتن، القدس، ص21. و Bonsirven , le Judaisme Palestinien, p144.

<sup>(3)</sup>-إيريك فروم، مهمة فرويد تحليل شخصيته وتأثيره، ترجمة:طلال عترسي، ط2، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1423هـ-2002م، ص7.

<sup>(4)</sup>- برنار لازار، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، 108-109.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

التلمود، والتي كانت تنادي بأفضلية اليهود، وهو ما وسع هوة العدا، فتصدوا للمسيحية التي دعت إلى المساواة والرحمة، كما أنهم لم يتقبلوا انتشار المسيحية في أوروبا، وأظهروا موقفهم العدائي مرة أخرى، بمناقشتهم رجال الدين حول مدى شرعية الدين المسيحي.<sup>(1)</sup>

ولم تكن موجة العدا بشكلها المنظم إلا بعد التوسع المسيحي في الإمبراطورية الرومانية في فلسطين فترة القرون الأولى، وبعد إعلان **دقليديانوس** (282-305م) المسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية، أصبحت اليهودية في نظرهم بدعة، واعتناقها جريمة يعاقب عليها القانون، وبموجب فرض الوصاية الرومانية على حمايتها للدين المسيحي كان اليهود أكثر عرضة للاضطهاد، حيث صدر قانون يقضي بالإعدام حرقاً لكل يهودي يتعرض لمن ترك يهوديته، والعقاب ذاته يقع على كل من تهود من الرعايا<sup>(2)</sup>، ولما كانت قصة الآلام المريرة التي تتلى كل أسبوع مقدس في الكنيسة كقيلة لبعث وتجديد الكراهية والعداء في قلوب المسيحيين تجاه اليهود، لم يجد اليهود بداً من أن يجسوا أنفسهم في أحيائهم، وفي بيوتهم مخافة تعرضهم للمذابح<sup>(3)</sup>.

كذلك أدى تحالف الكنيسة مع الإمبراطورية الرومانية التي تمركزت في القسطنطينية، إلى فسح المجال لتقويض اليهود، وتصفية حسابات الاضطهاد معهم من جديد، فاعتبرت اليهودية على إثر ذلك ديناً غير شرعي، وتقرر معاملة اليهود ككثافة وبعد أن أصبحت المسيحية ديانة الإمبراطورية الرومانية توجه العدا بشكل أكبر نحو اليهود، بحجة اختلاف الدين، فعوقبوا بالاعدام والسجن، وفرضت عليهم الغرامات، ومنعوا من ختان خدمهم، كما تم إحياء قوانين **هادريانوس** بمنعهم من الدخول إلى القدس باستثناء يوم ذكرى خراب المعبد مقابل دفع ضريبة<sup>(4)</sup>، وفرضت عليهم الكنيسة دفع الضرائب على اليهود كجالية يهودية، وحرم الزواج المختلط، تبعه حرمان اليهود من الوظائف العامة<sup>(5)</sup>.

تفيد المعطيات السابقة أن العدا المسيحي لليهود بداية تعلق بالعامل الديني، وكان لليهود ضلع فيه، فرفضهم ومناصبتهم العدا للمسيحية من منطلق أنهم رأوا في المسيحية ابتداء مذهباً يهودياً متمرداً

(1) -ومحمد بحر عبد الحميد، اليهود في الأندلس، د ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970، ص10

(2) -كامل سغان، اليهود تاريخاً وعقيدة، ص25.

(3) - ول ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص79.

(4) -برنار لازار، مناهضة السامية تاريخياً وأسبابها، ص58.

(5) - ول ديورانت، المصدر السابق، ج4، ص394 .

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

معارضاً لشريعة موسى، فسعوا إلى القضاء عليها في مهدها، وكان من الطبيعي أن يلقي ذلك ردة فعل، يدافع فيها اتباع المسيحية عن معتقداتهم ويقفوا في وجه الصد اليهودي.

### 2. أوضاع اليهود في أوروبا:

امتد الرفض المسيحي لليهود كطائفة دينية إلى خارج فلسطين، بعد هدم الهيكل عام 70م، فقد أخذ آلاف اليهود أسرى إلى أوروبا وبيعوا في سوق العبيد، إلا أن أغنياء اليهود الذين ترجع إقامتهم في أوروبا إلى ما قبل الميلاد قاموا بشرائهم ثم عتقهم وتحريرهم، وكان ذلك عاملاً في تشكل جاليات يهودية في مختلف أرجاء أوروبا، مكونة بتجمعها أحياء خاصة ذات طابع ديني، عززها اعتقادهم بأفضليتهم، وهوسهم بكرامية الآخر لهم، وفي تلك الأثناء برع اليهود في التجارة ومختلف الحرف غير الزراعة، كما امتلكوا الأراضي، وتجارة العبيد، والخمور سعياً في تحقيق الثراء بمختلف الطرق والتحكم في اقتصاد الشعوب التي يعيشون بينها، مما ذكى وتيرة الكراهية والعداء تجاههم<sup>(1)</sup>.

### ● في أوروبا الغربية:

تبعاً للتأريخ اليهودي بدأ اضطهادهم من قبل مجلس ألبيرا **Alvira** في سنة 303م الذي قضى بقطع العلاقات بين المسيحيين واليهود، ورغم أن القاضي إريك الثاني (485-507م) شدد في التحذيرات المتخذة ضد اليهود، إلا أن شدة الاضطهاد بدأت في المجلس الثالث في طوليدو (طليطلة) (589م)، بعد إعلان الملك ريكاردو الأول (586-601م) تحوله إلى المذهب الكاثوليكي، الذي أصبح المذهب الرسمي للدولة، فمنع الزواج المختلط بين اليهود والمسيحيين، كما أوجب تعميد الذرية الناشئة من الزواج المختلط، ومنع اليهود من قراءة المزامير عند الوفاة، وقد ضغط عليه البابا غريغوري (590-604م) ليقى على موقفه<sup>(2)</sup>، فكان بذلك أول من سن عقيدة (ضد اليهود) التي تقوم على مهاجمتهم بدنياً<sup>(3)</sup>. كذلك حرم الملك ريكاردو الأول على اليهود استخدام المسيحيين أو العمل في الحكومة، وأمر بتحرير كل عبد مملوك لليهود، كما منع الختان الذي كان يفرضه اليهود على خدمهم وعبيدهم<sup>(4)</sup>، إلا

(1)- محمد بحر عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 7.

(2)- ماكس مارحوليس، تاريخ الشعب اليهودي، ص 52-53.

(3)- إكرام لمعي، الإختراق الصهيوني للمسيحية، ص 65.

(4)- برنار لازار، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، ص 66.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

أن ذلك لم يمنع من استمرار اليهود بالاستهزاء من الدين المسيحي بشكل ظاهر في عيد البوريم الذي كانوا يحرقون فيه الصليب<sup>(1)</sup>.

وفي زمن فيسيغوتس **Visigoths** (612-620م) عومل اليهود بنوع من اللين، ولكن بعد تبنيه المذهب الكاثوليكي أعيد تشريع القوانين السابقة بصرامة، فخير اليهود بين التعميد وبين مغادرة البلاد، فهرب بعضهم إلى فرنسا وأفريقيا، واعتنق بعضهم الآخر المسيحية خوفا على ضياع ممتلكاتهم، وخلال الفتح الإسلامي 711م، وبعد حروب المسلمين مع يهود الخزرج، توزع غالبيتهم في أوروبا الشرقية والغربية، بينما ازداد تجمعهم في إسبانيا حيث فر النبلأ منهم إليها، فتنامت قوتهم اقتصاديا، كما برزوا في العلم والفلسفة، وكانت إسبانيا المركز الأكثر أهمية في التعليم اليهودي<sup>(2)</sup>. وما بين القرن الخامس والثامن انصب اهتمام الكنيسة الكاثوليكية على وقف التبشير اليهودي<sup>(3)</sup>، ومنع تهويد المسيحيين<sup>(4)</sup>.

يسجل المؤرخون أنه في القرن الثالث عشر الميلادي كان أغلبية اليهود، ولأول مرة في التاريخ، يعيشون في أوروبا وضمن ذلك إسبانيا التي حضى اليهود فيها بالحرية والحياة والأمن لمدة سبعة قرون في ظل الحكم الإسلامي، كما يشهد بذلك المؤرخون اليهود، ولم يتغير وضعهم إلا بعد سقوطها في يد الصليبيين أثناء حروب الاسترداد، التي كانت شديدة الوطأة على اليهود، فكانت بالنية لهم بمثابة كارثة، خضعوا على أثرها إلى اضطهادات متتابة وممنهجة<sup>(5)</sup>، حيث عمد الملكان الأراغوني **فرديناند** والملكة القشتالية **إيزابيلا** إلى توحيد مملكتيهما، وبغرض الوحدة الأيديولوجية تم إنشاء **محاكم التفتيش** لملاحقة المنشقين، واجبارهم على ترك البدع، وكان اليهود يمثلون أكبر جالية تعرضت لمحاكم التفتيش، وتفاديا للاضطهاد تحول كثير منهم -رغم تحذيرات الأخبار- إلى المسيحية، وهم الذين عرفوا باسم **المارانوس**<sup>(6)</sup>.

(1) - محمد ببح عبد المجيد المرجع السابق، ليهود في الأندلس ص 14-15.

(2) - غكرام لمعي المرجع السابق، ص 63.

(3) - ومع كل ذلك لم يفكر اليهود حينها في فلسطين، كما لم تعد نظرتهم إليها عن النظرة الروحية التي لم تستغل بعد سياسيا. فلسطين قبل وبعد، ص 80.

(4) - برنار لازار، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، ص 68.

(5) - برنار لازار، المصدر السابق، ص 95 وكارين أرمسترونغ، معارك في سبيل الإله الحركات الدينية الصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، ط 1، 2000، ص 24.

(6) - كارين أرمسترونغ، المصدر نفسه، ص 24-25.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

تميز كل من الملكين فرديناند وإيزابيلا بنظرتهم الحادة المعادية لليهود، فهم من وجهة نظرهما غدروا بالمسيح، علاوة عن تغلغلهم في الوسط الإسباني بهدف تخريبه، كما أن الإسبان المسيحيين حفظوا لليهود أعمالهم الإجرامية السابقة خلال الفتح الإسلامي<sup>(1)</sup>، ولأن الحريات الدينية أصبحت خلال هذه الفترة مكبوتة، فقد خير اليهود بين التنصر وبين الطرد النهائي من إسبانيا، وأجبر بعضهم على التعميد، ومنعوا من بناء المعابد ومن ممارسة طقوسهم، وبعيدا عن المجازفة بجياتهم ارتضى أغلبيتهم الارتداد عن اليهودية إلى المسيحية<sup>(2)</sup>.

من جهة أخرى اعتبر النفاق الديني وتحايل اليهود على الكنيسة من أبرز أسباب اضطهادهم كذلك، فحفاظا على بقائهم تظاهرت طائفة منهم بالمسيحية، وارتياح الكنيسة الكاثوليكية، وبقطع علاقتهم بباقي الجاليات اليهودية في العالم، مع حرصهم على تلقين أسرار الشريعة اليهودية لأبنائهم، وممارستها خفية لمدة طويلة، ولأن الكنيسة أثبتت عليهم تهمة الخداع، فقد تم إنشاء محكمة خاصة بهم، فتعرضوا للاعتقال والإعدام، في حين هرب بعضهم إلى شمال أفريقيا، وإيطاليا، والبرتغال، وتركيا، كما توجه قليل منهم إلى فلسطين<sup>(3)</sup>.

تجدر الملاحظة هنا أن محاكم التفتيش، وإن كانت قد أقيمت في بادئ الأمر لمتابعة اليهود، وكشف خيانتهم ومؤامرتهم على الكنيسة، فإن عملها لم يقتصر على مهامها الأصلي، بل كانت تلاحق كل من تعدى من المهرطقين، دون استثناء<sup>(4)</sup>، وليس كما تم توصيفه في كتابات اليهود (أمثال شاهين مكاربوس، وماكس مارجوليس)، وذلك من اجل استعطاف الرأي العام، بأنها جعلت خصيصا لاضطهاد اليهود.

(1) \_ ترجع الدراسات الغربية أسباب اضطهاد اليهود في إسبانيا إلى تدخلهم في الفتن بما يحفظ مصالحهم، يذكر لويس بيرتران أستاذ الاكاديمية الفرنسية أن من أسباب ملاحقة اليهود وقمعهم، تعاملهم مع العرب وتقديمهم يد المساعدة لهم في غزو إسبانيا في القرن الثامن، وهو ما اتخذ الإسبان فيما بعد مبررا لقمع المؤامرة. كارفو دماس. وصمة العار الصهيوني، ص 215.

(2) -اليهود في تركيا، ص 13.

(3) - دوغلاس ريد، جدل حول صهيون "دراسة حول المسألة اليهودية من ألفين وخمسمائة عام، ترجمة: غياث كنگو، ذ2، القاهرة: دار البشر، 1998، ص 82.

(4) \_ من الناحية التاريخية لم يعنف اليهود دون غيرهم كما تروج لذلك الكتابات اليهودية، لقد بثت محاكم التفتيش بسجلها الحافل بالجرائم، الرعب في المجتمع الأوروبي، ولم يسلم من ذلك اليهود المسلمون في إسبانيا حتى القرن التاسع عشر، كما انتقلت وصاية البابوية إلى العالم الجديد، معلنة الحق للغربيين في قتل سكان العالم الجديد، كما فعل يشوع باستبعاد سكان كنعان وقتلهم. واكيم برنز، بابوات من غيتو روما، ترجمة: سهيل زكار، دون معلومات، ص 11-12.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

يقول وليم غاي كار: "عندما استن المفتش الأكبر الشهير توركو مادا (1420-1498)، مراسم الحرق الرهيبة، كانت المحرقة تتلقف كل من تلحق به تهمة الهرطقة والسحر أو الخيانة...، دون تمييز بين اليهودي وغيره... وإلى هذا فإن النعمة التي تعرض إليها اليهود في إسبانيا لم تكن ناتجة عن أسباب دينية، بل جاءت كردة فعل عامة على تصرفاتهم الاقتصادية والاجتماعية"<sup>(1)</sup>، واستمرت متابعة الهرطقة حتى سنة 1492 م حيث أصدر الملكان فرديناند وإيزابيلا مرسوما ملكيا يقضي بنفي جميع اليهود من إسبانيا، ومعاقبة من يخالف المرسوم بالإعدام<sup>(2)</sup>.

نتيجة لعملية الطرد من إسبانيا أخذت المسألة اليهودية حيزا من انشغال اليهود الذين تفرقوا في مختلف أنحاء أوروبا الغربية، وشمال أفريقيا، وبعض الدول الخاضعة للحكم العثماني، وقد أثر ذلك على حياتهم الاجتماعية كما ساعد على ظهور الأفكار المسيحانية مرة أخرى، وانبعثت آمال الخلاص فيهم، حول إحياء الفكر الرؤيوي اليهودي بتعاليمه عن بعث الكيان السياسي الإسرائيلي، وأصبح التقليد الصوفي (القبالا) هو الوسيلة المثلى لنشر هذا اللاهوت<sup>(3)</sup>

ولأن اليهود اعتبروا طردهم من إسبانيا إعادة للمأساة التي مرت بهم على يد الرومان حينما تم طردهم من فلسطين، بفقدانهم آخر ملجأ آمن لهم، فإن تفرقهم بعد عملية الطرد الكبرى<sup>(4)</sup>، لم يكن ليثبتهم دون الرغبة من إثارة الفتن والافساد، انتقاما لما آل إليه حالهم أينما حلوا، فتظاهر الذين وصلوا إلى شواطئ سورية باعتناقهم الإسلام، وتسلسل بعضهم إلى إيطاليا وفرنسا، في حين تفرقت فئة منهم بين إنجلترا، وهولندا، وأمانيا، فأنشأوا الوكالات التجارية، كما حملت مختلف هذه الفئات معها الكراهية

(1) - وليم غاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، ص 63-64.

(2) - ول ديورانت، قصة الحضارة، 23/93.

(3) - صقر أبو فخر، الحركة الوطنية الفلسطينية من النضال المسلح إلى دولة متزوجة السلاح، ط1، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003)، ص 69.

(4) - مثل طرد اليهود من إسبانيا آخر حلقة في سلسلة الطرد التي تعرض لها اليهود في مدن أخرى من أوروبا، أطلق عليها الجلاء الأكبر، كان أولها في العصر المسيحي الأول سنة 613م من إسبانيا، ومن فرنسا سنة 629م، ثم طردوا العصور الوسطى من إنجلترا سنة 1290م، ثم طردوا مرة أخرى من فرنسا سنة 1294م، ومن فيينا وليتز عام 1421م، ومن كولونيا سنة 1424م، ومن أوغسبرغ سنة 1439م، وبافاريا سنة 1442م، ثم طردوا من بروجيا سنة 1485م، ومن فشيتر سنة 1486م، وبارما سنة 1488م، وميلانو سنة 1429م، وتوسكيانا سنة 1494م. مارين أرمسترونغ، معارك في سبيل الإله، ص 25-26، لوسيان كافرو ديمارس، وصمة العار الصهيونية من مصادرها وفسادها في العالم، دون معلومات للنشر، ص 302

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

المعادية للكاثوليك، فانغمسوا في المؤامرات السياسية والتجارية في مختلف مناطق أوروبا الغربية<sup>(1)</sup>. كذلك كان الحال بالنسبة لليهود في فرنسا فقد كان بلوغهم النفوذ الاقتصادي سبب في كراهيتهم، فحياة الترف التي تبوأها اليهود في فرنسا -مقابل الفاقة التي تعاني منها الأسر- كانت مثيرة باستمرار لحفيظة الشعب وغضبه عليهم.

يصف برنار لازار ذلك الوضع فيقول: "إننا نرى بألم منقطع النظير أن هناك أناس حقيرين لم يستقبلوا إلا بصفتهن خدما، عندهم أثاث ثمين، ويعيشون برفاهية، يلبسون الذهب والفضة على ثيابهم، ويتزينون، ويتعطرون، ويتعلمون الموسيقى الآلية، ويركبون الخيل مجرد التسلية الصرفة"<sup>(2)</sup>.

كانت أشد مرحلة على اليهود في فرنسا كما يذكر المؤرخ اليهودي مارجوليس، زمن البابا غريغوري التاسع الذي حظر التلمود بسبب احتوائه على عبارات مشينة بحق الله، والمسيح عيسى بن مريم ( عليه السلام)، فأمر بمصادرته سنة 1240م، وخلال السنوات 1242م و1244م، حكم على التلمود بالحرق بإجماع رجال الكنيسة، رافقته موجة اضطهاد اليهود، وفرض غرامات مالية على مواردهم<sup>(3)</sup>، ووفقا لما دونه المؤرخون اليهود فإنه في عهد الملك لويس التاسع\* (1226-1270 م) تمت محاربة الربا، كما أمر بتحديد قيمة الفوائد على الأموال المدانة من اليهود<sup>(4)</sup>، وإلغاء ثلث ما كان لهم من الديون على المسيحيين، كما أصدر أمر بحرق كتبهم المقدسة<sup>(5)</sup>، وفي زمن حكم الملك فيليب أصدر قرارا بطرد جميع اليهود من فرنسا لمخالفتهم القوانين فتوجهوا -خاصة المرابون منهم- إلى إنجلترا، أين أحكموا سلطتهم على رجال الكنيسة والنبلاء والسادة الاقطاعيين، باستغلال حاجتهم إلى القروض<sup>(6)</sup>.

كان وضع اليهود في أوروبا الغربية متأرجحا بين الرفض والاضطهاد، وبين الحاجة إليهم، وتبعاً لما ذكره المؤرخون اليهود، فإنه بعد أن سمح الملك فيليب لليهود بالعودة إلى فرنسا، لما اقتضته الظروف الاقتصادية الحرجة، تعرضوا إلى الطرد منها على فترات منذ 1306م، واشتدت موجة ملاحقتهم مرة

(1)- لوسيان كافرو ديمارس، المصدر نفسه، وصمة العار الصهيوني، ص216.

(2)- برنار لازار، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، ص106.

(3)- ماكس مارجوليس، تاريخ الشعب اليهودي، ص122-123.

(4)- المصدر نفسه، ص122.

(5)- شاهين مكاربوس، تاريخ الاسرائيلين، ص83.

(6)- وليم غاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، ص61.



## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

أخرى سنة 1321م بتهمة تسميم الآبار تزامنا مع تفشي الموت الأسود<sup>(1)</sup>، ما كان كافيا لقمعهم، في حين تم نفي البعض الآخر منهم على يد الملك تشارلز الرابع سنة 1322م، ثم سنة 1368م على يد الملك تشارلز الخامس، وفي سنة 1394م تم نفيهم من فرنسا بأمر من الملك تشارلز السادس<sup>(2)</sup>. ولم يتحسن وضعهم فيها إلا في نهاية القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين بقيام الثورة الفرنسية، وذلك بعد الاعتراف باليهودية دينا، أين تعزز وجودهم، وتمت معاملتهم كمواطنين فرنسيين<sup>(3)</sup>.

لم يختلف وضع اليهود في إنجلترا التي وصلوا إليها بعد طردهم من ألمانيا وفرنسا، حيث تعرضوا للاضطهاد مع بداية القرن الثاني عشر بتهمة التعامل بالربا أيضا، ولما اقتضى الاستعداد للحروب الصليبية اللجوء للمساعدات اليهودية، استغل اليهود توظيفها في تحصيل المزيد من الأرباح وهو ما زاد من استشاطه غيظ وكراهية المسيحيين لهم<sup>(4)</sup>، كما تسببت قهمة القتل الطقسي الممارس خلال الفترة 1144م و1255م، في عداة اليهود ومتابعتهم في مختلف مدن إنجلترا<sup>(5)</sup>.

تحسنت أوضاع اليهود في إنجلترا في زمن الملك جون (1199م-1216م)، ثم ما لبثت أن تردت خاصة أثناء حرب البارونات (1264م-1270م) ضد هنري الثالث، والتي قام اليهود بتمويلها، وفي عهد إدوارد الأول، صدر مرسوما يحرم على اليهود ممارسة الربا، كما وضع سنة 1275م ما يعرف بقانون الأنظمة الخاصة باليهود، بهدف تقليص السيطرة الاقتصادية التي يمارسها اليهود، وقد أدى تجاوزهم على المرسوم الملكي السابق إلى طردهم نهائيا من إنجلترا سنة 1290م، تلتها فيما بعد سلسلة الطرد المتتالية من جميع أنحاء أوروبا، والتي أطلق عليها اسم الجلاء الأكبر<sup>(6)</sup>.

ومع تماوي جدران الجيتو بنهاية القرون الوسطى وتحصل اليهود على كامل حقوق المواطنة، تربعت البرجوازية اليهودية قمة المجتمع الغربي، واحتل اليهود مراكز حيوية متزايدة النفوذ في المجال الاقتصادي،

(1)-شاهين مكاربوس، تاريخ الاسرائيلين، ص84.

(2)- ماكس مارجوليس، تاريخ الشعب اليهودي، ص142-143. وبارنار لازار، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، ص90.

(3)- عبد الوهاب المسيري، الجماعات الوظيفية اليهودية - نموذج تفسيري جديد-، ط2، القاهرة: دار الشروق، 2002، ص116-117.

(4)- رحينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة (96)، الكويت:

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر 1986، ص28.

(5)- ول ديورانت، قصة الحضارة، ج14/91-92.

(6)- وليم غاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، ص62.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

فشككت العائلات اليهودية فيما بعد سلالات مالية مهيمنة في مختلف أرجاء أوروبا، وكان لأسر أخرى دور في تمويل الحروب، ومنذ أوائل القرن السادس عشر تغير الموقف المسيحي نحو اليهود، حيث بدأت مرحلة جديدة من تاريخ العلاقات المسيحية اليهودية، مع ظهور موجة الإصلاح الديني، ودعوتها إلى إعادة قراءة الكتاب المقدس<sup>(1)</sup>

كانت إعادة صياغة الدين المسيحي بفضل حركة الإصلاح الديني، أحد العوامل التي أدت إلى بعث الفكر اليهودي، بحيث احتلت المسألة اليهودية مساحة أهمية لا يمكن تجاهلها في تطور تاريخ القارة الأوروبية، وأصبح مصطلح (المسألة اليهودية) عنواناً لمشكلة سياسية، اجتماعية، اقتصادية، ديموغرافية، التصقت بيهود أوروبا دون سواهم، وأفرزت في النهاية الحل الصهيوني الذي مثلته دعوة هارتن لوثر 1483-1546م بثورته على الكنيسة، كذلك إسحق نيوتن 1643-1727م وغيرهما، فمثل ذلك النواة الأولى للمشروع الصهيوني<sup>(2)</sup>، لحل المسألة اليهودية قبل مجيء هرتزل بسنين طويلة<sup>(3)</sup>، وخلال هذه المرحلة التاريخية تمتع يهود غرب أوروبا بفرص كبيرة للاندماج في مجتمعاتهم، وتمخض عنها سماح إنجلترا لليهود بالعيش بصفة شرعية في حكومة الكومونولث (1641-1660م)، مع ترسيخ فكرة الرابطة الأبدية بين اليهود وبين أرض فلسطين، باعتبارها الوطن الأم الذي أخرجوا منه<sup>(4)</sup>.

(1) - لورنس سمور (مترجم)، ما هي المسيحية الصهيونية الغربية؟، القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991، ص 14.

(2) - ابتدأت الحركة الإصلاحية كسجل جديد للصهيونية، حيث كان لها دور في إعادة تقييم الدين اليهودي في الأوساط الأكاديمية، والكنيسة المسيحية، وكذا المساهمة في إعادة النظر في تمركز اليهود في التاريخ البشري، ثم إعادة تعريف المسيحية نفسها على ضوء القراءة الجديدة للكتاب المقدس في إطار علاقتها بالمعتقدات اليهودية، بإحياء النص التوراتي وترجمته إلى اللغات الأوروبية، فأصبحت نبوءات التوراة وأساطيره مكوناً أساسياً لثقافة العصور الحديثة، ومن خلال ذلك تسربت التعاليم الصهيونية إلى الفكر الغربي، باتخاذها للنهضة القومية اليهودية فرصة للعودة الجماعية إلى فلسطين، وقد تطورت هذه الرؤيا مع بروز تيار البيوريتارين سنة 1585، حينما دعا القس جون براكما إلى إعادة اليهود إلى فلسطين تحقيقاً للنبوءة التوراتية، كما ناشد هنري فيش: "أحد أعضاء الحكومة البريطانية"، حكومته سنة 1616 بالدعوة إلى الرجعة، وكان لذلك دور في إيجاد العلاقة اللاهوتية بفكرة دولة يهودية حديثة. (رجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، ص 20، وبشير نافع، الغرب المسيحي والمسألة اليهودية، ط 1، غزة: مركز فلسطين للدراسات والبحوث، جويلية 2000، ص 37.)

(3) - عبد الكريم الحسيني، الصهيونية الغرب والمقدس والسياسة، ص 64.

(4) - فؤاد شعبان، من أجل صهيون التراث اليهودي-المسيحي في الثقافة الأمريكية، د ط، دمشق: دار الفكر، دت، ص 41-44.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

### ● في أوروبا الوسطى:

منذ القرن الثالث الميلادي أصبحت أوروبا الوسطى مركزا وقاعدة للشتمات اليهودي الجديد، ثم ازداد تمركز بشكل أكبر في باقي مناطق ألمانيا في القرن التاسع، بسبب اشتغال اليهود بالتجارة، وحينما امتد نشاطهم كمرايين خلال القرون الوسطى (القرنين 13 و15)، تم احتكار عملية القروض مقابل الفوائد، حتى جرت العادة على اطلاق كلمتي مرايي ويهودي بطريقة تبادلية، ورغم افول ذلك مع ظهور المرايين المسيحيين "فرسان المعبد"، غير أنه لم يقوض تعامل اليهود بالربا الفاحش، وكان استغلالهم لفاقة المجتمع وارتفاع نسبة الفوائد من اكبر مصادر كراهيتهم، وثورة الشعب عليهم<sup>(1)</sup>.

للأسباب السابقة وعلى غرار الوضع في أوروبا الغربية، ساءت أحوال اليهود، ونتيجة للازمة الاقتصادية في ألمانيا -تزامنا مع الاستعداد للحروب الصليبية - التي انعكست آثارها سلبا على الوضع الاجتماعي، زادت موجة الغضب الشعبي تجاههم، فأجبر اليهود على دفع الضرائب، وتقديم الهدايا للإمبراطور والأمراء استرضاء لهم، ثم صدر قرار طردهم من ألمانيا على مراحل خلال القرنين الثاني عشر والرابع عشر رافقته عمليات الإبادة، غير أن حاجة الحكام إليهم كانت تستدعي في كل مرة السماح لهم بالبقاء، والإذن لهم بملكية العقارات واتخاذ الرعوية، وإن كانوا في بعض مدن ألمانيا قد اجبروا على عزل أنفسهم في أحياء خاصة بهم<sup>(2)</sup>. ومع مرور الزمن وزيادة أعدادهم تحول الجيتو إلى سجن، فساعد ذلك على التعفن من الداخل وانتشار الرائحة الكريهة في المجتمع، مما أدى إلى رد الفعل العنيف منهم، ومن المجتمع من حولهم<sup>(3)</sup>.

كجانب من الاضطهاد النفسي الممارس ألزم اليهود بوضع شارات<sup>(4)</sup> تميزهم عن غيرهم<sup>(5)</sup>، كذلك

(1) - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج2، ص 380-381.

(2) - شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، ص88.

(3) - كامل سعفان، اليهود تاريخا وعقيدة، ص 48-49.

(4) - لم يكن حضور اليهود كما يذكر مارك. ر. كوهين مألوف داخل النسيج الاجتماعي الحضري الأوروبي، حيث دعت المسيحية الى الفصل بين اليهود والمجتمع، فقد ألزم اليهود في ألمانيا وإيطاليا بوضع إشارات معينة على ملابسهم في العصور الوسطى وحتى نهاية أربعينيات القرن الماضي 1939م، حيث تجدد الأمر مع النازية الألمانية في بولندا، وبعد ذلك في سائر البلاد التي احتلتها النازية خلال الحرب العالمية الثانية، فكانت الإشارة عبارة عن قطعة من النسيج الأصفر أو الأحمر توضع على الملابس، وعليها نجمة داود السداسية، وفي وسطها كلمة يهودي بلغة البلد أو حرف J، أول حرف من كلمة يهودي، وفي بعض الأحيان كان يستعاض عنها بشريط يرتدى على الذراع، ويثبت جهة القلب، وكان وضعها إلزاميا خارج الجيتو، ويتعدى ذلك إلى داخل الجيتو، مما يعرض تاركها للعقاب. (مارك كوهين، بين الهلال والصليب، ص282. ورشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص38.)

(5) - إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، معهد البحوث والدراسات العربية، 1968، ص23.

## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

كانت تهمة تدنيس خبز التقدمة المقدس كما يوردها ول ديورانت، سببا في إحراق جميع اليهود أحياء في بلتزر عام 1243، كما أثبتت تهمة القتل الطقسي للأطفال المسيحيين سنة 1283، وعوقب عليها عشرة يهود قتلا، ونظم البارون رندفلشخ **Rindfleisch** جماعة من المسيحيين ليقتلوا جميع اليهود، فأبادوا جميع الجالية اليهودية في ورزبرج، وذبحوا 698 يهودياً، وفي العام نفسه عمت موجة الاضطهاد مختلف مدن ألمانيا لتطال المعابد اليهودية، حيث تم هدم 140 كنيساً يهودياً، ورغم أن اليهود أعادوا تنظيم جماعاتهم إلا أنهم في الغالب اضطروا إلى الهجرة إلى فلسطين، كما توجه بعضهم إلى شرق أوروبا<sup>(1)</sup>، وللتهمة نفسها أمر كابسترانو ممثل البابا نيقولاً الخامس بسجن عدد من اليهود في برسلاو، وأشرف هو بنفسه على تعذيبهم لينتزع من بعضهم أي اعتراف أمر هو بالإدلاء به، وعلى أساس ذلك أعدم أربعون منهم حرقاً (سنة 1453). وتم نفي البقية منهم، في حين أخذ منهم الأبناء وعمدوا بالقوة<sup>(2)</sup>.

أما في العصر الحديث، كان اضطهاد اليهود في ألمانيا، لأسباب سياسية حركتها في الجوهر دوافع عنصرية، حيث تم توظيف ما كتبه ألفريد بلويتز سنة 1904 حول نظرية تحسين النسل البشري وما دعا إليه ألفريد هوج سنة 1920 بخصوص فكرة القيام بتعجيل الموت الرحيم للمصابين بالأمراض المميتة، وهدف ذلك إلى التخلص من الأحياء اليهودية "الجيتو" التي كان ينظر إليها أنها لا تستحق الحياة، حيث استعملها النازيون كمبرر لخطتهم في إبادة اليهود<sup>(3)</sup>، ومن جهة أخرى اهتم هتلر اليهود الاندماجين الراضين للهجرة إلى فلسطين، بالضلوع في تفشي الفساد والجرائم الأخلاقية في المجتمع الألماني، وبأنهم وراء كل آفة، وصاغ هتلر أفكاره ضد اليهود في كتابه كفاحي، مبررا اضطهادهم لهم في ثلاثينات القرن الماضي بقوله: "... فقد اكتشفت مع مرور الأيام أنه ما من فعل مغاير للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد، واستطعت أن ألمس الدور الفعال للشعب المختار في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته."<sup>(4)</sup>

رغم أن الإبادة النازية لم تقتصر على اليهود فحسب، إذ أنها شملت الروس والبولنديين، إلا أن الصهيونية عملت على تهويلها، فصنعت منها وثنا يتوجه إليه كل يهودي بالعويل والنواح، بل أصبح

(1) - ول ديورانت، قصة الحضارة، ج14، ص90.

(2) - المصدر نفسه، ج26، ص150-151.

(3) - عصام عبد الفتاح، الهولوكوست بوابة الرعب الأبدي لبني صهيون، طدط، القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع، 2008، ص55.

(4) - أدولف هتلر، كفاحي، ترجمة: لويس الحاج، ط2، بيروت: بيسان، 1995، ص19.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ذلك من صميم أسس العقيدة الصهيونية، "بترسخها أن الإبادة لحقت باليهود فقط دون غيرهم من الشعوب، لأنهم كانوا يفتقرون إلى الوطن"<sup>(1)</sup>، وفي ظل الصراع المستمر بين الوجود اليهودي المتأزم في أوروبا وبين الرفض الصهيوني للمنفى، استغلت الصهيونية الوضع بقيامها بحملة دعائية واسعة بين يهود العالم، ونشرها لفكرة إنشاء الوطن القومي، التي لقيت قبولا وترحيبا من اليهود الشتات<sup>(2)</sup>.

### ● في أوروبا الشرقية:

لم يكن فهم العداوة التي أظهرها العالم الغربي لليهود في العصور الوسطى أمرا متاحا، دون الأخذ بعين الاعتبار العامل الاقتصادي، بالإضافة إلى العاملين الديني والاجتماعي.

يرى جون روز في معرض حديثه عن عوامل عداء الشعوب لليهود، أن الاضطهاد بدأ مع أفول الدور الاقتصادي لليهود، وظهور أوروبا الغربية كمركز للقوة الاقتصادية، حيث أمكن لليهود في أوروبا الشرقية مواصلة نشاطهم التجاري لا سيما في ليتوانيا وبولندا، دون أن يمنع ذلك من التواجد اليهودي في أوروبا الغربية، التي شهدت فيها المسيحية بداية انكسار بعد ذلك أمام حركة الإصلاح الديني بالتزامن مع فجر التنوير<sup>(3)</sup>.

نتيجة للوجود السابق للجماعات اليهودية شرق أوروبا، على إثر عملية الطرد من فرنسا وإنجلترا، ازدادت كثافتهم خاصة في بولندا الخاضعة للسيطرة الروسية، التي أصبحت مركزا لليهودية في مطلع القرن السادس عشر، مشكّلة بذلك أكبر تجمع استيطاني يهودي لم تشهده باقي دول أوروبا<sup>(4)</sup>، حتى أن أغلبية يهود العالم كانوا في بداية القرن العشرين من نسل يهود بولندا: "بل يقال إن كل يهود العالم الغربي من أصل بولندي، باعتبار أن العناصر اليهودية المحلية تم صهرها تماما في الأغلبية."<sup>(5)</sup>

لكن لم ذلك التزايد ليؤدي إلى الاندماج في المجتمع المسيحي، بل رفضه اليهود ذلك بدعوى أنهم يشكلون مجتمعا دينيا مستقلا بعاداته وتقاليده، وإنكار هذه الخصوصية أو السعي لصهرها في نطاق

(1) -رشاد عبد الله الشامي، الشخصية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص 191.

(2) - ألفريد ليلينتال، ثمن إسرائيل، ص 16.

(3) - جون روز، أساطير الصهيونية، ص 69-70.

(4) - دوغلاس ريد، جدل حول صهيون، ص 82.

(5) - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج 2، ص 402.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

المجتمعات هو أمر يعده اليهود جانباً من العداوة والعنصرية، في الوقت ذاته ارتبطتهم بالتجارة، وجمع الأموال بالربا، وبالتالي زيادة نفوذهم، خاصة بعد اتحاد أوكرانيا مع بولندا، وقد ساعد تجمعهم في بولندا خاصة سنة 1500م على استيطان المدن والقرى الصغيرة ما أدى إلى نشأة نظام "الأراند" (1)، الذي منح اليهود حرية الاستثمار وحق تحصيل الأرباح، مع مضاعفة الضرائب على الفلاحين دون علم النبلاء المالكين، وبذلك زيادة ثروتهم، والسماح بتكوين "مجلس الأراضي الأربع" (2)، كتنظيم خاص للجيتو للإشراف على الجماعات اليهودية، تتمتع إدارته كما تصفه الكاتبة اليهودية حنة أرندت، بسلطات ديكتاتورية (3)، خلق هذا التنظيم لدى البولنديين الإحساس بسطوة اليهود وتحكمهم في شؤونهم، فضلاً عن تحالفهم مع النبلاء في الأعمال القمعية، وثورتهم ضد الحكم البولندي ووكلائه من اليهود سنة 1648م بمساعدة القوزاق، وتثار شبه جزيرة القرم، كل ذلك جعل اليهود أكثر عرضة إلى عمليات التصفية، بينما لجأ البقية منهم إلى الهجرة نحو وسط أوروبا وغربها (4).

فقد كان للنشاط التجاري، دور في زيادة تسلط اليهود، واستغلال علاقتهم بأصحاب النفوذ، حيث انحصرت السلطة والثروة في أيدي الأثرياء من ممثلي المقاطعات، مقابل فقدان المسيحيين لمراكزهم كتجار، كما كان من أثر تفرق اليهود ومعرفتهم اللغات أن أصبحت مهنة إقراض النقود وقفاً عليهم، فتحكموا في الفئات الفقيرة، والبرجوازية على حد سواء، وهو ما أدى إلى كراهيتهم ونبذهم (5). ونتيجة

(1) \_ تمتد أصوله من زمن الإسكندر وحتى زمن الاستيطان الصهيوني، حيث كان اليهود يبيعون خدماتهم للحاكم مقابل درجة من التحرر الذاتي وحماية ديارهم، وقد كانت هذه الخدمات تنطوي في جوهرها على وسائل قهريّة لاستغلال الفقراء، وهو نموذج يشبه تماماً النموذج الصهيوني الحالي الذي يحمي المصالح السياسية، والاقتصادية لأمريكا في الشرق الأوسط، مقابل حمايتها لدولة الكيان الصهيوني، ودعم

استقلالها المزعوم، وهو ما يضرب بجوره بعمق في الاستعمار الاستيطاني الصهيوني لفلسطين. جون روز، أساطير الصهيونية، ص 80  
(2) \_ يعرف بالقاهال أو الكحال، وهو "جماعة تمثل الطائفة اليهودية في إحدى مدن الشتات، أشبه بدولة داخل دولة، مهمته هو تجسيد الحكم الذاتي لليهود بوضعهم العام من قبل الحكومة، وفرض العدالة، ومراقبة النشاط الاقتصادي، وعمل المؤسسات الخيرية، كما تتجلى وظيفة أعضائه في الحكم والعقوبات، كما يتوجب على مجلس جباية الضرائب، وإقامة محاكم مستقلة، وتنظيم الحياة اليهودية الداخلية، كقانون الأسرة، والتعليم، كما يدير القاهال شؤون الحياة الاقتصادية الدينية في علاقتهم بالآخرين، وتمتد سلطته في غالب الأحيان لتشمل يهود القرى المجاورة. رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص 13-14

(3) -Arnedt(H), les origines du totalitarisme. sur l'antisémitisme, (traduit de l'anglais), Paris, 1973, Ed. Lévey, p14.

(4) -برنار لازار، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، ص 105 وجون روز، أساطير الصهيونية، ص 81.

(5) -عبد الله حسين، المسألة اليهودية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2014، ص 112.

## الفصل الثاني: .....توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

ذلك الوضع فضل اليهود المهاجرون إلى شرق أوروبا، اختيارا أحيانا وإجبارا أحيانا أخرى، الإقامة في الأحياء الخاصة بهم، والواقعة مع الحدود الغربية لروسيا من سواحل بحر البلطيق في الشمال حتى سواحل البحر الأسود في الجنوب، وكان معظمهم من أصل خزري... المعروفون منذ القدم بخبثهم وبخلهم الشديد، وكذا أساليبهم المنحطة في الأمور المالية، وأخلاقهم الدنيئة<sup>(1)</sup>.

نظرا لكون التكتل هو طابع حياة اليهود أينما حلوا، فإنهم لم يعتبروا أنفسهم يوما خلال إقاماتهم المتعددة أنهم مواطنين فيها، مما جعلهم في خلاف مستمر مع مصالح الأغلبية، ومن هنا تبنا حياة الانعزال، التي لم تصبح بعد إجبارا، بدعوى تمايزهم الديني وتميزهم العرقي في آن واحد، رافضين الاندماج في المجتمع بحجة الإبقاء على تلك الخصوصية التي تمنحهم حق البقاء والاستمرار، بإقامة السياج المعنوي والمادي حولهم، ثم بتفعيل معاداة السامية التي روجت لها الصهيونية في ذلك الجو المشحون بالكراهية، رامية إلى تحقيق أهدافها في مختلف أنحاء العالم بتجميع اليهود حول أفكارها ومفاهيمها قبل تجميعهم في الوطن الموعود، كل ذلك منح زعماء الصهيونية فرصة إحياء اليهودية في إطار صيغة مشروع قومي<sup>(2)</sup>، وبالرغم من تميز التجمعات اليهودية في روسيا، وبولندا، وهولندا، والمجر، بمحاولة حفظها للتقاليد والتراث اليهودي بشكل صارم، إلا أن ذلك لم يمنع تأثر بعضهم بالعقائد والثورات التي نشأت خلال النهضة الأوروبية، وهو ما منحهم دورا رئيسيا في تفعيل الحركات الثورية، إلى درجة تأسيس الحزب الاشتراكي اليهودي "البوندا" الذي اشتمل على الاشتراكيين والشيوعيين اليهود في روسيا، وبولونيا<sup>(3)</sup>.

فضلا ذلك كان لمشاركة اليهود في التكتلات السياسية السرية سببا قويا آخر في زيادة العداء الروسي تجاههم، وتفجير المشكلة اليهودية على نطاق أوسع في المجتمع الأوروبي، خاصة بعد اغتيال القيصر الكسندر الثاني سنة 1881م، الذي مثل نقطة انعطاف بالنسبة ليهود روسيا، بتضييق الخناق عليهم على جميع المستويات، ومنعهم من دخول العاصمة موسكو، كما منعوا من المشاركة في انتخابات المجالس البلدية<sup>(4)</sup>، ثم ازداد وضع اليهود سوءا في روسيا بعد نشر بروتوكولات حكماء صهيون، وكشف المخططات اليهودية للسيطرة على العالم، وأنهم كانوا وراء تفعيل مظاهر الانحلال والعنف وتأجيج

(1)-وليم غاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، ص66.

(2)- عبد الوهاب الجبوري، اللاسامية في الفكر الصهيوني، ص40.

(3)- ميشال إده، الشتات اليهودي والصراع العربي، ص8.

(4)- عبد الكريم الحسيني، الصهيونية الغرب والمقدس والسياسة. ص65.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

الحروب بين الدول<sup>(1)</sup>، مما أدى تعزيز أفكار ودعاوى حركت اليهود نحو ضرورة بعث اليقظة وتبني القومية اليهودية<sup>(2)</sup> -مقابل انغلاق المتدينين اليهود- فانعكس ذلك سلبا على أوضاع اليهود في كامل أوروبا الشرقية، تمثل في ردة فعل عنيفة من جانب المثقفين اليهود، خاصة في بولونيا وبلاد البلطيق، وبدأ تطور ما يمكن تسميته بالصهيونية الدينية الثائرة على الاندماج، التي سرعان ما تحولت مع هذا الصراع مفرزة بداية الصهيونية السياسية ذات الغطاء الديني، متحلية في ظهور موجة الكتابات والجمعيات الداعية إلى تجديد الدين اليهودي، كمحاولة لإخراج اليهود من ضيق المجتمعات، وتعجيل خلاصهم، الأمر الذي أدى إلى بروز الحركة الصهيونية ممثلة في البورجوازية اليهودية في أوروبا الشرقية خاصة<sup>(3)</sup>.

في هذه الأثناء بدأت حمى البحث عن أرض الخلاص، ولم تكن فلسطين -كما يذكر جون روز- ضمن تلك الآمال بعد. <sup>(4)</sup> وقد حمل تزامن القمع الجماعي مع الانحطاط الاقتصادي في وسط وغرب أوروبا، أكثرية اليهود على الهجرة مرة أخرى إلى ألمانيا، والنمسا، وفرنسا، ومن ثم في إطار الهجرة الجماعية إلى أمريكا، ممثلة بدايات تشكيل نواة الحركة الصهيونية التي تحمس لها الأوروبيون بشكل واسع<sup>(5)</sup>.

لأسباب السابقة يمكن اعتبار أن أهم ما ميز تكوين الشخصية اليهودية عبر التاريخ، تبنيتها فكرة الصراع مع الآخر، والتي ظلت جزءا من طبيعتها، فقد تطورت هذه الفكرة لتصطبغ مع مرور الزمن

<sup>(1)</sup> \_ فقد استشر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فرانكلين، خطورة المسلك اليهودي في خطابه سنة 1789م، مصرحا: "هناك خطر كبير على الولايات المتحدة الأمريكية، ذلك الخطر هو اليهودية، أيها السادة حيثما استقر اليهود يوهنون من عزيمته الشعب، ويزعزعون الخلق التجاري الشريف، إنهم كونوا حكومة داخل حكومة، وإذا لم يمنع اليهود من الهجرة إلى الولايات المتحدة بموجب الدستور، ففي أقل من مائة عام سوف يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا، ويدمروننا، ويغيرون شكل الحكومة التي ضحينا وبذلنا من أجل إقامتها بدماءنا، وحياتنا، وأموالنا، وحرمتنا الفردية. (محمد إسماعيل علي السيد، أسانيد السياسة الإسرائيلية، ص89).

<sup>(2)</sup> \_ عقب اشتداد المذابح في الفترة 1881-1882، ارتدت جماعة من اليهود، ممن أيدوا الإندماج قبل ذلك، ودعت إلى حل المسألة اليهودية عن طريق الهجرة والبحث عن الوطن القومي، وكان من أبرز قادتها، بيريتز سمولنسكين، وموشيف ليلينبلوم، وبنسكير، واليعازر بن يهودا، لأن الكراهية كما تم وصفها شعور مرضي داخلي ملازم لليهود، ولأن تميز اليهود جعلهم غير قابلين للاندماج، فقد تحولت أفكارهم حول بعث الروح اليهودية "التميزة كأساس للقومية اليهودية"، "كنوع من الخلاص"، تحقق لليهود مأوى لهم في بلاد تاريخية على غرار باقي الشعوب. (أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص67-68، وعبد الوهاب الجبوري، اللاسامية في الفكر الصهيوني،

ص52، وصري جريس تاريخ الصهيونية، ج1، ص87-95)

<sup>(3)</sup> \_ عبد الوهاب الجبوري، اللاسامية في الفكر الصهيوني، ص50-53.

<sup>(4)</sup> \_ جون روز، الأساطير الصهيونية، ص140.

<sup>(5)</sup> \_ ميشال إده، الشتات اليهودي، ص8.



## الفصل الثاني: ..... توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال

بالتعصب العنصري والانعزال المجتمعي، الأمر الذي خلق بينهم وبين باقي المجتمعات بذرة الرفض والكرهية، التي أفضت إلى نشأة المسألة اليهودية، كمشكلة - في نظر اليهود- إنسانية رافضة لأي حل باستثناء الطرح الصهيوني<sup>(1)</sup>.

مما تقدم بيانه نلاحظ أن الكتابات اليهودية تركز على دعوى أن اليهود اضطهدوا منذ فجر تاريخهم، دونما إشارة إلى الأسباب التي تدخلت في ذلك، مع إغفالهم أيضا فترات الأمن والرخاء التي حضي بها اليهود في بعض البلدان.

إن أسباب الرفض المجتمعي لليهود وما أفرز من سلوكات معادية نحوهم، كانت متعددة ، غالبا يكون الهود طرفا فيها، بين كونها اجتماعية، لانطوائهم وعزلهم أنفسهم من منطلق اعتقادهم بالتفوق، وكذا سلوكياتهم الشاذة، كما رأينا في العالم القديم، أو أنها سياسية كما حدث أثناء الحكم الروماني، أو أنها دينية في الغالب، وكان ذلك خلال الحكم الروماني، ثم بداية العصر المسيحي، إضافة إلى ما تعزوه الدراسات الحديثة التي تناولت المسألة اليهودية في القرن التاسع عشر، من أن الاضطهاد يعود أساسا إلى العامل الاقتصادي، وهو من أقوى الأسباب التي ساهمت في إنجاح مشروع الحركة الصهيونية.

إن اليهود عبر مساهمهم التاريخي كانوا سببا رئيسا في معاناتهم، بتعديهم على القوانين والأنظمة، كما كان للدين اليهودي دور في خلق سيكولوجية خاصة بهم، كل ذلك كان من أسباب نبذهم واحتقار المجتمعات لهم أكثر من ثلاثة آلاف سنة، بدءا من العصور القديمة حتى العصر المسيحي، ثم الإسلامي ، ثم موقف الكنيسة الكاثوليكية منهم، وبالقدر نفسه كانوا سببا في معاناة الآخرين، بإثارة الفتن وبتحكمهم في الاقتصاد وسعيهم إلى السيطرة على صناعة القرار في البلدان التي تقدم لهم يد المساعدة.

إن اليهود لم يشكلوا يوما أقلية، وماتعرضوا له من معاناة لم يخصهم دون غيرهم، كما أن دعوى الاضطهاد الممارس لم يشمل جميع اليهود في العالم، فقد تنعم اليهود بحياة الرفاه في ظل الحكم الإسلامي على مدار سبعة قرون، وفي أوروبا اعتلت البرجوازية اليهودية أرقى المستويات في المجتمع، فكان منهم أصحاب القرار في مختلف الدول، وعليه لا يمكن تصنيف تلك المعاناة ضمن مفهوم الاضطهاد، كما لا يمكن اعتبار معاناة اليهود مسوغا لإقامة فضاء مستقل يحقق لهم الأمن بعيدا عن الاذلال والتضييق على حساب الشعب الفلسطيني، ضمن ما يعرف بالحقوق الإنسانية والتي لا تقوم على سند قانوني أو شرعي.

(1)-حسن ظاها، الشخصية الإسرائيلية، ص42.

الفصل الثالث:

تجليات العنف في الفكر والممارسات  
الصهيونية

جامعة الأمير  
القائم للعلوم الإسلامية

### تمهيد

ينظر قادة الصهيونية إلى الحركة الصهيونية على أنها عريقة تمثل استمرارا للتاريخ اليهودي، وعلى هذا الأساس تتم عملية تشكيل العقل في المجتمع الإسرائيلي بشكل فريد من نوعه، وتسير هذه العملية وفق الأيديولوجية الصهيونية، التي تسعى إلى زرع مقولاتها القائمة على الحقد والعنف، في مقابل تدمير ارتباط الإنسان بـمآزيه وتاريخه، بحيث يصبح ذلك من صميم طبيعة المجتمع، ومن هنا كانت الدعوة إلى تجميع اليهود في فلسطين (أرض - إسرائيل) ضرورة، وما كان على الصهيونية إلا أن تستثمر هذا المخزون الديني وتستخدم تعبيرات دينية معلنة، وتحولها إلى مفاتيح الفكر الصهيوني وإلى دافع لشحن اليهود للهجرة وتجنيدهم لخدمتها بشتى الوسائل.

ففي إطار النشاط الصهيوني نجد التيار الديني، الذي يمثل - في الحقيقة - تجليا ظاهريا وتطبيقيا للمناخ الفكري والسياسي حول أسطورة إسرائيل الكبرى، وتحقيق النبوءات التوراتية، ويرفض الفصل بين التدين والصهيونية، قد عكف على توجيه وضبط مسار العمل على توظيف التراث الديني، مما منح القيادات الدينية أهمية كبيرة في المجتمع باسراكها في جميع المؤسسات الصهيونية قبل قيام إسرائيل، وكان من الصعوبة بمكان تصور المجتمع الإسرائيلي من دون الحضور الطاغي للتيار الديني الصهيوني. بمختلف أطرافه في إنجاح المشاريع الاستيطانية.

حرصت في الوقت ذاته الصهيونية على توجيه الفكر التربوي في إسرائيل، وحقن الأجيال اليهودية بالترعة العدوانية، وتطعيمهم بمصل الروح القتالية، وتحويل حياتهم إلى طقوس صهيونية يحيون بها ويتخذونها شعارا لهم، مما أثر في تكوين بناء الشخصية اليهودية التجديدية (الجديدة) بناء صهيونيا محضا، تسعى جاهدة إلى اجتثاث الفلسطيني من أرضه، وهو ما نحاول بيانه في المباحث الموالية، في حديثنا عن نزعة العنف في الفكر الصهيوني، وكيف تبدى ذلك في المناهج التعليمية والسياسة العملية للمستوطنين.

المبحث الأول: تجليات العنف في الفكر الصهيوني:

المطلب الأول: نماذج من تشكيل بنية الفكر الصهيوني:

أولاً: ميخا جوزيف بيرديشفسكي Micah Joseph Berdishivsky<sup>(1)</sup>

ارتبطت دعوة بيرديشفسكي باستخدام العنف المسلح بعقيدة الوعد بالأرض، وكانت نابعة من إيمانه بحرفية النص المقدس، وبضرورة تحقيق الوعود الإلهية بالأرض، فقيام إسرائيل من وجهة نظره مرهون بالثورة اليهودية العنيفة، كما كان متأثراً بالفاشية التي ظهرت عقب الحرب العالمية الأولى، وبواقعية وفعالية سياسة القوة والبطش<sup>(2)</sup>، وكان بيرديشفسكي يؤكد في خطاباته على ما يستوجب الجمع بين الكتاب والسيف، ب قول: "إن كلا من السيف والكتاب قد هبطا من السماء مع بعضهما بعضاً، وهما وإن تناقضا فيما بينهما، فإن السيف -بالنسبة له- هو صاحب القول الفصل، لأن السيف ليس شيئاً مجرداً بعيداً عن الحياة، إنه تجسيد للحياة في أجراً خطوطها المادية والجوهرية"<sup>(3)</sup>.

لقد نظر بيرديشفسكي إلى التوراة وباقي التقاليد اليهودية القديمة بروح جديدة بحثاً عن بقايا الديانات القديمة التي آمنت بالتعدد وعن الأساطير الزاهية بالبربرية التي امتلكتها القبائل العبرانية، والتي رفضها الأنبياء والكهنة، ورأى أن العبرانيين القدامى يشبهون -في حيويتهم- الوثنيين الذين يندفعون حيوية ودماً، بينما يعاني اليهود الروحانيين والمثاليين من فقر الدم بسبب فقدانهم حيويتهم الطبيعية تحت غطاء قانون الرب...، فلم يأبه الإله إسرائيل، وإنما للصنم القبائلي معتبراً اليهودية قد برزت بين آلهة

<sup>(1)</sup> \_ 1865-1921، ولد بمدينة ميدزيوز الأكرانية، مهد الحسيديّة، بدأ دراسته الأولى في المدارس الدينية، فذاعت شهرته كباحث في التلمود والنصوص الصوفية التي تعود للفكر القبالي والحسيدي، تلقى تعليمه العلماني في أوروبا عام 1890، حاول من خلال قصصه التوفيق بين التقاليد الدينية "الحاخامية" وأفكار العصر التنويرية، كان متأثراً بأفكار نيتشه فيما يتعلق بالفرد المتميز "السوبرمان"، وكذا في دعوته إلى إعادة تقييم القيم، التي حاول تطبيقها على الفكر اليهودي، وأن يكون ذلك بالثورة عليها من أجل تغييرها، حيث تحول بيرديشفسكي إلى ناقد للتقاليد اليهودية، لأنها تقيد - في نظره- الإنسان بالطقوس الميتة، فاعتبرها غير كافية بالنسبة لليهود، وحلّل الأزمة التي يعيشها اليهود بين تراثهم وتقاليدهم، وبين بعدهم عن الواقع (انغلاقهم حول أنفسهم)، والذي كان سبباً في الانقطاع عن التطور الاجتماعي والسياسي، وبرؤية حسيديّة عبر عن قبوله للصهيونية التقليدية بصيغة جديدة أطلق عليها الصهيونية الطبيعية أو الكونية، رأى بضرورة العودة إلى الطبيعة، وفقدان الذات والعقل فيها، بما هو أقرب إلى أرض الميعاد الصهيونية بعد اصطباغها بالوثنية. الفكرة الصهيونية، 181-182، عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات، ص 115.

<sup>(2)</sup> \_ إبراهيم العابد، العنف والسلام -دراسة في الاستراتيجية الصهيونية-، ص 9-12.

<sup>(3)</sup> \_ أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص 185.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الطبيعة، آلهة الأرض، والدم<sup>(1)</sup>.

إن أهم ما ركز عليه **بيرديشفسكي** في الطرح الثوري هو تحويل اليهود وربطهم بالعبرانيين الأولين، وهي الغاية التي كانت الأصل الذي تفرعت منه فيما بعد الأيديولوجية العبرانية المتطرفة، المسماة بالأيديولوجية **الكنعانية**<sup>(2)</sup> في إسرائيل<sup>(3)</sup>، وكان يستحضر التاريخ العسكري القديم، ويرى أن أفضل حقبة تاريخية لليهود هي أيام احتلال كنعان، متغنيا ببطولات يشوع، " ففيها تمت غرائز الاحتلال والوجود، ولو كان ذلك عن طريق إبادة الغير"<sup>(4)</sup>.

وهذه المفاهيم نجدها قد رافقت أعمال **بيرديشفسكي** الأدبية والروائية في مواصلة التعبئة الوجدانية من أجل تحقيق الخلاص، يقول في قصيدة له:  
عندما نقهر الماضي نكون قد قهرنا أنفسنا...

الإكسير والسم يوجدان في مادة واحدة، فمن يرينا طريقنا؟

ومن يمهده لخطواتنا التاليات؟..

(1) \_ إبراهيم العابد، العنف والسلام، ص10.

(2) \_ حركة سياسية ثقافية بدأ نشاطها مع مطلع الثلاثينات، كان المنظر الأول لها اليهودي الروسي **أدولف كوريفيتش**، تزعمها **أريل هالبرت شلا** (المعروف باسم **جونان راتوش**)، والتسمية "الكنعانية" هي تسمية أطلقها عليها الشاعر العبري **أفراهام شلونسكي** 1900-1973 من قبيل السخرية، أما الاسم الحقيقي لهذه الحركة فهو "حركة العبرين الشبان"، وكان معظمهم من الأدباء والصحفيين، تأثرت الحركة بأفكار **بيرديشفسكي**، عرفت بسخريتها من الدين اليهودي واللغة اليديشية، يرى أتباعها أن اليهود ليسوا سوى كنعانيين، وأن الأمة الإسرائيلية (الحديثة) هي دولة عبرية ذات امتداد للعبرانيين الأوائل، وعلى الدولة الجديدة أن تكون جزءا من دول الشرق الوسط بدل أن توثق علاقتها بأوروبا، وهم في ذلك يسعون على ترسيخ الوجود اليهودي وربطه بأرض فلسطين، غير أنها فشلت في خلق وجود لها داخل المجتمع الاسرائيلين، وبعد إختفائها عاودت الظهور عام 1969، وطالبت بتجنيد العرب وتعليمهم العبرية باعتبارهم عبرانيين، كما طالبت بتكوين جيش لحماية الأراضي المحتلة، وتصعيد المحجرة اليهودية، وقد اعتبرتهم الصهيونية مجموعة من عباد الوثنية، ورغم مخالفتها له فإن الحركة الكنعانية تتقاطع مع الصهيونية في محاولتها تحويل التاريخ إلى أسطورة تخدم سياستها. يوسي ميلمان، الإسرائيليون الجدد مشهد تفصيلي لمجتمع متغير، ترجمة: مالك فاضل البديري، دط، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، د ت، ص144، ورشاد عبد الله الشامي، إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة(224)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- أوت 1997، ص28، وعبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص314.

(3) \_ دايفد أوحانا وآخرون، فريدريك نيتشه والتيار اليميني الراديكالي الإسرائيلي، في جذور الفكر اليميني الصهيوني، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مجلة قضايا إسرائيلية، العدد69، ربيع 2018، ص13.

(4) \_ رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص183.

السيف... ولا شيء سواه<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: فلاديمير جابوتنسكي<sup>(2)</sup> Vladimir Jabotinsky

تمحورت دعوة جابوتنسكي حول سعيه نحو تحقيق قيام إسرائيل، لذلك حمل لواء دعوة إسرائيل الكبرى، فطالب بتشكيل فرقة يهودية جديدة، وتكوين وزارة صهيونية كبرى تضم الأقطاب الجبابرة، بغية تنسيق الجهود الرامية إلى الهدف الواحد<sup>(3)</sup>، وقد طور الصورة الأسطورية للدولة اليهودية القائمة على أساس الماضي، بإحيائه أساطير القوة والعدوان لدى القبائل العبرية القديمة، ومطالبتة إلغاء اليديشية واستعمال اللغة العبرية، وكان طموحه لإقامة الدولة والقضاء على الشتات في أسرع وقت، أكثر تطرفاً من سياسة بن غوريون ووايزمان، كما كان اعتماده على الإمبريالية البريطانية لانتزاع ملكية الأرض، وغيرها من أساليب قهر السكان الأصليين "العرب"، من السياسات الأكثر بروزاً<sup>(4)</sup>، حتى عرف لدى الجميع كداعية للصهيونية العدوانية، وكزعيم يزايد على التطرف داخل الحركة الصهيونية<sup>(5)</sup>.

كانت أفكار جابوتنسكي اتجاهاً متفرداً في معنى التطرف، من خلال وضعه لسياسة الاستيطان وتحديد مفهوم قوة الصهيونية.

ففي سبيل تحقيق سياسته العملية، شدد جابوتنسكي على اللجوء الى استخدام العنف من أجل تغيير مجرى الأحداث<sup>(6)</sup>، وبالنسبة إليه من الضروري أن تتعرض الدولة اليهودية - كعدالة إنصاف

(1) \_ عبد الستار الراوي، الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر، ص 13.

(2) \_ من الرواد الأوائل للصهيونية السياسية، والفكر التوسعي الصهيوني، ولد في أوديسة في نهاية القرن التاسع عشر (1880-1940) وهو من أعنف المتعصبين الصهيونيين، بدأت حياته كأديب ومراسل صحفي في صحيفة ليبرالية تصدر في أوديسة، لم يكن على صلة وثيقة باليهودية، بدأ نشاطه الصهيوني حوالي عام 1903، ومنذ 1908 أصبح من داعاة الصهيونية، كما أعرب عن رغبته في المشاركة بكل إخلاص في جميع النواحي التابعة للجهود الصهيونية، واصل دراسته في روما فتأثر وبشدة بأفكار الإيطالي بنديتو كروتشه الفاشيستي، وغاريالدي في القومية الإيطالية إلى حد التعصب، حتى عرف بـ غاريالدي الصهيونية، وقد أعلن في خطاباته أنه مستعد للتحالف مع الشيطان في سبيل إقامة دولة يهودية ضمن الحدود التوراتية لمملكة إسرائيل ويهوذا. (أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص 427.)

(3) \_ أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى، ص 466.

(4) \_ بربرة حداد، فلاديمير جابوتنسكي، بيروت، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، مجلة شؤون فلسطينية، نوفمبر 1971، العدد 5، ص 80-81.

(5) \_ أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص 430.

(6) \_ المصدر نفسه، ص 428.

## الفصل الثالث: ..... تلميحات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

للشعب المنفي والمهجر-للحقوق الوطنية التي يتنعم بها الأقوياء (الفلسطينيين)، فهو يعتقد - جابوتنسكي - أن مصير دولة إسرائيل مرهون بقدراتها القتالية في ساحة الحرب، وهو ما يتوجب الحفاظ على فاعليته تفادياً لبوادر الضعف والزوال<sup>(1)</sup>.

ووفي وقت مبكر من سنة 1907م أطلق جابوتنسكي الأرضية الفلسفية لسياسته الإرهابية في خطاب ألقاه أمام البرلمان السابع للمنظمة الصهيونية العالمية مفصلاً فيه على أن "المعيار الأخلاقي للطرق التي يستخدمها المقاتل ينبغي الحكم عليها كلياً بمقدار النفع أو الضرر الحقيقي الذي ينجم عن ممارسة هذا المقاتل، وناشد جابوتنسكي حملة الأخلاقية السامية، بأن يدمروا بقبضة من حديد كل من يعترض الطريق ويقاوم الصهيونية، بقوله: ينبغي إما إنهاء الاستعمار الصهيوني، أو ينفذ حتى ولو كان ضد رغبات السكان الأصليين"<sup>(2)</sup>.

من وجهة نظر جابوتنسكي يعتبر الإرهاب والعنف من المقومات النفسية، فقد كان من الذين يمدون القوة كوسيلة لانتزاع اليهودي من ماضيه، والقوة بالنسبة إليه هي الطريقة الأكثر إقناعاً لتحقيق إثبات المفخرة القومية اليهودية، ولهذا أنشأ الفوج اليهودي في أثناء الحرب العالمية الأولى ليس لغرض الدفاع الذاتي، وإنما لنشاطات إرهابية في فلسطين كالتّي مارسها ليحي وإرغون<sup>(3)</sup>، كما آمن جابوتنسكي على نحو تام بأن التغيير لا يكون إلا بقوة السيف، فأعلن في مطلع العشرينيات أثناء زيارته الأولى لفلسطين أن الطريقة الوحيدة للوصول إلى أرض الميعاد، "وتحرير البلاد هي طريقة السيف"<sup>(4)</sup>.

كان ذلك في عام 1917م، خلال عملية التحضير البريطاني للدخول إلى فلسطين من سيناء، حيث دعا الشباب اليهود إلى شحذ أنفسهم بالروح القتالية، والتأسي بيوشع بن نون ومقاتليه الذين حرروا أرض الميعاد، وبنوا فيها دولة اليهود الأولى، كما دعا إلى احتلال فلسطين بقوة السلاح، معتبراً بأنه من

(1) \_ نصري صايغ، لو كنت يهودياً، ط1، (بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، 2005)، ص259-261.

(2) \_ توفيق المديني، القضية الفلسطينية أمام خطر التصفية دراسة تاريخية سياسية، ط1، (دمشق، دار الفكر، 1429هـ-2008م)، ص83.

(3) \_ ياكوب م. رايبكن، المناهضة اليهودية للصهيونية، ص155.

(4) \_ ديفيد هيرست، البندقية وغصن الزيتون، ترجمة: عبد الرحمان أياس، ط1، (بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، 2003)، ص275.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وجهة النظر التاريخية والأخلاقية، أن فلسطين هي دولة بدون سكان<sup>(1)</sup>.

علاوة على ذلك فإن اللجوء إلى استخدام العنف كما يرى جابوتنسكي يعد ضروريا في سبيل حفظ أمن إسرائيل، والمضي قدما في تحقيق المخطط الاستيطاني، لذلك "يجب أن نتخذ إجراءات لضمان الأمن. إن أمة كأممكم عريقة في تجربتها الاستعمارية العملاقة، تعرف بكل تأكيد بأن الاستعمار لن ينجح دون نزاعات مع السكان مما، يتطلب حماية البلاد<sup>(2)</sup>". وقد كان توصيفه للجيش الصهيوني الذي سيقوم فيها: أن يتحتم عليه أن يكون يهوديا بقلبه وقالبه، على الرغم من ارتداء أفراده البزة العسكرية البريطانية<sup>(3)</sup>، وكان يهدف بحديثه عن ضرورة إنشاء قوة يهودية تحديدا هو "إيجاد جيش يقوم بالمذابح"<sup>(4)</sup>.

وأهم ما ركز عليه أيضا هو تطبيق سياسة الطرد والترحيل القسري للفلسطينيين، فكان جابوتنسكي يرى أن النمو الطبيعي العربي سيضعف جهود الصهاينة الرامية لخلق دولة يهودية، لذا أدخل المشكلة الديمغرافية العربية في الفكر والنشاط الصهيوني تحقيقا لعملية الخلاص: "إن مطلبنا بأن نشكل أغلبية يهودية ليس الحد الأدنى، والمرحلة الحتمية التي ينبغي أن نصل إليها إذا ما سُمح لنا أن نستمر في عملية تخليص شعبنا"<sup>(5)</sup>، وبرؤية عنصرية كان يضمن كثيرا من الحقد والاحتقار للعرب، باعتبارهم يمثلون عرقا متخلفا عن العرق اليهودي، فهم بحسب رأيه يشكلون حاجزا أمام المشروع الصهيوني، إذ لم يساهموا في تقدم الحضارة الإنسانية، وهم غير قادرين على إقامة دولة مستقلة، فلا يحق لهم البقاء في الأرض المقدسة، لذا فإن استخدام العنف العسكري وترحيلهم بالقوة بحسب رأيه يعد شرطا أساسيا لتطبيق الصهيونية وتحقيق آمالها، ففي سنة 1925م اقترح في رسالة بعث بها إلى السناتور الأمير آي غراسنيرغ: "إن تأسيس أكثرية يهودية في فلسطين يجب أن يتم عنوة عن إرادة الأكثرية العربية الموجودة في البلاد، وسيرعى عملية إنجاز هذه الأكثرية جدار حديدي من القوة اليهودية المسلحة"<sup>(6)</sup>.

(1) \_ رفيق الحسيني، على خطى يهوشع، ص 247.

(2) \_ أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص 436.

(3) \_ أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى، ص 433.

(4) \_ أسعد رزوق، المرجع نفسه، ص 476.

(5) \_ أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص 433.

(6) \_ ميخائيل بالمبو، كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948م، ط 1، (بيروت، دار الحمراء للطباعة والنشر، 1990، ص 27-

28)، وعبد الوهاب المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني، جذوره ومساره وأزمته، ط 1، (القاهرة، دار الشروق، 2009)، ص 388.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وبالرغم من رفضه المطلق للدين اليهودي لم يمانع جابوتنسكي من استخدام الدين وتوظيفه في تحقيق المصالح الصهيونية، فركز على أسطورة فرادة الشعب اليهودي، وتميزه عرقيا— ما يسوغ له الحق في امتلاك الأرض، ووفقا لرؤياه فإن وصول اليهود إلى فلسطين باعتبارهم الجنس المتفوق، سيسقط حقوق العرب، كما سيفرض استخدام العنف العسكري تحقيقا لتلك الأكثرية، وبالتالي إقامة الدولة الصهيونية بالقوة<sup>(1)</sup>.

ولشحذ الشباب بالروح العسكرية وايقاظا للاعتزاز بالروح القتالية والسلاح كان جابوتنسكي يدعوهم إلى القراءة العملية للتاريخ اليهودي، وذلك بتذكر المعارك البطولية لقدماء اليهود، وإحياء أسماء الحصون اليهودية العتيقة؛ مثل: "بيشار" و"مساد"، فكان يرى أن أولئك الذين يموتون وهم يحاربون العرب في فلسطين ينبغي أن يخلدوا في ذاكرة الشباب<sup>(2)</sup>.

أما في توقعاته في إطار الحديث عن المكون الجديد للمجتمع وتنمية الهجرة إلى أرض الميعاد، أكد جابوتنسكي—تأسيسا لفلسفته العدائية—على أن يكون نوع المهاجرين اليهود إلى فلسطين مستقبلا مالكين القدرة على القتال، تأسيا بأجدادهم، ففي سنة 1927م توجه بخطاب للطلاب اليهود في فيينا يدعو فيه الشباب اليهودي أن ينموا في أنفسهم عقلية الغزاة، بالاستيلاء على أرض فلسطين بحد السيف، وداعيا ضرورة استخدام العنف من منطلق تقديسه للسيف، فأكد على المبارزة بالسيف قائلا: "بإمكانكم أن تلغوا كل شيء، القلانس والأشرطة والشارات الملونة، كل شيء ماعدا السيف، يجب أن تحتفظوا بالسيف، فالقتال بالسيف ليس بدعة ألمانية، بل يرجع تاريخه إلى أجدادنا القدامى، وعنهم أخذنا التوراة والسيف<sup>(3)</sup>"، كما أثرت فيه النزعات الغربية العنصرية، ما جعل عقيدته تقوم على ضرورة استعمال أقسى درجات العنف ضد العرب، لأجل تحقيق الوطن القومي، فكان متطرفا إلى حد مطالبته اليهود أن يتعلموا ذبح الأغيار، محاولا في ذلك دمج اليهود في العالم الغربي، واكتساب أخلاقياته، ورؤيته، وهويته من هذا العالم<sup>(4)</sup>.

(1) \_ عبد الوهاب المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني، ص 386-388.

(2) \_ إبراهيم العابد، العنف والسلام، ص 11.

(3) \_ أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى، ص 491.

(4) \_ عبد الوهاب المسيري، المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني، ص 384، وعبد الكريم الحسيني، الصهيونية والغرب والمقدس والسياسة، ط1، (القاهرة، شمس للنشر والتوزيع 2010)، ص 391-392.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

هذا وقد انعكست أفكار جابوتنسكي العدوانية - كما ذكر ميناخيم بيغن - فيما كتبه في نشيد حركة بيتار<sup>(1)</sup> ذات التوجه العسكري، والتي انظم إليها فيما بعد عراب العنف الصهيوني مائير كاهانا، في روايته شمشون: بالدم والعرق... سينهض جيل جديد... فخور، كريم، قوي...، مبينا في ذلك أن جابوتنسكي أكد على أن الهدف هو تنشئة جيل يقدر الهادار، الذي يعني جمال الجسد والحرية وحس الإدراك...، كما يتعلم هذا الجيل أهمية فضائل الرجولة العدوانية<sup>(2)</sup>.

وحتى بعد استقالته من الوزارة وانصرافه إلى العمل الصحفي، ظل جابوتنسكي مخلصاً لصهيونيته الكبرى، واستمرت علاقاته بالشباب المتطرف في المنظمات الصهيونية، وتأميناً لعودته إلى مسرح النشاط الصهيوني، أشار في إحدى مقالاته "الهجوم السياسي" إلى ضرورة عسكرة الشباب اليهودي في فلسطين والشتات، كإحدى المهمات المباشرة للعمل الصهيوني<sup>(3)</sup>.

وهكذا لم يخالف جابوتنسكي غيره من رواد الفكر التوسعي، في التأكيد على استخدام القوة بالاستناد إلى قوة التعاليم اليهودية كسبيل لسن القوانين الصالحة، لأنه كما يعتقد: "لا وجود لهذه القوانين الصالحة إلا حينما توجد أسلحة قوية، وحينما توجد أسلحة قوية توجد قوانين صالحة"<sup>(4)</sup>، وقد عُدت سياسته مرجعية أخلاقية، وعملية يتم استخدامها من قبل شخصيات سياسية وثقافية إسرائيلية مختلفة، اعتبرت نفسها الوريث المخلص لأفكاره الأيديولوجية ولتوجهاته السياسية، وكان لأفكاره تأثيراً بليغاً على كثيرين من أتباعه، كما اعتبر جابوتنسكي بالنسبة لهم ولفئات مختلفة من نخب المجتمع الإسرائيلي، أمثال ميناخيم بيغن، إسحق شامير، أريئيل شارون، إيهود أولمرت، بنيامين نتنياهو، تسييفي

(1) \_ اختصار لاسم بيرت يوسف ترومبلدور "عهد يوسف ترومبلدور" منظمة الشبيبة" التابعة للصهيونية التصحيحية، أسسها جابوتنسكي، أقيم أول فرع لها في لاتفيا الروسية عام 1923، ثم تغلغت إلى باقي الدول، وأراد جابوتنسكي أن يخلد زميله ترومبلدور كشخصية مثالية ضحت في سبيل الصهيونية، ظهرت بيتار كحركة معارضة للهستدروت العمالية في فلسطين، توحدت مع إيتسل عام 1939، أعلن عنها فيما بعد كحركة تنفيذ عسكري داخل فلسطين، تحولت بعد قيام إسرائيل إلى حركة الحيروث، انظم أعضاؤها إلى الجيش الإسرائيلي. إفرايم ومناخيم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ص 69، وجوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص 120.

(2) \_ فيكتور مالكا، ميناخيم بيغن، الثورة والبندقية، سلسلة كتب مترجمة، دون معلومات، ص 71.

(3) \_ أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى، ص 484.

(4) \_ وجدي نجيب المصري، البعد التوراتي للإرهاب الإسرائيلي، ط 1، (بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر 2013)، ص 443.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

ليفني، وكثيرون غيرهم في الساحة السياسية والعسكرية، مرشدا وأبا روحيا وسياسيا<sup>(1)</sup>.

### ثالثا: دافيد بن غوريون David Be-Gurion

لا يختلف مفكرو الصهيونية في مساعيهم للم شتات اليهود في العالم، فهم يستندون إلى التراث الديني اليهودي، ويظهر التلاحم الوثيق بين الدين والصهيونية، في تصريح بن غوريون حينما عبر عن إيمانه الصهيوني بقوله: "إن ما ضمن بقاء الشعب اليهودي عبر الأجيال وأدى إلى خلق الدولة، هو رؤيا المسيح المنتظر لدى أنبياء بني إسرائيل، ورؤيا خلاص الشعب اليهودي ومعه الإنسانية جمعاء، ودولة إسرائيل هي أداة لتحقيق هذه الرؤيا عن المسيح"<sup>(2)</sup>، ومن هنا عمل بن غوريون-رغم علمانيته<sup>(3)</sup> على ترسيخ العلاقة التلازمية بين الفكر الصهيوني والدين، ولم يجد مانعا من التصريح بأن إنجازات الصهيونية كانت تجسيدا لروح التوراة المتضمنة طبعا للقتل والإبادة، وأن أعمالهم كانت الراعي الوحيد لضمان استمرار إسرائيل وخلودها، حيث جاء في أحد خطاباته: "إن خلود إسرائيل يتميز باثنتين: دولة إسرائيل، والتوراة"<sup>(4)</sup>.

ومن ذلك فإن السياسة الشيوعية تحديدا -إن استطعنا قول هذا- والأعمال الأسطورية التي قام بها يشوع، جعلت من بن غوريون بطلا في نظر قادة الصهيونية وقدوة يحتذى به، كما انطبعت أعماله في مخيلتهم، وهم يتفاخرون بها ويتأسون بها، يعزز ذلك ما صرح به بن غوريون حين قال: "إني اعتبر يشوع هو بطل التوراة، إنه لم يكن مجرد قائد عسكري بل كان المرشد لأنه توصل الى توحيد قبائل إسرائيل"<sup>(5)</sup>.

وهكذا يأتي بن غوريون ليكمل اتجاه الصهيونية نحو العنف والقوة، وسيلة لتحقيق أهدافها ويلخص أبا إيبان (وزير الخارجية الإسرائيلية) تفكيره بما يلي: "حدد هدفك أولا، وأعلن عن حاجتك وقل ما تريد... ولا يمكن في أي حال من الأحوال ترك الهدف من أجل الصعوبات التي تعترض

(1) محمد أبو سمرة، زئيف جابوتنسكي والقضية الفلسطينية، (قراءة في مكونات الفكر الصهيوني اليميني)، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مجلة قضايا إسرائيلية، 2010، العدد 37-38، ص8.

(2) أسعد رزوق، الدولة والدين في إسرائيل، دراسات فلسطينية(37)، بيروت، مركز الأبحاث، م.ت.ف، سبتمبر 1968، ص116.

(3) وصفه إسرائيل شاحك؛ بأنه كان ملحدا ومفاخرا بتجاهله لوصايا الدين اليهودي، إسرائيل شاحك، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ص28.

(4) توم سيغف، الإسرائيليون الأوائل 1949، سلسلة دراسات (73)، ط1، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1986)، ص266.

(5) فيكتور مالكا، ميناخيم بيغن التوراة والبنديقية، ص93-94.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

تحقيقه<sup>(1)</sup>. "ولم يمتنع بن غوريون يوماً عن التعبير عن نواياه في اللجوء إلى العنف والعمل ضد العرب، بأي وسيلة في سبيل تحقيق الاستيطان، يقول في أول لقاء له بالفلسطينيين عام 1906:  
"لقد قابلت العرب عام وصولي إلى البلاد في عام 1906، عندما كنت أعمل في بتاح تكفا وریشون لتسيون، وقد كان معظم العمال عرباً، هناك خضنا حرباً من أجل عمالة يهودية، معتبرين بأن العمالة العربية في القرى اليهودية تشكل خطراً كبيراً، لأننا كنا نعي بأن الأرض لن تكون لنا إلا إذا طورناها بأيدينا"<sup>(2)</sup>.

آمن بن غوريون منذ اللحظة الأولى بضرورة تنمية الاستيطان من أجل تحقيق الحلم الصهيوني، ولعب دوراً رئيسياً في بلورة الفكر الصهيوني التوسعي، وكان من مؤيدي مقاطعة العرب وطردهم من أراضيهم مقابل تعزيز الهجرة اليهودية<sup>(3)</sup>، كان يشدد على استخدام القوة كعامل أساس في تقرير المصير اليهودي وتحديد الصراع في فلسطين، بخلق أمة تحكم نفسها وتحقق إرادتها بالقوة والعنف، ما جعل العنف عنده يكتسب بعداً خاصاً أصبح يشكل الهدف الأسمى في سياسته، فضلاً عن كونه -من وجهة نظره- الوسيلة المضمونة لإحياء صهيون، وقد قاده ذلك وبالتعاون مع تسييفي إلى تأسيس منظمة هاشومير<sup>(4)</sup>، على نمط جماعات الدفاع الذاتي في روسيا متخذ لها شعاراً: "بالدم والنار سقطت يهودا، وبالدم والنار ستقوم ثانية"<sup>(5)</sup>. وأن هذا المصير متعلق باستخدام كل الوسائل التي تعتبر في حد ذاتها تفسيراً للتوراة، و"على اليهودي من الآن فصاعداً، ألا ينتظر التدخل الإلهي، لتحديد مصيره، بل عليه أن يلجأ إلى الوسائل الطبيعية العادية مثل الفانتوم والنابالم"<sup>(6)</sup>.

(1) - إبراهيم العابد، العنف والسلام، ص 17.

(2) - رفيق الحسيني، على خطي يهوشع، ص 214.

(3) - أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص 473.

(4) - هشومير، بمعنى الحارس، منظمة تأسست العام 1909 على يد مجموعة من المهاجرين الذين أخذوا على عاتقهم حراسة المستوطنات، وإدخال أسس الدفاع عن النفس، يتنمى مؤسسوها إلى تنظيم بارغيورا العسكري الذي تأسس عام 1908، لأهداف الحراسة والعمل المسلح. عملت منظمة هشومير بصورة سرية في مجال الحراسة وحماية المستوطنات اليهودية في الجليل، ثم في أنحاء فلسطين الأخرى. وتطور عملها مع مرور الزمن إلى مجال العمل الفعلي في الأرض والحرف، وتطوير الحركة الاستيطانية. (جوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص 500.)

(5) - تهاي هلسه، دافيد بن غوريون، د. ط، بيروت، مركز الأبحاث، م ت ف، نوفمبر 1968، ص 24.

(6) - رشاد الشامي، القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، عالم المعرفة (186) الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، جوان 1994، ص 54.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

كان استلهم روح العنف في فكر بن غوريون واضحا، فقد آمن -إلى جانب الفكر التوسعي- بالمذابح، فهو الذي شدد على أن "كل هجوم يجب أن ينتهي باحتلال، ودمار، وطرده"<sup>(1)</sup>، وأكد على الثقافة العدوانية الإرهابية، وأن الوضع في فلسطين لا يمكن تسويته إلا بالقوة العسكرية، وهذه البراغماتية جعلت السفير الإسرائيلي السابق في الولايات المتحدة الأمريكية، ونائب وزير الخارجية الإسرائيلي السابق داني أيلون يصفه بـ " أعظم صهيوني عملي على الإطلاق"<sup>(2)</sup>.

كما أخبر شيتاي طيفت Teveth كبير الخبراء الإسرائيليين عن سيرة بن غوريون، وأن هذا الأخير وصل إلى قناعة ثابتة في أوائل عام 1936م، أي قبل اندلاع الثورة الفلسطينية، إلى اعتبار العنف هو الوسيلة المضمونة، وبأنه لا أمل بـ "التعاون والسلام" مع الفلسطينيين ما داموا لا يقبلون قيام الأكثرية اليهودية في فلسطين، ويرفضون هجرة يهودية غير مقيدة إليه، وبأنه لا بد من أن تكون العلاقة المستقبلية بهم علاقة عسكرية بحثة<sup>(3)</sup>.

تعتبر العلاقة العسكرية بين الشبية اليهودية من وجهة نظر بن غوريون، أفضل الطرق لتقعيد فكرة العنف وترسيخها كثقافة، إذ من شأنها أن تسهم في خلق جيل يهودي حديد تواق إلى الحرب، يؤمن بأهداف الصهيونية، كما أنها ستبعث على ولادة مجتمع يهودي حديد يكرس نفسه لتحقيق المشروع الصهيوني باستخدام القوة العسكرية، وتبدي التأكيد على هذه الغايات في قول بن غوريون: "وإذا كان العنف هو البوتقة التي يولد من خلالها اليهودي، فهو أيضا البوتقة التي يولد فيها المجتمع الصهيوني الجديد، فالجيش الإسرائيلي لا يقوم بالدفاع عن إسرائيل فحسب، بل المكان الذي تولد في الحضارة الإسرائيلية ذاتها...، وهو أكبر معهد تعليمي في أرض الميعاد"<sup>(4)</sup>.

(1) \_ إيلان باه، التطهير العرقي في فلسطين، ط1، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، يوليو 2007)، ص74

(2) \_ داني أيلون، بن غوريون السياسي: عدم المساومة على الأمن، في مقالات بأقلام كتاب إسرائيليين في مناسبة مرور 40 سنة على وفاة أول رئيس للحكومة الإسرائيلية، ترجمة: بلال ظاهر، تقديم: أنطوان شلحت، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، أوراق إسرائيلية، العدد62، ديسمبر 2013، ص35.

(3) \_ تماني هلسه، دافيد بن غوريون، مرجع سابق، ص76، ووليد الخالدي، بناء الدولة اليهودية (1897-1948م) الأداة العسكرية. بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية المجلد 10، العدد 39، صيف 1999م، ص10.

(4) \_ David ben Gurion, Ben Gurion looks back in Talks with Moshe Pearlman (New York: Simon and Schuster 1965), p144

نقلا عن غازي صالح نهار بني ملحم، أثر مفهوم العنف واستخدام القوة في الفكر الصهيوني على الصراع العربي- الإسرائيلي، مجلة شؤون اجتماعية، السنة24، كلية العلوم والآداب، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، العدد96، شتاء 2007، ص9



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وبالرغم من أن بن غوريون كان يتفادى الإفصاح عن مشروعه العدواني، وعن نواياه الحقيقية تجاه العرب في اجتماعاته العامة، حيث كان يقف خلف أقنعة السلام والاشتراكية في سبيل إنعاش الأرض<sup>(1)</sup>، إلا أنه كان يصرح باستمرار بوجوب اقتلاعهم من فلسطين في مختلف اجتماعاته الخاصة<sup>(2)</sup>، وكان يدعو إلى ضرورة تركيز كافة الجهود من أجل الدفاع عن الدولة الفتية التي ستقوم، في وجه غزو عسكري وقوات عربية غير نظامية، وهو ما جعله يدرس ويبحث في القدرات الدفاعية للييشفوف اليهودي، وجهوزيته، والوسائل التي بحوزته وطرق التزود الهامة (بالسلاح) في المستقبل<sup>(3)</sup>.

لقد كان لدى بن غوريون الاستعداد الكامل لتعنيف العرب في سبيل تحقيق الوطن القومي "إسرائيل الكبرى"، وهو ما عبر عنه في حديثه عن تجميع اليهود في فلسطين، في رسالته إلى ابنه عاموس بقوله: "سوف نحشد في الدولة أكبر عدد ممكن من اليهود، فوفق اعتقادنا الراسخ يمكننا حشد أكثر من مليونين، سوف نبني اقتصادا يهوديا متفردا، في الزراعة، والصناعة، والنقل البحري. سوف ننظم قوة دفاعية متفوقة، جيش متميز، ولا أشك في أن جيشنا سوف يكون واحدا من أكثر الجيوش تميزا في العالم، وعندها أنا متأكد بأنه ما من شيء سيمنعنا من الاستيطان في كل الأجزاء المتبقية من الأرض، إما عن طريق الاتفاق والتفاهم المتبادل مع حيراننا العرب، وإما بطرق أخرى"<sup>(4)</sup>.

فكان ذلك هو العهد الذي قطعته الصهيونية وسط عملية شحن فكري وسياسي ليهود الشتات، باستقدامهم إلى فلسطين، مؤسسا تصوره الاستيطاني، كما يؤكد ذلك إسرائيل شاحك على أساسين رئيسيين الاستقلال، ونقل السكان، كضرورة لا بد منها بعيدا عن كل الاعتبارات الأخلاقية<sup>(5)</sup>، لذلك تم ترتيب تحقق هذا العهد بشكل مؤكد وفق عمليتين ضروريتين، هما الإحلال والإخلاء، يقول بن غوريون: "إن الهجرة والاستيطان يؤلفان لוחي العهد بالنسبة للحركة الصهيونية، وهما محفوران بأحرف

(1) \_ إبراهيم العابد، العنف والسلام، ص18،

(2) \_ ميخائيل بالمبو، كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948م، ص36.

(3) \_ داني أيلون، بن غوريون السياسي: عدم المساومة على الأمن، ص37.

(4) \_ دافيد بن غوريون، رسالة إلى عاموس (ابنه)، ترجمة عن العبرية: مها الخطيب، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، مجلة قضايا إسرائيلية العدد47، ص123.

(5) \_ إسرائيل شاحك، من الأرشيف الصهيوني، ص17.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

من دم ونار على راية حركتنا" (1).

وبناء على هذه الخلفية فلا عجب أن عمليات الطرد الجماعي بمقاييس تطهير عرقي التي طالت كثير من القرى الفلسطينية في أواسط جويلية 1948م، بعد سلسلة المذابح المنهجية، في إطار التذكير الدائم بأولوية وجود الشعب المختار، وإحياء الذاكرة القومية اليهودية، قد كانت بأوامر مباشرة من بن غوريون، وقد شهد على إصدارها إسحاق رايبن وكان مسؤولاً عن تنفيذها تحت إمرة يغئال ألون صاحب المشاريع الاستيطانية، كما أكد ذلك كل من الباحث الإسرائيلي شاي حركاني، والصحافي الإسرائيلي الليبرالي جدعون ليفي (2).

واستحضارا لحرفية النص الديني الذي عُدد بالنسبة إليه وسيلة دعم للسياسة الصهيونية، كان بن غوريون يبدى حرصه الشديد على توظيف التاريخ اليهودي القديم في خطابه السياسية، إلى حد تشبيه هجرة اليهود إلى فلسطين في بدايات القرن العشرين" بـ "طالوت" الإسرائيلي الذي دحر "جالوت" الكنعاني ليقم مملكة يهوذا (3)، وكان ينظر إلى حروب إسرائيل التوسعية على أنها إحياء وبعث لأجداد الماضي، وأن هناك علاقة وثيقة بين التاريخ العسكري اليهودي القديم منذ أيام موسى ويشوع حتى الآن، فأعداء إسرائيل اليوم - كما يصنفهم بن غوريون - أشبه تماما ببابل الماضي (4).

وإيماناً منه بضرورة استخدام القوة، عمل على حشد الإمكانيات اليهودية العالمية من أجل قهر العرب في فلسطين، واتباع استراتيجية جعلته أسطورة في نظر الشبيبة الصهيونية، فكان يكرر باستمرار للمتحمسين منهم بأن "جنود موسى، ويوشع، وداود لم يكفوا عن القتال، وكذلك جنود صهيون لن يتوقفوا عن القتال" (5).

استمراراً للعمل العسكري المستمد من الماضي السحيق، وتثبيتاً للمفهوم الإلهي لامتلاك الأرض، تم ربط كل ذلك بالواقع، تأكيداً على أن ما يقوم به الجيش الإسرائيلي هو من قبيل المهام الإلهية في سبيل

(1) \_ عدنان السيد حسين، التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية، ط1، (بيروت، دار النفائس، 1410هـ-1989)، ص22.

(2) \_ أنطوان شلحت، "أعمال" بن غوريون في الماضي.. جرائم أولاً ودائماً، في مقالات بأقلام كتاب إسرائيليين، مرجع سابق، ص6-8.

(3) \_ صالح محمد النعامي، في قبضة الحاخامات، ص71.

(4) \_ رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص173.

(5) \_ عبد الكريم الحسيني، الصهيونية والغرب والمقدس، ص397.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

تحرير الأرض، وهو ما دل عليه خطابه أمام الكنيست في 15 أبريل 1956م: "في أيامنا هذه لا يستمع أحد إلى مهمة إلهية على هذا النحو من الدقة والوضوح، ورغمنا عن هذا الوعد وكل ما صحبه من مساعدات لم يتمكن يوشع بن نون من امتلاك الأرض المتبقية، إن البلدان التي لم يحررها يوشع قد حررها جيش الدفاع الإسرائيلي في أيامنا هذه"<sup>(1)</sup>.

في 6 يوم نوفمبر 1956م قرأ **موشي ديان**<sup>(2)</sup> -وكان وقتها رئيس الأركان- أمام القوات الإسرائيلية في جنوب سيناء رسالة بن غوريون رئيس الوزراء آنذاك، وقد تضمنت فقرات من سفر الخروج احتفاء بنصرهم وتذكيرا لهم بإنجازات موسى ويوشع بن نون حيث جاء فيها: "لقد فتحتم حقا تاريخا فريدا، لقد أنهيتم أضخم حملة عسكرية وأكثرها مجدا في تاريخ شعبنا، واحدة من أروع الحملات في تاريخ الشعوب، في أقل من 7 أيام تم تطهير شبه جزيرة سيناء بكاملها بما في ذلك قطاع غزة من القوات العدو: من مضائق ايلات إلى رفح والعريش والقنطرة...، وعليه سيكون باستطاعتنا أن ننشد من جديد الأغنية القديمة أغنية موسى وبنو إسرائيل: "من مثلك بين الألهة يا رب. من مثلك معترا في القداسة. مخوفا بالتسايبح. صانعا عجائب. تمد يمينك فتبتلعهم الأرض. ترشد برأفتك الشعب الذي فديته تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك. يسمع الشعوب فيرتعدون. تأخذ الرعدة سكان فلسطين. حينئذ يندهب أمراء أدوم. أقوياء مواب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنعان. تقع عليهم الهيبة والرعب. بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر. حتى يعبر شعبك يا رب. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيتته"<sup>(3)</sup>. عبر حركة عظيمة لأذرع قوات الدفاع، مددتم يديكم إلى ملك سليمان الذي طور إيلات جاعلا منها أول مرفأ

(1) \_ عماد جاد وآخرون، من داخل إسرائيل الآن ومنذ نصف قرن، تقديم: جورج جيش، ط1، (القاهرة، ميريت للنشر والمعلومات، 2002)، ص291.

(2) \_ زعيم سياسي صهيوني من أبناء الجيل الأول للمهاجرين اليهود ولد العام 1915 في كيبوتس دغانيا بطبرية، انضم ديان في عمر الثانية عشرة إلى منظمة الهاغاناه ثم انضم إلى وحدة البالاخ، تم تجنيده 1947 في مهمة تدريب أبناء الكيبوتسات. وتولى الدفاع عن دغانيا في حرب 1948، في عام 1950 عين قائدا للواء الجنوب في الجيش الاسرائيلي ثم قائدا للواء الشمال. عين عام 1953 رئيسا للأركان العامة حتى العام 1958، وتولى خلالها العملية العسكرية لاحتلال سيناء العام 1956، تولى وزارة الدفاع في حكومة ليفي أشكول عشية حرب 1967، حيث أدار العمليات العسكرية بنجاح على كافة جبهات القتال. بعد 1967 نادى بفتح الجسور مع الأردن ومنح مزيد من الإدارة الذاتية للفلسطينيين في الأراضي الواقعة تحت السيطرة الاسرائيلية، واعتبر ديان بطلا قوميا في الأوساط العامة والرسومية، كانت لديان مساهمة في تحضير اتفاقيات كامب ديفيد عام 1978، توفي عام 1981. (جوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص236.)

(3) \_ خر15/11-16.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

إسرائيلي لثلاثة آلاف سنة حلت<sup>(1)</sup>، وبموجبه كان وجوب استخدام القوة واقتلاع العرب من فلسطين واجبا ونوعا من الالتزام بحرفية النص الوارد في سفر الخروج 23/ 29-30<sup>(2)</sup>.

### رابعا: ميناحيم بيغن<sup>(3)</sup> Menahem Beigin

لم تشذ دعوة ميناحيم بيغن إلى استخدام العنف عن قاعدة من سبقوه، خاصة ملهمه الأول، جابوتنسكي الذي كان يحظى لديه بما يرقى إلى درجة التقديس<sup>(4)</sup>، ففي عام 1948م تولى قيادة المنظمة العسكرية الإرهابية الأرغون<sup>(5)</sup> المتبنية للفكر السياسي لجابوتنسكي، الأب الروحي التي تهلت من تعاليمه مبادئها وأسلوب عملها، واقترن اسمها بمختلف الأعمال الإجرامية في حق الشعب الفلسطيني<sup>(6)</sup>.

يعتبر ميناحيم بيغن العماد الذي اتكأت عليه منظمة الأرغون، والقائد الحي الذي سارت تحت رايته بعد الحرب العالمية الأولى حتى قيام إسرائيل عام 1948، واستمرت تبايعه كزعيم سياسي لحزب الحرية "الحيروث"<sup>(7)</sup> المنبثق عنها<sup>(1)</sup>، وقد عبر ميناحيم بيغن عن نواياه العدوانية، وإيمانه المتطرف

<sup>(1)</sup> \_ إسرائيل شاحاك، من الأرشيف الصهيوني، ص 75-76

<sup>(2)</sup> \_ ميخائيل بالمبو، كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم، ص 19.

<sup>(3)</sup> \_ 1913-1992، أحد زعماء الصهيونية التصحيحية، ولد في بولندا، درس الحقوق في جامعة وارسو، انضم في صباه إلى حركة "هشومير هتسعير"، ثم انضم إلى حركة "بيتار" في الخامسة عشرة من عمره، وعين مندوباً عن الحركة في بولندا في مارس 1939 انضم إلى جيش الجنرال أندروس "الأنكليزي"، ووصل معه إلى فلسطين في ماي 1942، واستمر إلى نهاية 1943، تولى خلالها قيادة الأرغون، ثم قيادة المنظمة العسكرية السرية الايتسيل 1943-1948، وأعلن بنفسه عن التمرد ضد الحكم الانتدابي البريطاني في فلسطين. كان مسؤولاً عن تنظيم الأعمال الإرهابية في فلسطين، بإشتراك الهاغاناه والليحي، أدانت الدوائر الإعلامية دوره الاجرامي في مجزرة دير ياسين، كان رئيساً للحكومة الإسرائيلية في الفترة (1977-1983). (عبد الوهاب المسيري موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص 215 وحويني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية، ص 125.)

<sup>(4)</sup> \_ إيريك سيلفر، بيغن، سيرة حياته، دون معلومات نشر، ص 18.

<sup>(5)</sup> \_ تعني المنظمة العسكرية القومية في إسرائيل، وهي منظمة يهودية سرية مسلحة، تشكلت في فترة الانتداب البريطاني، عام 1931، بالتعاون مع بيتار والهاجانا، تزعمها روحيا جابوتنسكي، كانت قيادتها العسكرية لدافيد رازيل، أما سياسيا فقد قادها أبراهام شترن ثم تزعمها ميناحيم بيغن، في الأربعينيات، متخذاً لها شعار "يد تمسك بالبندقية" هكذا فقط". (عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية والصهيونية، ص 65).

<sup>(6)</sup> \_ جوني منصور وفادي نحاس، المؤسسة العسكرية في إسرائيل، تاريخ وقائع استراتيجيات، وتحولات، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، سبتمبر 2009، ص 53-54.

<sup>(7)</sup> \_ الاسم الكامل لحزب حيروث هو "حركة حيروث من تأسيس الإيتسيل". حزب سياسي أقامه أعضاء ايتسيل السابقون سنة 1948 مباشرة بعد الاعلان عن قيام إسرائيل، وتفكيك الإيتسيل كتنظيم ونزع أسلحتها. واعتبرت هذا الحزب امتدادا لحزب

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

بالعنف والإرهاب حينما اعتبر الأساليب التي لجأ إليها الصهاينة قبل 1948م، من أفضل الأساليب لتحقيق القومية اليهودية في فلسطين، وأن تلك الأساليب قد أشبعت رغبة جامحة مكبوتة عند اليهود من الانتقام<sup>(2)</sup>، كما تجلت روح العنف لدى **بيغن** في اتخاذه شعار "يدا تحمل بندقية فوق خريطة فلسطين، وشرق الأردن" مع شعار "راك كاخ" التي تعني "هكذا فقط"، للمنظمة العسكرية التصحيحية "كاخ"<sup>(3)</sup> التي تولى قيادتها أيضا في الأربعينات<sup>(4)</sup>.

تبدت أفكاره المتطرفة في حديثه عن استحالة الاتفاق مع العرب، مؤكدا على ضرورة إقامة جدار حديدي من الحراب اليهودية، وفسر ذلك بقوله: "إنه لا يمكن تحقيق الصهيونية ما لم يقيم بيننا وبين العرب حاجزا من القوة، وسيحاول العرب منع هذا حتى لو أدى الأمر إلى إراقة الدماء"<sup>(5)</sup>، وتؤكد روح العنف التي يُكنِّها **بيغن** للعرب بما أورده أ. **هابر** (في كتاب "ميناحيم بيغن الرجل والأسطورة الصادر عام 1979"، على لسان **بن غوريون** وصفه: "إن **بيغن** ينتمي دون شك إلى النمط الهتلري، فهو عنصري وعلى استعداد لإبادة كل العرب لتحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل، وهو مستعد لإنجاز هذا الهدف المقدس باستخدام كل الوسائل"<sup>(6)</sup>).

التصحيحيين الصهيونيين بقيادة جابوتنسكي، واعتبر أعضاؤه أنفسهم اتباع عقيدة جابوتنسكي. يؤمن أتباعه بـ: قدسية حدود إسرائيل، وكمال الوطن فياً. وبأن أرض إسرائيل هو مصطلح يصلح لضفتي نهر الأردن. ونادوا بسياسة صارمة تجاه الدول العربية عشية حرب 1967 رافضين بشكل قاطع أي حل إقليمي توفيقى. (جوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص221.)

(1) \_ بسام أبو غزالة، الجذور الإرهابية لحزب الخيروث، بيروت، مركز الأبحاث، م. ت. فن أكتوبر 1966، ص33.

(2) \_ إبراهيم العابد، العنف والسلام، ص19.

(3) \_ حزب سياسي عنصري متطرف، أسسه مئير كهانا في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، نادى بـ: - قدسية الشعب اليهودي وأفضليته، - وجوب سن قانون بترحيل العرب من كل أرض إسرائيل - ضرورة إعلان السيادة اليهودية على كل أراضي أرض إسرائيل وفتح المجال أمام استيطان يهودي غير محدود في كل أراضي أرض إسرائيل، - دعا إلى إقامة دولة يهودية بموجب الشريعة اليهودية، والسير وفق قواعدها في كل مناحي الحياة. واختار كهانا اسم حزبه استنادا إلى إشارات عصابة إيتسيل "راك كاخ" هكذا فقط، أي: باستعمال القوة والعنف لإخراج الفلسطينيين من أرضهم. ونجح الحزب في انتخابات الكنيست الثانية عشرة في اجتياز نسبة الحسم وإيصال مئير كهانا إلى عضوية الكنيست. (جوني منصور وفادي نحاس، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية، ص254.)

(4) \_ نور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، سياسة التوسع (1967-2000م)، ط1، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جانفي 2001)، ص186.

(5) \_ إيريك سيلفر، بيغن، سيرة حياته، ص20.

(6) \_ محمد عبد الفتاح مهدي، سيكولوجية الصهيونية، سلسلة الدراسات التربوية والنفسية (4)، تقديم: د. يسرى دعبس، د. ط، (الإسكندرية، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، 2001)، ص80.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

ثم إن بيغن الذي عُرف بعنصريته وعدائه الشديد للعرب، أفصح عما كان يجول في نفسه أيضا في تصريحه للمؤسسة العسكرية في 28 أكتوبر 1956 قبيل العدوان الثلاثي بالتركيز على استخدام العنف: "يجب عليكم أيها الإسرائيليون ألا تأخذكم الرأفة عندما تقتلون أعداءكم، عليكم ألا ترحمهم حتى تدمروا نهائيا ما يسمى "بالثقافة العربية" التي سوف نبني على أنقاضها حضارتنا نحن" (1)، فكانت مسألة اقتلاع شعب من أرضه بالقوة مما يعني القتل والإبادة، من المسلمات الصهيونية، دوغما إيمان بما هو شرعي أو غير ذلك، فلمهم بالنسبة إلى ميناخيم أن تكون هناك قناعة داخلية - وإن كانت مخالفة - ورغبة في مارسته، "إن أكثر الأمور ضرورة هو الشعور الداخلي الذي يجول ما هو شرعي إلى ما هو غير شرعي، وما هو غير شرعي إلى شرعي ومسوغ، لقد كنا مقتنعين بالشرعية المطلقة لأعمالنا اللاشرعية" (2).

إن ميناخيم بيغن الذي وصفه إيريك سيلفر بأنه، "كان منذ ولادته صهيونيا بمعنى الكلمة" (3)، استطاع التعبير عما دعا إليه بتغيير المبدأ الديكارتي في كتابه المتمرد "أنا أفكر إذن أنا موجود" إلى المبدأ الخاص بسياسته العدوانية، "أنا أقتل إذن أنا موجود"، وهو مبدأ ظل من بديهيات المشروع الصهيوني الممارس في أرض فلسطين (4).

لقد بقي ميناخيم بيغن مخلصا لمعلمه ومثله الأعلى جابوتنسكي، الذي يرقى عنده إلى مرتبة التقديس، حتى إنه يصفه بأنه كان أكثر من كونه معلما، بل كان رمزا لآمال الصهاينة (5)، وتأكيذا على أهمية العنف في التاريخ وإحياء لسياسته كان يردد باستمرار: إن قوة التقدم في تاريخ العالم ليست للألم بل للسيف (6). "وكان يرى أن السبيل الأمثل والفعال لتأمين الأهداف القومية اليهودية في فلسطين، هو تكوين الرجل المحارب، "توجد أشياء أئمن من الحياة وأكثر فظاعة من الموت...، إنه من النار والدموع والرماد قد خلق صنف جيدي من البشر، إنه اليهودي المحارب، ... نموذج غير معروف البتة للعالم في

(1) \_ غازي السعدي، من ملفات الإرهاب الصهيوني، في فلسطين، مجازر وممارسات 1936-1983-دراسة موثقة-، ط1، (عمان، دار الجليل للنشر، 1985)، ص16.

(2) \_ حمد الموعد، الصهيونية تعليم الحقد، قراءة في تشكيل العقل الصهيوني، ط1، (قبرص، دار الملتقى للنشر، 1993)، ص68.

(3) \_ إيريك سيلفر، بيغن، سيرة حياته، ص7.

(4) \_ عبد الستار الراوي، الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر، ص99.

(5) \_ إيريك سيلفر، بيغن، سيرة حياته، ص18.

(6) \_ رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص183.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الألف وثمانمائة سنة الماضية، اليهودي المحارب أولاً وقبل كل شيء، يجب أن نقوم بالهجوم مهاجم القتل، بالدم والعرق، سينشأ جيل متكبر، كريم، قوي"<sup>(1)</sup>.

لم يتردد بيغن في أي مرة - من خلال حوار مع جابونسكي - عن المطالبة بالاستيطان في الأرض بالقوة، على أنه حق مشروع لليهود وجب الدفاع عنه، حتى إنه طالب بتغيير عبارة؛ "سأشحن سلاحني من أجل الدفاع عن بلدي، ولن أحمله إلا في سبيل الدفاع"، بعبارة: "سأشحن سلاحني من أجل الدفاع عن بلدي، ومن أجل الاستيلاء على وطني"<sup>(2)</sup>، ولذلك كان يفاخر باستخدام العنف كعقيدة أساسية لتنفيذ البرنامج الصهيوني بخصوص التوسع الاستيطاني، فلم يجد مانعا من اعتبار الأحداث الدامية لمجزرة "دير ياسين" - التي أشرف عليها بموافقة قائد الهاغانا بن غوريون، والتي أسفرت عن ذبح جميع الأهالي وهم نيام وعزل من السلاح - "نصراً"، مؤكداً: "لولا النصر في دير ياسين، لما كانت هناك دولة إسرائيل"، وعقب ذلك صرحت منظمة الإرعون بقيادته، تصريحاً صحفياً في 13 أبريل 1948 جاء فيه: "ننوي أن مهاجم ونحتل ونحافظ إلى أن نحصل على أرض فلسطين وشرق الأردن لنجعلها إسرائيل الكبرى"<sup>(3)</sup>.

وبحسب شهادة أصدقائه، فإن بيغن تميز بنظرته المؤيدة للعالم الديني، فقد كان استخدامه للغة التلمود حول القيمة الجوهرية للدم اليهودي ومغايرته لدم غير اليهود، سبباً في نجاحه وجلب الأصوات الشعبية<sup>(4)</sup>، ولم تكن الصهيونية بالنسبة إليه حركة ثورية تتطلع للتمرد على العالم اليهودي القديم، بقدر ما كانت تمثل إحدى المراحل الطبيعية المتقدمة ضمن تسلسل التاريخ اليهودي المتصل بوثوق بالدين والقومية<sup>(5)</sup>.

كذلك نجد في خطاباته ما يعبر عن يهوديته، وعماً يدل على التزامه واستيعابه لمقاصد النص التوراتي، وكيف كان حريصاً على تطبيقه بأمانة، فالأرض من وجهة نظر بيغن ميراث الأجداد وتحريرها دين، وما يقتضي فعله هو حق ولا يمكن اعتباره عدواناً، هذا ما جاء التعبير عنه في محاضر جلسات

(1) \_ حمد الموعد، الصهيونية تعليم الحقد، ص 68، وتوفيق المديني، القضية الفلسطينية أمام خطر التصفية، ص 90.

(2) \_ إيريك سيلفر، بيغن، سيرة حياته، ص 29.

(3) \_ توماس سواريز، دولة الإرهاب، كيف قامت إسرائيل الحديثة على الإرهاب، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة (460)، ط 4، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2018، ص 173.

(4) \_ إسرائيل شاحك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 41.

(5) \_ أفي شيلون، موقف بيغن من الديانة اليهودية: وطن مقدس "مؤسس الليكود"، وموقفه من الدين وتأثيره على علاقته بـ "أرض

إسرائيل الكاملة"، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، قضايا إسرائيلية، عدد 69، ربيع 2018، ص 55



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الكنيست 1956 / 11/7: "ما زالت الأرض تنتظر ورثتها، سيدي الرئيس... كم كانت قلوبنا فرحة عندما سمعنا بأن جيوشنا قد حررت غزة، كلمة جيشنا هي: لقد عادت منطقة من الوطن على حضنه بعد أن انتزعت منه، نسبح ونشكر لأننا سمعنا مثل هذا الكلام... لم يعد أحد في إسرائيل يتكلم عن "العدوان" و"التوسع" عندما نطالب بحملة لتحرير أرض أجدادنا... إن ذلك الجزء من أرض الوطن الواقع تحت الاحتلال الأجنبي لا يكف عن أن يكون أرض الوطن، والاحتلال الأجنبي لا يبدل شيئاً من حقنا البدي في أرض أجدادنا وأبنائنا"<sup>(1)</sup>.

بل كانت أفعاله متوافقة مع ما اعتبره مستلهما من الوحي وموجّها بالإرادة الإلهية، معلنا " أن طائرا تورانيا أوحى له بتشكيل عصاة الأروغون الشهيرة بحقدتها المدمر، وأن داود حرضه على نسف الفندق الذي يحمل اسمه في القدس"<sup>(2)</sup>، وهكذا مثل السيف وبالتالي العنف روح قادة الصهيونية وجزءاً أساسياً من برنامجه السياسي وتوجهاته العملية.

### خامساً: أرييل شارون<sup>(3)</sup> Ariel Sharon

اعتبر نهج الطرد وقتل الأبرياء بالنسبة للقادة الصهاينة باستمرار، تطهيراً للأرض من الوجود العربي وتحقيقاً لشغفهم بالدماء وتنفيذاً لإرادة يهوه المتعطش لإراقة الدماء، خاصة دماء الأطفال، وشارون واحد من المهوسين بذلك. فقد كان ولاؤه للعنف المسلح بحيث نظر إلى القضية الفلسطينية من فوهة

<sup>(1)</sup> \_ إسرائيل شاحك، من الأرشيف الصهيوني، ص 59.

<sup>(2)</sup> \_ يونس محمد إبراهيم، الدوافع العدوانية في النفسية الصهيونية، سلسلة دراسات (1)، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2015، ص 53.

<sup>(3)</sup> \_ أريك صموئيل شاينرمان، سياسي وعسكري صهيوني، ولد العام 1928 في تل أبيب، يعتبر شارون مما يعرف بمواليد البلاد (الصابرا) الجيل الول، انحرف في صباه في صفوف الهاغاناه، وكان رئيس وحدة في كتيبة الكسندروني في حرب 1948، بعد تنفيذه مجزرة قبية العام 1953، تولى قيادة وحدة المظليين، للرد على هجمات الفدائيين الفلسطينيين، ثم تولى قيادة قوة الكومندوس السرية في جيش موشي ديان عام 1953، ثم وزير الزراعة والاستيطان، ثم وزير الدفاع عام 1982، قاد حملات اغتيالات واعتقالات ضد المناضلين الفلسطينيين، أقام علاقات مع حركة غوش إيمونيم المتطرفة، فاز شارون برئاسة الحكومة عام 2001، في عام 2003 نجح برأسه قائمة الليكود الانتخابية، أعلن انسحابه من حزب الليكود في نهاية 2005، وأسس حزب كديما استعداداً لخوض انتخابات الكنيست السادسة عشرة، إلا أنه أصيب بجلطة دماغية ألزمته المستشفى. جوي منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية، ص 277، ويغال عيلام، الف يهودي في التاريخ، مرجع سابق، ص 214.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

البندقية<sup>(1)</sup>، وأما تلك التبريرات فكانت ضمن سياستهم النفاقية من أجل تحقيق سياستهم المعادية التي نال فيها شارون حصة الأسد بامتياز قبل وبعد توليه الحكم.

كان موقف شارون من الوجود العربي موقفا سلبيا واضحا وكان صريحا في إبداء ذلك، فقد توعد شارون في 1977م، في مستوطنة ناتيعيم قبل توليه منصب الرئاسة بالإبادة الشاملة لكل العرب قائلا: "إذا أصبحت رئيسا للوزراء سأبيد العرب جميعا، وسأقتل كل طفل فلسطيني، وسأفتح كل بطن امرأة حامل في عربي، فهؤلاء الكلاب لا يمكن أن يكونوا بجوار شعب الله المقدس أعطوني الحكم، ولو لمدة قصيرة وسأريكم ماذا أفعل"<sup>(2)</sup>. ألا يذكرنا ذلك بما ورد في سفر أشعيا 13/16-18.

كما اعتبر شارون ما يقوم به من جرائم في حق الأبرياء عملا مقدسا واجب التنفيذ وعلى حد رأيه: "إن قتل أي عربي أو فلسطيني هو واجب مقدس، ويجب أن يكون في أعلى الواجبات وأقدسها لنا جميعا"<sup>(3)</sup>.

وهو نفسه لم يتوانى في التحريض على قتل واجتثاث الفلسطينيين باعتبار ذلك قمة الإحساس بالحياة: "إذا أردت ان تحيا فاقتل الأطفال... ، وإذا أردت أن تشرب الماء فاقتل كل العرب، وإذا أردت أن تنام هادئا فادفنهم بعيدا عنك"<sup>(4)</sup>، كما لم تتوقف سياسة شارون عند القتل، بل عضدها بمشاريع التخطيط الاستيطانية الرامية إلى اقتلاع العرب من الأرض بطردهم واستقدام يهود العالم إليها كبديل، فكان من أوائل الذين اقترحوا وطالبوا بطرد الفلسطينيين بالجملة بواسطة شاحنات ضخمة، وكان ذلك حينما تولى قيادة الجيش الاسرائيلي في الجبهة الشمالية عام 1957م، لكن لم يتعد ولم يخرج في كافة مقولاته ومقترحاته عن منطق ومضمون الدم والدمار والتصفية والابادة الجماعية للفلسطينيين وتهويد أراضيهم، تحت شعار "أرض إسرائيل الكاملة" وحق اليهود في الاستيطان في كل بقعة في أرض

(1) \_ خالد شعبان، فساد النخب السياسية الإسرائيلية، فلسطين، د ط، (مركز الدراسات الإقليمية، دراسات إقليمية (10)، 2013)، ص164.

(2) \_ مصطفى بكري، فضفضة، ص197. نقلا عن: زكي علي السيد أبو غضة، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، د ط، مصر، مكتبة الأسرة، 2002، ص235.

(3) \_ مصطفى بكري، فضفضة، ص197 (نقلا عن: زكي علي السيد أبو غضة، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص235)

(4) \_ المرجع نفسه، ص235.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

إسرائيل<sup>(1)</sup>.

وفي سنة 1969م، حينما كان شارون أمرا للقيادة الجنوبية في جيش الدفاع الإسرائيلي، أعرب عن تبنيه لما قام به الجيش الإسرائيلي من الأعمال الاجرامية، وأشاد بما اعتبره بطولات أفراده في مقدمة كتاب أحد الجنود مثير هارتزيون: "الطريق التي اخترناها الخمسة عشر سنة خلت، يمكن أن تشير إلى الحلول المستقبلية، وذلك في ميادين التفكير المتجدد، وتنظيم الوحدات من أجل هذا النوع من الحرب... ستستمر العمليات الحربية الخاصة في السنوات القادمة أيضا، وستشكل الرد الجوهري على مشكلات الإرهاب<sup>(2)</sup>... يعتمد وجودنا في دولة إسرائيل بصفتنا شعب صغير تحيط به دول عربية معادية، على تفوقنا العسكري الدائم... إن الذين حملوا خلال سنوات عديدة... كانوا شبانا ممتازين، تلاميذا في صفوف حركات الشباب أبناء الكيبوترات<sup>(3)</sup>، من جميع الاتجاهات... كان مثير هارتزيون أبرز المظليين في ذلك الوقت جاء إلينا مع إنشاء الوحدة 101، لم يجد هناك ما يليب اعتقاده بضرورة إيجاد طريقة للتغلب على الأعمال الإرهابية العربية...، وفي فترة قصيرة أصبح أكثر المقاتلين جرأة في الوحدة 101...، وأصبح رمزا للقتال في وحدات المظليين وفي جيش الدفاع كله<sup>(4)</sup>.

حول موقفه من إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة، واستبعاده السلام مع الفلسطينيين، يرى يارون لوندون، إن سياسة شارون تلتخص فيما كان يردده بداخله: "لأنه ليس ثمة فرصة للاتفاق، ولذا يجب حبس الفلسطينيين خلف جدران تطوق التجمعات الرئيسية للسكان... فمسموح أن نعتقد بأن السلام بين الشعوب سيتحقق بعد أجيال عديدة فقط، وبأنه حتى ذلك الوقت لن يتخلى الفلسطينيون عن

(1) \_ أسعد عبد الرحمان ونواف الزرو، الفكر السياسي الإسرائيلي قبل الانتفاضة... بعد الانتفاضة، ط1، (عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1990)، ص56-57.

(2) \_ لعله يقصد العمل الفدائي الفلسطيني.

(3) \_ يراد بالكيبوتز "التجمع"، ويشار به إلى هجرة اليهود المنغين، وتجميعهم في مكان واحد طبقا للتعبير التوراتي في سفر حزقيال 20-19/22 وصفنيا 8/3 "كيبوتس حلويوت קבוצה גלויית"، كما يطلق عليه هجرة صهيون، والكيبوتز عبارة عن مستعمرات استيطانية زراعية جماعية تقوم على الملكية الجماعية وأسلوب جماعي للحياة، أنشأها الرواد المكرسين لاستعادة التربة وخصوبتها، بحيث استمر الكيبوتز في العمل بطريقة تشاركية ديمقراطية، وقد ارتبطت نشأتها من حيث التنظيم والأفكار بالهجرة اليهودية إلى فلسطين من أوروبا الشرقية وروسيا، بناء على نداء الحركة الصهيونية في المؤتمر الصهيوني الأول 1897، وأنشئ أول كيبوتز "داجانيا" عام 1909م. (ويليم أي. فانجيميرين، القاموس الموسوعي للعهد القديم، ج6، ص3، وأفرايم ومناحيم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ص398.)

(4) \_ إسرائيل شاحك، من الأرشيف الصهيوني، ص46-47.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

جهودهم لتقويض إسرائيل... ومسموح أيضا القول بأنه إذا كنا نحن حقا راغبين في الحياة، فإنه لا مفر من أن يتحكم أسلافنا وحتى يوم القيامة تقريبا، في المدن العربية بالمناطق المحتلة، وأن يقوموا بدوريات حول السجون التي سنقوم بإدخال السكان الخاضعين لحكمنا بداخلها"<sup>(1)</sup>.

ومن هنا ننظر بشكل بين إلى الكتابات الصهيونية السابقة تعكس مدى التزام الفكر الصهيوني بحرفية النصوص، وتؤكد على تطويع الفكر الصهيوني لتلك النصوص واعتمادها مصدرا للتاريخ، حيث لعبت دورا هاما على صعيد الفكر والممارسة، وكانت سندا لزعماء الصهيونية المتدينين والعلمانيين على حد سواء في شرعنة الاحتلال.

إن العنف بالنسبة للقادة الصهيونية لم يكن وسيلة تستخدم للضرورة فحسب، بل إضافة إلى ذلك هو ثقافة متجذرة، ووظيفة مثلى كان لها دور في إعادة بناء الشخصية اليهودية، أين يكون اليهودي وباستمرار بحاجة إلى ممارسة العنف لتحرير نفسه من نفسه ومن ذاته<sup>(2)</sup>، ذلك لأن النفسية اليهودية كما يؤكد روزينبرغ في كتابه "مكانة الإرهاب في الفكر اليهودي"، هي نفسية شريرة عدوانية لا تقبل السلام، فإن لم تجد من تقتله قتلت نفسها"<sup>(3)</sup>.

كانت هذه الحالة المرضية<sup>(4)</sup> التي تنتهي إلى تقليد مضطهديه كافية لأن تكرر لديه أن الاحتلال

(1) \_ يارون لدون، "رؤية شارون وتنتياهو العارية"، يديعوت احرونوت: 2002/5/15، عن دورية: مختارات إسرائيلية، القاهرة، مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية والسياسية 1996، عدد 90، ص 76.

(2) \_ غازي صالح نهار بني ملحم، أثر مفهوم العنف واستخدام القوة في الفكر الصهيوني على الصراع العربي-الإسرائيلي، ص 8

(3) \_ توفيق المديني، القضية الفلسطينية أمام خطر التصفية، ص 81.

(4) \_ يرجع كثير من الباحثين تنامي هذه الروح العدوانية إلى المؤثرات السياسية والاجتماعية التي أسفرت عنها "عقدة الاضطهاد والشعور بالنقص"، ويعتبرون ممارسة اليهودي للعنف تجاه الآخر بل والتلذذ بتعذيبه، وهي إشكالية معقدة يطلق عليها علماء النفس بالتوحد في المعتدي، "أي أن العبد ينقلب سيذا ويأخذ في ممارسة دور السيد تجاه الآخرين الذين صاروا له عبيدا، وتتخذ سلوكياته وقتها مناحي أكثر عنفا وأكثر قسوة". ، بغية التنفيس عن مشاعر الكراهية المكبوتة تجاه جميع الأمم والشعوب، وهو ما يخول له تبرير اللجوء إلى أية وسيلة من أجل تحقيق الأهداف المقدسة للصهيونية في أرض إسرائيل، وهذه الحالة يعاني منها اليهود في حياتهم اليومية لاسيما في فلسطين، وقد عبر عنها موشي دايان عندما قال: "إننا جيل من المستوطنين، ولا نستطيع غرس شجرة أو بناء بيت دون الخوذة الحديدية والمدفع. علينا ألا نغمض عيوننا عن الحقد المشتعل في أفئدة مئات الآلاف من العرب حولنا. علينا ألا ندير رؤوسنا حتى لا ترتعش أيدينا؛ إنه قدر جيلنا وخياره في أن نكون مستعدين ومسلحين، أن نكون أقوىاء وقساة حتى لا يقع السيف من قبضتنا وتنتهي الحياة". سلوى ناظم وآخرون، الآخر في الفكر اليهودي، ص 72.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

والقتل والتدمير، وغيرهما من الأعمال الوحشية يعد أمراً مألوفاً تقتضيه الحياة اليومية<sup>(1)</sup>، وبذلك يصبح الدين اليهودي بمتزلة الرشاش والمدفع والصاروخ في يد إسرائيل، والاستعمار الاستيطاني اليهودي<sup>(2)</sup>.

يتأكد لنا مما سبق تبني قادة الفكر الصهيوني نهج ومقولات اليهود القدماء، وبالتالي إعادة ولادة الماضي، وهذا يؤكد أن الصهيونية استمدت من نصوص العهد القديم والتلمود ما يخدم نزعتها العدوانية والتوسعية، وما يشرع سياستها العنصرية، مضيفاً عليها صبغة القداسة والمشروعية.

### المطلب الثاني: تبني التيار الديني للفكر الصهيوني "نماذج":

أولاً: المفدال:

#### 1. التعريف بحزب المفدال:

تأسس من اندماج حزبين دينيين صهيونيين قديمين هما: همزراحي وهبوعيل همزراحي، الذين مثلاً الجناح الديني في حركة الصهيونية، عقب مؤتمر مشترك بينهما عام 1956 في إسرائيل، وتم الإعلان عنه باسم "الحزب الديني القومي" الذي عرف اختصاراً باسم "المفدال" اختصاراً لعبارة "مفلاغا داتيت لثوميت"<sup>(3)</sup>، كان من أبرز قادته منذ تأسيسه وحتى 1977، "حاييم موشي" ثم "يوسف بورغ" و"زفولون هامر"، "إسحق ليفي" و"زيرح فيرهافتيغ". أما الوزارات التي تولاها وزراء الحزب في مختلف الحكومات التي شارك فيها فكانت: الداخلية، التربية والتعليم، الرفاه الاجتماعي<sup>(4)</sup>.

#### 2. المواقف الأيديولوجية للمفدال:

أُخذ اسم الحزب كما أشار رابكن كنتيجة لمحاولته التوفيق بين ما دعت إليه الحركة الصهيونية في بداية نشأتها من قومية يهودية، وبين الإبقاء على النصوص التوراتية<sup>(5)</sup>، بإضفاء الطابع الديني على الدولة، فأيديولوجية الحزب حديثة ابتكرها أبراهام إسحاق كوك، بمدته جسر العلاقة بين الاتجاه الديني والصهيونية

(1) \_ هيثم الكيلاني، الإرهاب يؤسس دولة، ط1، (القاهرة، دار الشروق، 1417هـ-1997م)، ص64. ورشاد الشامي، الشخصية

اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، ص182

(2) \_ غازي حسين، العنصرية والابادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية، ص35.

(3) \_ صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ص314. وعبد الفتاح محمد ماضي، الدين والسياسة في إسرائيل، ص248.

(4) \_ أسعد رزوق، الدولة والدين في إسرائيل، ص7 وجوني منصورن معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص206.

(5) \_ ياكوف. م. رابكن المناهضة اليهودية للصهيونية، ص143.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

العلمانية، التي اعتبرها في تحليله أداة من أدوات الصهيونية الدينية الخلاصية<sup>(1)</sup>.

منذ قيام إسرائيل سعى حزب "المفدال" إلى فرض سيطرته على جميع المؤسسات، بممارسة ضغوطه من أجل الهيمنة على الشؤون الدينية بإشرافه على مختلف القضايا. متبنيا الخطوط الأساسية الآتية:

✓ فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني في مجال الاستيطان، أبدى "حزب المفدال" اهتمامه بالعلاقة بين الدين والدولة، فكان يؤمن بمفاهيم "أرض إسرائيل الكاملة"، و"الحق التاريخي" لليهود في الأرض. بما يمنحهم شرعية الاستيطان، واعتبر حرب 1967، مؤشرا لبداية عملية الخلاص للشعب اليهودي، وتحقيق إرادة العناية الإلهية في أرض الأجداد<sup>(2)</sup>.

من الناحية العملية، فإن ظهور "حزب المفدال" كتشكيل سياسي كان يهدف إلى الدفاع عن الصهيونية ومبادئها.

فاستنادا إلى المرتكزات الدينية السابقة أخذ "حزب المفدال" على عاتقه التأكيد على ضرورة تحقيق الوعد الإلهي بعودة الشعب اليهودي لبناء مملكة التوراة، وأن الأسباب التي أدت إلى قيام إسرائيل إنما تدل على بداية تحقيق "وعد الرب بالأرض" لشعبه المختار، وانطلاقا من هذه الاعتبارات أقر الحزب ببرنامجه السياسي الداعم للصهيونية والذي عد انعكاسا لمبادئه، جاء فيه: إن دولة إسرائيل تمتد من البحر المتوسط حتى نهر الأردن، وأن القدس عاصمة هذه الدولة، وبذلك لا يجوز الانسحاب من أي نقطة من هذه الأراضي، كما أن البلاد مفتوحة لعملية الاستيطان، وأن المستوطنات لا يمكن إزالتها في أي تسوية مستقبلية، وأن الحزب سيواصل العمل لتطبيق القانون والإدارة الإسرائيليين على السكان في "يهودا والسامرة" وكذا في غزة باعتبارهم مواطنو دولة إسرائيل<sup>(3)</sup>.

ومن هنا برز دور الحزب في استيعاب المهاجرين وبناء البؤر الاستيطانية، وتمحورت أيديولوجيته حول ضرورة التوسع الاستيطاني كمكون مركزي من مكونات الهوية القومية اليهودية المنغرس في اللاهوت والتاريخ التوراتي، الذي يعتبر في مخططة السياسي الديني كركيزة تشبث اليهود بكل أجزاء أرض إسرائيل الواقعة تحت السيطرة، وهي بذلك ركيزة لتحقيق أمن إسرائيل، وهو ما يفرض تعزيز الاستيطان

(1) \_ شاحك: الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 115.

(2) \_ صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ص 319.

(3) \_ سعيد تيم، التيارات الدينية في إسرائيل، مجلة شؤون فلسطينية عدد 217-218، بيروت أبريل-ماي 1991، ص 68.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وعدم قبول سياسة التخلي عن المستوطنات في إطار أي اتفاقية سياسية<sup>(1)</sup>، حيث عمل الحزب على قبوله الدين اليهودي ليتوافق مع الرؤى الصهيونية العلمانية، وتبدى ذلك في دعمه الكامل للحاخامية الرئيسية باعتبارها أعلى سلطة دينية في إسرائيل، ودعوته الاحتكام إلى الهالاخا في جميع المجالات، والمحافظة على حرمة السبت وتقوية جهاز القضاء الحاخامي، ويأتي ذلك في سياق دعاوى تعميق الطابع الديني للدولة، وبنائها وفقا لتعاليم الشريعة، وتأكيد على الحفاظ على وحدة الشعب اليهودي وخصوصيته في الداخل "إسرائيل"، وفي الخارج "الشتات"، عن طريق الالتزام بتعاليم الشريعة<sup>(2)</sup>.

✓ ينكر "حزب المفدال" أن يكون للشعب الفلسطيني أية حقوق وطنية أو قومية في فلسطين، ويتجاهل الاعتراف بحقوق اللاجئين في العودة، فقد اقترح أحد قادة الحزب وهو "زفولون هامر"، حينما كان وزيرا للشؤون الدينية، سحب المواطنة من العرب الذي تظاهروا سلميا ضد الهجرة اليهودية من روسيا<sup>(3)</sup>، كما يرفض قادة الحزب الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، أو التحاور معها، أو المشاركة معها في أي مؤتمر تدعى إليه، بل ويعتبرها إطارا لمنظمات القتل، هدفها تدمير إسرائيل<sup>(4)</sup>.

تبعاً لذلك اتجهت جهود قادة "حزب المفدال" نحو سياسة التخلص من الفلسطينيين "عمالق العصر" من وجهة نظرهم، واحلال صهاينة متدينين مكانهم، وتم الحشد لهذه سياسة عبر استنطاق النصوص الدينية وإعادة تأويلها -بعيدا عن سياقها- بما يتوافق والأيدولوجية الصهيونية، حتى قادة الحزب عبروا عن رغبتهم في منح العرب أموالا مقابل هجرة الأرض واختلاطها لصالح المستوطنين، وقام الحاخام يوسف شابيرا باقتباس دراسة مسحية للحزب بين الحاخامات في الضفة الغربية وغزة، ذكر فيها أن 62% من الحاخامات طالبوا بإجبار العرب على الهجرة بأي وسيلة ممكنة، في حين فضل 13% منهم تشجيع الهجرة الطوعية للعرب<sup>(5)</sup>.

(1) \_ أمل جمال، الفكر الصهيوني في متاهات التحديد والتحديث، جدلية التناقضات الداخلية وانعكاساتها العملية، سلسلة القضية

الفلسطينية آفاق المستقبل (8)، ط1، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أكتوبر 2016)، ص28.

(2) \_ صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ص320.

(3) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص126

(4) \_ صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ص322.

(5) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسات في إسرائيل، ص126-127.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

والواقع إن هذا الحزب الشوفيني تبدى شوفينيته في مواقفه العنيفة ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية والقطاع بتأييده الصريح والتام لنفي الفلسطينيين، وحرصه باستمرار على اتباع سياسة القبضة الحديدية، ومن ذلك أبدى **يسحاق ليفي**، وهو من المقربين لرئيس الحاخامين **مردخاي إياهو**، وأحد مؤسسي معسكر الصهيونية الديني **متسادا**<sup>(1)</sup>، وكان من أبرز الدعاة إلى تحقيق "إسرائيل الكبرى"، تأييده سنة 1987 بخصوص ترحيل ونفي العرب من الأراضي المحتلة إلى دول عربية أخرى<sup>(2)</sup>.

✓ كان للحزب دور في توجيه التربية في إسرائيل نحو التطرف، حيث ظل يؤكد على ضرورة التربية اليهودية الأصيلة للناشئة، وتأمين التعليم الديني للراغبين، كما كان يشجع على خدمة طلبة المدارس الدينية في الجيش، باعتبار ذلك من الواجبات الدينية - الوطنية التي ينبغي الالتزام بها من أجل الدمج بين الكتاب والسيف<sup>(3)</sup>، وقد مكّنه ذلك من فرض سيطرته على المؤسسات التربوية والمدارس الدينية، كما استطاع فرض نفوذه بشكل واسع على جامعة **بار ايلان**، مما جعل باقي الأحزاب تسعى إلى استرضائه وإشراكه في الحكم<sup>(4)</sup>.

✓ إن القضية الأكثر أهمية للحزب والمستوطنين المتدينين دارت حول اختراق أنصار "حزب المجدال" من الشباب للوحدات القتالية ووحدات الصفوة في الجيش.

ومن ذلك فإن الحاخام **شلومو جورون**<sup>(5)</sup>، أسهم في ترسيخ الإعجاب بالقوة العسكرية وإسباغ القدسية

(1) \_ حركة شبيبة تابعة للمنظمة الصهيونية في أميركا، تأسست عام 1940 كجزء من لجنة الشباب الصهيوني الأميركي، وأصبحت هيئة مستقلة في العام 1946، لعبت دوراً بارزاً في الفترة 1947-1948 في تثبيت اليشوف اليهودي في فلسطين. وأعيد تنظيمها عام 1952 وعرفت باسم "الصهيونيون الشباب في المنظمة الصهيونية في أميركا"، ويعرفها أعضاؤها بالاسم القديم "مسادا" تيمناً بـ (متسادا التاريخية 70-73م) منحتها الصهيونية طابعاً أسطورياً، كرمز للكفاح من أجل الحرية والكرامة، وإشارة إلى كفاح ونضال تلك الفرقة في وجه المحتل والمستعمر الروماني. (جوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص 427.)

(2) \_ نور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، ص 144.

(3) \_ صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ص 320

(4) \_ محمد عمارة تقي الدين، الأحزاب الدينية الإسرائيلية ودورها في صنع القرار السياسي، ص 75.

(5) \_ ولد في بولندا، وصل إلى فلسطين عام 1925، وفي سن الثانية عشر انضم للمدرسة الدينية في الخليل، والقدس، كان من نشطاء حزب ريمام، وفي 1936 انضم إلى منظمة الهاغاناه، وبعد قيام إسرائيل وتشكيل الجيش عين من قبل الحاخامين الرئيسيين حاخاماً رئيسياً للطائفة الاشكنازية، وفي 1961 تلقى جائزة إسرائيل على شرحه للجزء الأول من التلمود الأورشليمي، ويعد **جورون** أحد رموز الصهيونية الدينية، ومؤسس الحاخامية العسكرية، وأول حاخام شغل منصباً عسكرياً لمدة عشرين عاماً. (يغال عيلام، ألف يهودي في التاريخ، ص 59.)

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

على حروب إسرائيل، فلم يكتفِ بتحليل وتبرير استخدام القوة، بل سبغه بالقدسيّة استنادًا إلى المقولة "القوة هي تعبير عن الروح"، التي اعتُبرت وُفقها حروب إسرائيل واحتلال فلسطين بمثابة عمليّات روحية سامية نابعة من إرادة السماء<sup>(1)</sup>، فبعد حرب 67، ولمدة ما يقارب 25 عاما عزز هذا الاختراق أهمية الحزب في المجتمع الإسرائيلي، وتجلّى ذلك في شراكته للغالبية العلمانية، غير أن اغتيال رابين أدى إلى ظهور مخاوف المجتمع، خاصة وأن أنصاره من الشباب الذكور والإناث كانوا يستمرون في الخدمة العسكرية الاحتياطية، كما كانوا يتمتعون بنفوذ سياسي بعد تركهم للخدمة في الجيش<sup>(2)</sup>.

ونلاحظ مما سبق أنه مثل ما كان للتيار الديني الصهيوني دور في التأثير على القرارات على مستوى حكومة الكيان الصهيوني إزاء الأرض والشعب الفلسطيني، فقد كان دوره بارزا أيضا في توجيه الفتاوى المتطرفة المعاصرة التي باتت مصدرا للتشريع في إسرائيل<sup>(3)</sup>، والعمل على الحسم في مسائل سياسية وأمنية بحجة بوسائل الإفتاء الديني.

يعزز رأينا ما أكد عليه يائير شيلغ من أن معظم شخصيات الصهيونية الدينية ممن اعتادوا على استشارة الحاخامات في كل صغيرة وكبيرة، حرصوا على الاقتداء بهم في الحياة السياسية، وأن يجذوا حذو المتدينين الحريديم، وقد ترتب عن ذلك اقتراح "حزب المفدال" تشكيل مجلس الحاخامين ليسدي النصح والمشورة لرجال السياسة قبل اتخاذ أي قرار أو خطوة، الأمر الذي منح الحاخامات سلطة نافذة، كما تحصلوا على صلاحية البت في شؤون مختلفة، فقد تحصل الحاخام أبراهام شابيرا مكانة كحاخام أكبر ورئيس لمدرسة مركز هراب، وتحول بذلك إلى مرجعية روحية مركزية في الجناح الفقهي - التوراتي للصهيونية الدينية، وإلى ممثل "رأي التوراة"، وشخصية بارزة لا يمكن للساسة تجاهلها أو إغفالها، وفي المقابل اعتمد الحاخام مردخاي إلباهو كمرجعية روحية مركزية ليس للحاخامات الشرقيين فحسب وإنما أيضا لدى نخبة واسعة من الساسة والناشطين الشرقيين<sup>(4)</sup>.

ولا غرابة في ذلك، فقادة الحزب هم حريجي اليسيفا وغيرها من المدارس الدينية التي غرست في

(1) \_ أشرف بدر، المتدينون في الجيش الإسرائيلي "دراسات في إسرائيل، دط، حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية والتطبيقية، جانفي 2019، ص 11.

(2) \_ إسرائيل شاحك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 170-171.

(3) \_ انظر تفصيل ذلك في الفصل الأول في مطلب التسوية الحاخامي للعنف.

(4) \_ يائير شيلغ، المتدينون الجدد، ص 47-48.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وعى طلابها أن العنف الذي كان الحاخامات يرتكبونه على مدار الزمان، كان يتم باستمرار تبعاً لكلمة الرب<sup>(1)</sup>، وبذلك نمت شخصية التوراتي الصهيوني الذي لا يقل في عالمه التوراتي وحرصه على تمسكه بالواجبات الدينية عن ابن "اليشيفا" الحريدي، ولكنه لا يقل في المستوى الأيديولوجي والممارسة الصهيونية عن نظيره العلماني<sup>(2)</sup>، وهو ما جعل المفدال من أكبر أحزاب الدينية الصهيونية وأشدّها تطرفاً، وأكثرها تدخلاً في متشعب القضايا التي يواجهها المجتمع الإسرائيلي، وتبدي فيها رأياً وتعكس صحيفة هاتسوفيه التي يصدرها الحزب رايه في مختلف القضايا<sup>(3)</sup>.

ثانياً: حركة غوش إيمونيم:

### 1. التعريف بحركة غوش إيمونيم.

حركة دينية - قومية يهودية متطرفة تمثل أول انشقاق حقيقي داخل "حزب المفدال"، اعتبر ظهورها كتعبير عن تمرد داخلي فيه<sup>(4)</sup>، مثل أعضاؤها<sup>(5)</sup> في الماضي الجناح الأكثر تشدداً في الحزب الديني القومي "المفدال"، وقد نشطت غوش إيمونيم في الفترة الواقعة بين 1974 و1988<sup>(6)</sup>.

تخرج زعماء "غوش إيمونيم"، من مدرسة مركز هراب معقل الفكر الديني الصهيوني، والتي كان قد أسسها الأب الروحي للصهيونية الدينية التي أسسها الحاخام كوك الأب، الأب الروحي للصهيونية الدينية، وقد ظلوا محافظين على تعاليمه ومخلصين لنهجهم، فقيام الحركة يعكس في الواقع إخلاص الحاخامات المتخرجون من مدرسة "مركز هراب" لتعاليم الحاخام كوك الأب، وكما يصفه شاحك بـ "المخطط السياسي الهادف إلى إقامة دولة يهودية"<sup>(7)</sup>.

فقد استمدوا قوتهم وبالأخص الغطاء الديني، وجزءاً من التأييد الشعبي من هذه المدرسة، فألهمت

(1) \_ إسرائيل شاحك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 211.

(2) \_ يائير شيلغ، المتدينون الجدد، ص 41.

(3) \_ صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ص 319.

(4) \_ المرجع نفسه، ص 317.

(5) \_ وايرزهم حنان بورات، وهو من حزب المتدينين الوطنيين المفدال، وموشي ليفنغر، والبروفسور يعقوب تمام، والحاخام إسحق بيرتس رئيس شاس سابقاً. يائير شيلغ، المتدينون الجدد، ص 41.

(6) \_ جوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص 323.

(7) \_ إسرائيل شاحك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 115. وصلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ص 169.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

غوش إيمونيم العواطف في الصفوف العريضة للصهيونية الدينية، ووسط هذا الحماس والاندفاع سطع نجم مدرسة الحاخام كوك الأب، وتحولت بمرور الزمن -مع مدارس مدنية، عسكرية- إلى حجر الرحي بالنسبة إلى جيل كامل من الشباب المتدينين الوطنيين<sup>(1)</sup>، حيث تمت صياغة فلسفتها وأهدافها، ووفق تعاليم الحاخام كوك الأب، ورأى أتباعها بعد انقسام المجتمع الإسرائيلي أن الصهيونية العلمانية قد أعلنت إفلاسها، وأن الصهيونية الدينية باتت هي الحل والبديل<sup>(2)</sup>.

### 2. المواقف الأيديولوجية والسياسية لغوش إيمونيم:

صاغت "غوش إيمونيم" مبادئها وأهدافها من البرنامج السياسي الذي حدده الحاخام كوك، وتمثل في:

✓ التركيز على الحقوق التاريخية لليهود في أرض فلسطين.

تم بميلاد حركة "غوش إيمونيم" التي حظيت بتأييد ودعم من المجتمع الإسرائيلي<sup>(3)</sup> ترجمة الإيمان بالأرض التوراتية إلى حركة استيطانية ممتدة النشاط، وعمليا رأوا في أعضائها صورة لرواد الصهيونية الاستيطانية المبكرة، وأنها تقوم بدور "حركة الكيبوتز" في الصهيونية العمالية في فترة ما قبل الدولة<sup>(4)</sup>، و"إذا كان الطلائعون قد انخرطوا في عملية احتلال الأرض والاستيلاء عليها وتحريرها من ساكنيها العرب، فإن "غوش إيمونيم" حظيت بمهام استكمال الاستيطان في أراضي الضفة الغربية"<sup>(5)</sup>.

شددت "حركة غوش" على فريضة الاستيطان، فكانت ترى أن الخلاص لا يتحقق بمجرد مراعاة الفرائض الدينية في الشتات، بل يقتضى اللجوء إلى النشاط الاستيطاني والاستعمار العملي في فلسطين،

(1) \_ يائير شيلغ، المتدينون الجدد، ص46.

(2) \_ صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ص397.

(3) \_ تمثل ذلك في توفير الحكومات الإسرائيلية بعد 1967 لمنظري غوش إيمونيم قاعدة إقليمية مكنتهم من النمو وزيادة المناصرين، خاصة بعد وصول الليكود إلى سدة الحكم عام 1977، فتلقت الدعم من بيغن، ومن رئيس اللجنة الوزارية للاستيطان، ولاحقا من وزير الدفاع شارون ورئيس أركان الجيش رفائيل ايتان. (نور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، ص154. وإيان لوستك، الصولية اليهودية في إسرائيل، ص17.)

(4) \_ نور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، ص153.

(5) \_ أحمد رفيق عوض، دعامة عرش الرب عن الدين والسياسة في إسرائيل، ط1، (المملكة الهاشمية الأردنية، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 2011)، ص342.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

التي اعتبره الحاخام موشيه بن نحمان فريضة واجبة في كل العصور، كما جرى التأكيد بصورة أساسية على رفض تقديم أي تنازلات إقليمية؛ "ألا نتركه في أيدي غيرنا من الأمم"<sup>(1)</sup>. فضلت الحركة تعمل على تحقيق فكرة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات<sup>(2)</sup>، انطلاقاً من الإيمان بحق اليهود في إقامة استيطان له في كل موقع من أرض إسرائيل كجزء من خلاص، وإنقاذ الأرض من الغرباء، مؤكدة على أنهم تحصلوا عليه من الله ومن التوراة، وأن هذا الحق لا يخضع لقوانين الشعوب، ومن وجهة نظر قادة "غوش إيمونيم"، إذا كانت قوانين الدولة تختلف مع أوامر الله، فإن الواجب يقتضي عدم الامتثال لها، لأن الاستيطان هو بذاته تنفيذ لإرادة الله، وليس القانون الإسرائيلي<sup>(3)</sup>.

أما العرب بالنسبة لغوش إيمونيم فهم مجرد نزلاء ومحتلين للأرض، وبذلك فهم يشكلون خطراً على اليهود وتهديداً لعملية الخلاص المرجاة- إذ إن حقوقهم لا يمكن موازاتها مع الشرعية الإلهية والواجب الديني- يجب على اليهود طردهم وإخراجهم<sup>(4)</sup>، بل إن مجرد الاعتراف بالحقوق العربية على أرض فلسطين يعد انتهاكاً للحرمة الدينية والتعاليم اليهودية، بينما تعتبر مصادر الأراضي في المناطق المحتلة واجباً مقدساً يعمل على تقريب فكرة الخلاص، كما أن حق إسرائيل على هذه الأرض يلغي ويبتل بشكل تلقائي أية حقوق لأي شعب ثانٍ عليها<sup>(5)</sup>.

✓ تركيز الحركة على ضرورة استمرار إسرائيل في حروبها، ومعاركها التوراتية القديمة بهدف استيطان أرض إسرائيل التاريخية ووجوب إخضاعها من خلال منهج مبني على الإيمان الديني والقوة العسكرية.

لقد عدت "غوش إيمونيم" الحركة الاستيطانية الدينية الأولى التي نهلت بقوة من الفكر القومي الصهيوني، وذلك حينما اعتبرت احتلال الضفة الغربية عام 1967 واجباً دينياً وطريقاً نحو الخلاص النهائي لليهود، وعزت النصر الذي أحرزته إسرائيل إلى التدخل (الدعم) الإلهي "المعجزة الإلهية"<sup>(6)</sup>،

(1) \_ يائير شيلغ، المتدينون الجدد، ص32.

(2) \_ صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ص175.

(3) \_ المرجع نفسه، ص399.

(4) \_ نور الدين، مصالحة أرض أكثر وعرب أقل، ص220.

(5) \_ صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ص399.

(6) \_ مهند مصطفى، المستوطنون من الهامش إلى المركز (رؤية المستوطنين للصراع: من غوش إيمونيم إلى البيت اليهودي)، (رام الله،

المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، سبتمبر 2013، ص20.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وحينما اعتبر التنازل عن أي شبر من الأرض- في فكر قادتها- مخالفة لنصوص التوراة، بناء على ما صرح به الحاخام كوك في مؤتمر بعد حرب 1967: أقول لكم بوضوح: ... إن هناك تحريماً في التوراة ضد التنازل عن بوصة واحدة من الأرض المحررة، لا يوجد غزوات هنا ونحن لا نحتل أرضاً أجنبية، إننا نعود إلى وطننا أرض الأجداد، لا توجد أرض عربية هنا، بل ميراث ربنا، وكلما اعتاد العالم على هذا الفكر يكون أفضل لنا"<sup>(1)</sup>. كما أنه صبغ العمليات العسكرية بصبغة دينية، قائلاً: "هذا قرار السياسة الإلهية، حيث لا تقدر عليها أية سياسة أرضية"<sup>(2)</sup>.

أفضى هذا الاعتقاد إلى إعادة تمركز التجمع حول اليهودية وأساطيرها (أرض الميعاد وإسرائيل الكبرى ... )، ومنحها مصداقية كبرى<sup>(3)</sup>، "واعتبرت (حرب 67) في نظر بعض المتدينين إشارة إلى وجود شعب الله المختار في منتصف الطريق، وأن قيام مملكة إسرائيل تبنى من جديد... كحل للملكوت الله... والجيش الإسرائيلي مقدس برمته"<sup>(4)</sup>، وهو يمثل سلطة الله على أرضه، وقد ترتب عن ذلك تغيير نظرة المتدينين للجيش، خاصة بعد استيلائه على حائط المبكى (حائط البراق) وغيره من الأماكن المقدسة الواردة في التوراة، فمعظم الأماكن الدينية المذكورة في التوراة تقع في الأراضي المحتلة عام 1967، وبدأت بعض الأوساط داخل التيار الصهيوني المتدين تطلق على الجيش اسم "جيش الله"، فأسهم ذلك في تعزيز التوجه نحو خدمة المتدينين في الجيش. علاوة على ذلك، بدأت المدارس الدينية "مركز هراب" التي أسهمت بقوة في نشر الفكر الديني القومي بالتشديد على معنى النجاح كمؤشر تاريخي على نجاح الصهيونية الدينية، بالإضافة إلى التركيز على الدور الخاص المنوط بها للسيطرة على الدولة (العلمانية) وتوجيهها بما يخدم الغاية النهائية "الخلاص"<sup>(5)</sup>.

انطلاقاً من هذه الرؤى حولت الصهيونية الدينية- التي غالباً ما توصف بالترعة المسيحانية

(1) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص 130.

(2) \_ مهند مصطفى، المستوطنون من الهامش إلى المركز، ص 24.

(3) \_ إبراهيم نافع (محرراً)، ثمن الانتصار، عن دورية مختارات إسرائيلية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، السنة الأولى، العدد 12، ديسمبر 1995، ص 3.

(4) \_ وهي نظرية الحاخام تسفي يهوذا الكوك، تبناها كثير من حاخامات "غوش إيمونيم"، فقد اعتاد يهوذا كوك على القول: جيش الدفاع الإسرائيلي مقدس، الدبابات مقدسة، الزي العسكري مقدس... ولهذا السبب كان أتباعه لا يسمحون بالاعتداء على رموز السلطة. ياتير شيلغ، المتدينون الجدد، ص 62.

(5) \_ أشرف بدر، المتدينون في الجيش الإسرائيلي، ص 6.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الخلاصية - الخطابة الصهيونية من الطموح العلماني لإنشاء "دولة" ذات سيادة يهودية إلى "استعادة لأرض إسرائيل الكاملة"، وهو ما شجع على عملية التوسع الاستيطاني، وتحويل إسرائيل إلى دولة تحكمها الهلأخا، حيث ترفض "غوش إيمونيم" أقل تنازل، أو انسحاب، أو تخلي عن أي شبر من الأرض، مؤمنة في ذلك بضرورة الاستيطان الكلي لها، وتحقيقا لهذه السياسة على أرض الواقع، بما لا يشكل أي عائق أمام المد الاستيطاني، ارتكزت نشاطاتها على محورين أساسيين، تمثل الأول؛ في تشكيل قوة ضاغطة على الحكومة الإسرائيلية لمنعها من أي مبادرة للتنازل عن الأرض (التاريخي) تحقيقا لـ "إسرائيل الكبرى"، أما الثاني، فهو عملي تجسد في توسيع وتيرة الاستيطان في كل من الضفة الغربية وغزة، وذلك بهدف وضع الحكومة أمام الأمر الواقع، ومنعها من التفكير في التنازل عن أي شبر من الأرض<sup>(1)</sup>.

من جهة أخرى وفي السياق ذاته، تمثل الهدف الرئيس والأكثر أهمية بالنسبة لقيادة "غوش إيمونيم"، في تأسيس الصهيونية برمتها على قيم جديدة "عقائدية"<sup>(2)</sup>، والسعي نحو خلق نماذج لمجتمع إسرائيلي جديد داخل المستوطنات المتجانسة، وبنشر هذا النوع من المجتمع حتى يتم امتصاص العلمانيين والتقليديين، بغية تشكيل هوية يهودية جماعية، تكون في النهاية عبارة عن مجتمع ديني عرقي يأتمر بأوامر الله، وقد أصبحت هذه الآراء أكثر قبولا بعد الهزيمة لتي لحقت بإسرائيل عام 1973<sup>(3)</sup>.

✓ تشدد "غوش إيمونيم" - كحركة استيطانية ودينية متطرفة - على الربط بين العمل الصهيوني والتاريخ اليهودي<sup>(4)</sup>، وذلك ما عكسه شعار الحركة: أرض إسرائيل، لشعب إسرائيل، بحسب تورا إسرائيل<sup>(5)</sup>، وذلك منطلق من الإيمان بـ "قداسة" و"اكتمال" أرض إسرائيل الكبرى، ومن هنا جاءت الدعوات والتحريض السياسي والديني بشأن وجوب استمرار الشعب الإسرائيلي في المعارك التوراتية

(1) \_ صلاح الزرو، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ص 398.

(2) \_ تؤكد ذلك صراحة في البيان الأول التأسيسي للحركة بـ "إحداث حركة نهوض واسعة في صفوف شعب إسرائيل، من أجل تجسيد الحلم بأكمله مع الإدراك أن مصدر الحلم يكمن في التراث اليهودي وجذور اليهودية، وأن غايته الخلاص التام لشعب إسرائيل وللعالم كله. ياتير شيلغ، المتدينون الجدد، ص 52.

(3) \_ إسرائيل شاحك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 163.

(4) \_ يقول حنان بورات أحد قادة الحركة، وأحد أبرز الوجوه الصهيونية الدينية نشاطا وتأثيرا: "إن أرض إسرائيل بالنسبة إلينا هي أرض القدر أرض مختارة، وليست موطننا محمدا الوجود فقط، إنما الأرض التي منها خاطبنا صوت الرب، منذ أول مخاطبة إلى أول عبري، اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك". نور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، ص 137.

(5) \_ نور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، ص 136.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

القديمة لاستيطان أرض إسرائيل التي يمكن اكتسابها بالجمع بين الإيمان الديني والقوة العسكرية معا، ذلك لأن الهوية القومية بالنسبة للحركة ليست مجرد حقيقة ثقافية واجتماعية— وإنما هي واقع جغرافي وسياسي أيضا، وأن الهوية الإسرائيلية الصهيونية ولدت عبر محاض الفهم الثقافي للذات والأرض الحقيقية التي يسكنها اليهود<sup>(1)</sup>، أما الحرب التي ستحقق الحكم اليهودي من وجهة نظر الحركة، فهي فترة اختبار وعلامة قوة ووسيلة ضرورية لتنفيذ مشيئة الله، وهي فكرة محورية في عملية التطهير -تطهير الأرض- لتعجيل بالخلاص، الذي عبر عنه الحاخام كوك الابن بقوله: نحن مأمورون بتملك الأرض واستيطانها معا... لا يمكن تفادي هذا الأمر... التوراة، الحرب، الاستيطان، ثلاثة أشياء في واحد، ونحن سعداء بالسلطة التي أعطيت لنا في كل منها"<sup>(2)</sup>.

في هذا الإطار تطورت الأصولية اليهودية ورافقت نجاحات الصهيونية العلمانية في حروبها واعتداءاتها على الدول العربية، وتحولت إلى قوة سياسية وثقافية رئيسية على الساحة الإسرائيلية لها تأثير واضح في مواقف والتزامات الكثيرين من القادة الإسرائيليين، من سياسيين وعسكريين، وكان مركزها المنظم هو حركة "غوش إيمونيم" الاستيطانية<sup>(3)</sup>، التي تبنت برنامج عمل يدعو إلى الاستيطان العاجل بالقوة وضم الأراضي المحتلة ضما مستديما، وجاء في بيانها: "إن النصر الذي حققه تساهل جيش إسرائيل في حرب الأيام الستة، قد وضع الشعب والدولة في حقبة جديدة ومصيرية. إن إسرائيل هي كلها الآن في أيدي الشعب اليهودي. وكما أنه لا يجوز لنا التنازل عن دولة إسرائيل، كذلك نحن ملزمون بصيانة ما حصلنا عليه من إريتس إسرائيل... نحن ملزمون بالولاء الكامل للوطن، من أجل ماضي شعبنا ومستقبله ولا يحق لأي حكومة إسرائيلية أن تتنازل عن هذا الكمال الذي يمثل حق شعبنا الجوهري الثابت منذ بدايات تاريخه..."<sup>(4)</sup>.

ومن هنا استمرت "غوش" في التركيز على فكرة الخلاص عن طريق الاستيطان بصورة جارفة،

(1) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص120.

(2) \_ نور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، ص141.

(3) \_ المرجع نفسه، ص135

(4) \_ إيان لوستيك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص52.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وكسبت مؤيدين لها في أوساط أحزاب اليمين، والحركات، والتيارات الدينية المتشددة<sup>(1)</sup>، ونجم عن هذا التيار الديني المتصهين-الصهيونية الجديدة- عنف يهودي بحيث وفر للكيان الصهيوني مستلزمات جموحه الإمبريال، في حين كان الآباء المؤسسون كلهم تقريبا ملحدين غير مبالين بالدين<sup>(2)</sup>، إلى حد وصف الحخير في شؤون "غوش إيمونيم" شبرينتسك، بأنها -حركة غوش- كانت "قوة فعالة، وأهم مكون حي في اليمين المتطرف"<sup>(3)</sup>.

✓ ترى "غوش إيمونيم" أن الصهيونية وأرض إسرائيل عناصر مقدسة، لذلك فإن الثيولوجيا الأصولية للتيار الديني الصهيوني في إسرائيل، بما فيه غوش إيمونيم تركز على عدة مكونات: الحماس التبشيري بقداسة إسرائيل الكبرى، تأسيس السيادة اليهودية على كل أرض إسرائيل، بناء الهيكل في القدس، المناادة بالاستيطان الريادي الذي أوصت به الصهيونية العمالية وحركة الكيبوتز في مرحلة ما قبل الدولة، دونما اغفال للنشاط السياسي الذي أوصت به الصهيونية التصحيحية المتطرفة<sup>(4)</sup>، ويتجلى خطر هذه العلاقة في كون الحركة تستمد قوتها "من خلال" رابطة المجالس المحلية" في يهودا والسامرة وقطاع غزة، "وكان نشاطها من أحزاب صهيونية دينية، لكنهم - بخلاف حاخاماتهم- كانوا يرفضون أي تفسير ديني للانسحاب من الأرض"<sup>(5)</sup>، وبذلك منحها حكما شبه رسمي في تطبيق سياسة الاستيطان.

فلا غرابة هنا من أن يصور المستوطنون من أتباع "غوش إيمونيم" العنف المتواصل ضد العرب على أنه إيجابيا، يقول حنان بورات: إن العنف هذا سوف يثبت أن الشعبين لا يستطيعان التعايش، كما سوف يؤدي إلى طرد العرب<sup>(6)</sup>.

ترتب عن هذه العقيدة اتساع نظرة "غوش إيمونيم" لحدود الأرض الموعودة، فمع أن غاية

(1) \_ جوي منصور، إسرائيل والاستيطان، الثابت والمتحول في مواقف الحكومات والأحزاب والرأي العام (1967-2013)، رام الله المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، جويلية 2014، ص 26.

(2) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ترجمة النصوص عن الإنجليزية: أحمد غزاوي، وعن العبرية: سعيد عياش، ط ٩٩، (رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، 2003)، ص 119.

(3) \_ نور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، ص 142.

(4) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص 121.

(5) \_ إيان لوستنك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص 16-20.

(6) \_ أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص 136.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الاستيطان في فكر الحركة كان مقتصرًا على الأراضي المحتلة فيما بعد عام 67 "بالسامرة وبهوذا وغزة"، إلا إن إيهود شبرينتسك الخبير بشؤون الحركة يرى، أن حقيقة الاستيطان تتجاوز ذلك لتشمل ضم الأردن وسوريا والعراق، باعتبار أن القبائل اليهودية -بحسب الرؤيا التوراتية- قد استوطنت في تلك المناطق، يقول شبرينتسك: " عندما يتحدث المنظرون عن أرض إسرائيل التامة (الكاملة)، فإنهم لا يعنون الأراضي في فترة ما بعد 1967 فقط، بل أيضا الأرض الموعودة في العهد (يقصد هنا تك15)، وهذا يتضمن الأراضي المحتلة -وخصوصا يهودا والسامرة، قلب الدولة اليهودية التاريخي- وأراضي واسعة تعود حاليا للأردن وسورية والعراق. وبذلك فقد أقامت هذه القبائل المحطة الأولى لطموحات غوش إيمونيم التوسعية<sup>(1)</sup>.

الجدير بالذكر هنا، أن التيار الديني المتصهين كان له دور بارز في تأجيج الصراع بتبنيه الفكر الصهيوني، وحمله أعباء تحقيق مشاريعه الاستيطانية بدءًا من طرد الفلسطينيين، وتكثيف عملية الهجرة بهدف تحقيق النبوءات التوراتية، فكان العنف متسقًا مع الدعاية الصهيونية، وغدا التوافق ما بين اليهودية والصهيونية في الدعوة إلى العنف أو استعماله أو تبريره واضحًا.

فقد احتلت النصوص، وكذا الأحداث ذات الطابع الدرامي، والتي يصدقونها تاريخيًا -أو يريدون تصديقها- موقعا هامًا من نسيجهم الثقافي، ويتقبلونها على أنها نماذج واقعية نجحت -في الماضي- في اجتثاث العدو، وأصبحت قابلة للتفعيل، كما يمكن إعادتها من أجل تحقيق المشروع الصهيوني، حتى أنها باتت تشكل المرجعية التي يستند إليها الفكر الصهيوني في جوهره النظري وتجلياته العملية<sup>(2)</sup>.

ففي إطار أن "الأرض للشعب المختار بحكم الوعد الإلهي ومن أجل ذلك سيكون العنف مقدسًا وتكون القوة فوق الحق"<sup>(3)</sup>، ومثل ما كانت عنصرية كتيبة التوراة والتلمود أخطر وأبشع من جميع النظريات العنصرية التي عرفها التاريخ البشري، لأنها منحت عنصرية اليهودية الخصوصية الإلهية، فقد اعتبر القادة الصهاينة أن التميز والاختيار والنقاء اليهودي قد جاء بأمر إلهي، وبالتالي أعطوا لممارساتهم

(1) \_ نور الدين مصالحة، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، ص 137.

(2) \_ عصام سخيني، الجريمة المقدسة، ص 31.

(3) \_ عماد جاد، من داخل إسرائيل الآن ومنذ نصف قرن، ص 293.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

اليوم صفة القداسة الإلهية التي ينفردون بها عن بقية البشر<sup>(1)</sup>، أما ما تقوم به الصهيونية فهو مجرد تحقيق وتأكيد استمرارية ذلك التاريخ المقدس. وهو ما سنقوم ببيانه في الصفحات القادمة.

نخلص مما سبق ذكره إلى القول؛ إن تصريحات قادة الصهيونية في مضمونها ظلت تركز بوضوح تام للعنف وترسخ الدعوة إلى ممارسته، كما كان ذلك محل إجماع بين المتدينين والعلمانيين، فقد تصدّر العنف خطاباتهم قبل المؤتمر الصهيوني الأول بحوالي مائة سنة كما ذكرنا، ولم يمتنع رواد الصهيونية منذ البداية من الاعتراف بضرورة اللجوء إلى استخدام العنف ضد سكان فلسطين، والدعوة إليه لإحياء وبعث الوجود اليهودي بهدف الاستيلاء على فلسطين كوطن قومي لليهود، وذلك من خلال التركيز على تجميع اليهود المتبوع حتما بعمليات الطرد والقتل، من أجل تحرير الأرض كما يزعمون.

(1) \_ غازي حسين، العنصرية والإبادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية، ص 29.

المبحث الثاني: تجليات العنف في التربية الصهيونية:

المطلب الأول: موقع التربية من المشروع الصهيوني:

أولاً: الاهتمام بالتربية قبل قيام الدولة:

يعود اهتمام اليهود بالتربية إلى ما قبل نشأة الحركة الصهيونية بزمان بعيد<sup>(1)</sup>، وكانت التربية اليهودية تقتصر على التعليم الخلقى والديني والتربية القومية في مختلف مراحلها<sup>(2)</sup> وبعدها<sup>(3)</sup>. وبعد التوسع المسيحي، برزت عنايتهم بالتربية والتعليم كمحاولة منهم للانتقام لأنفسهم من انكسارهم، وتابع اليهود بالاعتماد على التربية لإثبات وحفظ وجودهم في العالم، وقد ترتب عن ذلك نشأة كثير من الحركات كالحركة الأرثوذكسية والاصلاحية، وتعتبر الحركة الصهيونية أهم حركة تخللت التاريخ اليهودي لما كان لها من تأثير في توجيه التربية واستخدامها كأداة لتحقيق أهدافها<sup>(4)</sup>، والتي تجسدت في إقامة دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة<sup>(5)</sup>.

(1) \_ وضعت أسس التربية اليهودية في الفترة التالية لخراب أورشليم، أعلن الأحرار أن أول الواجبات الدينية يتمثل في تحصيل المعارف النافعة، كان ذلك بأمر من الكاهن اليهودي جوزيا بن جامالا (Jose' Ben Gamala) عام 64. عبد الله الدائم، التربية عبر العصور من العصور القديمة وحتى أوائل القرن العشرين، ط1، (بيروت، دار العلم للملايين، 1973)، ص29

(2) \_ اشتمل التعليم اليهودي القديم-التقليدي- على ثلاثة مراحل: مرحلة الكتاب؛ "الحيدر وتهدف إلى تهيئة الطفل للمشاركة في الواجبات الدينية، ثم المرحلة الثانية؛ وهي دار الدراسة "بيت همدراش" المكملة للحيدر، وتشمل دراسة منتظمة لمقاطع من الكتاب المقدس والقوانين الشرعية، بهدف حفظ وتحصين الطفل من محاولة الخروج عن دين وتقاليد الأسلاف، أما المرحلة الثالثة؛ فهي "اليشيفا" وهي مرحلة تقتصر على دراسة التوراة الشفهية ويكون التركيز فيها على القيم الروحية مطلقاً. تسيقي أدار، التعليم اليهودي في إسرائيل وفي الولايات المتحدة، ترجمة عن العبرية: فؤاد سليم أبو زريق، ط1، (دمشق، دار كنعان، 2008)، ص26-29. وحاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود في المغرب تاريخ-ثقافة-دين، ترجمة: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط1، (الملكة المغربية، الدار البيضاء) 1987، ص61.

(3) \_ عبد الله الدائم، التربية عبر العصور، ص30.

(4) \_ يشار هنا أنه لم يختلف الوضع بالنسبة للجماعات اليهودية في العالم، حيث كونت العقيدة اليهودية وكتبها المقدسة مادتها الأساسية التعليمية لتلك الجماعات، مع اختلاف في المناهج وأساليب التدريس، طبقاً للأوضاع الثقافية والحضارية للشعوب التي عاشت بينها، وطبقاً للوضع الداخلي للجماعة نفسها. نخبة من الباحثين، التعليم في إسرائيل ديني أم علماني، محمد بن أحمد الرشيد (مشرفاً عاماً)، سلسلة كتاب المعرفة(2)، ط1، (الملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، 1418هـ-1998م)، ص37.

(5) \_ إلياس زين، "التربية والمركة" في شؤون فلسطينية، بيروت، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، العدد55، مارس1971، ص156.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

لقد شكل التعليم الديني محورا رئيسا وعنصرا مشتركا بين مختلف دور التعليم للجماعات اليهودية في الشتات، وازداد النشاط الفكري لديهم خلال القرون الوسطى بانكباب النخبة على تكوين النظريات، وتأسيس أنظمة مستوحاة من المصادر الأساسية للتقاليد اليهودية والنظريات الفلسفية التي تمت استعارتها من معاصريهم، مع المحافظة على التقاليد التعليمية اليهودية عبر كل العصور<sup>(1)</sup>. وتمثلت أهمية التعليم في هذه الفترات كونه أستخدم في توحيد الشتات اليهودي، كما أسهم إلى حد كبير في صياغة وتحديث الفهم اليهودي القائم على الأساطير، بعد أن عانت النظم التعليمية اليهودية جانبا من الركود خاصة في اليمن وإيران<sup>(2)</sup>.

وتظهر هذه الأهمية على سبيل المثال لا الحصر في:

### I. دور جماعة "كل شعب إسرائيل أصدقاء"<sup>(3)</sup>:

أسفرت جهود هذه الجماعة عن فتح المدارس اليهودية والدعاية الصحفية وجمع الإعانات من أجل يهود الشرق وخلق الإحساس بوحدة المصير<sup>(4)</sup> بين اليهود<sup>(5)</sup>، مع ملاحظة أنه خلال الفترة التي تزايدت

(1) \_ حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود في المغرب، ص 58.

(2) \_ صموئيل أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية (1850-1950)، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، مراجعة: رشاد عبد الله الشامي، عالم المعرفة (197)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ماي 1995، ص 74.

(3) \_ تأسست في باريس عام 1860، وكان لها دور بارز في تحديث التعليم اليهودي، فرسمت أهدافها الرئيسية حول تخليص الطوائف اليهودية من واقعها الاجتماعي المأساوي، والنهوض بهم والارتقاء بمستواهم الروحي والفكري، فقد طالب يهود الشرق من مركز الجماعة بإقامة مدارس لهذه الجماعة في بلدانه، وكان من الواضح لأبناء هذه الطوائف أنه ليس بمقدور مثل هذا النظام التقليدي من التعليم تأهيل اليهود للاندماج في المجتمعات فكريا واقتصاديا، خاصة في ظل الفترة التي كانت تطرأ فيها العديد من التغييرات القانونية والاجتماعية على أوضاع اليهود. صموئيل أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، مصدر سابق، ص 74.

(4) \_ وفقا لما تذكره المصادر اليهودية، أنه في أعقاب أزمة المجتمع اليهودي التقليدي في أوروبا، شرعت حركة المسكلاه في إدخال تغييرات جذرية في جهاز التعليم اليهودي التقليدي، بدعوها إلى تجديد الثقافة اليهودية بروح يهودية، خاصة في ألمانيا من القرن 18 وحتى نهاية القرن 19، فعملت على تغيير ثقافة الشعب اليهودي واقتراح كينونة جديدة له. وقبيل الحرب العالمية الأولى ازداد تأثير الحركة في مجال التعليم اليهودي، حيث وجد التعليم التقليدي نفسه في وضع تراجع ودفاع، فتأسست المدرسة اليهودية الجديدة "الحيدر المعدل" بمبادرة معلمين ورجال أعمال صهيانية، كضمان لخلق جيل جديد قادر على بناء الوطن القديم- الجديد. وهو في مضمونه مدرسة عبرية تعلم مهنا عامة في مجال ضيق، وعقب نجاح هذه التجربة ظهرت حركة التعليم اليهودي- الجديد في إسرائيل ثم التعليم اليهودي الوطني في شرق أوروبا مع نهاية الحرب العالمية الأولى، غير أن هذا الخير انتهى مع الحرب العالمية الثانية. تسفي أدار، التعليم اليهودي في إسرائيل وفي الولايات المتحدة، مرجع سابق، ص 38-40.

(5) \_ عبد اللطيف محمود محمد، موقع التعليم لدى طرفي الصراع العربي الإسرائيلي، ص 13.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

فيها العلاقات بين أثرياء اليهود ومثقفهم في العالم الأوروبي<sup>(1)</sup>، وفي مرحلة مبكرة من القرن التاسع عشر، أدرك اليهود ضرورة التغيير في نظام التعليم اليهودي لمواجهة تحديات العصر، حيث ساهم ذلك في خلق أنموذج جديد للشخصية اليهودية، شخصية متطلعة نحو كسر سلطة التمسك بالتعليم التقليدي، مما تسبب في حدوث الانقسام بين مختلف الطوائف اليهودية، وبهدف جذب اليهود تم فتح مجال تعليم اللغات الأجنبية عام 1899، فأسس الحاخام **شمعون أجس** مدرسة يهودية في العراق عام 1905 لتعليم اليهود بعض المهن، ثم انتهت التغيرات البنوية داخل الجماعات والقيادات اليهودية إلى رجحان كفة القيادة للجماعات الثرية على حساب الدينية، مما مكنها أن تحظى بقبول السلطة المحلية، وكذا سلطة الدولة العثمانية قبل سقوطها عام 1923م<sup>(2)</sup>.

### II. التوجه نحو التعليم العبري الحديث:

أدركت الصهيونية أهمية التعليم في مشروعها السياسي الاستعماري، ودوره في جمع اليهود وتوحيدهم وحشدتهم في الدولة المستقبلية، فقللت من دور مدارس جماعة كل شعب إسرائيلي أصدقاء، وانصب تركيز الجمعيات الصهيونية على إحياء اللغة في مدارس حديثة بداية من عام 1917 في سمرقند، وامتد إلى أوساط آسيا، ومنذ 1921 أصبحت مناهج التعليم في المدارس اليهودية الحديثة باللغة العبرية<sup>(3)</sup>. وكان للجمعيات القومية اليهودية التي يعود انشاؤها إلى الثمانينيات من القرن التاسع عشر، دور كبير في إنشاء المدارس العبرية<sup>(4)</sup>، ويصف الأكاديمي الإسرائيلي **تسفي** أدار طبيعة تلك المدارس الفكرية بأن: أيديولوجيتها مرتبطة بالحركة الصهيونية، وقد قامت حركات الشباب الطليعية بدعمها والعمل فيها،

(1) \_ صموئيل أتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ص 234.

(2) \_ عبد اللطيف محمود محمد، موقع التعليم لدى طربي الصراع العربي الإسرائيلي، ص 14.

(3) \_ المرجع نفسه، ص 14-15.

(4) \_ كان ذلك في روسيا بصفة خاصة، وأهمها جمعية "محبو اللغة العبرية"، وفي سنة 1910م بلغ عددها حوالي ستين جمعية، وقد مارست نشاطها في مدن روسيا المختلفة، فقامت هذه الجمعيات بتنظيم دراسات مسائية حرة، واعداد برنامج دراسي في مدارس "حيدر" الحديثة، كما تأسست جمعية "تربوت" التي هدفت إلى تنمية الثقافة العبرية من لغة وأدب ونشرها بين اليهود. وقد تجلّى نشاطها في إنشاء المدارس العبرية أيضاً. كما مارست بعض الجمعيات اللغوية نشاطها في الجماعات مثل جمعية "قدما إلى الأمام"، وجمعية "أبناء موسى" التي أسسها **أحاد هاعام** بدافع الرغبة في إحياء التراث اليهودي ودعت للعودة إلى فلسطين. محمد أحمد صالح حسين، اللغة العبرية والجهود الصهيونية لإحيائها، مجلة جامعة الملك سعود، كلية اللغات والترجمة، المملكة العربية السعودية، مج 18، (1426هـ-2005م)، ص 24.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وتجلت صهيونيتها في برامجها وروحها، فربت تلامذتها صراحة على الهجرة إلى أرض إسرائيل، وعلى تجسيد الحياة فيها، وأصبحت أرض إسرائيل القلعة المركزية<sup>(1)</sup>.

وقبيل الحرب العالمية الأولى بلغ عدد المدارس العبرية التي تقع تحت إشراف المجلس اليهودي للتعليم 12 مدرسة، فكانت النواة الأولى للنظام التعليمي الصهيوني<sup>(2)</sup> فيما بعد<sup>(3)</sup>.

إضافة إلى ذلك لا يمكن إغفال الدور المحوري المبكر للتعليم الموجه من خلال الأعمال المسرحية - رغم الرفض اليهودي بداية<sup>(4)</sup> التي عملت على امتصاص التباين الثقافي بين يهود الشتات، وكذا المهاجرين، ومواليد الأرض، فلم ينفصل المسرح العبري في الأصل عن أهداف الصهيونية العالمية، فالمسرح التي نشأت في أوروبا عام 1907، وفي وارسو أو في فلسطين هدفت بشكل رئيس إلى أن تكون أداة طيعة لإحياء ونشر اللغة العبرية بين التجمعات اليهودية<sup>(5)</sup>، وكانت أهم أدوات الصهيونية في

(1) \_ تسفي آدار، التعليم اليهودي في إسرائيل والولايات المتحدة، ص 42.

(2) \_ وفقا لما أوردته المصادر اليهودية، جرت المحاولة الأولى لبلورة جميع المؤسسات الموجودة في جهاز واحد خلال فترة الانتداب البريطاني، فأقيمت سنة 1919 دائرة التعليم الرسمية من قبل لجنة المحاور في إسرائيل، وأصبحت على إثرها المنظمة الصهيونية هي سيده التعليم العبري في إسرائيل والمسؤولة عن إدارته العليا، ومن هنا بدأ التعليم يصبح رسميا، كما أصبحت المدارس اليهودية مدارس للاستيطان العبري المنظم، كما أنشئت المدرسة الدينية إلى جانب المدرسة العامة كجزء من شبكة التعليم في إسرائيل، كانت في الأساس تابعة للمركز التعليمي للمنظمة الصهيونية، حصلت على المصادقة والاعتماد من مراكز الكيبوتزات التي جسدت روح التطوع إلى العمل والإنتاج نظريا وعمليا. تسفي آدار، التعليم اليهودي في إسرائيل والولايات المتحدة، ص 55-57.

(3) \_ منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف، التعليم في إسرائيل، سلسلة كتب فلسطينية (22)، بيروت، مركز الأبحاث، م ت ف، سبتمبر 1969، ص 48.

(4) \_ رفض رجال الدين اليهودي العرض المسرحي وتعاملوا معه بعدائية، على أساس أن الرب لا يمكن تجسيده وتشبيهه وعرضه على المسرح، وكان ينظر إلى العديد من الشعوب التي طورت المسرح أنها وثنية وملحدة، ولم ينشأ المسرح العبري إلا مع بداية علمنة المجتمع اليهودي في القرن التاسع عشر، عندما انحلت المؤسسة الدينية اليهودية، ولم تعد السلطة الوحيدة المقررة في حياة اليهود. ليفي شمعون، المسرح الإسرائيلي، الأنا والآخر ومتاهة الواقع، إعداد وتقديم: سلمان ناطور، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، ديسمبر 2006، ص 37-38.

(5) \_ وتعد "مسرحية زروبايل" أول مسرحية عبرية عرضت في مدرسة الأمل (ليميل) في القدس عام 1890، وترجمها دافيد يالين إلى العبرية اليديشية، وكان النشاط المسرحي العبري حتى عام 1905 يتم في المدارس والمستوطنات، ومنذ بداية النشاط المسرحي العبري، وكان هناك تمايز بين المسرحيات التي كتبت بالأصل باللغة العبرية، وبين تلك المترجمة عن اللغات الأخرى. ليفي شمعون، المسرح الإسرائيلي، ص 17.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

إحياء الثقافة العبرية<sup>(1)</sup> بين تلك الأخطا المتباينة في المجتمع الوافد إلى فلسطين.

وفي هذه الفترة حظيت العبرية باهتمام الصهاينة مع اختلاف مذاهبهم السياسية والثقافية والروحية والعملية، إذ لم تقل من حيث أهميتها عن أرض إسرائيل، وكانت الدعوة إلى إحيائها من البنود الأساسية لأي مشروع صهيوني يهدف إلى العودة إلى فلسطين، وقد تضمنت كتابات معظم الزعماء والكتاب الصهاينة الدعوة إليها وإلى "الإحياء القومي"، منهم بن غوريون، الذي قال في مؤتمر عقد في القدس عام 1947: "يجب على كل يهودي مخلص أن يتعلم العبرية، التي تعتبر اللغة المشتركة بين إسرائيل واليهود الذين يعيشون خارجها"<sup>(2)</sup>. وقد آمن بن غوريون بقوة أن يكون دور التعليم أساسيا، معلنا "أن المدرسة التي يتم إصلاحها تقف في مقدمة جبهة المؤسسات التي تهدف إلى تشكيل الجيل الجديد"<sup>(3)</sup>، ومن هنا نلمس دور التربية في خلق ما يمكن تشبيهه بشبكة الاستيطان العبري في الأرض، كذلك أخذ التعليم شكله المحدد كتعليم شامل يهودي وعام معا يقدم باللغة العبرية.

ضمن هذا السياق يبرز أحادها عام دور التربية في تلك الفترة في تحقيق الثقافة القومية اليهودية الواحدة، وبالتالي في استمرار وجود الأمة اليهودية، فيقول: إن الحياة القومية الكاملة تتضمن شيئين اثنين: أولا، فسح المجال للقدرات المبدعة للأمة، من خلال ثقافة قومية خاصة بها. ثانيا، نظام يمكن من خلاله لجميع أفراد الأمة أن يتشربوا تلك الثقافة، وينصهروا بها فيكون تأثيرها عليهم ظاهرا في حياتهم وأفكارهم الفردية والاجتماعية. هذان الجانبان من الحياة القومية لا يمكن تحقيقهما بالدرجة نفسها دائما، ولكنهما بشكل عام يعتمدان على بعضهما بعضا. إذا لم يتشرب الفرد بالثقافة القومية، فإن نمو الأمة سيتوقف وستواجه قدراتها المبدعة الضمور أو التشتت، ومن ناحية أخرى إذا لم تستخدم هذه القدرات في خدمة تنمية الثقافة القومية بشكل كاف فإن تربية الصغار والكبار ستصبح ضيقة وسيتضاءل تأثيرها تدريجيا، وسوف يتجه أفراد كثيرون إلى مصادر أخرى يتمكنون فيها من إشباع رغباتهم الثقافية، مما سيؤدي إلى عدم وجود تأثير للأمة على عقولهم وشخصياتهم<sup>(4)</sup>.

(1) \_ عبد الوهاب شكري، المسرح اليهودي، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، 2008، ص 162.

(2) \_ محمد أحمد صالح حسين، اللغة العبرية والجهود الصهيونية لإحيائها، ص 14.

(3) \_ إيلي بوديه، الصراع العربي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية (1948-2000)، ترجمة عن الإنجليزية: وليد أبو بكر، رام الله،

المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، أوت 2006، ص 28.

(4) \_ أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص 166.

ثانيا: الاهتمام بالتربية بعد قيام الدولة:

جاءت الميزة الأكثر وضوحا للتعليم في هذه الفترة مباشرة من جوهر قيام الدولة، وهي تعزيز الرسمية وتقنين المناهج التعليمية، فقد ظهرت أهمية التربية في المجتمع الإسرائيلي بعد قيام دولة إسرائيل، كونها تمثل صمام الأمان وسياس القوة الأكثر أهمية بالنسبة للوجود المستقبلي لإسرائيل، وبشكل عام لقي تعليم اللغة العبرية الدعم جنبا إلى جنب مع التوراة والقانون الشفوي، كما أولت وزارة التربية في جميع أطوار التعليم، أهمية خاصة بالتعليم الزراعي وفنون الحرب فضلا عن اهتمامها بالعلوم التطبيقية، ولم يختلف في ذلك التعليم الديني أو العام، فكلاهما انصب اهتمامه باللغة والدين واعتبرهما من أبرز مقومات بناء المجتمع الإسرائيلي، واحتلت التربية الدينية مكانا بارزا في المنهاج سواء أكان ذلك في المدارس الدينية أم المدنية، فكثيرا من الموضوعات التي تعالج تحت أسماء مختلفة مثلا دراسة الموطن والتاريخ واللغة العبرية، تدرس من الزاوية الدينية<sup>(1)</sup>، كما اتجه المنهاج إلى التأكيد على تنمية الوعي والحس اليهودي لدى الأطفال<sup>(2)</sup>، بقصد زيادة التركيز على صلتهم بتراثهم القديم من خلال الدراسة الدينية العسكرية<sup>(3)</sup>.

تجدر الملاحظة هنا أن ما تم تسجيله على مسار التربية في إسرائيل هو اهتمام الحركة الصهيونية بتوجيهها نحو تحقيق أهدافها العنصرية التوسعية، من خلال الأدوار المشتركة التي تقوم بها مختلف المنظمات، حيث لم تقتصر التربية في إسرائيل على المؤسسات التعليمية النظامية فحسب، وإنما تتداخل في تكوين الفرد اليهودي الإسرائيلي مؤسسات مجتمعية، كقوى تعليمية مؤثرة فيه.

وهي في مجموعها تعكس جوهر الأيديولوجية الصهيونية وأهدافها العنصرية الاستيطانية، بالتركيز على أحقيتهم في الأرض والتحفيز على الهجرة إليها وترسيخها من منظور توراتي في الوعي اليهودي،

(1) \_ فالهدف من وجهة النظر اليهودية هو الوقوف بواسطة التناخ على ارتباط الشعب بالأرض، ويتجسد ذلك بالاهتمام الواسع بعلم الآثار، عند كثير من معلمي التناخ وينقل ذلك للدراسين، ويرتبط الاهتمام بعلم الآثار بالاهتمام بالتاريخ الإسرائيلي في فترة التناخ والجغرافية التاريخية لأرض إسرائيل، تسفي أدار، التعليم اليهودي في إسرائيل والولايات المتحدة، ص 110-111.

(2) \_ وفي هذا المنوال يذكر تسفي أدار أنه كان يتم التركيز على تجذير الطلاب في ميراث التاريخ بهدف تعميق الوعي اليهودي-الإسرائيلي، وأن يعرف الطالب أنه يهودي إسرائيلي، وأنه يواصل طريقة عيش الشعب اليهودي، وأنه مخلص للشعب اليهودي. تسفي أدار، المرجع نفسه، ص 232-233.

(3) \_ منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف، التعليم في إسرائيل، ص 80. shmuel eisenstadt, israel society نقلًا عن: محمد السيد حسونة، التعليم في إسرائيل، رؤية للماضي وحدود الحاضر، تقديم: مصطفى عبد السميع محمد، ط1، (القاهرة، مركز الكتاب للنشر، 1428هـ-2007م)، ص 145.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

بالإضافة إلى تعميق نظرة الدونية والكرهية للعرب، أضف إلى ذلك المنظمات الناشئة التي كانت وريثة لحركات الشباب الصهيونية بالخارج<sup>(1)</sup> وكانت تهدف إلى تلقين الشباب المعنى العملي للصهيونية، وتنشئتهم وتطبيعهم على حب المستوطنات والتدريب بتربيتهم خارج نطاق الأسرة والمدرسة.

فقد كان للمنظمات الوريثة للحركة الصهيونية دور بارز في تحديد فلسفة التربية في إسرائيل، سواء على مستوى التعليم العام أم التعليم الديني، وسنتناول في هذا المجال أمثلة على بعض هذه المنظمات الأكثر تأثيراً في التربية في إسرائيل، وهي شباب العالية ومنظمة الشباب العسكري ونظام الكيبوتز.

### 1. منظمة شباب العالية<sup>(2)</sup>:

تمثلت أهداف هذه المنظمة في التربية والتأهيل والخدمة الاجتماعية، ثم تطور دورها في الاستيعاب التربوي بعد قيام إسرائيل ليشمل المهاجرين الشباب القادمين دون مرافقة أقاربهم، إضافة إلى الشباب الذين استوطنوا في إسرائيل ولم يحققوا اندماجاً ثقافياً واقتصادياً في المجتمع، حيث توفر المنظمة البيئة الملائمة للشباب بما يمكنهم من تحقيق ذلك، وفي حالات كثيرة تعالج المنظمة مشكلات تربية أبناء المهاجرين بمساعدة وزارة الشؤون الاجتماعية، ووزارة الأديان التي تتكفل بنسبة 50 بالمائة من نفقات التربية، ويعد التشديد على الزراعة والمهن من سمات الإطار التعليمي للمنظمة، وهي ترتبط مع 150 مركز تربوي في الكيبوتز<sup>(3)</sup>.

ومن خلال هذه المنظمة كان يتم إرسال الشباب إلى قرى الشبيبة والكيبوتزات أين يتلقوا إعداداً زراعياً ويتعلمون اللغة العبرية، ومنذ 1948 تم استيعاب الأطفال والشباب من مختلف المدن والقرى النائية، وزيدت الدورات المهنية والفنية، كما تم توسيع الخدمات الطبية، والاجتماعية، والتدريب، والإرشاد الثقافي العام، وكذا الخدمات الدينية، كما تقوم المنظمة بتنظيم معسكرات صيفية، ولا تزال

(1) منها "حركة الأبيض والزرق" في ألمانيا، والحارس الصغير في بولندا وروسيا، و"حركة غوردونيا" نسبة إلى أهارون غوردون 1856-

1922، وحركة شبيبة بورخوف، وبيتار، والمكابين، والحركات الكشفية. محمد السيد حسونة، التعليم في إسرائيل، ص 145.

(2) منظمة يهودية تأسست في 5 مارس 1933 بغرض احتواء وإنقاذ صغار وشباب اليهود من النازية الألمانية، وتربيتهم في إسرائيل تحت رعاية الوكالة اليهودية، ثم توسع نشاطها وأصبحت تعرف بعدئذ باسم منظمة التربية والتأهيل على التدريب ORT، أفرام ومناح تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ص 334-335.

(3) محمد السيد حسونة، التعليم في إسرائيل، ص 156-158.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

اهتماماتها بأبناء المهاجرين اليهود الجدد قائمة، خاصة أولئك الذين لم يتأهلوا اجتماعيا وثقافيا<sup>(1)</sup>.

### 2. منظمة الشباب العسكري:

يتمثل ذلك في الدور الرئيسي الذي تقوم به المنظمتان (الجدناع<sup>(2)</sup> والنحال<sup>(3)</sup>) في تربية وتكوين الشخصية الإسرائيلية، بحيث اعتبرت أداة لدمج الفئات الاجتماعية داخل إسرائيل، إلى جانب تغذية أفكار الشباب بالأيديولوجيات والقيم الصهيونية، فكانت تقوم بالدور التعليمي الذي يخدم الفكر الصهيوني ويحقق الدمج والانصهار من خلال تعليم اللغة الواحدة، والانضمام إلى الجيش، وتلقين التاريخ والثقافة بطريقة واحدة<sup>(4)</sup>، وقد تبنى نشاط الجدناع في 110 مدرسة عامة، و100 مدرسة مهنية، و30 مدرسة زراعية، وفي نحو 250 صف من الصفوف الإضافية الملحقمة بالتعليم الابتدائي، وقد وصل أعضاء المنظمة في عام 1969 إلى 80 ألف من الفتيان والفتيات، وبالتعاون المشترك مع وزارة التربية والثقافة، ووزارة الدفاع<sup>(5)</sup>.

اهتمت قيادات "منظمة الجدناع" منذ تأسيسها بتدريب الشبيبة على استعمال الأسلحة الخفيفة والتدريبات الميدانية كخطوة في التحضير إلى الانخراط في الخدمة العسكرية الاجبارية، التي يتم تنظيمها وتفعيلها في المدارس فوق الابتدائية، حيث يشمل التدريب العسكري الطلاب والطالبات في مرحلة

(1) \_ أفرام ومناحم تلمي، مصدر سابق، ص 334-335.

(2) \_ اختصار للكلمتين (جدودي نوعار )، (كتائب الشبيبة) تأسست العام 1936 في أعقاب اندلاع الثورة العربية الفلسطينية، وأقيمت لدعم عمل الهاغاناه، وتشكلت من الشبيبة اليهودية بين 14 و17 عاماً، وأوكلت إليها مهام إجراء الاتصالات ونقل المعلومات اللازمة للكتيبة، وبقيت الجدناع كتيبة داخل الجيش الإسرائيلي بعد قيام إسرائيل، ومع عام 1950 تحولت إلى منظمة رسمية بإشراف من وزارتي الدفاع والتربية والثقافة، وقد استخدمت في بث القيم الصهيونية حنبا إلى حنب مع تعليم العبرية للوافدين الجدد، بهدف صهرهم في بوتقة واحدة من خلال تربية عسكرية موحدة. جوني منصور، موسوعة الأعلام والمصطلحات الصهيونية، ص 154.

(3) \_ اختصار للعبارة العبرية "نوعار حالوتسي لوحيم"، التي تعني "الشباب الطلائعي المحارب"، وهو تنظيم عسكري تأسس عام 1948 يستهدف إنشاء مستعمرات، بالإضافة إلى مشاركته في استصلاح الأراضي واستجلاب المهاجرين الجدد، وتكوين إطارات عسكرية وأخرى أيديولوجية. عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص 391.

(4) \_ إياد القزاز، الجيش والمجتمع في إسرائيل. مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، مركز الأبحاث م. ت. ف، العدد 5، نوفمبر 1971، ص 161.

(5) \_ إياد القزاز، التوجيه العسكري للمجتمع الإسرائيلي، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، مركز الأبحاث، م. ت. ف، العدد 39، نوفمبر 1971، ص 108.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

التعليم الثانوي، وبالإضافة إلى ذلك تنظم وزارة التعليم والثقافة الإسرائيلية معسكرات صيفية<sup>(1)</sup>، لإتمام تلك التدريبات ويستمر ذلك لمدة 40-50 يوماً<sup>(2)</sup>.

في حين هدفت منظمة النحال شبه العسكرية إلى تدريب الشباب، من خلال مزج الحياة العسكرية والزراعية في آن واحد، وينعكس ذلك في شعارها، وهو سيف يرمز إلى القتال، ومنجل يرمز إلى المستوطنات الزراعية<sup>(3)</sup>، كما أسهمت بقدر كبير في نشر اللغة العبرية، والتاريخ اليهودي، وتاريخ (فلسطين) إسرائيل بين المهاجرين اليهود الجدد<sup>(4)</sup>.

### 3. تنظيم الكيبوتز:

ويعتبر الكيبوتز صورة حياتية من صور الاستيطان العامل في أرض إسرائيل، وكخطوة أولى من أجل بناء مدارس زراعية، وحامية إسرائيلية عسكرية لتدريب الشباب اليهودي على فلاحه الأرض، وكان أول من دعا إلى ذلك أهارون. ديفيد غوردن<sup>(5)</sup>، الذي كان له أثر على رواد الهجرة الثانية، سعى من خلالها إلى دفع اليهود إلى الهجرة، حيث كانت تعاليمه مستوحاة من الرغبة في رفض المنفى بشكل عام والحث على حياة جديدة في فلسطين من جهة أخرى، وفي الوقت ذاته الدعوة إلى تكوين حراس

(1) تُعدّ الجدناع طلاب الفصل الحادي عشر، بواسطة تدريب عسكري، برنامجاً يستغرق خمسة أيام، يواجه التلاميذ خلالها معنى الممارسة العسكرية، ويتضمن ذلك: انقطاعاً عن الوطن والحياة المدنية، انضباطاً عسكرياً، روتيناً يومياً بنوياً، وضغط وقت، ... أنشطة عسكرية مثل: البقاء في الميدان، إطلاق النار، وأنشطة تعليمية مثل: التعلّم عن حروب إسرائيل. (مارسيليو سفيرسكي، ما بعد إسرائيل (نحو تحول ثقافي)، ترجمة: سمير عزت نصار، مراجعة وتدقيق: حسام موصلي، د. ط، (إيطاليا-ميلانو، منشورات المتوسط، د. ت)، ص112.)

(2) محمد السيد حسونة، التعليم في إسرائيل، ص107.

(3) إياد القزاز، التوجيه العسكري للمجتمع الإسرائيلي، ص108.

(4) محمد السيد حسونة، التعليم في إسرائيل، ص205.

(5) (1856-1922) روسي، ولد في بيئة تقديس العمل الزراعي، انتمى إلى حركة أحباء صهيوني في وقت مبكر، وعلى إثر ذلك سافر إلى فلسطين عام 1904، واشتغل في الأرض في إحدى المستوطنات اليهودية، وهو صاحب فلسفة "دين العمل"، اعتقد غوردن أن خلاص الإنسان- اليهودي خاصة- لا يتم إلا بالعمل الجسدي كضرورة نفسية وروحية، ومن هنا تمحورت دعوته حول ضرورة استعمار أرض فلسطين وتحقيق الخلاص المنشود لليهود تحت راية دين العمل الجديد، ، وكان من معارضي انضمام شباب اليهود في الحرب العالمية الأولى، من منطلق رفضه للعسكرة من أساسها. (أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، مرجع سابق، ص253. وجوبي منصور، معجم العلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص222.)

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

عسكريين من الشباب القومي لحماية تلك المدارس<sup>(1)</sup>، أما تنظيمياً فتنتطق التربية الكيبوتزية ذات المستوى العالي، والتي يتبع بعضها حزب العمل وبعضها الآخر لحزب المابام<sup>(2)</sup> -تحت إشراف وزارة التربية- من مرحلة الحضانة، وتقضي بغرس العقيدة الصهيونية وتعزيز القدرة العسكرية القتالية للدفاع عن إسرائيل، كما يتم تغذيتهم بالروح العدوانية، مع تثبيت الولاء التام للدولة اليهودية وكرهية الأعداء<sup>(3)</sup>.

يبدو ذلك جلياً في حديث بن غوريون عن أمن إسرائيل حينما قال: إن المشكلة الرئيسية التي تواجه جيشنا هي ضرورة توفير التفوق النوعي الحاسم، ولن يستطيع هذا الجيش أن يحافظ على الأمن القومي للدولة، إلا إذا تميز بروح معنوية وقدرات فكرية عالية، وأن يعمل هذا الجيش على خلق روح الريادة القتالية للشباب الممتلئين بالقدرة على المبادرة والشجاعة<sup>(4)</sup>...، ولتحقيق ذلك كان يتم فرض التدريب الزراعي داخل القوات المسلحة بغرض إنشاء مستعمرات الحدود التي بدونها لا يتحقق أمن الدولة... " (5).

وكذلك سعت الصهيونية من خلال عبرة العمل إلى خلق شخصية يهودية جديدة تختلف جذرياً عما عرف عنها في الشتات، كشخصية انطوائية طفيلية لا تتوافق وتطلعات المشروع الصهيوني على أرض فلسطين، رغم أن ذلك أوقعها في تناقض شديد بين الدعوة إلى الطبيعة، "لنكن شعباً مثل سائر الشعوب"، وبين البعد عنها بغرز مفاهيم الكراهية والعنف في النفس اليهودية، حيث تسببت دعوتها إلى العنف في خلق مجتمع متعلق بتلايب الصراع من أجل الحياة<sup>(6)</sup>.

(1) \_ عبد الوهاب الكيالي، الكيبوتز أو المزارع الجماعية بيروت، مركز الأبحاث، م.ت. ف، 1966، ص 17.

(2) \_ خالد أبو عصب، التربية والتعليم والبحث العلمي، في دليل إسرائيل العام 2011، ط1، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2011)، ص 416.

(3) \_ عبد الوهاب الكيالي، الكيبوتز أو المزارع الجماعية في إسرائيل، ص 180.

(4) \_ تم التركيز على هذه القيم في بنود المؤتمر الصهيوني التاسع الذي انعقد في هامبورغ عام 1919، حيث أقر المؤتمر بضرورة إنشاء المشاف والكيبوتز كقلاع عسكرية تربوية، بهدف تربية الفرد الإسرائيلي منذ الطفولة، وتشكيل النموذج الصهيوني الجديد، المؤهل فكرياً للاستيطان والاستيعاب والذي تغرس فيه قيم القتال وشرعية العنف عبر مختلف الوسائل، حتى يشيد مجتمع القلعة الذي يثبت وجوده بالحروب. (علي رؤوف، نظرة الإسرائيليين إلى أنفسهم، وإلى الشعوب الأخرى، وخاصة العرب، ودور التربية في تكوين تلك النظرة، في الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي، ص 312.)

(5) \_ محمد السيد حسونة، التعليم في إسرائيل، ص 41.

(6) \_ عمرو عبد العلي عام، المجتمع الإسرائيلي وثقافة الصراع، ط1، (القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2007)، ص 5.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

نجحت الصهيونية في حشد الشباب المهاجرين ليصبح امتهان الزراعة في فلسطين مثلهم الأعلى، وصيغت الخطوط الأساسية للشخصية اليهودية الجديدة، متمثلة في استعدادها التام من أجل التضحية، بالتأكيد على العمل القوي، كما أن ذات المسألة خلقت لديهم الاستعداد لتحمل المشاق داخل الكمبيوتر لإنجاح الأمل الصهيوني بحملهم رسالة عقائدية، وخلق مسؤولية الاستيطان، والسيطرة على مجتمع غريب عنه ومعادي له، والقيام بانتزاع أرضه منه، الأمر الذي جعل كثير من الباحثين يتفقون على الدور الرئيسي الذي لعبه التنظيم الكيبوتزي في تجسيد الفكرة الصهيونية على أرض الواقع<sup>(1)</sup>. إضافة إلى العمل الثقافي الإبداعي، وإحياء اللغة العبرية، وبعث الثقافة العبرية، وكان الهدف من ذلك هو ربط النمط اليهودي الصهيوني - الجديد - بتاريخه الماضي وواقعه الحاضر<sup>(2)</sup>.

كذلك كان أبرز ما ركزت عليه التربية الكيبوتزية هو تنمية المفهوم الصهيوني للديمقراطية بين الناشئة، وكذا تنمية روح التعاون وتشجيعهم على العمل اليدوي والجسدي كثورة على نمط الحياة اليهودية في المنفى، وكتطبيق لشعار "استعادة الأرض والعودة إليها"<sup>(3)</sup>، بل اعتبر التعليم الكيبوتزي في نظر وزارة التربية الإسرائيلية سلطة تعليمية محلية لها حق الاشتراك في إدارة النظام التعليمي وتنظيمه<sup>(4)</sup>.

### 4. نظام التعليم الحديث:

بدأت عملية تطوير هذه الاتجاهات التربوية الصهيونية، مع الشروع بإنشاء المستعمرات والمستوطنات اليهودية على أرض فلسطين عام 1870م، تماشياً مع مبادئ الحركة الصهيونية وأهدافها إلى جانب المشاريع الاستيطانية، وظهر ذلك في برنامج العودة إلى صهيون، ومحبة صهيون، مع بدء إقامة الأحياء اليهودية على أرض القدس في النصف الأول من القرن التاسع عشر<sup>(5)</sup>، فتم فتح أول مدرسة للبنات اليهوديات في القدس عام 1864 على نفقة "عائلة روتشيلد"، وبإدارة الجمعية اليهودية البريطانية، كما عملت الوكالة اليهودية للاستيطان على تأسيس مراكز تعليمية لحو الأمية، إضافة إلى

(1) \_ باسم سرحان، التربية والتنشئة في الكيبوتز، في الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي، ص 368-369.

(2) \_ رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص 72-73.

(3) \_ عبد الوهاب الكيالي، الكيبوتز أو المزارع الجماعية في إسرائيل، ص 16.

(4) \_ موسى حنا عتز، الكيبوتز من الداخل، دراسة سياسية وإدارية، بيروت، مركز الأبحاث، م. ت. ف، ديسمبر 1970، ص 32.

(5) \_ خليل السواحري وسمير سمعان، التوجهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية (دراسة)، ط 1999، (دمشق، منشورات اتحاد

الكتاب العرب، 2004)، ص 10.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

تدريس اللغة العبرية، وساهمت منظمة صهيون الروسية من جانبها بإدارة بعض المؤسسات التربوية اليهودية في فلسطين<sup>(1)</sup>، ثم تكفلت الجمعيات الخيرية اليهودية والصهيونية في أوروبا بإنشاء وفتح مدارس يهودية بلغة البلد، فأنشئت أول مدرسة زراعية "أمل إسرائيل" على يد الاتحاد الإسرائيلي العالمي عام 1870 بالقرب من مدينة يافا، وبلغ عدد مدارس الاتحاد الاسرائيلي 14 مدرسة عام 1914، بينما كان للجمعيات اليهودية الألمانية حصة الأسد في إنشائها لـ 27 مدرسة عام 1913 اشتملت على رياض الأطفال، ومعهد لتدريب المعلمين<sup>(2)</sup>.

بعد أن كانت المحهودات في تطوير المنظومة التعليمية-قبل قيام الدولة الجديدة- فردية<sup>(3)</sup>، نشطت الجمعيات الصهيونية -بعد قيام إسرائيل- بمساعدة الجمعيات الدينية المتعصبة في العالم، في تشكيل نظام التعليم في إسرائيل، مثل جمعية المعلمين العبريين<sup>(4)</sup>، حيث تبنت وزارة التربية، والتعليم، والثقافة ما أملته جمعية المعلمين العبريين من حيث تنظيم المدارس والمناهج، وأيقن الإسرائيليون أن قوتهم تكمن في تقدمهم الكمي، والنوعي، المعرفي، فاستلزم ذلك من قادة إسرائيل أن ينظروا إلى التربية والتعليم نظرة جدية لبناء كيانهم الحربي، وكان أول عمل قامت الدولة الجديدة به هو فرض نظم التعليم الإلزامي بهدف حماية المجتمع الجديد من الانقسام، وقد تم ذلك من خلال توحيد اللغة العبرية وتوحيد التعليم اليهودية التلمودية<sup>(5)</sup>.

وحيثما أدركت إسرائيل دور وأهمية التربية في تحقيق كينونتها، قامت بتسليط الأضواء على تفعيل جهاز التعليم بكل اتجاهاته ومستوياته وأطواره، باعتباره صمام الأمان الذي يضمن لها السلامة والاستمرارية، فأهميته لا تقل في نظر القادة الصهيونية عن توفر السلاح العسكري، بل يعد من مستلزمات الدفاع الوطني، ودوره يفوق دور الدبابات على حد قول الصهيوني جاكوب كلاتزمان؛ "... ودبابات السنتوريون تؤلف عاملا من عوامل الأمن والسلامة بالنسبة للمستقبل القريب، لكن المدرسة والجامعة

(1) - سمير هوانة، نظام التعليم العام في الكيان الإسرائيلي، التطور الكمي والنوعي في التعليم العام حتى بداية الثمانينات، في الأبعاد التربوية للصراع العربي-الإسرائيلي (وقائع المؤتمر العلمي الذي نظمتها كلية التربية بجامعة الكويت)، ط1، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، جويلية 1986)، ص 246.

(2) - منير بشور وخالص مصطفى الشيخ يوسف، التعليم في إسرائيل، ص 48.

(3) - المرجع نفسه، ص 48-49.

(4) - أنشأها مناحيم يوسيشكين عام 1903. (سمير هوانة، نظام التعليم العام في الكيان الإسرائيلي، التطور الكمي والنوعي في التعليم العام حتى بداية الثمانينات، ص 247.)

(5) - سمير هوانة، المرجع نفسه، ص 247-254.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

هي العوامل الأكثر أهمية بالنسبة للمستقبل البعيد... وإذا ما ابتلي المستوى الثقافي في إسرائيل بالركود والجمود، بينما يأخذ مستوى الأعداء بالصعود تدريجياً، فإن أيام استقلال إسرائيل هي معدودة... إن التربية هي أيضاً من مستلزمات الدفاع الوطني" (1).

أكد وزير وزير التربية والتعليم الإسرائيلي السابق **زبولون هامر** على أهمية التربية الروحية - تحديداً - في المجتمع الإسرائيلي، مبرزاً دورها في صمود إسرائيل - في المستقبل - أمام مختلف التحديات: "إن صمودنا أمام التحدي الكبير الذي يواجهنا، يتمثل في مقدرتنا على تربية قومية مرتبطة بالتعاليم الروحية اليهودية" (2)، "تربية يتقبلها الطفل رغباً وليس مكرهاً، وعلى جهاز التعليم الرسمي والشعبي أن يتحمل التبعة الكبيرة أمام التحديات التي تواجه إسرائيل" (3).

كما أكد **بن غوريون** على التربية اليهودية كشرط جوهرى للوجدان المشترك بين يهود العالم... وتصعيد رؤيا الخلاص كحل لمعاناة اليهود، مع التركيز - من وجهة نظره - على ضرورة توثيق الصلات الشخصية بين يهود العالم ودولة إسرائيل في مختلف المجالات والأشكال، "من الزيارات، التوظيف، إرسال الأطفال والشباب والطلاب للدراسة في إسرائيل، إلى تدريب خيرة شبابنا وعلمائنا للانضمام إلى صفوف البنائين والمدافعين عن إسرائيل" (4).

فتنمية الثقافة اليهودية وبعثها بالنسبة بن غوريون وباقي القيايدات الصهيونية لن يتحقق إلا بتعزيز الوجدان اليهودي، وتعميق جذوره بماضيه المتمثل في التراث الروحي.

فقد تجلّى هذا الدور الجوهرى للتربية في بناء المشروع الصهيوني بوضوح، في تصريح **إسحق**

(1) \_ أسعد رزوق، في المجتمع الإسرائيلي - محاولة أولية لدراسة التناقض والتكامل من زاوية علماء الاجتماع في إسرائيل وخارجها، د. ط، (القاهرة: قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، 1971) ص 89-90.

(2) \_ فقد شبه **شمعون أفيزيموري** في المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين (1968) العلاقة بين الحركة الصهيونية وبين التربية بالعلاقة بين الشكل والمضمون، وأن الحركة الصهيونية بجميع مؤسساتها، وأقسام الوكالة الصهيونية هي الإطار أولاً وأخيراً، وأما التربية فهي الروح وهي الجوهر، و"بالطبع فإن التربية دون إطار ستكون تصميمياً دون شكل ودون مقاييس ودون حدود، وأما الإطار بغير مضمون وبغير تربية تليق به، فهو إطار لا شكل له ولا منظر. (سعيد إسماعيل علي، "خصائص التعليم العام في الوطن العربي ودورها في مواجهة التحدي الإسرائيلي"، في الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي، ص 105.)

(3) \_ محمد السيد حسونة، التعليم في إسرائيل، ص 22.

(4) \_ المرجع نفسه، ص 43.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

رابين رئيس الأركان في حرب 1967، عندما كان سفيرا بواشنطن عام 1969 بقوله: "لا تزال العوامل التي أوصلتنا إلى النصر سنة 1967 هي نفسها اليوم، كما أنها لا تزال لمصلحتنا، إن خلق جيش حديث يفترض وجود بلد وشعب متقدمين في الهيكل الاجتماعي والتربية وطريقة الحياة بكاملها... " (1)، كذلك أكد وزير المعارف والثقافة إيغال ألون في في خطاب له في الكنيست عام 1970، على الدور الهام للتربية والتعليم في تنفيذ المشروع الصهيوني، الذي يعد انعكاسا لهوية جماعية ليهود العالم، وتحقيقا لخلاص الشعب اليهودي، بقوله: "إن لجهاز التربية والتعليم دورا حاسما في قدرتنا على الثبات... إن تعميق الجذور الروحية والفكرية لأجيال الدولة يتطلب تعميق معرفتهم، وتضامنهم مع تلك الفترة المجيدة في إسرائيل، والتي سبق قيام الدولة، والتي لا تقل في مدلولها القومي عن أهمية الخروج من مصر أو عودة صهيون، وعندما يتعمقون في هذه المواضيع سيعلم الجيل الناشئ من أين جئنا... ، ولماذا نحن هنا... وإلى أين نتجه. إن هذه المهمة ملقاة على عاتق جهاز التربية والتعليم في الدرجة الأولى (2).

ومن هنا تبدو لنا بوضوح الصلة الوثيقة بين أهداف الصهيونية وبين أهداف التعليم، وحاجات المجتمع وأوضاعه، فأهداف التربية كما تحددها الصهيونية ليست خدمة الإنسان ذاته، حيث يتبين لنا أن الاهتمام بمختلف المؤسسات التربوية التعليمية الدينية، والمدينة، والتكوينية، في الإطار الذي يخدم المشروع الصهيوني، كان من أولويات إسرائيل واهتماماتها، وكان الهدف من ذلك هو إلقاء الضوء على الرابطة الحميمة بين المشروع الصهيونية وإسرائيل.

وللأهمية بمكان أن هذه الأفكار تجسدت في التعديلات التي قام بها زفولون هامر حينما كان وزيرا للتربية والتعليم، بإدخاله برنامج تعليمي في المنهاج في السنة الدراسية 1977/1978 أطلق عليه، "دولة إسرائيل قاعدة لإدراك الصهيونية" (3)، وعلى هذا الأساس نشطت وزارة المعارف والثقافة في تعميق الوعي القومي اليهودي لدى الطلاب اليهود، بتلقينهم بأن لهم الحق في أرض فلسطين دون غيرهم، بما يخلق لديهم قوة التمسك بها، وكانت القرارات التي اتخذتها الصهيونية من أجل ذلك هو دفع كل صهيوني بأن يلزم نفسه بتزويد أولاده بتربية يهودية كاملة، وأن يُعَدَّ أبناءه للهجرة والاستيطان في إسرائيل، لأن

(1) \_ إلياس زين، التربية والمعركة، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، مركز البحوث، م. ت. ف، العدد 55، مارس 1976، ص 158.

(2) \_ محاضر الكنيست 1970/6/15، عن وائل أمين القاضي، التربية في إسرائيل دراسة في البنية التربوية للشخصية الإسرائيلية، دراسات تربوية (1) نابلس، مركز البحوث والدراسات التربوية، 1994، ص 15.

(3) \_ إيلي بوديه، الصراع العربي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية، ص 78.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الوجود اليهودي كوحدة مميزة بدون التربية اليهودية سيكون لا محال عرضة للخطر<sup>(1)</sup>. ، وحتى الباحثون أمثال راشيل ألويم. درورن ممن نظروا إلى التعليم كتحد قومي بعد الهجرة والاستيطان، يعترفون بأن: التعليم يفترض أن يخدم الأهداف السياسية للحركة القومية، وأن يعمل كأداة سياسية لصالح التغيير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وكان يفترض في التعليم أن يوفر عمالاً للزراعة، وللورش، والصناعة، من أجل تغيير البنية الوظيفية للمجتمع اليهودي، وأن ينتج يهودياً جديداً<sup>(2)</sup>.

يفهم مما سبق أن الحركة الصهيونية لم تفصل بين البعد التربوي للتعليم وبين أبعاده السياسية، بل أولت اهتمامها بالتعليم في الإطار الذي تحفظ فيه الأيديولوجية الصهيونية، وهو ما تجسد في أهداف التعليم الإسرائيلي

### المطلب الثاني: أهداف ومضامين التربية والتعليم في إسرائيل:

#### أولاً: أهداف التربية والتعليم في إسرائيل:

تجلت الأهداف التربوية العامة للمجتمع الإسرائيلي، في إطار النهوض بواقع اليهود عالمياً في: تكوين مجتمع موحد من أشقات اليهود التي تجمعت في أرض فلسطين، وبناء دولة تملك أسباب القوة المادية والروحية، وكذا المحافظة على التراث اليهودي، وتعميقه بين الناشئة اليهود في إسرائيل، وبذلك تحول إسرائيل مركز الاتصال بين يهود العالم والممثلة الرئيسية للشعب اليهودي.

فقد تم تحديد أهداف التربية والتعليم الرئيسية<sup>(3)</sup> في إسرائيل بصياغتها في قانون التعليم الإسرائيلي الذي صدر سنة 1953 على النحو التالي: "إرساء الأسس التربوية على قيم الثقافة اليهودية ومنجزات العلم، وعلى محبة الوطن، والولاء للدولة وللشعب اليهودي، وعلى ممارسة الزراعة والحرفية، وعلى التهيئة لوجود رائد، والعمل على تشييد مجتمع تسوده مبادئ الحرية، والمساواة، والتسامح، ومحبة الجنس

(1) \_ وائل أمين القاضي، التربية في إسرائيل، ص 15-16.

(2) \_ إيلان غور زئيف، المدرسون وبناء الأمة الاسرائيلية، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، قضايا إسرائيلية، سبتمبر 2005، العدد 19، ص 76.

(3) \_ يرى الباحثون أن ما تشكله المادة السابقة لقانون التعليم الإسرائيلي، يعرف بالأهداف المعلنة للتعليم الحكومي، وهي لا تمثل حقيقة ما ترمي الصهيونية إلى تحقيقه من خلال جهاز التربية والتعليم، ذلك لأن الارتباط بين الأهداف الفعلية للحركة الصهيونية وإسرائيل، وبين التربية الصهيونية هو أبعد بكثير من هذه الأهداف، إذ إنها لا تمثل كل الأهداف المطلوبة من التربية والتعليم الإسرائيلي. وائل أمين القاضي، التربية في إسرائيل، ص 51.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

البشري"<sup>(1)</sup>. على ان هذا القانون الذي نص على قيام التعليم الابتدائي على أساس قيم الثقافة اليهودية، والإخلاص للدولة والشعب اليهودي، وأعلن عن وجوب غرس حب الدولة في قلوب التلاميذ، وحمايته<sup>(2)</sup>، فإنه في عام 1975، كان أحد أهم أهدافه في الأطوار الثلاثة، خاصة في النظامين الديني والعام، هو تثبيت القيم الصهيونية، بغرس حس التماهي مع الشعب والوطن والأمة، والذي بقي هدفا رئيسيا طرحته وزارة المعارف بين 1994-2000، حيث أخذ الصراع العربي الإسرائيلي مكانه في جهاز تعليمي يهدف إلى تأكيد الهوية اليهودية والصهيونية<sup>(3)</sup>

ويمكننا تحديد طبيعة أهداف التعليم في إسرائيل إجمالاً فيما يلي:

### 1- خلق الاستعداد من أجل التوسع الاستيطاني:

فضلاً عن كون التعليم في إسرائيل يمثل القوة الداعمة والحاكمة والموجهة للعقول، فإنه عمل باستمرار على تغذية تلك العقول بمبادئ التربية الصهيونية، بما يحقق الولاء للدولة، وخلق حرية الانتقام الفوري والعنيف من كل يعارض الأيديولوجية الصهيونية، أو يشكل عائقاً أمام تحقيق غاية إسرائيل الكبرى<sup>(4)</sup>، ومنه تنبع خصوصية التعليم في إسرائيل من طبيعتها المختلفة التي قامت على الاستيطان بالتوازي، مع تصفية وتهجير الشعب الفلسطيني، مما جعل لهذه المنظومة دور محوري في استمرارها ككيان

(1) \_ منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف، التعليم في إسرائيل، ص41.

(2) \_ تمثل ذلك في تحديد الخطط الدراسية، والإشراف على تنفيذها، بهدف تحقيق التكتل بين مختلف الفئات الاجتماعية، بما في ذلك فئة المهاجرين الجدد لتصبح شعباً واحداً، وقد تمت بلورتها عام 1955، وبمحاولة تحديد الخطة التعليمية: شعب واحد، جهاز تعليم واحد، خطة واحدة، قبل أن يتم إقرار قانون التعليم الرسمي، وخلال فترة الشييفا عملت مختلف المدارس بملكية فئات حزبية حيال ما يعرف بطريقة التيارات، وهي؛ التيار الديني للصهيونية الدينية ممثلاً في حزب مزراحي وهوعيل مزراحي، والثاني؛ هو تيار العمال التابع لحركة العمل وعلى رأسه حزب مباي، والثالث؛ هو التيار العام لحزب الصهيونيين العموميين، فألغى القانون الرسمي للتعليم هذه التيارات، بحيث أصبحت وزارة التعليم هي المسؤولة عن البرامج التعليمية، وعن التمويل والتفتيش، وعن تدريب المعلمين. كما سعت سلطة الدولة إلى تقريب التعليم العام من التعليم الديني، إضافة إلى إدخال قيم حركة العمل إلى التعليم العام، مع بقاء التعليم في النظام الكيبوتزي حراً. تسفي أدار، التعليم اليهودي في إسرائيل والولايات المتحدة، ص58-59. وحاييم أدلر، جهاز التعليم كميلور للقوة، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، قضايا إسرائيلية، العدد29، أبريل 2008، ص8.

(3) \_ إيلي بوديه، الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية، ص54.

(4) \_ صفاء محمود عبد العال، تربية العنصرية في المناهج الإسرائيلية، مراجعة وتقديم: حامد عمار، ط1، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1425هـ-2005م)، ص25.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

في حد ذاته، وليس القيام بالتنشئة الاجتماعية والسياسية<sup>(1)</sup>،

إن التربية في إسرائيل تعكس تطلعات المجتمع الإسرائيلي، ومطالبه المؤسسة على استجلاب يهود العالم من مجتمعاتهم الأصلية، وصهرهم في بوتقة واحدة في فلسطين، وفقاً لما حددته الأيديولوجية الصهيونية.

فقد هدفت المنظومة التربوية إلى تكوين الاستعداد للاحتلال وممارسة العنف لدى الأجيال الإسرائيلية اليهودية القادمة، وذلك بحجة انقاذ الأرض، بالتركيز على افتعال الصلة التاريخية بين الصهاينة، وبين الإسرائيليين منذ ألفي عام، والإيمان بأحققتهم في أرض فلسطين (إسرائيل)، وملكيتهم لها، أي خلال تأكيد الحديث عن الحقوق التاريخية والدينية في أرض إسرائيل التاريخية<sup>(2)</sup>، فهي الوطن الذي تنبغي العودة إليه والارتباط به، ومن هنا كان اهتمام إسرائيل بتوفير العمل اليدوي والتعليم الزراعي، لربط الأجيال المستقبلية بالأرض، فنشأت فلسفة "دين العمل"، الذي باشره رواد الصهيونية أنفسهم، حتى وصل إلى حد العقيدة الدينية، في حين لم تول إسرائيل اهتمامها بالعمل التجاري، فلا يوجد له أثر بارز في كتب التعليم<sup>(3)</sup>.

يفسر ذلك بتاريخ التعليم الثانوي الزراعي، كأقدم أنواع التعليم الثانوي في إسرائيل، وتعد مدرسة "أمل إسرائيل" التي يعود تأسيسها إلى عام 1870 أول مدرسة زراعية ثانوية يهودية في فلسطين، فقد اهتم الصهاينة بالتعليم الزراعي بشكل كبير مستخدمين في ذلك شعار "العودة إلى الأرض" وسيلة لتكثيف الاهتمام به من أجل استغلال الأرض وتوثيق صلة المهاجرين بها، وترسيخ الشعور بالانتماء. بل كان تزايد هذا النوع من التربية متناسباً طردياً مع زيادة المهجرات الصهيونية إلى فلسطين<sup>(4)</sup>. وكانت لدى القيادة الكيبوتزية مصلحةً بنوعية في توسيع وزيادة إمكانيات الاستيطان الزراعي المرتكز إلى العمل الذاتي؛ خاصةً في مناطق الأطراف النائية<sup>(5)</sup>.

(1) \_ عماد جاد، من داخل إسرائيل الآن ومنذ نصف قرن، ص 229.

(2) \_ وائل أمين القاضي، التربية في إسرائيل، ص 60. وصفاء محمود عبد العال، تربية العنصرية في المناهج الإسرائيلية، ص 140.

(3) \_ صالح عبد الله سرية، تعليم العرب في إسرائيل، بيروت، مركز الأبحاث، م. ت. ف، جوان 1973، ص 39.

(4) \_ منير بشور وحالد مصطفى الشيخ يوسف، التعليم في إسرائيل، ص 106.

(5) \_ دانييل دي ملاح، الكيبوترات وصراع السيطرة اليهودية على الأرض، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، قضايا إسرائيلية، العدد 64، جانفي 2017، ص 79.

## 2. العسكرية وتوحيد اليهود داخل وخارج إسرائيل:

سعت الصهيونية إلى القضاء على مشكلة تعدد الأصول الحضارية في المجتمع الإسرائيلي، ضمانا لديمومة الهجرة اليهودية، وتوفيرا للدعم المادي لإسرائيل خاصة من يهود الشتات، وذلك بتعزيز الانتماء إلى الشعب اليهودي، والفعالية في الحياة اليهودية من الطائفة التي يعيش داخلها اليهودي إلى عموم إسرائيل<sup>(1)</sup>. كما عمل جهاز التربية والتعليم على إلغاء الاتجاهات الحزبية والادعاءات الحزبية من جميع المدارس، نتيجة التركيبة الفسيفسائية للمجتمع، حتى لا تتحول إسرائيل إلى أشلاء، وهو ما يهدد الوحدة العضوية المفترضة<sup>(2)</sup>، وتحقيقا لهذه الوحدة تم فتح "مدارس شباب العالية" بهدف صهر أبناء المهاجرين الجدد، والاهتمام بالطفولة، "دور الحضانة- الروضات"، باعتبار أن عملية الصهر لدى الأطفال أسهل وأضمن. والجدير بالذكر هنا أن حضانات الأطفال من سن 1-3 سنوات هي عبارة عن مؤسسات خاصة تشرف عليها منظمات نسائية صهيونية مثل: منظمة "نعمة" التي تسيطر على معظم رياض الأطفال، والمنظمة العالمية للنساء الصهيونيات "ويزو"، ومنظمة النساء المتدينات التابعة لحزب المفدال المتطرف "إمونا"، وجمعية "إل همعيان" التابعة لحركة شاس<sup>(3)</sup>، فضلا عن ذلك توجه اهتمام جهاز التعليم إلى النشاطات الاجتماعية اللاصفية، مثل الكشافة، النوادي والرحلات<sup>(4)(5)</sup>.

لقد كان الربط بين الماضي المتخيل والحاضر (المختلق) من مستلزمات بناء المشروع الصهيوني،

(1) \_ تسفي أدار، التعليم اليهودي في إسرائيل والولايات المتحدة، ص 295.

(2) \_ عماد جاد، من داخل إسرائيل الآن ومنذ نصف قرن، ص 230.

(3) \_ خالد أبو عصبه، التربية والتعليم والبحث العلمي، ص 380.

(4) \_ يؤكد مارسيلو سفيرسكي أن أصول التزهة مثلا تدار في وزارة التربية والتعليم بما يعرف بـ شيلاح ShelahK في Yediat ha-Aretz، وشيلاح هي الحروف الأولى لـ "ميدان أمة أو مجتمع" وتعني معرفة البلاد، ويدرس هذه البيداغوجيات المركبة في الفصل الدراسي وفي الميدان مغطية التزهات وأنشطة الرحلات من الحضانة وحتى نهاية المدرسة العليا، مشبعة بمواضيع صهيونية... ، ويحصل فيها المعلمين على درجة أكاديمية في دراسة جغرافية أرض إسرائيل، وتوضح الشيلاح دور القومية من خلال الإشارة إلى ربط الماضي بدولة إسرائيل، وهذا الربط يمكن الطالب بأن يعكس على إحساسه بالانتماء إلى الشعب اليهودي، وعلى هويته اليهودية كأجزاء غير قابلة للتغيير للتتابع التاريخي للأجيال... ومن خلال التزه الذي يعتبر فعلا تجربة أساطير اليهودية والصهيونية، تصبح الأرض مفهومة لدى المشاركين، الذين يرون أن إسرائيل تحولت إلى مكان بفضل يهوديتهم وحضور خطوات أقدامهم، كما قدمت كبلاد ظلت محددة بحضور اليهود خلال التاريخ. مارسيلو سفيرسكي، مابعد إسرائيل، ص 80-97.

(5) \_ صالح عبد الله سرية، تعليم العرب في إسرائيل، ص 40.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

لأن وضعية الجيل العبري الشاب في الدولة، كما يرى تسفي أدار: "هو الذي يحمل المسؤولية العليا عن مصير إسرائيل، هو الذي يحمل عبء عمران الدولة، والاستيطان في صحرائها، استيعاب الهجرة وصهرها في الأمة، والسهر على أمنها، وتنفيذ هذه المهام الصعبة والجليلة سيكون سهلا على الجيل الشاب، إذا ما استمد إلهامه من ماضي الشعب المجيد ومن ميراثه الروحي والأخلاقي، ومن تواصله مع جماهير اليهود في شتات المهجر"<sup>(1)</sup>.

وفي إطار ذلك اهتم التعليم الإسرائيلي بالتكوين العسكري للناشئة، وتنشئة جيل من الإسرائيليين الجدد، جيل حاقد متغذ بروح الانضباط العسكري والعدوان، فقد هدفت الجندناح في المدارس الابتدائية، بالتعاون المشترك مع وزارة التربية والثقافة، ووزارة الدفاع إلى غرس الأحاسيس الصهيونية في صفوف الناشئة، وتشبيعهم بالروح العسكرية على غرار النازية والفاشية، فكانت بذلك بمثابة مختبر بشري للجيش لاكتشاف الذين يملكون البنية النفسية، والفكرية، والبدنية، التي يطلبها الجيش.<sup>(2)</sup>، وهو ما حققه النظام الكيوتزي أيضا بخلقه جوا عائليا موحدا للشتات اليهودي، باحتواء الأطفال لأطول مدة زمنية، فكان لتجنيد الكيوتزات دور حيوي في تطوير عملية الاستيطان اليهودي وإنشاء الدولة، ثم لبناء الدولة بعد قيامها<sup>(3)</sup>، ذلك لأن التدريب العسكري داخل الكيوتز لا يؤهل جيشا فحسب لإسرائيل<sup>(4)</sup>، بل يقوم بصهر المنتمين إليه في بوتقة الأيديولوجية الصهيونية بهدف تحقيق التكوين السيكلوجي الواحد بينهم<sup>(5)</sup>.

### 3. ترسيخ مفهوم القومية اليهودية:

تم ذلك من خلال إعادة صياغة الأمة اليهودية وفق الثقافة اليهودية والروح اليهودية، حيث فاق

(1) \_ تسفي أدار، التعليم اليهودي في إسرائيل والولايات المتحدة، ص228.

(2) \_ إياد القزاز، التوجيه العسكري للمجتمع الإسرائيلي، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، مركز الأبحاث، م.ت. ف، العدد39، نوفمبر 1971، ص108.

(3) \_ دانييل دي ملاح، الكيوتزات وصراع السيطرة اليهودية على الأرض، ص77.

(4) \_ إذ لم يكن اهتمام إسرائيل ببناء الجيش كآلة حرب وحسب، وإنما هو بوتقة من التجارب والمشاعر المشتركة، وهذه الروح العسكرية تعد عامل توحيد بين مختلف الفئات الاجتماعية، وهي تزداد كثافة أثناء الخدمة العسكرية الاجبارية التي تتلو التخرج من التعليم الثانوي، منير بشور، وخالد مصطفى الشيخ يوسف، التعليم في إسرائيل، مرجع سابق، ص44.

(5) \_ صفاء محمود عبد العال، تربية العنصرية في المناهج الإسرائيلية، ص139.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

اهتمام إسرائيل بالدين واللغة العبرية<sup>(1)</sup>، اهتمام أي دولة أخرى، ويطبق ذلك على جميع القوى في إسرائيل، ولتنفيذ ذلك تم إيجاد ثلاثة أنظمة تهتم بالدين وهي، التعليم الديني شبه الرسمي، والتعليم الديني الرسمي، والتعليم المدني الرسمي، وتتأكد هذه المفاهيم في تصريح أحد أساتذة التربية وعميد الجامعة العبرية بقوله:

"إن أكبر كمية في الدراسة وفقا للمشروع الصهيوني، هي الثقافة العبرية الكلاسيكية، كما هو معبر عنها في التوراة وفي الأدب العبري القديم والحديث، وهذا هو الحبل المشترك القوي والإنساني الذي يوحد جميع اليهود، ويكون لهم تقاليدهم المشتركة، وقد خصص لهذه المواضيع بين الثلث إلى نصف وقت التدريس وفي جميع المدارس... ، ويوجد تركيز كبير على التوراة في أصولها العبرية، لأن التوراة في إسرائيل ليست فقط الأدب القومي الكلاسيكي والمحتوى الأساسي للتقاليد الروحية والأخلاقية، ولكن لأنها أيضا مصدر التاريخ القومي، وجغرافية الوطن، ومصدر طرق المعيشة الفولكلورية المشتركة، واللغة العبرية الحديثة".<sup>(2)</sup>

وهناك إجماع بين الإسرائيليين على ضرورة التأكيد على سلامة اللغة العبرية في شتى المجالات<sup>(3)</sup>، معتبرين أساس الأيديولوجية الصهيونية هو إحياء اللغة العبرية وتراثها وتطوره<sup>(4)</sup>. كما يتفقون على عدم

(1) \_ ارتبط ذلك بالنشاط الاستيطاني، حيث تؤكد الدراسات على الارتباط الوثيق بين عودة انتشار العبرية في إسرائيل وزيادة عدد المستوطنات، وقد ساعد هيرت صمويل في نشر العبرية بعدة طرق من بينها: الاعتراف بالمؤسسات السياسية الصهيونية في فلسطين، والاعتراف باللغة العبرية كإحدى اللغات المحلية في فلسطين... ثم أصبحت العبرية اللغة الرسمية للدولة بعد إنشائها سنة 1948، وكان في إصرار الصهاينة على أن تكون لغة الدولة هي العبرية وليس الإنجليزية، أو غيرها، على أمل أن تكون العبرية لغة عالمية، ولغة يتحدث بها المستوطن الصهيوني، إدراكاً من جانبهم لطبيعة الدولة الصهيونية باعتبارها دولة وظيفية. (فواز حامد الشراوي. السكان اليهود في فلسطين، دراسة في الصراع السكاني خلال النصف الثاني من القرن 20، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) ، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، جوان 2007 ، ص 40. وعبد العظيم أحمد عبد العظيم، التخطيط اللغوي لتأصيل الهوية العبرية في فلسطين، دراسة في جغرافية اللغات، بحث مقدم إلى مؤتمر الهوية ، واللغة في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة 1433هـ-2012م، ص 6.

(2) \_ صالح عبد الله سرية، تعليم العرب في إسرائيل، ص 41.

(3) \_ يتم ذلك وفق برامج متعددة منا ما هو ثابت ومنظم، ومنها الحر التطوعي على غرار مدارس تعليم اللغة العبرية المعروفة باسم "اليولبايوم" التي تشرف عليها وزارة المعارف والثقافة بالتعاون مع الوكالة اليهودية وسلطات التعليم المحلية ثم المستدروت، وهذا النوع من المدارس عبارة عن معاهد نمائية لتعليم اليهود الجدد اللغة العبرية، مع مراعاة حاجات الطالب والحرص على عملية الصهر الاجتماعي. محمد السيد حسونة، التعليم في إسرائيل، ص 126.

(4) \_ يرى الأكاديمي تسفي أدار في تحليله لأهداف التعليم في إسرائيل، أن المجتمع الإسرائيلي الجديد ليس مجتمعاً عادياً له تقاليد واستمرارية، فهو ليس استمراراً للمجتمع الذي جاء منه ولا يأخذ عنه ثقافته، بل جاء ليبلور ثقافة جديدة، وفي هذه الحال سيكون

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

إمكانية توطين التكنولوجيا المعاصرة وتطوير إسرائيل دون العبرنة الشاملة، بحيث يلزم لأجل ذلك أن يكون التدريس في الجامعات والمعاهد وفي مخابر البحوث باللغة الأم، وفي هذا السياق يقول إيرماي: "إن انبعاث إسرائيل وسرعة تطوير العلوم التكنولوجية لا يمكن تحقيقها بدون لغة مشتركة كأداة في تبادل الأفكار الحديثة...، وأن المجتمع الصهيوني لا يهدف إلى إعادة بناء سكان هذا البلد القديم الجديد فحسب، وإنما إلى بعث الحياة في العبرية القديمة التي لم يتحدث بها منذ أكثر من ألفي سنة... " (1).

ولم يكن المسرح الذي تجند لمصلحة دعاوى المشاريع والبرامج الصهيونية، بعيدا عن تحقيق الأهداف الصهيونية، فقد واصل عمليا تقاليد الالتزام القومي، وقدم في بداياته أعمالا مسرحية شكلت الجانب البدائي والطقوسي للعمل الصهيوني السياسي قبل أن يستقر بعد، وكما يذكر شيمعون ليفي: إن المسرح ساهم في إيجاد وحدة الجماعة "نحن"، إضافة إلى معالجته قضايا عديدة تخصها، منها حماية اليهود من الأعداء والمحتلين "الفلسطينيين أو الإنجليز"، وتم تحويل العمال المسرحية إلى نبوءة سوداوية لإنقاذ الأرض، وإحياء اللغة وغيرها من المواضيع الصهيونية (2). لذلك اهتمت بإعداد الفرد اليهودي المؤمن بالأفكار الصهيونية، والتمسك بقيم تراثه الماضي، الذي سيضحي وينطلق من تلقاء ذاته لتحقيق المشروع الصهيوني مدفوعا برغبته داخلية واقتناعه الشخصي، حيث ارتبط إحياء اللغة العبرية بإحياء الثقافة والسياسية القومية بكل ما تثيره من وعي يمجد ويؤكد الثقافة اليهودية. لذا انتبعت الصهيونية العالمية لأهمية المسرح أيضا وإبراز دورها وفي معركتها من أجل تحقيق مشروعها الاستعماري، وإنشاء الوطن القومي، فتكاثفت الجهود بين مؤسسي المسرح اليهودي، ورجال السياسة الصهيونية (3).

مما يفيد أن الصهيونية نظرت إلى التنوع والاختلاف في حياة الجموع اليهودية القادمة إلى فلسطين من حيث أطرها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، على أنه يشكل خطرا، فكان عليها أن تعمل على تذويب هذه المجموعات وصهرها، تحقيقا للوحدة لكي تصبح إسرائيل أمة واحدة.

---

التعليم شريكا للمجتمع في بلورة وبناء الشباب، ومن هنا كان على جهاز التعليم منذ البداية أن يقوم بوظيفة مركزية في إقامة الثقافة العبرية "الإسرائيلية" الجديدة، وكذلك في إقامة المجتمع الإسرائيلي الجديد، بحيث يكون الهدف هو فرض مهمة خلق وحدة وطنية. تسفي أدار، التعليم في إسرائيل والولايات المتحدة، ص 66

(1) \_ عثمان سعدي، المسألة اللغوية في الصراع العربي-الإسرائيلي، في الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي، ص 177.

(2) \_ شمعون ليفي، المسرح الإسرائيلي، ص 40.

(3) \_ شكرى عبد الوهاب: "المسرح اليهودي، د ط، (القاهرة: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، 2008)، ص 3.

#### 4. ترسيخ استمرارية الشعور بالاضطهاد.

تأكيدا على عداة الآخر لليهود لدى الأجيال اليهودية المتعاقبة، وضمانا لعدم اندماج اليهود في أي مجتمع غير إسرائيل، أقر **ناحوم غولدمان** رئيس المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (1951م)، وهو أول مؤتمر صهيوني بعد قيام إسرائيل، بأن الأهداف العامة للحركة الصهيونية هي: تثقيف اليهود في كل مكان - خاصة فئة الشباب - بتعليمهم اللغة العبرية، والتاريخ اليهودي خلال مئات السنين، وأن اليهود مروا بفترات عصبية (الاضطهاد)، ولهذا - كما يرى **غولدمان** - ينبغي تجهيزهم لجميع الظروف غير المتوقعة، وأن تغرس في قلوبهم تركة الأجيال منذ أيام التوراة<sup>(1)</sup>. وقد نجحت الصهيونية في تعميق هذه الفكرة وتجزئتها في الوعي اليهودي من خلال تفعيل مفاهيمها في المناهج التعليمية المعتمدة في إسرائيل<sup>(2)</sup>(3)، بإبراز جميع صور الاضطهاد التي مر بها اليهود<sup>(4)</sup>. حيث ينشأ الشباب على الاستعداد للمواجهة غير المتوقعة، ويتم توجيههم توجيها حريبا إلى أهداف احتلالية.

انطلاقا من هذا الإحساس كانت العسكرية أهم محاور التربية في إسرائيل، حيث تهتم المدارس بنشر قيم الجيش وليس قيم الديمقراطية وبشئ الوسائل<sup>(5)</sup>، كما تمثلت إحدى بصمات المجتمع العسكري في إسرائيل في فتح وزارة التربية والتعليم أبوابها أمام لابسى البزات العسكرية، وحملة السلاح للدخول إلى

(1) - وائل أمين القاضي، التربية في إسرائيل، ص 60.

(2) \_ في الواقع قامت التربية في إسرائيل على زرع مشاعر الكراهية والخوف من العرب بهدف أن ترسخ صورة الخطر العربي الدائم لإسرائيل، فإن لم يكن ذلك محققا فيكفي أن يتوهم حدوثه مقابل تشكيل شخصية اليهودي المنتصر.

(3) \_ قدرى حفي، تجسيد الوهم، دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية، د ط، (القاهرة، 1971)، ص 104

(4) \_ صالح عبد الله سرية، تعليم العرب في إسرائيل، مرجع سابق، ص 189.

(5) \_ ادعى باحثون في اليوم الدراسي حول العسكرية والتربية -دراسة نقدية- الذي انعقد في الجامعة العبرية، ومعهد الكمبيوترات يوم 2000/5/30، أن جهاز التعليم الإسرائيلي لا يخلو فقط من التربية على المواطنة والديمقراطية، وإنما تقوم المدارس بالتربية على العسكرية، وبشهادة الباحثة **غور زئيف**: إن التربية على العسكرية تتم بأساليب مختلفة، ففي يوم الاستقلال يتعمشق أطفال الروضات على الدبابات ويزينون روضاتهم بأعلام وحدات الجيش بدلا من الاحتفال بقيم الديمقراطية والمساواة، وحتى في الأعياد الأخرى الدينية، فإن ما ينقل إلى الطلاب، في الغالب، هو المفاهيم العسكرية، ودائما هناك تقسيم بين نحن وهم، الطيبون والأشرار". أرنا كازين، التربية على العسكرية، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، قضايا إسرائيلية، العدد 3، صيف 2001، ص 95.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

مؤسساتها وتولى أمر إدارتها، أو المساهمة في تطبيق بعض برامجها، بهدف إعداد جيل عسكري<sup>(1)</sup>، وهكذا يكون جهاز التربية تحت الوصاية العسكرية، ويتحول الجيش بموجب ذلك ليصبح جزءا من مشهد الحياة العامة<sup>(2)</sup>.

وتؤكد جورج حجيت مدى الصلة الوثيقة التي ارتبطت بها وزارة التربية والتعليم بضابط التربية في الجيش الإسرائيلي بهدف تعميق التربية العسكرية، حيث "ترسخ هيئة التعليم في المجتمع الإسرائيلي عادات تفكير ينظر بمقتضاها إلى الخدمة العسكرية للفتيان والفتيات على أنها مرحلة طبيعية وعادية، وحتى مرغوبة. وهي تبذل جهودا في خلق شروط للتجنيد للجيش تتضمن عدم طرح أسئلة، وعدم التشكيك، أو الفحص النقدي للعلاقة بين العسكرة والوضع السياسي، وبينهما وبين الحياة المدنية. يصوغ التعليم وعيا يرى في خيار القتال خطأ سياسيا سديدا ومنطقيا، حيث من الممكن أن ترى في هيئة التعليم أطفالا في مرحلة رياض الأطفال، وهم يزورون معارض الجيش الإسرائيلي، وضباطا مدعوون إلى المدارس لإلقاء محاضرات، وطلابا في المرحلة الثانوية مدعوون لمشاهدة تدريبات عسكرية بالذخيرة الحي، وزيارة جماعات من الشبيبة لمعسكرات للجيش. ويتم تمرير رموز ورسائل متعسكرة عبر المواد الدراسية في المدرسة، وعبر التناخ والأدب"<sup>(3)</sup>، كما تؤكد سيجان بن بورات في كتابها "المواطنة تحت النار" و"تعليم ديمقراطي في أوقات النزاع"؛ أن تعريف التعليم الإسرائيلي هو "تعليم قتالي مدني، مشيرة إلى البعد التعليمي لمواطنة الصهيونية القتالية، ومؤكدة على أن هذا الوضع لا يزال قائما في التعليم الإسرائيلي، بالرغم من انفتاح إسرائيل على العالم"<sup>(4)</sup>.

(1) \_ في عام 1957 تم استحداث ما يعرف بسلاح التربية في الجيش الإسرائيلي على يد هيئة الأركان العامة، وهو عبارة عن جهاز يهدف إلى توفير أسس تربوية للشباب والجنود الإسرائيليين قبل انخراطهم في الجيش وخلالها أيضا، ويتكون الجهاز من دائرتين: 1. دائرة أسس التربية، ويتمثل دوره في توجه سياسة الجيش بما له صلة بالمواضيع التربوية، 2. دائرة وحدات التنفيذ، وتضم قسم القيادات والوحدات التنفيذية في سلاح التربية، بما فيها حركات الشبيبة التمهيدية للجنودية مثل الجدناع، ويخضع لضابط التربية في الجيش عدة وحدات، هي مدرسة الإرشاد الخاصة بالتربية والإرشاد، والكلية التربوية في جبل جيلون، ومدرسة تطوير القيادة، وإذاعة الجيش الإسرائيلي...، جوني منصور، وفادي نحاس، المؤسسة العسكرية في إسرائيل، (تاريخ، واقع، استراتيجيات وتحولات)، (رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، سبتمبر 2009)، ص 430.

(2) \_ جوني منصور، المؤسسة العسكرية في إسرائيل، ص 4290.

(3) \_ جور حجيت، عسكرة التعليم في إسرائيل. ترجمة: يحيى محمد عبد الله إسماعيل، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية (34)، د ط، (القاهرة، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، 1428هـ-2007م)، ص 14.

(4) \_ مارسيليو سفيرسكي، ما بعد إسرائيل، مرجع سابق، ص 108-109.

## 5. التركيز على إثبات الريادة والأفضلية اليهودية:

يتم ذلك بمحاولة إظهار التفوق الحضاري لهم عبر العصور لترسيخ الإحساس بالتمايز، والشعور بالاستعلاء لدى الأجيال الجديدة، وعودة الشعب المختار إلى الأرض الموعودة، فيتم تشويه صورة العربي في نظر الطالب الإسرائيلي في مقابل ذلك يتم تمجيد البطل -السوبرمان- اليهودي الإسرائيلي الذي لا يقهر<sup>(1)</sup>. ومن هنا اتخذت إسرائيل سياسة تعليمية ذات شقين:

\* سعيها نحو إنتاج قيادات وكوادر علمية، ويفسر ذلك بإنشاء العديد من الجامعات ومراكز البحث العلمي.

\* سعيها لتكون رائدة ومتميزة عن الدول في مجالات معينة<sup>(2)</sup>، وتقديم ذلك على أنه من إنتاج العقلية الإسرائيلية، وقد تجلّى ذلك في نظام مستوطنات الكيبوتز والموشاف، وما بهما من تعليم خاصة، وكذلك نظام كتائب الشباب "الجدناع والنحال"<sup>(3)</sup>، بالإضافة إلى تجربة شباب العالية كما ذكرنا آنفاً.

إن الريادة بالنسبة للحركة الصهيونية هي العمود الفقري الذي يستقيم به بقاء واستمرار إسرائيل من عدمه، فإن التربية هي صمام الأمان لضمان تحقيق ذلك.

ويمكن استقراء هذه المعاني من خلال ما ذهب إليه يغال ألون<sup>(4)</sup>، الذي جسّد الاستراتيجية الصهيونية، بأن إسرائيل "تخطى بميزة تفوق بارزة واحدة، وهي مبنائها الاجتماعي ونظام حكمها السياسي:

(1) \_ وائل أمين القاضي، التربية في إسرائيل، مرجع سابق، ص 61.

(2) \_ كشف عن ذلك الحاخام الياهو كوهين في المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين، 1951 بتأكيد على أن هدف الحركة الصهيونية باستمرار هي تنشئة الطلائعيين، لأن الدولة بدون هؤلاء كالقطار من دون قاطرة، ولا يمكن تعميم الحركة الطلائعية وحدها بالحرب، بل بمعرفة كيفية إعداد القوة الطلائعية بين أوساط الشباب، ويرى الياهو كوهين أن مصير إسرائيل مرتبط بإيجاد جهاز حقيقي لتنفيذ التربية حسب المبادئ الصهيونية. محمد السيد حسونة، التعليم في إسرائيل، ص 49.

(3) \_ صالح عبد الله سرية، تعليم العرب في إسرائيل، ص 42.

(4) \_ يغال ألون فيكوفيتش (1918-1980): ولد في مستوطنة "كفار تابور" في طبريا عام 1918، سياسي وقائد عسكري، أحد القادة الكبار في حرب 1948، ومن رؤساء حركة الكيبوتسات وحزب العمل، عضو في تنظيم الهاغاناه، كان من قادة البلماخ في الفترة 1942-1945 تولى قيادة فرق المستعربين، أشغل عدة مناصب، وزارية بين الفترة 1950-1977، منها وزارة التربية والتعليم من 1969 وحتى 1974 في حكومة غولدا مئير، عرف بمواقف متشددة من العرب الفلسطينيين في إسرائيل، وكان في فترة معينة من مؤيدي الترانسفير للعرب، إلى حد اعتباره من المؤسسين لنظرية الحرب الإسرائيلية، من كتبه: معارك البلماخ 1958. يغال عيلام، ألف يهودي في التاريخ، ص 20. وجوي منصور، معجم العلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ص 54.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

دولة ديمقراطية اشتراكية، وسياسية تقف أمام أنظمة حكم مختلفة، أرستقراطية-أوتوقراطية- استبدادية مطلقة، ودكتاتورية مصابة حتى الصميم بالفساد الطبقي والشخصي... ، ويجب أن يستمر هذا التفاوت كي يستمر التفوق، والزمن ليس ضد دولة الاحتلال -كما يرى ألون-... ، وفي المستقبل القريب لن يكون بالضرورة ضدنا لمدة جيلين آخرين على الأقل، لأن هناك صلة وثيقة بين التقدم الاجتماعي والتنمية من ناحية القدرة على استخدام الخبرة الفنية، والعلمية السريعة التطور من ناحية أخرى" (1).

كما يؤكد الباحث عادي أوفير وهو أستاذ محاضر في جامعة تل أبيب، أن ازدهار الأكاديميات الإسرائيلية واندماجها في خريطة البحث الأكاديمي العالمي كان جزءا من مشروع بناء الأمة الصهيونية، وأن جميع المتبوين للمناصب المركزية في الجامعات البحثية في إسرائيل، وكذلك معظم الباحثين، يرون أنفسهم حتى الآن أنهم الأفضل وأنهم ملتزمون تجاه مشروع بناء الأمة الصهيونية... ، فالجامعة تضم الكثيرين من الراديكاليين للنظام الصهيوني، ويعتقد أن نسبة هؤلاء في الأكاديميا أعلى من نسبتهم في أي مؤسسة إسرائيلية غالبية أعضائها من اليهود، على الرغم من ذلك لا يوجد في البلاد أي منظمة أكاديمية أجندتها غير صهيونية بامتياز، ولا تحتاج الجامعة للإعلان عن نفسها كمؤسسة صهيونية، ذلك لأنها صهيونية في الأصل" (2).

يعترف الباحث اليهودي تسفي أدار أن أهداف التعليم اليهودي كلها خارجية عند الطالب في مسيرة تطوره، فكانت مفصلة لقيام دولة إسرائيل وتقدمها، ولا توجد فيها كلمة واحدة حول تقدم الطالب الدارس، كما لا يوجد أي تطلع لتطور روح الطالب وفكره وشخصيته، وثمة تجاهل مطلق لذلك، وثمة تنازل مسبق عن أي توجه تعليمي حر، وتجيير تعليم واضح لأهداف سياسية (3).

كما تصف هالة إسبانيولي في أثناء نقدها لقانون التعليم الإسرائيلي، أنه كان متحيزا وعنصريا، كونه أهمل البعد الإنساني والقيم الإنسانية، كما أهملت فيه الأهداف الفردية والشخصية التي تسعى إلى تحقيق تربية المواطن كفرد واع، مستقل يملك روح المبادرة، يهدف إلى تطوير طاقته التفكيرية والإنسانية

(1) \_ يغال ألون، إنشاء وتكوين الجيش الإسرائيلي، ترجمة: عثمان سعيد، مراجعة وتقديم: ناجي علوش، ط1، (بيروت دار العودة، 1971)، ص24-25.

(2) \_ عادي أوفير، الأكاديميا الإسرائيلية واللاوعي السياسي، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، قضايا إسرائيلية، العدد53، 2014، ص7-9.

(3) \_ تسفي أدار، التعليم اليهودي في إسرائيل والولايات المتحدة، ص228.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

واحترامه، فهو لم يهدف إلى تربية الفرد كعضو ينتمي إلى مجتمع ديمقراطي يرمي إلى التعامل مع الآخرين، ويساعد على حل مشكلات الفرد الشخصية والاجتماعية، كما لم تتم الإشارة مطلقاً إلى تعليم العرب<sup>(1)</sup>.

فالتربية الصهيونية لم تهدف إلى البناء الإيجابي للإنسان اليهودي وتنمية قدراته الفكرية، أو تحقيق التوافق والانسجام بينه وبين بيئته المادية والروحية والمحافظة على الخبرة الإنسانية، كما لم تسع إلى تحقيق ما يتوقف عليه استمرار حياة اليهودي، وأمنه النفسي وتوجيهه الفني التربوي كما هو مألوف.

### ثانياً: نماذج من التربية الصهيونية:

من أجل تحقيق الأهداف السابقة للتعليم الإسرائيلي والتي تمت صياغتها كما لاحظنا آنفاً وفق أطر عنصرية، سعت الصهيونية إلى زرع أيديولوجيتها، وترسيخها في عقول الناشئة عبر وسائط التعليم المختلفة، من الكتب التعليمية، والثقافة، والمؤسسة الإعلامية. ونظراً لغازرة البحث في هذا المجال سنحاول تسليط الضوء على بعض النصوص التي تضمنتها نماذج من كتب التاريخ والجغرافية، مع الإشارة إلى نماذج من الفن والإعلام المكتوب.

بحسب الدراسة النقدية التي قدمها إيلي بوديه، فإن مختلف الأبحاث تؤكد على أن المجتمعات المعاصرة طورت كتب التاريخ المدرسية لتصبح أفضل وسيلة لنقل التاريخ تتفوق على الصحافة، إضافة إلى وسائط أخرى كالراديو، والتلفزيون، وأنه في زمن الأقمار الصناعية والكمبيوتر، ومع ذلك تبقى الكتب المدرسية أقوى تكنولوجيا تعليمية وأكثر انتشاراً، ويبقى الاعتماد عليها عنصراً مهماً في تعليم التاريخ، والجغرافية، والدراسات الاجتماعية، ولأن الكتب المدرسية، كما يرى ديفيد أولسون، تشكل المصدر المعرفي للطالب، فمن المحتمل أن تستطيع المعتقدات التي تزرع من خلالها أن "تستمر مدى الحياة"<sup>(2)</sup>.

لقد كشفت كثير من الدراسات النقدية النقاب عن ذلك من خلال تحليل محتوى ومضامين المقررات الدراسية في مناهج التعليم الإسرائيلي، ولم يكن ذلك مقصوراً على الدراسة العربية، بل كان للكتاب اليهود - كما سنبين لاحقاً- دور في إجلاء خطورة ترسيخ المفاهيم، والقيم الصهيونية في

(1) - هالة اسبانولي، الأيديولوجية الصهيونية وانعكاساتها الأيديولوجيا الصهيونية، وانعكاسها في كتب التدريس العبرية، ص 88.

(2) - إيلي بوديه، الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية، المرجع نفسه، ص 28.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

المقررات الدراسية، وغيرها من الوسائط التعليمية، وبيان نزعتها العدائية إزاء العرب عموماً والفلسطينيين خصوصاً.

### 1. تأكيد سمو العرق اليهودي ودونية العربي وعدوانيته:

جاء في كتاب دراسي للتاريخ " أرض الوطن " الجزء الثاني، الصفحة 10، بعنوان " الشجعان ":  
" جماعة الحارس " دافعوا عن المستوطنات، ضد المتوحشين وللصوص العرب، كان أعضاء الحارس من الصفوة، وكان سكان العرب ينظرون إليهم بهيبة، لقد تعلم العرب منهم حتى طريقة ارتداء ملابسهم<sup>(1)</sup>.

كما يؤكد الباحث الإسرائيلي أدير كوهين في بحثه " وجه قبيح في المرأة - انعكاس الصراع العربي في أدب الأطفال - الصادر سنة 1985 " أن الصورة الحضارية للعربي لدى التلميذ الإسرائيلي، من خلال الكتب التثقيفية، هي صورة مزرية، فهو (العربي)، يظهر عادة في صورة صاحب الوجه القبيح القدر، وصاحب الأظافر الطويلة، في شكل قاتل ومختطف للأطفال<sup>(2)</sup>. بينما كان ما يرتكب ضد اليهود يسمى مذابح ومجازر، فقد وصف العرب بالنسخة الحديثة للعمالق ألد أعداء إسرائيل في التوراة، وهكذا فإن الواقع وصورة الواقع - يقول ايلي بوديه - كما صورت في كتب التاريخ الدراسية عززت الميل الى تجريد العرب من إنسانيتهم، فكان جهاز التعليم - بهذا المنحى - يهدف بشكل واسع إلى تقوية الهوية الصهيونية<sup>(3)</sup>.

بينت الباحثة الإسرائيلية نوريت بيلد-الحنان ذلك من خلال تحليلها لمضامين مجموعة من الكتب، على مثال: "عصر الرعب والسمل"، "خمسون عاماً من الحروب والأمل"، و"وجه القرن العشرين"، مؤكدة أن غالبية الكتب الدراسية تنطوي في مجموعها على توجه يميني، كما ينظر في مجموعها إلى الفلسطينيين على أنهم إرهابيين، وأنهم كانوا باستمرار عاملاً في تأجيج الصراع، ومن ذلك تورد إحنان نصاً من كتاب "عصر الرعب والأمل" الصفحة 284، جاء فيه: "بعد حرب العام 1967 تزايد وجود المنظمات الإرهابية الفلسطينية في الأردن، وأقامت دولة داخل دولة، وانطلقت تلك المنظمات من هذه

(1) \_ صفاء محمود عبد العال، تربية العنصرية في المناهج الإسرائيلية، ص73.

(2) \_ مجموعة من الباحثين، صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، سلسلة كتاب المعرفة(12)، ط1، (المملكة العربية السعودية، الرياض، مجلة المعرفة، 1424هـ-2003م)، ص203.

(3) \_ ايلي بوديه، الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية، ص56.

الأراضي لترتكب أعمالاً إرهابية في منطقة غور الأردن، بدون إذن من الملك" (1).

في كتاب "ديريخ هميليم" "عن طريق الكلمات" للصف الرابع الابتدائي، الصفحة 251، يقدم العربي على أنه متوحش ضد ذاته: "... وصاحب الأرض العربي حناوي، هو كما رأينا ضحية للتحريض، كان معتاداً على أن يأتي في أيام الجمعة إلى الحي اليهودي، وهو راكب أتانا بيضاء، وكان ينتقل من باب إلى آخر لحباية المال مقابل تأجيرهِ للأرض، رجال العصابات العربية، الذين لم تعجبهم أعماله مع اليهود، ضغطوا عليه لكي يتبرع من نقوده لنشاطه "تكفيراً" عن علاقته مع اليهود، وعندما رفض حناوي طلبهم لم يتأخر انتقامهم منه كثيراً. في أحد أيام الجمعة، عندما كان يتكئ على حافة شبك أحد الأكواخ، وهو منهمك بعد النقود التي استطاع جبايتها من السكان خرج من السبيل المظلم اثنان من رجال العصابات وقتلاه" (2).

وتستغل مواد التاريخ اليهودي واللغة العبرية لزرع الروح العنصرية والحقد على العرب من خلال **قصص الأطفال** ذات التأثير الفعال، على غرار كتب هاري لامين، ومما جاء في قصصه: "ربما تكون سمعت شيئاً عن سليم وخديجة... لقد كان شريراً مثل أفعى صينية، ... جريئاً مثل نمر هندي، ... في طفولته أشبه بالصمصام... ، عندما بلغ الثانية عض أذن أمه فقطعها... ولما بلغ السابعة ضرب رأس معلمه بالكرسي، وفي العاشرة دفع عمه تحت عجلات سيارة تمشي" (3).

كذلك تولت كتب المطالعة بدورها تمجيد البطولة اليهودية، والدور الحضاري الذي بذله الرواد وجهودهم في إعمار فلسطين وتحملهم أعباء ذلك، وكيف كان للرواد الفضل في النهوض بها.

في كتاب (الجولان والجليل والغور الشمالي والكرمل) لمؤلفه "اليعازر فيتكين"، يمجّد مؤلف الكتاب في الصفحات 90-99، اليهود، ويُنوّه بفضلهم منذ القدم على إعمار فلسطين، جاء فيه: "أنه أثناء الهجرة الثانية اليهودية إلى أرض إسرائيل (فلسطين) من عام 1903-1914 قامت مجموعات من

(1) \_ نوريت بيلد-الحنان، فلسطين في الكتب المدرسية في إسرائيل الأيديولوجية والدعاية في التربية والتعليم، ترجمة: ياسين السيد، تقديم: أنطوان شلحت، (المملكة الأردنية الهاشمية، الأهلية للنشر والتوزيع، ورام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، 2013)، ص94-95.

(2) \_ أنطوان شلحت، منهاج التعليم الإسرائيلي "ما زال السلام خارج حدود المدرسة"، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، مجلة قضايا إسرائيلية، جويلية 2001، العدد3، ص84.

(3) \_ حمد الموعد، الصهيونية وتعليم الحقد قراءة في تشكيل العقل الصهيوني، ط1، (قبرص، دار الملتقى للنشر، 2013)، ص177.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الشبان والشابات ممن حلموا بالعمل الزراعي في (إسرائيل)، بإيجاد نموذج جديد لاستغلال المياه، وإقامة جمعيات اشتراكية (بحيث يعمل كل حسب طاقته ويأخذ وفق احتياجه)، ففي تلك السنوات امتلكت جمعية الصندوق القومي اليهودي أراضٍ تقع شرق نهر الأردن، جنوب بحيرة طبريا، في مكان اسمه (أم جوني) لتصبح معيماً على مواصلة الاستيطان وتوسعه، وفي العام 1914م نشبت الحرب العالمية الأولى، فكان الأتراك حلفاء للألمان، بينما ساعد اليهود الإنجليز مقابل منحهم الوطن القومي اليهودي فوق أرض إسرائيل (فلسطين)، وفي غضون ذلك طور المهاجرون والمستوطنون عمل مستوطناتهم، وأقاموا لهم مستوطنات جديدة، لأن الأراضي التي وضعوا اليد عليها من العرب كانت عبارة عن مساحات من المستنقعات<sup>(1)</sup>، والكثبان الرملية والصخور المتراكمة، فعملوا على استصلاحها وتهيتها<sup>(2)</sup>.

وتكتمل خيوط النسيج التربوي الإسرائيلي الصهيوني من أجل تحقيق الأهداف الصهيونية، بتقديم اليهودي في صورة السوبرمان.

حيث يؤكد أدير كوهين في نقده لمحتوى كتب الأطفال حول السوبرمان اليهودي، بقوله: "لقد اتخذت كتب الأطفال الإسرائيلية موقف الاستعلاء اليهودي، وخلقت صورة لمجموعة الأطفال اليهود الحارقي القوة والذكاء، الذين يستطيع نفر قليل منهم الانتصار على الجيوش، وإحباط المؤامرات، وضرب قيادات العدو، والتغلب على الفدائيين، ووصفت تلك الكتب المقاتلين العرب بأنهم عاجزون وعديمو الانضباط، وجبناء... وسريعو الفرار وأغبياء...، وأدت بذلك إلى تنويم كل شعور بالواقع"<sup>(3)</sup>. بحيث يكون البطل اليهودي نبيا من طراز معجز، يزيد في إعجازه كونه أداة إلهية<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> \_ يرى شمعون ليفي، أن مثل هذه التوجهات كانت بمثابة مبررات للاحتلال، وكان لمخرجين مسرحيين دور في ترسيخها من خلال عرضهم لجمالية (أوروبية) وأيديولوجية (صهيونية) متخيلة عن واقع وصف بأنه صحراوي وقاحل، فتم استعمال صور إحياء القفار والبناء لتبرير المشروع الصهيوني، فجدد المسرح على غرار مسرحيات "عن الطلائع" التي ناضلت من أجل إحياء القفار وتخفيف المستنقعات والسيطرة على المكان، ثم برزت -بعد قيام إسرائيل- مسرحيات ترسخ المفاهيم نفسها، كان أبرزها: "هم سيصلون في الغد" و"داني هورفيتش"، وعن شخصية اليهودي "الصبار"، و"مياه جوفية"، و"النمر المرقط". شمعون ليفي، المسرح الإسرائيلي، ص 22-27.

<sup>(2)</sup> \_ خليل السواحري وسمير سمعان، التوجهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية، ص 59-60.

<sup>(3)</sup> \_ سناء عبد اللطيف، هكذا يربي اليهود أطفالهم، عرض وتلخيص: عبد الله محمود الطنطاوي، تقديم: عبد التواب يوسف، ط 1، (دمشق: دار القلم، عمان: دار بمان، 1418هـ-1997م)، ص 164.

<sup>(4)</sup> \_ غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، قبرص، منشورات الرمال، 2013، ص 113.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وتظهر هذه القناعات بشكل واضح في أدب الأطفال من خلال تحليل أدير كوهين ديوان "سلامي وأمني"، الذي جمعه المفكر والكاتب الإسرائيلي أورئيل أوفيك، ففي قصيدة "بعيدا إلى الجيش" مثلا، يؤكد الطفل إليف براند على الاتجاه الصهيوني الذي يمجّد البطولة اليهودية، متغنيا ببطولة والده، مقابل خنوع وضعف العربي (العدو):

بعيدا إلى الجيش ذهب والدي.

أرسل لكي يحرس الحدود

من النقب على أعلى الجولان

كان العدو يهرب بمجرد رؤيته<sup>(1)</sup>.

وفي السياق ذاته تبرز روث طنا في قصة "يوم ميلاد الدولة" بطولات اليهود في حرب 1948، وتشيد بجهود رجال الهاغانا من خلال ما يرويّه الجد يوسقيه عن يوم إقامة الدولة فيقول:

"في حرب الاستقلال-حرب 48- هاجم العرب المواصلات من تل أبيب حتى القدس... أضروا السيارات والناس... وكانوا يأملون أن يحاصروا القدس... وأن تخضع لهم... ولكننا -نحن رجال الهاغانا- نظمنا قوافل غذاء وتموين للقدس ورافقناها، وكان لدينا قليل جدا من السلاح<sup>(2)</sup>... أصيبت قوافل... وسقط أصدقاء لنا في المعركة<sup>(3)</sup>".

<sup>(1)</sup> \_ سناء عبد اللطيف، ثقافة السلام لدى الأطفال الإسرائيليين، دراسة تحليلية لديوان "سلامي وأمني"، ط2، (القاهرة، مكتبة مدبولي، 1999)، ص93

<sup>(2)</sup> \_ يصف غسان كنفاني مثل هذه الروايات بالتهريج، ويعلق عليها بقوله: بوسع القارئ أن يرى كيف تمكن سبعة رجال يهود نصف مسلحين في سيارة معطوبة غنموها من معركة مع العرب، أن يكتسحوا بلدة الجية بالقرب من المجدل، ويحتلوها دون أن يفقدوا رجلا واحداً وبسهولة تذهل قائدهم ذاته، ويتمكن ثلاثون يهودياً نصف مسلحين من احتلال عكا ويهزموا حاميتها- الله أعلم كم كان عددها- بمثل ملح البرق،... أما في القرى الممتدة من صفد على عكا فقد تعين على "43 ولداً وبناتاً يهودياً بالضبط" أن يواجهوا الغزو العربي... مع أن المؤلف نفسه يعترف أن العدد لم يكن حقيقياً، لأن معظم يهود صفد كانوا متدينين- لا يجاربون-، ولأن العرب كانوا يسيطرون على الأماكن الاستراتيجية في المدينة، وهذا- بالطبع- لا يؤخر من تفوق اليهود واحتلالهم صفد بسهولة لا مثيل لها.

غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، ص113-114

<sup>(3)</sup> \_ سناء عبد اللطيف، هكذا يربي اليهود أطفالهم، ص166.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

فالملاحظ هنا أنه يتم قلب الحقائق بحيث تم تصوير اليهودي كبطل يدافع بشرعية عن بلاده، ويذل في ذلك ماله ونفسه، في حين يكون العربي معتد، وهو ما سينفي الإحساس بالذنب تجاهه.

تنقل الباحثة الفلسطينية هالة إسبانيولي (رئيسة لجنة متابعة التعليم العربي في الناصرة)، مواقف للدروفيسور "داني بارل طال" من المناهج الإسرائيلية في كتابه "تأثير عملية السلام على مضامين كتب التدريس" الصادر عام 1997، يؤكد فيه على حقيقة صهيونية راسخة ترتبط بعدم تنازل التربية الصهيونية مطلقاً عن توجهاتها التعليمية التلقينية لطلابها في سائر مراحل التعليم الدراسية، سواءً في أوقات الحرب أم السلم مبيناً: "إن من يعتقد أن تغييراً جدياً طرأ على كتب التدريس منذ عام 1953 وحتى اتفاقية أوسلو، تكون خيبة الأمل من نصيبه، ففي البحث الذي أجراه على كتب التعليم التي أُلّفت بعد أوسلو في سنوات 1995-1996 وجد أن التغييرات التي أُجريت على المناهج الإسرائيلية لم تكن سوى تغييرات تجميلية، وبعد أن قام بتحليل (124) كتاباً في اللغة، الأدب العبري، التاريخ والجغرافيا، والمدنيات (التربية الوطنية)، المقررة كلها للتدريس بعد عام 1944، وجد أن غالبية هذه الكتب تشدد على بطولة الشعب اليهودي، وتبرزه بشكل فوقي سورماني، فهو صاحب قضية عادلة، يحارب من أجلها ضد عدو عربي ومسلم يرفض الاعتراف بوجود الشعب اليهودي في إسرائيل، كما وأن الحديث عن اليهودي يتم عبر جميع الأوصاف الإيجابية، فهو صاحب أخلاق، مبشّر بالتطور والازدهار، بينما يفكر العربي دائماً وفقاً لأفكار نمطية سلبية، والتعامل معه يجب أن يتم من خلال إلغاء شرعيته وإنسانيته"<sup>(1)</sup>.

كتبت نيلي مندلر في تعليقها على الاتجاه الصهيوني اللاإنساني في مخاطبة عقول الناشئة اليهود في جريدة "هآريتس الإسرائيلية"، بتاريخ 1984/11/20: "إن استعراضاً سريعاً لمضامين كتب مباحث العلوم الإنسانية، ومن بينها كتب المطالعة المقررة رسمياً للطلبة من الصف الأول حتى الصف الثامن (قراءات إسرائيل)، و(قراءات إسرائيل الحديثة)، يبين لنا كم هي محشوة بعبارات التحقير، والأوصاف غير الإنسانية المتوحشة، فالكتب والمراجع التي تقرأها وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية لتكون مراجع بين أيدي المعلمين والمربين، هي أشد عنصرية وأكثر فظاعة مما يستخدمه الطلبة أنفسهم"، وكان هذه الكتب تراوح مكانها منذ آلاف السنين، فالطبقات التي ظهرت في الستينات والسبعينات يعاد تصويرها ليتداولها

<sup>(1)</sup> \_ هالة إسبانيولي، الأيديولوجيا الصهيونية وانعكاسها في كتب التدريس العبرية، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، قضايا إسرائيلية، العدد3، صيف2001، ص92.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الطلبة كما هي، كذلك المعطيات والأرقام في أي مجال لا يجوز مطلقاً إدخال أي تعديل عليها، لأن في ذلك كشفاً للزيف الصهيوني في تحوير وتزوير الحقائق عن العرب والإسلام في فلسطين، وسائر أقطار العالمين العربي والإسلامي<sup>(1)</sup>.

ولم تشذ أعمال المسرح في استعراض شخصية اليهودي الطيب، في مقابل موقفه الضبابي من الشخصية العربية، ومعرفة نظرة الصهيوني الدونية إليه على المستوى الأدبي، ربما أكثر من أي جنس أدبي آخر داخل إطار الأيديولوجية الصهيونية، فالمسرحيات تعتمد على نصوص سياسية توظف تقديم الشخصية العربية من زاوية تعكس الفكر الصهيوني وتحدد موقفه من العرب<sup>(2)</sup>، ممثلاً في الكاتب والمفكر الإسرائيلي. يؤكد دان أوريان<sup>(3)</sup> في مؤلفه "شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي"، تميز حضور العرب في المسرح اليهودي بعدة سمات هي العنف والخداع والتخلف، كما يتم تقديمهم كقساة وعدوانيين تجاه أبنائهم، وفي الوقت نفسه يشكلون خطراً محدقاً باليهود، في حين تظهر الشخصيات العميلة المؤيدة للعمل الصهيوني، والتي تتحدث العبرية بشكل سليم بوصف "الطيون" ممثلة في شخصيات إجابيه، مثل شخصية أحمد في مسرحية "دان الحارس" الصادرة عام 1936، وشخصية سعيد في مسرحية "المنقذون" الصادرة عام 1941<sup>(4)</sup>.

تظهر شخصيات عربية ممثلاً في مسرحية واحدة "هم سيصلون" للكاتب "ناتان شاحام"<sup>(5)</sup>

(1) \_ خليل السواحري وسمير سمعان، التوجهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية، ص13.

(2) \_ دان أوريان، شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي، ترجمة من العبرية وتعليق: محمد أحمد صالح، مراجعة وتقديم: محمد خليفة حسن، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2000)، ص4.

(3) \_ كاتب وباحث أكاديمي، وأستاذ في قسم المسرح بجامعة حيفا وكلية أورانييم، وفي مؤلفه السابق شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي، ركز على إبراز التطور التاريخي للمسرح العبري، وبموضوعية أفصح عن موقف اليهود من العربي، من خلال الأدب المسرحي قبل وبعد قيام إسرائيل. وقد استعان في كتابه بالعروض المسرحية، وبمقابلات صحفية أجريت مع كتاب مسرحيين ومخرجين وممثلين، فتوفرت له أسباب فهم مختلف الظواهر المرتبطة بالشخصية العربية في المسرح الإسرائيلي، وتمثل دراسته إشكالية كبرى داخل المجتمع الإسرائيلي. دان أوريان، شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي، ص10

(4) \_ دان أوريان، شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي، ص40-44.

(5) \_ ولد بتل أبيب عام 1925، خدم في الوحدة الفدائية البلماخ في أثناء حرب 1948، وكان أحد أعضاء مزارع الكيبوتز المسماة بيت ألفا، أصبح المؤلف الخاص لفرقة مسرح الكيبوتز، بإضافة إلى إنتاجه المسرحي، نشرت رواياته وقصصه في سلسلة من الكتب، تدور حول حياة البشر الذين قدموا لاستيطان فلسطين، من أعماله المسرحية: هم يصلون، الدراجة، الحساب الجديد. عبد الحميد شكري، المسرح اليهودي، مرجع سابق، ص197.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الصادرة عام 1950، ضمن مجموعة مسرحيات "جيل في البلاد"، يذكر في هذه المسرحية أسيران، أحدهما عربي عجوز، والشخصيتان مجهولتان، بلا هوية وليس لهما أسماء، فهما عربيان بائسان، العجوز "أهبل"، و"منظره قدر"، و"عيناه عمشتان" والشاب "بغل"، ويُقدّم العجوز كمنافق يبدي حبه لليهودي، ينحني ويقبل أيدي الجنود حينما يقدمون له الخبز، ولا يجد منهما الجنود الذين يستجوبونهم سوى الدم والأسنان، ولم يبق إلا إرسالهما إلى العالم الآخر...<sup>(1)</sup>. وينتهي المشهد الأخير للمسرحية بقرار الضابط جونا، وهو نموذج شاب لشخصية أبناء الكيبوتز "جيل الصابرا"، بكل ما فيها من تهور واندفاع، وبعد جدال بينه وبين ضابط آخر آفي حول الفائدة التي يحققها مصير الأسيرين، قرر جونا أن يتم إرسالهما إلى حقول الألغام، وبذلك يتم تطهير جزء من الطريق دون أن يخسر جنديا إسرائيليا واحدا<sup>(2)</sup>.

وعلى غرار مسرحية "هم يصلون"، ومسرحية "الله كريم" التي تصور العربي كهمجى وسيم<sup>(3)</sup>، يؤكد ليفي شمعون<sup>(4)</sup> مواصلة الدراما العربية والمسرح الإسرائيلي بصورة مكثفة على: "معالجة شخصية الآخر الغريب، المقيم بين ظهرانينا... وتبرز بين المسرحيات الكثيرة التي تعالج أوجها من التراع الإسرائيلي العربي فكرة تناول العدو العربي في صورة أسير... وسواء أكانت مطالبة الفلسطينيين بـ "أرض إسرائيل" (فلسطين) هي مطالبة مطلقة أم أنها تنطوي على استعداد للقبول بحلول وسط وتسويات والاعتراف بحقوق الإسرائيليين، فإن كثرة من الفلسطينيين يشعرون بأنهم أسرى ومعتقلون في وطنهم<sup>(5)</sup>.

أما إعلاميا وفضلا عما سبق بيانه، لم تدخر الصحافة الإسرائيلية المكتوبة جهدا في تكريس التفوق الحضاري والرسالة الحضارية لليهود، بل يعد ذلك مرجعا ثابتا لفكر الإعلام الإسرائيلي، ومثال ذلك ما

(1) \_ دان أوريان، شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي، ص 52-53.

(2) \_ شكري عبد الوهاب، المسرح اليهودي، ص 198.

(3) \_ دان أوريان، شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي، ص 45.

(4) \_ باحث في المسرح الإسرائيلي، ومخرج، ومحاضر، ورئيس قسم المسرح في جامعة تل أبيب، وهو من القوى اليهودية المناهضة للفكر الاحتلالي العنصري، والتمييز القومي، ويعتبر من الباحثين العالميين في مسرح "صموئيل بيكيت"، و"التوراة على خشبة المسرح"، والمسرح الألماني المعاصر. أكد في مؤلفه "المسرح الإسرائيلي، الأنا والآخر ومتاهة الواقع" أن النصوص الدينية كانت حاضرة في الأعمال المسرحية، وأن منطلقات المسرح كانت قومية ومنسجمة مع المشروع الصهيوني منذ بداية القرن العشرين. شمعون ليفي، المسرح الإسرائيلي، الأنا والآخر ومتاهة الواقع، ص 7-8.

(5) \_ شمعون ليفي، المسرح الإسرائيلي، الأنا والآخر ومتاهة الواقع، ص 70.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

تم الترويج له في "جريدة هتسوفيه" عن شراكة لـ "خبراء إسرائيليين لتحلية مياه البحر في عمان"<sup>(1)</sup>، وأوردت صحيفة "معاريف" مقالا لـ "رافي مان" تحت عنوان: "القوى الحقيقية" أكد فيه على وجود رسالة حضارية للمستوطنين في فلسطين، وتفوقهم على العرب خاصة في المجال العسكري بهدف ردعهم وتخويفهم:

" إن هناك ثلاثة عناصر أساسية تقوم عليها قوة إسرائيل:

العنصر الأول، هو القوة الحربية لجيش الدفاع من جميع العناصر الكامنة في ذلك، والكفاءة القتالية للجندي الفرد مروراً بمستوى القيادة والأسلحة وانتهاء بالطبع "بديمونا" ذلك العنصر الخفي - سلاح يوم القيامة - الذي يعتبر مجرد وجوده ورقة ضمان لوجود ردع حاسم في أيدي إسرائيل... " <sup>(2)</sup>.

وفي سبيل تصوير المستوطن اليهودي أنه الرائد صاحب الرسالة الحضارية، الذي عمر الأرض الخربة وأعاد إليها بماءها تعتمد الصحف الإسرائيلية على مقولات أكبر الساسة والقادة الصهاينة، ففي هتسوفيه، كتب رئيس تحريرها موشيه إيشون في مقال له تحت عنوان: "رايين والعهد القديم"، أورد فيه ما أكد عليه اسحق راين في خطابه الذي ألقاه في البيت الأبيض الأمريكي: "إن كل نبتة، وكل حقل، وكل شجرة زيتون، وكل زهرة تحمل في داخلها شيئاً من التاريخ اليهودي، ومن العهد القديم الذي قدمناه لكل العالم، والذي ينطوي على قيم العدل والصدق" <sup>(3)</sup>.

ويؤكد شموئيل سيحجف أن وسائل الإعلام الإسرائيلي تولي أهمية كبرى بتلقي المبادئ الصهيونية كجزء هام من عملية التنشئة الاجتماعية جنبا إلى جنب مع باقي وسائل التنشئة الأخرى، على غرار رياض الأطفال والمدارس ومؤسسات الجيش والأحزاب السياسية. وتعمل على تنمية عقيدتي الخوف والتفوق عليهم، وذلك بهدف تحفيزهم على الهجوم على العرب، وترسيخ فكرة أنه لا يمكن القضاء عليهم "العصابات الإرهابية" إلا بالحرب والقوة العسكرية<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> \_ هتسوفيه: 1995/9/24، عن دورية مختارات إسرائيلية، عدد 11، ص 48.

<sup>(2)</sup> \_ رافي مان، "القوى الحقيقية"، معاريف: 1996/10/8، في مختارات إسرائيلية، عدد 23، ص 12.

<sup>(3)</sup> \_ موشيه إيشون، "رايين والعهد القديم"، هتسوفيه: 1995/10/6، في دورية مختارات إسرائيلية، عدد 12، ص 11.

<sup>(4)</sup> \_ شموئيل سيحجف، الإعلام الإسرائيلي، ص 66، نقلا عن: عاطف عودة الرفوع، الإعلام الإسرائيلي ومحددات الصراع (الصحافة نموذجاً)، ط 1، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004)، ص 61.

## 2. تأكيد الحق التاريخي والديني لليهود في الأرض:

تسعى المقررات التعليمية -من خلال كتب التاريخ والجغرافية خاصة- بالاعتماد على ما ورد في قصص التوراة إلى إثبات الحق التاريخي لليهود، وتضييق المكان على التواجد العربي الفلسطيني تاريخياً، وثقافياً، واجتماعياً، واقتصادياً، بحجة القول بأسبقية الوجود اليهودي (تاريخياً) في فلسطين، إضافة إلى قراءة الخرائط الجغرافية وفقاً للأيدولوجية الصهيونية، بإبراز استمرارية تواجد اليهود في فلسطين.

في كتاب التاريخ إسرائيل جغرافية وموطن للصف الخامس، يتم التركيز على علاقة اليهود بالأرض، من خلال الاسهاب في الحديث عن مملكة إسرائيل منذ قيامها وحتى السبي البابلي، مروراً بالعهد الفارسي وعودة اليهود إلى الأرض، ثم الغزو اليوناني، فثورة المكابيين وتحرير مملكة يهوذا، وفي كل ذلك يهدف الكتاب إلى تثبيت استمرار التواجد اليهودي إلى ما بعد الفتح الإسلامي، وإبراز العلاقة الروحية بين اليهود والأرض كمظهر من مظاهر تلك الاستمرارية، ثم يختم الكتاب في جزئه الثامن حديثه عن قيام الحركة الصهيونية الحديثة<sup>(1)</sup>.

كان الهدف من ذلك هو بيان أن اليهود هم الأغلبية، وأنهم أصحاب الأرض، وأنهم كانوا يتعرضون بين الحين والآخر إلى الغزو الأجنبي، وكانوا بطبيعة الحال يحملون لواء المقاومة فقد جاء في كتاب الجغرافية "إسرائيل جغرافية وموطن" للصف الرابع الابتدائي: "مرت على أورشليم أطوار كثيرة، فقد تعاقب عليها بعد الإسرائيليين، حكم الرومان، والبيزنطيين، والعرب، والصليبيين، والمماليك، والأتراك، والإنجليز... إلخ"<sup>(2)</sup>.

في كتاب "مقراءوات إسرائيل حدشوت" "مختارات إسرائيل الجديدة"، الصفحة 253 المقرر للصف الثاني، فصل بعنوان "مدن عتيقة في يهوذا"، جاء فيه: لم يتوقف الاستيطان اليهودي في الخليل على مدار جميع الأجيال... لكن في فترة الاستيطان العبري الجديد لم يتكاثر اليهود فيها، في سنة 1929 ارتكب العرب مذبحاً ضد يهود الخليل، الكثير منهم قُتلوا بوحشية وتُرك الاستيطان اليهودي منها كلية... في حرب الأيام الستة سقطت الخليل ذات الـ 70 ألف نسمة من السكان العرب في أيدي

(1) صالح عبد الله سرية، تعليم العرب في إسرائيل، ص 182-183.

(2) فؤاد حداد، إسرائيل جغرافية وموطن، للصف الخامس ابتدائي في المدرسة العربية، ص 234، نقلاً عن: منير بشور وخالد مصطفى الشيخ يوسف، التعليم في إسرائيل، ص 209.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

جيش الدفاع الإسرائيلي، وعادت مغارة المكفيل (الحرم الإبراهيمي) لتصبح ملكا لإسرائيل<sup>(1)</sup>.

وهكذا فإن منهج التاريخ الجديد الخاص بالمدارس الابتدائية والثانوية، يؤسس الموقف السطحي تجاه تدريس التاريخ العربي، الذي ميز التعليم الصهيوني قبل سن قانون التعليم عام 53، وهذا الاتجاه جرت تقويته بعد عام 1956 عندما تمت تعبئة جهاز التعليم لرفع مستوى الوعي اليهودي الصهيوني، وفي عام 1957 صدر توجيه من مدير عام وزارة المعارف يقضي بلزوم تعميق دراسة الماضي اليهودي الإسرائيلي<sup>(2)</sup>، ليتم توجيه الطفل نحو تنمية الارتباط فكريا ووجدانيا بالوجود اليهودي في فلسطين، حيث يقدم تاريخ إسرائيل مفصلا في "سلسلة وقائع تاريخ شعب إسرائيل"، المقررة للصف الخامس ابتدائي، على اعتبار أن تاريخ أرض إسرائيل هو التاريخ اليهودي، كما يتم استعراض مسيرتهم التاريخية وصولا إلى وضعهم في أوروبا ونشأة الحركة الصهيونية، في كتاب "هذه بلادنا"<sup>(3)</sup>.

في كتاب "إسرائيل، معالم البلاد وجغرافيتها" طبعة 1963، الصفحة 48 المقرر للصف الثامن (الثانية متوسط) يتم التشديد على إبراز العلاقة التاريخية بين اليهود وبين الأماكن الجغرافية في فلسطين، حيث ورد فيه: "لقد تم استيطان الشفيل الجنوبية في السنين الأخيرة فقط، وهي تسمى اليوم -جيبيل لخيش- أي منطقة لخيش على اسم تل لخيش، وفيه أنقاض آثار من عهد ملوك إسرائيل"<sup>(4)</sup>. كما ورد في الصفحة 79: "أعلى جبال أورشليم هو جبل النبي شموئيل 885م، ويتراءى هذا الجبل من بعيد فيظهر ببناؤه القديم الذي يقع في قمته والذي بني، حسب ادعاء الناس، على قبر النبي شموئيل اليهودي"<sup>(5)</sup>.

وتعزيزا لهذا الاتجاه وهو تركيز الكتب المدرسية على الوجود المستمر لليهود في الأرض، وتأكيدا على بقائهم في بعض مدنها وتميزهم ودورهم الحضاري، مقابل إهمال أو تهميش الوجود العربي، يستدل إيلي بودي في نقده بنص للامتحان السنوي العام للصف الثامن 1972، وقد طلب من التلاميذ أن يجيبوا على عدة أسئلة على أساس النص التالي:

(1) \_ أنطوان شلحت، مناهج التعليم الإسرائيلي، مازال السلام خارج حدود المدرسة، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، قضايا إسرائيلية، العدد 3، صيف 2001، ص 84-85.

(2) \_ إيلي بودي، الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية، ص 63.

(3) \_ وائل أمين القاضي، التربية في إسرائيل، ص 72-73.

(4) \_ منير بشور وخالد مصطفى الشيخ، التعليم في إسرائيل، ص 208.

(5) \_ المرجع نفسه، ص 209.

"لم يهجر اليهود قط أرض إسرائيل، هناك أوقات كان المجتمع اليهودي فيها كبيرا، وأخرى كان صغيرا، ولم يحدث في أي وقت، على أي حال، أن كانت هناك أهمية لموضوع الحجم، يهود إسرائيل رأوا أنفسهم نخبة، يمثلون كل الأمة اليهودية. المجتمع اليهودي، كبيرا كان أم صغيرا اشتمل على عدد كبير من الحكماء والباحثين والكتاب، الذين كتبوا ونشروا مقالات، وكتب على عكس من ذلك، فإن العرب والمسيحيين الذين أقاموا في أرض إسرائيل لم ينتجوا شيئا له أهمية، ولم يتركوا وراءهم أي إنجاز، هذا بالرغم من أن الأرض مقدسة في ديانتهم<sup>(1)</sup>". ويعتبر إيلي بوديه هذا النص من بين أقوى النصوص التي تنفي أي ادعاء عربي أو غيره في أرض فلسطين، لأنه يعمل على خلق الصلة بين الاستيطان اليهودي المبكر والمشروع الصهيوني<sup>(2)</sup>.

أما الهدف من مثل هذه المقررات فهو طمس عروبة فلسطين واجتثاث الوجود العربي منها، بحيث - كما تؤكد نوريت بيلد الحنان- يتم إغفال الحديث عن أي معلومة تتعلق بالعرب، في مقابل الاسهاب في ذكر لطفة اليهود وحنينهم إلى الوطن المفقود خلال الألفي عام، لذلك تقدم الكتب المدرسية مادة الجغرافية بما يتوافق وهذه التزعة<sup>(3)</sup>، وتذكر نوريت مثلا لتوضح ذلك في كتاب "بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط" الصفحة 54 إلى جانب خريطة لهذه البلدان:

"لو رسمت هذه الخريطة قبل 100 سنة فلم يكن من الممكن أن يوجد لون خاص لليهود، لأنهم في معظمهم كانوا يعيشون في بلدان أخرى (فقد كان اليهود في المنفى على مدى ألفي سنة). إن أرض إسرائيل هي أرض اليهود. فعلى مدى السنوات التي كان اليهود يعيدون خلالها عن بلدهم (...). كانوا يتوقون إلى العودة إليه وإعادة الاستيطان فيه (...). وهم لم ينفكوا يقولون في قلوبهم: "إن نسيك يا

(1) \_ ي. ور. غرلنبرغ (محرران)، امتحانات في القواعد العبرية، تل أبيب 1963، نقلا عن إيلي بوديه الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية، ص 113-114.

(2) \_ إيلي بوديه، الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية، ص 114.

(3) \_ يؤكد البروفسور يورام بار-غال، رئيس قسم الجغرافية والبيئة في جامعة حيفا، أن السائد-في دراسة الخرائط في إسرائيل- هو المفهوم الشائع الذي يقول: "خارطيّ التعليميّة وخارطتك دعائيّة"، وأن إسرائيل والحركة الصهيونية تستغلان هذه السمات لتلبية مصالحها. وأشارت راحيل البويم-دورون في دراستها الشهيرة حول جهاز التعليم العربي خلال مراحل الاستيطان الأولى (مقابل قيام إسرائيل)، إلى أن كتب التاريخ والجغرافية الدراسية، كانت تقوم على قناعة أن تتم تنشئة الأطفال أن يعرفوا ويصبحوا جزءا من المنطقة. إيلي بوديه، الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية، ص 17 و 55.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

أورشليم، تُنسب يميني" (1)، وحينما عاد الشعب اليهودي وأقيمت دولة إسرائيل، أصبحت القدس عاصمتنا، مرة أخرى أهم مركز يهودي للشعب اليهودي" (2).

كذلك كان الإعلام الإسرائيلي - بوسائله المختلفة - القائم على رموز الأيديولوجية الصهيونية (3) ولا يزال بندا هاما من بنود التخطيط العام للعمل الصهيوني، فهو يعمل على ترسيخ الرباط بين الأرض المختارة والشعب اليهودي المقدس (4)، أي العمل على المزاوجة بين مبدأ الحق التاريخي في الأرض، وبين تبرير الاستيطان، وعدم التنازل عنها تحقيقاً للأمن القومي لإسرائيل.

ويأتي هذا في سياق الرفض الصهيوني لعملية الفصل بين الثالوث المقدس، "الشعب اليهودي والأرض وتميزه - قداسته -، وتثبيت تلك العلاقة التلازمية في تحقيق أجزائه، وقد تم تقديم هذا النسق كميدان عمل للإعلام الصهيوني، مارسه لتبرير الاغتصاب وشرعنة التوسع والعنصرية، وذلك من خلال استغلال إشارات الكتب الدينية القديمة اليهودية والمسيحية إلى قيام دولة في فلسطين في العهد القديم، وتم اعتماد ذلك كمبرر ديني وتاريخي لليهود في حقهم في أرض فلسطين (5).

ومن هذا المنطلق ظل الإعلام الإسرائيلي يؤكد على فكرة أن "التنازل عن أي قطعة من الأرض يشكل تهديدا لليهودية الكلاسيكية، وبالتالي تهديد استمرار وجود الدولة كدولة يهودية صهيونية... فسلامة دولة إسرائيل تستلزم عدم التنازل الذي يمكن أن يضر بالاستيطان اليهودي، ومبدأ عدم إعادة كرة التاريخ إلى الوراء مرة أخرى" (6).

ولا يزال ترسيخ هذه الأيديولوجية في الوعي المجتمعي سارياً، فالوجود العربي في لسان حال

(1) \_ سفر المزامير، 5/137.

(2) \_ نوريت بيلد-الحنان، فلسطين في الكتب المدرسية في إسرائيل، الأيديولوجية والدعاية في التربية والتعليم، 159 ص.

(3) \_ تعرف بـ "الاعتذاريات والحجج" الصهيونية\* تلك الشرعية صاغتها الأيديولوجية الصهيونية في وحدتها الثلاثية: 1- شرعية الهجرة والاستيطان، ممارسة السلطة في فلسطين على الأرض والإنسان، 2- شرعية قيام الدولة الاستيطانية، 3- شرعية النظام السياسي المزوج، أي الديمقراطية وحقوق الإنسان لليهودي المستوطن فقط، والقمع والقهر للفلسطينيين. عاطف عودة الرفوع، الإعلام ومحددات الصراع، ص 17.

(4) \_ عاطف عودة الرفوع، الإعلام الإسرائيلي ومحددات الصراع، ص 55.

(5) \_ المرجع نفسه، ص 56-57.

(6) \_ أهارون بلابو، "العنصر اليهودي"، يديعوت أحرونوت 1996/1/16، عن مختارات إسرائيلية، العدد 15، ص 14.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الإعلام الإسرائيلي هو وجود -عدو- عرضي لا دليل على حقه في الأرض ولا أثر له، فقد كتب ش. ليفي في جريدة هاتسوفيه:

" لقد بدأ أبونا إبراهيم تاريخ اليهودية في الخليل حيث استقر هنا، ودفن هنا. لقد كانت الخليل الحصن الكنعاني القوي والخير الذي انهار في نهاية حرب (يهوشع) للاستيلاء عليها. في الخليل انطلقت مملكة داود المهيبه، وهنا في الخليل قام (افينيار) بعد موت (شاؤول) بتوحيد المملكتين، وعودة البناء إلى الخليل إلى الحرم الإبراهيمي، هي عودة الأصول العميقة للأمة بأكملها... ثم يواصل حديثه محتقرا العرب....

وبينما ضرب اليهود جذورهم التاريخية في الدين والثقافة لم يكن للعرب فيها أي وجود ثقافي، إلا كونهم سكانا فقراء وتواقين للدم اليهودي. ولا عجب أن يُطالب زعيم القتل<sup>(1)</sup> بالخليل كلها خالية من اليهود، ولكي يمحو خزي شعبه بتصفية أربعة آلاف سنة من تاريخ وجذور يهودية ضاربة في أرضها. ففي الخليل تتجسد من جديد العلاقة بين الماضي و"الحاضر"، والمستقبل، وهنا يتجدد الحوار بين آباء الأمة وأبنائها فتصافح وتقوى قلوبهم، وأعداؤنا يسعون إلى قطع حبل الاستمرار، ومحو مصدر إرضاع الأمة، فلا تنامي ولا تعمق جذورها. إن الانقطاع من الخليل سيؤدي من بعد إلى استلاب القدس أيضا، ثم حيفا، فبئر سبع، وبقية مدن إسرائيل على أرض إسرائيل. فلنحافظ على الخليل بأعيننا، لأنها البوابة المؤدية على أرض إسرائيل كافة"<sup>(2)</sup>.

### 3. ترسيخ مفهوم الريادة المسلحة وتبرير الاحتلال:

كان الهدف من ترسيخ فكرة الريادة المسلحة هو تخويف العرب وردعهم، تحت عنوان: "لقاء في يافا" من كتاب "أرض الوطن الجزء الثاني"، الصفحة 85، جاء في النص: "في نهاية عام 1907 اجتمع في مدينة يافا شباب في غرفة أحد زعمائهم "يتسحق بن تسيقي"، وتقرر في هذا الاجتماع إقامة منظمة "هاشومير"... عرفوا في بادئ الأمر باسم "بارجيورا" نسبة إلى أحد زعماء الثورة ضد الرومان في القدس واختاروا لأنفسهم شعار "بالدم سقطت يهوذا وبالدم ستقوم يهوذا... وبعد مرور خمس وعشرين عاما

(1) \_ يقصد هنا الرئيس ياسر عرفات. عاطف عودة الرفوع، الإعلام الإسرائيلي ومحددات الصراع، ص59.

(2) \_ د. ش. ليفي، "الخليل نقطة خلاف" هتسوفيه 1995/9/24، عن دورية مختارات إسرائيلية، عدد11، ص13-14.

نصب يتسحق بن ليفي رئيسا على إسرائيل... " (1).

فهذا النص يعطي انطباعا واضحا عن سيادة مشاعر الكراهية والعداء نحو العرب في إسرائيل، وهذه المشاعر أصبحت هي النواة التي تتركز حوله صياغة المناهج التعليمية، بما يفهم منه أن هذه العدائية لعبت دورا رئيسا في توحيد الصف الصهيوني، وتشكيل جبهة الرفض حول أي قرار بخصوص الانسحاب من الأرض، وليس غريبا هنا أن يدرك الطلاب امتزاج الدولة بالعنف، حين يصبح مؤسس عصابة "هاشومير" أو أي عصابة إرهابية رئيسا لإسرائيل (2).

وتتبدى هذه المفاهيم بصورة مؤكدة في كتاب "دروس في التاريخ من أيام البيت الأول، ج1"، وهو كتاب مساعد للصف السادسة ابتدائي، يتضمن دعوة صريحة إلى التوسع واحتلال الأرض، فيعرض في بدايته غزو يوشع لفلسطين لتأسيس مملكة إسرائيل على أنه كان دخولا لأرض الميعاد، ويشيد الكتاب بالسياسة العسكرية التي اتبعها يشوع في حروبه مع الفلسطينيين، وأنه بعد أن هزمهم لم يتردد في استعمال العنف، إذ لم يتهاون مرة أمام أي عدوان خارجي.

ورد في الصفحة 222 من الكتاب: "منذ عودة صهيون امتدت رقعة يهوذا على جزء صغير فقط من أرض إسرائيل، لكن الاستيطان الإسرائيلي انطلق خارج الحدود اليهودية في جميع الاتجاهات، وفي جميع أجزاء الأرض قامت مستوطنات يهودية خاصة في الجليل... وقرر يوحنا هركانوس خوض الحروب في عدد من المناطق لكي يضمها إلى دولة "يهوذا" مما يقع خارج حدودها" (3).

وترى نوريت بيلد-الحنان - جل الكتب المدرسية تصرح بشرعنة السلوكات التي تستهدف طرد الفلسطينيين من أراضيهم على أساس الحاجة إلى تهويد البلاد عن بكرة أبيه، في إطار "ينبغي لنا أن نحافظ على أرض الوطن، وأن نحميها من غزو السكان غير اليهود على نحو يجانب القانون، وأن نستملك الأراضي ونطورها بغية منع الامتداد الإقليمي للمستوطنات غير اليهودية، وخوفاً من أن يتسبب الامتداد العربي في فصل الجليل عن دولة إسرائيل" (4).

(1) \_ صفاء محمود عبد العال، تربية العنصرية في المناهج الإسرائيلية، ص143.

(2) \_ المرجع نفسه، ص144.

(3) \_ وائل أمين القاضي، التربية في إسرائيل، ص96.

(4) \_ نوريت بلد-الحنان. كيف يعلم الطغاة أطفالهم؟ شرعنة إقصاء الفلسطينيين في الكتب المدرسية الإسرائيلية رمزياً ومادياً، مجلة قضايا إسرائيلية العدد 69 مرجع سابق، ص91.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

ويساهم المسرح الإسرائيلي في أعداد الناشئة عسكريا، كما يساهم إلى حد كبير في تكريس العنصرية وغرس بذور الكراهية تجاه الفلسطينيين من خلال أعمال مسرحية كثيرة تستمد مادتها من النص الديني.

وتعتبر مسرحية "يهوه" التي قدمها مسرح هبيما عام 1992 للمؤلف عفرو، من إخراج حنان سنيرن، وكذا مسرحية "ويقول ويذهب"، التي قدمها مسرح الكامييري عام 1996 لفرقة رينا يورشلمي، من أبرز المسرحيات التي تتناول العسكرة والهيمنة العسكرية، وتمجد حروب الجنرالات المتعصبين للدم، فكان في تقديمها بعث جديد وتحقيق للفكر الصهيوني بتحقيق الوعد الإلهي بالأرض<sup>(1)</sup>.

في مقابل ذلك كله، وعلى نحو ما سبق ذكره، يتم توصيف الأعمال الاجرامية ضد الفلسطينيين بأنها أعمال طبيعية، بل وتسمى في العادة "عمليات"، إذ تعد إجراء عقابيا، وتكتسب تقييما أخلاقيا وإيجابيا بالنسبة لمرتكبيها.

توضح نوريت بيلد-الحان ذلك بسوق أمثلة كثيرة، منها ما ورد في الصفحة 331، من كتاب "عصر من الرعب والأمل" حول مجزرة قبية\*: "كان المتسللون يعبرون إلى إسرائيل لكي يرتكبون أعمالا إرهابية، وكانت الدولة مجبرة على حماية مواطنيها": "كانت العمليات، (التي كانت مجزرة قبية واحدة منها) تهدف إلى تعزيز الشعور بالأمن ورفع معنويات مواطني إسرائيل، الذين عانوا من التهديد الدائم في حياتهم، في بيوتهم وفي حقولهم، وعلى الطرقات، وفي نزهاهم"<sup>(2)</sup>.

ولأن المناهج والكتب التعليمية في إسرائيل كما تبين نوريت بيلد - الحنان، قبل كل شيء تعرّف إسرائيل على أنها دولة اليهود، تلفتنا نوريت بيلد الحنان إلى دور الكتب المدرسية في تثبيت الوعي الديني بشكل مباشر أو غير مباشر، أين يتم الدمج بين الديني، والعقائدي، والتعليمي في مضامين الكتب بصورة تراكمية، ويتم ترسيخ ذلك في عقول التلاميذ كل سنة، من أول يوم التحاقهم بالمدرسة إلى حين خروجهم من التدريب العسكري<sup>(3)</sup>، وتعمل الكتب من هذه الناحية على إغلاق دائرة السياسي مع الديني لتتغرز ادّعاءاتهم بحقهم في فلسطين، وأن حقهم هبة من الله، وأن علاقتهم السياسية والدينية

(1) \_ شمعون ليفي، المسرح الإسرائيلي، ص44.

(2) \_ نوريت بيلد-الحنان، فلسطين في الكتب المدرسية في إسرائيل، ص247.

(3) \_ المرجع نفسه، ص25.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

متلاصقة بقوة هذه الادعاءات<sup>(1)</sup>، ويبقى هذا التوجه مستمرا في صلب الفكر الصهيوني، الذي يوجه قارب مشروعه نحو تأسيس الدولة.

إن مثل هذه العمال والمقررات كانت كافية لتكريس العنف وكرهية الآخر في النفسية الإسرائيلية، فينقل نصري الصايغ في كتابه "لو كنت يهوديا" نتائج استطلاع أجراه البروفيسور أدير كوهينين طلاب يهود في الصفوف الرابعة والخامسة والسادسة في مدارس حيفا، والذي نشرها في كتابه السابق "وجه قبيح في المرآة"\*، يذكر فيه أنه طلب إلى الطلاب أن يكتبوا في خمسة مواضيع كان من بينها: ماهي التدايعيات التي يثيرها سماع كلمة "عربي"؟ فجاءت النتائج حسب النسب والأوصاف المرعبة والمقرزة كما يلي:

✓ 75% يعتبرون أن العربي خاطف أولاد، قاتل، مخرب، مجرم... إلى غير ذلك من الصفات والنوعت الحسيسة والدينية.

✓ 80% يرون فيه أنه غير متحضر، يعيش في الصحراء، راعي بقر، ذو سحنة مخيفة... ، قذر ونتاج، تنبعث منه رائحة كريهة.

✓ 90% ينكرون حق العرب في البلاد، مؤمنون أنه ينبغي قتلهم أو شنقهم، أو ترحيلهم.

✓ غالبيتهم يرغبون بالسلام بمفهومه الصهيوني، وهو أن يسلم العرب بالسيادة الإسرائيلية على كامل البلاد.

وقد كتب أحدهم العربي عدو، خنزير لص، وكتب آخر يجب أن نقتل العرب، يجب أن نجلسهم على كرسي كهربائي، أن نعلقهم على أعواد المشانق، أن نطردهم من البلاد أنا كهانا.

(1) لعل ما تفسره تدخلات السياسة الإسرائيلية في ضبط وتوجيه المناهج خير دليل على ذلك، حيث أكد منير بشور أن مختلف المؤسسات التعليمية تخضع لتفتيش رسمي من قبل وزارة التربية والتعليم، وبتشديد متفاوت وفقاً لأجندات سياسية في كثير من الأحيان. أما جوني منصور فيؤكد على خضوع الكتب التعليمية في إسرائيل لعمليات تدقيق مشددة قبل المصادقة عليها وإجازتها، وسعي إسرائيل لجعل هذه الكتب وسيلة لبناء هويتها القومية، وجعلها عاملاً رئيسياً في الربط بين الحاضر والموروث الثقافي والديني، وأداة توجيه فكري وأيديولوجي ديني، حيث يجمع في كتب التاريخ والجغرافيا والمدنيات إدخال مضامين أو أسماء لا تتوافق مع الفكر الصهيوني، القائم على ترسيخ يهودية الدولة، ويسمح فقط بك ما يتوافق مع الرواية اليهودية التوراتية على نحو ينكر الوجود الفلسطيني، ويخرجه من الذاكرة ومن التاريخ، وحتى من الجغرافيا. منير بشور وخالد مصطفى الشيوخ يوسف، التعليم في إسرائيل، ص 54-95. منصور جوني، التدين في كتب ومناهج إسرائيل، ط1، (رام الله، مركز مسارات، 2018)، ص 32-33.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

كما كتبت إحداهن رسالة إلى عربية، تقول فيها: أتمنى أن تموتي، وأن تصبحي مريضة، أنتظر أن تموتي، وليت كل عائلتك تموت". وقد أوضح كوهين أن هذه الكتب كان لها تأثير كبير ودور بارز في تكريس الكراهية تجاه العرب<sup>(1)</sup>.

ويُدين الباحث الإسرائيلي غور زئيف بشدة مناهج التعليم الإسرائيلي، فهي من وجهة نظره، لم تتغير طيلة الفترة الممتدة بين 1916 و1953 وكانت منتجة للعنف، كما يؤكد غور زئيف أن قانون التعليم الإسرائيلي أهمل الحديث عن الموضوع الإنساني للتعليم وأغفل ذكر التلميذ إطلاقاً، ولم يتم فيه تناول المدرسة كمكان يفترض أن يكون للتعليم والدراسة، بل كانت قوانين التعليم المسنونة وأهدافه كما عرفها بعضهم جزءاً من الحركة الاستعمارية<sup>(2)</sup>.

ومما سبق عرضه يتضح لنا أن أهداف التربية والتعليم في إسرائيل ارتبطت بالمعالم العامة للفلسفة الصهيونية، فهي تسعى إلى ترسيخ القومية اليهودية وربطها بالتراث الديني اليهودي. وهي تربية ترسخ لفلسفة الاضطهاد، وتربي اليهودي على القسوة والانتقام من الآخر.

إن الصهيونية خلقت لها بدائل عملية استخدمت كأدوات في الصراع العربي الإسرائيلي، وتقوم مقام الزعامات الصهيونية المؤسسة، والمتمثل إعداد الناشئة وتربيتهم تربية صهيونية، فبدلت جهداً معتبراً يسبق الوسائل المادية، في التأكيد على أن التعامل مع الآخر ينبغي أن يتم بناء على نظرة النص الديني له، ووفقاً للكتابة التاريخية الصهيونية، وهو ما ترجمته الكتب المدرسية والإعلام والفن وغيرها.

إن التربية الصهيونية تمكنت من تجريد اليهودي من إنسانيته، ومثل ما كان السيف، والنار، والدم، والثأر، والانتقام من أبرز الشعارات التي ترددها الزعامات الصهيونية، فقد بات العنف ثقافة وجزءاً من تكوين اليهودي ونمطاً من أنماط سلوكه.

(1) \_ نصري صايغ، لو كنت يهودياً، ص 70-71.

(2) \_ إيلان غور زئيف، المدرسون وبناء الأمة في إسرائيل، ص 76.



المبحث الثالث: تجليات العنف في الممارسات الصهيونية.

منحنا الحديث عن التربية الصهيونية وتكريسها للعمل العبري والريادة اليهودية في الأرض ففهم وتحديد الرؤية الصهيونية لعلاقة اليهود بالأرض، فهي ترى أن ترسيخ الوجود اليهودي حق ثابت في فلسطين ينبغي أن يكون وفق ما يقتضيه مشروع إسرائيل الكبرى.

وفي سبيل تحقيق ذلك سعت الصهيونية بالاتفاق مع بريطانيا إلى إقامة الدولة اليهودية في فلسطين؛ أولاً: من خلال هجرة وتهجير اليهود إلى فلسطين واستيطانهم فيها وترحيل العرب عنها وتوطينهم في البلدان العربية وتحقيق الاستعمار الاستيطاني عن طريق المجازر الجماعية والحروب العدوانية وبناء المستعمرات اليهودية، وثانياً: الانطلاق من الأمر الواقع الناتج عن استخدام القوة والاستعمار الاستيطاني، لفرض اتفاقات إذعان على بعض الأطراف العربية<sup>(1)</sup>. ذلك أن الحروب الإسرائيلية تستند في الأساس إلى ركيزتين أساسيتين هما: "الهجرة - استيراد المادة البشرية لإشغال أراضي الاحتلال؛ بناء المستعمرات التي هي شرط لاستيعاب المهاجرين. وإذا كان بناء المستعمرات هو التجسيد لسياسة الأمر الواقع، فإن الهجرة هي الوقود الذي يغذي استراتيجية الحروب التوسعية والقمع والتسلط والقتلاع. وهكذا تغلق الدائرة حروب توسعية، وقمع، واقتلاع، وهجرة، واستيطان، وزرع بذور حروب في المستقبل"<sup>(2)</sup>.

ومن هنا ارتأينا البحث في الهجرة اليهودية إلى فلسطين من حيث موقعها من اهتمامات الصهيونية، بتتبع تطورها الزمني وبيان دوافعها وروافدها، وكيف مثلت أول تجلي للعنف الصهيوني بتهويد فلسطين ديمغرافيا قبل وبعد قيام إسرائيل، كما تطلب ذلك بيان تداعياتها من استيلاء على الأرض، وطرد، ومجازر، وغير ذلك من الانتهاكات.

(1) -غازي حسين، الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية والامبريالية الأمريكية، (د. ط)، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005)، ص15.

(2) -سمير جبور، الآثار المحتملة لهجرة اليهود السوفيات في الخريطة الحزبية في إسرائيل، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المجلد1، العدد3، صيف1990، ص2.

المطلب الأول: الهجرة اليهودية<sup>(1)</sup> والاستيطان في فلسطين:

أولاً: الهجرة اليهودية والاستيطان قبل قيام إسرائيل:

### 1- أهميتها في التخطيط الصهيوني:

نبتت أهمية الهجرة اليهودية في الرؤيا الصهيونية من كونها تمثل نوعاً من القيام بالواجب القومي والديني، فاختيار فلسطين مكاناً لهجرتهم - كما أشرنا قبل هذا - يعتبر ضرورة مبنية على أساس ديني وقومي خاصة بطبيعة اليهود، حيث إنها ستساعد على حل المسألة اليهودية، وذلك "بإقامة الدولة اليهودية في فلسطين"<sup>(2)</sup>، نضيف إلى ذلك أن الهجرة اليهودية ارتبطت في الأساس بمشاريع الاستيطان وتكوين الجيش لتنفيذ النشاط التوسعي الصهيوني، فضلاً عن ذلك فإنها ظلت تؤكد مصداقية المشروع الصهيوني الرامي إلى جمع شتات اليهود وإعادة بناء وتكوين الدولة على انقاض الهيكل الذي دمره الرومان منذ عام 70م.

ولهذه الأسباب أخذ الحديث عنها مكاناً هاماً في خطابات الزعامة الصهيونية<sup>(3)</sup>، وأدرك الصهاينة أن الهجرة هي العمل الأساس الذي سيمكنهم من إقامة الوطن القومي اليهودي. وهذا ما عكسته أدبياتهم قبل وبعد تبلور المشروع الصهيوني عام 1897<sup>(4)</sup>.

والشاهد على ذلك ما أكده بن غوريون في عام 1942 أمام تجمع يهودي في فلسطين، أن يهود العالم يكونون شعباً واحداً له قومية واحدة لا وطن ولا خلاص له إلا بالعودة إلى أرض الميعاد (أي فلسطين)<sup>(5)</sup>.

وفي الواقع لم تكن هجرات اليهود في السابق والتي كانت فردية في حقيقتها، لأهداف سياسية فاليهود منذ خراب الهيكل، وحتى مطلع القرن التاسع عشر، عاشوا في فلسطين كأقلية دينية امتزجوا بالسكان

(1) \_ استخدمنا هذا الاطلاق من باب الأمانة العلمية، ذلك لأن المشروع الصهيوني هو مشروع سياسي استيطاني إحلالي قام بتوظيف الدين لصالحه، والأفضل كما نراه هو التعبير عنها بـ "الهجرة الصهيونية"، فضلاً عن ذلك إننا أشرنا في صفحات البحث أن الصهيونية لم تلق استجابة عند كل يهود العالم.

(2) - نظام محمود بركات، النخبة الحاكمة في إسرائيل، ط1، (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1402-1982)، ص42.

(3) - حسن حماد، الهجرة والتزوح في إسرائيل، شؤون فلسطينية، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، العدد 154-155، جانفي/فيفري، 1986، ص115.

(4) - مروان فريد حرار، الرفض الفلسطيني للهجرة اليهودية إلى فلسطين (1930-1936)، قراءة تحليلية في الخطاب السياسي الفلسطيني، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد2، مارس2013، ص222.

(5) - مصطفى عبد العزيز، إسرائيل ويهود العالم، (د. ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1969)، ص. 17

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الأصليين، يطلق عليهم المستعربين<sup>(1)</sup>، وهم من أقدم الطوائف اليهودية في العالم، ثم جاء اليهود من إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر<sup>(2)</sup>(3). ووفقا لما ورد في الكتاب السنوي الإسرائيلي، فإنه كان في فلسطين سنة 1822 ما يقارب 24 ألف يهودي<sup>(4)</sup>.

لكن هذه الرؤيا تغيرت بشكل جذري بعد ظهور الحركة الصهيونية مطلع النصف الأول من القرن التاسع عشر، وتحول أهمية الهجرة نحو جمع اليهود بهدف الاستيطان في فلسطين وتهيئتها ديمغرافيا، إذ بدأ اليهود يعدون للهجرة من خلال جهود أقطاب البرجوازية اليهودية، أمثال مونتيفيوري، ممن ساهموا في إرساء دعامة الاستيطان اليهودي في فلسطين ما بين الفترة 1838-1874 من خلال توجيه الهجرة نحوها<sup>(5)</sup>، وكان حريصا على بقاء اليهود في فلسطين<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> \_ وصف أطلق على اليهود الذين يعيشون في الوسط العربي بطريقة حياتهم وثقافتهم، لكنهم يحافظون على قوميتهم اليهودية، وكان الهدف التعرف على أبناء البلاد وسبل حياتهم، وقد انعكست هذه الصفة في أفراد هشومير، وفي بداية الثلاثينيات أعطيت كنية لرجال العصابات عندما قامت عصابة (الهاغاناه) بتشكيل فريق من أعضائها للقيام بمهام استخباري، وتنفيذ عمليات قتل وتصفية ضد الفلسطينيين. كما أطلقت على نشاط المنظمات الصهيونية الإجرامية مثل ليحي وايتسل وشترن التي تسللت إلى الوسط العربي لتنفيذ مختلف العمليات الاجرامية، كالاغتيالات مثال. جوني منصور، معجم العلام والمصطلحات الصهيونية، ص429. وغسان دوعر، المستعربون فرق الموت الإسرائيلية، ط1، (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004)، ص17.

<sup>(2)</sup> \_ خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط وصداه (1908-1918)، سلسلة كتب فلسطيني(41)، (د. ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1973)، ص10.

<sup>(3)</sup> \_ كان ذلك بعد عملية الطرد الكبرى لليهود من إسبانيا عام 1429، الذي شكل بمفهومه تمهيدا لنشأة الصهيونية، وهم الذين عرفوا بالسفارديم (اليهود الشرقيين)، أقاموا في صفد ثم انتقلوا إلى القدس بعد زلزال 1837، بالإضافة إلى جماعة الاشكنازيم التي يعود وجودها إلى عام 1777، وأصبحت القدس حينها تضم أكبر تجمع يهودي. صبري جريس، تاريخ الصهيونية (1862-1948)، ط2، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1981)، ج1، ص59-60.

<sup>(4)</sup> \_ سمح شبيب، الاستيطان والهجرة في الفكر الصهيوني (1864-1939)، شؤون فلسطينية، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، العدد 248، ص84.

<sup>(5)</sup> \_ فقد حصل مونتيفيوري على وعد من الحاكم العثماني محمد علي في عام 1838 باستئجار 200 قرية في الجليل لمدة خمسين عاما للتدريب على العمل الزراعي والصناعي معفاة من الضرائب، ثم قام بشراء بعض أجزاء الأراضي في يافا والقدس وافتتح فيها مزارع صغيرة، وفي عام 1855 منح حكما بشراء قطعة أرض خارج أسوار مدينة القدس القديمة، أين أقيم عليها أول حي سكني يهودي في فلسطين، وقد مهد ذلك إلى تدفق أعداد من اليهود إلى القدس عام 1859، وتمكن مونتيفيوري بعدها من وضع الحجر الأساس لأول حي يهودي في القدس "شأنيم"، كما أسس الضاحية اليهودية الثانية في القدس "مخنيه إسرائيل" عام 1868، ثم الضاحية اليهودية الثالثة في القدس "نحلات شفعا" مستعمرة السبعة عام 1869، تلى ذلك تأسيسه الضاحية اليهودية "منا شعاريم" في عام 1874، وفي عام 1875 قام منتيفيوري بوضع أساس الضاحية اليهودية الخامسة "حجر إسرائيل"، وفي العام نفسه أجريت دراسات مستفيضة عن مقدسات

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

أعقب ذلك نشاط دعائي واسع تقاطعت فيها الدعوات الغربية مثل دعوة الكولونيل "تشارلز هنري تشرشل"<sup>(2)</sup>، مع دعوة الحاخام يهودا القلعي ذات المنحى الديني، والتي ترافقت مع دعوات الزعامات الصهيونية الدينية<sup>(3)</sup>، مما أيقض في نفوس اليهود الرغبة في إنشاء الوطن القومي اليهودي، وأسفر عن نشاط تلك الدعوات تدفق موجات متلاحقة من المهاجرين اليهود سبقت قيام إسرائيل، وشكلت القاعدة المادية لقيامها، ثم تطورت عملية التوطين بشكل واسع ومنظم قبيل قيام إسرائيل، خاصة بعد مبادرات المنظمة الصهيونية إلى فتح أبوابها على مصراعيها<sup>(4)</sup>. ويمكن تتبع مراحلها كما يلي:

### 2. الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين:

#### – المرحلة الأولى: 1903-1881:

تعد هذه الهجرة أول تطبيق عملي للفكر الاستيطاني الصهيوني نحو اغتصاب الأرض<sup>(5)</sup>، فقد أخذت كذريعة بسبب الاضطهادات التي لحقت باليهود عقب اغتيال قيصر روسيا عام 1881، وكذا سن قوانين تحد من حريتهم في روسيا، برغم رفض بعضهم للمبادئ الصهيونية، هاجر خلالها ما بين 20 إلى 30 ألف يهودي، أغلبيتهم من شرق أوروبا وروسيا، وينتمي مهاجروها إلى المثقفين من جيل الطلائعيين المتأثرين بالآمال القومية، وعلى رأسها جمعية "أحباء صهيون"<sup>(6)</sup>، التي عدت من أهم الجمعيات التي

اليهود في القدس خاصة، والاستيطان اليهودي في فلسطين عامة. صبري جريس، تاريخ الصهيونية، ج1، 42-43.

<sup>(1)</sup>– بشير موسى نافع: الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، ط1، (القاهرة: دار الشروق، 1420-1999)، ص56.

<sup>(2)</sup>– المرجع نفسه، ص61.

<sup>(3)</sup> – منهم تزفي هيرش كاليشر ( 1790-1874) وصامويل موهليفير (1824-1898) وموشي لايب ليلينبلوم (1843-1910)، وغيرهم ممن أسهموا في بناء الفكر الصهيوني الحديث في دعوتهم إلى ربط اليهود بالأرض والهجرة إليها انطلاقاً من أسس دينية. أنيس صايغ، الفكرة الصهيونية، ص14، 20، 279 و315، وعبد الوهاب الكيالي، المطامع الصهيونية التوسعية، ص15

<sup>(4)</sup>– أسعد رزوق، في المجتمع الإسرائيلي، ص50.

<sup>(5)</sup>– خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط وصداه، ص18،

<sup>(6)</sup> – ترجمة للاسم العبري حيفي تسيون(חובבי ציון)، أطلقت على مجموعة من الجمعيات الصهيونية التي نشأت في التجمعات اليهودية في روسيا، والتي طرح فيها؛ إنه لا حل لمسألة اليهود في أوروبا والعالم إلا بالعودة إلى صهيون، وكان من بين المؤسسين ينسكرو، انضمت إلى الحركة الصهيونية بعد ظهور هرتزل، تضمن مشروعها: إحياء اللغة العبرية، بعث القومية اليهودية. بمحاربة كل طرق الاندماج في المجتمعات الغربية. صبري جريس، تاريخ الصهيونية، ج1، ص102-204، وجوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية، ص16.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وقفت وراء هذه الهجرة متخذين لهم شعارا توراتيا من سفر أشعيا، "يا بيت يعقوب هلم نسلك في نور الرب" أشعيا 5/2<sup>(1)</sup>.

مثلت الهجرة الأولى التمهيد للاستيلاء على الأراضي بشكل تدريجي، رغم عدم انتظامها، إذ تميزت بانعقاد خمس مؤتمرات صهيونية متتالية، تم التركيز خلالها على وجوب الاستيطان في فلسطين باعتباره تجسيدا للكيان القومي اليهودي<sup>(2)</sup>، وقد أسفرت هذه الهجرة عن تشكيل مؤسسات تنظيمية صهيونية<sup>(3)</sup>، بعد تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية عام 1898، والتي عينت نفسها حكومة على يهود العالم دونما اعتبار لموافقتهم<sup>(4)</sup>، أهمها "المصرف الصهيوني" عام 1899 تحت اسم "صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار"، الذي هدف إلى تطوير الصناعات اليهودية في فلسطين، وبالتالي ضمان تدفق المستوطنين، ثم أسس "الصندوق القومي اليهودي" سنة 1901 على أسس استيطانية عنصرية، كما أنشئت "الشركة اليهودية للاستعمار" عام 1902، وقد حملت على عاتقها تمويل استعمار فلسطين وتنظيمه وربطه بالجهود الصهيونية الشاملة<sup>(5)</sup>.

ويمكننا القول أن إنشاء الصندوق القومي اليهودي كان البداية لعملية النشاط الاستيطاني، فقد انصب اهتمامه بقيادة عالم الاقتصاد والاجتماع آرثر روبين على تنظيم الهجرة وفق أسس اقتصادية، بهدف ترسيخ الوجود اليهودي، وطرح على أثر ذلك مسألة توليه مهام شراء واستملاك الأراضي في فلسطين وجعلها ذات ملكية جماعية وليست خاصة، وهويد الأرض المقدسة من جديد<sup>(6)</sup>، وهو ما يعكسه تشكل المراكز الرئيسية للاستعمار الزراعي الصهيوني، بإنشاء المستعمرات الزراعية، وظهور طبقة الملاكين

(1) -أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى، ص 39.

(2) -أسعد عبد الرحمان ونواف الزرو، موجات الغزو الصهيوني، ص 14.

(3) \_ كان ذلك استجابة لوصية هيرتزل: "إن وصيتي على الشعب اليهودي هي: ابنا دولتكم بالطريقة التي تجعل الغريب يشعر بالارتياح". أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، (د. ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1968)، ص 138-139.

(4) -إلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاما، المشروع الصهيوني من المخرد إلى الملموس، ط 1، (دمشق: دار جفرا للدراسات والنشر، 2002)، ج 1، ص 124.

(5) -عبد الوهاب الكيالي، المطامع الصهيونية التوسعية، ص 24.

(6) -عبد الوهاب الكيالي، الكيبوتز أو المزارع الجماعية، (د. ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1966)، ص 12.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

اليهود، الذين أوكلوا أعمالهم الزراعية للعرب<sup>(1)</sup>.

وقد تمّ في هذه الأثناء وضع أسس الاعتماد على الذات، حيث تمكنت جماعة أحباء صهيون في الفترة (1882-1884) من شراء أراضي زراعية، فبرز بين المهاجرين السمسار **حانكين** الذي أنجز صفقات شراء أراضٍ بطرق ملتوية<sup>(2)</sup>، وبدعم من **البارون روتشيلد** الذي أخذ على عاتقه عبء الوصاية على نصف المستعمرات، وامتلاك المزيد من الأراضي، حيث تمت إقامة أولى المستعمرات الزراعية الصهيونية على حساب القرى الصغيرة النائية؛ عيون قارة "ريشون لتسيون" بين القدس ويافا، و"روش بينا" (الجماعونة بالعربية) في الجليل، وزمارين "زحروف يعقوب" عام 1882<sup>(3)</sup>، وفي عام 1883 تم تأسيس مستعمرة "نوس تسيونا"، وتحديد استعمار باب الأمل "بتاح تكفا"<sup>(4)</sup>، وفي عام 1884 أسست مستوطنة "يسود همعلا"<sup>(5)</sup>، كما أنشئت مستعمرة "قطرة" و"عقرون" و"وادي حنين" و"مشمار هاريردن-حارس الأردن" في الجليل، وفي عام 1897 وصل عدد المستعمرات إلى 19 مستعمرة: ومن أبرزها رحوفوت-دايران، حديرا-الخضيرة، موشا، غان شموييل، متوالا-المطلة، التي كانت أساس الاستيطان الحديث في فلسطين<sup>(6)</sup>.

### المرحلة الثانية: 1904-1914:

جاءت هذه الهجرة كذلك عقب موجات الاضطهاد الروسي المتواصلة ضد اليهود، خاصة مذابح كيشنيف 1903، ثم فشل الثورة الروسية 1905، وقد ضمت ما بين 35-40 ألف يهودي<sup>(7)</sup>، وتميزت هذه الهجرة باقتصارها على الفئات الشبابية، من العاطلين المتحمسين والمتعصبين الثائرين على حياة

(1)-أسعد عبد الرحمان ونواف الزرو، موجات الغزو الصهيوني، ص14.

(2)-إلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاما، المشروع الصهيوني من الجرد إلى الملموس، ج1، ص118.

(3)-عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط10، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 1990)، ص26، وباروخ كيميرلنغ، المجتمع الإسرائيلي (مهاجرون مستعمرون مواليد البلد)، ترجمة عن العبرية: هاني العبد الله، مراجعة: عزمي بشارة، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011)، ص111.

(4) \_ تم استملاك أراضي مستوطنة "بتاح تكفا" من طرف يهود مقدسيين من اليشوف القديم (الاشكنازي)، ومن طرف مهاجري الفترة الأولى بهدف إقامة مستعمرات زراعية أقيمت فعلا عام 1878، لكنها أخليت بسبب المرض وتراكم الديون. كيميرلنغ، المجتمع الإسرائيلي، ص112.

(5)-باروخ كيميرلنغ، المجتمع الاسرائيلي، ص112.

(6)-خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط، ص18-19.

(7)-صبري جريس، تاريخ الصهيونية، ج1، ص269.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

المنفى، الذين احتضنوا المثل الاشتراكية وتطلعوا إلى تكوين طبقة عمالية<sup>(1)</sup>. وقد حملوا معهم من روسيا نزعات القوة والعنف المسلح لفرض وجودهم بالقوة على سكان فلسطين<sup>(2)</sup>، وتمحورت طموحاتهم حول العمل من أجل استعادة أرض إسرائيل (أرض الآباء والأجداد)، وعودة شعب إسرائيل إليها تطبيقاً لشعار "استعادة الأرض والعودة إليها"<sup>(3)</sup>.

كما تعتبر الهجرة الثانية الفريدة من نوعها، إذ أنها جاءت بعد انعقاد عدد من المؤتمرات الصهيونية، حولت على إثرها المنظمة الصهيونية جهودها نحو دعم وتعزيز الهجرة وتطوير المستوطنات اليهودية<sup>(4)</sup>، ولم تكتف المنظمة بتكثيف الهجرة، بل عملت على تحقيق المصالح الاقتصادية والصناعية للمهاجرين، لذلك أنشئت مؤسسات تولت التنظيم والإشراف على الهجرة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، مثل "شركة تطوير الأراضي-تأهيل الاستيطان"، عام 1908 التي اهتمت بجمع الأموال لشراء الأراضي وإدارة مراكز تدريب المهاجرين الجدد على الزراعة والصناعة، كما أسس "مكتب فلسطين"، الذي أخذ على عاتقه تنمية الاستيطان الصهيوني، بتوليه عملية التطوير المنظم لعملية الاستيلاء على الأراضي والمساعدة في شراء الأراضي واستصلاحها<sup>(5)</sup>، والإشراف على خدمة وتوطين اليهود في مستعمرات زراعية<sup>(6)</sup>، على أن الهدف الأساس من إنشاء تلك المؤسسات إنما هو التخطيط لعملية الاحتلال اليهودي المستمر لأرض فلسطين<sup>(7)</sup>.

من جهة أخرى وتطبيقاً لسياسة التغلغل الاقتصادي<sup>(8)</sup>، اكتسبت الهجرة الثانية أهمية خاصة، إذ تم

(1)- عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص 23.

(2)- إلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاماً، المشروع الصهيوني من المجرى إلى الملموس، ج 1، ص 84.

(3)- عبد الوهاب الكيالي، الكيبوتز أو المزارع الجماعية، ص 13.

(4)- خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط، ص 56.

(5) \_ كان ذلك ترجمة لقرارات المؤتمر الصهيوني الأول 1897، التي كانت تقضي بـ: تعزيز النشاطات الصهيونية المتمثلة في: التنظيم، الاستيطان، الدبلوماسية، ولتحقيق ذلك اتخذ المؤتمر مجموعة من الإجراءات كان أهمها: تطوير الأرض في إسرائيل (فلسطين) بشكل منظم، عن طريق توطينها باليهود المزارعين والحرفيين والمهنيين. صري جريس، تاريخ الصهيونية، ج 1، ص 266.

(6)- عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 34.

(7)- إسماعيل أحمد ياغي، الجذور التاريخية للنكبة الفلسطينية، (د. ط)، (الرياض: دار المريخ، 1403 - 1983)، ص 46. ط 1، (دمشق: دار جفرا للدراسات والنشر، 2002).

(8) \_ شعار الصهيونية العملية، يرى دعائه أن الحق التاريخي في فلسطين يستدعي اكتساب صبغة عصرية تقوم على إخضاعها للتطور الاقتصادي الصهيوني، وإثبات أن ما تنعم به فلسطين إنما يعود إلى الريادة الصهيونية. إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949، ط 1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996)، ص 338.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

تشكيل مشاريع جديدة من أساليب الاستيطان تعرف بالكيوتز "الموشاف" المستعمرات التعاونية"<sup>(1)</sup><sup>(2)</sup>، وتمهيدا لتنفيذ مشروع اغتصاب فلسطين، أصدرت المنظمة الصهيونية العالمية في مؤتمرها التاسع عام 1909 قرارا بإدراج هذه المستعمرات ضمن برنامج نشاطها. كما عدت فيما بعد نماذج للمشاريع الاستيطانية في فلسطين<sup>(3)</sup>.

ولأن أبرز أهداف الصهيونية في مراحلها الأولى - كما أشرنا سابقا - هو التمهيد لتكوين كيان يهودي يضمن بقاء واستمرار النشاط الاستيطاني، فإن الهجرة الثانية اختلفت عن الأولى من حيث أنها قامت على الملكية الجماعية، "كما تمكن أعضاؤها من مراكمة ما يكفي من الطاقة البشرية المدربة في فنون القتال"<sup>(4)</sup>، ومع ما جلبته من أفكار عكست التعصب العقائدي الصهيوني، مثل "عبرنة العمل"، و"الحراسة العبرية"، شهدت هذه الهجرة نشأة بعض المؤسسات الاجتماعية والتشكيلات الحزبية للدفاع ولترسيخ الوجود اليهودي... ، ففي العام 1905 أنشئ حزب "هبوعيل هتسعير"<sup>(5)</sup> الذي كان له دور فعال في إقامة الأنماط الاشتراكية التعاونية من المستعمرات اليهودية في فلسطين<sup>(6)</sup>. كما أنشئت التنظيمات المسلحة، مثل التنظيم العسكري السري "بارغيورا"<sup>(7)</sup>، الذي أخذ على عاتقه احتلال العمل،

(1) \_ نوع من المستعمرات الزراعية اليهودية المستندة على المبادرة الفردية والأموال الخاصة للمستوطنين، وهي تشمل: المستعمرات التعاونية للملاك الصغار "موشافيم أوفديم"، والمستعمرات الجماعية لصغار الملاك "موشافيم شتيفيم"، والمستعمرات الخاصة بملاك صغار المهاجرين "موشافيم أوليم". إبراهيم العابد، الموشاف، القرى التعاونية في إسرائيل، (د. ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1968)، 47-48.

(2) -أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى، ص 151.

(3) -إبراهيم العابد، الموشاف، ص 9.

(4) -باروخ كيميرنغ، المجتمع الإسرائيلي، ص 150.

(5) \_ حزب صهيوني للعمال عمل في فلسطين في الفترة الواقعة بين 1905 و1930، كان يدعو إلى احتلال العمل وتجسيد الصهيونية وخلق مجتمع عبر، كما طالب زعماؤه بالتمركز في النشاط الزراعي للمستعمرات اليهودية. ، وقد ساهم في نشاطات توسعية عبر إقامة المستعمرات أفرايم ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ص 149، وجوي منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية، ص 484.

(6) -أسعد رزوق، نظرة في أحزاب إسرائيل، (د. ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1966)، ص 64.

(7) \_ تنظيم عسكري يهودي، أسس عام 1907، أخذ اسم "بارغيورا"، نسبة لزعيم الثورة اليهودية ضد الرومان عام 70 من نادوا بتحقيق العمل الصهيوني الاشتراكي، تأسس على خلفية أساليب الخداع والرشوة التي اتبعها المهاجرون اليهود في شراء الأراضي كان هدفهم حراسة المستعمرات والدفاع عنها ضد العرب، من أبرز مؤسسي التنظيم إسحق بن تسفي (ثاني رئيس لإسرائيل)، ويسرائيل شوحاط الذي اختير رئيسا له . جوي منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية، ص 88.

## الفصل الثالث: ..... عمليات العنف في الفتر والممارسات الصهيونية

وترسيخ الحراسة اليهودية في المستعمرات من أيدي العرب وتحويلها إلى اليهود<sup>(1)</sup>، باعتبارها من المفاهيم المترابطة التي تشكل عصب الأيديولوجية الصهيونية، وكل واحد منهما - كما يؤكد جوزيف فيتكين<sup>(2)</sup> - يكمل الآخر<sup>(3)</sup>، وكان شعاره "بالدم والنار سقطت "مملكة" يهوذا، وبالدم والنار تقوم يهوذا"<sup>(4)</sup>.

ثم أخذت فكرة توسيع النشاط العسكري تبرز بشكل واضح بغية مرافقة المسار السياسي الرامي إلى إقامة وطن قومي يهودي، بما يقضي بالقيام بعمليات تخريبية ضد مواقع فلسطينية، أو التعرض لأشخاص معينين للدلالة على حجم القوة العسكرية التي يمتلكها يشوف اليهودي<sup>(5)</sup>. متجسدا في وضع حجر الأساس لأبرز المنظمات الإرهابية، بتأسيس المنظمة العسكرية هشومير "الحارس اليهودي"<sup>(6)</sup> التي مثلت فيما بعد نواة العسكرية اليهودية في فلسطين<sup>(7)</sup>. وكان الهدف من تأسيسها ابتداء هو تحقيق مبدأ الحراسة اليهودية المبنية على الطهارة اليهودية، إلا أن عملها تعدى إلى مجال العمل الفعلي في الأرض والحرف وتطوير الحركة الاستيطانية<sup>(8)</sup>، وكان من الطبيعي أن يرافق ذلك سلوكيات عدوانية<sup>(9)</sup>، أهمها طرد الفلاحين من أراضي الملاك الغائبين الذين باعوا الأراضي للصندوق القومي، ويشهد الباحث غابرييل بيتر بيرغ وهو يهودي معارض للصهيونية، بأن "أعضاء الحزب الصهيوني العمالي "الحارس الفتي" اعتدوا على الفلسطينيين، وقاموا بحملة "الاستيلاء على العمل"، وكان هدفهم من وراء ذلك حصر جميع

- (1) - عبد الحفيظ محارب، نشأة التنظيمات الصهيونية المسلحة، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، شؤون فلسطينية، العدد 105، ص 72.
- (2) - ولد في روسيا عام 1898، وهاجر إلى فلسطين عام 1998، من دعاة الهجرة الثانية وحركة العمل في فلسطين، دعا إلى عودة صهيون وبناء الدولة، توفي في مستوطنة ريشون ليتسيون عام 1912. أفرايم ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ص 173.
- (3) - عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، ص 49.
- (4) - باروخ كيمرلينغ، المجتمع الإسرائيلي، ص 151.
- (5) - جوني منصور وفادي نحاس، المؤسسة العسكرية في إسرائيل، ص 24.
- (6) - تأسست سنة 1909، كان مؤسسوها أعضاء في تنظيم بارغورا، وكان الهدف من تأسيسها الحراسة والعمل المسلح، كما كانت حلقة وصل بين الاستيطان الزراعي والتدريب العسكري. عملت بسرية في مجال الحراسة وحماية المستعمرات في الجليل، ثم في باقي أنحاء فلسطين، جوني منصور، معجم العلام والمصطلحات الصهيونية، ص 500.
- (7) - أسعد عبد الرحمان ونواف الزرو، موجات الغزو الصهيوني، ص 14.
- (8) - عبد الحفيظ محارب، نشأة التنظيمات الصهيونية المسلحة، ص 72-73.
- (9) - كان من أبرز نشاط العمل المسلح من أبناء الهجرة الثانية الوافدين من روسيا: يتسحق بن تسفي (1884-1936) ويسرائيل جلعادي (1886-1818) ويسرائيل شوحاط (1886-1961) والكسندر زايد (1886-1938)، إلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاما، المشروع الصهيوني من المجرّد إلى الملموس، ج 1، ص 126.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الأعمال في أراضي فلسطين في الجانب اليهودي، وتحديدًا في المزارع "المستعمرات" اليهودية، ومن غير تخفيض الأجور، كما ترافق ذلك مع قيامه بشن حملة لطرد العمال العرب وتشغيل عمال يهود مكافهم لأسباب تتعلق بالاستعمار القومي، وليس بسبب اعتبارات اقتصادية" (1).

فمن الواضح أن الهجرة الثانية قد ارتبطت بالأهداف الاحتلالية التوسعية، ونعلل ذلك بعملية انتقاء جغرافية المستعمرات ومواقعها - بخلاف الهجرة الأولى - تحقيقًا للأهداف الاقتصادية والعسكرية (2)، ويذكر غابرييل بيتر بيرغ؛ أن وصول مهاجري الموجة الثانية، وهم المؤسسون لصهيونية العمل والدولة إسرائيل، قد أدى إلى حدوث تحول من اعتبار الأرض مكانًا للاحتلال، إلى اعتبارها مكانًا للعمل، كما حدث تحول متلازم من المزرعة العرقية إلى المستوطنة الخالصة، وتحول العمال اليهود إلى قوميين متعصبين يسعون إلى إقامة مجتمع يهودي متجانس، لا يكون فيه استغلال للفلسطينيين، ولا تكون فيه منافسة مع الفلسطينيين، لأنه لن يكون هناك فلسطينيون (3). وبهذه الخصوصية شكلت الهجرة الثانية روح ونواة الاستيطان العملي.

هذا؛ وقد ساعد التوسع في المستعمرات استيعاب أكثر للمهاجرين، خاصة بعد إلغاء السلطنة العثمانية القيود المفروضة على تملك اليهود للأراضي في فلسطين، ما أسفر عن تحول ديمغرافي لصالحهم، وعلى أثره ارتفع عدد المستوطنات إلى 59 مستوطنة عام 1914 يقطنها 12 ألف يهودي. كما ارتفع عدد المستوطنين إلى 85 ألف عام 1914 أقام معظمهم في المدن "القدس" و"صفد" و"يافا" و"تل أبيب" (4)، وقد توزعت هذه المستوطنات بين الجليل وبرز بن عامر وسهل سارونة، والتي تعتبر من أحسن الأراضي الزراعية في فلسطين، كما أشارت إلى ذلك النشرة العربية بتاريخ 1917/1/19 (5)، وهذا يدل على أن الهجرة كان لها بعدا اقتصاديا للهجرة، والذي سيكون الحجر الأساس لعملية التوسع الاستيطاني مع ما

(1) - غابرييل بيتر بيرغ، المفاهيم الصهيونية للعودة، ترجمة: سلافة حجاوي، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، 2009، ص 91.

(2) - عبد الوهاب الكيالي، لكيوتز أو المزارع الجماعية في إسرائيل، ص 16.

(3) - غابرييل بيتر بيرغ، المفاهيم الصهيونية للعودة، ص 91.

(4) - عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 34 والكيوتز من الداخل، ص 10، وبامبلا آن سميت، فلسطين والفلسطينيون 1876-1983، ط 1، (دمشق: دار الحصاد، 1991)، ص 34.

(5) - خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط، ص 58.

## الفصل الثالث: ..... تمليكات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

سيتبعه من عمليات الطرد لأصحاب الأرض.

كذلك ارتفعت ملكية اليهود لمساحات واسعة من الأراضي، ووفقاً للمصادر البريطانية فقد تمكنوا منذ 1882 وحتى 1914 من شراء ما مجموعه 600. 420 دونماً (الدونم = 1000 مترمربع) من أراضي فلسطين، وكانت وسائل الشراء الأساسية، المؤسسات الصهيونية والأفراد منذ الهجرة الأولى، وحتى الحرب العالمية الأولى<sup>(1)</sup>، وتبعاً لآخر إحصاء في جريدة الحقيقة البريطانية، بتاريخ 1913/9/23 قدرت مساحات الأراضي الزراعية التي تملكها اليهود بنحو 860.91 دونم<sup>(2)</sup>.

الجدير بالذكر أن الهجرة الثانية جاءت بعد تكوين الصهيونية، لذلك عدها كثير من الباحثين من أهم الهجرات اليهودية وأشد المراحل حسماً في تاريخ الاستيطان، لأنها وضعت الأسس المادية للكيان الصهيوني في فلسطين، تمهيداً لبناء الدولة اليهودية<sup>(3)</sup>، فضلاً عن كونها رحماً لمعظم القيادات السياسية، وأبرز مؤسسي الصهيونية الذين كان لهم شأن في تاريخ العمل الصهيوني وإقامة الدولة وقيادتها بعد 1948<sup>(4)</sup>، وهذا يقضي بأن الهجرة الثانية كانت مصدراً للأيديولوجية الصهيونية في المجتمع اليهودي، كما أصبحت تعكس نوعاً من صور الوجود السياسي، ومنها نبعت وتحددت ملامح الرائد اليهودي<sup>(5)</sup>، كما أن معظم المؤسسات التي تم إنشاؤها خلال هذه الفترة، والتي لاتزال فاعلة حتى يومنا هذا، "كان لها دور

(1) -سميح شبيب، الاستيطان والهجرة في الفكر الصهيوني، ص 87.

(2) -خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط، ص 204.

(3) - تشير خيرية قاسمية إلى أن المنظمة الصهيونية اتخذت في سبيل ذلك أسلوب التدرج في الاستلاء على الأراضي الفلسطينية وهويدها، بدءاً من عام 1908، فسارعت إلى تعزيز العمل الاستيطاني وتقوية مصالحها الاقتصادية والثقافية في فلسطين، وهو ما أطلق عليه "التغلغل السلمي"، ونقرأ ذلك فيما كتبه ييل في تقريره عام 1918: "... إن المنظمة الصهيونية قد تحققت أنه عندما تصبح غالبية السكان في فلسطين يهوداً، والجزء الأكبر من العمل التجاري والصناعي والزراعي في يد اليهود...، وعندما تصبح الثقافة السائدة يهودية، فإن المشكلة الصهيونية سوف تحل، لأن فلسطين ستصبح أرضاً يهودية". خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط، ص 29.

(4) - أمثال دافيد بن غوريون سكرتير المستدروت (1921-1935) وأول رئيس لإسرائيل 1948، وإتسحق بن ليفي ثاني رئيس لإسرائيل بعد بن غوريون، وليفى أشكول، من كبار العاملين في مجال الاستيطان الصهيوني في فلسطين، ويتسحاق طابنكين، منظر حركة الكيبوتزات وزعيم حزب أحدوت هاعفودا (1854-1968) وأبراهام هارتسفيلد كبير منفيي برامج الاستيطان الصهيوني منذ منتصف العشرينات، وشموئيل دايان (والد موشي دايان)، أحد مؤسسي المستعمرات من صنف الموشاف، وغيرهم كثير. (صيري جريس، تاريخ الصهيونية، ج 1، ص 268-269.)

(5) -نظام محمود بركات، النخبة الحاكمة في إسرائيل، ص 42.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

هام في بلورة المشروع الصهيوني ومن ثم إقامة إسرائيل<sup>(1)</sup>.

ويمكننا القول؛ إن الدور الوظيفي لأبناء الهجرة الثانية، يكمن في أنهم شكلوا مركز الثقل الصهيوني، فكانوا هم المؤسسون الفعليون للكيان الصهيوني ما قبل 1948.

### المرحلة الثالثة: 1919-1923:

جاءت هذه المرحلة بعد وعد بلفور<sup>(2)</sup>، واحتلال بريطانيا لفلسطين في أواخر 1918، ثم اعترافها بشرعية الوكالة اليهودية كممثل للمنظمة الصهيونية وإعلان حمايتها لليهود ومساعدتهم والتزامها نحوهم بإقامة وطن قومي<sup>(3)</sup>، بالتواطؤ مع الحركة الصهيونية في تأمين وتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين<sup>(4)</sup>.

في الواقع لم تختلف هذه المرحلة عن سابقتها من حيث الحرص على تطوير عملية التهويد السكاني، حيث وصل 35 ألف مهاجر يهودي، معظمهم من شرق أوروبا منهم 45% من روسيا و30% من بولندا، وأعداد قليلة من لتوانيا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية. وكانوا من الشباب المتدينين المتأثرين بالأفكار الاشتراكية وبالتغيرات الثورية والاجتماعية التي كانت سائدة في أوطانهم الأصلية<sup>(5)</sup>.

ونلاحظ أن الهجرة الثالثة -من حيث أسبابها وروافدها- كانت امتدادا للهجرة الثانية، كما تماثلت معها من حيث الخلفية الاجتماعية والتجانس الحضاري، "فمعظم المهاجرين من العاطلين المتشبعين بالكره

(1)-صبري جريس، تاريخ الصهيونية، ج1، ص. 267 .

(2) \_ وعد بلفور هو التصريح الشهير الذي أصدرته سلطة الانتداب البريطاني في 2 نوفمبر 1917 على لسان وزير خارجيتها آرثر جيمس بلفور تعلن فيه تعاطفها مع الاحلام اليهودية في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين وهو عبارة عن رسالة بعث بها اللورد بلفور إلى اللورد إدmond دي روتشيلد أحد زعماء الصهيونية، يعتبره الصهاينة وثيقة رسمية تمنحهم الحق القانوني في السيادة على فلسطين. جوزف هيرتس، تلمود اليهودية المعاصرة، ص237، وعبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، (القاهرة: دار الشروق، 1999)، ص44.

(3) \_ ( تمثل ذلك في وضع أول قانون للهجرة اليهودية، الذي أصدرته سلطة الانتداب عام1920، ومنح بمقتضاه حق تحديد عدد المهاجرين، من حين لأخرى، بناء على ظروف ومتطلبات البلاد، وتم سن قواعد معينة تسمح للفتات التالية الهجرة إلى فلسطين، وهم: فئة الأشخاص الذين تضمن المنظمة الصهيونية وسائل إعالتهم، لمدة عام، -الأشخاص الذين تتوفر لديهم الموارد المستقلة، أو الذين يقدمون الدليل على قدرتهم على إعالة أنفسهم -، رجال الدين الذين تتوفر وسائل إعالتهم في فلسطين. سميح شبيب، الاستيطان والهجرة في الفكر الصهيوني، ص96.

(4)-أسعد عبد الرحمان ونواف الزرو، موجات الغزو الصهيوني، ص1.

(5)-عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص23.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

والروح العدوانية، امتاز أفرادها بالتعصب والتطرف في المواقف والاستعداد للعمل<sup>(1)</sup>، وهم أيضا من الشباب المتحمسين الذين تدربوا على العنف المسلح في روسيا، والأهم كما يشير غابرييل بيتيريرغ؛ إنهم يمثلون النخبة السياسية الحاكمة لليشوف منذ 1920، وللمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية منذ 1930 فصاعدا، ثم لدولة إسرائيل خلال الفترة (1949-1977)<sup>(2)</sup>.

يبدو لنا أن هذه الميزة عكستها سيطرة هاجس الأمن الاستيطاني على المهاجرين، من منطلق الإيمان أن الهجرة تضمن الإيمان بإقامة الدولة الإسرائيلية، تجسد في تأسيسهم عام 1920 النقابة العامة للعمال "المستدروت"<sup>(3)</sup>، أحد أهم أسس الاقتصاد العمالي الاستيطاني في تنظيم المستعمرات الجماعية، والتي لم تكن مجرد نقابة عمالية على غرار النقابات الأوروبية، فبواسطها تم إرساء القاعدة الاقتصادية للدولة اليهودية، وفي هذا الصدد بين الباحث في علم الاجتماع الإسرائيلي إزنيشتادت دوره بوضوح، إذ قال: "كان الهدف من المستدروت تأمين الشروط الضرورية لإيجاد وتنظيم طبقة عاملة جديدة لها امتيازاتها، وليس الحفاظ على مصالح طبقة موجودة"<sup>(4)</sup>.

ويؤكد الباحث اليهودي غابرييل بيتيريرغ أن أهداف المستدروت كانت تسير جنبا إلى جنب مع الصندوق القومي اليهودي، في سحب الأراضي والعمل من السوق وإغلاقها في وجه الفلسطينيين العرب، مما أدى إلى تقليص الحاجة إلى تعاون الطبقة العاملة اليهودية- العربية إلى حد كبير، وتجلى ذلك في استمراره بإنشاء وتطوير المشاريع اللازمة<sup>(5)</sup> لاستيعاب مزيد من الأيدي العاملة اليهودية<sup>(6)</sup>.

(1)- نظام محمود بركات، النخبة الحاكمة في إسرائيل، ص 45.

(2)- غابرييل بيتيريرغ، المفاهيم الصهيونية للعودة، ص 106

(3) \_\_ منظمة عمالية عبرية تعتبر أهم وأقوى مؤسسة عمالية متعددة الوظائف، هدفها هو تشكيل اتحاد للعمال والفلاحين، وضمت ذراعا خاصا بالبناء والصناعة، وأقسامها خاصة بالصحة والاستهلاك والمالي، وتعمل المستدروت على دعم الاستيطان وبناء مجتمع عمال يهود. من أهدافها أيضا دعم الهجرة اليهودية وتوطين المهاجرين والسيطرة على فلسطين وإقامة اقتصاد مزدهر فيها. (جوني منصور، معجم العلام والمصطلحات الصهيونية، ص 499)

(4)- أنطوان منصور، المستدروت والمجتمع الإسرائيلي، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، شؤون فلسطينية، العدد 34، جوان 1974، ص 98.

(5) \_\_ مثلا: تأسيس بنك العمال عام 1921، وشركة النقل بين المدن أبجد" عام ، 1933 و"مكروت" أهم منظم وموزع للماء في المستعمرات عام 1936، والشركة البحرية "تسيم" عام 1936، إضافة إلى مدارس خاصة بالمهاجرين ونظام صحي خاص باليهود. أنطوان منصور، المستدروت والمجتمع الإسرائيلي، ص 99.

(6)- غابرييل بيتيريرغ، المفاهيم الصهيونية للعودة، ص 93.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

علاوة على ذلك شهدت هذه الفترة إرساء القاعدة الصناعية والاقتصادية اليهودية، كضمان لديمومة الوجود الفعلي لليهود، وتجسد ذلك في إدخال شكل جديد من أشكال الاستيطان عرف بـ "المستوطنة العمالية"، الذي كان من أهم قطاعات الاستيطان الزراعي اليهودي في فلسطين، إلى جانب تركيزهم على الكيبوتز والموشافيم، وشق الطرقات وإنشاء السكك الحديدية<sup>(1)</sup>.

كما قد اقتضى حفظ المشروع الصهيوني وتحقيق الأمن القومي اليهودي في فلسطين أن يتمخض عن هذه الهجرة أبرز إنجازات استقرار التنظيم العسكري الصهيوني، بإقامة أخطر المنظمات الإرهابية<sup>(2)</sup> "الهاجانا"<sup>(3)</sup>، الذراع العسكري الأيمن للوكالة اليهودية، وذلك بعد حل منظمة هشومير، وكان أعضاؤها من أبناء المستعمرات الزراعية المدربين عسكرياً، الذين ساهموا في تنظيم الهجرة واستمر نشاطهم في ذلك حتى بعد عام 1939.<sup>(4)</sup>

وفي عام 1922 تأسست حركة هبوعيل همزراعي على أيدي أنصار هتسعير همزراحي المتأثرين بالفكر الاشتراكي في أوروبا الشرقية، وبأفكار الحاخام شمشون رفاتيل هيرش، وكان شعارهم التحقيق الذاتي للصهيونية بواسطة التوراة والعمل، وبواسطة الدمج بين الفكر الديني القومي والفكر الاشتراكي، ومن أجل بناء أرض جديدة<sup>(5)</sup>، كذلك قامت مجموعة من قدامى هشومير المنشقة عن الهاغاناه بإنشاء التنظيم الإرهابي العصابي السري "هكيبوتس"، وهي عصابة تابعة إلى فرق العمل وإليها يرجع تنفيذ مختلف الأعمال الإرهابية

(1) - زين العابدين محمود حسن، الكيبوتس بين المثالية والواقع في القصة العبرية عند أهارون ميجيد، ط1، (القاهرة: (د. د. ن)، 1415هـ-1994م)، ص33.

(2) - تفاديا للتكرار سنعرض لكل الممارسات الاجرامية التي قامت بها مختلف التنظيمات العسكرية في الصفحات المقبلة

(3) - من العبرية، وتعني "الدفاع"، تأسست عام 1920 على يد بن غوريون، وهي منظمة عسكرية سرية، تمثل القوة العسكرية للشوف اليهودي في فترة الانتداب البريطاني بين 1921 و1948، تمحورت عمليات تطويرها في توفير السلاح اللازم لها واجراء التدريبات العسكرية، وتطوير القدرات الدفاعية والهجومية القتالية لأفرادها، اعتبرها مؤسسوها امتداد لعصابة "هشومير"، كان المنظمين إليها من اليهود المتطوعين، تعتبر أكبر ذراع عسكري للمستوطنين اليهود، في عام 1939، وكل إليها مهام زيادة الهجرة اليهودية وتوسيع الاستيطان على مستوى جميع أراضي فلسطين. جوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية، ص 481، وأفرايم ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: أحمد بركات العجرمي، ط1، (عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1988)، ص115.

(4) - عبد الحفيظ محارب، نشأة التنظيمات الصهيونية المسلحة، ص82.

(5) - عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والسياسة في إسرائيل، ص247.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

التي حدثت في الفترة ما بين 1923 و 1929 وما تلاها، فضلا عن نشاطها في مجال الهجرة والتدريب العسكري، باستخدام المستعمرات قواعدا لهم، وكان ذلك من منطلق ما سماه الصهيونيون بالمشكلة العربية، أو وجود سكان محليين أخذوا يشكلون من وجهة نظر المستوطن الجديد مشكلة<sup>(1)</sup>.

أما ديمغرافيا فقد شهدت هذه الفترة زيادة مستمرة في عدد اليهود في فلسطين عن طريق الهجرة، خاصة بعد إسناد دائرة الهجرة إلى سلطة الانتداب، التي سهرت على ضمان الهجرة بتوفير الظروف الملائمة للوافدين، قدرت نسبتهم بـ 7.9% من إجمالي السكان سنة 1919 وفي الوقت نفسه ازدادت ملكية اليهود للأراضي لتصبح 650.000 دونم بنسبة 4.2% من إجمالي مساحة فلسطين<sup>(2)</sup>، وبالرغم من تصاعد المقاومة العربية خاصة في الفترة (1920-1921-1922)، لم يمنع ذلك من بقاء أبواب الهجرة مفتوحة أمام اليهود، ففي سنة 1922 قدرت الإحصاءات البريطانية نسبة اليهود بـ 11% من مجموع سكان فلسطين نتيجة الهجرة المتزايدة، مقابل تراجع في نسبة العرب من 91,3% من إجمالي سكان فلسطين عام 1918 إلى 87,6% عام 1922<sup>(3)</sup>، وهذه الزيادة كما نلاحظ تعكس الهجرة المكثفة التي شهدتها فلسطين بفضل تسهيلات الانتداب البريطاني.

### المرحلة الرابعة: 1924-1931:

قبل هذه الفترة كانت المعارضة العربية للمنظمة الصهيونية قد وضعت أحكاما إجرائية عام 1920 للحد من الهجرة اليهودية<sup>(4)</sup>، ومع ذلك استمر دخول اليهود إلى فلسطين، خاصة بعد غلق أمريكا أبوابها بوجه الهجرة اليهودية، وسوء الأحوال الاقتصادية في وسط وشرق أوروبا، جراء القيود التي وضعتها بولندا على النشاط الاقتصادي اليهودي، والتمييز ضدهم في فرص العمل، فاستغلت المنظمة الصهيونية

(1)- دان ياهيف، طهارة السلاح، أخلاق واسطورة وواقع، 1936-1956، ترجمة عن العربية: جوني منصور، (د. ط)، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، جويلية 2004)، ص 29.

(2)- وليد الخالدي، صراعنا مع الصهيونية وإسرائيل، مجموعة مقالات ومحاضرات، 1957-2009، ط1، (بيروت: النادي الثقافي الغربي-مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1430-2009)، ص 298.

(3)- إسماعيل أحمد ياغي، الجذور التاريخية للنكبة الفلسطينية، ص 66.

(4) \_ كان منها: منع الهجرة، منع بيع الأراضي، إجراء إحصاء لليهود الوافدين، فرض رقابة حكومية، وبرنامج الدراسة الرسمية على مدارسهم، حضر اجتماعهم الخاصة غير المرخصة، إجراء أعمال مسح لأراضي المستعمرات وفرض الضرائب...، عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 52، وخيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط، ص 98.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

العالمية هذه الظروف في استقدام أكبر عدد من اليهود<sup>(1)</sup>، حملت الفئات الاجتماعية المتوسطة والصغيرة والصناعية والتجارية، وأغلبيتهم من الكوادر العلمية والمهنيين والحرفيين<sup>(2)</sup>.

وقد سجلت هذه الفترة زيادة ملحوظة في عدد المهاجرين، فبلغ عددهم ما بين 1924 و1926 نحو 61 ألف مهاجر بما يقدر بنسبة 74% من مجموع عدد اليهود في فلسطين عام 1922<sup>(3)</sup>، ثم ارتفع عدد المهاجرين مع نهاية 1931 إلى نحو أكثر من 94 ألف، منهم 87.6% من شرق أوروبا وبولندا و12.4% من الدول الأفروآسيوية<sup>(4)</sup>. وما سجلته هذه المرحلة، هو خضوع الهجرة عام 1928 لمعايير انتقاء المهاجرين، فتم منح الزعامات الصهيونية إعادة التفكير في مسألة فتح أبواب الهجرة غير المنظمة، بتفويض من السلطة البريطانية للسماح بدخول مكثف لليهود بما يخدم المنظمة الصهيونية<sup>(5)</sup> مما يؤك أن هدف الصهيونية من تنظيمها للهجرة اليهودية هو تحقيق الأكثرية اليهودية الفاعلة، بما يضمن توسيع الحدود الجغرافية.

فقد قامت سلطة الانتداب على أثرها بتعديل قانون الهجرة السابق وسن قانوناً إجرائياً جديداً لا يزال معمولاً به حتى الآن، يقضي بتصنيف المهاجرين المسموح لهم بدخول فلسطين، باعتماد وضعهم الاقتصادي<sup>(6)</sup>، وأدى ذلك إلى تدفق واسع للمهاجرين فضلاً عن تحايل المنظمة الصهيونية وإدخال المزيد

(1) - عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص 24. وإلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاماً، المشروع الصهيوني من الجرد إلى الملموس، ج 1، ص 140.

(2) - نظام محمود بركات، النخبة الحاكمة في إسرائيل، ص 46.

(3) - أسعد عبد الرحمان ونواف الزرو، موجات الغزو الصهيوني، ص 15.

(4) - عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص 24.

(5) - سحر الهندي، التأسيس البريطاني للوطن القومي اليهودي فترة هيربرت صامويل، 1920-1925، ط 1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)، ص 242.

(6) - وهم: -الأشخاص الذين يملكون مبلغاً لا يقل عن الألف جنيه وعائلاتهم، -أصحاب المهن والحرف الذين يملكون لا أقل من 500 جنيه، لصناع الماهرون الذين يملكون لا أقل من 250 جنيه، -الأشخاص الذين لهم إيراد ثابت لا يقل عن 4 جنيهات في الشهر، الأيتام القادمون إلى ملاجئ فلسطين، -الرجال والنساء الذين يتعاونون الأشغال الدينية والمضمونة معيشتهم ومعيشة عائلاتهم. الطلبة المضمونة معيشتهم، العمال من الرجال والنساء وعائلاتهم، الأشخاص الذين يعتمدون في معيشتهم على أقرباء لهم في فلسطين إن كان هؤلاء بحالة تمكنهم من إعالتهم. جون هوب سمبسون، تقرير عن الهجرة ومشاريع الإسكان والهجرة في فلسطين 22 أوت 1930، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،

http ;//www. palestine-studies. org/ar/resources/docments ص 2.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

من المهاجرين بطرق غير شرعية وإحداث خلل ديمغرافي في فلسطين<sup>(1)</sup>، رافقته زيادة في نسبة اليهود في فلسطين، فوصل عددهم إلى 108000 مستوطن سنة 1925، كما ارتفع عدد المستعمرات إلى أكثر من 100 مستعمرة في السنة نفسها<sup>(2)</sup>. وبحسب آخر إحصاء لعام 1931، قدر عدد اليهود بـ 175 ألف، بما يعادل نسبة 8.16% من مجموع سكان فلسطين<sup>(3)</sup>.

كان من أهم نتائج هذه الهجرة على الصعيد الاقتصادي - خاصة في الفترة ما بين 1924 و 1926- خلقها انتعاشا اقتصاديا داخل التجمع الاستيطاني القديم وتدقفا لرأس المال، بسبب الزيادة السريعة والمفاجئة في الأنشطة الاقتصادية والصناعية<sup>(4)</sup>، أدى بدوره إلى ظهور المستعمرات المدنية وإقامة الصناعات اليهودية<sup>(5)</sup>. وفي مقابل ذلك تعطيل وتوقف نشاط التجارة الفلسطينية وتعطيلها وكسادها، ولجوء الفلاحين إلى بيع أراضيهم لتسديد ديونهم<sup>(6)</sup>.

أما على الصعيد السياسي شهدت هذه المرحلة انتقال القيادة الحزبية إلى من هم من الأصل الغربي، بتأسيس أهم مراكز القوى الفاعلة في الحياة السياسية وهو حزب الماباي، وكانت قياداته تمثل صغار الصهيونيين القادمين من روسيا وبولندا<sup>(7)</sup>، وكان من الأحزاب الداعمة لهجيرة اليهود، ارتبط اسمه بكل محاولات المنظمة الصهيونية من أجل إقامة إسرائيل، بل أصبح معظم أعضائها من قاداته، أمثال **موشي شاريت** و**بن غوريون** و**حاييم وايزمن**، كما عمل على تنظيم وتسليح وتدريب الهاغانا، ومما جعله الحزب الحاكم لإسرائيل بعد تأسيسها، كما كان له دور في تكوين الجيش النظامي بعد 1948<sup>(8)</sup>.

### المرحلة الخامسة: 1932-1939:

تتفق معظم الدراسات على أن هذه الفترة مثلت ذروة الاستيطان اليهودي في فلسطين، خاصة

(1)-سميح شبيب، الاستيطان والمجرة في الفكر الصهيوني، ص 97.

(2)-إلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاما، المشروع الصهيوني من المجرى إلى الملموس، ج 1، ص 136.

(3)-عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص 24.

(4)-سحر الهندي، التأسيس البريطاني للوطن القومي اليهودي، ص 242.

(5)-أسعد عبد الرحمان ونواف الزرو، موجات الغزو الصهيوني، ص 15.

(6)-إسماعيل أحمد ياغي، الجذور التاريخية للنكبة الفلسطينية، ص 63.

(7)-نظام محمود بركات، النخبة الحاكمة، ص 220.

(8)-إبراهيم العابد، الماباي، ص 23.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

السنوات الأربع الأولى، ويرجع ذلك إلى صعود النازية عام 1933، بالإضافة الى تواطؤ زعماء الصهيونية مع النازية وإشراف ومساعدة سلطة الانتداب البريطانية على تكثيف الهجرة بصورة علنية<sup>(1)</sup> حيث استوطن خلالها نحو 46% من إجمالي المهاجرين اليهود في العالم والبالغ عددهم 450 ألفاً<sup>(2)</sup>.

وخلال الفترة 1932-1938 وفد نحو 217 ألف من الشباب اليهودي من أوروبا الوسطى وخصوصا من بولونيا وألمانيا، شكل منهم 91% من أوروبا الوسطى<sup>(3)</sup>، ممن ينتمون إلى الطبقة البرجوازية، ومن ذوي التعليم العالي والأكاديميين والحرفيين والفنانين، الذين كان لهم - من وجهة النظر الصهيونية- دور بارز في التطور الاقتصادي والتنظيمي لحياة قرى العمل<sup>(4)</sup>، وهذا يؤكد على نمو مشروع الوطن القومي نموا مطردا في ظل الحماية البريطانية.

من جهة أخرى أتاح صعود النازية دخول السائحين اليهود إلى فلسطين، في شكل استثنائي استغلته الصهيونية مع التحايل على القوانين والإجراءات البريطانية، لإدخال 474.44 سائحا يهوديا في الفترة ما بين 1931 و1935 دون مغادرة، إضافة إلى تدفق رؤوس الأموال، مما أدى إلى تحول جذري في البنية الاقتصادية لصالح الاستيطان الصهيوني<sup>(5)</sup>، دون أن يخل ذلك بطبيعة الحال من الممارسات العدوانية في حق الشعب الفلسطيني، ومواصلة المنظمة الصهيونية لحملة شراء الأراضي وتشريد أصحابها<sup>(6)</sup>.

كما أدى فتح أبواب الهجرة ديمغرافيا إلى إنشاء وتوسيع المستعمرات الاستيطانية، وصل عددها سنة 1936 إلى 172 مستعمرة، وبالتوازي ارتفع عدد سكان المستعمرات الجماعية "الكيبوتز" و"الموشاف" إلى 580.27 ألف يهودي، كما سجلت هذه الفترة ارتفاعا بيّنا في نسبة مساحة الأراضي التي تملكها

(1)-إسماعيل احمد ياغي، الجذور التاريخية للنكبة الفلسطينية، ص67.

(2)-وجمال حمدان، اليهود أنثربولوجيا، ص244.

(3)-عماد حاد، من داخل إسرائيل، ص24.

(4)-إبراهيم العابد، الموشاف، ص88.

(5) \_ تجسد ذلك في توسع مجال توظيف اليد العاملة اليهودية وسياسة الاحتكار في المدن الساحلية والمستوطنات، وإنشاء تجمعات سكنية وصناعية يهودية صرفة خاصة في تل أبيب وحيفا وصفد، وأمام ذلك تصاعدت مقاطعة العمل العربي، مما أمكن للحالية اليهودية "اليشوف" أن تستقل اقتصاديا. باميلان سميت، فلسطين والفلسطينيون، ص75.

(6)-سميح شبيب، الاستيطان والهجرة في الفكر الصهيوني، ص110.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الصندوق القومي اليهودي فقدرت حينها بنحو 5,15% من مساحة فلسطين<sup>(1)</sup>، وفي نهاية السنة نفسها قدرت نسبة اليهود وفقا لإحصائيات الوكالة اليهودية بـ 28% من مجموع سكان فلسطين<sup>(2)</sup>، فشكل هذا التحول الديمغرافي تهديدا اقتصاديا وأمنيا للفلسطينيين، وكان أحد الأسباب الرئيسية في تفجير الثورة الكبرى عام 1936، وكردة فعل تم تأسيس المنظمة العسكرية "اتسل" عام 1937 وقامت بعمليات انتقامية ضد السكان العرب<sup>(3)</sup>.

ومع نهاية 1939 أدى التدفق المستمر والمكثف للهجرة، إلى تضاعف عدد اليهود في فلسطين، فأصبحوا يشكلون أقلية كبيرة بحيث قدرت نسبتهم بـ 29.10% من مجموع سكان فلسطين، وفي الوقت ذاته ازدادت مساحة ملكيتهم للأراضي لتصل إلى 5,67% من المساحة الكلية لأراضي فلسطين، رافقتها زيادة مطردة في انشاء المستعمرات اليهودية، حيث وصل عددها إلى 224 مستعمرة<sup>(4)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة شهدت تطورا نوعيا، كان بمثابة الإعداد لإقامة كيان يهودي مستقل بذاته على الأراضي الفلسطينية، فالمستعمرات في هذه المرحلة أخذت طابعا عسكريا شبيه بالثكنات العسكرية، وقد اتسمت بمعلمين: جدار الأسلاك الشائكة الذي يطوقها وبرج المراقبة القائم في وسطها، أو ما أطلق عليها تسميته "بسور وبرج"، كما كان لها (المستعمرات) كيانها الخاص بها، من أرض وسكان ومؤسسات اقتصادية واجتماعية وعسكرية وسياسية، أخذت في النمو والتوسع، في شكل يهدد بفرض سيطرتها على معظم مناطق فلسطين وتحويلها إلى دولة يهودية "دولة داخل دولة"<sup>(5)</sup>، وقد امتدت هذه المستعمرات في اتجاه الحدود المجاورة خاصة حدود لبنان الساحلية لتدخل هذه المناطق ضمن الدولة اليهودية المرتقبة<sup>(6)</sup>. وأصبح زعماء الوكالة اليهودية خلال هذه المرحلة مستعدون للبدء بمرحلة جديدة لإقامة دولة

(1)-وليد الخالدي، فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل، ص 298.

(2)-إسماعيل احمد ياغي، الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، ص 67.

(3)-مروان فريد جرار، الرفض الفلسطيني للهجرة اليهودية إلى فلسطين (1930-1936)، ص 238، وباروخ كيميرلنغ، المجتمع الإسرائيلي، ص 161.

(4)-وليد الخالدي، فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل، ص 302-309.

(5)-سميح شبيب، الاستيطان والهجرة في الفكر الصهيوني، ص 118.

(6)-وليد الخالدي، فلسطين وصراعنا مع إسرائيل والصهيونية، ص 307.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

مستقلة، وتحديدًا تقسيم الأرض وطرده العرب من المناطق التي تضم الدولة اليهودية<sup>(1)</sup>.

ويمكن تفسير ذلك بالهبة العسكرية التي قامت بها المنظمات الإرهابية الصهيونية بالتعاون مع المنظمة الصهيونية التي بادرت بنفسها إلى تسليح وتدريب المستوطنين بذريعة الدفاع<sup>(2)</sup>، كما خطت الهاغانا خطوات واسعة اتجهت نحوها إلى جيش متمكن من مواجهة العرب، خاصة بعد قرار الجيش البريطاني الاعتماد على القوات اليهودية بإشراكها في قمع الثورة العربية، فجرى تشكيلها على غرار الجيش الإقليمي في بريطانيا، وكان أكبر تشكيل ما عرف "شرطة المستعمرات اليهودية"، كما جرى تدريبها وفقا لأساليب الجيش البريطاني، الأمر الذي أكسبها خبرة قتالية واسعة ومكنها من التسلل إلى أعماق الريف الفلسطيني، وفي غضون ذلك ألزمت منظمة الهاغانا طلاب المدارس والأطباء بالتدريب على المسؤوليات العسكرية والاستعانة بالعلماء في الصناعة العسكرية، وتمت مناقشة خطة احتلال كامل فلسطين مع قادة الهاغانا<sup>(3)</sup>.

### المرحلة السادسة 1939-15ماي 1948:

تمثل هذه الفترة قمة النشاط الصهيوني، فقد ظل اليهود يشكلون خطرا ديمغرافيا وعسكريا واقتصاديا على عرب فلسطين بالاعتماد على سلاح الهجرة.

ورغم أن الهجرة اتسمت خلال هذه الفترة بسرية إلى حد كبير، بسبب القيود التي فرضتها سلطة الانتداب البريطاني على هجرة اليهود إلى فلسطين، وعلى شراء الأراضي فيها محاولة منها التقرب للعرب واستعطافهم للوقوف إلى جانبها أثناء الحرب<sup>(4)</sup>، فإن ذلك لم يمنع المنظمة الصهيونية من اللجوء إلى فتح الهجرة غير الشرعية، وبتصاعد النازية الألمانية أصبحت الهجرة مسألة سياسية، وأعلنت المجموعات اليهودية الأكثر تطرفا مثل "شتيرن" و"الإرغون" تمردا على سلطة الانتداب، باستهدافها مواقع عسكرية ومدنية بريطانية في فلسطين، فقام الصهاينة الأمريكيون بعقد مؤتمر طالبوا فيه إلغاء تلك القيود، ومنح الوكالة

(1)-بامبلا آن سميث، فلسطين والفلسطينيون، ص76.

(2)-إلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاما، المشروع الصهيوني من الجرد إلى المموس، ج1، ص145.

(3)-وليد الخالدي، فلسطين وصرعنا مع إسرائيل والصهيونية، ص303-309.

(4)-حسن عبد القادر صالح، الأوضاع الديمغرافية للشعب الفلسطيني، الموسوعة الفلسطينية، ط1، (بيروت: (د. د، ن)، 1990)،  
مج1، ص204.

## الفصل الثالث: ..... تمليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

اليهودية حقا قانونيا يسمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، واستصلاح جميع الأراضي غير المزروعة، وإنشاء كومن ويلث يهودي في كل فلسطين.<sup>(1)</sup>، وهذا يفيد أن الهجرة اليهودية قد اتخذت طابعا سياسيا.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية تضاعفت الهجرة غير الشرعية، خاصة بعد لجوء المنظمة الصهيونية إلى اتباع سياسة الخلاص الجبري<sup>(2)</sup>، بدفع اليهود قسرا إلى فلسطين، فعمدت إلى قطع المساعدات المادية عن المهاجرين اليهود الذين يعزفون عن الهجرة إلى إسرائيل، كما حدث لبعض نزلاء معسكرات الترحيل في الحرب العالمية الثانية، الذين فضلوا الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بجرماهم من المساعدات الغذائية، والطرده من العمل، والحرمان من الحماية القانونية، كما كانوا يطردون من المعسكر بشكل نهائي<sup>(3)</sup>، وبذلك شكلت الهجرة عاملا أساسيا في حسم الصراع الإسرائيلي- العربي، وفي هذه الأثناء هاجر اليهود من دول الشرق الأوسط ووسط أوروبا، وكان أغلبهم من أوروبا الشرقية<sup>(4)</sup>.

وبحسب تقديرات الوكالة اليهودية سنة 1939 ازداد عدد اليهود في فلسطين ليصل إلى 474600 ألف يهودي بنسبة قدرها 31% من إجمالي سكان فلسطين، ثم ارتفع إلى 592000 ألف نهاية عام 1945<sup>(5)</sup>، وفضلا عن تكثيف الهجرة أولت الصهيونية اهتمامها بالاستعمار الزراعي وتمكنت من تطويره في ظل الانتداب البريطاني، فقدرت مساحة الأراضي التي تملكها اليهود بـ 41.6% من مجموع مساحة البلد، وقد مكن ذلك من إنشاء مستوطنات جديدة، فوصل عددها نهاية العام 1944 إلى 259 مستعمرة<sup>(6)</sup>.

مع مطلع عام 1948 أصبح اليهود يشكلون نسبة 33% من البلاد، وفي هذه الأثناء تعمدت سلطة الانتداب وضع الفلاحين العرب في ظروف سيئة، بإجبارهم على دفع الضرائب المتراكمة دفعة واحدة،

(1) -إلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاما، المشروع الصهيوني من المجرى إلى الملموس، ج1، ص157، وباميليا بن سميت، فلسطين والفلسطينيون، ص 84-85.

(2) \_ مصطلح أطلقه عبد الوهاب المسيري لوصف محاولات الصهيونية في إجبار يهود العالم على الهجرة إلى فلسطين "إسرائيل"، لما فيه من خلاص لهم من النفي في أرض الجويم. عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، ط3، (القاهرة: دار الشروق، 2009)، ص79.

(3) -عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، ص80.

(4) -عماد حاد، من داخل إسرائيل، ص25.

(5) -إلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاما المشروع الصهيوني من المجرى إلى الملموس، ج1، ص160.

(6) -وليد الخالدي، فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل، ص309-310.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وحرمانهم من هياكل الإنتاج، وتعريض الإنتاج للكساد، وحرمانهم من الرعاية الصحية والتعليم وغير ذلك، وكان الهدف من هذه الممارسات هو إجبارهم على بيع الأرض أو تركها قسراً<sup>(1)</sup>، وبالنسبة لمساحات الأرض التي أصبحت بجيازة اليهود في هذه المدة فقد قدرتها إحصاءات الصندوق القومي اليهودي، بـ نسبة 6.7% من إجمالي مساحة فلسطين، إضافة إلى 65 مستعمرة جديدة تم إنشاؤها بين 1945 و1948، ليصل عددها قبيل الإعلان عن قيام إسرائيل نحو 324 مستعمرة<sup>(2)</sup>.

وعلى الصعيد العسكري اتسمت هذه المرحلة بتحرير الحكم العسكري وممارسته على العرب، وتم ذلك بتشكيل تنظيم جديد انشق عن منظمة الإرعون مع بداية الحرب العالمية الثانية في عام 1940 "لحي"<sup>(3)</sup> كما اتخذت القيادة المركزية للهاغاناه في السنة نفسها قراراً بتشكيل الفصائل الضاربة التي تعرف بالبلماخ<sup>(4)</sup> (5).

فضلاً عن ذلك عرفت هذه المرحلة إجراءات دقيقة على مستوى تطوير الصناعة العسكرية بإنتاج الرشاشات والمدافع والقنابل اليدوية، كما تم تطوير هيئة أركان الجيش بتوزيع المهام بين الأركان والقيادة

(1) -حسن عبد القادر صالح، الأوضاع الديمغرافية للشعب الفلسطيني، 300.

(2) -وليد الخالدي، فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل، ص 317.

(3) \_ منظمة سرية إرهابية منطرفة، أسسها عام 1940 أبراهام شتيرن أحد قادة المنظمة الإرهابية إتسل المشهور بأساليبه الإرهابية، وعرفت المنظمة باسمه "شتيرن"، كان شعارها "الحرب من أجل حرية الوطن "فلسطين"، قامت بكثير من الأعمال الإرهابية منها اغتيال اللورد مورين الوزير البريطاني عام 1944، والكونت بيرنادوت عام 1948، فضلاً عن ضلوعها في العمليات الاجرامية ضد عرب فلسطين. اسم الكاتب؟؟؟، حرب فلسطين 1947-1948، الرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة عن العبرية: أحمد خليفة، تقدم: وليد الخالدي، مراجعة: سمير جبور، ط2، (قبرص: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1986)، ص 44.

(4) \_ اختصار للكلمات العبرية "بيلوغوت ماحتس" وتعني "القوة الضاربة"، وهي عبارة عن الجناح العسكري المخدم الدائم للهاغاناه في الفترة بين 1941 و1947، أنشئ في البداية للرد على الهجمات الألمانية، أعضاؤه من النساء والرجال خدموا في وحدات قتالية، وتميزوا بالاستعداد لتنفيذ عمليات عسكرية بأمر من قيادة الهاغاناه تركزت معظم قواعد المنظمة في الكبوتزات، لقيت المنظمة الدعم الكامل من حكومة الانتداب البريطاني وفي فلسطين، إليها تنتمي فرق المستعربين المعروفة بالعمليات الاجرامية ضد الفلسطينيين، ونظم العديد من العمليات العسكرية في النقب واهتمت المنظمة بتبني برنامج التدريب العسكري، فشمّل تنظيم عمليات متنوعة لجمع المعلومات والاستخبارات ثم التدريب على الأسلحة المختلفة، وكيفية استخدام المتفجرات على أنواعها، وتطور البلماخ بحيث شمل أيضاً قوات بحرية "سرايا بحرية"، وأيضاً كونت نواة القوة الجوية، حيث تمت عمليات تدريب على طائرات خفيفة، وهذه التدريبات هي التي كانت الأساس لإقامة سلاح الجو الإسرائيلي في العام 1948. جوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية، ص 94.

(5) -أحمد جابر وآخرون، إسرائيل إرهاب... عنصرية فاشية، ط1، (قبرص: مؤسسة بيسان للصحافة والنشر، ديسمبر 1986)، ص 17.

## الفصل الثالث: ..... عمليات العنف في الفتر والممارسات الصهيونية

المركزية من حيث التجنيد والتنظيم والتدريبات، بالإضافة إلى تنمية الخبرة القتالية، فاكتملت الوحدات القتالية خبرة في شنها عمليات هجومية على الجسور والسكك الحديدية التي تربط فلسطين بدول الجوار، نتج عنها عزل فلسطين عن محيطها العربي، كما اكتسبت الهاغاناه خلال هذه الفترة خبرة عملانية واسعة من خلال إشرافها على الهجرة غير الشرعية طوال السنوات 1945-1948، والتي جلبت إلى فلسطين 100.000 مهاجر غير شرعي<sup>(1)</sup>.

ويمكننا القول إن الهدف من تأكيد الصهيونية على الهجرات إنما لكونها مثلت المرحلة التأسيسية للوطن القومي اليهودي على عدة أصعدة، أولها تهويد فلسطين سكانيا بتحقيق التفوق الديمغرافي، ثم تأسيس النواة الأولى للجيش الإسرائيلي، بزيادة الطاقة العسكرية، والتي أخذت عدة مراحل بدءا من ظهور المنظمات الإرهابية، والعمالية وإعداد القيادات السياسية المستقبلية، وقبل كل ذلك كانت عمليات التوسع الاستيطاني عبر كل مراحل تلك الهجرات تسير جنبا إلى جنب مع انتهاكات حقوق الفلسطينيين، مما يفيد أن الصهيونية خططت للاستيلاء على الأرض وطرد سكانها منذ البداية، وعلى هذا الأساس جرى التخطيط الصهيوني إلى أن جاءت ساعة الحسم بالاحتلال العسكري لأكبر قسم من الأراضي الفلسطينية، وإعلان إسرائيل سيادتها عليها.

### ثانيا: الهجرة والتهجير اليهودية بعد 1948.

#### 1. أهمية الهجرة خلال هذه الفترة:

اتضح من خلال قراءتنا للمراحل السابقة للهجرة اليهودية، أن الهجرة حققت نموا ديمغرافيا على حساب سكان الأرض الأصليين، وبذلك فقد شكلت عاملا رئيسيا في إنشاء الوطن القومي.

لكن ما ينبغي الإشارة إليه هنا أن حكومة إسرائيل بعد إعلان 15ماي 1948، رأت أن بقاءها واستمرارها متوقف على مدى قدرتها على استيعاب عدد أكثر من المهاجرين اليهود، لذا دعت اللجنة التنفيذية الصهيونية في مؤتمر لها بتل أبيب بعد ثلاثة أشهر من قيام إسرائيل إلى أن "الهجرة إلى البلاد واستيعابها ليست وظيفة رسمية فقط، بل هي هدف قومي ينبغي على كافة جهود الهجرة المساهمة الفعالة

<sup>(1)</sup>-وليد الخالدي، فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل، ص 321-322.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

لإنجازها"<sup>(1)</sup>، إذ عدت بموجب الإعلان عن قيام إسرائيل مشروعة حددت معالمها في وثيقة الاستقلال كما يطلق عليها وتعني عودة "الشعب اليهودي" إلى أرضه، واستعادة كامل حقوقه السيادية على الأرض ومن ثم بعثه القومي في بلاده الخاصة به<sup>(2)</sup>.

لذلك سارعت إلى وضع سياسة استيعاب جديدة لليهود، وهي سياسة لم شمل المنفيين<sup>(3)</sup> في الخارج، بسنها لقانون العودة<sup>(4)</sup>، الذي أقيم على المبدأ الصهيوني القائل بأن إسرائيل هي الوطن القومي لجميع اليهود<sup>(5)</sup>، ثم قانون الجنسية<sup>(6)</sup> اللذان يمنحان حق الانتماء القومي اليهودي والجغرافي للمهاجرين اليهود<sup>(7)</sup>. ومن هنا برزت الأهمية القصوى للهجرة في تخطيط إسرائيل، وعلى الآمال التي تُعقد عليها للمحافظة على قوة إسرائيل وأمنها واستمرار التوسع واحتلال الأراضي الفلسطينية.

ومن هنا أيضا عدت الهجرة اليهودية بعد قيام إسرائيل وظيفة من وظائف الأمن وأداة ضرورية للتوسع والنمو<sup>(8)</sup>، كما عدت عاملا من عوامل المحافظة على استمرار الدولة اليهودية وبقائها، ويبدو ذلك جليا من قول بن غوريون: "إن مشكلة إسرائيل هي الأمن، وأن هذا الأمن لا يمكن أن يحققه أي

(1) -عبد الحفيظ محارب، الهجرة إلى إسرائيل مشاكلها وكيفية التصدي لها، في شؤون فلسطينية، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، العدد 10، جوان 1972، ص 54.

(2) -عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص 25.

(3) \_ وذلك من منطلق اعتبار يهود الشتات مواطنين من رعاياها، لذا تطلق على هجرهم نحو إسرائيل مصطلح تجميع أو لم الشمل. مصطفى عبد العزيز، إسرائيل ويهود العالم، ص 55.

(4) \_ أقرته الكنيست الأولى في الخامس من جويلية 1950 ومضمونه، كما ورد في البند الأول أن: من حق كل يهودي أن يهاجر إلى إسرائيل. وقال بن غوريون عند تقديم اقتراح القانون أمام جلسة الكنيست العامة: أن هذا القانون جاء ليحدد هدف وطبيعة الدولة اليهودي. وأضاف أن القانون لم يهدف إلى منح حقوق من قبل الدولة إنما منح الفكرة الصهيونية صبغة قانونية، وتقوية الحق الجوهرى لكل يهودي بكونه يهودياً أن يهاجر إلى إسرائيل ويقيم فيها. وأكد أن هذا القانون سابق لقيام إسرائيل، وهو يمنع دخول أي يهودي يخالف دولة إسرائيل. جوني منصور، معجم العلام والمصطلحات الصهيونية، ص 345.

(5) -مصطفى عبد العزيز، إسرائيل ويهود العالم، ص 69.

(6) \_ أقرته الكنيست في 14 جويلية سنة 1952، ويشمل 19 بندا، وبمنح القانون الجنسية من منطلق قانون "العودة الإسرائيلي فالبند الثالث من هذا القانون يقول: تمنح الجنسية للمهاجرين حسب قانون العودة، أو لأبنائهم حتى بداية العمل بموجب القانون، وللمقيمين في إسرائيل وللمولودين والمقيمين في إسرائيل بدون علاقة بمكان الولادة. جوني منصور، معجم الأعلام والمصطلحات الصهيونية، ص 345.

(7) -عزيز حيدر، المجتمع والتركيب السكاني، في دليل إسرائيل العام 2011، ص 255.

(8) -أسعد زروق، في المجتمع الإسرائيلي، ص 49.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

جيش مهما بلغ تسليحه، ولكن تحققة هجرة اليهود المستمرة والمتدفقة إلى أرض إسرائيل حتى يعود إليها جميع يهود العالم".<sup>(1)</sup>

وقد أكد بن غوريون بعد إقرار قانون العودة مباشرة، على أن الهجرة اليهودية هي بمثابة حركة دينية ومقياسا للخلاص اليهودي للفكرة الصهيونية و"الشعب اليهودي"، و"أن اليهودي لا يعتبر صهيونيا إلا إذا هاجر إلى فلسطين، بل إن الهجرة من وجهة نظره هي عبارة عن حق يتمتع به اليهود كباقي الحقوق والحريات"<sup>(2)</sup>. أما أهم القرارات التي حددها المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون في القدس عام 1951، هي: تقوية دولة إسرائيل وجمع الشتات المنفيين (اليهود) في أرض إسرائيل وتقوية وحدة الشعب اليهودي"<sup>(3)</sup>. وبذلك عدت عدم الاستجابة اليهودية للدعوة إلى الهجرة في بعض الدول خاصة الشرق الأوسط انتكاسة للصهيونية وإسرائيل<sup>(4)</sup>، ذلك لأن مصير إسرائيل سيظل مرتبطا بمهمة تجميع يهود العالم.

انطلاقا من هذه الرؤيا قامت اللجنة التنفيذية الصهيونية بتحديد مهام الوكالة اليهودية في تنظيم الهجرة واستيعاب المهاجرين في إسرائيل وتوطينهم في المزارع وتمهيد الأراضي، كما أنشأت في سبيل ذلك خمس دوائر هي؛ دائرة الهجرة ودائرة الشبيبة والدائرة الاقتصادية<sup>(5)</sup>، وما كان على المنظمات الصهيونية وهيئاتها في العالم إلا الشروع بشن حملات دعائية واسعة النطاق من أجل إقناع وتشجيع اليهود أو إجبارهم على الهجرة، متخذة كل الطرق، بدءا من العزف على وتر المشاعر الدينية وانتهاء بتدبير أعمال عنف ضدهم<sup>(6)</sup>.

وقد اتبعت دوائر الهجرة اليهودية الصهيونية من أجل تحقيق ذلك:

- تشجيع السياحة وزيارة فلسطين وتأمين الإقامة فيها بتقديم تسهيلات في السكن والقروض وفرص العمل.

(1)-غازي حسين، إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية، (د. ط)، (دمشق: (د. د. ن)، 1992)، ص52.

(2)-نظام محمود بركات، النخبة الحاكمة في إسرائيل، ص42.

(3)-عبد الوهاب الكيالي، المطامع الصهيونية التوسعية، (د. ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1966)، ص111

(4)-مصطفى عبد العزيز، إسرائيل ويهود العالم، ص55.

(5)-عبد الحفيظ محارب، الهجرة إلى إسرائيل، مشاكلها وكيفية التصدي لها، ص54.

(6)-عماد حاد وآخرون، من داخل إسرائيل، ص23 .

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

- إبرام تعاهد مع العسكريين في الدول الغربية واحضارهم كمهاجرين الى فلسطين بهدف الإقامة فيها.  
-قيام دائرة الهجرة في الوكالة اليهودية بوضع مخططات تشجع على هجرة الشباب اليهود من الفئة العمرية 16-20 باستقدامهم لقضاء فترة تدريبية لتعلم اللغة العبرية لمدة سنة ونصف.  
- العمل على استقدام الأيتام وأبناء العائلات المدومة.

-توسيع مجال القبول في الجامعات بهدف تشجيع الطلاب على الالتحاق بها، فضلا عن ذلك عقد المؤتمرات الصهيونية اليهودية الدعائية، وشن حملات دعائية في الدول الغربية، باستخدام الصحفيين والمحاضرين ورجال الدين<sup>(1)</sup>.

وأمام الرفض اليهودي للهجرة أخذت عملية التهجير أسلوب التهريب، فلجأت المنظمة الصهيونية إلى تغذية الميول بمعاداة السامية، وحاربت اندماج اليهود بمجتمعهم، فكانت تعمل في الوقت ذاته على إشعار اليهود بأنهم مهددون ومعرضون للتمييز والاضطهاد، لضمان زيادة تدفق الهجرة إلى إسرائيل، إضافة إلى ضمان حصولها على التبرعات التي يقدمها يهود العالم للمنظمات الصهيونية وإسرائيل مستقبلا<sup>(2)</sup>. كما ساهمت في افتعال وخلق ظروفها (بنفسها) أو (يوجد خلل في التركيب ربما تحذف "أو"، أو تضاف كلمة بنفسها إلى ظروفها) بالتعاون مع دعايتها لتحقيق مشروعها الاستيطاني، بل ومارست العنف بشكل صريح في سبيل نشر الصهيونية بين يهود الشتات، فعملت على تخريب نشاط المنظمات اليهودية المعادية للصهيونية<sup>(3)</sup>.

كذلك باشرت المنظمة الصهيونية بالأعمال الاستفزازية والتحريضية ضد اليهود الآمنين في أوطانهم، خاصة في الشرق الأوسط، ففي العراق مثلا جمعت الأعمال الاستفزازية مع التفجيرات لخلق الأسباب الدافعة إلى الهجرة، فكان الصهاينة يتعمدون في تسميم العلاقات العربية اليهودية، بتوزيع منشورات في المعابد، تتضمن شعارات مهيجة مثل، "لا تشتروا من المسلمين، بهدف وقوعها في أيدي المسلمين، وقد نجحت الدعاية الصهيونية، في بيان أن منع تلك المنشورات قد يكون فيها "صالح لليهود أنفسهم"<sup>(4)</sup>.

(1)-أسعد عبد الرحمان ونواف الزرو، موجات الغزو الصهيوني صراع، ص12.

(2)-مصطفى عبد العزيز، إسرائيل ويهود العالم، ص89.

(3)-مجموعة مؤلفين، الجوهر الرجعي للصهيونية، ص6.

(4)-عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، ص82.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وعملياً تم اعتماد التفجيرات الدموية كأسلوب تحذيري من اللاسامية لدفع اليهود إلى ترك أوطانهم التي عاشوا فيها وإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين، تمهيداً لإقامة إسرائيل الكبرى<sup>(1)</sup>، ومثال ذلك تسببت التفجيرات التي أحدثتها الحركة الصهيونية السرية<sup>(2)</sup> في زرع مزيداً من الخوف، واستهدفت التفجيرات مراكز يهودية في العراق<sup>(3)</sup> بشكل مكثف<sup>(4)</sup>، حيث أمر بن غوريون أول رئيس وزرائها العملاء الصهاينة بتفجير معبد يهودي في بغداد، وتم استغلال ذلك كإثبات للعداء العربي للسامية، وكحجة لشن الحرب المقدسة المعادية للعرب<sup>(5)</sup>.

وضمن هذا السياق أشارت صحيفة "هعولام هزيه" العبرية بتاريخ 29/ماي/1966 إلى بعض العمليات الإجرامية التي خططت لها ونفذتها الحركة الصهيونية ضد يهود العراق لإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين، "إن إلقاء القنابل في العراق كان مرتبطاً مع عملية تنشيط هجرة يهود العراق إلى إسرائيل عام 1950 و1951، ففي 10 ماي 1950 أُلقيت قنبلة على محل صاحبه يهودي، مما أدى إلى زيادة كبيرة في التسجيل في مكاتب الهجرة، ويوم 9 سبتمبر 1951 أُلقيت قنبلة للإرهاب على مقهى كان يضم عدداً كبيراً من اليهود كانوا يحتفلون بعيد الفصح، وفي نفس الليلة قامت المنظمة السرية اليهودية بتوزيع منشورات باللغة العربية في جميع الكنيس اليهودية في بغداد تدعو اليهود إلى الهجرة الجماعية<sup>(6)</sup>.

فلم تنكر إسرائيل مسؤوليتها عن هذه التفجيرات، مع أن اعترافها لم يكن رسمياً، وإنما بدى - كما

(1)-غازي حسين، إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية، ص55.

(2) \_\_ تأسست عام 1941، عرفت باسم حركة الرواد البابليين، تكفلت بتجنيد الشبان اليهود وتصنيع المتفجرات، وكونت جيشاً شبه مستقل داخل العراق، وفي سنة 1847 كتب يغال ألون قائد البلماخ رسالة إلى دان رام وصفه فيها بأنه، "قائد جيتو العراق"، وقامت الهاغانا بتهرب الأسلحة إلى العراق، وقال يغال ألون لدان رام: "إن الهدف من إرسال الأسلحة هو تشجيع كل أشكال الهجرة". عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، ص84.

(3) \_\_ استهدفت التفجيرات الطائفة اليهودية في بغداد خلال الفترة 1950-1951، وتم تفجير مركز الاستعلامات الأمريكي الذي كان أهلاً باليهود، بالإضافة إلى مبنى شركة يهودية، أصدرت على إثره الحكومة العراقية بياناً كشفت فيه ضلوع خلية يهودية يديرها يهودي وبريطاني عميل للموساد، وتم ضبط كمية من المتفجرات والأسلحة مودعة في الكنيس اليهودية. عباس شبلق، هجرة أو تهجير ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2015)، ص159.

(4)-عباس شبلق، هجرة أو تهجير ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، ص165.

(5)-مجموعة مؤلفين، الجوهر الرجعي للصهيونية، ص75.

(6)-أسعد عبد الرحمان ونواف الزرو، موجات الغزو الصهيوني، ص13.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

يشير عباس شبلق - بعد الحادثة المعروفة بـ "قضية لافون"<sup>(1)</sup>، باعتقال السلطات المصرية خلية يهودية قامت بعدة تفجيرات في القاهرة، وعلق بنحاس لافون وزير الدفاع الإسرائيلي حينها، مدافعا عن دوره فيها: هذا الأسلوب في العمليات لم يتم اختراعه في مصر، بل تمت تجربته في البداية في العراق<sup>(2)</sup>.

كذلك نشرت مجلة "روز اليوسف" تورط المخابرات الإسرائيلية والبريطانية في عمليات تهجير يهود روسيا إلى فلسطين، وذلك عقب اغتيال المؤرخ السوفياتي **يفغيني يغسي** حينما أبدى موقفه من الهجرة اليهودية معلنا أنها تعني احتلال أراضي شعب يمتلك الحق التاريخي والقانوني في إقامة دولته في أرض فلسطين<sup>(3)</sup>.

ويبقى التأكيد على أهمية الهجرة اليهودية ودورها في ديمومة الكيان الصهيوني، حاضرا باستمرار في خطابات الصهاينة، ويبدو ذلك جليا من مقال كتبه **ليفني أشكول** رئيس حكومة إسرائيل، بعنوان "إسرائيل ويهود المنفى"، الذي يعده بمثابة البيان الإسرائيلي بعد توقيع التعاون المتبادل بين إسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية في 15/3/1964، أكد فيه التزام يهود العالم تجاه إسرائيل، ووضح مدى اعتمادها عليهم في دعم كيانها بقوله: "... إن إسرائيل لا تستطيع أن تتحمل العبء بدون مساعدة. إن قوتها المعنوية والروحية وكذلك المادية لا يمكن أن تشتد بدون مساعدة يهود العالم الخارجي"<sup>(4)</sup>.

لكن يبدو أن التركيز على الدور الوظيفي للهجرة قد ازداد أكثر بعد احتلال الأراضي العربية عام 1967، حينما فتحت شهية الصهاينة للتوسع وتحقيق حلم إسرائيل الكبرى. بدا ذلك في تصريح **إسحاق رابين** في مدينة برن بسويسرا عام 1967 بأن "ثمة دولة يهودية كبرى قيد الوجود، وهي تبحث عن

(1) -ترجع القضية إلى عام 1954، حينما قام الأمن المصري بكشف محاولة إسرائيلية تخريبية في القاهرة والإسكندرية بهدف إفساد العلاقات بين أمريكا وبريطانيا ومصر والعالم العربي، وقد تورط فيها كل من بن غوريون وموشي دايان وشمعون بيرس، وبعد كشف الأمن المصري للخلية واعتراف أفرادها، أدى ذلك إلى خلق أزمة سياسية داخل القيادة الإسرائيلية، وألقي باللوم على **بنحاس لافون** وكان حينها وزيرا للدفاع الإسرائيلي في حكومة **موشي شاريت**، فأنكر معرفته بذلك، مدعيا أنه كان ضحية أعدائه بما فيهم بن غوريون، لكن "حزب الماباي والدوائر الحاكمة" في إسرائيل ألصقوا التهمة بمن حفظا لعلاقتهم بأمريكا وبريطانيا فاضطره ذلك إلى تقديم استقالته. إبراهيم العابد، الماباي الحزب الحاكم في إسرائيل، (د. ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1966)، ص 107.

(2) -عباس شبلق، هجرة أو تهجير، ص 164.

(3) -أسعد عبد الرحمان ونواف الزرو، موجات الغزو الصهيوني، ص 13.

(4) -مصطفى عبد العزيز، إسرائيل ويهود العالم، ص 58.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

شعبها وتفتش عن الذين ينشدون التوطن والعيش في إسرائيل، وعندما يصبح تعداد إسرائيل ما يتراوح بين أربعة وخمسة ملايين، فلا شيء يمكنه أن يخيفها أو يهدد حقيقة وجودها<sup>(1)</sup>. كما أعلن أليون تأكيده على وجوب الهجرة قائلا: "إن واجبنا هو أن نعلم إسرائيل العظمى...، ومن يشك في هذا فهو يشك في كل مذهب الصهيونية"<sup>(2)</sup>.

ومن جهة أخرى تضمن النداء العالمي المشترك الموجه من حكومة إسرائيل والإدارة التنفيذية للحركة الصهيونية في جويلية 1967، حثُّ اليهود على الهجرة إلى فلسطين، على اعتبار ذلك فريضة مقدسة، ومما جاء فيه:

"إن القدس العاصمة الأبدية لإسرائيل، ها نحن ندعوكم، هبوا وهاجروا وابنوا البلاد...، والواجب المقدس الذي يقف الشعب اليهودي أمامه هو بناء وطنه بسرعة لضمان مستقبل دولة اليهود والدعوة الكبرى والضرورية للهجرة: هجرة الشعب اليهودي بشبابه وشبيهه إلى بيت الشعب "إسرائيل"<sup>(3)</sup>.

وتنفيذا لقانون العودة وأخذاً بالاعتبارات السابقة المتمثلة في بقاء إسرائيل وتحقيق أمنها الذي ارتبط بشكل أساس بالتوسع الاستيطاني، والتزاما نحو يهود العالم، شهدت فلسطين قدوم مكثف لليهود العالم، اختلفت فيه دوافع الهجرة عن سابقتها فيما قبل 1948، بل شملت غير المتصهينين وحتى من اليهود الذين نعموا بالأمن في أوطانهم<sup>(4)</sup>، وهذه التصريحات توحى لنا أن إسرائيل تعتبر نفسها ممثلاً لليهود الشتات، وأن شتاتهم لا يعفيهم من واجبهم نحوها.

وتجدر الإشارة هنا قبل عرض مراحل الهجرة اليهودية بعد قيام إسرائيل، إلى أن الهجرة اليهودية قبل 1948 كانت مقيدة - كما ذكرنا - من قبل السلطات البريطانية، كما أنها كانت مقسمة بين كونها شرعية وغير شرعية، ومع ذلك فقد تمكنت من وضع كل الأسس لإقامة الوطن القومي، وإن كان الأمر هكذا، فماذا ستقدم الهجرة اليهودية لما بعد 1948 بعد أن أصبحت أبواها - بعد قيام إسرائيل - مفتوحة لجميع يهود العالم؟

(1) - أسعد رزوق، في المجتمع الإسرائيلي، ص 69.

(2) - مجموعة مؤلفين، الجمهور الرجعي للصهيونية، ص 75.

(3) - غازي حسين، إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية، ص 54.

(4) - عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والسياسة في إسرائيل، ص 39.

## 2. مراحل الهجرة ما بعد 1948:

عقب الإعلان عن قيام إسرائيل توالى الهجرة اليهودية على نحو مكثف، ويمكن تمييزها بعدة مراحل رئيسية وهي كالآتي:

### المرحلة الأولى (1948-1954):

تعرف بالهجرة الجماعية، وقد جاءت من الدول العربية وشرق أوروبا بعد قيام إسرائيل، وقد تضمنت موجتين:

أ. موجة ما بين (1948-1951)؛ بدأت مع توسع الاحتلال الصهيوني بالتزامن مع يوم 15 ماي 1948، والإعلان عن قيام إسرائيل واحتلال 80% من الأراضي الفلسطينية، أدت إلى تضاعف نسبة اليهود في فلسطين<sup>(1)</sup>، وكان عدد اليهود حينها يقدر بـ 650.000 ألف، بعد ما كان يقدر بـ 50 ألف يهودي في بداية الانتداب البريطاني<sup>(2)</sup>.

ضمت هذه الموجة نحو 687.000 ألف يهودي، من رافدين رئيسيين: الرافد الأول من أوروبا وتحديدا يهود البلدان الاشتراكية، الذين بلغ عددهم 331.83 ألف يهودي، وكان معظمهم من رومانيا (117.912)، بولندا (106.136)، وتشيكوسلوفاكيا (24.731). أما الرافد الثاني فهو من أفريقيا وآسيا وبلغ عددهم نحو 330 ألف يهودي، معظمهم من العراق (123.652)، اليمن (45.040)، تركيا (34.924)، ليبيا (30942)، إيران (21784)، المغرب (28.283) ومصر (16.607)، وأعداد قليلة من دول أخرى<sup>(3)</sup>.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لم يكن العامل الصهيوني هو الحافز الأقوى على هذه الهجرة فحسب، بل كانت تابعة عن عوامل أخرى أقوى، وهي إما ثقافية كما هو الحال بالنسبة لليهود أوروبا الشرقية، أو سياسية أو اقتصادية كما هو شأن يهود العالم العربي<sup>(4)</sup>، أما روافدها فهي معسكرات اللاجئين في أوروبا، ومن الطوائف اليهودية من شرق أوروبا ودول البلقان، بالإضافة إلى الرافد الثالث وهو قلة من

(1)-إلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاما، المشروع الصهيوني من الجرد إلى المموس، ج1، ص171.

(2)-عدنان السيد حسين، التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية، ص32.

(3)-عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص27.

(4)-عبد الحفيظ محارب، الهجرة إلى إسرائيل مشاكلها وكيفية التصدي لها، ص56.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الدول الآسيوية والأفريقية، وقد شكلوا 88,3% من مجموع تزايد عدد سكان إسرائيل في مقابل 11,7% من المواليد، الأمر الذي أثر على التمايز الإثني والثقافي والطبقي كما أثر على تركيبة الاستيطان الديمغرافية<sup>(1)</sup>.

ومنذ هذه الفترة عمد هؤلاء -نتيجة عجز الوكالة اليهودية- لاستيعاب المهاجرين للاستلاء على البيوت العربية المهجورة بسبب العدوان الصهيوني، وغدت معظم البلدات الفلسطينية خالية من أصحابها مثل طبرية واللد والرملة وصفد ومجدل ويبيى والخالصة وبئر سبع وعسقلان<sup>(2)</sup>، وغيرها<sup>(3)</sup>.

ب. موجة ما بين (1952-1954)، شهدت هذه الفترة هبوطاً في نسبة المهاجرين، إذ حملت معها نحو 54.060 ألف يهودي، ويرجع ذلك في الأساس إلى القيود التي فرضتها البلدان الاشتراكية على هجرة اليهود<sup>(4)</sup>، ناهيك عن بروز مشاكل الإسكان، نتيجة تضاعف السكان وارتفاع معدل البطالة وعجز ميزان المدفوعات، مما ألجأ الوكالة اليهودية إلى تطبيق معايير جديدة نحو الهجرة تقوم على مبدأ التفاضل بين الوافدين إلى الداخل، واشترطت بمقتضاه أن يتم اختيار 80 من المرشحين للشبيبة والرواد والحرفيين الأحرار الذين لا تتعدى أعمارهم 35 سنة، مع وجوب خضوعهم لكشف صحي دقيق على يد طبيب إسرائيلي، مع السماح لمن يمكنه القيام بشؤونه بنفسه دون طلب المساعدة من الوكالة اليهودية، مما أدى بيهود العالم العربي (الشرقيين) إلى التردد في الاقبال على الهجرة<sup>(5)</sup>.

استمر الوضع كذلك حتى سنة 1954، تم خلالها تقليل الهجرات القادمة من الشرق الأوسط والمغرب، وهذا يعني أن اليهود الشرقيين تم القبول بهم بشكل توظيفي وانتقائي، وليس باعتبار أن إيوائهم هو الهدف الرئيسي من وراء تأسيس إسرائيل، لكن لم تمنع تلك المعايير من أنما ضمت المرضى والمعاقين والشيوخ والأطفال والمكفوفين، الذين اعتبرتهم الوكالة اليهودية مادة غير فاعلة بالنسبة للمشروع الصهيوني، على خلاف يهود أوروبا (الأشكنازيم)، ومن جهة أخرى كان اليهود الشرقيون (السفارديم)

(1)-إلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاماً المشروع الصهيوني من المجرى إلى الملموس، ج1، ص176-177.

(2)-عبد الحفيظ محارب، الهجرة إلى إسرائيل مشاكلها وكيفية التصدي لها، ص58.

(3)-سنرجي تفصيل ذلك في حديثنا عن القرى المدمرة عام 1949.

(4)-عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص27.

(5)-عبد الحفيظ محارب، الهجرة إلى إسرائيل مشاكلها وكيفية التصدي لها، ص570.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

يخضعون لتقاليد ومعايير دينية تحث على توسيع الأسرة، كما كانوا محرومين من المهارات التكنولوجية<sup>(1)</sup>. ويمكننا ملاحظة أن المنظمة الصهيونية خلال هذه الفترة -وكما أشرنا في الصفحات السابقة- بالرغم من وضعها لسياسة الهجرة وفق معايير الانتقاء والمراقبة الصحية، والتركيز على اليهود الغربيين والذين سيشكلون النخبة السياسية في إسرائيل، إلا أنها لم تأل (تدخر) جهداً في الضغط على مختلف الطوائف اليهودية وإجبارها على الهجرة إلى إسرائيل ضماناً لبقائها.

### المرحلة الثانية (1956-1968)

جاءت خلالها الهجرة غير منتظمة وتضمنت أربع موجات فرعية:

أ. موجة ما بين (1955-1957)، ظلت الهجرة طيلة هذه المدة تتأرجح بين ارتفاع وهبوط لكن ما ينبغي تسجيله أن كثافة الهجرة كانت باستمرار من جهة يهود أوروبا الشرقية، مع ارتفاع نسبي ومرحلي بالنسبة لليهود البلدان العربية.

فقد شهدت هذه الفترة زيادة في عدد المهاجرين من أوروبا الشرقية، ولكن بنسبة أكبر لصالح يهود البلدان العربية خاصة بعد حرب السويس، والعدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وقدر إجمالي المهاجرين حتى سنة 1957 بـ 164.936 ألف مهاجر، منهم 70 ألف مهاجر من المغرب، 10 آلاف مهاجر من تونس، و12 ألف مهاجر من مصر، ووفد بقية المهاجرين من هنغاريا وبولندا وأمريكا<sup>(2)</sup>، وترتبط هذه الزيادة بالعوامل الاقتصادية داخل إسرائيل، والتي كانت أحد عوامل الجذب والطرده في الهجرة نحوها، فقد أدى تحسن الحالة الاقتصادية جراء التعويضات التي تحصلت عليها إسرائيل من ألمانيا الغربية، والتي سرى مفعولها في عام 1953 إلى تدفق الأموال وزيادة الإنتاج وانخفاض نسبة البطالة<sup>(3)</sup>.

ب. موجة ما بين (1958-1961) خلال هذه الموجة انخفض معدل الهجرة إلى أقل من نصف العدد السابق، فهاجر نحو 75.487 ألف مهاجر خاصة من بلدان أوروبا الشرقية، بالإضافة إلى بلدان شمال أفريقيا<sup>(4)</sup>.

(1)-رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص 89.

(2)-عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص 27.

(3)-عبد الحفيظ محارب، الهجرة إلى إسرائيل مشاكلها وكيفية التصدي لها، ص 57.

(4)-عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص 27.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفتر والممارسات الصهيونية

ت. موجة ما بين (1961-1964): ارتفع عدد المهاجرين في هذه الفترة إلى 228.046 ألف مهاجر، جاءوا من أوروبا الشرقية وشمال أفريقيا، منهم 7500 من يهود الجزائر، تمكنت الوكالة اليهودية من تحويلهم إلى إسرائيل من مجموع 11000 توجهوا نحو فرنسا، وذلك بفضل انتعاش الاقتصاد الإسرائيلي<sup>(1)</sup>، وبلغت نسبة مهاجري أفريقيا بالذات 50.65% وأوروبا 34% وآسيا 8.5%<sup>(2)</sup>، وتفيد الدراسات الإحصائية لسكان إسرائيل خلال الفترة 1948-1962 أن عدد اليهود -فضلا عن الزيادة الطبيعية- ازداد أربعة أضعاف، حيث وصل عدد المهاجرين نهاية 1962 إلى نحو مائتي ألف مهاجر سنويا<sup>(3)</sup>، والسبب الرئيسي في ذلك من دون شك هو الهجرة المتزايدة.

ووفقا للدراسات الإسرائيلية، شهدت إسرائيل تضاعفا في عدد اليهود منذ تأسيسها، كانت الغالبية العظمى من المهاجرين قبل 1948 من مواليد بولندا وروسيا 6.89%، مع أعداد أقل بكثير منحدرين من آسيا وأفريقيا 10%، ثم شهدت السنوات التي أعقبت تأسيس إسرائيل زيادة كبيرة في أعداد اليهود الشرقيين، بحيث ارتفعت نسبتهم عام 1963 إلى 69.30% من مجموع السكان اليهود بينما تناقصت نسبة اليهود الغربيين إلى 7.30%<sup>(4)</sup>.

ث. موجة ما بين (1965-1968)، بدأت الهجرة سنة 1965 بالانخفاض واستمرت في ذلك إلى أن قامت حرب 1967<sup>(5)</sup>، وقدر عدد المهاجرين بـ 337.81 ألف مهاجر جاء معظمهم من أوروبا الشرقية والبلدان الأفروآسيوية<sup>(6)</sup>. وترتب عن هذه الموجة ارتفاع عدد اليهود في إسرائيل قبل نهاية عام 1966 إلى 2.231000 مليون.

وخلال هذه الفترة ازداد التوسع الاستيطاني خاصة بعد نكبة 1967 حيث ضمت إسرائيل أراضي سيناء ومرتفعات الجولان وغزة والضفة الغربية، وأدى ذلك إلى تحقيق الانطلاقة الكبرى للعمليات

(1)-عبد الحفيظ محارب، الهجرة إلى إسرائيل مشاكلها وكيفية التصدي لها، ص58.

(2)-فواز حامد الشرفاوي، السكان اليهود في فلسطين، غزة: مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، جوان 2007، ص645.

(3)-أحمد حجاج، سكان إسرائيل تحليل وتنبؤات، (د. ط)، (بيروت: مركز البحوث الفلسطينية، فبراير 1968)، ص17.

(4)-أسعد رزوق، في المجتمع الإسرائيلي، ص82.

(5)-فواز حامد الشرفاوي، السكان اليهود في فلسطين 2007، ص646.

(6)-عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص28.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الاستيطانية، بذلت خلالها جهودا كبيرة لتركيز العمليات الاستيطانية على المناطق المحتلة، بالرغم من انخفاض الهجرة، وأصبحت تسيطر على 359.89 كلم<sup>2</sup> من الأراضي الفلسطينية أي أضعاف المساحة المحتلة قبل ذلك والتي كانت تقدر بـ 700.20 كلم<sup>2</sup> (1)، كما ارتفع عدد المستوطنات إلى نحو 708 مستوطنة أكثر من 400 منها كان قرى عربية في الأساس (2).

### المرحلة الثالثة (1969-1979):

تضمنت ثلاث موجات:

أ. موجة ما بين (1969-1971)، وهي أكبر موجة، وفد خلالها 448.116 مهاجر من دول أوروبية وأمريكا اللاتينية والولايات المتحدة الأمريكية والدول الأفروآسيوية بنسبة 31.65%، أو 26.7% من مجموع المهاجرين (3)، وأوروبا بنسبة 43.3%، وأمريكا بنسبة 5.29% تضمنت هجرة الأوربيين هجرة كبيرة لليهود السوفيت سابقاً، التي سجلت 10 آلاف مهاجر في عام 1970 بنسبة 27.2% و 15 ألف مهاجر عام 1971 بنسبة 8.35% (4).

ب. موجة ما بين (1972-1974)؛ في هذه الفترة تقلصت الهجرة اليهودية بسبب تراجع اليهود السوفيت عن الهجرة إلى إسرائيل نتيجة حرب أكتوبر 1973، وتزايد الهجرة المعاكسة في إسرائيل (5). وقد جاء معها 142.755 ألف مهاجر منهم 127 ألف من أوروبا وأستراليا وأمريكا بنسبة 89% و 13 ألف من الدول الأفروآسيوية (6)، وتعود الزيادة الكبيرة في هجرة يهود أوروبا إلى يهود الاتحاد السوفياتي، حيث فاقت نسبتهم نصف موجة الهجرة، وشكل اليهود السوفيت 66% من المهاجرين بنحو 94 ألف مهاجر (7).

(1) -عدنان السد حسين، التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية، ص 43.

(2) -ذياب مخادمة وموسى الديوك، الاستيطان اليهودي وأثره على مستقبل الشعب اليهودي، مركز دراسات الشرق الأوسط، ص 37.

(3) -عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص 28.

(4) - فواز حامد الشرفاوي، السكان اليهود في فلسطين، ص 646.

(5) -عبد الفتاح محمد ماضي، الدين والسياسة، ص 44.

(6) -عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص 29.

(7) -فواز حامد الشرفاوي، السكان اليهود في فلسطين، ص 646.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفتر والممارسات الصهيونية

ت. موجة ما بين (1975-1979)؛ جاء معها 124. 827 ألف مهاجر، 106. 350 منهم من أوروبا وأستراليا وأمريكا، بنسبة 2.85% و18. 122 ألف من الدول الأفروآسيوية<sup>(1)</sup>. وشكلت هجرة اليهود السوفييت أكبر نسبة حيث قدر عددهم بـ 54 ألف يهودي من مجموع اليهود الغربيين وبنسبة قدرها 43%<sup>(2)</sup>، وتؤكد الدراسات الاحصائية أن عدد المهاجرين الروس خلال الموجات الثلاث السابقة أي ما بين 1970-1979 قدر بـ 110 آلاف مهاجر، كما ارتفع عدد المستوطنات في الفترة نفسها إلى 745 مستوطنة منها 15 مستوطنة على الأراضي المحتلة<sup>(3)</sup>.

### المرحلة الرابعة (1980-1989):

تضمنت موجتين:

أ. موجة ما بين (1980-1984)؛ مثلت هذه الموجة أدنى معدلات الهجرة اليهودية منذ 1948، جاء معها نحو 83. 637 ألف مهاجر منهم 61. 014 ألف أغلبهم من أوروبا وأمريكا بنسبة 73% و22. 62 ألف من البلدان الأفروآسيوية<sup>(4)</sup>، وقد جاءت هذه الهجرة في إطار سد حاجيات إسرائيل الاستيطانية في الضفة الغربية وقطاع غزة، على أن ذلك لم يف بجاحتها مع تراجع الهجرة خاصة بعد اتفاقية السلام مع مصر عام 1979، ثم ما تلاه من الحرب على لبنان عام 1982<sup>(5)</sup>.

كما شهدت هذه الفترة استعدادات واسعة لاستيعاب مزيد من يهود الاتحاد السوفييتي، تجلى ذلك في إقامة العديد من المستوطنات على الأرض المحتلة، حيث أنشئت عام 1982 أول حي في القدس أقيمت فيه نحو 468 وحدة سكنية، كما عمدت مؤسسات الاستيطان إلى تطويق المدينة بأحياء سكنية أخرى بلغ عددها عشرة أحياء، أقيم فيها 16. 319 وحدة سكنية، ثم تمت إحاطة القدس بـ 18 مستوطنة<sup>(6)</sup>.

(1)-عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص28.

(2)-فواز حامد الشرفاوي، السكان اليهود في فلسطين، ص647.

(3)-ذياب مخادمة وموسى الدويك، الاستيطان اليهودي وأثره على مستقبل الشعب الفلسطيني، ص39.

(4)-عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص28.

(5)-فواز حامد الشرفاوي، السكان اليهود في فلسطين، ص647.

(6)-عدنان السيد حسين، التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية، ص51.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفتر والممارسات الصهيونية

ب. موجة ما بين (1985-1989):

في هذه الأثناء هاجر 70. 176 ألف يهودي منهم 76 من أوروبا وأمريكا، و24 من البلدان الأفروآسيوية<sup>(1)</sup>، وتميزت هذه الموجة -خاصة عام 1986- بتحسن نوعية المهاجرين، حيث ضمت 17. 9% من الولايات المتحدة الأمريكية، و14. 3% من رومانيا، و7. 4% من الأرجنتين، و9% من إيران، و6. 1% من فرنسا و5. 6% من بريطانيا<sup>(2)</sup>.

ومع ذلك عدت من الموجات الضعيفة، مما دفع بإسرائيل إلى عقد صفقات مع بعض الدول لاستقدام اليهود؛ بل وإعطاء الهجرة صبغة الدينية.

ففي عام 1982 اتجهت إسرائيل إلى عقد صفقة مع أثيوبيا -عن طريق رئيس السودان جعفر النميري- لترحيل 15 ألف يهودي<sup>(3)</sup>، وفي عام 1985 بدأت بتطبيق استجلاهم، بتنظيمها ما عرف بـ "عملية موسى" لترحيل أكثر من 7000 آلاف يهودي، واستمرت الهجرة بشكل متقطع حتى عام 1991 بتنظيمها أيضا "عملية سليمان" واستقدام 15. 000 ألف يهودي دفعة واحدة<sup>(4)</sup>.

وبالنسبة لحركة الهجرة من روسيا؛ فبعد انخفاضها ما لبثت أن عاودت تدفقها من جديد تحت شعار "لم شمل العائلات اليهودية"، وخاصة بعد رفع القيود عن مغادرة اليهود في عهد الرئيس غورباتشوف، مع الدعاية الصهيونية حول الخطر المحدق باليهود في ظل الترددي الاقتصادي والظروف السياسية والاجتماعية، فوصل إلى فلسطين عام 1988، نحو 18. 000 ألف يهودي، ثم 71. 509 ألف يهودي عام 1989، إلى حد وصف هذه الموجة بأنها كانت بمثابة غزوة صهيونية جديدة للأراضي الفلسطينية على حساب أمن الشعب الفلسطيني<sup>(5)</sup>.

وقد لقيت هجرة اليهود السوفيت ترحيبا خاصا من قبل إسرائيل، خاصة وأنها حملت معها كفاءات

(1)- عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص30.

(2)- فواز حامد الشرفاوي، السكان اليهود في فلسطين، ص648.

(3)- عماد جاد، من داخل إسرائيل، ص41.

(4)- عزيز حيدر: الهجرة والتركيب السكاني، دليل إسرائيل العام 2011، ص272.

(5)- و ضفاف كامل كاظم، المهاجرون الروس في إسرائيل ودورهم في الحياة السياسية الإسرائيلية، جامعة بغداد، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد9، 2009، ص101.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

بشرية، فهي نوعية مميزة من أصحاب الخبرة العلمية التكنولوجية -الطبية - الثقافية-العسكرية- العالية، الأمر الذي سيعزز التوجهات والترعات الإسرائيلية الاستيطانية، وقد جرى التخطيط لاستيعابهم على مستوى وزارة الإسكان والجيش كما أعلنت حركة غوش إيمونيم ومجلس مستوطنات الضفة الغربية وغزة عن إقامة هيئة خاصة لاستيعابهم<sup>(1)</sup>.

### المرحلة الخامسة (1990-2008):

الملاحظ على هجرات الروس أنها بقيت مستمرة منذ عام 1968 بين الصعود والهبوط، وتعد هذه الموجة مرحلة من مراحل الهجرة المكثفة إذ ضمت نحو 905 ألف مهاجر يهودي من الاتحاد السوفييتي على مراحل، فوصل عدد المهاجرين في إسرائيل عام 1990 إلى 200.000 ألف مهاجر، ثم تراجع العدد بعد 1992 إلى 77.000 ألف مهاجر، ثم 56.000 ألف عام 1998، وبالتزامن مع الانتفاضة في منتصف عام 2000 انخفض عدد المهاجرين إلى 27.000 ألف مهاجر<sup>(2)</sup>، ثم عرفت تزايداً خلال الفترة 2000-2008، وقد خلالها 155.000 ألف مهاجر روسي. بالإضافة إلى ذلك ضمت هذه الموجة مهاجرين من ألبانيا استمراراً لتطبيق عمليتي "موس" و"سليمان"، فارتفع عدد اليهود الألبانيين عام 2008 إلى 106.900 منهم 36.300 من مواليد إسرائيل<sup>(3)</sup>. وبهذا تكون هجرة الروس قد شكلت أكبر موجة في تاريخ موجات الهجرة اليهودية إلى إسرائيل.

ووفقاً للدراسات الإسرائيلية فقد ساهم تدفق الهجرة الروسية في الزيادة السكانية السريعة، فبحسب التقرير الذي أجراه مكتب الإحصاء الإسرائيلي المركزي، ارتفع عدد اليهود في فلسطين عام 2010 إلى 5.7 مليون نسمة من إجمالي السكان، بنسبة 61%<sup>(4)</sup>، أما بحسب التقرير الإحصائي لعام 2017، فقد تم تسجيل زيادة ملحوظة في نسبة اليهود بجميع أطيافهم، نتيجة الهجرة المستمرة، إضافة إلى تزايد نسبة المواليد، حيث بلغ عدد اليهود في نهاية سنة 2017 نحو 6.006.000 مليون نسمة من مجموع السكان 8.

(1)-أسعد عبد الرحمان ونواف الزرو، موجات الغزو الصليبي، ص71-73.

(2)-عماد حاد، من داخل إسرائيل، ص29.

(3)-عزيز حيدر، المجتمع والتركيبة السكاني، ص277.

(4)-يفغيتيا بيستروف وأرنون سوفير، إسرائيل ديمغرافيا (2010-2030)، ترجمة: سليم سلامة، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الفلسطينية، سلسلة أوراق إسرائيلية، العدد55، نوفمبر2011، ص52.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

793. 000 مليون نسمة بنسبة 74 %<sup>(1)</sup>.

ونستنج مما سبق أن التأكيد الصهيوني على ضرورة الهجرة وأهميتها في إنشاء الوطن القومي كان من منطلقات دينية مؤسسة على أسطورة الحق الديني والتاريخي في الأرض.

لقد عملت الصهيونية على تغذية الأوساط اليهودية بالولاء لها ولكيانها الاستيطاني، والتأكيد على مركزيته، مما أدت إلى تحول في طبيعة الوجود اليهودي من الطابع الديني إلى الطابع السياسي، فتبنت ضرورة استقدام اليهود، وإعطاء اليهود فرصة تجذير أقدامهم وتمكينهم من الاستلاء على الأرض، وهو ما عكسته السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية، فكانت زيادة اليهود متناسب طرديا مع توسع الاستيطان، وبذلك عدت الهجرة اليهودية بمراحلها أكبر تجل للعنف الصهيوني.

هكذا؛ شكلت الهجرة اليهودية الأساس المادي الذي قامت عليه إسرائيل من خلال خلقها للأحزاب والتنظيمات العسكرية الداعمة للاستيطان، بهدف ضمان الأغلبية اليهودية، وبذلك خلق كيان في فلسطين على حساب السكان الأصليين، وهذا ما يؤكد أهدافها الصهيونية البحتة.

لقد ركزت الصهيونية خلال الهجرات الأولى على الاستيطان الزراعي بما يمكنها من الابتلاع المستمر للأراضي وتوسيع حدود مشروع إسرائيل الكبرى، وبعد قيام إسرائيل أضافت إليه التركيز على بناء المستوطنات في المدن بهدف إعادة اثبات وجودهم في الأماكن التي تضم بعض المقدسات اليهودية.

### المطلب الثاني: المجازر<sup>(2)</sup>

#### الجماعية وتعذيب الأسرى:

تتفق مختلف الدراسات التاريخية -بما فيها اليهودية- على أن المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني قد بدأت حقيقة في وقت مبكر برؤية مستقبلية مدروسة قبل أكثر من ستين سنة، وكانت عمليا تمهيدا

<sup>(1)</sup> -نبيل صالح، المشهد الاجتماعي الديمغرافي والأوضاع الاقتصادية وأثرها على نسيج المجتمع، تقرير مدار الاستراتيجي 2018، رام الله، (د. ط)، (مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية)، ص 199.

<sup>(2)</sup> -المجزرة في اللغة هي القتل الوحشي العشوائي من غير تحديد الأعداد والأنواع والانتماءات، وهو اشتقاق من كلمة جزور (الحمل المعد للذبح)، والمجزر هو موضع الذبح، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط2، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1987)، ص 465، وهذا التعريف هو الذي نعتمده في بحثنا، بحكم توافقه مع الممارسات الصهيونية التي تظهر وحشية المرتكب وعقيدته.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

لتنفيذ سلسلة المجازر التي تم ارتكابها خلال وبعد 1948<sup>(1)</sup>، وفي هذا الصدد يعترف الباحث الإسرائيلي دان ياهف في كتابه "طهارة السلاح"، بأن جذور الأعمال الارهابية للمنظمات الصهيونية، وأفعالها وتنظيمها يمتد إلى زمن تجديد الاستيطان اليهودي في فلسطين، وعمليا من أيام الهجرة الأولى<sup>(2)</sup>.

إلا أن الجديد في المجازر الصهيونية أنها أخذت منعطفا آخر بعد صدور قرار التقسيم يوم 29 أكتوبر 1947، إذ شكل القرار الشرارة الأولى لخطة أعدها زعماء الصهيونية مسبقا للشروع في عمليات تطهير فلسطين عرقيا من العرب<sup>(3)</sup>.

ويمكننا أن نستوحي ذلك مما أورده بني موريس ويائير أورون، من أنه خلال الاجتماع الذي عقده غاليلي رئيس هيئة الأعضاء المحليين لمجلس الهاغاناه في 10 ديسمبر 1947 تم اتخاذ قرارات جديدة حيال التعامل مع العرب، وكيفية الرد المناسب على تصاعد المواجهات، فتم التركيز كما ذكر على وجوب "الدفاع النشط والثأر وإنزال العقاب"، وقد أريد بذلك أن يتم تغيير سياسة الجرائم من الطرق التقليدية التي كانت مقصورة على نسف ممتلكات الخاصة وتفجير الأسواق والحفلات وإعادة توجيهها، وخلال الاجتماع أيضا ذكرت أسماء قرى عربية محددة<sup>(4)</sup>.

ولأن الحديث عن المجازر التي ارتكبتها المنظمات الصهيونية لا يسعه بحثنا هذا، إذ التاريخ الصهيوني كان ولا يزال تاريخ مجازر، فسنتكفي بعرض نماذج منها كتجليات للعنف الصهيوني فحسب، وفقا لتسلسلها الزمني، آخذين بعين الاعتبار ارتباطها الوثيق بأهداف المشروع الصهيوني.

(1) -نوف الزرو، موسوعة الهولوكوست الفلسطيني المفتوح، ج1، (د. ط)، (عمان: (د. د. ن)، 2008)، ص107. وحواد الحمد، في

الذاكرة "الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية"، ط1، (عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط أبريل 1995) ص9.

(2) -دان ياهف، طهارة السلاح وأخلاق وأسطورة وواقع، ترجمة وتقديم: حوني منصور، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، جويلية 2004، ص29.

(3) -إيلان بابه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة: أحمد خليفة، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007)، ص41-42.

(4) -بني موريس، مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ترجمة: عماد عواد، ص113-114، ويائير أورون، المحرقة، "الانبعاث"، النكية، ترجمة: أسعد الزغي، مراجعة وتقديم: أنطوان شلحت، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، جوان 2015، ص66.

أولاً: المجازر الجماعية قبل وخلال 1948:

### 1. مجزرة بلد الشيخ:

انتهجت فيها سياسة المباغثة، فقبل يوم من حدوث المجزرة قام أحد الضباط بنقل أخبار القرية إلى قائد الهاغانا بتاريخ 30 ديسمبر 1947 أمراً بمهاجمة القرية ليلاً، وجاء في تاريخ الهاغانا أن وحدات من البلماخ يبلغ عددها 170 عنصراً، تلقت الأمر بمحاصرة القرية وقتل أكبر عدد ممكن من السكان، باستثناء النساء والأطفال وتخريب الممتلكات<sup>(1)</sup>، وقد تم تنفيذ المجزرة بتاريخ 31 ديسمبر 1947، واستناداً إلى ما يورده المؤرخ الإسرائيلي بني موريس، والتي يصفها بسلسلة العنف الممارس، فإنه بالفعل دخلت القوات إلى وسط المدينة واستهدفت المنازل ودمرتها وتم اقتياد الرجال والذكور إلى خارجها، وأطلقت عليهم النيران، ووفقاً لمصادر الهاغانا - كما يذكر بني موريس - إن وحدات القتال اضطرت إلى عدم الالتزام بالأوامر المتفق عليها، وألحقت الأذى بالنساء والأطفال<sup>(2)</sup>.

وكان من نتائجها تدمير عشرات المنازل، كما راح ضحيتها 60 شخصاً، من بينهم النساء والأطفال، ومع ذلك لم تتوقف قوات الهاغانا عن مواصلة تهديدها للعرب، إذ بعد القتل الجماعي توجه ياغال الون بخطاب يهدد فيه العرب قائلاً: "يجب أن يتلقوا عقاباً جماعياً، أن تُهدم أكثر وأن نقتل أكثر مرفقين بحملة إعلامية واسعة فيها تهديد ودعوة للسلام، بدون عملية كهذه لا قيمة لما نقوم به، على الناقمين أن يفهموا"<sup>(3)</sup>.

حاولت القوات المهاجمة خلق مسوغات للهجوم والادعاء، حيث يذكر دان ياهف أن المجزرة كانت انتقاماً لمقتل عمال يهود في مصفاة البترول في حيفا، بعد إضراب العمال العرب نتيجة المتفجرات التي وضعتها "اتسل"، وحدثت صدامات بينهم وبين العمال اليهود أسفرت عن موت يهود<sup>(4)</sup>، لكن في الواقع كانت المجزرة ضمن مخطط ترحيل الفلسطينيين وجعل الأرض خالية مما يسهل عملية الاحتلال، ووفقاً للمصادر اليهودية قامت قوات الهاغانا بإخلاء القرية بعد أسبوع من المجزرة في 7 جانفي 1948،

(1)-وليد الخالدي، كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها، ط2، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998)، ص79.

(2)-بني موريس، مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ص154.

(3)-دان ياهف، طهارة السلاح، ص171.

(4)-المرجع نفسه، ص170.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وفي نهاية أبريل تم احتلال القرية من قبل، وفي سنة 1949 استوطنها المهاجرون وأطلق عليها اسم مستعمرة تل حنان<sup>(1)</sup>.

### 2. مجزرة قرية سعسع:

تعرضت قرية سعسع إلى مجزرتين من قبل منظمة الهاغانا في عام 1948.

ترجع أحداث المجزرة الأولى إلى تاريخ 15 فيفري 1948، حين أغارت وحدات البالمخ الثالثة التابعة للهاغانا على القرية، وبحسب تاريخ الهاغانا كما يذكر المؤرخ الفلسطيني وليد الخالدي كانت الأوامر المعطاة لقادة الكتيبة هي نسف عشرين منزلاً، وإصابة أكبر عدد ممكن من الثوار الفلسطينيين، وقد اقتحموا القرية كما هو مألوف ليلاً دون سابق إنذار، ووضعوا عبوات ناسفة في المنازل وشغلوا الصواعق<sup>(2)</sup>.

وعن استيراتيحة المجزرة، نشرت صحيفة يديعوت بتاريخ 14/7/1972 مقالا لقائد لواء الكتيبة "يفتاح" موشي كولمان الذي نفذ المجزرة، تحدث فيه عن المجزرة، ونقلت مؤسسة الدراسات الفلسطينية يوم 16/5/1972 قوله: لم تكن عملية سعسع عملية احتلال عسكري في وضح النهار بل عملية "اضرب واهرب" ليلية، قائمة على توغل سريع في أرض العدو ومفاجأته وضربه، كانت عملية سعسع في الأساس انتقاما لتدمير مجموعة 35 على طريق غوش عتسيون<sup>(3)</sup>.

أما عن وقائع المجزرة، فبعد أن احتل جنود الهاغانا القرية اندفعوا مسعورين في كل اتجاه، وهم يطلقون النار عشوائيا على كل من كانوا في البيوت أو في الشوارع<sup>(4)</sup>. كان من نتائجها تدمير عشرين منزلاً على أصحابه وقتل عشرات الأبرياء<sup>(5)</sup>.

وبتاريخ 30 أكتوبر 1948 أغارت قوات الهاغانا على القرية وقامت بقتل جماعي للسكان، كان الهدف هو ترهيب السكان والقرى المجاورة، حيث صرح قائد الكتيبة بقوله: إن الغارة أوقعت ذعرا كبيرا في

(1)- وليد الخالدي، كي لا ننسى، 79.

(2)- المرجع نفسه، ص 316.

(3)- غازي السعدي، من ملفات الإرهاب الصهيوني مجازر وممارسات 1936-1983، ط1، (عمان: دار الجليل للنشر، 1985)، ص 53.

(4)- إيلا ن باب، التطهير العرقي في فلسطين، ص 211.

(5)- غازي السعدي، من ملفات الإرهاب الصهيوني مجازر وممارسات 1936-1983، ص 53.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

أفندة السكان"، وبحسب تقريره، فر بعضهم وطرد البعض الآخر، وتم احتلال القرية، وفي سنة 1949 أقيم على انقاضها مستعمرة (ساسا) سعسع<sup>(1)</sup>.

### 3. مجزة دير ياسين:

كانت دير ياسين مسرحاً لأبشع وأشهر مجازر التنظيمات الإرهابية دموية، بذريعة أن قادة القرية سيجعلونها قاعدة انطلاق للهجمات العربية ضد الآليات اليهودية على طريق القدس<sup>(2)</sup>، وقد اشتركت كل من عصابة الأرغون وشتيرن والبلماح التابعة للهاغانا في إبادة السكان وتدمير القرية بأكملها، وبالرغم من المقاومة التي أبدتها الأهالي، لم تكن قرية دير ياسين من حيث الموقع ذات منعة، فقد كانت محاطة بمستعمرات يهودية مما سهل عملية الحصار، ثم الاحتلال من قبل القوات الصهيونية<sup>(3)</sup>.

وفي هذا الصدد كتب مراسل صحيفة نيويورك تايمز قوله: دعم عشرون رجلاً من ميليشيا الهاغانا التابعة للوكالة اليهودية خمسة وخمسين رجلاً من الارغون وخمسة وأربعين رجلاً من شتيرن استولوا على القرية<sup>(4)</sup>. واستناد إلى أحد قادة الإارغون وهو يهودا لايبودوت: "قدمت ليحي اقتراحاً بتصفية سكان القرية بعد احتلالها لإفهام العرب ما قد يحدث حين يشترك ليحي والارغون في عملية ما"<sup>(5)</sup>.

ففي يوم 9 أبريل 1948 تم احتلالها، وقد استعملت عصابات الهاغانا وشتيرن أسلوب الحيلة والخداع مع سكان القرية، وكان الهجوم من ثلاث جهات، ولم يكن هناك أقل تكافؤ عسكري بين العرب واليهود، إذ بدأ الهجوم أولاً برمي القنابل بواسطة طائرة، ثم تقدم الجنود تحميمهم خمس عشرة دبابة، ولم يكن المسلحون في القرية أكثر من خمسة وثمانين مسلحاً<sup>(6)</sup>، وتذكر المصادر أن وحدات الهاغانا وشتيرن نادت عبر مكبر الصوت أن المخرج الغربي للقرية مفتوح... وخلال خروجهم تمت تصفيتهم بالرصاص،

(1)-وليد الخالدي، كي لا ننسى، ص316، وإيلان بابه، التطهير العرقي في فلسطين، ص211.

(2)-سيدني بيلي، الحروب العربية الإسرائيلية وسياسة السلام، ترجمة: الياس فرحات، ط1، (بيروت: دار الحرف العربي، 1412-1992)، ص19.

(3)-ميخائيل بالمبو، كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام1948، ط1، (بيروت، د. د. ن)، 1990، ص57.

(4)-وليد الخالدي، كي لا ننسى، ص621.

(5)-نور الدين مصالحة، طرد الفلسطينيين، مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيوني1882هـ-1948، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جانفي1992)، ص178.

(6)-صالح مسعود أبو بصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ط1، (مصر: د. د. ن)، 1368هـ-1968م)، ص425.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في القتل والممارسات الصهيونية

في حين دمرت المنازل بنيران المدافع والقنابل، واحترقت على من فيها، ثم قاموا بتصفية من تبقى من القرويين بعد جمعهم في مكان واحد، وانتهكوا حرمة أجسادهم، في حين تم اغتصاب عدد من النساء قبل قتلهن بدم بارد<sup>(1)</sup>، وقد بلغ من فضاة المشهد ودموية الجنود أن قاموا برمي الجثث في الآبار<sup>(2)</sup>.

وأمام تضارب الروايات حول وصف المجزرة بين القتل بالرصاص أو الذبح، تؤكد الدراسات اليهودية على عدوانية ودموية عصابات الهاغانا وشتيرن ضد المدنيين، وكيف أن العنف بلغ أقصاه إلى حد التنكيل بالجثث وتكسير جماجمهم.

فهناك شهادات كثيرة نقلتها الاستخبارات الصهيونية، منها اعتراف أحد ضباط الهاغانا الذي كلف بتنظيف القرية عقب المجزرة وهو **مردخاي جيحون**: "قبل دخولنا إلى القرية رأينا رجالا يسحبون جثثا إلى الكسارة في الجهة الشرقية من دير ياسين، دخلنا إلى القرية في الساعة الثالثة بعد الظهر سمعنا طلقات نارية... كانت في القرية عشرات من الجثث أزالتها المنشقون عن الطريق... كانت الزيارة إلى دير ياسين بالنسبة لي صدمة أخلاقية، قبل ذلك لم تر عيني هذا العدد من الجثث"<sup>(3)</sup>.

ويصف الطبيب الفرنسي **جاك دي رينيه** رئيس بعثة الصليب الأحمر في فلسطين عام 1948 مدى وحشية منفذي المجزرة، بأنهم "شباب مراهقون، ذكور وإناث، مدججين بالسلاح (الرشاشات، المسدسات، والقنابل اليدوية)/ وأكثرهم لا يزال ملطخا بالدماء، وخناجرهم الكبيرة في أيديهم (تعبيرا عن عمليات الذبح التي قاموا بها وليس إطلاق النار)، وقد عرضت فتاة جميلة تطفح عيناها بالجريمة يديها تقطران دما، وكانت تحركهما وكأنهما ميدالية حرب"<sup>(4)</sup>.

يتوافق ذلك مع شهادات الناجين حول المشاهد الدموية المتكررة من منزل إلى آخر، وكيف مارس الجنود وحتى الجنديات اللواتي رافقنهم العنف بكل الوسائل وبمختلف الأساليب على النساء والأطفال والشيوخ، والأمثلة على ذلك كثيرة:

تقول الناجية **حليمة عيد** - وهي امرأة في عقدها الثالث: رأيت رجلا يطلق رصاصة فتصيب عنق

(1)- نواف الزرو، الهولوكوست الفلسطيني المفتوح، ج1، ص110. وإيلان بابه، التطهير العرقي في فلسطين، ص101.

(2)- صالح مسعود أبو بصير، جهاد شعب فلسطين، ص427.

(3)- دان ياهف، طهارة السلاح، ص135، ويثير أوران، المحرقة، "الانبعاث"، النكبة، ص170.

(4)- نواف الزرو، الهولوكوست الفلسطيني المفتوح، ج1، ص116.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

زوجة أخي خالدية، التي كانت موشكة على الوضع، ثم يشق بطنها بسكين لحام، ولما حاولت إحدى النساء إخراج الطفل من احشاء الحامل الميتة قتلوها أيضا... وتضيف في منزل آخر، شاهدت الفتاة حنة خليل (16عام) رجلا يستل سكيننا كبيرة ويشق بها من الرأس إلى القدم، جسم جارتنا جميلة حبش، ثم يقتل بالطريقة ذاتها، على عتبة المنزل جارنا فتحي"<sup>(1)</sup>.

وفي عام 1981 كشفت الصحيفة العبرية "كول هعير" شهادة لأحد الناجين محمد عارف سمور، أكد فيها أن وحدات الاتسل والليحي قامت بتطويق القرية في الساعة الثالثة فجرا، ثم تمت مباغته حراس القرية وقتلهم فلم يُسمع الصراخ أو التحذيرات. بمكبرات الصوت، أما تنفيذ المجزرة فقد تم بجديّة بين الخامسة والحادي عشر صباحا، ولم يسلم أحد في الطرف الشرقي للقرية... أبيدت عائلات بأكملها..."<sup>(2)</sup>.

وفي الواقع؛ كانت مأساة دير ياسين مجزرة متعمدة نفذتها عصابات بدم بارد، وهي كما يصفها بالمبو، كانت تطبيقا عمليا لما ورد في الكتاب المقدس استحضر خلالها جنود الهاغانا وشتيرن حروب يشوع، "وحرّموا كل ما في القرية من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف" يشوع 21/6<sup>(3)</sup>.

لقد خلفت المجزرة ضحايا من كل الفئات العمرية من النساء والأطفال والشيوخ، كما كانت موضع جدل وخلاف بين الباحثين، فوفقا للمصادر العربية استشهد 254 شخصا، كان معظمهم من الشيوخ والأطفال والنساء<sup>(4)</sup>. ويتفق ذلك مع ما أكده المؤرخ الإسرائيلي دان ياهف، على أن الحصيلة تم اعتمادها على أساس التقارير التي رفعتها كتبية الشبيبة في القرية، ومن رجال القدس الذين عملوا على دفن المذبوحين، بالإضافة الى رئيس الاستخبارات اليهودية في الهاغانا في القدس مائير بعيل، مع تضارب الشهادات بخصوص عمليات الذبح<sup>(5)</sup>، في حين ذكر الطبيب جاك دي رينيه الذي قام بزيارة إلى "دير ياسين" - بعد حدوث المجزرة بيوم واحد- أن عدد الضحايا يزيد عن 350 شهيد، وقال: إنه يفوق

(1)-جواد الحمد، في الذاكرة الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، ص15-16.

(2)-دان ياهف، طهارة السلاح، ص139.

(3)-ميخائيل بالمبو، كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام1948، ص60.

(4)-نور الدين مصالحة، طرد الفلسطينيين، ص183، وغازي السعدي، من ملفات الإرهاب الصهيوني، مجازر وممارسات، ص58.

(5)-دان ياهف، طهارة السلاح، ص139.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

التقديرات التي أوردتها المصادر العربية (1).

من جهة أخرى لم يكف عصابات الهاغانا وشتيرن ما ارتكبه من ذبح وتنكيل بالجثث، بل عمدوا أثناء خروجهم من القرية إلى سلب الممتلكات، يقول **دان ياهف**: "فأخذوا الزيت والطحين ومواد غذائية بكميات كبيرة، كما استولوا على قطع الغنم والماعز والدجاج والذهب والمجوهرات، وقاموا بتوزيعها بينهم" كغنائم حرب (2).

كانت نتائج المجزرة في كل الأحوال لصالح العصابات الصهيونية، فقد تسببت في ترهيب السكان وحملهم على ترك القرية، حيث رحل جميع من تبقى من السكان البالغ عددهم آنذاك 750 نسمة، ودمرت منازلهم لمنع عودتهم (3)، فتحوّلت قرية "دير ياسين" على أثر ذلك إلى مستوطنة يهودية "غفعات شاؤول" في عام 1949، استوطنتها مئات المهاجرين اليهود الجدد (4). بالإضافة إلى ترويع القرى المجاورة وكسر معنويات ودفعهم إلى ترك أراضيهم خوفاً من الهجوم، وهو ما حدث فعلاً إذ ترتب عنها فرار السكان من يافا وحيفا وطبرية، ومن قرى كثيرة في أرجاء البلاد (5).

لقد خدمت المجزرة استراتيجية الحركة الصهيونية، وهو ما صرح به **مناحيم بيغن** بقوله: "كان لهذه العملية نتائج غير متوقعة، فقد أصيب العرب بعد أخبار دير ياسين بملح قوي، فأخذوا يفرون مذعورين، فمن أصل 800 ألف عربي كانوا يعيشون على أرض إسرائيل الحالية لم يتبق سوى 165 ألف منهم" (6).

ويمكن القول؛ إن مجزرة "دير ياسين" كانت مشروعاً عسكرياً، أما الأمر الذي جعل منها الأشهر بين المجازر التي تم ارتكابها، فهو جده الأسلوب في تنفيذ المجزرة من جهة، وتمكن القوات الإرهابية من اقتلاع الأهالي من أراضيهم وتفريغ القرية وتشتيتهم. فضلاً عن تأثيرها في القرى المجاورة وحملهم على الفرار.

(1) -نواف الزرو، الهولوكوست الفلسطيني المفتوح، ص 113-114.

(2) -دان ياهف، طهارة السلاح، ص 135.

(3) -شريف كناعنة، الشتات الفلسطيني، هجرة أم تهجير، ص 154.

(4) -وليد الخالدي، كي لا ننسى، ص 662.

(5) -نور الدين مصالحة، طرد الفلسطينيين، ص 181. ودان ياهف، طهارة السلاح، ص 82.

(6) -نواف الزرو، الهولوكوست الفلسطيني المفتوح، ج 1، ص 116.

#### 4. مجزرة الطنطورة:

تمحور الفكر الصهيوني في هذه الفترة على هدفين رئيسيين: محاربة الجيوش العربية، ومحاربة ما يقارب مليون عربي فلسطيني، أصبحوا بموجب القانون الدولي -بحسب التصور الصهيوني- مواطنين بعد إعلان الدولة، وشكلت الطنطورة بموقعها في السهل الساحلي بين حيفا وتل أبيب عائقاً أمام مخططات تهويد المنطقة التي رسمتها إسرائيل<sup>(1)</sup>، أو بحسب تعبير إيلان بابه، كلف اللواء الإسكندروني بتهويد هذا الجزء من أرض إسرائيل<sup>(2)</sup>، مع العلم أن الكتيبة 33 في اللواء الإسكندروني مكونة من 700 رجلاً، إضافة إلى دور الكتيبة البحرية التي يصل عددها إلى ما يزيد عن ألف رجل، بينما عدد المقاتلين المدافعين عن القرية، بحسب ما اعتمدته التقارير العسكرية الإسرائيلية يتراوح بين 40 إلى 80<sup>(3)</sup>.

وبالاستناد إلى الرواية الإسرائيلية، قامت فرقة السبت من لواء الإسكندروني، بمهاجمة قرية الطنطورة بعد أسبوع واحد من قيام إسرائيل في يوم 22 ماي 1948، وكان يفترض أن يتم الهجوم من ثلاث جهات، ولكنه تم من أربع جهات، ولم يترك المجال للسكان بالخروج، ما أجبر السكان على الوقوع تحت تهديد سلاح الكتيبة اليهودية<sup>(4)</sup>.

يدعم يائير أوران ما ذهب إليه إيلان بابه بوصفها المجزرة أنها كانت عملية انتقامية لأحداث سابقة، فقد "تم تطويق القرية من جميع جوانبها، ثم تم اقتياد جميع الأسرى، أي جميع السكان، إلى البحر، وقد اختير الرجال وفقاً لقائمة معدة سابقاً، مأخوذة من ملف القرية الطنطورة، اشتملت على كل من شارك في ثورة 1936 أو في هجمات أخرى على اليهود، وهناك تم فصل الرجال عن النساء والأطفال، وقتل حوالي 200 رجل على يد جنود الإسكندروني، المدفوعين بالرغبة في الانتقام وقتل كل الرجال القادرين على القتال، فنفذت المجزرة بحق العرب على مرحلتين: كانت المرحلة الأولى، بعد احتلال القرية واستسلام السكان مباشرة، إذ واصل القناصة العرب إطلاق النار على القوات اليهودية، فجرحوا وقتلوا بعض

(1) - يائير أوران، المحرقة، "الانبعاث"، النكبة، ص 173.

(2) - إيلان بابه، التطهير العرقي في فلسطين، ص 145.

(3) - مصطفى الوالي، شرك الدم الطنطورة 22-23 أيار 1948، معركة ومجزرة، تقديم: إلياس شوفاني، ط 1، (دمشق: دار كنعان، د. ت)، ص 11.

(4) - إيلان بابه، التطهير العرقي في فلسطين، ص 145، ودان ياهف، طهارة السلاح، ص 166.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الجنود الإسرائيليين، ورداً على ذلك، قام الجنود بذبح ما يقارب المائة عربي، وسميت هذه المرحلة بمرحلة الهيجان<sup>(1)</sup>.

في مقابلة أجرتها جريدة الكرمل مع أحد ضباط الهاغانا "شلومو أمبير" الخبير في المتفجرات في لواء الإسكندروني، صرح بقوله: "كنت هناك طيلة ساعات النهار فشاهدت أشياء الأفضل عدم الحديث عنها... ويجب أن أشير إلى أنه حتى الألمان لم يقتلوا الأسرى غير المسلحين. هنا في الطنطورة قاموا بقتل العرب، من الصعب أن نقول إنها كانت معركة حقيقية. كانت النية إخلاء القرية بكاملها، جمعوا جميع السكان وخلال عملية الإخلاء والتجمع سقط شهداء... لم يحدث أن ارتكبت أعمال قتل من هذا القبيل على نحو عشوائي... بقيت الصورة الجماعية للرجال محفورة بذهني. غادرت المكان عندما شاهدتم يقتلون ويقتلون... كان هناك هب وسلب واغتصاب"<sup>(2)</sup>.

هذا ويؤكد **دان ياهف** ذلك في كتابه "طهارة السلاح" بالاستناد إلى شهادات جنود شاركوا في المجزرة متعطشين للدماء، يقول أحدهم وهو **الحنان عناني**: وصل الرجال ساحة المعركة وشهية الانتقام مسيطرة عليهم... كان في الوحدة جنود عطشى للدماء، وأحيانا كانت هناك صعوبة في السيطرة عليهم، وأيضاً لم تكن هناك تعليقات واضحة بخصوص اطلاق النار على أشخاص بعد استسلامهم"<sup>(3)</sup>.

يورد **إيلان بابيه** شهادة أحد الناجين من المجزرة، يدعى أبو المشايخ قد رأى بنفسه كيف أعدم خمسة وثمانين شابان أخذوا في مجموعات وأعدموا في المقبرة والجامع القرييين من القرية، وأضاف أن العدد كان أكبر من ذلك. وقال أبو المشايخ: إنه رأى الضابط **شمشون ماشفيتس** يشرف شخصياً على العلية بكاملها: "وكان يحمل رشاش وقتلهم"، وأضاف أبو المشايخ، "كانوا واقفين أمام الجدار ووجوههم متجهة نحوه. جاء من الخلف وأطلق النار على رؤوسهم كلهم دون استثناء. وشهد أبو المشايخ أن الجنود اليهود كانوا يراقبون عمليات الإعدام بكل استمتاع"<sup>(4)</sup>، فقد كانت المجزرة على النحو الذي تم توصيفها، إعداما منهجياً للشبان القادرين جسدياً على أيدي جنود وضباط الاستخبارات الصهيونية.

(1)- يائير أوران، المحرقة، "الانبعاث"، النكبة، ص 173-174. وإيلان بابيه، التطهير العرقي، ص 145-146.

(2)- مصطفى الوالي، شرك الدم، الطنطورة، ص 49.

(3)- دان ياهف، طهارة السلاح، ص 169.

(4)- إيلان بابيه، التطهير العرقي في فلسطين، ص 174.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وبحسب ما ذهب إليه إيلان بابه فإن عدد القتلى في الطنطورة يقدر بـ 230 شخصا، قام جنود العصابات بدفنهم في قبور جماعية، قاموا هم بحفرها بإشراف الضابط مردخاي سوكولر، ويصفه إيلان بابه ذلك بأنه كان من أكبر الفظائع التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية خلال حرب ماي 1948<sup>(1)</sup>.

لقد مثلت قرية الطنطورة عائقا كبيرا أمام التوسع الاستيطاني، فكانت من أواخر القرى العربية الباقية في شريط السهل الساحلي الممتد من منطقة المستعمرة زخرون يعقوف (جنوبي حيفا) حتى تل أبيب، وكان الهدف من المحزنة هو فتح الطريق إلى تل أبيب، لذا قامت وحدات الهاغانا بطرد من بقي من الأحياء من سكانها، وفي جوان 1948 أقام صهيونيون جدد قدما من الولايات المتحدة وبولندا، كيبوتس نحشوليم على أراضيها إلى الشمال الشرقي من موقعها، كما أقيمت مستعمرة دور شرق القرية في سنة 1949 من قبل مستوطنين جدد هاجروا من اليونان<sup>(2)</sup>.

وفي إطار الحديث عن مجازر 1948 يتهم يائير أوران بعض الأبحاث الإسرائيلية، بالتستر على الحقيقة وتويهها أو إنكار جزء منها، عوضاً عن كشف الحقيقة كلها بالطبع، ويرى أن تلك المجازر كانت أقسى مما تخيل، وأنها كانت جرائم حرب لا ينبغي إخفاؤها بطريقة أو بأخرى، بل يجب الكشف عنها<sup>(3)</sup>.

أما إيلان بابه فيعتبرها تطهيرا عرقيا بكل المقاييس، واصفا الأحداث بالدموية، كان الغاية منها تحويل بلد مختلط إلى بلد متجانس من خلال طرد جماعة من الناس وتحويلهم إلى لاجئين، مع هدم بيوتهم، غالبا ما يكون بتخطيط مسبق<sup>(4)</sup>، ترافقه مجازر جماعية، بهدف تعجيل هروبهم أو بالأحرى طردهم، بحيث يفضي ذلك إلى محو وجودهم واجتثاثهم بشكل تام، ويؤكد إيلان بابه أن هذا الوصف يتطابق تماما مع

(1) -إيلان بابه، التطهير العرقي في فلسطين، ص148.

(2) -وليد الخالدي، كي لا ننسى، ص106.

(3) -يائير أوران، المحرقة، "الانبعاث"، النكبة، ص164.

(4) -وهذا بخلاف ما ذهب إليه يائير أوران أحد المؤرخين الإسرائيليين الجدد الذي يعترف بوحشية المجازر، ولكن بنوع من التحفظ، لما اعتبر أن التطهير العرقي كان رد فعل لدخول الجيوش العربية، إذ يعتقد أن القيادة الفلسطينية تتحمل جزءا من المسؤولية عما حل بالفلسطينيين في العام 1948، فيقول: "فهم الذين بدأوا الحرب، ثم انضمت إليهم الدول العربية لاحقا. ولكن لنا، نحن اليهود الإسرائيليين، دور في وقوع هذه الكارثة -نحن شاركنا في الترحيل، وفي بعض الأحيان ارتكبنا المجازر. ( يائير أوران، "المحرقة، "الانبعاث"، النكبة"، ترجمة: أسعد زغبي، مراجعة وتقديم: أنطوان

شلحت، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، (مدار)، جوان 2015، ص33)



ما جرى في فلسطين عام 1948<sup>(1)</sup>.

ومما سبق يتأكد لنا أن الأهداف الرئيسية للمجازر تمثلت في اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه وتهويد فلسطين، فكان ترحيلهم مقصودا ولم يكن نتيجة فرعية للمجازر، وقد أثبتت الدراسات اليهودية - كما بينا - ذلك، وإن تم ذلك بنوع من التحفظ .

ثانيا: المجازر الجماعية بعد 1948:

### 1. مجزرة كفر قاسم:

وقعت مجزرة كفر قاسم مساء يوم 29 أكتوبر 1956 بالتزامن مع العدوان الثلاثي على مصر، نفذها حرس الحدود لجيش الدفاع الإسرائيلي بقيادة الجنرال **يسخار شدمي**<sup>(2)</sup>، في اليوم نفسه وحفظا للأمن الداخلي الإسرائيلي، وتأمين عملية سيناء والحدود المتاخمة للأردن، أصدر **شدمي** إلى قائد كتيبة حرس الحدود **شلومو ملينكي** الأمر بحظر تجول ليلي في جميع القرى الواقعة تحت قيادته، بما فيها قرية "كفر قاسم" ابتداء من الساعة الخامسة، وقال لقائد الوحدة: إن الحظر سيكون صارما وأن الإجراءات ستكون مشددة، لا يكفي إلقاء القبض<sup>(3)</sup>. وحول السؤال عن مصير من لا علم له بأمر الحظر، أجاب الجنرال **يسخار شدمي**: "الله يرحمه"، وأمر بإطلاق النار بنية القتل على من يخالف أمر الحظر دون تمييز<sup>(4)</sup>.

أعلم مختار القرية بفرض الحظر قبل بدايته بنصف ساعة، وفي هذه الأثناء كان هناك نحو 400 عامل خارج القرية، ورغم أن قائد الحرس وعد مختار القرية بأن لا يعترض طريقهم، وأن الأمر سيقع على مسؤوليته ومسؤولية الحكومة<sup>(5)</sup>، إلا أن الملازم **غبرائيل داهان** خالف ذلك وأعطى أمر مماثلا لفرقته الموكلة بكفر قاسم: إن إطلاق النار بهدف القتل سيقع على كل من غادر بيته خلال الحضر، كما أصدر

(1)-إيلان بابه، التطهير العرقي في فلسطين، ص11.

(2)-عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج5، ص125.

(3)-نور الدين مصالحة، أرض أكثر وعرب أقل، سياسة الترانسفير الإسرائيلية في التطبيق 1949-1996، ط2، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أوت2002)، ص43، وصبري جريس، العرب في إسرائيل، (د. ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني، نوفمبر1967)، ج2، ص21-22.

(4)-دان ياهف، طهارة السلاح، ص220.

(5)-صبري جريس، العرب في إسرائيل، ج2، ص29.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

تعليمات باطلاق النار لقتل من يخرق الحظر دونما تمييز بين النساء والأطفال والرجال والعائدين إلى قراهم، وإن هذا عمل مشروع" (1).

بدأت وقائع المجزرة في الساعة الخامسة مع دخول العمال جماعات جماعات من المدخل الغربي للقرية، كان منهم من أتى على دراجات ومنهم في الشاحنات ومنهم من كان يمشي، وقام جنود الكتيبة بتنفيذ المهمة بقلب بارد، وتم قتل العمال برصاص البنادق وبالرشاش (2)، ويصف إميل حبيبي (في كتابه "كفر قاسم المجزرة 1976") موجات المجزرة التسعة المتتالية كما وقعت وكيف باشر جنود حرس الحدود بالقتل وتكرار العملية مع دخول العمال بإشراف الملازم دهان الذي كان حريصا على إحصاء القتلى وإبلاغ القيادة بعددهم في نهاية كل موجة، ولم يتوقف اطلاق النار حتى أصيب معظم أهالي القرية (3).

ما يثير تساؤل أن العمال لم يشكلوا قوة محاربة أو معادية، كانوا عزلا عائدون إلى بيوتهم، ومع ذلك تمت المجزرة بدون رحمة، وبدون تمييز، بل كانت كلمة السر "أخضر"، والتي تعني طريق الدم مفتوح (4). وفقا للتوثيق التاريخي كان الملازم دهان يأمر العائدين من العمل فور وصولهم في كل مرة بالوقوف صفا واحدا، ثم يصدر الأمر للجنود باطلاق النار بقوله: "أحصدوهم"، كما كان يشترك في اطلاق النار عليهم، وخلال ساعة واحدة ونصف قاموا بقتل نحو 49 عاملا من القرية، من الرجال والشباب، منهم اثنتا عشر امرأة، وعشرة شبان، وأصيب عدد آخر بجروح بليغة وعددهم ثلاثة عشر شخصا (5).

ومضى وقت طويل قبل أن يأتي دور السلطات، فبعد أسبوعين على وقوع المجزرة صدر أول اعتراف رسمي إسرائيلي بالمجزرة، ولكن بنظرة خلفية، ويعتبر اعلان بابه أن الاعتراف لم ينطوي على اعتراف بالحقائق، بقدر ما كان محاولة وقائية لتوفير غطاء لمرتكبي الجريمة ولإعطائهم جانبا من الحصانة، حتى أن

(1)-نور الدين مصالحة، أرض أكثر وعرب أقل، ص43.

(2)-غازي السعدي، من ملفات الإرهاب الصهيوني مجازر وممارسات، ص86.

(3)-عبد المجيد همو، المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي، ط1، (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، 2003)، ص154.

(4)-جواد الحمد، في الذاكرة، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، ص30.

(5)-غازي السعدي، من ملفات الإرهاب الصهيوني، مجازر وممارسات، ص88، وإعلان بابه، الفلسطينيون المنسيون، تاريخ فلسطيني 1948، ط1، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2013)، ص97.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

الحكومة أقت باللائمة على الفلسطينيين<sup>(1)</sup>.

تعد هذه الممارسات الإجرامية وصمة عار بالنسبة لمرتكبيها، لذلك سعت حكومة إسرائيل برئاسة بن غوريون بعد الأحداث الدموية إلى التكتم على المجزرة والتعتيم عليها، بمنع وصول الأمر إلى الرأي المحلي والعالمي، غير أن بعض أعضاء الكنيست وعلى رأسهم **توفيق طوبي** و**مئير فيلنر**، وقيادات سياسية يهودية معارضة أبرزها **أوري أفنيري**، قاموا بنشر أخبار المجزرة<sup>(2)</sup>، واكتفى بن غوريون حينها بالاعتذار أمام أعضاء الكنيست في جلسة 12 ديسمبر 1956، مع تعهده "بأن هذا الأمر لن يتكرر في إسرائيل"<sup>(3)</sup>.

وعلى أثر ذلك واحتواء للغضب المحلي والعالمي، تؤكد الدراسات اليهودية على حقيقة واحدة، أن حكومة بن غوريون قامت بإعداد مسرحية توقيف 11 رجلا من حرس الحدود بينهم قائد الكتيبة في أعقاب تحقيق دولي، لكن الأحكام لم تصدر إلا في عام 1958، حيث حكمت المحكمة العسكرية على **شلومو ملينكي** بالسجن 17 سنة وعلى **غبرئيل دهان** بـ 15 سنة، إضافة إلى الجندي **شالوم أوفر**، الذي تميز بوحشية بالغة خلال المجزرة<sup>(4)</sup>، وحكم على خمسة جنود بالسجن سبع سنوات، وتمت تبرئة ثلاث متهمين، وورد في قرار المحكمة أن **يسنخار شدمي** قد تصرف بعكس تعليمات حظر التجول...، لكن في عام 1959 مثل **شدمي** أمام القضاء، وتمت تبرئته من أعمال القتل<sup>(5)</sup>، واكتفت المحكمة بحكم

(1) -إيلان بابه، الفلسطينيون المنسيون، ص 97.

(2) -نديم روحا وأريخ الصباغ، الفلسطينيون في إسرائيل، قراءة في التاريخ والسياسة والمجتمع، (د. ط)، (حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية (مدى الكرمل)، 2011)، ص 80.

(3) -جواد الحمد، في الذاكرة، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، ص 30.

(4) -إيلان هاليفي والفريد ليلينثال، إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة، ترجمة: رياض صوما، (د. ط)، (بيروت: دار المروج، 1985)، ص 104.

(5) -فقد كشفت دراسات يهودية جانباً من سيرته بعد وفاته عام 1996 أنه احتفل بتبرئته مع رئيس الحكومة بن غوريون الذي قال في مذكراته حول ذلك: "لقد رفعنا نخب تبرئته، كما احتفت به بلدته ( كيبوتس سدوت يام ) بمشاركة جنرالات الجيش، وقائده **لاسكي**، ويعترف **شدمي** في شهادته الواردة في الكتاب؛ أنه لم يفاجأ بالحكم، لأن المحكمة كانت مجرد مسرحية وتمت بخلاف قواعد الإدارة السليمة، ويكشف أنه في البداية وعد بدفاع قضائي مرموق بتمويل الدولة بواسطة الخامي البارز يعقوب سلومون. وأكثر من ذلك حيث يكشف **شدمي** أن قادة إسرائيل أبلغوه بأنه يستطيع معارضة تعيين أي قاض لا يثق به، يقول **شدمي**: قال لي بن غوريون بنفسه: أنت ستختار القضاة. " وديع عواودة، مذبح كفر قاسم.. سيرة سياسية، قضايا إسرائيلية، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، العدد 72، جانفي 2019، ص 118.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

مثير للسخرية بتوبيخه وتغريمه بعشرة قروش كغرامة رمزية، كما خُففت الأحكام الصادرة في حق داهان وملينيكي وباقي الجنود، وفي نهاية 1959 صدر العفو الرئاسي في حق الجميع<sup>(1)</sup>، وهكذا بدت الأحكام دليلاً على الاستخفاف بالعرب، كما دلت على أننا أمام جريمة منظمة

تجدر الإشارة هنا إلى أبرز الشخصيات التي كانت متواطئة إلى أبعد الحدود مع مرتكبي المجزرة هم دافيد بن غوريون، الذي واصل سياسته وتسبب في ارتكاب المجازر خلال فترة حكمه منتهجا سياسة العنف بكل أساليبه، والشخصية الثانية موشي ديان؛ الذي كان رئيس أركان الجيش الإسرائيلي زمن نفذت المجزرة، وكان أبرز المدافعين عن يسخار شدمي، كذلك شمعون بيرز وكان وقتها رئيس الوزراء، وكان مسؤولاً عن المجزرة<sup>(2)</sup>.

وكما في باقي المجازر التي ارتكبت، لم يتخلى القادة الصهاينة عن فكرة التوسع والاستيلاء على الأراضي وطرد أصحابها، فقد كان الهدف من مجزرة كفر قاسم كغيرها من المجازر، هو الاستمرار في عملية التهجير، والتخلص من العرب في كفر قاسم، وما بقي منهم في القرى المجاورة بوضعهم في معسكرات اعتقال إذا نشبت الحرب مع الأردن خلال العدوان الثلاثي على مصر، وسميت هذه الخطة بـ "الخلد"، وهي خطة تحاكي ما فعله الأميركيون مع اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية<sup>(3)</sup>، وقد جرى وضع هذه الخطة والتدريب عليها من قبل الأمن الإسرائيلي بقيادة موشي دايان، حيث وضعت قبل أسابيع من المجزرة ورغم إلغاؤها، فإن التفكير باجتماع العرب، في إطار تحقيق مشروع الدولة اليهودية من البحر المتوسط إلى نهر الأردن لم يتغير في ذهنية قادة الجيش<sup>(4)</sup>.

وتبعاً لما أشرنا إليه سابقاً فإن عمال القرية كانوا عزلاً ولم يظهرول العداء لوحدة الجيش، وهذا يؤكد لنا أن الهدف من ارتكاب المجزرة هو ترهيب السكان والقرى المجاورة بما يحملهم على الفرار، ولكن الجيش اتخذ مخالفة حظر التحول ذريعة لارتكاب المجزرة المبيت على فعلها حتى يبدو الأمر كما لو أنه كان طبيعياً.

(1)- دان ياهف، طهارة السلاح، ص 221.

(2)- غازي السعدي، من ملفات الإرهاب الصهيوني، مجازر وممارسات، ص 91.

(3)- وديع عواودة، مذبح كفر قاسم سيرة سياسية، ص 117.

(4)- نور الدين مصالحة، أرض أكثر عرب أقل، ص 44. وندم روحا وأريج الصباغ، الفلسطينيون في إسرائيل، ص 81.

## 2. مجزرة صبرا وشاتيلا:

كانت هذه المجزرة الأكثر إعدادا وتخطيطا ونوايا مبيتة من الجيش الإسرائيلي بقيادة أرييل شارون، من أشنع المجازر الجماعية التي اقترفت في حق اللاجئين الفلسطينيين.

يرجع تاريخ خطة المجزرة إلى الأيام الأولى من الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982، وكان الهدف وراء ذلك هو إتهام المخيمات الفلسطينية في بيروت، ودفع اللاجئين الفلسطينيين نحو المهجرة خارج لبنان، وبناء على وعود مسبقة، اقترح وزير الدفاع الإسرائيلي شارون أمر إتهام المخيمات على الرئيس اللبناني بشير جميل، وقد صرح له أكثر من مرة؛ "إني رجل يجب تسوية الأمور بسرعة"<sup>(1)</sup>. وكان ذلك بذريعة متابعة عناصر المقاومة الفلسطينية، ويبدو أنه رفض، لكن الأمر تغير بعد اغتياله بساعات، فقد اتخذ شارون بالتواطؤ مع رئيس الأركان رفائيل إيتان ورئيس الموساد بإدخال الكتائب اللبنانية إلى المخيمات المتزوعي السلاح<sup>(2)</sup>، وباشرة الجيش الإسرائيلي باقتحام بيروت الغربية فجر الأربعاء 15 سبتمبر 1982 وفق خطة "الدماغ" التي وضعها شارون ورفائيل إيتان رئيس الأركان<sup>(3)</sup>.

وبالتنسيق بين قيادات الكتائب اللبنانية وعلى رأسهم إلياس حبيقة وفادي أفرام وأرييل شارون، قامت الدبابات الإسرائيلية وكان عددها 120 دبابة مع 1000 مدرعة، ظهر يوم 16 سبتمبر 1982 بمحاصرة المخيمين، وسددت الدبابات مدافعها نحوهما، كما أقام جنود الجيش الإسرائيلي نقاط مراقبة لعمليات الدخول والخروج، وقد أكد قائد القوات الإسرائيلية عاموس يارون لقادة الكتائب اللبنانية بأن قواته ستقدم كل العون "لأجل تنظيف المخيمين من الإرهابيين"<sup>(4)</sup>.

ومساء يوم الخميس 16 سبتمبر 1982، تلقى الجنود الإسرائيليين الذين أقاموا حواجز عند مدخل مخيم شاتيلا الأمر بالسماح لوحدة الكتائب اللبنانية بالمرور إلى المخيم<sup>(5)</sup>، وفي جنح الظلام وبعد قطع متعمد

(1)-أمنيون كابلوك، تحقيق في مجزرة، من انتخاب بشير الجميل إلى اغتياله على مجازر صبرا وشاتيلا، ط1، (بيروت: الدار التقدمية، 1984)، ص25.

(2)-إيلان هاليفي وليلينتال، إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة، ص20.

(3)-جواد الحمد، في الذاكرة، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، ص36.

(4)-أمنيون كابلوك، تحقيق في مجزرة، ص50.

(5)-المرجع نفسه، ص56.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

للكهرباء بدأت المجزرة بعد صدور قرار حكومي من مجلس الوزراء الإسرائيلي<sup>(1)</sup>، ووفقا للتصريحات الإسرائيلية فقد استمرت المجزرة نحو أربعين ساعة (الخميس مساء- السبت ظهرا)، وكان باستطاعة القيادة الإسرائيلية متابعة ذلك من أسطح ثلاث عمارات، وكانوا على بعد 200م فقط من مركز المجزرة<sup>(2)</sup>، علاوة على ذلك تكفل الجيش الإسرائيلي بإطلاق القنابل المضيفة ليلا لتسهيل مهام الكتائب حول عمليات التعذيب والقتل بالسلاح الأبيض وسط صمت تام، كما ساعدهم في إخفاء الجثث بالبلدوزرات الإسرائيلية<sup>(3)</sup>. خلال ذلك جرت تصفية السكان وسط حصار عسكري إسرائيلي شديد، استخدمت فيها مختلف أدوات القتل من القنابل اليدوية والعنقودية والخناجر والحبال وغير ذلك، دون تمييز بين النساء والرجال والأطفال، لقد كانت الغاية هي القتل، وكانت عملية قتل من نوع خاص<sup>(4)</sup>.

قام جنود الكتائب اللبنانية بإيعاز من الجيش الإسرائيلي بعملية إبادة جماعية في حق الأبرياء العزل، ووفقا لما وثقه الصحفي اليهودي كابلوك؛ فإنهم شرعوا "بقتل المئات من الرجال، ثم اقتحموا المنازل، وقاموا بتصفية العائلات وقت العشاء، وبعضهم الآخر جرى قتلهم في الأسرة، وهم بالبيجانات، وفي العديد من الشقق تم العثور على أطفال في الثالثة والرابعة، وهم بالبيجانات أيضا، وكانوا ملفوفين أيضا بأغطية مدماة، وفي حالات كثيرة لم يكتفوا بالقتل؛ بل كانوا يهجمون ويقطعون أعضاء ضحاياهم قبل الاجهاز عليهم، وكانوا يسحقون رؤوس الأولاد والأطفال على الجدران، كذلك جرى اغتصاب النساء والفتيات قبل قتلهن بالفؤوس"<sup>(5)</sup>.

كما يؤكد الصحفي البريطاني روبرت فيسك مراسل "جريدة التايمز"، والذي قام بتصوير مشاهد العنف والرعب، ونقل شهادات للناجين من المجزرة والتي لم يجد لها إلا تعبيرا واحدا يليق بها، "إن ما شهدناه في مخيم شاتيلا الفلسطيني في العاشرة من صباح سبتمبر 1982، لا يستعصى على الوصف فحسب، لقد حدثت مذابح في لبنان؛ ولكن نادرا ما كانت بهذا الحجم أو بإشراف جيش نظامي...،

(1)-نواف الزرو، الهولوكوست الفلسطيني المفتوح، ج1، ص155.

(2)-أمنيون كابلوك، تحقيق في مجزر، ص59.

(3)-جواد الحمد، في الذاكرة، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، ص37. وإعلان هاليفي، إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة، ص33.

(4)-نواف الزرو، الهولوكوست الفلسطيني المفتوح، ج1، ص155.

(5)-أمنيون كابلوك، تحقيق في مجزرة، ص59.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

لكن أصحاب المئات من الجثث المتناثرة حولي، كانوا من العزل... لم يكن هذا مجرد "حدث"، بل قتلا جماعيا أو مجزرة تجاوزت كل ما كان يصفه الإسرائيليون في ظروف مشابهة بأنه "إرهاب وحشي"، ... ويضيف: إنه أفضع عمل إرهابي في الشرق الأوسط الحديث، وهو الأكبر حجما ووزنا، وارتكبه أفراد يعرفون تمام المعرفة أنهم يقتلون أبرياء" (1).

ثمة شهادات كثيرة وثقت وقائع المجزرة، تؤكد حرص الجنود على تصفية السكان، فتروي "أم غازي يونس ماضي" إحدى الناجيات من المجزرة: اقتحموا المخيم الساعة الخامسة والنصف يوم 16 سبتمبر، ولم نكن نسمع في البداية إطلاق رصاص، فقد كان القتل يتم بالفؤوس والسكاكين، وكانوا يدفنون الناس أحياء بالجرفات، هربنا نركض حفاة والرصاص يلاحقنا، وقد ذبحوا زوجي وثلاثة أبناء لي في المجزرة، قتلوا زوجي في غرفة النوم، وذبحوا أحد الأولاد وحرقوا آخر بعد أن بتروا ساقه، والولد الثالث وجدته مبقر البطن، كما قتلوا صهري أيضا" (2).

حتى الحيوانات لم تسلم من الإبادة، يروي الحاج إبراهيم زعيتر وزوجته أم إبراهيم، وقد فقدوا 42 فردا من العائلة أمورا رهيبة، يقول الحاج إبراهيم: "لم يرحموا أحدا حتى القطط والكلاب الشاردة لم تسلم من حقدهم، وحرأهم السامة، لقد جمعنا ضحايانا في أكياس من الخيش والنايلون بعد يومين من الجريمة، وهم في ضمير كل المسؤولين والعالم..."

تقول أم إبراهيم واصفة المشهد الأليم للضححايا: كانوا كالنجاج المذبوحة في الشارع والدماء تغطي كل مكان، الكبار والصغار والشيوخ والشباب، مكدسون في أكوام من اللحم البشرية، بعضهم مذبوح والبعض الآخر مقطوع الوصال والرأس، والأجساد كلها مشوهة إلى درجة تعذرت علينا معرفة أولادنا... (كأنك في مسلخ)" (3).

لقد سار الحقد الصهيوني جنبا الى جنب مع الحقد الصليبي في المجزرة، كما أثبتت وقائع المجزرة انسجامها مع الأهداف الصهيونية الرامية إلى تشريد الشعب الفلسطيني، ومطاردته أينما حل. ورغم أن

(1)-روبرت فيسك، ويلات وطن، (صراعات الشرق الأوسط وحرب لبنان)، ط17، بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 2005، ص40-44.

(2)-جواد الحمد، في الذاكرة، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، ص39.

(3)-نواف الزرو، الهولوكوست الفلسطيني المفتوح، ج1، ص157.

## الفصل الثالث: ..... عمليات العنف في الفتر والممارسات الصهيونية

منفذي المجزرة هم الكتائب اللبنانية؛ لكن المصلحة تخص إسرائيل والطرف الرئيس المدبر والمساعد على عمليات القتل الوحشي هو الجيش الإسرائيلي.

فقد بادر رئيس أركان الجيش الإسرائيلي رفائيل إتان بتهنئة قيادة الكتائب اللبنانية ظهر الجمعة على ما قامت به في المخيمين، كما طلب إليه شارون أن يهنئهم على العمل الذي تزامن مع عيد رأس السنة العبرية لليهود والذي صادف آخر يوم من المجزرة 18 سبتمبر 1982<sup>(1)</sup>.

بالرغم من التعقيم الإعلامي والتضارب الحاصل حول تقدير عدد الضحايا خلال أربعين ساعة التي تمت فيها الإبادة الجماعية، حاولت حكومة إسرائيل -كعادتها- إخفاء العدد الحقيقي للضحايا، بحيث صرح مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية أن عددهم محصور بين 700 و800 ضحية<sup>(2)</sup>، بينما أفادت الوثائق والشهادات أن عددهم محصور بين 3000 إلى 3500 رجل وامرأة وطفل تمت تصفيتهم بدم بارد من أصل عشرين ألف نسمة كانوا في المخيمين، ووجد بين الجثث أكثر من 136 لبنانيا، ومنه فالحصيلة الكلية عن المذبحة هي 3297 من النساء والرجال والأطفال (1097 مستشفى غزة، و400 شهيد من مستشفى عكا، 1800 شهيد في شوارع المخيمين)<sup>(3)</sup>.

لعل ذلك هو ما جعل روبرت فيست يستنكر التعقيم الإعلامي على المجزرة ويعتبره ظلما في حق الفلسطينيين، ويتساءل فيما لو كان الأمر يتعلق بإسرائيل، ودخل الجيش السوري وقام بمحاصرة إحدى المستوطنات الجماعية ثم سمح للفلسطينيين أن يذبحوا سكانها اليهود؟. لا شك أن الوكالات الغربية لن تتردد في تسمية ذلك بالمجزرة، لكن الضحايا -يقول روبرت فيسك- في بيروت كانوا من الفلسطينيين<sup>(4)</sup>.

وبالرغم من فضاة المجزرة وثبوت تورط إسرائيل فيها، ووقوع المسؤولية بشكل صريح على شارون؛

(1)-جواد الحمد، في الذاكرة، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، ص 38.

(2)-روبرت فيسك، ويلات وطن، ص 475.

(3)-جواد الحمد، في الذاكرة، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، ص 46-47.

(4)-روبرت فيسك، ويلات وطن، ص 451-452.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

إلا أنه لم تتخذ أية إجراءات عقابية في حقه واكتفت لجنة كاهانا<sup>(1)</sup> التي لم تورد حتى تفصيل المجزرة<sup>(2)</sup>، باتهام شارون بالإهمال، وأمرت بإخراجه من مجلس الوزراء، نتيجة دوره الرئيسي في المجزرة على أن ذلك لم ينفذ، حيث طرد من منصب وزير الدفاع، ليصبح وزير الصناعة مع الاحتفاظ بمكانته في المجلس<sup>(3)</sup>.

لكن يبقى الأهم من ذلك أنه حدثت إبادة جماعية في حق مدنيين، بتخطيط ومساعدة وحماية الجيش الإسرائيلي، بما يدل على أن مبدأ العنف المطلق على النحو الذي تمت به المجزرة كان من أهم المبادئ التي حرصت الصهيونية على تطبيقه، وأما فيما يتعلق بالمبررات فهي تستحدث وتتجدد مع كل مجزرة.

### 3. مجزرة الحرم الإبراهيمي

ما من شك أن العنف الصهيوني الممارس كان مرافقا لفكرة التوسع الاستيطاني بهدف طرد الفلسطينيين، فقد ظل الصهاينة يتوقون إلى احتلال مدينة الخليل بعد فشلهم عام 1948، وتحت شعار "حبرون مدينة الآباء والأجداد" داسوا على كل القيم، ففي عام 1967 اقتحموا "الحرم الإبراهيمي"، وأعلنوه كنيسة يهوديا أطلقوا عليه "كنيس مكفيلة"، وتحت الشعار نفسه تم توسيع المستوطنات، لتشمل الناحية الجنوبية للمدينة بما في ذلك المدينة القديمة نفسها، من خلال مصادرة المباني وهدم بعضها وإحلال العائلات اليهودية والجيش بها كما حدث بساحة الحرم الإبراهيمي، وكان الهدف من كل ذلك هو المساس بالمقدسات والضغط على السكان وحملهم على الرحيل<sup>(4)</sup>.

وقد عرفت مدينة الخليل زحفا استيطانيا كبيرا، خاصة بعد 1983 بإقامة مستوطنة "كريات أربع"، التي تميز مستوطنوها بالفكر اليميني المتطرف، ترتب عن ذلك تحول المسجد الإبراهيمي إلى مسجد وكنيس في

(1) - لجنة تحقيق قضائية برئاسة رئيس المحكمة العليا في إسرائيل القاضي إسحق كاهان. شكلت اللجنة العام 1982 للتحقيق في الأعمال الإجرامية المرتكبة في مخيمي صبرا وشاتيلا الفلسطينيين في لبنان، وجاء تشكيل اللجنة في أعقاب العاصفة السياسية التي اجتاحت إسرائيل بعد تورط الجيش الإسرائيلي في الحرب في لبنان، وعلاقته بالمجزرة، وبعد تهديدات من أحزاب ائتلافية بترك الحكومة وتهديد رئيس دولة إسرائيل إسحق نافون بالاستقالة، وحملت اللجنة قيادة الجيش الإسرائيلي بعض المسؤوليات بشكل غير مباشر. جوني منصور، معجم العلام والمصطلحات الصهيونية، ص 255.

(2) - إيلان هاليفي وليلبنتال، إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة، ص 29.

(3) - باري شميش، سقوط إسرائيل، ترجمة: عمار جولاق ومحمد العابد، مراجعة: علي رمّان، ط 2، (عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998)، ص 46.

(4) - نبيل خالد الأغا، مدائن فلسطين دراسات ومشاهدات، ط 1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993)، ص 95.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

آن واحد، وبعد توفير الأثرية اليهودية بدأ التصعيد ضد السكان العرب، وقد كان لحركة كاخ الإرهابية دور كبير في ذلك، إذ قامت بتوزيع منشور دعت فيها إلى استخدام السلاح ضد راشقي الحجارة، كما طالبت بطرد العرب، رافقتها أعمال عنف متواصلة، كشفت الصهيونية من خلالها عن نواياها المبيتة ضد الفلسطينيين<sup>(1)</sup>، وبذريعة الحق الديني في الأرض كانوا يبحثون عن تعزيز المواجهة وتصعيد العنف بين العرب واليهود وتفريغ المناطق من العرب، لإنقاذ شعب إسرائيل وإقامة مملكة إسرائيل كما جاء في التوراة، والكثير من هؤلاء يعيشون في المستوطنات اليهودية بالضفة الغربية، ولعل من أشد المتحمسين لممارسة العنف الطيب باروخ غولدشتاين من كريات أربع، الذي نفذ مجزرة الحرم الإبراهيمي<sup>(2)</sup>.

أما زمن وقوع المجزرة فقد وافق يوم احتفال اليهود بعيد "البوريم" المسخر، حين قام باروخ غولدشتاين بإطلاق النار على المصلين في ظهورهم يوم 25 فيفري 1994<sup>(3)</sup>، وكان ذلك فجر يوم الجمعة الموافق للخامس عشر (15) من شهر رمضان المعظم 1414هـ.<sup>(4)</sup>

وقعت المجزرة شكلت مجزرة "الحرم الإبراهيمي" ذروة الإرهاب الصهيوني في مدينة الخليل، وقد وقعت على مراحل ثلاث متتالية، بدأت الأولى حين دخل المستوطن باروخ غولدشتاين بسلاحه الرشاش M 16 وأطلق نحو 118 رصاصة على المصلين في أثناء سجودهم سجدة تلاوة في الركعة الثانية من صلاة الفجر، وكانت المرحلة الثانية بعد موت الجرم على يد المصلين، حين تدخل المستوطنون وباشروا بإطلاق النار على المصلين في باحة الحرم، ولم ينج منهم أحد، أما المرحلة الثالثة فكانت بتدخل الجيش الإسرائيلي وإطلاقه النار على الأهالي خارج الحرم لمنعهم من نصرته وإنقاذ المصلين<sup>(5)</sup>، وكانت الحصيلة 29 شهيدا داخل الحرم، و31 شهيدا خارجه، وإصابة نحو 150 بالجروح<sup>(6)</sup>.

وقد ارتكب غولدشتاين المجزرة بسلاح أعطاه له الجيش الإسرائيلي، وكان مرتديا الزي العسكري كونه طبيبا في صفوف الاحتياط، والمستوطنون يُسمح لهم بالخدمة في الاحتياط في صفوف الجيش الإسرائيلي

(1)-غازي السعدي، من ملفات الإرهاب الصهيوني مجازر وممارسات، ص211-212.

(2)-أسعد غانم، الهويات والسياسة في إسرائيل، ص151.

(3)-إسرائيل شاحك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص183.

(4)-جواد الحمد، في الذاكرة، الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية، ص64.

(5)-المرجع نفسه، ص65.

(6)-نواف الزرو، الهولوكوست الفلسطيني المفتوح، ج1، ص171.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

المستوطنة التي يسكنونها "شهرًا واحدًا في السنة"، أو قريبًا منها بما يمنحهم أحيانًا نوعًا من الحماية، فيمارسون العنف ضد الفلسطينيين، دون خوف من العقاب<sup>(1)</sup>.

لم في الواقع يكن ما قام غولدشتاين به عملاً فردياً، فقد كان من أتباع الحاخام اللوبافيتشي، الذي أفتى قبل أيام من المذبحة بجواز قتل العرب، ومنه فقد شكل عمله الإجرامي انعكاساً وتمثيلاً للبيئة التي تربى فيها، بيئة المتدينين والحزب الديني القومي<sup>(2)</sup>.

وهو بذلك يعد أنموذجاً للتطرف الديني الصهيوني، ولم تبد ردود أفعال القيادات الدينية أية شجب لما قام به؛ بل امتدحه كثير من الحاخامات، كما امتد قبول عمله الإجرامي إلى ما وراء المجتمع المتدين فوصف بالشهيد، وأن عمله كان واجباً مقدساً، ورفعوا بعضهم إلى مرتبة القديسين.

فقد أثنى عليه الحاخام دوف ليوور، ولم يعتبر ما قام به جريمة بقوله: طالما أن غولدشتاين فعل ما فعله باسم الإله، فيجب اعتباره رجلاً صالحاً<sup>(3)</sup>. وخلال التأين قال الحاخام إسرائيل أريئيل: "إن الشهيد غولدشتاين هو منذ الآن شقيقاً في الفردوس... لقد فعل ذلك لكي يغيث الأرض... سوف يرث اليهود الأرض ليس من خلال معاهدة السلام، ولكن فقط من خلال إراقة الدماء"<sup>(4)</sup>. أما الحاخام اللوبافيتشي اسحق غيسنبروغ فقد وصف المحزنة بقوله: "كان عملاً بطولياً، إلى درجة اعتبار أن مصدر هذه البطولة لا يمكن تحديده إلا في بركة إلهية فاضت من الفلك الأعلى"، ويجب أن يلهم اليهود لكي يمتلكوا كل "أرض إسرائيل"، كما تأسف كثير من الحاخامات لأن عدد القتلى (العرب) كان غير مرتفع<sup>(5)</sup>. علاوة على ذلك شيد المستوطنون ضريحاً فخماً على قبره عند مدخل مستوطنة كرايت أربع اتخذ مزاراً للإسرائيليين إحياء لذكراه<sup>(6)</sup>.

ومما سبق نخلص إلى القول؛ إنه بالنسبة لإسرائيل لا بديل عن العنف في التعامل مع العرب فمرتكب

(1) -أسامة عبد الحق، دولة الدم والإرهاب، وثائق الاستيطان الصهيوني وجرائم المستوطنين في فلسطين، ط1، (القاهرة، دار الشروق الدولية، 1430هـ-2009م)، ص97.

(2) -ديفيد هيرست، البندقية وغصن الزيتون، ترجمة: عبد الرحمان أياس، ط1، (بيروت رياض الريس للكتب والنشر، 2003)، ص110.

(3) -أسامة عبد الحق، دولة الدم والإرهاب، ص97.

(4) -إسرائيل شاحك، الأصولية اليهودية في إسرائيل، ص191-193.

(5) -ديفيد هيرست، البندقية وغصن الزيتون، ص111.

(6) -دان ياهف، طهارة السلاح، ص249.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

المجزرة ينتمي إلى حركة كاخ الإرهابية، التي كان من أبرز شعاراتها القضاء على العرب، وقد تمت بمباركة الحاخامات وبحضور الجيش الإسرائيلي.

### 4. مجزرة غزة "الرصاص المصبوب" (2008-2009):

فضلا عن الاستراتيجية المعهودة في مجازرها، المعتمدة على عنصر المفاجأة والبعثة، استخدمت إسرائيل في جريمتها ضد غزة مختلف الأسلحة المحظورة دوليا.

فقد عمدت إسرائيل قبل عدوانها على غزة إلى عمليات التضليل كإجراءات تخفي من خلالها نيتها في العدوان على غزة، منها قرار وزير الدفاع إيهود باراك بفتح المعابر جزئيا لتمرير المؤن، كما أعلنت عن نية مجلس الوزراء في عقد جلسات لمناقشة الوضع الأمني، علاوة على ذلك عملت على تطمين قيادات حماس أن لا عدوان قريب على غزة (1).

ويؤكد نعوم تشومسكي أن العدوان الإسرائيلي على غزة استغرق التخطيط له أكثر من ستة أشهر، وقد تضمن ذلك توقيت الهجوم قبيل الظهر عند عودة التلاميذ من المدارس، حيث يكون هناك اكتظاظ في الشوارع، ولم يستغرق ذلك وقتا في قتل أكثر من مائتي شخص في افتتاح مباشر للمذبحة الجماعية في حق المدنيين، كما استهدف الهجوم بنوع خاص حفل التخريج في كلية الشرطة، وقتل العشرات منهم. وتم ذلك وفق المقولة "أيّدوا جميع البهائم" (2).

بدأت وقائع العدوان على قطاع غزة يوم 27 ديسمبر 2008 ظهرا بعمليتين كانت الأولى جوية بقوام 60 طائرة قاذفة استهدفت المراكز الأمنية العسكرية، ومقرات القيادة كما استهدفت مراكز الحكومة ومنصات الصواريخ بهدف تدمير الطواقم البشرية، واستمر القصف الجوي الى غاية يوم 3 جانفي 2008، حيث بدأ الحشد البري بدعم من القوات البرية والبحرية— وقد دخلت القوات البرية من "مستعمرة نتسريم" جنوبي القطاع لفصل غزة الى شطرين وتمكين الحصار (3).

(1) -عبد الحميد الكيالي وآخرون، دراسة في العدوان على قطاع غزة عملية الرصاص المصبوب/معركة الفرقان (2008/12/27-2009/1/18)، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 1430هـ-2009م)، ص35.

(2) -نعوم تشومسكي وإيلان باه، غزة في أزمة، تأملات في الحرب الإسرائيلية على الفلسطينيين، ط1، (بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 2011)، ص89.

(3) -عبد الحميد الكيالي، دراسة في العدوان على قطاع غزة، ص37.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

وبالرغم من إنكار الناطقين الإسرائيليين لاستخدام أسلحة الدمار الشامل وتصدي الجيش الإسرائيلي لوسائل الإعلام الأجنبية كافة، وذلك بمنعها من الدخول إلى غزة خوفا من افتضاح أمره، إلا أن الشبكات الأجنبية من ورائهم كشفت الحقائق، ببثها صور حية لقذائف الفوسفور الأبيض التي كانت تسقط فوق أحياء غزة<sup>(1)</sup>. واعتبر كثيرون أن ما جمعته منظمات حقوق الإنسان الموجودة في إسرائيل والوكالات الدولية، كان أخطر كثيرا من مجرد جرائم حرب، بل وصفه بعضهم بالإبادة<sup>(2)</sup>.

وافق ذلك ما أشارت إليه الأبحاث الجنائية من أن الجيش الإسرائيلي استخدم في بداية الهجوم أسلحة محظورة قانونيا ضد المدنيين، تمثلت في الفوسفور الأبيض ومعدن الدائم، فوفقا للتحقيق الذي قامت به "منظمة هيومن رايتس ووتش"، أكد خبراء المنظمة على استخدام الفوسفور الأبيض في مناطق آهلة بالسكان، مما أدى إلى إصابة النساء والأطفال والشيوخ بحروق بالغة، وأكدت المنظمة أن ذلك يعد جريمة حرب، وأن الجيش أفرط في استخدام القوة وأنه كان على علم بأن استخدام الفوسفور الأبيض<sup>(3)</sup>.

كما دلت تصريحات جنود ينتمون إلى منظمة "المنظمة" لحطم حاجز الصمت"، شاركوا في العدوان، على أن الفوسفور الأبيض كان الاستخدام الوحيد في العمليات، يقول أحدهم: "استخدمنا قنابل الفوسفور مرات عديدة، فالمتزل الذي كنا نشتهه بوجود أنفاق أو عبوات ناسفة فيه كنا نقصفه بقنابل الفوسفور باختلاف أنواعها، رغبة منا في أن يؤدي ذلك إلى تفجير جميع العبوات الناسفة، أي أننا استخدمنا الفوسفور كمضرم للنيران، ومن خلال قصف قنابل الفوسفور تنفجر العبوات والأنفاق، كل شيء تشتعل فيه النيران"<sup>(4)</sup>.

كما أكدت المصادر الطبية أنه لم يشهدوا مثل هذه الأسلحة من قبل، وإن استخدام معدن الدائم والفوسفور كان بهدف تحقيق إبادة جماعية، حيث "أن الفوسفور الأبيض المستخدم يتميز بشدة نشاطه الكيميائي، فيلتهب بمجرد تعرضه للأوكسجين، وهو ما يفسر وجود الحروق الشديدة على جثث

(1)- جلعاد عتسمون، من التائه، ص 126.

(2)- نعيم تشومسكي وإيلان بابه، غزة في أزمة، ص 211.

(3)- عبد الرحمن محمد علي، الجرائم الإسرائيلية خلال العدوان على غزة (2008/12/27-2009/1/18) دراسة قانونية، ط 1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 1432هـ-2011م)، ص 70.

(4)- بدر العقيلي، جرائم الحرب الإسرائيلية في غزة "توثيق لشهادات جنود إسرائيليين لفظائح ارتكبوها في غزة والضفة الغربية، ط 1، (عمان: دار الجليل للنشر، 2010)، ص 76.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

القتلى والمصابين، كما تؤكد ذات المصادر أن نوعية الإصابات بهذه المتفجرات تتراوح بين الحروق العميقة التي تصل إلى العظام، وبين بتر الأطراف وتهتك الشرائيين والأوردة، مما يؤدي إلى حالات نزييف قاتلة" (1).

ثم إن ما أوردته الإحصائيات يؤكد مدى وحشية تلك الاعتداءات، فبحسب البيانات التي أوردها جهاز المركز الإحصائي الفلسطيني بتاريخ 28 جانفي 2009، فقد بلغت حصيلة العدوان الإسرائيلي على غزة 1. 334 شهيدا، بينهم 417 طفلا و108 نساء و120 مسنا و14 مسعفا صحيا، فيما بلغ عدد الجرحى 5. 450 جريحا بحاجة إلى إعادة تأهيل معظمهم من المدنيين (2)، وبحسب المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان تعرض أكثر من 16 ألف مبنى للدمار الجزئي، وأكثر من 5350 للدمار الكلي (3).

وفي الواقع لا يمنعنا ذلك من القول إنه لم تكن قوات الاحتلال الصهيوني لتستمر في ممارستها الإجرامية منذ 1948 لولا تواطؤ الأمم المتحدة بسكوتهما عما تقوم به إسرائيل من انتهاكات في حق الشعب الفلسطيني.

فبالرغم من أن كثيرا من المؤسسات الحقوقية ومنا الفلسطينية والعربية قد قامت برفع دعوى أمام المحكمة الجنائية الدولية في عام 2009، تتهم فيها القادة والمسؤولين الإسرائيليين بجرائم حرب، وهم؛ "رئيس الوزراء إيهود أولمرت ووزير الدفاع الإسرائيلي إيهود بارك ونائب وزير الدفاع متان فلينائي ووزير الأمن الداخلي آفي ديختر ورئيس الأركان غاي أشكنازي باعتبارهم المسؤولين الرئيسيين عن مرؤوسيهم في القوات البحرية والبرية والجوية في الجيش الإسرائيلي، برغم ذلك، فإن المدعي العام للمحكمة لم يباشر إجراءات التحقيق بذريعة عدم اختصاص المحكمة، مبررا ذلك أن إسرائيل ليست عضوا في النظام الأساسي للمحكمة". سامح خليل الوادية (4)، فهذا التحيز كفيلا لأن تجعله إسرائيل من المسوغات الكافية التي ستفتح شهيتها لخرق القوانين ومواصلة عدوانيتها.

(1) -عبد الحميد الكيالي، دراسة في العدوان على غزة، ص 275.

(2) -الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، الشهداء والجرحى في قطاع غزة [www. pcbs. gov. ps](http://www.pcbs.gov.ps).

(3) -محسن محمد صالح، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 1431هـ-2010م)، 105.

(4) -سامح خليل الوادية، المسؤولية الدولية عن جرائم الحرب الإسرائيلية، ط1، (بيروت: مركز الزيتون للدراسات والاستشارات، 1430هـ-2009م)، ص 28-29.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

لكن يبدو أن السلوك الإجرامي الذي قام به الجيش الإسرائيلي كان مستنسخا من نصوص الكتاب المقدس، فقد قدم **جلعاد عتسمون** تفسيراً لتلك الممارسات، مؤكداً أن الجيش الإسرائيلي باستخدامه للفوسفور الأبيض في الجزء الشمالي من غزة في جانفي 2009، إنما كان يسير على هدى سفر التثنية، "وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إهلك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما" (1)، ويضيف عتسمون: لأنهم فعليا لم يتركوا شيئا يتنفس "بحيث اتخذت المجازر طابعا فتاكا، فكان هدفها الأساسي هو التدمير دون إظهار أي رحمة" (2).

ويوافق ذلك ما كشفته صحيفة "هاآرتس الإسرائيلية"، بأن العميد آفي رونتكس الحاخام الأول في الحاخامية العسكرية لجيش الاحتلال وزع كراسات إرشادية على الجنود أمرهم فيها بعدم الرحمة مع المدنيين، وتطبيق حكم التوراة الذي نزل على العماليق (3).

لقد تميزت الجمار الصهيونية بدرجة عالية من العنف والوحشية، إذ العنف كان ولا يزال من طبيعة المشروع الصهيوني وجزء لا يتجزأ من جوهر الأيديولوجية الصهيونية، المستمدة من تعاليم اليهودية، تماثلت دوافعه ووسائله وأساليبه، مع تعدد المجازر والتي كانت صورة طبق الأصل لما وجدناه في النصوص الدينية خاصة حروب يشوع.

### ثالثا: تعذيب الأسرى:

يعد تعذيب الأسرى والتعدي على إنسانيتهم، من أبرز الخروقات التي يتسم بها نظام سجون الاحتلال الصهيوني.

لقد تحولت سجون الاحتلال الصهيوني التي ورثها بأغليبيتها عن الانتداب البريطاني بعد 1967 إلى مراكز لشن العنف ضد الشعب الفلسطيني (4)، ذلك العنف الذي يستهدف الإبادة والتصفية الجسدية

(1)-تث/20:16.

(2)-جلعاد عتسمون، من التائه، ص182.

(3)-مجدي كامل، هولوكوست غزة "هيروشيما القرن 21"، ط1، (دمشق: دار الكتاب العربي، 2010)، ص157.

(4)-إبراهيم أبو الهيجاء، المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني (مرآة ترصد الجوانب القانونية والإنسانية والرقمية بقالب تقريرية وتحليلي عن أوضاع وأحوال المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني، ط1، (مصر: مركز الإعلام العربي، 1424هـ-2004م)، ص8.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

والمعنوية للإنسان تدريجياً.

ورغم أن ممارسته تتناقض مع ما تمليه الاتفاقيات الدولية، التي تؤكد "حضر التعذيب وغيره من أنواع المعاملات المهينة أو القاسية أو اللاإنسانية" (1)، إلا أن سلطة الاحتلال تشد عن هذه القاعدة، إذ يحظى تعذيب الأسرى بتأييد واسع لدى الرأي العام الإسرائيلي، منذ بدء الاحتلال وحتى يومنا هذا— بذريعة حفظ الأمن الداخلي لإسرائيل ومحاربة الإرهابيين (الفلسطينيين)، وأصبح الرأي العام الإسرائيلي أكثر تشدداً في الفترة 199-1999، حيث أصبح الفلسطينيون واللبنانيون وغيرهم من الأسرى ضحايا مقبولين للتعذيب (2).

وبحسب تقارير المركز الحقوقي بتسليم فإن محققي جهاز الأمن (الشاباك) يُخضعون الأسرى لأكثر من 105 وسيلة للتعذيب (3)، وذلك بالرغم من قرار المحكمة العليا الإسرائيلية الصادر بتاريخ 16 سبتمبر 1999 والذي يقضي بعدم قانونية أساليب التعذيب التي يستخدمها هذا الجهاز أثناء التحقيق مع المعتقلين الفلسطينيين، فقد جاء في نص القرار: "لا يحق لجهاز الأمن العام استخدام أسلوب الهز أو إلزام المحقق معهم بالجلوس في وضع مؤلم، أو منع المعتقلين من النوم خلال عمليات التحقيق" (4)، ومع ذلك يتم الاعتداء على الأسرى رجالاً ونساءً وأطفالاً بشكل مستمر ومنهجي، منذ أن يتم اعتقالهم بمختلف الوسائل وشتى الأساليب.

وتجدر الإشارة أنه في ظل الأوضاع السياسية الراهنة، وفي ظل التطبيع مع إسرائيل والخوف من معاداة السامية تعذر علينا الوصول إلى بعض المواقع الحقوقية الهامة، التي وثقت شهادات المحامين، كما أنها تعد مصادر موثوقة لشهادات أسرى تم تعذيبهم، لذا اكتفينا بما تحصلنا عليه من مصادر محدودة جداً.

(1) -مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، المعاهدات الدولية الأساسية لحقوق الإنسان، نيويورك وجنيف، 2006، ص159.  
(2) -فراس أبو هلال، معاناة الأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال، سلسلة أولست إنسانا (4)، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 1430هـ-2009م)، ص73.  
(3) -أحمد الحيلة ومريم عيتاني، معاناة الطفل الفلسطيني تحت الاحتلال، سلسلة أولست إنسانا(3)، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 1429هـ-2008م)، ص47.  
(4) -داود درعاوي، تقرير حول جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، مسؤولية إسرائيل الدولية عن الجرائم خلال انتفاضة الأقصى، سلسلة التقارير القانونية (24)، (د. ط)، (رام الله: الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق المواطن، جويلية 2001)، ص91.

### 1. التعذيب النفسي والجسدي:

يعد التعذيب واحدا من أقسى أساليب التحقيق وأشدّها خطورة في السجون الإسرائيلية، وهذا أسعد عبد الرحمان يصف جانبا من حياته في المعتقلات الصهيونية في الرملة في الستينيات، حيث يتم وضع الأسير في قبو انفرادي مظلم، في أرضيته محفورة فيها قنوات تنضح بالبول والبراز، ويتم تعريته بشكل كامل وتقيده يداه من الخلف ومن غير أغطية، معصوب العينين، القصد منه تحطيم الأعصاب وإحداث حالة من الاثيمار النفسي، وزعزعة إيمانه بالقيم لتسهيل كسر صلابته الأخلاقية والوطنية، وقد يتم استغلال إصابته الجسدية وضربه عليها وعدم عرضه على الطبيب قبل أن يسجل ما لديه من أقوال<sup>(1)</sup>.

وفي حالات أخرى يتم وضع أصابع اليدين بين دفتي الباب وإغلاقها عليها، يعقب ذلك نزع للأظافر بالكماشة، كما يتم استخدام الكهرباء على شكل صدمات بوضع الملاقط في أطراف الأماكن الحساسة من الجسم<sup>(2)</sup>.

لم تتغير أساليب التعذيب عن سابقتها، حيث يعتمد السجناء إلى استخدام الصعقات الكهربائية أو حرق الأسير بأعقاب السجائر بهدف إرغامه على الاعتراف، وتجري عملية الصعق والحرق بطرق مدروسة تستهدف أكثر مناطق الجسم إيلاما وحساسية<sup>(3)</sup>.

وأفادت شهادات كثيرة ممارسة التعذيب أثناء التحقيق، يعتمد فيها الجنود إذلال السجناء وإهانتهم. وعلى سبيل المثال، تعرض الأسير ناصر عياد (30 سنة)، الذي اعتقل بتاريخ 29 جانفي 2001، وهو من حي الزيتون بمدينة غزة، إلى التعذيب النفسي والجسدي أثناء التحقيق في مستوطنة نتساريم وسجن عسقلان، بالضرب المبرح والمنع من النوم مع تعريضه للإضاءة الشديدة مما أدى إلى إصابته بحروق في وجهه، فضلا عن تعرضه للضغط الشديد على مستوى الرقبة ولكمه في إحدى عينيه<sup>(4)</sup>.

(1) -أسعد عبد الرحمان، أوراق سجين (عشرة أشهر في المعتقلات الإسرائيلية)، (د. ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني، جانفي 1969)، ص 129

(2) -أسعد عبد الرحمان، أوراق سجين، 132.

(3) -إبراهيم أبو الهيجاء، المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني، ص 82.

(4) -داود درعاوي، تقرير حول جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، ص 92.

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفتر والممارسات الصهيونية

كما يقدم المركز الإسرائيلي لحقوق الانسان في الأراضي المحتلة "بتسيلم - bsetsem"، شهادات 116 أسيرا حول تعرضهم للتعذيب في سجن شيكما بكل أساليبه من الحبس الانفرادي، الحرمان من النوم، التكبيل المستمر، العنف اللفظي والجسدي، التعرض للبرد والحرارة، قلة الأكل.

ومن ذلك يقول طالب من نابلس (21 سنة): جلس أمامي المحقق وأمسك بالقميص بيد واحدة ولكمني على وجهي بيده الأخرى، استمر ذلك لفترة طويلة ولمرات عديدة... ويقول محمد عوض (26 سنة): وفي بعض الأحيان كانوا يمسكون بي من القميص ويسحبونني بقوة إلى الأمام وأنا مقيد حتى يتأذى ظهري، ويستمر ذلك الجحيم لمدة سبعة أو ثمانية أيام<sup>(1)</sup>.

وقدمت الأسيرة الفلسطينية عبير أبو خضير، التي اعتقلت بتاريخ 21 جانفي 2001، وهي أم لأربعة أطفال، من حي شعفاط بالقدس، إفادتها بأنها مكثت في التحقيق لمدة شهر، خضعت خلالها للتعذيب، خاصة الحرمان من النوم لأكثر من خمسة أيام متتالية، واستخدام أسلوب الشبح<sup>(2)</sup>، بالإضافة لبقائها مقيدة الأرجل والأيدي لمدة طويلة<sup>(3)</sup>.

وضمن هذا السياق تقول الأسيرة رائدة محمد شحادة: "وجدتُ يدين غليظتين متغطرتين تحشران رأسي في كيس ضخم كرية الرائحة خشن الملمس، ثم تضعان يدي في قيود مكمة لا فكاك منها، لم أعد أرى شيئا، يداي مربوطتان وكيس نتن يكتم أنفاسي، وصوت بغيض يطلب مني أن أقف بجانب هذا الجدار دون أن أتحرك"<sup>(4)</sup>.

ويبدو أن العنف الصهيوني لا يميز بين الكبير والصغير، إذ لم يسلم الأطفال من يد الجلاد الصهيوني، وكانوا ضحية المعاملات القمعية، وعرضة لاستهداف الجنود والسجانين، فهم يخضعون منذ الاعتقال إلى أكثر من شكل من أشكال التعذيب، "كالضرب والحرمان من النوم، الماء البارد والساخن،

<sup>(1)</sup> - Noga kadman ; backed by the system, abuse and torture at the shikma interrogation facility,

translated by michelle bubis, December, 2015, p29 عن موقع <http://www.betselem.org/Arabic>

<sup>(2)</sup> - يتم بوضع كيس له رائحة نتنه على رأسه الأسيرة) بحيث يغطي وجهه(ها) ويجعل التنفس صعبا، ويتم ذلك مع تقييد الأيدي إلى الخلف وترك الأسيرة) واقفا أو مقرصا لمدة طويلة مع الحرمان من النوم ومن الطعام في محاولة لإرهاق الأسير وإجباره على إطاعة المحققين. إبراهيم أبو الهيجاء، المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني، ص248.

<sup>(3)</sup> - داود درعاوي، تقرير حول جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، ص92.

<sup>(4)</sup> - إبراهيم أبو الهيجاء، المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني، ص248.



## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

العزل الانفرادي، الشبح، الإساءة اللفظية، ربط اليدين وعصب العينين" (1).

وتفيد تقارير المركز الحقوقي بتسليم أن الأطفال الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية يعانون نقصا في الطعام وردائه، وانعدام النظافة والإهمال الطبي، والحرمان من زيارة الأهالي، والاحتجاز مع أطفال جنائين إسرائيليين، والعزل الانفرادي، والتحرش الجنسي والعقوبات الجماعية والحرمان من التعلم (2).

يصف الأسير راضي عريقات (15 سنة) ما حدث له في مركز الاعتقال في مستوطنة أدوميم شرق القدس، فيقول: "إن المحققين قاموا بشبحة بطريقة مقلوبة (اليدان والرأس إلى الأسفل والرجلان إلى الأعلى) لفترة طويلة من الزمن، ثم تم ربط خصيته بحبل وشدهما مما سبب له آلاما شديدة، فضلا عن إطفاء السجائر في جسده، لإجباره على الاعتراف" (3).

وأضاف الأسير عريقات، أن الجنود أخذوه إلى منطقة في بلدة أبوديس وصوروه في أوضاع مهينة جدا... ، وأكد أنهم بالغوا في التنكيل عن طريق استخدامه كهدف فيقومون برميهِ بالحجارة، الأمر الذي تسبب في إصابته بجروح في الرأس والوجه، وأكد محامي نادي الأسير أنه شاهد آثار الحجارة على وجه الصبي ورأسه، وأكد أن الأسرى الموجودين في مركز الاعتقال في مستوطنة أدوميم، اشتكوا من الأساليب السادية التي يستخدمها المحققون الإسرائيليون (4).

كذلك، أفادت الأسيرة سناء عمرو (14 سنة) أنه تم ربط يدها ورجليها لمدة ثمان ساعات يوميا على مدار يومين متتاليين، وعلى ضوء ذلك قامت سجينات بخوض إضراب عن الطعام ، ولم تستجب إدارة السجون لمطالبهن، بل قام نحو 20 من أفراد الشرطة بمهاجمتهن والاعتداء عليهن باستخدام الغاز المسيل للدموع والعصي الثقيلة، وأخذهن إلى غرف العزل وضربهن، ومصادرة جميع ممتلكاتهن في غرفهن، وقد تم ضرب الطفلة سناء بشكل مبرح على رجليها وذراعيها المقيدتين إلى الخلف، وقام أحد هم بضربها برجله على معدتها حتى تقيأت الدم (5).

(1) - إبراهيم أبو الهيجاء، المنسيون في غياب الاعتقال الصهيوني، ص 230.

(2) - أحمد الحيلة ومريم عيتاني، معاناة الطفل الفلسطيني تحت الاحتلال، ص 44.

(3) - المرجع نفسه، ص 46.

(4) - المرجع نفسه، ص 46.

(5) - إبراهيم أبو الهيجاء، المنسيون في غياب الاعتقال الصهيوني، ص 23.

## 2. استخدام الأسرى كحقل للتجارب الطبية:

تتم هذه التجارب بواسطة وزارة الصحة الإسرائيلية، في إطار السلسلة المؤسسية للدولة، وهي ماثلة قمتما (تماما) لاستخدام الحيوانات المخبرية، إذ إنها تعتبرها عملا مشروعاً وعلمياً.

وبحسب دراسة التضامن الدولي، لوحظ في تلك التجارب استخدام أساليب البحث العلمي وتطبيقاته التجريبية من خلال إخضاع أكثر من أسير لنفس التجربة وعلى نفس المستحضر، وذلك بغية قياس فعالية المستحضرات والأدوية في ظروف مختلفة (السن، الجنس، البيئة والوضع الصحي)، وقد كشفت مجالات أجنبية أن تلك التجارب تنفذ عادة على الأسرى العرب الذين لا تكثر حكوماتهم لأمرهم، وتتم بسرية تامة لضمان عدم وقوع دولة الاحتلال في حرج أمام العالم<sup>(1)</sup>.

وقد أكد عبد الناصر عوني فراوانة وهو أسير سابق ومدير دائرة الإحصاء بوزارة شؤون الأسرى والمحربين، وباحث في شؤون الأسرى، أن عضو الكنيست الإسرائيلي ورئيس لجنة العلوم البرلمانية الإسرائيلية سابقاً ( داليا إيزيك ) كشف النقاب سنة 1997، عن وجود حوالي (1000) ألف تجربة لمستحضرات طبية في منتهى الخطورة تجري على مدار السنة على الأسرى الفلسطينيين والعرب، وأضافت اللجنة أن في حيازة مكتبها ألف تصريح منفصل من وزارة الصحة الإسرائيلية لشركات الأدوية الإسرائيلية الكبرى لإجراء ألف تجربة دوائية على أسرى فلسطينيين وعرباً في السجون الإسرائيلية، ويضيف فراوانة، إنه ثمة حديث متداول عن أكثر من ثلاثة (3000) آلاف تجربة سنوياً، خاصة مع التضاعف الكبير لأعداد الأسرى خلال انتفاضة الأقصى<sup>(2)</sup>.

ولا تزال وزارة الصحة الإسرائيلية وبرعاية من السلطة الحاكمة، تواصل جريمتها وتعرض الأسرى إلى الخطر، ففي شهر فيفري 2019 كشفت الباحثة الفلسطينية نادرة شلهوب كيثوركيان، أستاذ محاضر القانون في الجامعة العبرية في محاضرة قدمتها في جامعة كولومبيا في نيويورك، أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تقوم بإصدار رخص لشركات دوائية كبرى لإجراء تجارب واختبارات سريرية على أسرى فلسطينيين وعرب، وتمكنت الباحثة، بحسب ما صرحت به في أكثر من محاضرة، من جمع بيانات تؤكد

(1) - إبراهيم أبو الهيجاء، المنسيون في غياب الاعتقال الصهيوني لمنسيون، ص 100.

(2) - عبد الناصر فراوانة، الأسرى حقول تجارب لأدوية خطيرة، عن موقع

https://www.palestinebehindbars.org/tjarbaug2007.htm 1 سبتمبر 2007

## الفصل الثالث: ..... تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية

ذلك أثناء قيامها بأحد المشاريع البحثية في الجامعة العبرية. إلا أن الجامعة العبرية سارعت إلى إصدار بيان تخلي فيه مسؤوليتها وتعلن فيه أن ما أتت به البروفيسورة شلهوب لا يمثل الجامعة<sup>(1)</sup>.

يمكننا القول إن ما قمنا بعرضه بخصوص الممارسات العدوانية ليس مجرد عرض لحوادث تاريخية فحسب، بل كان بهدف تقديم صورة جلية وكاملة عما يتعرض له الشعب الفلسطيني من فنون القتل والإجرام على أرضه المسلوبة منذ ما يزيد عن ثمانين عاما، والتي تعد استنساخا لما في الكتاب المقدس، في ظل التواطؤ الغربي والسكوت العربي.

إن العنف الممارس في حق الشعب الفلسطيني يعد من أبرز مظاهر الإرهاب الصهيوني، وهو يشكل تحديا للمواثيق الدولية، وقد مارسته حكومة الكيان الصهيوني بكل الوسائل والأساليب التي تتناقض والاتفاقيات الدولية، بدءا من الاستيطان بالقوة على الأراضي الفلسطينية، فإجواز الجماعة التي رافقت قيام الكيان المحتل، واستمرار صورته في الاعتقالات وتعذيب الأسرى في السجون، وإذلالهم وحرمانهم من أبسط الحقوق الممنوحة لهم بقوة القانون.

إن الصهيونية قد نجحت في تحقيق أهدافها الاستعمارية، بل إن تطلعاتها مضت إلى أبعد من ذلك فلم تتوقف عند مجرد الاستعمار فحسب، كما هو معروف عند مختلف الحركات الاستعمارية القديمة الكلاسيكية في الماضي، بل إن ما يميزها هي العلاقة بين المستوطنين وأصحاب الأرض، حيث اتضح أن الهدف الرئيس المعلن للصهيونية كان ولا يزال تشتيت وطرده الشعب الفلسطيني.

(1) - ألى أبو سمرة، السجون والمعتقلات لإسرائيلية: مختبرات بحثية طبية ودوائية. عن موقع:

29 مارس 2019، <https://al-akhbar.com/Opinion/268473>

# الخاتمة

جامعة الأمير  
القادر للعلوم الإسلامية

من خلال ماتقدم عرضه نخلص في دراستنا إلى النتائج التالية:

- إن طبع نصوص العهد القديم بطابع العنصرية الموجه ضد غير اليهود، بصرف النظر عن تاريخية الأحداث، وتميزها وفقا لسياقاتها بصيغة العداة والعنف في صورته الكثيرة - دون تمييز بين المذنب والبريء- والذي ينمحي أمام هيبة الإله الرحيم العفو، في سياقات نصوص أخرى من العهد القديم، يسقط قدسيتها وينفي اعتبارها من الوحي، لتعارضها مع النظم الأخلاقي لوشي السماء.
- إن الحديث عن العنف في نصوص التوراة يؤخذ فيه بعين الاعتبار تناول نصوصا ألفت على مراحل يرجع تاريخها إلى مابعد موسى عليه السلام بقرون من الزمن، نصوصا طالها التغيير والترفيف، وتم صقلها على أيدي الأخبار، فباتت انعكاسا للشخصية اليهودية التي ظلت تعاني من متناقضتي الدونية والاستعلاء مما دفع إلى استعراضها في أقصى درجات العدائية والعنف تجاه الآخر.
- إن الصورة العنيفة للإله في التناخ والتي انطبعت بشكل واضح في سلوك أنبيائه، ترتبط بنويا مع ماينضح به الفكر الصهيوني، فكانت أصلا مسوغا لكل الممارسات الصهيونية، حيث استدعت تنفيذ المخطط الذي رسمت النصوص الدينية وفتاوى الحاخامات فلسفته.
- تميزت حروب التناخ كما جرى وصفها بانعدام الرحمة والشفقة، وهي تنفرد أسلوبا وغاية في دمويتها، إضافة إلى نصوص التلمود التي غذت النزعة العنصرية في نفس اليهودي، وهذه النصوص ارتبطت ارتباطا وثيقا بوجود طرد الشعوب والإصرار الديني على انتزاع الأرض والاستيطان فيها، كل ذلك كان بمثابة الدليل الموجه للسياسة العملية للصهيونية اليوم، واتخاذها من العنف المنظم -الذي باتت ثقافته أهم فن في المنظومة الصهيونية - وسيلة لتحقيق أهدافها.
- رغم تجدد مختلف الفتاوى اليهودية بشأن استباحة دماء العرب وطردهم يوميا بحسب ماتقتضيه طبيعة التعامل اليومي، إلا أنها بقيت محافظة على النمط التاريخي لها، والمستوحى من التناخ والتلمود وآراء الحاخامات قديمهم وحديثهم.
- أدى الاختلاف والتناقض الذي وقع فيه علماء اليهود حول تحديد مفهوم الاختيار إلى الابتعاد عن مفهومه الصحيح، وكان هذا المفهوم المنحاز لتزكية اليهود أحد الأسباب في استعلاءهم ونظرهم إلى الشعوب نظرة احتقار.
- إن مفهوم الشعب المختار في الفكر الصهيوني في الحقيقة لم يكن مفهوما دينيا بل كان مفهوما سياسيا، تأسس على دعوى التفرد العرقي، هذه الخصوصية جعلتهم يعتقدون بتميزهم في الصفات

- التكوينية والمكانية أيضا، ومن هنا تم اختلاق الحاجة إلى ضرورة أن يتحقق لهم اطار جغرافي خاص يجمعهم يكونون فيه أصحاب السيادة، وهو مفهوم استخدمتها الصهيونية كمبرر لاحتلال فلسطين.
- من أجل إضفاء الشرعية على ممارساتها، ركزت الصهيونية على مركزية الحق اليهودي في فلسطين بتفويض إلهي، كما ادعت وجود رابطة تاريخية تربطه بأرضه إسرائيل، وأنه حق ثابت وغير قابل للمراجعة، باعتبار فلسطين وطنهم القومي الأصلي، وهو ما أثبتنا عدم جدواه في بحثنا، فاليهود عزفوا عن الهجرة إلى فلسطين ولم يتطلعوا إليها قرابة ألفين سنة، رغم التسهيلات التي قدمت لهم، كما أن هجرتهم الأولى كانت بسبب عوامل اجتماعية، فضلا عن ذلك فإن الهجرة المعاكسة التي أصبحت ظاهرة بعد الاستيطان تفند هذا التبرير.
  - عملت الصهيونية على تهويل معاناة اليهود - بالرغم ما كان لليهود من يد فيما لحق بهم، ورغم من ضلوعها في معانتهم- وتحويلها إلى سلاح أيديولوجي واستغلاله كمبرر لقيام وطن لليهود يكون ملجأ آمنا لهم، وكسياسة ابتزازية للتعويض عن معاناتهم في الشتات، وهذه الحجة في حد ذاتها ليس لها ما يبررها من الحقائق، فالعداء الذي لحق باليهود كان ظاهرة وقتية، كما أن حياة الإنغلاق اختارها اليهود طواعية بسبب شعورهم بالتفوق، وبسبب الهوس السلافي الذي ظل يلاحقهم.
  - تمخض عن الصهيونية -التي تظهت بالعلمانية في أولى مراحلها - كيان سياسي يهودي صهيوني "إسرائيل"، جمع بين التطرف الديني والعنصرية السياسية، وهو ما يفسر مناداة إسرائيل اليوم إلى يهودية الدولة، ودل على ذلك تحالف المحامات مع القيادة السياسية في إسرائيل، واجتماعهم على هدف واحد هو تحقيق الاستيطان واقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه.
  - لقد قُدمت التربية في إسرائيل تحت ساترة صهيونية، وكان هدفها خلق أجيال تؤمن بشرعية قيام إسرائيل، وتعتقد بمبررات لوجودها، وترتبط ذلك بالمضمون الديني والتاريخي، لذلك تمت إعادة كتابة التاريخ اليهودي برؤية صهيونية، من أجل تكريس أهميته في وعي الأجيال القادمة وعلاقتها بالموروث اليهودي، في مقابل ذلك هدفت إلى طمس التاريخ الفلسطيني، وتجزير الادعاء بدمومة التواجد اليهودي. فقد عكست مختلف الوسائط التربوية الكتابة الصهيونية للتاريخ، وبينت دورها في تشكيل الذاكرة القومية اليهودية، وقولبتها وفقا لتلك الرؤى "الصهيونية"، وبذلك ظل جهاز التربية أداة طيعة في يد الصهيونية العالمية تحقق من خلاله أهدافها.
  - لقد كان العنف الصهيوني ثقافة متجذرة في الفكر قبل أن يصبح سلوكا و وسيلة، حيث استلهمت



السياسة اليهودية الصهيونية، ممارساتها الإجرامية من التراث الديني اليهودي، كما قامت باستحضار فكر الزعامات الصهيونية وترجمته حرفيا في الواقع، تحت مسمى الدفاع عن أمن الشعب اليهودي، حيث أخذت ثقافة العنف حيزا معادلا لمكونات العقيدة الصهيونية، واعتبر اجتثاث الشعب الفلسطيني واجبا دينيا ومهمة مستمرة لا بد منها، لذا اهتموا بالبحث عن شتى الوسائل والسبل لتقليصهم أو إخلاء الأرض منهم، وكان اللجوء إلى استخدام العنف حاضر باستمرار في أفكار الشخصيات القيادية الصهيونية ومقولاتهم.

- إن ما قامت به الصهيونية هو صهينة التاريخ اليهودي، بإعادة صياغته بما يخدم مشروعها الاستعماري، حيث عمدت إلى التأكيد على تسويق العنف من منطلق العلاقة التلازمية بين الرب وشعبه المقدس الذي يتغنى بالسيف المقدس ويمجده، وبين أرضه المقدسة، وهو القاسم المشترك الأكبر بين كافة الأدبيات الصهيونية، وأبرز ما اتسمت به خطابات الرواد الأوائل، بإجماعها على الإيمان بالعنف المقدس والترويج له، وبضرورة وشرعنة استخدامه.
- إن التعطش للقتل والرغبة في الانتقام، وكل ممارسة بدءا من الاحتلال والطرده وغيرهما، إنما هي تطبيق لتعاليم ووصايا التوراة، اندرجت ضمن الواجبات الدينية المقدسة التي يحرص علماءهم وأكاديميهم على تكريسها والالتزام بتنفيذها بوصفة صهيونية.
- إنَّ ما يكنه اليهود المتطرفون في المجتمع الإسرائيلي اليوم، من الحقد ونزعة الانتقام من الآخر والاستعلاء عليه واحتقاره، وجواز الاستيلاء على ممتلكاته، وطرده من أرضه، بما يظهر بجلاء عنصرية اليهودية، من خلال حرص اليهود على الكيد لكل من يخالفهم في الدين والفكر، كل ذلك ترجم فيما شنّه الحاخامات من الفتاوى والتصريحات الحاقدة، وهي تشكل القاسم المشترك لجميعهم في إسرائيل، وتتسع باستمرار لتشمل أوسع القطاعات لتغذي الفكر الصهيوني، وتحدد طبيعة تعامله مع الشعب الفلسطيني.
- يعد حق الشعب الفلسطيني في أرض فلسطين حق طبيعي وتاريخي توارثته أجيال، فقد تأكد علميا وتاريخيا، كما دل عليه واقع أرض فلسطين الذي ظل قائما ولم يتغير، كما دل عليه طابعها العربي، الذي يعود إلى ما قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وهذه العلاقة الأصيلة، عبرت عنها مسيرة كفاح الشعب الفلسطيني على فترات تاريخية متعاقبة، ولا تزال قائمة.

ارتأينا في إطار دراستنا الخروج بمجموعة من التوصيات؛ لعل أهمها:

- ضرورة الاطلاع على الفكر العقدي اليهودي والتوجهات الصهيونية التي أحاطت به، من خلال ما دونته أعلامهم، بالاهتمام بترجمة المؤلفات والبحوث العبرية كضرورة علمية للباحث في هذا التخصص أو في غيره، وهو ما يقتضي إدراج اللغة العبرية ضمن وحدات التعليم الجامعي.
- إدراج بعض المواضيع التي لم تحض بالبحث الواسع، بما تعلق مثلا بـ: معادات السامية، وإشكالية وحدة الجنس اليهودي، ومناهج التعليم في إسرائيل وتصورها للآخر، كعناوين مذكرات التخرج.
- تنظيم ندوات عن كيفية تحول المفهوم السياسي لقيام إسرائيل تحت العباءة الدينية إلى مفهوم ديني بحت، رغم تحفظ بعض التيارات الدينية المناهضة للصهيونية.

# الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الكتاب المقدس

ثالثاً: قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية:

الصفحة	الرقم	طرف الآية
سورة البقرة		
138	40	﴿يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلْ أَدْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾
سورة الأعراف		
56	145	﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَهُودٌ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾
139	159	﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾
سورة يوسف		
213	93	﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾
سورة السجدة:		
139	24	﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾

ثانياً: فهرس نصوص التوراة:

الصفحة	السفر	النص
<b>التكوين</b>		
157	8-1/9	وبارك الله نوحاً وبنيه....
158	27-20 /9	"وابتداً نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً،...
160	7-1/12	"وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ...
162	16-14/13	"وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه: ...
163	20-18/15	"في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: ....
164	10-7/17	"وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك...
165	4/23	"أنا غريب ونزير عندكم، أعطوني ملك قبر ...
166	4-2/26	"وظهر له وقال لا تنزل إلى مصر. ...".
166	.21-18/17	"وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. ...
167	.23-15/27	"وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر....
167	23، 21/25	"وصلى أسحق إلى الرب لأجل امراته، ...
168	15 -12/28	"ورأى حلماً وإذا سلم منصوبة على الأرض..."
168	5-4/28	"والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ...
175	5-4/26	"وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك ...
188	18/15	"لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى ...
213	34-32/46	"الرجال رعاة غنم، فإنهم كانوا أهل مواش، ...
<b>الخروج</b>		
65	7 /23	"لا تقتل الأبرياء والبارين"

121	6-5/19	"فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون ...
121	7/6	"وأأخذكم لي شعبا وأكون لكم إلهًا"
172	.24 – 23 /2	"وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك ....
172	12 /24	"وقال الرب لموسى اصعد إليّ إلى الجبل ...
،217 .218	-10 و8، 6-5/6 11	"وأنا أيضا قد سمعت أنين بني إسرائيل ...
<b>اللاويين</b>		
121	26/20	"تكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب، ...
<b>العدد</b>		
59	3-2/21	فندر إسرائيل نذرا للرب وقال: إن دفعت هؤلاء ...
60	19-13/31	"فخرج موسى وأعازار الكاهن وكل رؤساء ...
172	13-1/34	"وكلم الرب موسى قائلا: أوص بني إسرائيل ...
218	29-14/22	"إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي ...
<b>الثنائية</b>		
56	5-1/10	في ذلك الوقت قال لي الرب أنحت لك لوحين ...
61	22/7	"الربُّ إلهك يطرد هؤلاء الشُّعوب من أمامك، ...
61	17-15/13	"فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، ...
61	17-10/20	"وحين تقرب مدينة لكي تحاربها استدعها للصِّلح، ..
105	19/25	"لتمح ذكر العماليق من تحت السماء."
61، 60	6-1/7	"متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت ....
121	2/14	"لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك ..."



121	6/7	"إياك قد اختار الرب إهلك لتكون له شعبا ...
128	24-23/11	"يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم ...
173	4 - 1 /34	"وصعد موسى من عربات موآب الى جبل ...
173	40-38/4	"ولأجل أنه أحب آباءك واختار نسلهم ....
175	48-46 /32	"قال لهم وجهوا قلوبكم الى جميع الكلمات ...
175	.9-8/28	"بياركك في الأرض التي يعطيك الرب إهلك. ...
176	24/9	"قد كنتم تعصون الرب منذ عرفتكم"
176	21-15/28	"ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إهلك...
408	16/20	"وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إهلك...
يشوع		
66	14-13/5	"وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع..."
66	3/1	"كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته."
68	21-20/6	فهتف الشعب وضربوا بالأبواق. وكان حين ...
69	29-10/8	"فقال الرب ليشوع: مد المزراق الذي بيدك ..."
70	15-10/11	"ثم رجع يشوع... وضرب ملكها بالسيف ...
75	13/24	"أعطيتكم بلدا لم تتعبوا عليها..."
174	4-1/1	"موسى عبدي قد مات، فالآن قم هذا الأردن ...
174	6-1/13	"قال الرب ليشوع: "أنت قد شخت، تقدمت..."
391	21/6	"وحرموا كل ما في القرية من رجل وامرأة ...
صموئيل الأول		
75	.8-3/15	"هكذا يقول رب الجنود: إني قد افتقدت ...

الملوك الأول		
231	13 و 11/11	"فقال الرب لسليمان: من أجل أن ذلك ...
أخبار الأيام الأول		
125	. 27/17	"و الآن قد ارتضيت بأن تبارك عبدك ...
176	20-19/ 7	"ولكن إن انقلبتكم وتركتكم فرائضي ...
المزامير		
76	9-5/137	"إن نسيتك يا اورشليم، تُنسى يميني، ليلتصق ...
76	10-6/56	"اللهم، كسر أسنانهم في أفواههم. ...
77	23/55	"رجال الدماء والغش".
175	31-29/37	الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد...
177	3/122	"تقف أرجلنا في أبوابك يا اورشليم
إشعيا		
77	18-15/13	"كل من وجد يطعن وكل من أنحاش يسقط ...
89	6-5/61	ويقف الأجانب يرعون غنمكم....
352	5/2	"يا بيت يعقوب هلم نسلك في نور الرب".
إرميا		
17	.33-31/31	"ها أيام تأتي يقول الرب...
الحزقيال		
126	6-5/20	"وقل لهم: هكذا، قال: السيد الرب في يوم...

ثالثا: قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم.
- **THE BRITISH AND FOREIGN BIBLE SOCIETY 1988**
- الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة: 1962
- أولاً: الكتب
- الكتب باللغة العربية:
1. الأب أي.بي.برنايتس، فضح التلمود (تعاليم الحاخامين السرية)، ط4، (بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1991م).
2. إبراهيم معاوية، فلسطين من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد في الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، القسم الثاني، ط1، بيروت، 1990.
3. إبراهيم موسى مطلق ، وعد التوراة من أبرام إلى هرتزل، ط2، (بيروت، بيسان، 1994)..
4. أبو شوشة تيسير و سيد عبد الحليم (بحث وتحقيق)، الذبائح البشرية للكعكة التلمودية، ط1، (عمان: مؤسسة أمون للاستثمار والنشر، 2002).
5. أتنيجر صموئيل، اليهود في البلدان الإسلامية (1850-1950)، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، مراجعة: رشاد عبد الله الشامي، عالم المعرفة (197)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ماي1995، ص74.
6. أحمد محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، د.ط، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، دت).
7. أحمد محمد خليفة حسن، دراسة في تاريخ الحضارات والشعوب القديمة، د.ط، (القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1985م).
8. أحمد محمد خليفة حسن، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، (القاهرة:1996).
9. إدريس محمد جلاء، فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية(18)، د.ط، (جامعة القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، 1422هـ-2001م).
10. إده ميشال، الشتات اليهودي والصراع العربي، دط، مصر: دار النهار للنشر ش.ل.م ، سبتمبر 1990.
11. أرمسترونغ كارين، حقول الدم وتاريخ العنف، ترجمة: أسامة غاوجي، ط1، (بيروت: الشبكة

- العربية للأبحاث والنشر، 2016).
12. إسكندر ميخائيل مكسي، القدس عبر التاريخ "دراسة جغرافية تاريخية أنثارية للمدينة المقدسة"، مراجعة: الأنبا غريغوريوس، دط، القاهرة.
13. إسماعيل عباس، عنصرية إسرائيل، سلسلة أولست إنسان(1)، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2008م).
14. الأغا نبيل خالد، مدائن فلسطين دراسات ومشاهدات، ط1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993).
15. الألوسي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، د.ط، (مصر، لطباعة المنيرية، د.ت)، ج1.
16. ألون يغال، إنشاء وتكوين الجيش الإسرائيلي، ترجمة: عثمان سعيد، مراجعة وتقديم: ناجي علوش، ط1، (بيروت دار العودة، 1971).
17. إميل توما، جذور القضية الفلسطينية، حيفا: مطبعة الاتحاد التعاونية.
18. أوران ياتير، المحرقة، "الانبعاث"، النكبة، ترجمة: أسعد الزغبى، مراجعة وتقديم: أنطوان شلحت، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، جوان 2015
19. أوريان دان، شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي، ترجمة من العبرية وتعليق: محمد أحمد صالح، مراجعة وتقديم: محمد خليفة حسن، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2000).
20. أونو جوزيف وآخرون، قراءة في العهد القديم، تعريب: الأب بيوس عفاص، د.ط، (العراق-الموصل، منشورات مركز الدراسات الكتابية، 2003)، ج1.
21. أييش أحمد، التلمود كتاب اليهود المقدس (تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه)، تقديم سهيل زكار، (دمشق: دار قتيبة، 2006).
22. بابه إيلان، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة: أحمد خليفة، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007).
23. بابه إيلان، الفلسطينيون المنسيون، تاريخ فلسطيني 1948، ط1، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2013).
24. الباجي الدين علي بن محمد الشافعي (ت 714)، كتاب على التوراة "الرد على اليهود"، تحقيق يوسف أحمد، ط1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2007).
25. البار محمد علي، مدخل الى دراسة التوراة والعهد القديم، ط1، (بيروت: دار الشامية، ودمشق:

- دار القلم، 1990م).
26. باسم بولس، الكتاب المقدس أنا الألف والياء، ط3، (بيروت: دار المشرق ش م م، 1994).
27. بالمبو ميخائيل، كيف طرد الفلسطينيين من ديارهم عام1948م، ط1، (بيروت، دار الحمراء للطباعة والنشر، 1990).
28. بدر أشرف، المتدينون في الجيش الإسرائيلي"دراسات في إسرائيل، دط، (حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية والتطبيقية، جانفي2019).
29. البدر اوي رشدي، قصص الأنبياء والتاريخ، موسى وهارون عليهما السلام، من هو فرعون موسى، ط3، (القاهرة: مكتبة ومطبعة المجلد العربي، 2010) ج4.
30. بركان نظام محمود بركات، النخبة الحاكمة في إسرائيل، ط1، (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1402-1982).
31. بريما مايكل، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، " أمريكا اللاتينية، جنوب أفريقية، فلسطين"، ترجمة: أحمد الجمل وزيايد منى، ط2، (سورية، قدمس للنشر والتوزيع، 2004).
32. بريستيد جيمس هنري، انتصار الحضارة، ترجمة: أحمد فخري، تقديم: ممدوح محمد الدماطي، دط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011.
33. بشور منير وخالد مصطفى الشيخ يوسف، التعليم في إسرائيل، سلسلة كتب فلسطينية(22)، بيروت، مركز الأبحاث، م ت ف، سبتمبر 1969.
34. بن منبه وهب (رواية عنه)، التيجان في ملوك حمير، مراجعة: مكتب التحقيق والنشر في مجموعة جيل جديد، ط3، (صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، 1429هـ-2008م).
35. بن ميمون موسى، شرح أحكام التوراة والتلمود، شريعة موسى يفسرها أشهر أحبار اليهود، دراسة وتقديم عباس زرياب، د ط، (لبنان: دار ومكتبة بيلون، 2014).
36. بوتيرو جان بوتيرو، ولادة الإله التوراة والمؤرخ، ط1، (دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، 1999).
37. بوديه إيلي، الصراع العربي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية (1948-2000)، ترجمة عن الإنجليزية: وليد أبو بكر، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، أوت2006).
38. بورتر هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1411هـ-1991).
39. بيتر بيرغ غابرييل، المفاهيم الصهيونية للعودة، ترجمة: سلافة حجاوي، رام الله: المركز الفلسطيني

- للدراستات الإسرائيلية (مدار)، 2009).
40. بيلي سيدني، الحروب العربية الإسرائيلية وسياسة السلام، ترجمة: الياس فرحات، ط1، (بيروت: دار الحرف العربي، 1992).
41. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، كتاب السير، باب فتح مكة، د ح 18276، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2010)، ج2.
42. تشومسكي نعوم وإيلان بابه، غزة في أزمة، تأملات في الحرب الإسرائيلية على الفلسطينيين، ط1، (بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 2011).
43. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، د ط، (القاهرة، شركة ماستر ميديا، 2002).
44. التل عبد الله، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، د.ط، (مصر: دار القلم، 1964).
45. التلمود البابلي، مج13، ط1 (الأردن، مركز دراسات الشرق الأوسط، 2001م).
46. تومسن توماس.ل، أسفار العهد القديم في التاريخ (اختلاق الماضي)، ترجمة: عبد الوهاب غلوب ومراجعة محمد خليفة التونسي، (الجلس الأعلى للثقافة، 2000).
47. جابر أحمد وآخرون، إسرائيل إرهاب... عنصرية فاشية، ط1، (قبرص: مؤسسة بيسان للصحافة والنشر، ديسمبر 1986).
48. جاد عماد جاد وآخرون، من داخل إسرائيل الآن ومنذ نصف قرن، تقديم: جورج حبش، ط1، (القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، 2002).
49. جانسن ج. ه، الصهيونية وإسرائيل وآسيا، سلسلة كتب فلسطينية (39)، بيروت، مركز الأبحاث م.ت.ف، سبتمبر 1972).
50. الجبوري عبد الوهاب، اللاسامية في الفكر الصهيوني الجذور التاريخية والهداف، دط، (بغداد: دار الجاحظ، 1982).
51. الجراد محمد خلف الجراد، الأبعاد الفكرية والعلمية-التقنية للصراع العربي الصهيوني "دراسة"، د ط، دمشق منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000).
52. جريس صبري، تاريخ الصهيونية (1862-1948)، ط2، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية)، 1981، ج1.
53. جفريز ج.م.ن، فلسطين اليكم الحقيقة، ترجمة: خليل الحاج، مراجعة: محمد احمد أنيس، د ط، (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971).



54. جمال أمل، الفكر الصهيوني في متاهات التجديد والتحديث، جدلية التناقضات الداخلية وانعكاساتها العملية، سلسلة القضية الفلسطينية آفاق المستقبل(8)، ط1،(بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أكتوبر 2016).
55. الجوزية ابن قيم، بدائع التفسير، جمعه وخرّج أحاديثه: يسري السيد محمد، راجعه ونسق مادته ورتبها: صالح أحمد الشامي، ط1، (المملكة العربية السعودية، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع، 2005، مج1).
56. جيتزبرغ لويس، أساطير اليهود "احداث وشخصيات العهد القديم من بدء الخليقة إلى يعقوب، ترجمة حسن حمدي السماحي، ط1، دمشق: دار الكتاب العربي، (2007)، ج1.
57. الحافظ منير، مقامات العنف، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2016م.
58. حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود في المغرب تاريخ-ثقافة-دين، ترجمة: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط1، (المملكة المغربية، الدار البيضاء، 1987).
59. الحبر ولش، أصداء التوراة، ترجمة: أسعد الشدودي، د ط، (بيروت، المطبعة المريكية، 1890).
60. حتي فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم وافق، مراجعة: جبرائيل جبور، د ط، (بيروت، دار الثقافة، ج1، د.ت).
61. حجاج أحمد، سكان إسرائيل تحليل وتنبؤات، (د.ط)، (بيروت: مركز البحوث الفلسطينية، فبراير 1968).
62. حجيت جور، عسكرة التعليم في إسرائيل. ترجمة: يحيى محمد عبد الله إسماعيل، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية(34)، د ط، (القاهرة، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، 2007).
63. حريري عبد الناصر، الإرهاب السياسي، دراسة تحليلية، مكتبة مدبولي، ط1، (طلعت حرب القاهرة، 1996).
64. أبو الحسن ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، مراجعة وتعليق: لجنة من العلماء، ط5، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1985).
65. حسن سليم، موسوعة مصر القديمة"عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولحات في تاريخ لويية، دط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (2000)، ج7.
66. حسن شيماء محمد (ترجمة)، الآخر في التلمود، (باب العبادات الأجنبية في التلمود-عفودا زاره)، مراجعة وتقديم ليلى إبراهيم أبو المجد، ط1، (القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2007م).

67. حسونة محمد السيد، التعليم في إسرائيل، رؤية للماضي وحدود الحاضر، تقديم: مصطفى عبد السميع محمد، ط1، (القاهرة، مركز الكتاب للنشر، 1428هـ-2007).
68. حسين جعفر هادي، فرقة القرائين اليهود، دراسة في نشأة الفرقة وعقائدها وتاريخها إلى العصر الحاضر، ط1 (بيروت، مؤسسة الفجر، 1989).
69. حسين عبد الله، المسألة اليهودية، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014).
70. حسين عدنان السيد، التوسع في الاستيراتيجية الإسرائيلية، ط1، (بيروت: دار النفائس، 1410هـ-1989م).
71. حسين غازي، إسرائيل الكبرى والهجرة اليهودية، (د.ط)، (دمشق: (د.د.ن، 1992).
72. حسين غازي، الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية والامبريالية الأمريكية، (د.ط)، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005).
73. حسين غازي، العنصرية والابادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية-دراسة-، د.ط، (دمشق: إتحاد الكتاب العرب، 2002).
74. حسين محمد أحمد، قاضي القضاة ومفتي القدس والديار الفلسطينية، القدس قديما وحديثا، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر العالمي لأئمة المساجد الجمهورية الأندونيسية، 28 محرم-صفر 1435هـ/2-6 كانون الأول 2013)..
75. حفيي قدري، تجسيد الوهم، دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية، د ط، (القاهرة، 1971).
76. الحمد جواد، في الذاكرة "الشعب الفلسطيني ضحية الإرهاب والمذابح الصهيونية"، ط1، (عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط أفريل 1995).
77. حمدان جمال، اليهود أنثربولوجيا، تقديم: عبد الوهاب محمد المسيري، سلسلة شهرية، (القاهرة: دار الهلال، العدد542، فبراير1996).
78. الحنان نوريت بيلد، فلسطين في الكتب المدرسية في إسرائيل الأيديولوجية والدعاية في التربية والتعليم، ترجمة: ياسين السيد، تقديم: أنطوان شلحت، (المملكة الأردنية الهاشمية، الأهلية للنشر والتوزيع، ورام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، 2013).
79. حيدر عزيز، الهجرة والتركيب السكاني، في كميل منصور(اعداد)، دليل إسرائيل العام2011، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ماي/حوان2011).
80. الحيلة أحمد ومريم عيتاني، معاناة الطفل الفلسطيني تحت الاحتلال، سلسلة أولست إنسانا(3)، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 1429هـ-2008).

81. الخالدي وليد، صراعنا مع الصهيونية وإسرائيل، مجموعة مقالات ومحاضرات، 1957-2009، ط1، (بيروت: النادي الثقافي الغربي-مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2009).
82. الخالدي وليد، كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها، ط2، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998).
83. خان ظفر الإسلام، تاريخ فلسطين القديم 1220 ق.م-1359 م منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط3، (بيروت: دار النفائس، 1981).
84. الخشبة غطاس عبد الملك، رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، دط، (مصر: دار الهلال، 1990).
85. خضر عبد العليم عبد الرحمن خضر، أصل الأجناس بين العلم والقرآن الكريم، ط1، (المملكة العربية السعودية: تهامة للنشر، 1987).
86. خليل علي، اليهودية بين النظرية والتطبيق، مقتطفات من التوراة والتلمود-دراسة-د.ط، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1997).
87. خوري جريس سعد وآخرون، القدس دراسات فلسطينية إسلامية ومسيحية، ط1، القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية للمدينة المقدسة، 1996).
88. الخولي حسن صبري، فلسطين بين مؤامرات الصهيونية والاستعمار، الجمهورية العربية المتحدة، دط، (مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، 1968).
89. دانزول ألبير تو، اليهودية والغيرية (غير اليهود في منظار اليهودية)، ترجمة: ماري شهرستان، ط1، (دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع، 2004).
90. دانلوب د.م، تاريخ يهود الخزر، ترجمة وتقديم: سهيل زكار، ط2، (دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، د.ت).
91. الدايم عبد الله، التربية عبر العصور من العصور القديمة وحتى أوائل القرن العشرين، ط1، (بيروت، دار العلم للملايين، 1973).
92. الدباغ مصطفى مراد، موسوعة بلادنا فلسطين، دط، (فلسطين، دار الهدى، 1991)، ج1
93. الدبس يوسف، تاريخ سورية، دط، (بيروت: المطابع العمومية الكاثوليكية، 1895).
94. درعاوي داود، تقرير حول جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية، مسؤولية إسرائيل الدولية عن الجرائم خلال انتفاضة الأقصى، سلسلة التقارير القانونية (24)، (د.ط)، (رام الله: الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق المواطن، جويلية 2001).

95. دريد دوغلاس، جدل حول صهيون"دراسة حول المسألة اليهودية من ألفين وخمسمائة عام، ترجمة: غياث كنعو، ذ2، (القاهرة: دار البشر، 1998).
96. الدهيسات هايل خليفة الدهيسات، القدس تاريخ وحضارة من الكنعانية الى الرعاية الهاشمية، ط1، عمان: دار الكنوز، 1433هـ-2012).
97. دويتشر إسحاق، اليهودي اللايهودي، ترجمة: ماهر الكيالي، ط3، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986).
98. ديلي الأب، تاريخ شعب العهد القديم، تعريب جرجس مارديني، د ط (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1961).
99. ديورانت ول وايريل، قصة الحضارة، الشرق أدنى القديم، ترجمة محمد بدران، د.ط، (تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وبيروت دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، دت)، ج2.
100. الراجحي، الشخصية الإسرائيلية، د ط، (القاهرة، دار المعارف، 1968).
101. الراوي عبد الستار، الفكر الفلسفي اليهودي الحديث والمعاصر، دراسة نقدية، بغداد، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، 2002).
102. رزوق أسعد، إسرائيل الكبرى دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، (د.ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1968).
103. رزوق أسعد، الدولة والدين في إسرائيل، دراسات فلسطينية(37)، بيروت، مركز الأبحاث، م.ت.ف، سبتمبر 1968.
104. رزوق أسعد، في المجتمع الإسرائيلي - محاولة أولية لدراسة التناقض والتكامل من زاوية علماء الاجتماع في إسرائيل وخارجها، د.ط، (القاهرة: قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، 1971).
105. رزوق أسعد، نظرة في أحزاب إسرائيل، (د.ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1966).
106. الرفوع عاطف عودة، الإعلام الإسرائيلي ومحددات الصراع (الصحافة نموذجاً)، ط1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004).
107. رفيق عوض أحمد، دعامة عرش الرب - عن الدين والسياسة في إسرائيل -، ط1، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2001).
108. روحانا نديم وأريج الصباغ، الفلسطينيون في إسرائيل، قراءة في التاريخ والسياسة والمجتمع، (د.ط)، (حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية(مدى الكرمل)، 2011).
109. روز جون، أساطير الصهيونية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط1، (القاهرة: دار الشروق

- الدولية، 2006).
110. رومير توماس، الإله الغامض (العنف والجنس في قصص العهد القديم)، ترجمة يوسف سمير، ط1، (القاهرة، دار الثقافة، 2014).
111. روهنج د- شارل لوران، الكتر المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: يوسف حنا نصر الله، دراسة وتقديم: أحمد حجازي السقا، ط1، (القاهرة: مكتبة النافذة، 2003).
112. رياض عادل محمود ، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، د ط، (بيروت، دار النهضة العربية، 1989).
113. ريسلير كميل، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر، أهدافها وحدودها 1830-1962، (سلسلة دراسات وكتابات ثقافية(29)، ترجمة وتعليق: نذير طيار، ط1، الجزائر دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني، 1437هـ-2016م).
114. زايد عبد الحميد ، القدس الخالدة، تقديم: عبد العظيم ومضان، د ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.
115. الزرو صلاح، المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، ط1، (الخليل: رابطة الجامعيين، 199).
116. الزرو نواف، موسوعة الهولوكوست الفلسطيني المفتوح، ج1، (د.ط)، (عمان: (د.د.ن)، 2008).
117. زينر ز.س، موسوعة الأديان الحية، أديان النبوات، الأديان السماوية، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط1 القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010م، ج1.
118. السامري حسني واصف، التيه الإسرائيلي في شبه جزيرة سيناء، ط1، (القدس، دار نشر جامعة القدس، ، 2012).
119. ساند شلومو، اختراع أرض إسرائيل، ترجمة: أنطوان شلحت وأسعد الزغبي، د ط، (المملكة الأردنية الهاشمية، الأهلية للنشر والتوزيع، 2014).
120. ساند شلومو، اختراع الشعب اليهودي، ترجمة: سعيد عياش، تدقيق الترجمة: أسعد زعبي، ط1، (المملكة الهاشمية الأردنية، الأهلية للنشر والتوزيع، 2011).
121. ساند شلومو، كيف لم أعد يهوديا(وجهة نظر إسرائيلية)، ترجمة: أنطوان شلحت، ط1، (المملكة الأردنية الهاشمية، الأهلية للنشر والتوزيع، 2014).
122. سبينوزا باروخ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم، حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، ط1، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2005).

123. سخيني عصام، الجريمة المقدسة (الإبادة الجماعية من إيديولوجيا الكتاب العري إلى المشروع الصهيوني)، ط1، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012).
124. سرية صالح عبد الله، تعليم العرب في إسرائيل، بيروت، مركز الأبحاث، م.ت.ف، جوان 1973.
125. السعد جودت، أوهام التاريخ اليهودي، ط1، (المملكة الأردنية الهاشمية: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998).
126. السعدي غازي السعدي، من ملفات الإرهاب الصهيوني مجازر وممارسات 1936-1983، ط1، (عمان: دار الجليل للنشر، 1985).
127. سعفان كامل، اليهود تاريخاً وعقيدة، د ط، القاهرة: دار الاعتصام، 1988).
128. السقار منقذ بن محمود، هل العهد القديم كلمة الله، ط1، (القاهرة: دار الإسلام للنشر والتوزيع، 2007).
129. السقاف أبكار، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ط3، (القاهرة، مكتبة مدبولين، 1998).
130. سمبسون جون هوب، تقرير عن الهجرة ومشاريع الإسكان والهجرة في فلسطين 22 أوت 1930، مؤسسة الدراسات الفلسطينية
131. سمور لورنس (مترجماً)، ما هي المسيحية الصهيونية الغربية؟، (القدس: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 1991).
132. سميث بامبلا آن، فلسطين والفلسطينيون 1876-1983، ط1، (دمشق: دار الحصاد، 1991).
133. السواح فراس، أرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط1، (دمشق: دار علاء، 1995).
134. السواح فراس، تاريخ أورشليم البحث عن مملكة اليهود، ط3، دمشق: دار علاء الدين، 2003).
135. السواحري خليل وسمير سمعان، التوجهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية (دراسة)، د ط، (دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004).
136. سواريز توماس، دولة الإرهاب، كيف قامت إسرائيل الحديثة على الإرهاب، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2018).
137. سوسة أحمد، العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، ط2،



- (دمشق: العربي للإعلان والطباعة والنشر، دت).
138. سيغف توم، الإسرائيليون الأوائل 1949، سلسلة دراسات (73)، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1986).
139. شايبيرا يتسحاق ويوسيف اليتسور، شريعة الملك (شريعة قتل الأغيار)، ترجمة واعداد: خالد سعيد ومحمود مندور، ط1، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1432هـ-2011م)..
140. شاحك إسرائيل ونورتون متسفينسكي، الأصولية اليهودية في إسرائيل، د.ط، (القاهرة: مؤسسة روز اليوسف، 2001).
141. شاحك إسرائيل، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة: حسن خضر، ط1، (القاهرة: سينا للنشر، 1994).
142. شاحك إسرائيل، تاريخ الديانة اليهودي وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ترجمة: رضى سلمان، تقديم: إدوارد سعيد، ط4، (بيروت، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 1997).
143. شاحك إسرائيل، من الأرشيف الصهيوني، وثائق ونصوص، سلسلة كتب فلسطينية(66) د.ط، (بيروت: مركز الأبحاث. منظمة التحرير الفلسطينية، 1975).
144. شاش طاهر، التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاه، ط1، (القاهرة: دار الشروق، 1417هـ-1997).
145. الشامي رشاد عبد الله، الحروب والدين في الواقع السياسي الإسرائيلي (1967-2000)، ط1، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2005).
146. الشامي رشاد عبد الله، إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة(224)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب أوت(1997).
147. الشامي رشاد عبد الله، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة (102)، د ط، (الكويت: مجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1986).
148. الشامي رشاد عبد الله، القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، د.ط، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة (186)، جوان /جويلية1994م).
149. الشامي رشاد عبد الله، رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي، ط1، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2007).
150. شبلاق عباس شبلاق، هجرة أو تهجير ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2015).

151. شتاينسالتر أدين، مدخل إلى التلمود، ترجمة: فنيئا الشيخ، ط1 (دمشق: دار الفرقد للنشر والتوزيع، 2006).
152. شريح محمد عادل شريح، علاقة الدين بالسياسة ومركزية الصراع على فلسطين، ط1، سورية: مركز فلسطين للدراسات والبحوث، جوان (2007).
153. الشريف رجينا، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة (96)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر 1986.
154. شعبان خالد، فساد النخب السياسية الإسرائيلية، د ط، (فلسطين: مركز الدراسات الإقليمية، 2013).
155. شعبان فؤاد، من أجل صهيون التراث اليهودي-المسيحي في الثقافة الأمريكية، د ط، (دمشق: دار الفكر، دت).
156. شعث شوقي. دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، وقائع الندوة العالمية الأولى لآثار فلسطين، سورية جامعة حلب، 1984) ج1.
157. شكري عبد الوهاب، المسرح اليهودي، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، 2008.
158. شلي أحمد، اليهودية (سلسلة مقارنة الأديان)، ط12، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1997م).
159. الشلي سهيلة سليمان وشادية حسن العدوان، المسوحات والتنقيبات الأثرية في فلسطين والوعي لأبعادها منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى، مقال منشور بالمجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد5، العدد4، السنة2011.
160. شميش باري، سقوط إسرائيل، ترجمة: عمار جولاق ومحمد العابد، مراجعة: علي رمّان، ط2، (عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998).
161. شوفاني إلياس شوفاني، إسرائيل في خمسين عاما، المشروع الصهيوني من المحرد إلى الملموس، ط1، (دمشق: دار جفرا للدراسات والنشر، 2002)، ج1.
162. شوفاني إلياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، منذ فجر التاريخ حتى سنة1949، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996).
163. شيلغ يائير، المتدينون الجدد، ترجمة: سعيد عياش، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، ماي2002).

164. صالح سعد الدين السيد، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ط2، (القاهرة، دار الصفا، 1410هـ-1990).
165. صالح محسن محمد صالح، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 1431هـ-2010م).
166. صالح مسعود أبو بصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ط1، (مصر: (د.د.ن)، 1368هـ-1968م).
167. صالح نبيل صالح، المشهد الاجتماعي الديمغرافي والأوضاع الاقتصادية وأثرها على نسيج المجتمع، تقرير مدار الاستراتيجي 2018، (د.ط)، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)).
168. صايغ أنيس (إعداد)، يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، جانفي 1968.
169. صايغ أنيس، الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية، سلسلة كتب فلسطيني(21)، ترجمة: لطفي العابد وموسى عتر، مراجعة هلدا شعبان صايغ وإبراهيم العابد، د ط، بيروت: مركز البحوث الفلسطيني، د ت.
170. صايغ فايز، الاستعمار الصهيوني في فلسطين، د.ط، (القاهرة: منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية، دت).
171. صايغ نصري، لو كنت يهوديا، ط1، (بيروت، رياض الريس للكتب والنشر، 2005).
172. صبري جريس، العرب في إسرائيل، (د.ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني، نوفمبر 1967).
173. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (224-310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، (مصر، دار المعارف، ج1).
174. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (224-310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه وعلق على حواشيه: محمود محمد شاكر، وراجعه وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، ط2، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ج2).
175. طه حمدان، البقايا الجنائزية والتمايزات الاجتماعية في فلسطين "دراسات"، رام الله: مجلة الكرمل، العدد63، ربيع2000.
176. طه حمدان، أريحا تاريخ حي، عشرة آلاف سنة من الحضارة، د ط، (مؤسسة الناشر رام الله، فلسطين، 2010).
177. طه حمدان، من هم الفلسطينيون، (رام الله: الكرمل، العدد58، شتاء)1999.

178. طوماس ل. طومسن، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح علي سوداح، ط1، (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، 1995).
179. ظاظا حسن ، القدس مدينة الله؟.. أم مدينة داود؟ دط، (مطبعة جامعة الإسكندرية، 1970)
180. ظاظا حسن، الفكر الديني الاسرائيلي أطواره ومذاهبه، (معهد البحوث والدراسات العربية، 1971).
181. ظاظا حسن، شريعة الحرب عند اليهود، ط1، (مصر: دار الإتحاد العربي للطباعة، 1976).
182. العابد إبراهيم، العنف والسلام -دراسة في الاستراتيجية الصهيونية-، د.ط، (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية- مركز الأبحاث، 1967).
183. العابد إبراهيم، الماباي الحزب الحاكم في إسرائيل، (د.ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1966).
184. العابد إبراهيم، الموشاف القرى التعاونية في إسرائيل، دط، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، فيفري 1968).
185. العابد إبراهيم، دليل القضية الفلسطينية أسئلة واجوبة، سلسلة الكتب الفلسطينية (17)، بيرة: مركز الأبحاث الفلسطينية، فيفري 1969.
186. العامري محمد أديب، القدس العربية الحقائق التاريخية تجاه المزايم الصهيونية، دط، (عمان: دار الطباعة والنشر، 1971).
187. عبد الحق أسامة، دولة الدم والإرهاب، وثائق الاستيطان الصهيوني وجرائم المستوطنين في فلسطين، ط1، (القاهرة، دار الشروق الدولية، 1430هـ-2009م)..
188. عبد الرحمان أسعد ونواف الزرو، الفكر السياسي الإسرائيلي قبل الانتفاضة... بعد الانتفاضة، ط1، (عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1990).
189. عبد الرحمان أسعد، أوراق سجين (عشرة أشهر في المعتقلات الإسرائيلية)، (د.ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطيني، جانفي 1969).
190. عبد العال صفاء محمود، تربية العنصرية في المناهج الإسرائيلية، مراجعة وتقديم: حامد عمار، ط1، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1425هـ-2005م)، ص25.
191. عبد العزيز مصطفى، إسرائيل ويهود العالم، (د.ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1969).
192. عبد العظيم أحمد عبد العظيم، التخطيط اللغوي لتأصيل الهوية العربية في فلسطين، دراسة في

- جغرافية اللغات، بحث مقدم إلى مؤتمر الهوية، واللغة في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة 2012م.
193. عبد العليم مصطفى كمال وسيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ط1، دمشق: دار القلم- بيروت: دار الشامية، 1999).
194. عبد الفتاح عصام، الهولوكوست بوابة الرعب الأبدي لبني صهيون، طدط، القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع، 2008.
195. عبد اللطيف سناء، ثقافة السلام لدى الأطفال الإسرائيليين، دراسة تحليلية لديوان "سلامي وأمني"، ط2، (القاهرة، مكتبة مدبولي، 1999).
196. عبد اللطيف سناء، هكذا يربي اليهود أطفالهم، عرض وتلخيص: عبد الله محمود الطنطاوي، تقديم: عبد التواب يوسف، ط1، (دمشق: دار القلم، عمان: دار يمان، 1418هـ-1997م).
197. عبد المجيد محمد بجر، اليهود في الأندلس، د ط، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970).
198. عبد المجيد محمد بجر، اليهودية، (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، 2001).
199. عبد الوهاب شكري: "المسرح اليهودي"، د ط، (القاهرة: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، 2008)، ص3.
200. ابن العبري غريغوريوس المظني، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية.
201. عتسمون جلعاد، من التائه، دراسة في سياسة الهوية اليهودية، ترجمة: حزامة حبايب، ط1، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2012).
202. عزرا حداد(مترجما)، رحلة بنيامين التطيلي الأندلسي 1165-1173، ط1، (أبو ظبي: دار نرجس، 2001).
203. أبو عصبه خالد، التربية والتعليم والبحث العلمي، في دليل إسرائيل العام 2011، ط1، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2011).
204. العقيلي بدر، جرائم الحرب الإسرائيلية في غزة "توثيق لشهادات جنود إسرائيليين لفظائع ارتكبوها في غزة والضفة الغربية، ط1، (عمان: دار الجليل للنشر، 2010).
205. علام عمرو عبد العلي، المجتمع الإسرائيلي وثقافة الصراع، ط1، (القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2007).
206. علي عبد الرحمان محمد علي، الجرائم الإسرائيلية خلال العدوان على غزة (2008/12/27-

207. علي فؤاد حسنين، التوراة الهيروغليفية، د. ط. (القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر).
208. العلمي مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، إعداد وتحقيق ومراجعة: عدنان يونس عبد الحميد أبو تيانة، إشراف: محمود علي عطا الله، ط1، (المملكة الأردنية الهاشمية، مكتبة دنديس، 1999)، مج1
209. عليوة جمال، فلسفة الإرهاب في الفكر الصهيوني، ط1، (الجزائر: دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005).
210. عماد عبد الغني، ثقافة العنف في سوسيولوجيا السياسة الصهيونية، ط1، (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2001).
211. عتر موسى حنا، الكيبوتز من الداخل، دراسة سياسية وإدارية، بيروت، مركز الأبحاث، م.ت.ف، ديسمبر 1970.
212. عواودة وديع، مذبحه كفر قاسم..سيرة سياسية، قضايا إسرائيلية، رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، العدد72، جانفي 2019).
213. العياري الأسعد، الدم في النصوص المقدسة، ط1، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2014).
214. غارودي روجيه، إسرائيل بين اليهودية والصهيونية، ترجمة: حسين حيدر، ط1، (بيروت، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، 1990).
215. غارودي روجيه، الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة: حافظ الجمالي وصياح الجهيم، ط3، (بيروت: دار الفرائي، والجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، 2001).
216. غارودي روجيه، فلسطين أرض الرسائل السماوية، ترجمة: قصي أتاسي وميشيل واكيم، (دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1991).
217. غانم أسعد، الهويات والسياسة في إسرائيل، ترجمة عن الإنجليزية: عزت غزاوي، ترجمة عن العربية: سعيد عياش، د.ط، (فلسطين-رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار، 2003).
218. أبو غزالة بسام، الجذور الإرهابية لحزب الحيروث،(بيروت، مركز الأبحاث، م. ت. فن اكتوبر 1966).
219. فارحي هلال ، أساس الدين "تعاليم الديانة اليهودية وقواعد إيمانها"، سلسلة اليهودية بأقلام



- يهودية، د.ط، (لبنان: دار ومكتبة بيبليون، 2014).
220. الفاروقي إسماعيل راجي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، معهد البحوث والدراسات العربية، 1968.
221. فالك رفائيل، الصهيونية وبيولوجيا اليهود، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، قضايا اسرائيلية، العدد 52، فبراير 2014.
222. أبو فخر صقر، الحركة الوطنية الفلسطينية من النضال المسلح إلى دولة متروعة السلاح، ط1، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003).
223. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبد القدر عطا، ط2، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1995).
224. فروم إيريك، شريح التدميرية البشرية، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، د.ط، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2006)، ج1.
225. فروم إيريك، مهمة فرويد تحليل شخصيته وتأثيره، ترجمة: طلال عترسي، ط2، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1423هـ-2002م.
226. فورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله، ط1، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1997).
227. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط2، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1987)،
228. فيسك روبرت، ويلات وطن، (صراعات الشرق الأوسط وحرب لبنان)، ط17، بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 2005).
229. قاسمية خيرية، النشاط الصهيوني في الشرق الأوسط وصداه (1908-1918)، سلسلة كتب فلسطيني(41)، (د.ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1973).
230. قسم الدراسات بدار الجليل، مصطلحات ومناسبات وتواريخ وشخص صهيونية، قسم الدراسات بدار الجليل، ط1، (الأردن: عمان، دار الجليل للنشر والتوزيع، 2008).
231. قنبي عصام، الصراع على الديار المقدسة، د ط، دمشق: دار الطليعة الجديدة، د ت.
232. كاييلوك أميون، تحقيق في مجزرة، من انتخاب بشير الجميل إلى اغتياله على مجازر صبرا وشاتيلا، ط1، (بيروت: الدار التقدمية، 1984).
233. كار وليام غاي، أحجار على رقع الشطرنج، ترجمة: سعيد جزايري، ط1، بيروت: دار النفائس، 1970.

234. كارين أرمسترونغ، معارك في سبيل الإله الحركات الدينية الصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، ط1، (نيويورك 2000).
235. كاظم ضفاف كامل، المهاجرون الروس في إسرائيل ودورهم في الحياة السياسية الإسرائيلية، جامعة بغداد، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد9، 2009.
236. كامل مجدي كامل، هولوكوست غزة "هيروشيما القرن21"، ط1، (دمشق: دار الكتاب العربي، 2010).
237. كامل مراد، الكتب التاريخية في العهد القديم (معهد البحوث والدراسات الإسلامية)، د.ط، (المطبعة الفنية الحديثة، 1964م).
238. كامل مراد، الكتب التاريخية في العهد القديم، د.ط (معهد البحوث والدراسات العربية، 1968).
239. كاير جوزيف، حكمة الأديان الحية، ترجمة حسين الكيلاني، مراجعة محمود الملاح، د.ط، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة).
240. كتن هنري، القدس، ترجمة: إبراهيم الراهب، ط1، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، 1997.
241. كرزوم جورج، المهجرة اليهودية المعاكسة ومستقبل الوجود الكولونيالي في فلسطين، د ط(حيفا: مدى الكرمل، المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، أكتوبر 2015).
242. كناعنة شريف(محررا)، العنف والعدوانية الصهيونية- الإسرائيلية مظاهرها أسبابها وجذورها، بحوث المؤتمر السنوي الخامس الذي عقده مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني في جمعية إنعاش الأسرة 23-25 أبريل 2010، د.ط، (فلسطين/ البيرة، مركز التراث والمجتمع الفلسطيني، 2010).
243. كناعنة شريف، الشتات الفلسطيني، دط، (فلسطين: مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني، 2000).
244. كنفاني غسان، في الأدب الصهيوني، قبرص، منشورات الرمال، 2013.
245. كوهين مارك.ر. كوهين، بين الهلال والصليب وضع اليهود في القرون الوسطى، ترجمة: إسلام ديه ومعز خلفاوي، تقديم: صادق جلال العظم، ط1، بغداد: دار الجمل، 2007).
246. كوهين.أ، التلمود "عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخامين حول الأخلاق، الآداب، الدين، التقاليد، القضاء"، ترجمة جاك: مارتى، ط1، (بيروت: دار الخيال للطباعة والنشر، 2005).
247. الكيالي عبد الحميد وآخرون، دراسة في العدوان على قطاع غزة عملية الرصاص

- المصوب/معركة الفرقان (2008/12/27-2009/1/18)، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 1430هـ-2009م).
248. الكيالي عبد الوهاب، الكيبوتز أو المزارع الجماعية، (د.ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1966).
249. الكيالي عبد الوهاب، المطامع الصهيونية التوسعية، (د.ط)، (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، 1966).
250. الكيالي عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ط10، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 1990).
251. كيستلر آرثر، القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، د ط، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991).
252. الكيلاني هيثم، الإرهاب يؤسس دولة، ط1، (القاهرة، دار الشروق، 1417هـ-1997م).
253. الكيلاني هيثم، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية-الإسرائيلية (1948-1988)، ط1، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، نوفمبر 1991).
254. كيميرلنغ باروخ، المجتمع الإسرائيلي (مهاجرون مستعمرون مواليد البلد)، ترجمة عن العبرية: هاني العبد الله، مراجعة: عزمي بشارة، ط1، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011).
255. لازار برنار، مناهضة السامية، تاريخها وأسبابها، ترجمة: ماري شهرستان، دط، دمشق: دار الأوائل، 2004.
256. لاندوا ديفيد، الأصولية اليهودية العقيدة والقوة، ترجمة: مجدي عبد الكريم، ط1، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994).
257. لمعي القس إكرام، الاختراق الصهيوني للمسيحية، ط2، (القاهرة، دار الشروق، 1993).
258. لندون يارون، "رؤية شارون وتنتياهو العارية"، يديعوت احرونوت: 2002/5/15، عن دورية: مختارات إسرائيلية، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية والسياسية 1996، عدد 90، ص 76.
259. لوبون جوستاف، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتير، دراسة وتقديم وتعليق: محمود النجيري، ط1، (مصر: مكتبة النافذة، 2009).
260. لوستك إيان، الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب، ترجمة: حسني زينة، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1991).
261. لومارشان فليب ولما راضي، إسرائيل فلسطين غدا، تعريب: يوسف ضومط، ط1، بيروت: دار

- الجيل، 1998).
262. ليفي أوسكار، بروتوكولات حكماء صهيون النص الكامل للمخطوطات الصهيونية للسيطرة على العالم، د ط، (اليمن: دار الحياة للنشر والتوزيع، د ت).
263. ليفي د.ش، "الخليل نقطة خلاف" هتسوفيه 1995/9/24، عن دورية مختارات إسرائيلية، عدد 11.
264. ليفي س، كنوز التلمود، ترجمة: محمد خليفة التونسي، ط 1 (الكويت، مكتبة دار البيان) 1409 هـ - 1989).
265. ليفي شمعون، المسرح الإسرائيلي، الأنا والآخر ومتاهة الواقع، إعداد وتقديم: سلمان ناطور، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، ديسمبر 2006).
266. ليليتال ألفريد، ثمن إسرائيل، ترجمة: حبيب نحوي وياسر هوارى، ط 3، بيروت: مطابع دار الكشاف، 1954.
267. ليوتاكسل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة: حسن ميخائيل إسحق، (دون معلومات).
268. مارغوليز ماكس وألكسندر ماركس، تاريخ الشعب اليهودي أو كيف يروي اليهود تاريخهم، سلسلة اليهودية بأفلام يهودية، د ط، (بيروت، دار ومكتبة بيبليون، 2005)، ص 24.
269. مارسيليو سفيرسكي، ما بعد إسرائيل (نحو تحول ثقافي)، ترجمة: سمير عزت نصار، مراجعة وتدقيق: حسام موصللي، د.ط، (إيطاليا - ميلانو، منشورات المتوسط، د.ت)، ص 112.
270. مارش وليم، السنن القويم في تفسير العهد القديم شرح سفر التكوين، د ط، (بيروت، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، 1973).
271. مالكا فيكتور، ميناخيم بيغن، التوراة والبنديقية، سلسلة كتب مترجمة، دون معلومات .
272. مالمات أبراهام وحبيم تدمور، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشفات الأثرية، ترجمة وتقديم: رشاد عبد الله الشامي، ط 1، (القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001).
273. مان رافي، "القوى الحقيقية"، معاريف: 1996/10/8، في مختارات إسرائيلية، عدد 23، ص 12.
274. أبو المجد ليلي إبراهيم، مدخل إلى دراسة التلمود مع ترجمة فصول مختارة، ط 1، (القاهرة: دار الثقافة للنشر، 2010 م).

275. مجموعة من الباحثين، صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، سلسلة كتاب المعرفة(12)، ط1، (المملكة العربية السعودية، الرياض، مجلة المعرفة، 1424هـ-2003م)، ص203.
276. مجموعة مؤلفين، الجوهر الرجعي للصهيونية، د ط، (موسكو: دار التقدم، 1975).
277. محارب عبد الحفيظ محارب، الهجرة إلى إسرائيل مشاكلها وكيفية التصدي لها، في شؤون فلسطينية، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، العدد10، جوان 1972.
278. محمد أحمد صالح حسين، اللغة العبرية والجهود الصهيونية لإحيائها، مجلة جامعة الملك سعود، كلية اللغات والترجمة، المملكة العربية السعودية، مج18، (1426هـ-2005م).
279. مخادمة ذياب وموسى الدويك، الاستيطان اليهودي وأثره على مستقبل الشعب اليهودي، مركز دراسات الشرق الأوسط. (د.م.ن).
280. المدني توفيق المدني، القضية الفلسطينية أمام خطر التصفية دراسة تاريخية سياسية، ط1، (دمشق، دار الفكر، 2008).
281. المراغي أحمد مصطفى، تفسير المراغي، د ط (مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، 1365هـ-1946م، ج5).
282. مسعد بولس حنا، همجية التعاليم الصهيونية، ط2، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1983م).
283. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط5، دمشق: دار الفكر، 1973، ج1.
284. المسكين الأب متى، تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ماين العهدين، ط1، (القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، 1997).
285. مسلم الحلو، قصة مدينة نابلس سلسلة المدن الفلسطينية(3)، دط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الاعلام بمنظمة التحرير الفلسطينية، د ت، ص32.
286. المسيري عبد الوهاب، الجماعات الوظيفية اليهودية - نموذج تفسيري جديد-، ط2، القاهرة: دار الشروق، 2002.
287. المسيري عبد الوهاب، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، ط3، (القاهرة: دار الشروق، 2009).
288. المسيري عبد الوهاب، اليد الخفية، (دراسة ف الحركات اليهودية الهدامة السرية، ط2، القاهرة، دار الشروق 1422هـ-2001م).

289. المسيري عبد الوهاب، تاريخ الفكر الصهيوني، جذوره ومساره وأزمته، ط1، (القاهرة، دار الشروق، 2009).
290. المسيري عبد الوهاب، من هو اليهودي، ط3، (القاهرة، دار الشروق، 2002م).
291. المسيري عبد الوهاب، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، (1975).
292. مصالحة عمر أمين، التلمود المرجعية اليهودية للتشريعات الدينية والإجتماعية، ط1، (عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 2006).
293. مصالحة نور الدين أرض أكثر وعرب أقل، (سياسة الترتسفير الإسرائيلية في التطبيق 1949-1996)، ط2، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2002م).
294. مصالحة نور الدين، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون سياسة التوسع (1967-2000)، ترجمة: خليل نصار، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2001).
295. مصالحة نور الدين، طرد الفلسطينيين، مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيوني 1882-1948، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جانفي 1992).
296. مصطفى مهندس، المستوطنون من الهامش إلى المركز (رؤية المستوطنين للصراع: من غوش إيمونيم إلى البيت اليهودي)، (رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، سبتمبر 2013).
297. مصطفى هويدا عبد الحميد، الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية في إسرائيل، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1431هـ-2010م.
298. معتوق سمير أحمد، الأساس الجغرافي للاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية (1967م-1985م)، ط1، (الأردن، عمان، دار البشير، 1413هـ-1992).
299. مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، المعاهدات الدولية الأساسية لحقوق الإنسان، نيويورك وجنيف، 2006.
300. مقار شفيق، قراءة سياسية للتوراة، ط1، (لندن، رياض الريس للكتب والنشر، 1987).
301. مكاربوس شاهين، تاريخ الإسرائيليين اليهود قديما وحديثا مع تراجم مشاهيرهم شرقا وغربا، سلسلة اليهودية بأفلام يهودي (10)، د ط، بيروت: دار وكتبة بيبلون، 2007.
302. من الفكر الصهيوني المعاصر، سلسلة كتب فلسطينية (11)، بيروت، مركز الأبحاث م. ت ف، فبراير 1967.
303. منصور أنطوان، المستدروت والمجتمع الإسرائيلي، بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، شؤون



- فلسطينية، العدد34، جوان1974).
304. منصور جوني ، وفادي نحاس، المؤسسة العسكرية في إسرائيل، (تاريخ، واقع، استراتيجيات وتحولات)، (رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، سبتمبر2009.
305. منصور جوني، إسرائيل والاستيطان، الثابت والمتحول في مواقف الحكومات والأحزاب والرأي العام (1967-2013)، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، جويلية2014).
306. منصور جوني، التدين في كتب ومناهج إسرائيل..، ط1، (رام الله، مركز مسارات، 2018)
307. منصور عبد الوهاب ، فتاوى الحاخامات، (رؤية موضوعية لجذور التطرف في المجتمع الإسرائيلي)، د.ط، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010).
308. منى زياد ، تليفق صورة الآخر في التلمود يسوع المسيح والعرب والمسيحيين والأُميين، ط3، (بيروت: قدمس للنشر والتوزيع، 2004).
309. مهدي عبير، التعصب في الفكر الصهيوني، ط1، (دمشق، صفحات للدراسات والنشر، 2012).
310. مهران محمد بيومي، مصر من قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة، سلسلة مصر والشرق الدين القديم(2)، د ط، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993)، ج2.
311. موسكاتي سببتيانو، تاريخ الحضارات السامية القديمة، ترجمة: يعقوب بكر، مراجعة: محمد القصاص، د.ط، (القاهرة، دار الكتاب العربي، د.ت).
312. موشيه برافر، حدود "أرض إسرائيل" بين الماضي والحاضر: الجوانب السياسية والجغرافية، ترجمة: بدر عقيلي، ط1، (عمان: دار الجليل للدراسات والبحاث الفلسطينية، 1990).
313. الموعد حمد، الصهيونية تعليم الحقد، قراءة في تشكيل العقل الصهيوني، ط1، (قبرص، دار الملتقى للنشر، 1993).
314. ميلر.ستيفن.م. وروبرت.ف.هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ عهد التكوين وحتى اليوم، ترجمة وليم وهبه، ط1، (القاهرة: دار الثقافة، 2008).
315. ناظم سلوى وآخرون، الآخر في الفكر اليهودي "الآخر من المنظور الديني والفلسفي"، د.ط، (القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 1426هـ-2006م).
316. ناظم منى، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، سلسلة "نحن وهم"، (القاهرة: دار الهلال).
317. نافع بشير موسى: الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، ط1، (القاهرة: دار الشروق،

(1420-1999).

318. النجار حسين فوزي، أرض الميعاد، دراسة علمية للوعد الإلهي لبني إسرائيل بأرض الميعاد على ضوء الكتب السماوية، د ط، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
319. نخبة من الباحثين، التعليم في إسرائيل ديني أم علماني، سلسلة كتاب المعرفة (2)، ط1، (المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، 1418هـ-1998م).
320. النعامي صالح، على خطى سدوم، إسرائيل بين الدين والعسكرة والفساد، ط1، (العين: دار الكتاب الجامعي، 2011م).
321. نوري حيدر علي، الجريمة الارهابية دراسة في ضوء قانون مكافحة الإرهاب، ط1، (بيروت: منشورات زين الحقوقية، 2013).
322. هالسل جريس هالسل، النبوءة والسياسة الإنجليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية، ط2، (القاهرة: دار الشروق، 2003).
323. هاليفي إيلان والفريد ليلينثال، إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة، ترجمة: رياض صوما، (د.ط)، (بيروت: دار المروج، 1985).
324. هتلر أدولف، كفاحي، ترجمة: لويس الحاج، ط2، (بيروت: بيسان، 1995).
325. هرتس جوزف، تلمود اليهودية المعاصرة، ط2، (لبنان: دار ومكتبة بيبليون، 2016).
326. أبو هلال فراس، معاناة الأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال، سلسلة أولست إنسانا (4)، ط1، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 1430هـ-2009م).
327. هلال محمد، الإسرائا وإسرائيل، ط1، (عمان، دار البشير - بيروت، مؤسسة الرسالة، 1417هـ-1997).
328. هلسة تھاني، دافيد بن غوريون، د.ط، (بيروت، مركز الأبحاث، م ت ف، نوفمبر 1968).
329. همو عبد المجيد همو، مفاهيم تلمودية نظرة اليهود إلى العالم، ط1، دمشق: دار الأوتل للنشر والتوزيع، 2003.
330. همو عبد المجيد، المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي، ط1، (دمشق: الأوتل للنشر والتوزيع، 2003).
331. الهندي سحر، التأسيس البريطاني للوطن القومي اليهودي فترة هربرت صامويل، 1920-1925، ط1، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003).
332. أبو الهيجاء إبراهيم، المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني (مرآة ترصد الجوانب القانونية

- والإنسانية والرقمية بقالب تقريرى وتحليلي عن أوضاع وأحوال المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني، ط1، (مصر: مركز الإعلام العربي، 2004).
333. هيرتزل تيودور، الدولة اليهودية، ترجمة: محمد فاضل، ط1، (القاهرة: دار الشروق الدولية، 2007).
334. هيرست ديفيد، البندقية وغصن الزيتون، ترجمة: عبد الرحمان أياس، ط1، (بيروت رياض الرئيس للكتب والنشر، 2003).
335. الوادية سامح خليل، المسؤولية الدولية عن جرائم الحرب الإسرائيلية، ط1، (بيروت: مركز الزيتون للدراسات والاستشارات، 1430هـ-2009م).
336. وافي عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود ( بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي)، (القاهرة: الفجالة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت).
337. وافي علي عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط1، (القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر، 1384هـ-1964م).
338. وافي فاضل عبد الواحد، من ألواح سومر إلى التوراة، ط1، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1989).
339. واكيم برنز، بابوات من غيتو روما، ترجمة: سهيل زكار، دون معلومات.
340. الوالي مصطفى، شرك الدم الطنظورة 22- 23 أيار 1948، معركة ومجزرة، تقديم: إلياس شوفاني، ط1، (دمشق: دار كنعان، د.ت).
341. وايتلام كيت، اختلاق إسرائيل القديمة "إسكات التاريخ الفلسطيني"، ترجمة: سحر الهنيدي، مراجعة: فؤاد زكرياء، عالم المعرفة (249)، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سبتمبر 1999).
342. ولز ه.ج، معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاوود، دط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
343. وليد الخالدي، بناء الدولة اليهودية (1897-1948م) الأداة العسكرية، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية المجلد 10، العدد 39، صيف 1999).
344. ويلفنسون إسرائيل، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط1، (مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1936).
345. ياسين خير نمر، جنوبي بلاد الشام، تاريخه وآثاره في العصور البرونزية، دط، (عمان: لجنة تاريخ

الأردن 1991).

346. ياغي إسماعيل أحمد، الجذور التاريخية للنكبة الفلسطينية، (د.ط)، (الرياض: دار المريخ، 1403-1983).

347. ياكوف ف وس، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط1، (دمشق: دار علاء، 2000)، ج1

348. ياهف دان، طهارة السلاح، أخلاق واسطورة وواقع، 1936-1956، ترجمة عن العبرية: جوني منصور، (د.ط)، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، جويلية 2004).

349. يسين السيد، الأسطورة الإسرائيلية والانتفاضة الفلسطينية، ط1، ((د.م.ن)، المطبعة الذهبية، 2001

350. يوسف صموئيل، مدخل الى العهد القديم (الكتب المقدسة)، ط2، (القاهرة: دار الثقافة، 2005).

351. يوسي ميلمان، الإسرائيليون الجدد مشهد تفصيلي لمجتمع متغير، ترجمة: مالك فاضل البديري، دط، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، دت).

-الكتب الأجنبية:

352. **Ben Gurion David, Ben Gurion** looks back in Talks with Moshe Pearlman (New York: Simon and Schuster 1965).

353. **Chauvin M** L'abbé Constantin ,La bible depuis ses origines Jusqu'à nos Jours, La bible chez les Juifs, (Paris, Librairie Bloud et Barral,1900), v1.

354. **chevalier** jean (sous la direction), Les religions: les dictionnaires du savoir moderne, (Paris, centre d'étude et de promotion de la lecture, 1972).

355. **Chiarini** L'abbé L(traduit par), le talmud de Babylone,(Paris,1831).

356. **Friedmen** Manis,"How Should Jews Treat Their Arab Neighbors? Moment (May-June 2009).

357. **Geoffrey** Wigoder (Sous la direction),Dictionnaire encyclopédique du Judaïsme (Paris, les éditions du cerf 1993)

358. **Girard** René, Des choses cachées depuis les fondations du monde, Recherches avec Jean-Michel Oughourlion et Guy Lefort, Bernard Grasset, (Paris, 1978).

359. **Guigui** Albert, Le Judaïsme Toute une vie,( Bruxelles, Edition Racine,2015).

360. **H Arned**, les origins du totalitarisme.sur l'antisémitisme, (traduit de

l'anglais), Paris, 1973.

361. **Haddad** Philippe, La Torah, (Groupe Eyrolles 2010).

362. **Imshoot** p van, Théologie de l'ancien testament (VI dextée et C<sup>ie</sup> éditeurs copyright 1954),t1.

363. J Edmond., Théologie de l'ancien testament (édité en Suisse delachaux et Niest S. A. 1955).

364. **jean Bright.A**, History of Israel.(philadelphia.1972)

365. Joshua Lewis Daniel Hawk, Berit Olam (Collegeville.Minn.Liturgical Press 2000).

366. **Karesh** Sara E. and Mitchell M. Hurvitz, Encyclopaedia of Judaisme, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data (J. Gordon Melton, Series Editor, 2005).

367. **Krakotzkin** Amnon Raz-, Exil et Souveraineté (Judaisme, sionisme et pensée binationale) Préface de Carlo Ginzburg, Traduit de L'hebreu par Catherine Neuve-Eglise, la fabrique edition,( Paris, 2007).

368. **Kuperminc** Victor, les Juifs, (le cavalier bleu, ed 2001) .

369. **lebeau** Richard ,Une histoire des hébreux de moise à Jésus, Taillandier, (Paris, 199).

370. **Lemaitre** F, dissertation sur la dureé du séjour d'Israélites en egypte,Genève, 1826.

371. Lévy Alfred Grand rabbin de lyon, les doctrine d'Israel, (lyon, imprimreie shneider frere,1896).

372. Loisy A, Histoire du canon de Lancien Testament,Leçons d'ecritures saintes, l'écture en théologie, (Paris, Letouzey et Ané éditeure,1890) .

373. **Lyons William** L., Between History and Theology: The Problem of Herem in Modern Evangelical Biblical Scholarship, (the Florida State University Libraries, Degree Awarded: Spring Semester, 2003).

374. **M M Bacuez.** et Vigourox, Manuel Biblique ou cours d'écriture sainte, à L'usage des Séminaire, Ancien Testament,.6e éd, (Paris, Maison Jouby et Roger, 1888),T1 .

375. **Martin Robert.** la permanence de, L'ancien Testament, recherche d'exégése et de theologie philosophie, cahier de la revue, ed 1984, Genève, Lausanne, Neuchatel,.

376. Nicolas Michel, Études critiques sur la bible-Ancien testament, (Paris,

Michel Lévy Frere, Librairie-éditeurs,1862).

377. **Niditch Susan**, War in the Hebrew Bible and Contemporary Parallels, Copyright ,by Word and Word, Luther Seminary, St. Paul, Volume 17, Number 4, fall 1995.

378. **Pranaitis J.B.**, Le Talmud démasqué; Les enseignements rabbiniques secret concernant les Chrétiens(Saint Petersburg Imprimerie de l'Académie Impériale des Sciences ,1892 Traduction partielle Editions de l'AAARGH Internet 2005 .

379. **A Robert**. et A. Feuillet: introduction à la bible, introduction général, ancien testament (copyright 1957). t1.

380. Denis Sourat, (sous la direction) histoire des religions, Paris, les éditions Denoël et Steel 1933)

381. **s. J bonsirvon J.**, Le Judaisme palestinien au temps de Jésus-christ, sa theologie, la theologie dogmatique (Paris 1934)

382. Salfati Pierre-Henry, Talmud Un livre Un Peuple (France, ARTE/Edition, 2006).

383. **Schaweb Mose** (Traduit Par), Le Talmud de Jérusalem, (Paris-Maisonneuve-1890).

384. **Sion Avi**, le raisonnemet Talmudique (Compte-rendu d'une conference), (Gnève, 1999).

385. **Touati Charle**, Prophète talmudistes, philosophes (Paris, les éditions du cerf 1990).

386. **Vajda George**, Introduction a la pensée juive du moyen age,(etude philosophique médiévale), (Paris, , librairie philosophique J.vrin1947).

387. Neubauer Adolphe, La géographie du talmud, Mischna, kelim,1 :6 Michel levy Frere, La Librairie Nouvelle (Paris, 1868).

#### –الكتب باللغة العبرية

388. (יחזקאל קויפמן, תולדות האמונה הישראלית מימי קדם עד סוף בית שני הוצאד מוטד ביאליק על-ידי דביר. ירושלים. 1965, כרך רביעי).

#### ثانيا: الموسوعات والمعاجم.

389. أفرام ومناحم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: أحمد بركات العجرمي، ط1، (عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1988).

390. البغدادي شهاب الدين الحموي الرومي، معجم البلدان، دط، بيروت: دار صادر، 1397هـ-



1997م، مج4.

391. البيطار فارس، الموسوعة السياسية والعسكرية، (د.ط)، (عمان: دار أسامة، 2003).
392. جميل صليبا معجم المصطلحات الفلسفية د.ط، (بيروت: الشركة العالمية للكتاب س م ل، 1994م).
393. الشامي رشاد عبد الله، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، (القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2002).
394. شتاينسلتر ادين، معجم المصطلحات التلمودية، ترجمة وتعليق مصطفى عبد المعبود سيد، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن، (القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، مطبعة العمرانية للأوفست، 2006م).
395. صالح حسن عبد القادر، الأوضاع الديمغرافية للشعب الفلسطيني، الموسوعة الفلسطينية، ط1، (بيروت: (د.د،ن)، 1990)، مج1.
396. عبد الملك بطرس، قاموس الكتب المقدس، ط11، القاهرة، دار الثقافة، 1997.
397. فانجيميرن ويليم.أي، القاموس الموسوعي للاهوت وتفسير العهد القديم (عبري-عربي)، ط1 (القاهرة: مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2009)، ج1.
398. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط2، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1987).
399. قاموس سيحيف، (د.م.ن) المجلد1
400. فيربروج فيرلين د، القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ط1، (مكتبة دار الكلمة، 2007).
401. الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسية، (د.ط)، ((د.م.ن)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ت))
402. المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، ط1 القاهرة، دار الشروق، 1999.
403. منصور جوني، معجم الإعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، ط1، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار، 2009).
404. ابن منظور جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، د ط، (بيروت: دار صادر، دت)، مادة (ع ن ف)، المجلد 9.

### ثالثا: الرسائل الجامعية

405. عبد الحمود هنادي عيسى، الإرهاب والعنف في الفكر اليهودي (رسالة ماجستير)، جمهورية السودان، كلية الآداب قسم الدراسات الإسلامية. إشراف: د. أم سلمة محمد صالح، 2008.

406. **Daniel Blanc**, de L'ombers(Tarn), Preparation Historique du Salut Au Sein du Peuple Juif, These publiquement Soulenue de la Faculté de Theologie Protestante de Montouban, Juillet 1856, (Toulouse, imprimerie de A.Chauvin1856).

رابعاً: الدوريات.

407. مجيطة الحق مجيطة، مفهوم العنف الاجتماعي في البحوث السوسولوجية بين الطرح العلمي والطرح الأيديولوجي، قراءة إستيمولوجية، المجلة العلمية لجامعة الجزائر 3، المجلد 6— العدد 11، جانفي 2018).

408. قضايا إسرائيلية، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار))، (الأعداد: 3، 5، 13، 19، 20، 25، 38-3، 47، 52، 53، 54، 63، 64، 69).

409. شؤون فلسطينية،(بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية)، (الأعداد: 5، 55، 105، 154-155، 217-248، 217).

410. مختارات إسرائيلية، (القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام)، (الأعداد: 12، 15).

411. أوراق إسرائيلية، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار))، (الأعداد: 55، 62).

412. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، بغداد، العددان: 1-2.

413. مجلة شؤون اجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، العدد: 96.

414. **Fredric Gangloff**, Joshua 6; Holy War or Extermination by Divine Command"Herem", Theological Review, Vol, 25, no,1 (April 2004)

415. **Haddad Philippe**, Midrash Pensée Liberante D'Israel, Premier colloque International, D'études Midrashiques, (France, 20 et21 Aout 2005.)

خامساً: المواقع الإلكترونية

416. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، الشهداء والجرحى في قطاع غزة [www.pcbs.gov.ps](http://www.pcbs.gov.ps).

417. بن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر 1984.

<http://betsalem.org/Arabic>

418. -Karta Neturei International,jews United Against Zionism,E-Mail/

[info@nkusa.org](mailto:info@nkusa.org)/ Visit us at [www.nkusa.org](http://www.nkusa.org)

419. <http://www.palestine-studies.org/ar/resources/docments>.

420. <http://haim.harboun.free.fr/election.htm> -

421. **Noga kadman** ; backed by the system, abuse and torture at the shikma interrogation facility, translated by michelle bubis, December,

- http://www.betselem.org/Arabic 2015, p29 عن موقع  
422. فروانة عبد الناصر، الأسرى حقول تجارب لأدوية خطيرة، عن موقع  
2007 1 سبتمبر https://www.palestinebehindbars.org/tajarbaug2007.htm  
423. القدومي عيسى، الهجرة اليهودية والعودة إلى المهول، عن مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية.  
<http://www.aqsaonline.org>  
424. المحيسن جهاد، جدلية الديني والسياسي في إسرائيل. عوفاديا يوسف نموذجاً، 3 سبتمبر 2010، ص2  
موقع نت: <http://www.alegt.com/2010/9.3.article>: بتاريخ 2019/8/29  
425. النعامي صالح محمد، الحاخامات و"فقه التوحش" المسكوت عنه، موقع الباحث صالح النعامي،  
<http://naamy.net/view>، 2016/1/2

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
ب	مقدمة
	تمهيد
3	أولاً: مفاهيم العنف
12	ثانياً: الصهيونية
<b>الفصل الأول:</b>	
<b>مصادر الفكر الديني اليهودي ودلالاتها على العنف</b>	
16	تمهيد
17	المبحث الأول: مصادر الفكر الديني اليهودي
17	المطلب الأول: الكتاب المقدس
17	أولاً: تعريف الكتاب المقدس
20	ثانياً: أسفار الكتاب المقدس ومضامينها
38	المطلب الثاني: التلمود
38	أولاً: معنى التلمود
40	ثانياً: مكونات التلمود
49	ثالثاً: التلمود الأورشليمي والتلمود البابلي
52	رابعاً: قدسية التلمود ومترلته من التشريع اليهودي
58	المبحث الثاني: نصوص العنف في التناخ والتلمود
58	المطلب الأول: اشكالية دلالة نصوص التناخ على العنف.
59	أولاً: تشريع الإبادة بالقتل والحرق في أسفار الشريعة
66	ثانياً: تشريع الطرد والإبادة في أسفار الأنبياء
83	المطلب الثاني: العنف في نصوص التلمود
86	أولاً: الجويم نُجس ودون اليهود مترلة
89	ثانياً: جواز الاستيلاء على ممتلكات الجويم وأمواهم

91	ثالثا: تحريم الشفقة على غير اليهود والأمر بقتلهم
94	المطلب الثالث: النص الديني والتسوية الحاخامي للعنف
94	أولا: صناعة الفتوى
97	ثانيا: نماذج من الفتاوى الدينية
<b>الفصل الثاني:</b>	
<b>توظيف الصهيونية للدين والتاريخ في تبرير الاحتلال</b>	
118	تمهيد
119	المبحث الأول: توظيف فكرة الشعب المختار في تبرير الاحتلال.
119	المطلب الأول: مفهوم الاختيار الإلهي في الفكر اليهودي.
119	أولا: الاختيار في العهد القديم.
133	ثانيا: مفهوم الاختيار في التلمود
140	المطلب الثاني: القراءة الصهيونية للاختيار
141	أولا: نقاء العرق اليهودي في الأدبيات الصهيونية
145	ثانيا: فريدة العرق اليهودي بميزان النقد
150	ثالثا: وحدة الجنس اليهودي بميزان علم الانثروبولوجيا
157	المبحث الثاني: توظيف فكرة الوعد الإلهي بالأرض في تبرير الاحتلال
157	المطلب الأول: نصوص الوعد الإلهي بالأرض:
157	أولا: الوعد في التوراة
177	ثانيا: أرض الوعد في التعليم الرباني
182	المطلب الثاني: أرض الميعاد في الأدبيات الصهيونية
182	أولا: مفهوم أرض الميعاد في الفكر الصهيوني
188	ثانيا: حدود أرض الميعاد في الفكر الصهيوني
192	المطلب الثالث: نقد ادعاء التوق الى الأرض:
192	أولا: الصهيونية والرفض اليهودي للهجرة
197	ثانيا: الهجرة المعاكسة
200	المبحث الثالث: توظيف الحقوق التاريخية والانسانية في تبرير الاحتلال.

200	المطلب الأول: توظيف الحقوق التاريخية في تبرير الاحتلال
200	أولاً: مفهوم الحق التاريخي
201	ثانياً: الامتداد التاريخي لسكان فلسطين
209	ثالثاً: الوجود اليهودي بفلسطين
239	المطلب الثاني: توظيف الحق الإنساني في تبرير الاحتلال
239	أولاً: مفهوم الحق الإنساني في الفكر الصهيوني
239	ثانياً: التحليل الصهيوني لمفهوم الحق الإنساني
245	ثالثاً: اليهود بين الاندماج ورفض المنفى
249	رابعاً: الواقع التاريخي لإضطهاد اليهود
<b>الفصل الثالث:</b>	
<b>تجليات العنف في الفكر والممارسات الصهيونية</b>	
270	المبحث الأول: تجليات العنف في الفكر الصهيوني
270	المطلب الأول: نماذج من تشكيل بنية الفكر الصهيوني.
270	أولاً: ميخا جوزيف بيرديشفسكي
272	ثانياً: فلاديمير جابوتنسكي
277	ثالثاً: دافيد بن غوريون
283	رابعاً: ميناخيم بيغن
287	خامساً: أرييل شارون
291	المطلب الثاني: تبني التيار الديني للفكر الصهيوني "دراسة نماذج".
291	أولاً: المفدال
296	ثانياً: حركة غوش إيمونيم
305	المبحث الثاني: تجليات العنف في التربية الصهيونية.
305	المطلب الأول: موقع التربية من المشروع الصهيوني
305	أولاً: الاهتمام بالتربية قبل قيام الدولة.
310	ثانياً: الاهتمام بالتربية بعد قيام الدولة
319	المطلب الثاني: أهداف ومضامين التربية والتعليم في إسرائيل.



319	أولاً: أهداف التربية والتعليم في إسرائيل
330	ثانياً: نماذج من التربية الصهيونية
348	المبحث الثالث: تجليات العنف في الممارسات الصهيونية
349	المطلب الأول: الهجرة اليهودية والاستيطان في فلسطين
349	أولاً: الهجرة اليهودية والاستيطان قبل قيام إسرائيل
370	ثانياً: الهجرة والتهجير اليهودية بعد 1948
385	المطلب الثاني: المجازر
387	أولاً: المجازر الجماعية قبل وخلال 1948
396	ثانياً: المجازر الجماعية بعد 1948
418	خاتمة
الفهارس	
423	فهرس الآيات القرآنية
424	فهرس الكتاب المقدس
428	قائمة المصادر والمراجع
459	فهرس الموضوعات
	الملخصات

## ملخص:

تناولنا في بحثنا الموسوم ب: **العنف في مصادر الفكر اليهودي وتجلياته في الممارسات الصهيونية-** دراسة تحليلية نقدية- " ظاهرة العنف الصهيوني، حيث يعرض مستخدما المنهج الاستقرائي والتحليلي النقدي للظاهرة من حيث مرجعيتها الدينية والسياسية وظروفها التاريخية، فبحثنا يقوم بتفكيك الظاهرة باعتبارها سلوكا استعماريًا يتخذ من الدين سندًا له.

لبيان ذلك تطلب البحث تمهيدا لتحديد بعض المفاهيم مع إبراز مدى عمق العلاقة الوظيفية فيما بينها، وتضمن الفصل الأول التعريف بالمصادر الدينية اليهودية بايجاز والوقوف عند بعض سياقاتها الدالة على العنف ومناقشتها بحسب علاقتها بموضوع البحث، من خلال ايراد آراء علماء النقد، مع بيان دور فتاوى الحاخامات في توجيه النص الديني وتفعيله، أما في الفصل الثاني فحاولنا الكشف عن تناقضات الصهيونية ومغالطاتها الدينية والتاريخية حول حق اليهود في أرض فلسطين، وبيان أن علاقتها بالتراث الديني اليهودي لم تكن سوى علاقة إنتقائية، هدفت الصهيونية من خلالها إلى تبرير الاحتلال وشرعنة فكرها الاستعماري الذي حاولت صبغه بطابع مسيحي مشوه، واعتمدنا في ذلك على التحليل والنقد الداخلي والخارجي الذي خضعت له الصهيونية في الوقت الحاضر من خلال سلسلة الأبحاث التاريخية خاصة الإسرائيلية، مما ساعدنا على فك عراها وبيان زيفها.

ووضحنا في الفصل الثالث مسار تشكيل بنية الفكر الصهيوني بتياريه العلماني والديني ثم تطرقنا إلى أهمية التربية في إسرائيل ودورها في ترسيخ الأيديولوجية الصهيونية، كما تناولنا مبحثا خاصا بانماط العنف الصهيوني الممارس في فلسطين، وذلك باعتمادنا أهم الدراسات التوثيقية خاصة اليهودية منها. وأهمنا البحث بتضمينه نتائج بناء على تصورنا لدراستنا، مع توصيات أرتأينا أنها تضيء على هذه الدراسة نوع من الموضوعية والجدية.

---

## Résumé :

Dans notre recherche étiquetée avec: «La violence dans les sources de l'idéologie religieuse juive et ses manifestations dans les pratiques sionistes- Étude analytique critique -», nous avons traité le phénomène de la violence sioniste, en utilisant la méthode analytique inductive et critique du phénomène en termes de référence religieuse et politique et les circonstances historiques, donc nos recherches démontent le phénomène comme un comportement colonial qui prend la religion comme base. Pour le montrer, la recherche a nécessité une préface pour définir certains concepts tout en mettant en évidence la profondeur de la relation fonctionnelle entre eux.

Le premier chapitre comprenait l'identification des sources religieuses juives et se tenant dans certains de leurs contextes indiquant la violence et en discutant en fonction de leur relation avec le sujet de la recherche en fournissant des opinions de critiques et d'érudits, avec une clarification du rôle des rabbins. fatwas pour guider et activer le texte religieux.

Dans le deuxième chapitre, nous avons essayé de révéler les contradictions du sionisme et de ses erreurs religieuses et historiques sur le droit des Juifs à la terre de Palestine, et de montrer que sa relation avec le patrimoine religieux juif n'était qu'une relation sélective, à travers laquelle Le sionisme visait à justifier l'occupation et à légitimer son idéologie coloniale qui tentait de la peindre avec un caractère de messianisme déformé, et nous dépendions de l'analyse et des critiques internes et externes que le sionisme a subies à l'heure actuelle à travers une série de recherches historiques, en particulier israéliennes , ce qui nous aide à démanteler sa nudité et à montrer son mensonge.

Dans le troisième chapitre, nous avons expliqué le cours de formation de la structure de l'idéologie sioniste avec ses connaissances laïques et religieuses, puis nous avons mentionné l'importance de l'éducation en Israël et son rôle dans la consolidation de la croyance sioniste, alors que nous abordions un sujet spécial sur les modèles de violence sioniste pratiqués en Palestine, en adoptant les études de documentation les plus importantes, en particulier le judaïsme, et nous avons terminé la recherche en incluant les résultats et les recommandations que nous avons vu pourraient offrir à cette étude un fort sentiment d'objectivité et de sérieux.

---

**Abstract:**

In our research tagged with: “The violence in the sources of Jewish ideology and its manifestations in Zionist practices - A Critical Analysis Study -”, we dealt with the phenomenon of Zionist violence, using the inductive and critical analytical method of the phenomenon in terms of its religious and political reference and historical circumstances, so our research dismantles the phenomenon as a colonial behavior that takes religion as its basis. To show that, the research required a preface to define some concepts while highlighting the depth of the functional relationship between them.

The first chapter included the identification of Jewish religious sources and standing at some of their contexts indicating violence and discussing them according to their relationship to the topic of the research by providing opinions of critics and scholars, with a clarification of the role of the rabbis' fatwas in guiding and activating the religious text.

In the second chapter, we tried to reveal the contradictions of Zionism and its religious and historical fallacies about the right of the Jews to the land of Palestine, and to show that its relationship with the Jewish religious heritage was only a selective relationship, through which Zionism aimed to justify the occupation and legitimize its colonial ideology that tried to paint it with a distorted messianism character, and we depended on the analysis and internal and external criticism which Zionism has undergone at the present time through a series of historical researches, especially Israeli, which helps us to dismantle its nakedness and show its falsehood.

In the third chapter, we explained the course of forming the structure of Zionist ideology with its secular and religious knowledge, and then we mentioned the importance of education in Israel and its role in consolidating the Zionist creed, as we dealt with a special topic on the patterns of Zionist violence practiced in Palestine, by adopting the most important documentation studies, especially Judaism, and we ended the research by including results and recommendations We saw could offer this study a strong sense of objectivity and seriousness.